موت وأنبعاث الاله في مصر القديمة



شمس منتصف الليل

آلان ف. ألفورد

ترجمة : صفاء محمد

اعداد : باسم حلمي

The Midnight Sun

By Alan F. Alford

شمس منتصف الليل

(موت و أنبعاث الكون/الاله فى مصر القديمة)

تأليف : آلان ف. ألفورد

ترجمة : صفاء محمد

اخراج فنى : باسم حلمى

First Published in Great Britain in 2004 by Eridu Books


Mediterranean Sea
Alexandria
Sais
Letopolis
Heliopolis
Giza
Saqqara
Memphis
Dahshur
SINAI
WESTERN
DESERT
EASTERN
DESERT
Hermopolis
Red
Sea
Asyut
River Nile
Abydos
Dendera
Valley of
the Kings
Thebes
& Karnak
Wadi Hammamat
Esna
Hierakonpolis
Wadi Abbad
Edfu
Elephantine
Aswan
Philae
0
50
100m

فهرس

مقدمة

هناك , تحت هضبة الجيزة , أخفى قدماء المصريين مقبرة سرية بمنتهى الذكاء و البراعة , فحفظوها من أيدى اللصوص و نابشى القبور لحوالى خمسة آلاف عام .

هناك , فى الظلمة و السكون الذى يشبه ظلمة و سكون ليل أبدى ليس له آخر , ترقد مومياء ملك مصرى بكامل روعتها و جلالها , تحيط بها تمائم و قطع الحلى من الذهب و الأحجار الكريمة و بجوارها الأثاث الجنائزى بالكامل .

اذا استطاعت عينك أن تخترق الظلمة الأزلية , يمكنك أن تتخيل وجه ذلك الملك و هو يبتسم لأنه استطاع أن يضلل لصوص و نابشى القبور فى العصور القديمة , و استطاع كذلك أن يخدع علماء الآثار فى العصر الحديث .

و لكنه قد لا يستمر فى الابتسام لوقت طويل .

أعتقد أننى تمكنت من تحديد موقع مقبرة الملك العظيم خوفو (أعظم بناة الأهرام) , الذى شيد هرم الجيزة الأكبر .

و اذا كنت مصيبا , فقد تشهد الانسانية قريبا أعظم كشف أثرى فى التاريخ , و هو اكتشاف يفوق اكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمون فى عام 1922 ميلادية .

اذا حدث و ظهرت لنا مقبرة الملك خوفو , فسيكون ذلك أول اكتشاف لمقبرة كاملة من مقابر بناة الأهرام , و سيفتح لنا أبوابا جديدة لكشف المزيد من الأسرار المرتبطة بعصر بناة الأهرام الذى سبق عصر الملك توت عنخ آمون بحوالى 1200 عام .

و قبل أن نقوم بذلك الاكتشاف , علينا أولا أن ننجح فى اختبار . و هو اختبار يمتحن فهمنا للديانة المصرية .

قبل أن نكتشف مقبرة الملك خوفو , علينا أولا أن نعى المغزى الحقيقى و الهدف من بناء الهرم , و الدور الذى تلعبه مومياء الملك الذى قام بتشييد الهرم .

باختصار , لكى نتمكن من اكتشاف مقبرة الملك خوفو علينا أن نطلع أولا على أسرار ديانة بناة الأهرام .

بدأ عصر بناة الأهرام حوالى 2600 عام قبل الميلاد , عندما تمكن أحد عباقرة مصرالقديمة من انجاز المهمة الشبه مستحيلة و هى تصميم هرم بجوانب ملساء تلتقى فى القمة و هو ما يعرف عند الأثريين بمصطلح الهرم الكامل/الحقيقى (true pyramid) لتمييزه عن نوع آخر من الأهرامات هو الهرم المدرج .

و قبل عصر الأسرة الرابعة عرفت مصر الهرم المدرج , الذى يتكون من مجموعة من المصاطب المتراصة على هيئة درجات سلم أو معراج يصعد نحو السماء .

كان الملك سنفرو (أول ملوك الأسرة الرابعة) هو أول من شيد هرما حقيقيا , بجوانب ملساء .

قام الملك سنفرو بتشييد هرمين فى دهشور , يصل ارتفاع كل منهما الى 345 قدما .

ربما استخدم أحد هذه الأهرامات كمقبرة له , بينما ظل الآخر مقبرة رمزية , و لكننا فى جميع الأحوال لا نستطيع أن نجزم بتلك الفرضية .

و بعد انتقال الملك سنفرو الى الغرب الجميل (العالم الآخر) , خلفه ابنه الملك خوفو الذى شيد هرم الجيزة الأكبر , و هو يعتبر أكبر الأهرامات الحقيقية (ذات الجوانب الملساء) , اذ يبلغ ارتفاعه 481 قدما , و يبلغ حجمه 91 مليون قدم مكعب .

يحوى هرم الملك خوفو منظومة من الغرف الداخلية , تتوجها غرفة الملك التى شيدت بالكامل بقطع الجرانيت الأحمر و التى يقف فى منتصفها تابوت جرانيتى تعرض غطاؤه للسرقة و الكسر و أصبح الآن فارغا .

يفترض العديد من علماء الآثار أن مومياء الملك خوفو كانت ترقد فى ذلك التابوت , و لكن مؤلف الكتاب لا يتفق مع تلك الفرضية , و ذلك لأسباب سأقوم بشرحها لاحقا .

و هرم خوفو ليس هو الهرم الوحيد الذى يقف فوق هضبة الجيزة , فهناك أهرامات أخرى , و هى هرم الملك خفرع و هرم الملك منكاورع .

يبدو هرم الملك خفرع فى نفس ارتفاع هرم الملك خوفو مع أنه فى الحقيقة أقصر و أقل حجما من

هرم خوفو , فحجم هرم خفرع هو 78 مليون قدم مكعب و ارتفاعه هو 213 قدما , و السبب فى ذلك أنه يقف على أرضية أكثر ارتفاعا من هرم خوفو .

و قد عثر على تابوت هرم خفرع أيضا فارغا .

استخدم قدماء المصريين فى بناء أهرامات الجيزة الثلاثة نحو 168 مليون قدم مكعب من الحجارة التى يبلغ اجمالى وزنها حوالى 12 مليون طن .

تقف أهرامات الجيزة – درة تاج المعمار المصرى – كشاهد على ايمان قدماء المصريين العميق بالبعث و الحياة الآخرة .

و لكن ما الذى ترمز له الأهرامات على وجه التحديد ؟

ان أول ما يلفت انتباهنا عند البحث فى رمزية الهرم أن علماء المصريات لم يتفقوا على المغزى من بناء الأهرامات , فمنهم من افترض أن الهرم يرمز لأشعة الشمس و هى تنزل من السماء نحو الأرض مخترقة السحب . و منهم من افترض أن الهرم يرمز للأرض الأزلية أو التل الأزلى الذى ارتفع من مياه الأزل (نون) عند نشأة الكون . و منهم من افترض أن الأهرامات ترمز للنجوم .

و برغم أن كل فرضية من هذه الفرضيات بها جزء من الحقيقة لأنها تتفق مع الفكر الدينى المصرى , الا أنها لا تقدم تفسيرا عميقا شاملا للسبب وراء بناء هذه الصروح المعمارية الهائلة .

ان ظهور هذا الاختلاف بين علماء المصريات برغم وجود نصوص تتعلق بالأهرامات و هى متون الأهرام التى نقشت على الحوائط الداخلية لثمانية من أهرامات الأسرة الخامسه و السادسه و هى نصوص مقدسة تحوى من العبارات ما يملأ كتاب من 300 صفحة هو فى الحقيقة شئ جدير بالتأمل . يكمن السبب فى عدم فهمنا لرمزية الهرم فى طريقة فهمنا للديانة المصرية القديمة .

تبدو لنا الديانة المصرية القديمة غريبة و غير مفهومة , لأننا نقوم باسقاط مفاهيمنا الدينية عليها , فى حين أن الفكر الدينى فى مصر القديمة يختلف عن الفكر الدينى لانسان العصر الحديث .

فقد عرف قدماء المصريين الها واحدا بأسماء و تجليات عديدة , و أطلقوا عليه "اله" (مذكرا) و فى نفس الوقت أيضا "الهة" (مؤنثه) , و أشاروا اليه ب "هو" و "هى" ليجمعوا بين النقيضين فى كيان واحد .

كما عرفوا الاله أيضا فى صورة الجمع الالهى (كالتاسوع و الثامون و الثالوث) . و الجمع الالهى هو مجموعة من الكيانات الالهية أو القوى الكونية التى انبثقت من الكيان الالهى الواحد الأسمى و التى تعمل معا داخل منظومة واحدة .

و بخلاف فكرة الاله الواحد المتعالى (المنفصل عن خلقه) التى تهيمن على الأديان الأحدث , نجد أن مفهوم الألوهية فى مصر القديمة أعمق و أشمل . فالاله فى الفكر الدينى المصرى متعالى , و لكنه فى نفس الوقت يحل فى كل الموجودات , و هو محتجب و لكنه فى نفس الوقت يتجلى فى جميع الخلائق ... فى الشمس و القمر و النجوم و فى كل مظاهر الطبيعة .

بذل علماء المصريات الأوائل جهدا كبيرا فى محاولة فهم الديانة المصرية القديمة التى كانت تبدو لهم و كأنها خليط من عقائد مختلفة غير متجانسه يعود معظمها لممارسات "بدائية" . و لكى يتمكنوا من فهمها بشكل عقلانى , كان محور تركيزهم هو العقيدة الشمسية , التى تعتبر أهم سمات الفكر الدينى المصرى , و التى اعتبرها البعض أول صور التوحيد . و هكذا ظهرت نظرية فى علم المصريات تقول بأن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية , و هى نظرية وجدت رواجا فى كل الأوساط الأكاديمية و تركت أثرها على كل الدراسات التى حاولت البحث فى هذه الحضارة العظيمة.

يقول علماء المصريات أن العقيدة الشمسية أصبحت هى العقيدة المهيمنة على الفكر الدينى المصرى بقدوم عصر الأسرة الرابعة , و هو عصر بناء الأهرام . فأهرامات دهشور و الجيزة ذات الجوانب الملساء هى فى نظرهم رموزا شمسية .

و فى الحقيقة ان هذه النظرة للديانة المصرية القديمة تعتبر نظرة سطحية بالقياس للانجاز المعمارى الهائل الذى تم فى عصر ملوك الأسرة الرابعة .

فهل من المعقول أو المقبول أن يقوم الملك سنفرو بتشييد 7.5 مليون طن من الحجارة فقط لكى يحاكى مشهد أشعة الشمس و هى تسقط من السماء نحو الأرض مخترقة السحب ؟!

و هل قام خليفته (الملك خوفو) بتشييد حوالى 5 مليون طن من الحجارة فقط لأنه أخذ بالمشهد المهيب لسقوط أشعة الشمس نحو الأرض ؟!

بالتأكيد هناك أسباب أخرى وراء انجاز هذا المشروع المعمارى الضخم .

و الفكرة التى يدور حولها هذا الكتاب , هى أن الديانة المصرية القديمة لم تكن ديانة شمسية , و انما هى **"ديانة النشأة"** , أى الديانة التى تهدف كل طقوسها و ممارساتها الى اعادة تكرار أحداث نشأة الكون . تحكى قصص الخلق فى مصر القديمة أن الكون سقط من قبل فى هاوية من الظلام و الفوضى , و كان على وشك الموت لولا تدخل قوة الهية خارقة أعادته للحياة من جديد , و هى قوة يمكننا أن نصفها بأنها قوة "سحر الخلق" . و كانت نتيجة تدخل هذه القوة الالهية أن الكون القديم ولد من جديد كونا نورانيا , أى كونا يتجلى فيه النور الالهى فى الأفلاك التى تدور فى السماء , و هى الشمس و القمر و النجوم .

كان الهدف من كل طقوس المعابد فى مصر القديمة هو الحيلولة دون سقوط الكون مرة أخرى فى هاوية الظلام و الفوضى .

و بمعنى آخر , كان قدماء المصريين يسعون بطقوسهم الدينية للحفاظ على النظام الكونى للأبد .

و لتحقيق ذلك الهدف , كان ملك مصر يطلع على أسرار سحر الخلق , و كانت مهمته الأساسية هى استقطاب تلك القوة الالهية الخارقة التى أعادت احياء الكون فى الأزل و خلقت الأرض و الشمس و القمر و النجوم .

رأى قدماء المصريين أن عملية الخلق فى جوهرها تتضمن الموت و الميلاد من جديد , و هما اللذان يضمنان استمرار الحياة . نظر المصرى القديم للأرض , فرأى النيل يموت و يولد من جديد كل عام , و نظر للسماء فوجد الشمس و النجوم تموت و تولد من جديد كل يوم , و القمر يموت و يولد من جديد كل شهر .

كانت طقوس السحر التى يقوم بها ملك مصر (أو من ينوب عنه من الكهنة) تهدف الى جعل كل ميلاد جديد لظاهرة كونية اعادة تكرار لنموذج النشأة الأولى , و هو ميلاد الكون من جديد بعد ما أصابه من موت . حين يفيض النيل كل عام , فهو بذلك يولد من جديد و كأنه يفيض لأول مرة , و حين تشرق الشمس فى الأفق الشرقى كل صباح فهى بذلك تولد من جديد و كأنها تشرق لأول

مرة فى أول يوم خلقت فيه . و هكذا , و عن طريق تكرار نموذج النشأة الأولى يجدد الكون نفسه , و بذلك يستمر للأبد .

لم يكن دور الملك فى طقوس تجديد الطاقة الكونية و الحفاظ على النظام الكونى ينتهى بموت جسده المادى , و لكنه يستمر حتى بعد انتقاله للعالم الآخر . و هنا يكمن المغزى و الهدف الذى من أجله بنيت الأهرامات .

فى مصر القديمة , لم يكن الملك يموت مثل أى انسان عادى , و انما هو يموت كأحد ال "نترو" (الكيانات الالهية) بعد أن عاش حياته على الأرض أيضا كأحد ال "نترو" , و ذلك ما يضمن أيضا أن يولد من جديد كأحد ال "نترو" .

و ال "نتر" (الكيان الالهى) المقصود هنا هو الاله الخالق (فى هيئة أوزيريس) , و موته و بعثه من جديد هو رمز موت و بعث الكون كله , و ذلك هو العنصر الرئيسى الذى ترتكز اليه الفرضية التى أطرحها فى هذا الكتاب , و هى بالطبع فرضية مثيرة للجدل .

حين يموت الملك فى هيئة أوزيريس (و بوعى أوزيريس) فهو بذلك يقوم باعادة تكرار أحداث قصة الخلق , و يصبح جسده المحنط هو الأرض الأزلية , و السوائل التى يتم استخراجها من جسده هى المياه الأزلية فى العالم السفلى , بينما تصعد روحه للسماء و تصبح هى الشمس و القمر و النجوم . أى أن موت الملك هو حياة الكون , أو بمعنى أدق ميلاد جديد للكون .

يصل ملك مصر لمستوى من الوعى يجعله مؤهلا للعب دور هام فى تجديد الطاقة الكونية , فهو حين يولد من جديد يولد معه الكون كله من جديد و بذلك يجدد الكون طاقته و يستمر للأبد .

لذلك وصفت النصوص المصرية الملك بأنه هو الذى يسير النجوم فى أفلاكها , و بأنه هو ملاح قارب "رع" الذى يطوف أرجاء الكون , و بأنه يولد من جديد كل يوم كما تولد الشمس و النجوم من جديد فتعود كما كانت فى الزمن الأول , حين خرجت للوجود أول مرة .

فى مصر القديمة , لم يكن الملك يموت , و انما هو يحيا حياة أبدية .

قام قدماء المصريين بتصميم الأهرامات بحيث تقوم بدور فى بعث الملك و ميلاده من جديد فى العالم الآخر , حسب ما جاء فى قصص الخلق المصرية .

و لكن دور الهرم لم يكن ينتهى بانتهاء الطقوس الجنائزية , لأن البعث الذى بنى من أجله الهرم ليس بعث رجل عادى و انما هو بعث الكيان الالهى أوزيريس , و الذى باعادة تكرار بعثه و ميلاده من جديد يتجدد الكون كله و يبعث من جديد . و بذلك يتجدد سحر الخلق و يعاد تكراره كل يوم داخل الهرم .

و لكى يتحقق ذلك كان قدماء المصريين يقومون بتحنيط جثمان الملك و دفنه فى باطن الأرض , كما حدث لجثمان أوزيريس فى قصة الخلق . ثم تصبح المومياء هى الموضع الذى تبعث منه الروح من جديد كل يوم .

فكل ليلة ترتحل روح الملك بصحبة الشمس و النجوم فى العالم السفلى (ال "تحت - أرضى") و تعبر البوابات الخفية و تتحد بجسدها الراقد فى باطن الأرض كجسد أوزيريس , و بذلك تستقطب طاقة السحر الأزلى الذى خلق به الكون , ثم تبعث من جديد فى الصباح كالشمس فتجلب معها النور للكون كله و تجدد طاقته . لذلك كان الحفاظ على جثمان الملك بتحنيطه شيئا جوهريا و ضروريا لكى يستطيع الملك الاستمرار فى اعادة تكرار نموذج النشأة الأولى و حماية النظام الكونى و الحفاظ عليه و ضمان استمراره للأبد .

بنى الهرم لحماية الموضع الذى ترقد المومياء أسفله , و تم تصميمه ليبقى خالد للأبد .

جاء فى متون الأهرام أحد النصوص التى تبتهل للاله الخالق بأن "يشمل الملك بعنايته , و أن يحمى هرمه و يبعد عنه كل شر للأبد" .

تكتسب الأهرامات قوتها من هيئتها التى تنساب فى سلاسه و التى قد تكون رمزا للكون لحظة خروجه للوجود أول مرة .

و هذا يعيدنا مرة أخرى الى هرم خوفو و تصميمه الفريد من بين كل أهرامات مصر , و هو أمر لا يمكننا تجاهله .

افترض علماء المصريات منذ بداية ظهور هذا العلم (علم المصريات) أن مومياء الملك خوفو

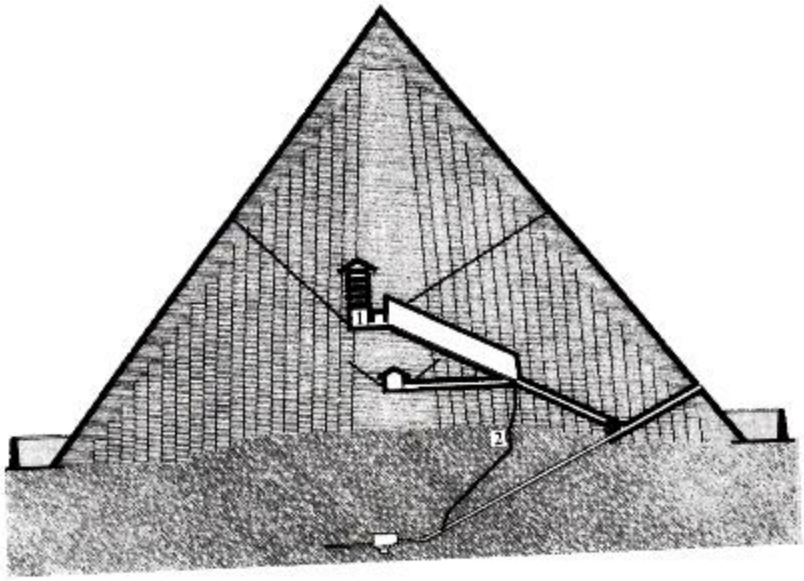
كانت مدفونه فى التابوت الجرانيتى المكسور بداخل غرفة الملك التى تقع على ارتفاع 140 قدما داخل الهرم , و هو شئ مخالف للفكر الدينى المصرى الذى يؤمن بأن الجسد يجب أن يدفن فى الأرض .

يفترض علماء المصريات أن الملك خوفو خرج على التقاليد المصرية التى تقضى بدفن المومياء فى الأرض لكى يضلل لصوص المقابر الذين يتوقعون دائما وجود غرفة الدفن تحت الأرض .

و قد بنى علماء المصريات هذه الفرضية على اعتبار أن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية و أن الهرم هو صرح لاله الشمس . و لكن فى الحقيقة ان الديانة المصرية القديمة لم تكن ديانة شمسية و انما هى **"ديانة النشأة"** (أى نشأة الكون) , و الهرم هو صرح يلعب دورا هاما فى الحفاظ على النظام الكونى و تجديد طاقته بأن يعيد تكرار نموذج نشأة الكون بشكل دائم و الى الأبد .

و فى اعتقادى أن الملك خوفو لا يمكن أن يخالف التقاليد المصرية و يخرج عن الفكر الدينى المصرى و يأمر بدفن جثمانه فى مكان مرتفع بعيدا عن باطن الأرض حيث دفن جثمان أوزيريس كما جاء فى الأسطورة .

ان مومياء الملك خوفو لابد و أنها مدفونة فى مكان ما فى باطن الأرض أسفل البناء الهرمى أو بالقرب منه طبقا للنص المقدس الذى جاء فى متون الأهرام و الذى يقول أن "الجسد للأرض , و الروح للسماء" . و لكى يكون بحثنا فى هذا الاتجاه بحثا مثمرا , علينا أولا أن ندع جانبا كل الفرضيات التى قالت بأن جثمان الملك خوفو كان مدفونا داخل الهرم على ارتفاع 140 قدما فوق سطح الأرض , و أن نبدأ بالبحث فى باطن الأرض فى هضبة الجيزة . و عند ذلك سيقودنا البحث الى تجويف كهفى أهمله الأثريون , هذا التجويف الكهفى هو البوابة التى ستقودنا الى المكان الذى ترقد فيه مومياء الملك خوفو .



هرم الجيزة الأكبر : مقطع رأسى باتجاه الغرب

1 = غرفة الملك التى يفترض علماء الآثار أنها غرفة دفن الملك خوفو

2 = المقبرة التى يفترض مؤلف الكتاب أنها المقبرة الحقيقية , و هى ما زالت غير متكشفه و لم تمسسها يد .

يقف هذا التجويف أو الكهف حاليا فارغا من أية نقوش أو تماثيل أو أثاث جنائزى أو أى شئ له علاقة بالدفن , و لكن هناك علامات تدل على أنه كان هناك شئ ما فى هذه الكهف قام لصوص الآثار فى الماضى البعيد بانتزاعه من موضعه .

و ربما يكون هذا ما أراد الملك خوفو أن يوهمنا به **!**

فعندما ننظر حول هذا الكهف أو التجويف نرى عددا من السمات المعمارية الفريدة التى تعتبر مؤشرا لوجود المزيد من الكهوف الخفية تحت سطح الأرض بالقرب من ذلك الكهف .

أعتقد أن مومياء الملك خوفو ترقد هناك فى سلام فى أحد تلك الكهوف الخفية منذ أكثر من 4 آلاف عام , يخفيها عنا جدار استطعت أن أحدد موقعه أسفل الهرم .

هذه الفرضية بوجود مومياء الملك خوفو تحت الأرض تقوم فى الأساس على فهم الديانة المصرية القديمة باعتبارها ديانة النشأة و ليست ديانة شمسية , و هى المحور الذى يدور حوله هذا الكتاب .

من ناحية , تعتبر نظرية ديانة النشأة ليست مثارا للجدل لأنها ليست مناقضة للفكر الدينى المصرى , بالعكس . فمعظم الباحثين و علماء المصريات يعلمون جيدا أهمية قصص الخلق فى الفكر الدينى المصرى .

و من ناحية أخرى , تعتبر النظرية مثارا للجدل , لأن قصص الخلق المصرية فى الحقيقة محيرة . فهى ليست كالقصص التى نعرفها و التى تتميز بوجود نقطة بداية ثم تطور للأحداث ثم نهاية , و انما هى مشاهد متفرقة تصف مراحل مختلفة أو مبادئ أو قوى كونية أثناء قيامها بعملية الخلق . لذلك تبدو قصص الخلق أحيانا غير مترابطه , و هو ما جعل بعض الباحثين يتحامل عليها و يصمها أحيانا بالخرافة , بل ان البعض يراها غير جديرة لتصبح أساسا لفلسفة دينية .

و قد خصصت الجزء الأكبر من هذا الكتاب لشرح قصة الخلق فى مصر القديمة عن طريق تجميع الأجزاء المتفرقة من الأساطير المصرية المختلفة و تفسير المبادئ الكونية التى تعبر عنها تلك الأساطير و محاولة ملأ الفجوات و التقريب بين ما يبدو فى الظاهر من تناقض لتتضح لنا فى النهاية ملامح ديانة النشأة التى خصصت لها هذا الكتاب . و النتيجة التى سنتوصل لها بعد البحث فى قصص الخلق المصرية هى فى الحقيقة نظرية علمية متقدمة جدا و راقية تدول حول الفيزياء الكونية . و لكن هذا الكتاب لا يقتصر على تجميع أجزاء قصص الخلق فى مصر القديمة , و البحث فى المقبرة الخفية للملك خوفو , و انما هو يحاول أيضا أن يعيد الصلة بيننا و بين الأصل الذى انبثقت منه كل أشكال الفكر الدينى فى العالم , و أن يفتح أعيننا على حقائق بسيطة و لكنها فى منتهى العمق .

بامكاننا أن نتعلم الكثير من الفلسفة الدينية فى مصر القديمة .

اذا استطاع هذا الكتاب أن يقرب حكمة مصر القديمة لأذهان القراء و أن يكلل ذلك أيضا بكشف أثرى هام - و هو الكشف عن مقبرة الملك خوفو الحقيقية - فسيكون عند ذلك جديرا بالجهد الذى بذل فيه .

<u>تعليق لمؤلف الكتاب :</u>

عند قيامى بتدوين هذا الكتاب , حاولت أن أقيم توازنا بين متطلبات البحث الأكاديمى و استخدام لغة الأكاديميين المتخصصين (و هم الذين أوجه لهم الحديث فى كتابى هذا , أملا فى أن يكون دافعا لاكتشاف المقبرة الحقيقية للملك خوفو) و بين تبسيط الأفكار المطروحة بحيث تصبح فى متناول القارئ العادى الغير متخصص فى علم الآثار .

قد يجد القارئ العادى سرد بعض التفاصيل غير ضرورى بالنسبة له , و عند ذلك يمكنه بكل بساطه أن يتجاوز تلك التفاصيل و أن يركز انتباهه على الفكرة الأساسية التى تدور حولها نظرية "ديانة النشأة" و التى أوردتها بشكل مختصر فى المقدمة و فى الفصل الأول و الفصل الخامس عشر و السادس عشر و التركيز على النقاط الأساسية التى أقوم بعرضها بشكل اجمالى مختصر فى نهاية كل فصل .

أما اذا كان القارئ العادى مهتما , يمكنه أن يقرأ بالتفصيل الفصل السابع , و فيه سيجد شرحا مفصلا للطقوس و النصوص الدينية المتعلقة بالهرم .

أما اذا ازداد شغفه لمعرفة المزيد يمكنه أن يقرأ الكتاب كله .

الفصل الأول

الزمن الكونى

جاء فى تعاليم بتاح حتب :-

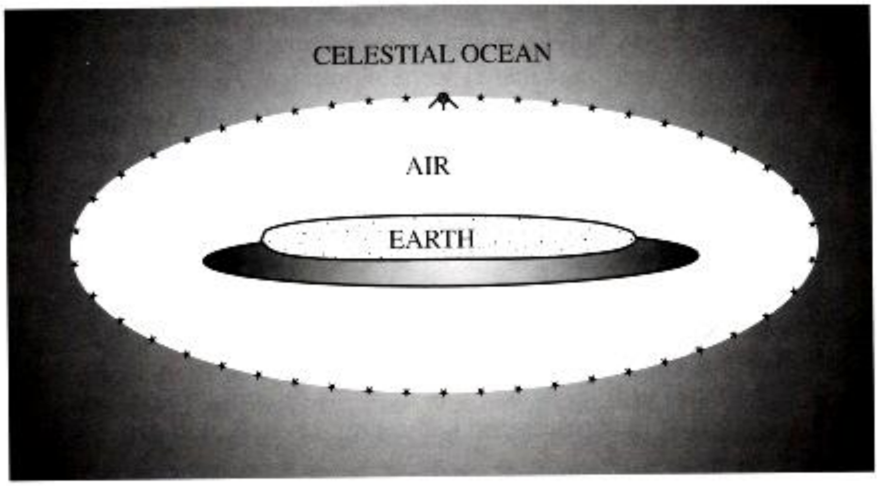
*** ما أعظم ال "ماعت" , فهى لا زالت باقية , و لا زالت تعمل على حفظ الكون , و لم تنتهك منذ زمن أوزيريس ***

فى العلوم الكونية المصرية , كانت الأرض تقف فى مركز الكون , فقد تخيلها المصرى القديم و كأنها قطعة هائلة من السجق تطفو وسط وعاء ضخم من الماء , تحيط بها فقاعة كبيرة مضغوطه من الهواء تحملها السماء التى تبدو فى صورة محيط هائل من الماء .

و على السطح الداخلى لهذا الرداء السماوى تتواجد المدارات الفلكية لمنظومة النور (الشمس و القمر و النجوم) و أيضا مدارات الكواكب , و هم جميعا يقطعون قبة السماء من ضفة لأخرى , كما تقطع القوارب صفحة النهر من ضفة لأخرى . و فيما وراء هذه الطرق الملاحية السماوية المرصعة بالنجوم , تقع السماء المجهولة , و هى عبارة عن هاوية مظلمة سحيقة لا يسبر غورها , لا محدودة , لا يصل اليها أى شئ , و لا حتى شعاع الشمس .

كيف جاء هذا الكون للوجود ؟!

ذلك هو السر الأعظم , و هو المحور الذى يدور حوله الفكر الدينى فى مصر القديمة , و هو أيضا الموضوع الذى يدور حوله هذا الكتاب .



(الكون فى نظر قدماء المصريين)

النظام الكونى (ماعت) :-

كان الكون فى نظر قدماء المصريين أشبه بآلة ضخمة فى حالة حركة دائمة , صممت للعمل بلا توقف لملايين الملايين من السنين .

بنى النظام الكونى لكى يستمر لفترة طويلة جدا , و هذا الاستمرار هو ما عبر عنه قدماء المصريين بكلمة "دجد" (Djed) . فالخلود أو الاستمرار للأبد (دجد) يعتمد على الحركة المنظمة للكون .

فى السماء , تجرى الشمس و القمر و النجوم فى مدارات فلكية معينة لا يمكنها الانفلات منها .

و على الأرض (و تحديدا أرض مصر) يفيض النيل فى أوقات محددة فيخصبها و بذلك تؤتى ثمارها فى كل موسم زراعى جديد .

هذه الدورات التى تعيد تكرار نفسها بشكل دائم هى تجسيد لأحد المبادئ الكونية التى عبر عنها المصرى القديم بكلمة "نحح" و معناها "التكرار الأبدى" .

و "التكرار الأبدى" لا يقصد به اعادة تكرار الحدث السابق أو الدورة السابقة كما يتبادر لذهن انسان العصر الحديث لأول وهلة عندما يسمع هذا التعبير , و انما المقصود به تكرار لحدث أزلى و قع عند نشأة الكون . فكل شروق لشمس يوم جديد هو اعادة تكرار لخروج "رع" من مياه الأزل عند نشأة الكون , و كل قمر جديد يولد فى السماء هو تكرار لميلاد القمر أول مرة , و ميلاد كل نجم

جديد هو تكرار لميلاد أول نجم ظهر للوجود , و كل فيضان للنيل هو اعادة للفيضان الأزلى الذى كان يغمر الأرض عند نشأتها .

و كل انحسار لمياه الفيضان عن الأرض فى كل عام هو تكرار لارتفاع الأرض الأزلية من مياه الأزل عند نشأة الكون . و كل تتويج لملك من ملوك مصر هو اعادة لحدث أزلى و تكرار لتتويج أول ملك يخلف أوزيريس على عرش الأرضين و هو حورس .

باختصار , كل يوم جديد فى نظر المصرى القديم هو "اليوم الأول" و هو اليوم الذى وقعت فيه أحداث نشأة الكون , و كذلك الأمس و الغد هم أيضا نسخ مكررة من "اليوم الأول" أو "الزمن الأول" .

ان دوام الكون و استمراره للأبد يعتمد بشكل أساسى على "التكرار الأبدى" لنموذج أزلى خرج للوجود أول مرة عند نشأة الكون و هو ما يطلق عليه نموذج النشأة الأولى .

أطلق قدماء المصريين على هذا الزمن الأزلى الذى خرج فيه نموذج النشأة الأولى لكل المخلوقات اسم "سب - تبى" (zep tepi) , و هى كلمة تترجم عادة بمعنى "الزمن الأول" أو "اليوم الأول" , و هو اليوم الذى شهد اقامة ال "ماعت" (النظام الكونى) .

"ماعت" هى منظومة القوانين التى تحكم الكون .

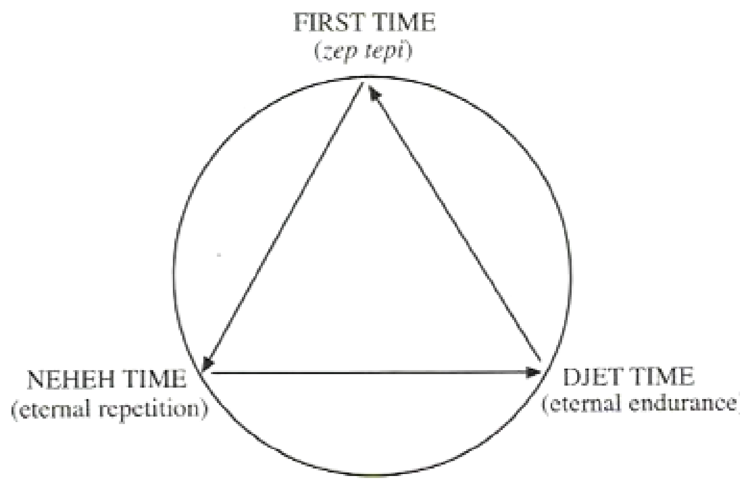
و هى ليست فقط نظاما سماويا (فلكيا) , و لا نظاما أرضيا و لا نظاما الهيا , و لا نظاما بشريا , و انما هى قانون أسمى يحكم كل العوالم و ينظم انتقال المخلوقات من عالم الروح الى عالم المادة و العكس , بحيث يكون كل شئ فى الوجود متناغما مع الآخر , مهما اختلف عنه .

كان لمفهوم الماعت أهمية كبرى فى الفكر الدينى المصرى لا يضاهيها أى مفهوم آخر , لدرجة أننا اذا أردنا أن نصف الديانة المصرية القديمة بكلمة واحدة تعبر عن جوهر هذه الديانة و روحها , فان هذه الكلمة بلا شك ستكون هى "ماعت" .

ان التكرار الأبدى (نحح) لأحداث الزمن الأول "سب - تبى" هو الذى يضمن استمرار النظام الكونى (ماعت) , و بالتالى يضمن الاستمرار الأبدى للكون (دجد) .

لذلك كان الكون فى نظر المصرى القديم بمثابة آلة ضخمة فى حالة حركة دائمة تحكمها منظومة

قوانين ثابته لا تتغير , و هى حركة تتجلى فى دورات الزمن .



(عجلة الزمن الدوارة)

و لكن عجلة الزمن لا تتحرك من تلقاء نفسها . فقد أنشأ الاله الخالق للكون نظاما يعتمد على تدخل ال "نترو" (الكيانات الالهية) و أيضا على تدخل الانسان , و جعل منه مملكة تسكنها العديد من المخلوقات التى تمتلك وعيا و ذكاءا , فالنترو (الكيانات الالهية) تسكن السماء و الأرض و الغلاف الجوى , و الانسان يسكن الأرض . و قد أسند الاله لكل من ال "نترو" و البشر مسئولية اجراء أعمال الصيانة للنظام الكونى و اصلاحه بشكل دورى و اعادته كما كان فى الزمن الأول .

اذا عاشت هذه الكائنات حياتها وفقا للكود أو القواعد أو الأصول و هى ما يطلق عليه فى مصر القديمة "قوانين الماعت" , فسيتمكن الكون من حماية نفسه من عوامل الهدم و الفساد و التحلل , و سيبقى الخالق فى حالة سكون و تأمل أبدى .

و لكى يحدث ذلك , وضع الاله الخالق للكون نظاما هرميا يحكمه . ففى عالم ال "نترو" (الكيانات الالهية) يقف "رع" على قمة الهرم كحاكم , و فى عالم البشر يقف الملك (ملك مصر) على قمة الهرم كحاكم . و مهمة كل من "رع" فى السماء و الملك على الأرض هو ضمان اعادة "التكرار الأبدى" لأحداث الزمن الأول , و هو ما يعرف ب "اقامة الماعت" , و هو تعبير يقصد به الحفاظ على النظام الكونى كما كان فى الزمن الأول , و ذلك ما يحفظ الكون و يضمن استمراره و عدم

تعرضه لعوامل الهدم و التحلل .

ان كل من "رع" و ملك مصر شركاء فى اعادة تدوير الزمن و تسيير آلته و الحفاظ على النظام الكونى . و على النقيض من "رع" و ملك مصر , تقف قوى الفوضى الكونية التى يمثلها كل من "ست" و ثعبان أبوفيس (عبيب) .

عبر قدماء المصريين عن مفهوم الفوضى بكلمة "اسفت" (isfet) , و هى نقيض الماعت .

تحاول قوى الفوضى بشكل دائم و متكرر أن تهاجم قارب "رع" أثناء رحلته فى العالم النجمى , كما تحاول أيضا أن تهاجم أرض مصر .

و هذا التهديد للنظام الكونى موجود منذ الزمن الأول (سب - تبى) , حين عارضت قوى الفوضى خلق الكون و حاولت عرقلة خروج "رع" من مياه الأزل , و لكن "رع" انتصر عليها و أزاحها جانبا و خرج منتصرا من قلب "نون" (المحيط الأزلى) ليضئ العالم بنوره .

انتصر "رع" على قوى الفوضى و الظلام داخل مياه الأزل و أزاحها جانبا و لكنه لم يقضى عليها تماما , فقوى الفوضى لم تفنى و انما هى فقط ضعفت و فقدت قوتها لفترة مؤقته و ما زال لديها القدرة على استعادة قوتها من وقت لآخر .

قوى الفوضى و الظلام ما زالت موجودة , و هى تقف هناك خارج حدود الكون الذى يحكمه النظام.

تقف ال "اسفت" على حدود عالمنا تتربص به و تتحين الفرص للتدخل فيه و تقويض نظامه .

و لذلك فان المعركة الأزلية التى خاضها "رع" فى الزمن الأول و انتصر فيها على قوى الفوضى الكونية يجب أن يعاد تكرارها للأبد .

اعتقد قدماء المصريين أن "رع" يرتحل فى قاربه للعالم السفلى كل ليلة , حيث يحاول ثعبان الفوضى "عبيب" أن يعترض طريقه , و لكن "رع" ينتصر عليه و يولد من جديد فى الأفق الشرقى و لذلك كان شروق الشمس كل صباح فى نظر المصرى القديم هو اعادة تكرار لنموذج النشأة الأولى , حين انتصر "رع" (النور و النظام) على قوى الظلام و الفوضى فى مياه الأزل و ازاحها ليشرق النور الالهى الذى خلق منه الكون . لذلك كانت لحظة شروق الشمس توصف فى النصوص المصرية القديمة بأنها تكرار للحظة الخلق .

يولد "رع" فى الأفق الشرقى للسماء و يأتى للوجود كما جاء للوجود فى الزمن الأول , فيغمر الأرض بنوره بعد أن انتصر على أعدائه و هم قوى الفوضى و الظلام كل يوم , كما فعل فى اليوم الأول أو الزمن الأول .

أما على الأرض , فان اعتلاء ملك مصر العرش يقابل ظهور "رع" فى الأفق الشرقى , و هو دليل على هزيمة قوى الفوضى و الظلام و على أن الماعت هى التى تسود على أرض مصر كما سادت فى الزمن الأول .

كان الملك فى مصر القديمة يتوج باعتباره كيان الهى حى , أو بمعنى أدق باعتباره تجسيدا و تجليا للاله الخالق على الأرض , و هو ما يعنى قدرته على استقطاب قوة ال "حكا" (السحر الأزلى) و قوة "حو" (كلمة الخلق) , و قوة "سيا" (الذكاء الكونى أو الوعى الكونى) و استخدامها فى اعادة تكرار فعل الخلق كل يوم .

و كان الملك يتوج أيضا باعتباره تجسيدا لحورس , و هو غريم "ست" الذى استطاع أن يقهره .

و لما كان "ست" هو أحد رموز الفوضى , فان تتويج الملك على عرش مصر باعتباره حورس يعنى أن لديه القدرة على حماية الماعت (النظام الكونى) و هزيمة ال "اسفت" (الفوضى) .

و من تأمل النصوص المصرية القديمة نلاحظ تداخل نطاق نفوذ ملك مصر مع نطاق نفوذ "رع" .

و عن طريق بناء المعابد التى ترمز للكون لحظة خلقه , كان قدماء المصريين يقيمون جسورا صوفية روحانية بين الشمس و القمر و النجوم و بين أصولها الموجودة فى الزمن الأول , و بذلك يصبح بمقدور الملك بصفته تجليا للاله الخالق على الأرض أن يقوم بدور المحرك الأزلى للكون .

فعند شروق شمس كل يوم جديد , يقوم الملك أو الكاهن الأكبر الذى ينوب عنه بطقوس روحانية تدور حول اعادة تكرار أفعال الخالق الأزلية التى أخرجت الكون للوجود و خلقت الأجرام السماوية و وضعتها فى مداراتها الفلكية حول الأرض .

و فى طقوس المعابد يقوم الملك (أو الكاهن الأكبر الذى ينوب عنه) بتقديم القرابين و على رأسها قربان الماعت و هو عبارة عن تمثال يرمز لها , و هو ما يعنى أن الماعت (النظام الكونى) قد انتصرت على ال "اسفت" (الفوضى) كما حدث فى الزمن الأول .



<u>(ملك مصر يقدم قربان الماعت)</u>

هكذا كان المصرى القديم يرى الكون كآله جبارة يعاد بناؤها و تشغيلها من جديد كل يوم على يد انسان يحاكى ما فعله الاله الخالق فى الأزل . و يالها من رؤية مثيره للدهشه . لأن هذه الرؤية تعنى أن أرباب السماء و الأرض و الهواء غير قادرين وحدهم على حماية النظام الكونى و صيانته .

و هم يعتمدون فى عملهم على الملك و دوره فى تكرار نموذج النشأة الأولى (نحح) الذى يضمن للكون الاستمرار (دجد) .

و بعبارة أخرى , كان قدماء المصريين يعتقدون أنه اذا لم يقم الملك بدوره فى دعم عملية صيانة الكون و التى أطلق عليها فى مصر القديمة مصطلح "اقامة الماعت" فان عوامل الهدم و الفساد ستهدد الكون بالانهيار , و سيعود و يسقط فى هاوية الفوضى و الظلام التى خرج منها فى الأزل .

بل ان دور الملك لا ينتهى بموته , فبعد انتقال الملك للعالم الآخر يستمر فى القيام بدوره فى محاربة قوى الفوضى و الظلام و الحفاظ على النظام الكونى .

و قد وصفت متون الأهرام (و هى أول كتاب دينى مدون فى تاريخ الانسانية) ملك مصر بعد انتقاله للعالم الآخر و هو يقوم بدور المصالح بين الغريمين , حورس و ست , و من خلال هذه المصالحة يجلب السلام و الاتزان للأرض و السماء .

ذكرت النصوص المدونة بهرم الملك "بيبى الثانى" أن الملك <<< <u>يطوف فى السموات , فينشر</u>

السلام و السكينة فى السماء , و تغمر البهجة الأرض , لأن السموات و الأرض تعلم أن طواف الملك و ارتحاله الأبدى هو الذى يقيم ال "ماعت" (النظام) مكان ال "اسفت" (الفوضى) >>> .

لم تكن تلك مهمة الملك بيبى وحده , و انما هى مهمة كل ملوك مصر الذين سبقوه و الذين ماتوا فى هذا العالم , و بعثوا فى العالم الآخر .

ان أرواح هؤلاء الملوك قد أصبحت جزءا من منظومة كونية سماوية راقية تقوم بالاشراف على النظام الكونى و الحفاظ عليه , و قد بدأ ذلك منذ أن كانوا أحياء على الأرض و أثناء حكمهم لمصر , و استمر هذا الدور بعد موتهم و انتقالهم للعالم الآخر .

يتكامل دور الملك المتوفى فى حفظ النظام الكونى مع دور "رع" , و الذى يرتحل هو أيضا للعالم السفلى و هو العالم الذى تذهب اليه أرواح البشر بعد الموت .

يمر "رع" بتجربة الموت كل ليلة و يبعث من جديد فى قلب الظلمة , فى الساعة التى ينتصف فيها الليل - و من هنا أستوحيت عنوان "كتابى شمس منتصف الليل" - و يعود فيولد من جديد فى الأفق الشرقى عند الصباح .

لذلك قام العديد من ملوك مصر بتصوير مشاهد من رحلة "رع" فى العالم السفلى على جدران مقابرهم . و فى هذه الرحلة يعتمد كل من "رع" و ملك مصر على أوزيريس و هو أول من ذاق الموت و بعث من جديد فى الزمن الأول (سب - تبى) , أى أن أوزيريس هو نموذج النشأة الأولى للموت و البعث . و لذلك كان جثمان ملك مصر يحنط لكى يحاكى جسد أوزيريس , أما "رع" فكانت روحه (باؤه) تحل فى جسد أوزيريس و ينتج عن ذلك مزيجا خيميائيا غامضا لا يطلع أحد على سره , ففيه يكمن سر تجدد طاقة الكون و استمراره .

و هكذا يعود أوزيريس للحياة فى العالم السفلى , و تبعث روحه من جديد و تبث طاقة حيوية متجددة فى كل أرجاء الكون .

و بمجرد أن يتحول الملك المتوفى الى أوزيريس عن طريق الطقوس الجنائزية يصبح بمقدوره أن يتبوأ مقعده فى قارب "رع" , و يقوم بزيارة جسد أوزيريس الراقد فى قاع العالم السفلى مرارا , و يعود فيولد من جديد مع "رع" عند شروق شمس كل صباح . و هكذا يستمر "رع" و ملك مصر

فى القيام بدورهم فى اعادة تكرار نموذج النشأة الأولى للموت و البعث من جديد , و هو التكرار الأبدى (نحح) الذى يجدد طاقة الكون و يضمن له الاستمرار للأبد (دجد) .

كانت تلك نظرة المصرى القديم للسماء و العالم السفلى و للتحولات الخيميائية التى تحدث ل "رع" و ملك مصر فى العالم السفلى بهدف تجديد الطاقة الكونية و حماية النظام الكونى .

فى الفصل الثانى , سنقوم بالبحث فى أبعاد الكون المختلفة بالتفصيل لنعرف كيف خلق الكون .

ملخص الفصل الأول :-

* ال "ماعت" هى النظام الكونى , و قد أقامها الاله الخالق فى الأزل , و لكنها ليست محصنة للأبد ضد عوامل الهدم و الفوضى , لذلك تتم صيانتها بشكل دورى و اعادة اقامتها من جديد من خلال اعادة تكرار أحداث النشأة الأولى .

* أسند الاله الخالق لكل من "رع" و ملك مصر مهمة التكرار الأبدى (نحح) لفعل الخلق الأول , و هذا التكرار الأبدى هو الذى يضمن للكون الاستمرار الأبدى (دجد) .

* يتم تتويج ملك مصر باعتباره تجسيدا و تجليا للاله الخالق على الأرض , و هو ما يعنى أن لديه القدرة على استقطاب طاقة السحر الأزلى التى خلقت الكون , و هى نفس الطاقة التى تحميه من عوامل الفوضى و الظلام .

* عند موت ملك مصر , يلتحق بقارب رع , و يطوف معه فى أبعاد الكون (الأرض , و السموات , و العالم السفلى) , و يولد معه من جديد مع شروق شمس كل صباح , و هكذا تتجدد طاقة الكون الى الأبد .

الفصل الثانى

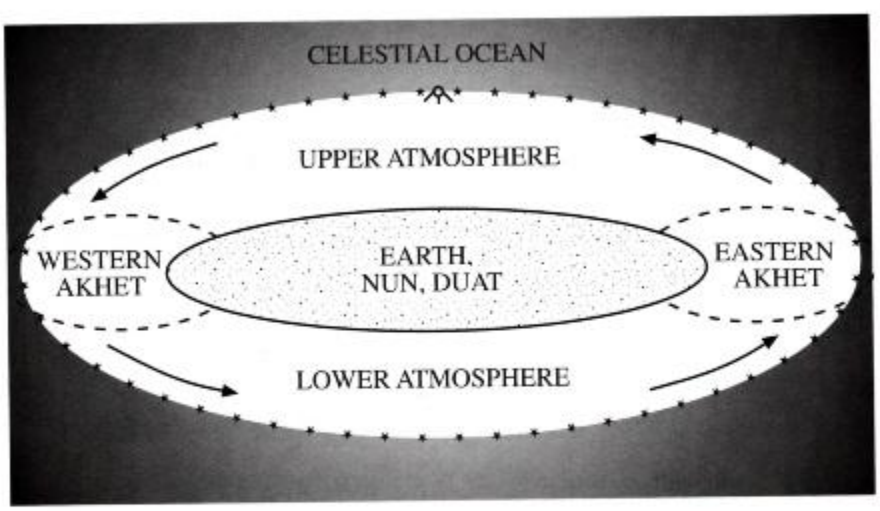
الكون

فى عام 2001 ميلادية ذكر "ستيفين كويرك" (Stephen Quirke) فى كتابه "ديانة رع" (The Cult of Ra) :-

*** لكى نستطيع فك شفرة الحضارة المصرية القديمة , علينا أن نسعى لاكتساب جزء من المعارف الكونية التى كانت لدى ملوك مصر عن القوانين التى تنظم حركة الكون و خصوصا الأفلاك , و عن النظام الشمسى الذى يبدو أنه كان فى مصر القديمة يختلف عما نعرفه حاليا ***

لكى نبحث فى أصل الكون و نشأته فى مصر القديمة , علينا أولا أن ننظر للكون و نتأمله .

كيف خلق هذا الكون ؟ و ما هى المادة الخام التى خلق منها ؟ و كيف يظل هكذا فى حالة حركة دائمة ؟



(أبعاد الكون فى نظر قدماء المصريين)

يلقى هذا الشكل الذى نراه فى الأعلى نظرة عامة على الكون و يبين لنا أبعاده الرئيسية كما عرفها قدماء المصريين . و هى لا تقتصر فقط على الأبعاد المرئية و هى الأرض و قبة السماء و الغلاف الجوى , و انما تشمل أيضا أبعادا خفية , غير مرئية بالعين المجردة كالمحيط الأزلى (نون) , و العالم السفلى (دوات) , و الأفقين "الشرقى و الغربى" (آختى) , و المحيط السماوى محمولا فوق الغلاف الجوى الأعلى و الأدنى .

و عند تأمل أبعاد الكون كما رآها المصرى القديم يلفت انتباهنا شيئان .

<u>أولا</u> : أن الأرض تقف فى قلب هذا الكون , أى أن الكون فى نظر قدماء المصريين هو كون مركزه الأرض "geocentric" . و اذا كان العلم الحديث يخبرنا أن الشمس هى مركز النظام الشمسى , فذلك يعنى أن الشمس (و الشموس بوجه عام) هى المحرك الرئيسى لآلة الكون .

و مع ذلك نجد أن النصوص المصرية القديمة لا تقول أن الكون يدور حول الشمس , و انما العكس. فالنصوص المصرية تؤكد على أن الشمس و النجوم و الأجرام السماوية تدور حول الأرض .

قد تبدو هذه النظرة الأرضية للكون غريبة بالنسبة للانسان المعاصر , لأن كوبرنيكوس و غيره من علماء الفلك فى العصر الحديث أثبتوا أن الأرض و غيرها من كواكب المجموعة الشمسية هى التى تدور حول الشمس .

و لكن قدماء المصريين و غيرهم من سكان الحضارات القديمة اعتقدوا أن الأرض - و ليس الشمس - هى مركز الكون . و قد قام الفكر الدينى لتلك الحضارات على هذه النظرة الأرضية للكون .

و على من يسعى لفهم الفكر الدينى فى مصر القديمة أن يقبل هذه النظرة للكون , و لو بشكل مؤقت لحين انتهائه من البحث فى الديانة المصرية القديمة .

<u>ثانيا</u> : أن الكون صمم بحيث يمكن للشمس و القمر و النجوم و أرواح ملوك مصر التى تحولت الى "آخو" (كائنات نورانية) أن تطوف حول الأرض بطريقتين مختلفتين و متكاملتين :-

<u>الطريقة الأولى</u> : هى أن يقطعوا قبة السماء من الشرق للغرب و يرتحلوا فى بطن السماء العليا ثم بطن السماء الدنيا .

الطريقة الثانية : هى الارتحال فى بطن السماء العليا ثم المرور عبر بوابة الأفق الغربى الى ال "دوات" (العالم السفلى) الذى يقع فى باطن الأرض و منه الى باطن السماء الدنيا .

و نلاحظ أن الطريقة الأولى للارتحال فى أبعاد الكون قد ذكرت بشكل مقتضب فى النصوص المصرية القديمة , بعكس الطريقة الثانية التى حظيت باهتمام شديد من قدماء المصريين و كانت هى محور العديد من كتب العالم الآخر المصرية .

و من هذا الارتحال فى العالم السفلى استوحيت عنوان هذا الكتاب "شمس منتصف الليل" , و هى الشمس التى تضئ ظلمة العالم السفلى عندما يصل موكب "رع" الى قاع ذلك العالم الخفى عند منتصف الليل .

يبدو علم الكونيات المصرى غريبا و غير مفهوم لانسان العصر الحديث الذى قد يسارع بوصم قدماء المصريين بالسذاجة و البدائية .

فبحق آمون (حسب تعبير قدماء المصريين) , كيف يمكن للشمس و القمر و النجوم أن تمر من مركز الأرض ؟!

وقبل أن نسارع بوصم قدماء المصريين بمثل هذه الصفات علينا أن نعرف أولا أنه حسب علم الكونيات المصرى , هناك طريقان أو شارعان رئيسيان فى الكون .

فالشمس التى نراها بالعين المجردة تسير فى مدارها الفلكى فى السماء الدنيا و تقطعه من الأفق الشرقى للأفق الغربى كل يوم . أما روح الشمس أو جسمها الأثيرى فيسير فى الطريق الثانى الذى يمر من بوابة الأفق الغربى و يخترق العالم السفلى , و ينتهى فى الأفق الشرقى , و كذلك يفعل القمر و النجوم . و هذا الكتاب ليس معنيا بشرح كيفية حدوث ذلك أو اثباته علميا , و من حق أى شخص أن يشك فى امكانية حدوث ذلك .

و لكن السؤال الذى يهمنا هو : لماذا احتل هذا التقسيم المتشابك لأبعاد الكون هذه الأهمية فى الفكر الدينى فى مصر القديمة ؟

أتمنى أن يحالفنى التوفيق فى تقديم اجابة لهذا السؤال فى هذا الفصل من الكتاب , و ذلك من خلال قراءة واعية و متأملة لوصف هذه الأبعاد التى تشكل الكون كما وردت فى أقدم النصوص الدينية

المصرية القديمة , ألا و هى متون الأهرام التى تعود الى حوالى 2350 عام قبل الميلاد , و النصوص التى تلتها فى الظهور و هى متون التوابيت التى تعود الى حوالى 2000 عام قبل الميلاد , و ما أعقبهما من كتب العالم الآخر التى تعود الى حوالى 1500 عام قبل الميلاد .

و أثناء بحثنا فى النصوص المصرية القديمة , ستتضح لنا أوصاف أبعاد الكون الرئيسية السبعة حسب هذا التقسيم :-

* الأرض (تا) و المحيط الأزلى (نون)
* العالم السفلى (دوات)
* الأفقان الشرقى و الغربى (آختى)
* حقول الايارو (سيخيت ايارو)
* حقول الرضا أو القرابين (سيخيت حتب)
* السماء (بت / كبحو / نون / نوت / ميحيت ويريت)
* الأجرام السماوية و مجرة الطريق اللبنى

<u>الأرض و المحيط الأزلى :-</u>

نبدأ رحلتنا فى أبعاد الكون كما رآها قدماء المصريين من المركز , ألا و هو الأرض و المحيط الأزلى .

أطلق قدماء المصريين على الأرض اسم "تا" , و هى كلمة تكتب برمز هيروغليفى على هيئة جزيرة بيضاوية الشكل تسبح وسط محيط () .

و لكى نستطيع أن نجارى الفكر المصرى , علينا أن نتخيل الأرض فى شكل جزيرة بيضاوية يحتويها محيط هائل من المياه أطلق عليه قدماء المصريين اسم "نون" .

وصفت الأرض فى العديد من النصوص المصرية القديمة بأنها جزيرة "ايو" (iw) .

اعتاد قدماء المصريين النظر الى المفاهيم الماورائية باعتبارها كيانات الهية , و منها بالطبع أبعاد

الكون . فقد رمز قدماء المصريين للأرض بأحد الكيانات الالهية , و هو "جب" , فى مقابل السماء التى عبروا عنها أيضا باحدى الكيانات الالهية و هى "نوت" .

وصفت النصوص المصرية القديمة العالم الذى يحكمه "جب" بأنه تل و ينطق "ايات" (iat) باللغة المصرية القديمة , و هو تل يحتوى على مجموعة من التلال الثانوية التى لا يعرف عددها على وجه التحديد و يطلق عليها اسم تلال حورس و تلال ست .

و من الكيانات الالهية التى ارتبطت بالأرض أيضا "تا تنن" و هو رب "الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل فى الزمن الأول" .

كما ارتبطت الأرض أيضا بكيان الهى ثالث و هو "آكر" (Aker) , و هو يختص بحراسة بوابات العالم السفلى أو ال "تحت - أرضى" .

و من الأشياء المثيرة للدهشة و التى تدعو للتأمل أن المصرى القديم اعتقد بوجود أرضين و ليس أرضا واحدة , فغالبا ما تذكر كلمة الأرض بصيغة المثنى فيقال "الأرضين" و تفسر عادة بأنها مصر العليا (الصعيد) و مصر السفلى (الدلتا) .

انعكس مبدأ ازدواجية الأرض فى الفكر الدينى المصرى على الطبيعة الجغرافية لأرض مصر و أيضا على الكيان السياسى للدولة , حيث كانت كلمة "تاوى" (و معناها الأرضين) أحد أسماء مصر القديمة , و يقصد بها مملكة مصر الموحدة التى تجمع الصعيد و الدلتا فى كيان سياسى واحد .

يقول الفلاسفة و المؤرخون الاغريق أن مصطلح "تاوى" (الأرضين) لا يقتصر على مصر كدولة تقع فى شمال شرق قارة أفريقيا و انما هو مصطلح يقصد به كل الأرض المسكونه , و ليس من الصعب أن نعثر على العديد من الأدلة التى تؤيد هذا الرأى فى النصوص الدينية المصرية القديمة .

و هناك أسماء أخرى أطلقها قدماء المصريين على أرضهم , مثل "تا – مرى" (الأرض الحبيبة) , و "كيميت" (الأرض السوداء) , و هى أسماء تنطبق على الأرض كلها .

و من المحتمل أن قدماء المصريين استلهموا الرمز الهيروغليفى للأرض (تا) و الذى يشبه جزيرة بيضاوية من شكل وادى النيل الذى يمتد من الجنوب للشمال على شكل شريط طويل .

اعتقد قدماء المصريين أن هناك عالما آخر فى باطن الأرض , و هو عالم "تحت - أرضى" تصل اليه أرواح الموتى عن طريق المقبرة . احتل هذا العالم أهمية كبرى فى الفكر الدينى المصرى باعتباره الوجهة التى تقصدها الأرواح بعد الموت , و أطلق عليه قدماء المصريين العديد من الأسماء أهمها على الاطلاق اسم "دوات" , و هى كلمة تترجم عادة بمعنى العالم السفلى .

كما أطلقوا عليه أسماء أخرى مثل "أمنتى" أو "أمنتت" و هى كلمة تعنى المكان الخفى , و "أرض الغرب" , أو ببساطة "الغرب" , و "نتر- خرت" (netjer -khert) و معناه المكان السفلى المقدس , و "تا- جسرت" (ta-djesert) و معناه الأرض المقدسه .

كان العالم السفلى فى نظر قدماء المصريين مسكونا بالكيانات الالهية و أرواح الموتى .

أشارت متون الأهرام الى ال "نترو" (الكيانات الالهية) التى تسكن الأرض , و الى التاسوع الذى فى باطن الأرض , و وصفت أعضاءه بأنهم الذين يسكنون قلب الأرض . كما أشارت متون الأهرام أيضا الى كيانات ماورائية أخرى تسكن قلب الأرض يطلق عليها "أصحاب المقاعد الخفية" أو "الذين تستخفى أماكنهم" , و الى كيانات أخرى يطلق عليها "ساكنى المقابر" , كما أشارت الى "الغربيين" (أمنتيو) , و الى "أرباب الأرض" (آكرو) .

بعض هذه الكيانات الماورائية كانت مسئولة عن حراسة روح الملك المتوفى , و البعض الآخر كان مسئولا عن فتح بوابات الأرض له ليمر من خلالها أثناء رحلة معراجه للسماء , و فى هذه الحالة كانت أرباب الأرض تتعاون مع أرباب السماء و تعمل من خلال فريق مكون من ثنائيات أرضية و سماوية .

و هناك رب أو كيان الهى واحد يحكم كل الكيانات الماورائية التى تسكن باطن الأرض و يطلق عليه لقب "صاحب المقاعد الخفية" و أيضا لقب "سيد الغربيين" (خنتى – أمنتيو) , و هو لقب يطلق فى أحيان كثيرة على أنوبيس , و لكنه يرتبط بشكل خاص بأوزيريس الذى يقال انه يسكن فى قلب الأرض .

كان الهدف الأسمى لملك مصر عند الموت أن يصير هو نفسه "سيد الغربيين" (خنتى – أمنتيو)

و أن يصبح هو الحاكم و الآمر لكل الكيانات الماورائية التى تسكن باطن الأرض .

كان قدماء المصريين يعتقدون أن للأرض سطح باطنى/سفلى تضيئه الشمس حين ترتحل فيه ليلا .

و لكن لا أحد يعرف أين يقع هذا السطح الباطنى أو السفلى على وجه التحديد , و ربما كان موضعه فى مياه الأزل (نون) و منها اكتسب الظلمة التى دائما ما ترتبط به .

أطلق قدماء المصريين على المحيط الأزلى اسم "نون" , و هو فى الحقيقة يكتب بالهيروغليفية "نو" (nw , or nnw) .

وصفت "نون" فى كتب العالم الآخر المصرية بأنها هاوية سحيقة ليس لها قاع , كما وصفت أيضا بأنها مياه أو محيط لانهائى من المياه . ارتبطت "نون" فى الفكر الدينى المصرى بأسطورة الخلق التى وصفتها بأنها (أى نون) هى المصدر أو الينبوع الذى انبثق منه كل شئ .

و فى الفن المصرى , ظهر "نون" كأحد الكيانات الالهية التى ترمز لمياه الأزل , و من ألقابه "الأزلى" أو "الرب الأزلى للأرضين" , أو "الذى جاء للوجود فى الزمن الأول" (خبرى ام سب تبى) .

من ذلك المحيط الأزلى , خرجت الأرض الأزلية (تا) , التى لم تنفصل عن مياه الأزل و انما ظلت المياه تحيط بها من كل جانب .

اعتقد قدماء المصريين أن الأرض ترتبط فيزيائيا بالمحيط الأزلى , و يتضح ذلك من النصوص المصرية التى تقول بأن مياه الأزل هى الأصل الذى ينبع منه نهر النيل .

لا يقتصر ذلك على النيل فقط , و انما كل الينابيع و آبار المياه و الجداول و الأنهار و البحار تنبع من المحيط الأزلى "نون" . كما تؤكد متون الأهرام و متون التوابيت فكرة انفصال السماء فى الأزل عن الأرض و عن المحيط الأزلى , حيث أصبح كل من الأرض و المحيط الأزلى هما مركز الكون , و انفصلت السماء عنهما حين رفعها "شو" (رب الهواء) عن الأرض .

و من المدهش أن قدماء المصريين اعتقدوا فى وجود نسخة أخرى من "نون" التى تحيط بالأرض , و لكنها نسخة سماوية و هى عبارة عن محيط أزلى يرتبط بشكل خاص بأطراف الكون و المناطق

الأشد ظلمة فيه . يقع هذا المحيط الأزلى فى السماء العليا و يطلق عليه "نو" (nw , or nnw) , فى حين يطلق على المحيط الأزلى الأرضى اسم "نون" (nun) .

أما فى السماء الدنيا فيطلق على ذلك المحيط اسما مؤنثا و هو "نوت" . سنعود مرة أخرى للحديث عن الهاوية السماوية فى فصل لاحق مخصص للسماء .

يمكن للانسان أن يصل الى "نون" الأرضية (التى تحيط بالأرض) بنفس الطريقة التى يصل بها الى ال "دوات" (العالم السفلى) ألا و هى المقبرة .

و أول شئ تفعله روح الملك عند الموت بعد انفصالها عن الجسد هو أن تنزل للمحيط الأزلى الأرضى و ذلك بأن تنزل الى باطن الأرض , و بذلك تعود الى الأصل و المنبع الذى نشأت منه فى الأزل و بذلك تتحد بروح الاله الأزلى الذى كان موجودا فى مياه الأزل و لا موجود سواه .

تقدم لنا متون الأهرام وصفا ل "نون" باعتبارها أهم معالم الزمن الأول و نقطة الانطلاق التى بدأ منها الخلق . و أهم الصفات التى ارتبطت ب "نون" فى الفكر الدينى المصرى الظلمة و الامتلاء الى حد الفيضان . و تحتوى "نون" على بوابات و كهوف و على بحيرة عظيمة , و تسكنها ال "نترو" (الكيانات الالهية) و كيانات ماورائية وظيفتها تنفيذ القوانين الكونية , كما يسكنها أيضا "أوزيريس" و لذلك كان من ألقاب أوزيريس فى مصر القديمة لقب (الساكن فى نون , الذى يحل العقد التى تقيد جثمان الملك) .

و من سكان "نون" أيضا كيانات ماورائية ليس لها اسم يشار اليها بوجه عام بعبارة (ساكنى نون) , و هم الذين يمنحون ملك مصر الحياة مرة أخرى و يبحرون بقاربه ليقطع المحيط الأزلى و يعبره من ضفة لأخرى .

<u>العالم السفلى "دوات" :-</u>

كان ال "دوات" (duat) فى نظر قدماء المصريين أحد العوالم الماورائية و لكنه فى نفس الوقت يحوى بداخله مناطق خفية تقع فى باطن الأرض (كما أوضحنا فى الشكل السابق) و لذلك تترجم كلمة "دوات" عادة بمعنى العالم السفلى .

احتل ال "دوات" أهمية كبرى فى العلوم الكونية فى مصر القديمة و يكفى أن نعرف أن الكون فى نظر قدماء المصريين كان ينقسم لثلاثة أبعاد رئيسية هى ال "دوات" (العالم السفلى) و الأرض و السماء . فالنصوص الدينية المصرية على سبيل المثال وصفت الكيان الالهى "خنوم" بأنه هو خالق السماء و الأرض و العالم السفلى (بت , تا , دوات) , أى خالق الكون بكل أبعاده .

و هذه الأبعاد الثلاثة ليست منفصلة . فالدوات (العالم السفلى) يتصل بالسماء عن طريق الأفق الشرقى و الأفق الغربى , و هكذا يمكن للجسم الأثيرى للشمس و القمر و النجوم أن يرتحل فى باطن الأرض , حيث نقرأ فى بعض النصوص الدينية المصرية أن الجسر الذى يربط بين السماء و الأرض و العالم السفلى هو ال "آختى" , أى الأفقين (الأفق الشرقى و الأفق الغربى) .

فى حين ذكرت بعض النصوص أن هناك منطقة حدودية يلتقى عندها العالم السفلى بالسماء مباشرة , و هكذا يمكن للنجوم أن تختفى من السماء و تهبط للعالم السفلى , ثم تعود و تولد من جديد فى الأفق الشرقى .

هناك تداخل أحيانا بين الدوات و بين الأفق الشرقى , و لكن هذا التداخل لا يعنى أنهما عالم واحد , لأن الدوات هو العالم السفلى , أما ال "آخت" (الأفق) فهو منطقة وسطى أو جسر يصل الأرض بالسماء .

ارتبط ال "دوات" فى الفكر الدينى المصرى بصفات أخرى الى جانب وصفه كعالم سفلى , فقد نظر اليه قدماء المصريين باعتباره المكان الذى تولد فيه النجوم عند أطراف العالم السماوى , بل انهم أحيانا ما كانوا يخلطون بين العالم السماوى و بين ال "دوات" .

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 610) أن الملك قد أوتى معراجا صعد فيه للدوات , للمكان الذى يسكنه النجم "ساح" .

ان استخدام المعراج يعنى الصعود الى عالم علوى , و ليس النزول الى عالم سفلى , و ربما كان المقصود هنا هو الصعود للأفق الشرقى للسماء حيث يولد النجم "ساح" .

و جاء فى نص رقم 437 من متون الأهرام أن ال "دوات" يمسك بيد الملك فى الموضع الذى يسكنه "ساح" و كأن ال "دوات" هو نفسه السماء , و قد استخدم قدماء المصريين فى هذا النص مخصص

السماء أثناء الحديث عن ال "دوات" .

و فى النص رقم 271 من متون الأهرام , نقرأ أن كل من حورس و "ست" قد رفعا الملك الى ال "دوات" فوق معراج "رع" , و هو ما يعطى القارئ انطباعا بأن الدوات هو نفسه السماء .

و يصف النص رقم 568 من متون الأهرام صعود الملك لموضع فى السماء يعرف باسم "بحيرات الدوات" .

كما يصف النص رقم 504 من متون الأهرام السماء "نوت" بأنها تلد المخلوقات من خلال ابنتها و هى ال "دوات" , و كأن ال "دوات" هو أحد صور السماء أو امتداد لها .

و هنا علينا أن نتذكر أن هذه الاشارات التى وردت فى متون الأهرام تعتبر استثنائية و لا يوجد لها مثيل فى النصوص الدينية المصرية الأخرى , و ربما كانت بقايا فلسفات دينية قديمة من العصر العتيق . فقد أجمعت كل كتب العالم الآخر المصرية على وصف ال "دوات" بأنه عالم سفلى .

و قد وصف أحد النصوص الدينية من عصر الدولة الحديثه عالم ال "دوات" بأنه كل ما هو ليس أرضا و لا سماءا . كل مكان لا ينتمى لا للأرض و لا للسماء فهو جزء من عالم ال "دوات" .

و هذا الوصف للدوات يميز و يفصل بين الأرض المرتفعة (تا) و بين العالم السفلى (دوات) الذى تستوى فوقه الأرض .

و فكرة انفصال عالم ال "دوات" عن العالم الأرضى و العالم السماوى تتضمن أيضا فكرة أخرى جديرة بالتأمل و هى أن وجود ال "دوات" سابق على وجود الأرض و السماء , كما أن وجود "نون" (مياه الأزل) سابق على وجود الأرض و السماء .

تتأكد لنا هذه الفكرة من أحد نصوص التوابيت التى جاء فيها أن ال "دوات" خلق فى زمن الفوضى الأزلية , قبل أن ينتصر حورس على ست .

كان ال "دوات" فى نظر قدماء المصريين هو المكان الذى تولد منه الكيانات الالهية و أيضا أرواح ملوك مصر , و منه يبعثون من جديد .

جاء فى أحد نصوص الأهرام أن "نوت" (السماء) تلد الكائنات عن طريق ال "دوات" , و فى نص

آخر قيل انها هى التى تجعل ال "دوات" يلد الكائنات . و كل من أوزيريس و ملك مصر ولدوا من رحم ال "دوات" , كما أن حورس هو أيضا قد ولد فى ال "دوات" .

جاء فى كتاب البوابات أحد النصوص على لسان حورس ابن ايزيس يتحدث فيه عن أبيه أوزيريس واصفا اياه بأنه <<< الكيان الالهى العظيم الذى وضع بذرتى فى ال "دوات" >>> .

و كان ال "دوات" بشكل خاص هو المكان الذى تولد منه النجوم , ف "نوت" (ربة السماء) هى الأم السماوية التى تلد النجوم من خلال ال "دوات" .

و أوزيريس هو رب ال "دوات" فى الفكر الدينى المصرى , و هو فى نفس الوقت رب النجم "ساح" . أما حورس ال "دوات" فيرتبط بنجمة الصباح و هى كوكب فينوس , و تعتبر نجمة الصباح على رأس النجوم التى لا تغيب .

و كان قدماء المصريين يكتبون كلمة "دواتيو" و معناها أرباب ال "دوات" باستخدام مخصص على شكل ثلاثة نجوم .

وصفت النصوص المصرية القديمة ال "دوات" بأنه هو الذى يلد النجم "ساح" و كذلك كل النجوم , كما وصفت المنطقة العليا من ال "دوات" بأنها تقع فى نفس الموضع الذى يقع فيه النجم "ساح" .

تتأكد لنا هذه العلاقة الوثيقة التى تربط بين ال "دوات" و بين النجوم حين نعلم أن قدماء المصريين كانوا يكتبون كلمة "دوات" باستخدم مخصص على شكل نجمة داخل دائرة ( )

و حسب ما يقول علماء اللغة المصرية القديمة , فان كلمة "دوات" مشتقة من الجذر "دوا" و معناه الصباح أو الشروق , و لذلك فان المعنى الحرفى لكلمة "دوات" هو "مكان الشروق" , أو "مكان ميلاد النجوم" .

كل هذا يدل على أن ال "دوات" – مثله مثل مياه الأزل "نون" – هو الينبوع الذى يخرج منه الخلق , و أن ملك مصر حين يدخل الى عالم ال "دوات" فهو بذلك يعود للزمن الأول و يتحد بالاله الذى بدأ فعل الخلق الأول .

يرتبط الدوات فى النصوص المصرية القديمة دائما بالزمن الأول (زمن النشأة) و هو بذلك يتطابق

تماما مع مياه الأزل "نون" التى ترتبط هى أيضا بالنشأة الأولى .

و ال "دوات" فى الفكر الدينى المصرى هو مكان ملئ بالمياه , و لذلك فان الانتقال فيه يكون دائما باستخدام القارب . و من أهم معالمه بحيرة ال "دوات" و هى المكان الذى تذهب اليه أرواح ملوك مصر لتغتسل و تتطهر كما يفعل "رع" . كما أن كلمة "دوات" ذكرت فى متون الأهرام فى موضعين باستخدام مخصص يدل على بحيرة .

و بالاضافة لطبيعتة المائية , ارتبط ال "دوات" فى الفكر الدينى المصرى أيضا بالظلمة , فقد وصفته متون الأهرام بأنه "أمنتى" (amenti) أى المكان الخفى أو الأرض الخفية مع ملاحظة أن كلمة "أمنت" تعنى الخفاء و تعنى أيضا الظلمة . كما استمر وصفه بالظلمة فى كل كتب العالم الآخر المصرية التى ظهرت بعد متون الأهرام .

تصف هذه الكتب رحلة "رع" الليلية التى تبدأ من الأفق الغربى و تنتهى بميلاده من جديد فى الأفق الشرقى و فيها يجتاز "رع" ظلمات عالم ال "دوات" أو ال "أمنتى" .

و فى عالم الدوات توجد حقول . قد يبدو ذلك غريبا لأول وهلة و خصوصا فى عالم يوصف بأنه عالم مظلم و مائى , الا أن الحقول تتواجد بشكل أساسى فى المناطق العليا من ال "دوات" , و هى المناطق المتاخمة للعالم السماوى .

و الدوات هو عالم تسكنه الكيانات الالهية الأزلية و يحكمه أوزيريس الذى يلقب ب "ملك الدوات" (نب دوات) . و يوصف جسد أوزيريس الراقد فى قاع الدوات بأنه "حورس الذى فى الدوات" .

و قد وصفت كتب العالم الآخر الأحدث (ككتاب الأمدوات و كتاب البوابات) جسد أوزيريس بأنه يرقد فى غرفة سرية فى قاع ال "دوات" , أما روحه فترتحل بحرية فى كل أرجاء ال "دوات" و كأنها تبحر بقارب .

و من سكان الدوات أيضا – كما جاء فى متون الأهرام – كل من حورس (أو عين حورس) , و أحد الكيانات الالهية الغامضة و الذى يلقب ب (Wr-skat) , و مجموعة من الكيانات الماورائية التى تعتنى بروح الملك و تساعده فى رحلته هناك .

كما ذكرت متون التوابيت أنوبيس كأحد سكان الدوات و وصفته بأنه "الذى يعرف أسرار الدوات و يفتح مغاليق بواباته" , و ذكرت أيضا "شو" الذى وصفته بأنه "الذى يقف أمام حقوله الخضراء فى الدوات" .

هناك اشارات فى متون الأهرام لعمليات ابادة جماعية تحدث فى ال "دوات" لكائنات توصف أحيانا بأنها أعداء "رع" و أحيانا أخرى بأنها أعداء أوزيريس . و قد تطورت هذه الفكرة فى متون التوابيت و أضيف لها المزيد من التفاصيل و منها اسم المكان الذى تجرى فيه عملية الابادة الجماعية و هو "جزيرة النار" . و تؤكد كتب العالم الآخر الأخرى (ككتاب الكهوف) على أن هذه الابادة الجماعية تحدث فى ال "دوات" , و تصف بالتفصيل عملية تقطيع أوصال هذه القوى الكونية الكونية المعادية ل "رع" و أوزيريس و القاءها فى حفر من النار .

و فى كتب العالم الآخر يظهر ال "دوات" أيضا فى هيئة أحد الكيانات الالهية , و على وجه التحديد أوزيريس , و أحيانا نوت , حيث يرتحل "رع" (رب النور) فى ال "دوات" أثناء الليل لكى يجدد طاقته و يولد من جديد فى صباح اليوم التالى .

تصف بعض نصوص العالم الآخر المصرية ميلاد "رع" من جديد بأنه يحدث عن طريق اتحاد خيميائى يحدث بينه و بين جسده الراقد فى أعماق ال "دوات" و الذى هو فى الحقيقة جسد أوزيريس يحدث هذا التفاعل الخيميائى فى اللحظة التى ينتصف فيها الليل .

بينما نقرأ فى نصوص أخرى من كتب العالم الآخر أن ميلاد "رع" من جديد يحدث عن طريق مروره من خلال رحم الأم السماوية "نوت" .

و قد مزجت النصوص الدينية المصرية بين الطريقتين , و أحيانا ما كانت تستبدل جسد أوزيريس بمقبرة رمزية هى عبارة عن غرفة سرية فى قاع ال "دوات" الذى يقع داخل جسد نوت .

و من أهم ملامح رحلة "رع" فى ال "دوات" تعرض موكبه لهجوم من قوى كونية معادية تحاول اعتراض قاربه أو مهاجمة قرص الشمس نفسه . و فى كل ليلة ينتصر "رع" على هذه القوى

الكونية المعادية التى يقودها ثعبان الظلام و الفوضى أبوفيس (عبيب) , قبل أن يصل للأفق الشرقى حيث يولد من جديد كل صباح .

يدخل ملك مصر الى عالم ال "دوات" فى اللحظة التى يتم فيها دفن جسده المحنط فى الأرض و اغلاق المقبرة عليه للأبد . وقد أطلق قدماء المصريين على غرفة الدفن داخل المقبرة اسم "بر دوات" و معناه "بيت الدوات" , و هو ما يؤكد لنا الصلة الوثيقة بين ال "دوات" و بين المقبرة باعتبارها الشكل الأولى للعالم السفلى أو البوابة التى يمر الانسان من خلالها لذلك العالم .

جاء فى متون الأهرام أن ملك مصر قد صار روحا فى ال "دوات" و أنه شرع فى الخروج من ال "دوات" مرة أخرى عن طريق بوابات تعرف باسم "بوابات جب" (أى بوابات الأرض) .

و جاء فى متون الأهرام أيضا أن ملك مصر هو الروح التى خرجت من ال "دوات" , و أنه هو أوزيريس الذى خرج من "جب" (الأرض) .

و تقول متون التوابيت أن الملك قد فتحت له الطرق عبر ال "دوات" و أنه يخترق البوابات , بل يكسرها و يمر من خلالها . و عند خروج روح الملك من ال "دوات" , تصبح السماء (بت) بالنسبة له قريبة المنال و يمكنه الانتقال اليها اما مباشرة , أو عن طريق الأفق (آخت) .

<u>ال "آخت" (الأفق) – أرض النور :-</u>

ال "آخت" (akhet) هو البعد الكونى الثالث فى علم الكونيات المصرى , و هو البعد الذى تسكنه الكيانات الالهية و أرواح ملوك مصرالذين رحلوا عن عالمنا .

يقع ال "آخت" تحت خط الأفق الشرقى مباشرة , و مدخله من ال "دوات" (العالم السفلى) , و هو فى نفس الوقت يتصل بالسماء (بت) من حافته الشرقية .

و فى مقابل ال "آخت" (الأفق) الشرقى هناك أفق آخر غربى يقع فى الجانب الآخر من السماء .

و لكن يظل الأفق الشرقى هو محور اهتمام النصوص الدينية المصرية القديمة .

تترجم كلمة "آخت" عادة بمعنى أفق , و لكن ال "آخت" فى الفكر الدينى المصرى هو أكثر من مجرد منطقة حدودية كونية .

عند قراءة أقدم النصوص الدينية المصرية (و هى متون الأهرام) نجد أن كلمة "آخت" كانت تكتب بالهيروغليفية باستخدام مخصص على شكل بيضاوى أشبه بالشكل المستخدم للتعبير عن الأرض , و هو شكل جزيرة .

و كلمة "آخت" مشتقة من الجذر "آخ" و هى كلمة تعبر عن معانى ترتبط بالنور و الضياء و التوهج . و هناك بعض علماء المصريات الذين اقترحوا ترجمات مختلفة لكلمة "آخت" مثل "أرض النور" أو "المكان الذى يشع نورا" أو "الموضع الذى تتحول فيه الأرواح الى آخ" أى الى كائنات نورانية .

كان ال "آخت" فى نظر قدماء المصريين هو "تا نتر" أى أرض الاله أو الأرض الالهية / المقدسه .

و من هذه القراءة السريعة لمعانى كلمة "آخت" فى الفكر الدينى المصرى يتبين لنا أن كلمة أفق ليست ترجمة دقيقة لمفهوم ال "آخت" عند قدماء المصريين .

احتار علماء المصريات فى تحديد موضع ال "آخت" , فبعض النصوص الدينية المصرية تعطى الانطباع بأن ال "آخت" هو جزء من السماء .

تقول متون الأهرام أن ال "آخت" يمكن الوصول اليه باستخدام قوارب من البوص تبحر فى صفحة السماء , و بوابته هى بوابة السماء , و سكانه من الكيانات الالهية يقطنون حدود السماء .

و بعض النصوص الدينية المصرية ذكرت كلمة ال "آخت" مضافة الى السماء فى كلمة (akhet nt pet) , أى "أفق السماء" , و فى حالة واحدة ذكرت كلمة "آخت" مقترنة بمخصص السماء . و كان الوصول الى ال "آخت" دائما يقترن فى ذهن المصرى القديمة بالوصول الى السماء و لكننا فى نفس الوقت نجد نصوصا أخرى تصف ال "آخت" و كأنه عالم منفصل عن السماء .

فقد وصفه أحد نصوص الأهرام بأنه البوابة التى تفضى الى السماء .

و تؤكد متون التوابيت ذلك بذكر ال "آخت" باعتباره بعدا من أبعاد الكون قائم بذاته الى جانب الأرض و السماء و كأنه منفصل عنهما .

و لكى نتوصل لحل هذه المعضلة كان علينا أن نضع ال "آخت" بين الدوات و السماء , كما بيننا فى الشكل السابق . فى هذا الشكل يظهر ال "آخت" كعالم مستقل عن السماء و لكنه فى نفس الوقت

متصل بها , لأن وظيفة ال "آخت" هى أن يكون مدخلا أو بوابة للسماء .

لذلك كانت كلمة "آخت" تكتب بالهيروغليفية أحيانا باستخدام رمز السماء كمخصص , و لذلك أيضا كان الوصول الى ال "آخت" يعنى الوصول الى السماء .

قد يكون ال "آخت" منتميا للسماء بمعنى أنه يشبه الى حد ما غرفة جانبية أو دهليز يفضى الى السماء . و اذا كانت حدود ال "آخت" الشرقية متاخمة للسماء , فان حدوده الغربية متاخمة للدوات (العالم السفلى) .

يطلق على الحدود الشرقية للآخت اسم "جس ايابيت" (gs iabet) و معناه الجانب الشرقى أو "دجرو" (djeru) و معناه الحدود , و حدود ال "آخت" هى نفسها حدود السماء .

لذلك يقال عن الكيانات الالهية التى تسكن ال "آخت" أنهم الذين يسكنون أطراف السماء .

يمكننا اذن أن نقول أن ال "آخت" ليس عالما كاملا من العوالم التى تشكل الكون المخلوق مثل الأرض و السماء و لكنه عالم تخيلى مصمم خصيصا ليكون هو الرحم الذى تولد منه الكيانات الالهية و أرواح الملوك أثناء ارتحالهم من ال "دوات" الى السماء .

وصفت متون الأهرام ال "آخت" بأنه المكان الذى تولد فيه الكيانات الالهية من جديد , و الموضع الذى يقع فيه حدث الميلاد الالهى هو الركن الشرقى من ال "آخت" و هو أيضا الركن الشرقى من السماء .

جاء فى متون الأهرام على لسان ملك مصر أن بذرته وضعت هناك فى ال "آخت" و أنه ولد فى ذلك المكان بصحبة الكيانات الالهية مثل حورس الذى يلقب ب (ساكن ال "آخت") أو حورس الأفق .

و ال "آخت" هو الموضع الذى قامت فيه الكيانات الالهية بخلق الملك و تصوير هيئته .

و فى متون التوابيت نقرأ فى أحد النصوص أن ال "آخت" هو غرفة سرية داخل جسد نوت يحدث فيها الاخصاب و الحمل بالكيانات الالهية قبل ولادتها من جديد بشكل دائم و متكرر , و بذلك يكون ال "آخت" أقرب الى مفهوم الرحم الكونى .

و نقرأ فى متون التوابيت أيضا أن الاله الخالق "آتوم – رع" تجلى للوجود أول مرة من ال "آخت"

و نلاحظ أن الصورة التى ترسمها النصوص الدينية المصرية لل "آخت" تربط دائما بينه و بين الزمن الأول الذى وقعت فيه أحداث نشأة الكون , و هو بذلك يشبه كثيرا مياه الأزل (نون) و العالم السفلى (دوات) .

و ال "آخت" – مثله مثل السماء و الدوات – هو عالم ملئ بالقنوات المائية , و يوصف فى متون الأهرام بأن له ضفاف و شواطئ , و فى أحد النصوص ورد اسمه بالهيروغليفية باستخدام مخصص يعبر عن بحر أو نهر .

كما ذكرت متون الأهرام أيضا أن "رع" و النجوم و أرواح ملوك مصر تغتسل و تتطهر فى ال "آخت" , و ذكرت أيضا أن هناك كيانات الهية أو أرباب تسكن ال "آخت" مهمتها هى التجديف وسط هذا العالم المائى لمساعدة قارب "رع" فى العبور من ال "دوات" (العالم السفلى) الى السماء .

و نقرأ فى أحد نصوص الأهرام أن بحيرات "شو" (رب الهواء) توجد هناك فى ال "آخت" , و فى نص آخر نقرأ أن هناك أرواح تجلس هناك على شواطئ بحيرة فى ال "آخت" تسمى بحيرة "شش" و على أطراف الشواطئ البعيدة فى ال "آخت" يقع الفيضان العظيم (ميحيت – ويريت) و الذى يعتبر جزءا من العالم السماوى .

و فى ال "آخت" تجد روح ملك مصر الرضا فى المكان الذى تزينه الحقول الخضراء و الجنات و الفراديس . و بذلك تكون رؤية قدماء المصريين لل "آخت" هى رؤية فردوسية .

و من المعالم التى تمير ال "آخت" كثرة الطرق المائية المتشعبة و أيضا المقصورتان أو المقامان .

و قد ذكرت الطرق (واويت) بشكل مقتضب فى النصوص التى وصفت الملك و هو يشق طريقه وسط ال "آخت" ترشده أمه السماوية "نوت" .

أما المقصورتان أو المقامان (ايترتى) فهما الموضع الذى تجتمع فيه الكيانات الالهية .

يقال أن الملك يجلس فوق عرشه أمام هاتين المقصورتين , و فى بعض الأحيان قد يقف بداخلهما .

يقع هذان المقامان فوق الفراغ (شو) السماوى .

و قد تكون مقصورتا ال "آخت" مرادفا لمقصورتى السماء .

و ال "آخت" هو أيضا المكان الذى تسكنه الكيانات الالهية الأزلية , مثله مثل مياه الأزل (نون) و العالم السفلى (دوات) .

و فى متون الأهرام جاء ذكر كيان الهى شمسى يطلق عليه اسم (رب ال "آخت") .

قد يكون "رب الآخت" هو نفسه "رع" , لأن ال "آخت" يوصف بأنه "المكان الذى يسكنه رع" .

و قد وصفت متون التوابيت "رع" بأنه (رب ال "آخت") , بل وصفه أحد النصوص بأنه (رب ال "آخت" فى يوم الأبدية) .

و من ناحية أخرى يعتبر "حور آختى" (حورس الذى يرتحل بين الأفقين) ربا لل "آخت" , بل هو الرب الفعلى لذلك العالم النورانى . و قد وصفته متون الأهرام مرارا بأنه "رب الأفق الشرقى" , و هو يشترك مع "رع" فى هذه الصفة , كما يوصف أيضا بأنه "صاحب القدرة فى الأفقين" .

و ال "آخت" هو أيضا موطن بعض الكيانات الماورائية الخنثى – أى التى ليست بذكر ولا أنثى – و يطلق عليها اسم (الذين فى ال "آخت") أو (أرباب ال آخت) , أو (التاسوعان) , و قد وصفتهم متون التوابيت بأنهم (الأزليون , الذين ينتمون الى "رع") .

و من المدهش أن أوزيريس هو أيضا من الكيانات الالهية التى اتبطت بال "آخت" فى الفكر الدينى المصرى , و لكن ليس بالضرورة أن هذا الارتباط يعنى أن أوزيريس من الذين يسكنون ال "آخت" وصفت متون الأهرام أوزيريس بأنه هو ال "آخت" الذى يولد منه "رع" , و كأن أوزيريس تجسيد لعالم ال "آخت" .

و هو وصف جدير بالتأمل , لأن أوزيريس يوصف أحيانا بأنه هو جسد "رع" الراقد فى أعماق العالم السفلى (دوات) .

و بالتالى يمكننا أن ننظر الى أوزيريس بطريقتين : يمكننا أن ننظر اليه كجسد ينتمى لعالم سفلى (تحت - أرضى) , و أيضا كروح أو "آخ" تنتمى لعالم نورانى سماوى هو ال "آخت" .

و سوف نناقش هذه الفكرة بعمق أكثر فى الفصول القادمة .

تخبرنا متون الأهرام عن الطريقة التى يصل بها "رع" (أو حور آختى) الى ال "آخت" و هى أن

يقطع منطقة حقول الايارو (البوص) بقوارب مصنوعة من البردى و البوص أو بقاربه السماوى .
و فى كتب العالم الآخر التى ظهرت بعد متون الأهرام نجد أن النصوص الدينية استبدلت قوارب البردى بقارب "رع" السماوى , كما أن هذه الكتب المتأخرة دمجت منطقة حقول البوص فى ال "دوات" و اعتبرت الاثنين عالما واحدا هو ال "دوات" (العالم السفلى) , و دمجت "حور آختى" (حورس الأفقين) مع "رع" , حيث اكتسب "رع" صفات و قدرات "حور آختى" .
اذن , يصل "رع" الى ال "آخت" بأن يقطع ال "دوات" (العالم السفلى) بقاربه السماوى الذى تقوده الكيانات الالهية التى تقوم بدور ملاحى قارب "رع" .
و يمكن لملك مصر أن يصل الى ال "آخت" بعدة طرق : بأن يركب قوارب "رع" أو "حور آختى" المصنوعة من البردى و البوص , أو يستخدم معدية , أو يمتطى أجنحة تحوت .
كل هذه الوسائل تضمن لروح الملك العبور الى الدوات , و ان كان خط سير قارب "رع" عرضة للتغير .
و السبب الرئيسى فى قدرة روح الملك على الوصول الى ال "آخت" أن جسده يرقد هناك فى قاع الدوات حيث يرقد جسد أوزيريس .
و عند وصول روح الملك الى ال "آخت" يتحول الملك الى (آخ فى ال آخت) أى الى روح نورانية فى المكان الذى يشع نورا . و من ثم يتوج الملك باعتباره (سيد ال "آخت") ثم يعرج للسماء كروح تشع نورا (آخ) و يصير رفيقا للشمس و القمر و النجوم .

<u>حقول الايارو (حقول البوص) :-</u>

تشكل حقول البوص "سيخيت – ايارو" بعدا هاما من أبعاد الكون فى الفكر الدينى عند قدماء المصريين الذين عبروا عنها أيضا فى بعض الأحيان باسم أو مرادف آخر هو "سيخيت - حتب" و معناه حقول القرابين أو حقول الرضا .
تشير كل من "سيخيت – ايارو" و "سيخيت – حتب" الى مناطق تقع فى العالم السماوى , و هى مناطق تتميز بوجود العديد من الطرق المائية الدائرية أو الحلزونية (mr nkha) و هى أحد أهم

سمات العالم السماوى , و كذلك أحد أهم سمات مجرة الطريق اللبنى ذات الأذرع الحلزونية التى تبدو و كأنها قنوات نهر سماوى .

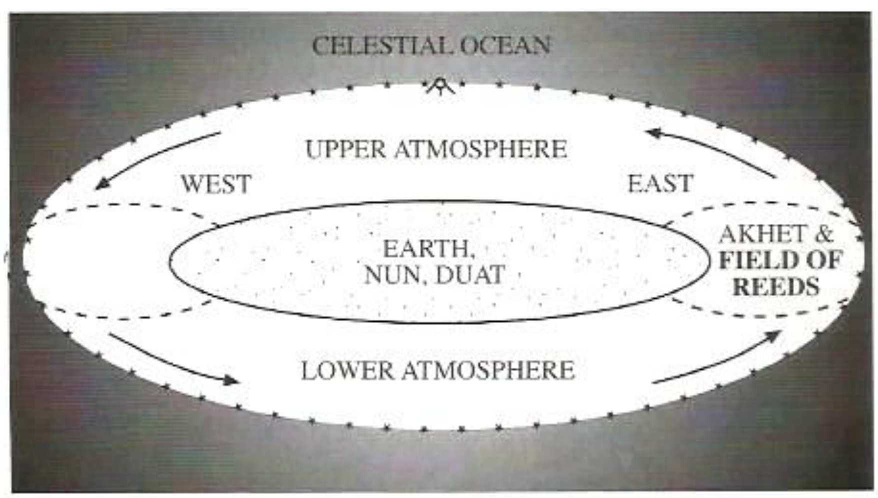
سنناقش هذه الحقول السماوية بالتفصيل حين يأتى دورها . و لكننا سنركز الآن على الحقل الأزلى الذى كان موجودا قبل خلق السماء .

و طبقا لنصوص الأهرام , فان حقول البوص (سيخيت – ايارو) لا تنتمى لا للسماء و لا للأرض , و لكنها مع ذلك تنتمى للكون المخلوق من النور و الذى تحكمه الماعت (النظام الكونى) .

يقول أحد نصوص الأهرام مخاطبا روح ملك مصر :-

** لقد ملكت السماء .. لقد ملكت الأرض .. لقد ملكت حقول الايارو **

أى أن متون الأهرام تعتبر حقول الايارو عالما كاملا قائما بذاته يضاهى عالم ال "دوات" و ال "آخت" و "نون" , حيث ظهر كل منها كأحد أضلاع ثالوث بالاشتراك مع السماء و الأرض , كما رأينا من قبل . فأين اذن تقع حقول الايارو ؟



(صورة توضح أبعاد الكون فى نظر قدماء المصريين , و موقع حقول الايارو)

طبقا لما جاء فى بعض نصوص الأهرام , تقع حقول الايارو فيما وراء "بحيرة ابن آوى" أو "بحيرة

الدوات" , و هو ما يعنى أن حقول الايارو تقع فيما وراء ال "دوات" (العالم السفلى) أو فى الجانب الشرقى منه . و نجد تفصيل أكثر لهذه الفكرة فى متون التوابيت و فى كتاب الخروج الى النهار , حيث نقرأ فيهما أن بوابة ال "دوات" تفضى الى حقول الايارو , و هى نفس البوابة التى اجتازها الاله الخالق آتوم عند مروره من ال "دوات" الى ال "آخت" فى الزمن الأول . أى أن حقول الايارو تنتمى للزمن الأول الذى وقعت فيه أحداث نشأة الكون .

و من المفاهيم التى ارتبطت بولادة الكون أيضا أن وجود حقول الايارو سابق على وجود ال "آخت" و برغم أن بعض نصوص الأهرام تصف ابحار "رع" و "حور آختى" و روح الملك الى ال "آخت" مرورا بحقول الايارو و كأن حقول الايارو متاخمة أو ملاصقة لل "آخت" , الا أن هناك نصوصا أخرى تعطى الانطباع بأن الاثنين هما عالم واحد .

فالنص رقم 335 من متون التوابيت و النص رقم 17 من كتاب الخروج الى النهار يصف حقول الايارو بأنها هى موطن سكان ال "آخت" .

و النص رقم 159 من متون التوابيت يصف سكان ال "آخت" بأنهم يحصدون الغلال التى فى حقول الايارو .

و النص رقم 397 من متون التوابيت يخبرنا أن حقول الايارو تقع فى الركن الشرقى من السماء , و هو نفس موقع ال "آخت" .

و تؤكد متون الأهرام على هذا التداخل بين حقول الايارو و بين ال "آخت" , حيث جاء فى النص رقم 268 أن الملك يجتاز حقول الايارو بقاربه حيث يقوم سكان ال "آخت" بدور الملاحين .

كما جاء فى بعض النصوص الأخرى بمتون الأهرام أن الملك يصعد مباشرة من حقول الايارو الى السماء بعد أن يولد من جديد فى الدوات , و هو بذلك يعيد تكرار ما فعله "آتوم – رع" و "شو" و "حورس" فى الزمن الأول .

و فى نصوص أخرى , جاء ذكر حقول الايارو باعتبارها البعد الكونى الثالث الى جانب الأرض و السماء .

أما "سيخيت – حتب" (حقول القرابين / الرضا) فهى أيضا وثيقة الصلة بال "آخت" .

جاء فى النص رقم 465 من متون الأهرام أن سكان ال "آخت" يمسكون بيد الملك و يأخذونه الى جنة الرضا (أو حقول القرابين) حيث يعرج الى السماء .

و فى نصوص أخرى نقرأ أن الملك يصعد مباشرة من ال "سيخيت – حتب" الى السماء .

من هذه النصوص نستشف أن كل من ال "آخت" (الأفق) و ال "سيخيت – ايارو" (حقول البوص) و ال "سيخيت – حتب" (حقول القرابين / الرضا) هى ألقاب أو أوصاف مختلفة لنفس البعد الكونى الذى يعتبر همزة وصل أو جسر يربط بين العالم السفلى و بين بوابات السماء فى أقصى الشرق .

تقدم لنا النصوص الدينية المصرية وصفا تفصيليا لطبيعة ال "سيخيت – ايارو" و ال "سيخيت – حتب" . و أول صفة تتميز بها هذه الحقول أو الفراديس هو الطبيعة المائية , مثلها فى ذلك مثل "نون" و ال "دوات" (العالم السفلى) و ال "آخت" (الأفق) .

و قد ذكرت متون الأهرام أن أهم معالم ال "سيخيت – ايارو" هو وجود الطرق المائية المنحنية (mr nkha) التى تمتلئ بالماء عن طريق قناة رئيسية تعرف باسم "مر من" (mr mn) .

تمتلئ الطرق المائية المنحنية بالماء الذى يفيض و يملأ الحقول و يجعلها طرقا ملاحية مناسبة للابحار بالقوارب أو المعديات .

و فى بعض النصوص الدينية يتم أحيانا استبدال اسم حقول البوص ب "بحيرة البوص" للتأكيد على الطبيعة المائية لتلك الحقول .

و هذه البحيرة هى الموضع الذى يغتسل فيه "رع" و "شو" و حورس و أرواح ملوك مصر الذين رحلوا عن عالمنا .

توصف ال "سيخيت – ايارو" أيضا بأن بها بركة ماء تنبت فيها زهرة لوتس .

و ال "سيخيت – حتب" (حقول القرابين / الرضا) هى أيضا ذات طبيعة مائية , فهى تفيض بالماء عن آخرها بسبب وجود العديد من الطرق المائية المنحنية .

و الى جانب الطرق المائية , تأتى كثرة الحقول الخضراء كأحد أهم معالم ال "سيخيت – ايارو" (حقول البوص) . و هذه الحقول الخضراء التى لا حصر لها لا تنبت فقط البوص الذى تصنع منه

القوارب و المعديات , و انما تنبت أيضا كميات وفيرة من الغلال التى تتغذى عليها الكيانات الالهية و أرواح ملوك مصر .

و هذه الغلال هى نفسها القرابين التى تجلب الرضا (حتب) لقلوب الكيانات الالهية , و لذلك كان هناك تداخل بين ال "سيخيت – ايارو" (حقول البوص) و ال "سيخيت – حتب" (حقول القرابين / الرضا) .

توصف حقول ال "حتب" و حقول ال "ايارو" بالوفرة فى الطعام و الحبوب و الغلال و الدقيق و الخضروات و الأعشاب النقية الطاهرة التى تبهج القلوب .

تقع ال "سيخيت – ايارو" على شواطئ الفيضان العظيم (ميحيت – ويريت) , و هى المكان الذى ينتج الخبز و الجعة التى تقدم كقرابين للكيانات الالهية و لأرواح ملوك مصر .

تؤكد متون التوابيت على هذه الطبيعة الفردوسية لحقول الايارو , حيث تصفها بأنها تنبت الغلال بأحجام هائلة .

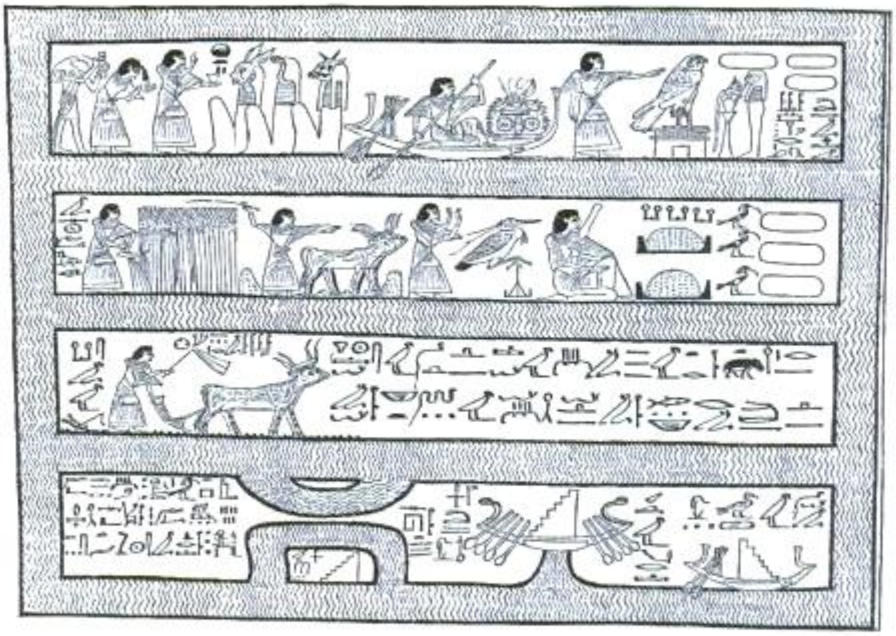
جاء فى متون التوابيت هذا النص على لسان روح أحد الموتى الذين انتقلوا لحقول الايارو :-

** أنا أعرف هذا الحقل من البوص الذى يملكه "رع" , و الذى يحيط به سور من الحديد .. فارتفاع أعواد شعيره أربعة أذرع , و طول سنابله ذراع ... و ارتفاع أعواد قمحه سبعة أذرع , و طول سنابله ذراعان **

و فى عصر الدولة الحديثه أصبحت حقول الايارو هى موطن أرواح الموتى الصالحين , و هو ما لفت نظر العديد من الباحثين الذين ادعوا بوجود أوجه تشابه بين حقول الايارو فى الفكر الدينى المصرى و بين الفردوس فى الأناجيل .

و لكن فى الحقيقة هناك اختلاف جوهرى بين المفهومين . فحقول الايارو المصرية ليست للاقامة الأبدية , و انما هى مجرد محطة تمر بها أرواح الموتى حيث تزرع و تحصد ما زرعته و تأكله لكى تحصل على الطاقة الروحانية التى تحتاجها أثناء رحلتها للسماء .

و فى السماء تحصل الروح على غذاءها من الحقول السماوية , ثم تعود مرة أخرى لل "دوات" (العالم السفلى) أو الغرب , و هى دورة من الارتحال تعيد الروح تكرارها الى الأبد .



(حقول القرابين / الرضا : أحد مشاهد كتاب الخروج الى النهار , من بردية آنى)

و من الملامح التى تميز حقول الايارو أيضا وجود جزيرة تقف بارزة وسط مياهه الغزيرة .

و فى النص رقم 516 من متون الأهرام نجد الملك يطلب من المعداوى الذى يعمل على نقل المسافرين عبر حقول الايارو أن يأخذه الى المرسى أو الميناء الذى صنعته الكيانات الالهية وسط مياه حقول الايارو .

و فى النص رقم 517 من متون الأهرام يقول الملك موجها حديثه للمعداوى :-

** أنا المبجل فى هذه القطعة من الأرض (iw ta) التى وصلت اليها سابحا .... تلك الجزيرة التى تقع بين فخذى "نوت" (ربة السماء) **

توجد هذه الجزيرة أيضا فى ال "سيخيت – حتب" (حقول القرابين / الرضا) .

ففى النص رقم 519 من متون الأهرام يقول الملك :-

** لقد ذهبت الى الجزيرة العظيمة فى وسط حقول ال "حتب" (القرابين / الرضا) التى يتجلى

فيها نور الكيانات الالهية **

توصف الكيانات الالهية فى هذا الموضع بأنها النجوم التى لا تغيب , و يشبههم النص بالنجوم أثناء صعودهم من تلك الجزيرة التى تقع وسط حقول الرضا الى السماء .

و فى متون التوابيت وصفت الجزيرة التى تقع فى منتصف حقول الايارو بأنها جزيرة الصالحين أو المبجلين , و أيضا بأنها جزيرة سكان ال "آخت" , و بأنها التل الذى يقع بين شجرتى الجميز السماويتين التركوازيتين .

يربط هذا الوصف الأخير بين جزيرة حقول الايارو و بين شجرتى الجميز السماويتين التركوازيتين و هما شجرتان جاء ذكرهما فى العديد من كتب العالم الآخر المصرية و يقال أنهما تقعان فى الركن الشرقى من السماء حيث يمر "رع" من بينها حين يولد من جديد كل صباح .

تكمن رمزية هذه الجزيرة - أيا كان اسمها – فى قصة الخلق التى تحكى عن ظهور التل الأزلى أو الأرض الأزلية من وسط المحيط الأزلى "نون" .

و لذلك فان حقول الايارو تقوم بدور رئيسى فى استدعاء قصة الخلق و اعادة تكرارها , و بذلك تعتبر الوفرة التى توصف بها حقولها رمزا لوفرة الطعام و الشراب الأزلى (أو الطاقة الأزلية) التى لا تنفد و التى تمد الخلق بمدد لا ينقطع من طاقة الحياة .

يتأكد لنا هذا المعنى حين نعلم أن أحد النصوص الدينية المصرية وصفت حقول الايارو بأنها "حقول خبرى" , و "خبرى" هو رب بداية الخلق , و كان قدماء المصريين يرمزون له بالجعران .

توصف حقول الايارو أيضا بأنها المكان الذى يسكنه الأرباب الأزليون .

كما وصفتها متون الأهرام بأنها المكان الذى يشرف عليه الكيانان الالهيان العظيمان , و قد حدد أحد النصوص أسماءهما و قال انهما "شو" و "تفنوت" أبناء آتوم .

و حقول الايارو هى أيضا موطن "رع" و حورس اللذان يغتسلان فى بحيرتها . و هى موطن كيانات ماورائية أخرى منها كيان الهى يطلق عليه لقب "ذو الريش الطويل" , و أيضا موطن "التاسوعان" , و أتباع حورس , و المعداوى .

و نفس الأوصاف تنطبق على حقول ال "حتب" (القرابين / الرضا) , التى يسكنها كل من "شو"

و "تقنوت" , و التاسوعان , و المعداوى .

كما تسكنها أيضا كيانات ماورائية معادية تمت معاقبتها بقطع رؤوسها , و بذلك حرمت من الحياة الأبدية .

و فى متون التوابيت يظهر "رع" باعتباره ملكا أو ربا لحقول الايارو , لذلك يقال عن حقول الايارو أنها "مملكة رع" أو "جنات رع" التى يحصد البشر ثمارها فى حضرة "رع" , و التى يشرق منها "رع" من بين شجرتى الجميز السماويتين .

و بقدوم عصر الدولة الحديثة و ظهور كتاب الخروج الى النهار أصبح أوزيريس ملكا لحقول الايارو باعتبارها جزءا من ال "آخت" (الأفق) .

و كما ذكرنا من قبل , يدخل ملك مصر الى حقول الايارو عن طريق ال "دوات" (العالم السفلى) , ثم يقطع الطرق المائية التى تملأ حقول الايارو باستخدام قارب من البوص أو معدية أو باستخدام جناح تحوت . و أثناء مرور الملك من حقول الايارو , عليه أن يتزود بالطعام و الشراب و أن يغتسل و يتطهر فى بحيرتها (بعد أن تطهر من قبل فى بحيرة ال "دوات") , و فى النهاية عليه أن يبلغ الجزيرة أو العرش الذى يقف فى منتصفها , و هو الموضع الذى تم تجهيزه ليعرج منه الى السماء .

ذكرت بعض النصوص الدينية المصرية أن عملية اغتسال الملك و تطهره فى بحيرة حقول الايارو يشرف عليها أتباع حورس الذين يقومون بقراءة أكواد سحرية تجعله مهيئا للمعراج السماوى على متن قارب "رع" .

و تصف نصوص أخرى تتويج الملك فى حقول الايارو بوصفه "نتر – دواو" أى نجمة الصباح .

و فى نصوص أخرى نقرأ أن الملك يعرج للسماء عن طريق ال "آخت" , و لكن أحيانا قد يتجاهل الملك ال "آخت" و يصعد مباشرة للسماء من حقول الايارو (البوص) أو من حقول الحتب (القرابين / الرضا) .

<u>السماء :-</u>

اعتقد قدماء المصريين – و هم فى ذلك ككل سكان الحضارت القديمة – أن السماء هى محيط لانهائى من المياه يمتد خلف الأفق و يحيط بالأرض من كل اتجاه .

كانت السماء فى نظر المصرى القديم سماءين و ليست سماء واحدة , فهناك السماء العليا التى تمتد من الأفق الشرقى و تنحنى فوق الأرض كأنها قبة تنتهى حدودها عند الأفق الغربى .

و هناك أيضا السماء السفلى أو الدنيا و هى عبارة عن صورة مرآه معكوسه من السماء العليا , و تمتد أسفل الأرض من الأفق الغربى للأفق الشرقى .

و هناك الغلاف الجوى الذى يفصل بين محيط السماء العليا و بين الأرض , و قد رمز له قدماء المصريين بالكيان الالهى "شو" .

أما المحيط السماوى السفلى فيفصله عن ال "دوات" الغلاف الجوى الأدنى أو الأسفل الذى رمز له قدماء المصريين بالكيان الالهى "تفنوت" .

و الغلاف الجوى الأعلى هو الذى يرفع السماء , و لذلك يطلق عليه فى النصوص الدينية المصرية أحيانا لقب أعمدة السماء (iunu) أو الأعمدة الأربعة (djmu) .

يمكن الوصول للمحيط السماوى عن طريق بوابات تقع فى الركن الشرقى من السماء , فى أطراف ال "آخت" (الأفق) الشرقى .

أما الخروج من المحيط السماوى فيكون من خلال بوابات تقع فى الركن الغربى من السماء , فى أطراف ال "آخت" الغربى . و يطلق على بوابات الخروج اسم البوابات الحديدية أو بوابات ال "با – كا" , أى البوابات التى تمر منها ال "با" (الروح) و ال "كا" (الجسم النجمى) .

يمكن عبور السماء من خلال طرق و مسارات سرية أسطحها الداخلية ممهدة .

و هى نفسها الطرق التى تستخدمها الشمس و القمر و النجوم و تبحر فيها و كأنها قوارب تطفو فوق صفحة نهر , و يطلق على هذه الطرق اسم "الطرق المائية المنحنية" (mr nkha) , و فوق هذه الطرق يمتد المحيط السماوى المظلم الذى ليس له حدود و الذى لا يسبر غوره .

و الاسم الأكثر انتشارا للسماء العليا هو "بت" (pet) , أو مرادفه و هو "حرت" و الذى يعنى حرفيا "العالية / الشاهقة" .

تترجم كلمة "بت" الهيروغليفية عادة بمعنى سماء و لكن الأحرى أن تترجم الى "المحيط السماوى" , لأن السماء ارتبطت فى الفكر الدينى المصرى دائما بالمياه , و تحديدا مياه الأزل .

جاء فى متون الأهرام أن السماء بها ماء الحياة و أن لها ضفتان أو شاطئان , و أنه يمكن دخولها عن طريق "المياه الشفافة" , كما يمكن عبورها باستخدام الطريق المائى المنحنى , بل و الابحار أو الملاحة فيها باستخدام قارب من البوص أو البردى .

و الرمز الهيروغليفى للسماء هو عبارة عن سقف مستوى يبرز منه نتؤان من الأسفل , ليعبر بذلك عن السماء العليا المحمولة فوق عامودين () .

و نلاحظ أن نفس الرمز الهيروغليفى يستخدم أيضا للدلالة على السماء الدنيا أو السفلى "نوت" (nwt) .

و كعادة قدماء المصريين فى افتراض وجود نسختين من كل شئ , كان الرمز الهيروغليفى لكلمة "بت" يكتب فى بعض الأحيان مكررا , ليعبر بذلك عن السماء المزدوجة "بتى" (pti) , أى السماء العليا و السماء الدنيا .

و من الأسماء التى أطلقها قدماء المصريين على السماء أيضا كلمة "كبحو" , و التى تترجم عادة بمعنى القبة السماوية أو قبة السماء , أما المعنى الحرفى للكلمة فهو "الماء الطهور" أو "الماء السماوى" . و قد استخدم قدماء المصريين فى كثير من الأحيان الرمز الهيروغليفى لكلمة "بت" كمخصص لكلمة "كبحو" لأن الكلمتين تحملان نفس الدلالة و هى السماء العليا .

ترد كلمة "كبحو" غالبا فى النصوص الدينية التى يتم ترتيلها بصوت الكهنة , فقد جاء فى بعض النصوص أن (أبواب السماء تفتح , و أبواب ال "كبحو" تفتح على مصراعيها) , أو بمعنى أدق ان (أبواب السماء تفتح , أما هويس مياه السماء فيفتح على مصراعيه) .

و جاء فى أحد النصوص الدينية التى تخاطب الملك أن روحه ستغتسل و تتطهر فى ماء النجوم الطهور "كبحو سباو" .

أما الاسم الثالث الذى أطلقه قدماء المصريين على السماء فهو "نو" (nu) , و أحيانا تنطق "نون"

(nun) , و تترجم هذه الكلمة عادة بمعنى الهاوية أو المياه السماوية العميقة .

و كلمة "نون" تعنى حرفيا المياه , و لكنها اذا ذكرت فى سياق قصة الخلق فهى تعنى اصطلاحا مياه الأزل أو المياه الأزلية التى خلق منها الكون .

كانت مياه الأزل الكونية فى البداية متصلة بالمياه الأزلية المخزونة فى باطن الأرض , و لكنهما انفصلتا عندما قام "شو" بفصل السماء عن الأرض فى الزمن الأول .

تعبر "نون" بشكل خاص عن سماء الليل المظلمة (المجهولة) باعتبارها تجسيدا للمحيط السماوى الذى ليس له حدود و الذى لا يسبر غوره .

جاء فى كتاب "نوت" هذا النص الذى يصف السماء المظلمة / المجهولة قائلا :-

** ما هذه السماء التى تكتنفها الظلمة و التى لا يعرف أحد حدودها الجنوبية و الشمالية و الشرقية و الغربية ؟! .. ان هذه السماء المظلمة حدودها هى "نون" , التى لا يوجد بها ضياء و التى لا يعرف ال "آخو" (المبجلون / أقطاب النور) حدودها **

و بالاضافة الى كونها تجسيدا للسماء العليا , نجد أن "نون" تنعكس أيضا فى السماء الدنيا حيث تتخذ هيئة الأم الكونية "نوت" (nut) .

كان قدماء المصريين يعبرون عن "نون" التى فى السماء السفلى باستخدام مخصص مائى (أى له علاقة بالمياه) , أو باستخدام علامة السماء (بت) المقلوبة , للتأكيد على كون السماء "الدنيا/السفلى" صورة مرآه معكوسة من السماء العليا .

جاء فى أحد نصوص الأهرام هذه العبارة التى تخاطب ملك مصر قائلة :-

** لقد رجوت أن تعرج للسماء العليا "بت" , و لسوف تعرج اليها ...... و قد رجوت أن تهبط للسماء الدنيا "نوت" , و لسوف تهبط اليها **

و عند كتابة كلمة "بت" فى النص السابق استخدم الكاتب المصرى علامة السماء , و عند كتابة كلمة "نوت" استخدم علامة السماء مقلوبة .

و هناك اسم رابع للسماء ورد فى بعض النصوص الدينية المصرية , ألا و هو "سيخيت – حتب" (حقول القرابين / الرضا) .

استخدم المصرى القديم هذا الاسم للتعبير عن السماء كلها (العليا و السفلى) فى خمسة مواضع من متون الأهرام . ففى النص رقم 496 من متون الأهرام , نقرأ أن السماء هى نفسها "ميحيت – ويريت" (الفيضان العظيم) و الذى يعبر عن المحيط السماوى الذى وصفه النص بأنه هو "حقول قرابين رع " .

و نقرأ فى النص رقم 684 من متون الأهرام أن هناك من يقود الكيانات الالهية عبر الطرق السماوية و طرق حقول ال "حتب" و كأن السماء هى نفسها حقول ال "حتب" (القرابين / الرضا)

و فى النص رقم 519 من متون الأهرام توصف السماء بأنها هى الحقل العظيم أو الجنة العظيمة التى تسكنها أرواح النجوم , و هى الجنة التى ترتحل فيها روح ملك مصر حيث تأكل و تشرب مما تأكل و تشرب منه الكيانات الالهية , أى تتغذى على نفس الطاقة النورانية التى تحيا بها الكيانات الالهية .

و يخاطب النص رقم 512 من متون الأهرام ملك مصر داعيا اياه أن يقطع السماء و يتخذ بيتا له فى حقول ال "حتب" وسط الكيانات الالهية الذين عادوا الى "كاواتهم" و هم أرواح النجوم .

و يدعو النص رقم 419 من متون الأهرام ملك مصر أن يقطع السماء و يصل الى حقول البوص , و أن يسكن فى حقول ال "حتب " (القرابين / الرضا) بين النجوم التى لا تغيب , أتباع أوزيريس .

و فى النصين الأخيرين (نص رقم 512 و 419) نلاحظ أن عبور الملك للسماء يعنى اجتياز عتبة العالم السماوى لحظة خروجه للوجود أول مرة , و سنعرض المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع فى الفصل العاشر .

كان للحقول السماوية أسماء أخرى عند قدماء المصريين , مثل "سيخيت – عنخ" (حقول الحياة) , و "شا – حب" (مروج أبيس) .

جاء ذكر ال "سيخيت – عنخ" فى النص رقم 515 من متون الأهرام و الذى نقرأ فيه أن الملك قد التحق ب "رع" فى ال "آخت" (الأفق) , و هنا يقول الملك :-

** أنا فى طريقى الى "سيخيت – عنخ" (حقول الحياة) , موطن "رع" الذى يقع وسط ال "كبحو"

(ماء السماء الطهور) **

و جاء ذكر ال "شا – حب" (مروج أبيس) فى النص رقم 254 من متون الأهرام و الذى نقرأ فيه أن الملك قد عبر ال "مسكت – شدو" (شارع النجوم) و وصل الى ال "شا – حب" (مروج أبيس) . و تعتبر حقول السماء هى المقابل للحقول الخفية التى تقع خلف الأفق الشرقى و التى عرفت باسم حقول ال "ايارو" (البوص) أو حقول ال "حتب" (القرابين / الرضا) .

فهل كان هناك بالفعل مقابل سماوى لحقول الايارو ؟

ان القراءة المتأملة للنصوص الدينية المصرية تكشف لنا أن حقول الايارو (البوص) توجد فى السماء و فى نفس الوقت تقع أسفل الأفق الشرقى .

فى أحد نصوص الأهرام الذى جاء ذكره بأربع صيغ مختلفة نقرأ أن حورس و حور آختى و أوزيريس و ملك مصر يصعدون عبر بوابات السماء و بوابات ال "كبحو" (ماء السماء الطهور) ليغتسلوا فى حقول الايارو (البوص) .

و فى النص رقم 461 من متون الأهرام نقرأ أن الملك يمر من بوابات السماء و يبحر بالقارب الى حقول الايارو ليزرع هناك القمح و الشعير و يحصدهما .

و فى النص رقم 419 من متون الأهرام يجتاز الملك عتبة العالم السماوى عند خلقه فى الزمن الأول , و يصل الى حقول الايارو . من تلك النصوص نستشف أن هناك حقول ايارو سماوية , فما هو مغزى هذه الحقول و ما هى رمزيتها ؟

و الاجابة هى أن الكيانات الالهية و أرواح ملوك مصرالذين رحلوا عن عالمنا تمر بتلك الحقول لكى تغتسل و تتطهر فيها عند الفجر و قبل شروق الشمس مباشرة .

و فى نفس الوقت نجد أن حقول الايارو العليا أو السماوية متصلة بحقول القرابين السماوية , بل نجد أن كتاب الخروج الى النهار يذكر أن حقول الايارو السماوية تقع فى حقول القرابين السماوية .

نستنتج من ذلك أن حقول الايارو السماوية ترمز لموضع أو جزء من سماء الليل المظلمة و هى المنطقة التى تتجلى للأنظار عند الفجر و التى تظل فيها النجوم مرئية لبعض الوقت برغم بزوغ نور الشمس عند الأفق , و هو ما يفسر لنا لماذا وصف قدماء المصريين نجمة الصباح - و هى

أكثر الأجرام السماوية توهجا فى صفحة السماء عند الفجر – بأنها تغتسل و تتطهر فى حقول الايارو الدنيا أو السفلى (التى تقع تحت الأفق الشرقى) .

و حقول الايارو العليا (السماوية) – مثلها مثل حقول الايارو الدنيا – تحتوى على العديد من الحقول أو المروج الفرعية أو الثانوية , و التى أشارت لها متون الأهرام بأسماء مختلفة مثل "حقول خاخا" أو "حقول رع التى فى الايارو" .

توصف السماء الدنيا فى النصوص الدينية المصرية أيضا بأنها حقول و مروج .

ففى النص رقم 548 من متون الأهرام نقرأ أن الملك يبحر فى قارب "رع" الى حقول السماء الدنيا المزدوجة جنوب - أو أسفل - حقول الايارو (البوص) .

و المعنى الذى نستشفه هنا هو أن السماء الدنيا هى الحقول التى تقع أمام المنطقة التى يبزغ منها الفجر فى السماء العليا , و هى حقول الايارو .

و هنا نلاحظ أن النص قد ذكر حقول السماء الدنيا بصيغة المثنى و قال انها مزدوجة , و لكن السبب فى ذلك غير واضح تماما من النص . و قد يكون المقصود هنا الدوردتين الكونيتين لرحلة الشمس و القمر و النجوم كما ذكرنا فى بداية هذا الفصل .

و بعبارة أخرى , ربما كان ال "دوات" فى نظر قدماء المصريين هو عبارة عن سماء باطنية أو سماء وسطى .

ان وصف قدماء المصريين للسماء العليا و السماء الدنيا و كأنهما حقول و مروج و جنات يفسر لنا الاشارات العديدة التى جاءت فى متون الأهرام ل "حقل الحتب المزدوج" أو "حقلى الحتب" .

فأحد هذين الحقلين هو السماء العليا و الآخر هو السماء الدنيا , و ان كانت النصوص غير واضحة تماما فى تلك النقطة .

كانت السماء فى نظر قدماء المصريين أيضا بمثابة قصر , و هو باللغة المصرية القديمة "حوت" (hwt) . فهناك اثنان من نصوص الأهرام جاء فيهما ذكر قصر حورس الذى فى ال "كبحو" (ماء السماء الطهور) . و هناك نص آخر من نصوص الأهرام جاء فيه ذكر قصر حورس الذى فى

"بت" (السماء) .

ارتبط ذكر قصر حورس الذى فى ال "كبحو" بذكر أحدى الكيانات الالهية التى تلقب ب "سيدة القصر" , و هى فى الغالب حتحور , لأن اسمها (حت – حور) يعنى بيت حورس أو قصر الصقر حورس .

لم يكن هذا القصر أو ال "حوت" (hwt) فى نظر قدماء المصريين صرحا معماريا مشيدا من حجارة , و انما هو ببساطة المحيط السماوى بكل ما فيه من أجرام سماوية و تشكيلات نجمية و مدارات فلكية و مناطق خفية .

لذلك جاء ذكر السماء فى نص آخر من نصوص الأهرام باعتبارها القصر العظيم المحمول فوق عامودين . و فى نص آخر نقرأ أن ملك مصر يمتلك بيتا فى السماء .

و كما هو الحال فى أبعاد الكون الأخرى , رمز قدماء المصريين للسماء بأحد ال "نترو" (الكيانات الالهية) , ألا و هو "نون" (nun) , رب المياه الأزلية .

و فى أحيان قليلة رمز قدماء المصريين للسماء بالربة "ميحيت – ويريت" (الفيضان العظيم) و التى تظهر فى الفن المصرى على شكل بقرة .

أما الكيان الالهى أو الربة التى ارتبطت بشكل خاص بالسماء فى معظم النصوص الدينية المصرية فهى الربة "نوت" . كانت "نوت" فى الفكر الدينى المصرى مرادفا للسماء . و فى معظم الأحيان كان اسمها يكتب باستخدام مخصص كلمة "بت" (السماء) .

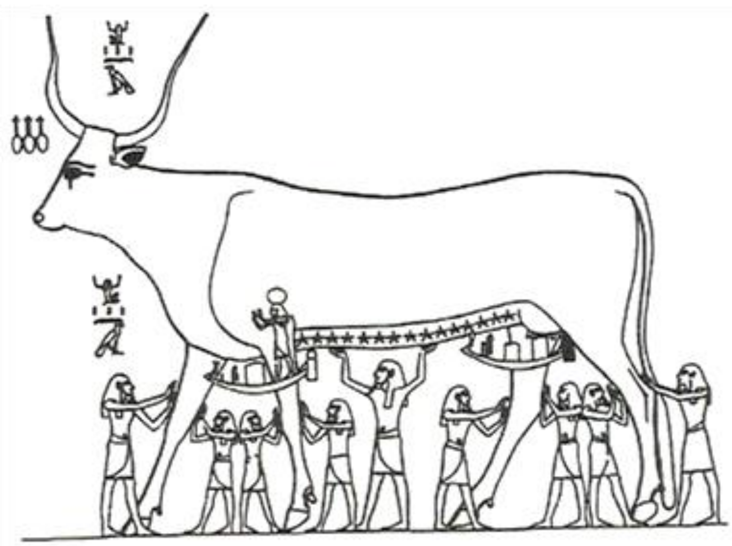
و فى العديد من النصوص ظهر اسم "نوت" كبديل لكلمة "بت" (السماء) .

و للسماء اسم آخر فى اللغة المصرية القديمة و هو "حرت" (hrt) و معناه العالية .

و ل "نوت" بوابات (awi) و طرق و دروب (wawt) .

و كما رأينا فى أبعاد الكون الأخرى , كانت السماء أيضا فى نظر قدماء المصريين عالما ذو طبيعة مائية . فقد وصفت متون الأهرام السماء بأن بها فيضان عظيم , و قنوات ملاحية منحنية فى الناحية الشمالية منها . كما أن هناك بحر تحت بطنها و الارتحال فيها يكون دائما بالقارب .

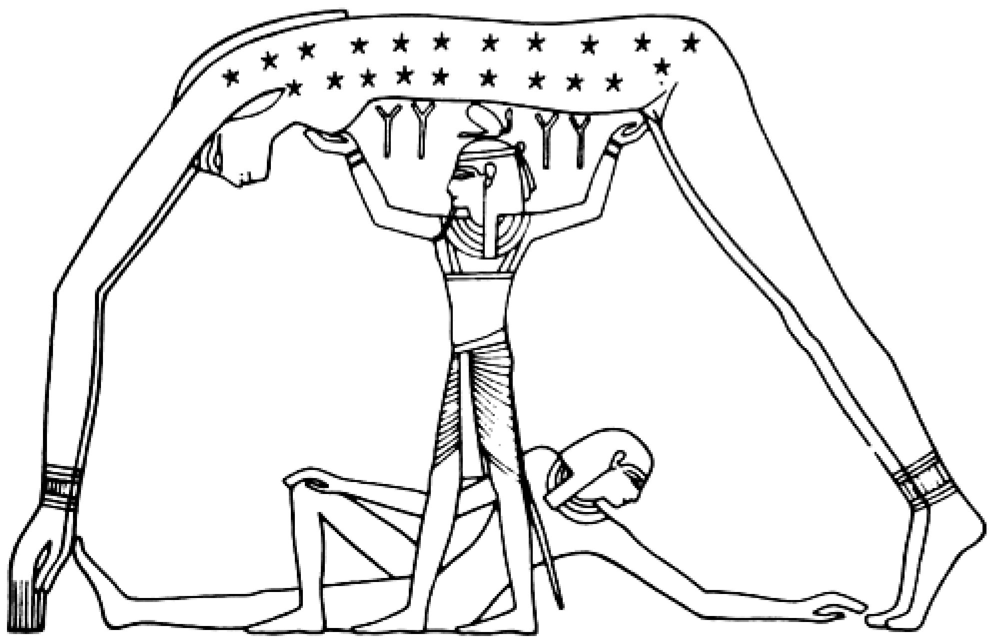
ذكر النص رقم 548 من متون الأهرام نوت بأنها البقرة ذات القرون الطويلة , التى يتدلى ضرعها , فى اشارة الى امتلائه باللبن .



(نوت على هيئة بقرة , تحملها أذرع "شو" و الثمانية اللانهائيون / الذين ليس لهم نهاية)

و فى عصر الدولة الحديثة (و تحديدا فى كتاب البقرة السماوية) صور الفنان المصرى القديم "نوت" على شكل بقرة تقف فوق الأرض تدعمها أذرع "شو" (رب الهواء) و ثمانيه من مساعديه يطلق عليهم اسم "اللانهائيون" (من ليس لهم نهاية) .

و فى كثير من الأحيان ظهرت "نوت" فى الفن المصرى على هيئة امرأة تنحنى بجسدها فوق الأرض على شكل قبة , و تمتد أطراف أصابع قدميها لتلمس الأفق الشرقى , و أطراف أصابع يديها لتلمس الأفق الغربى . و فى بعض الأحيان يظهر "شو" و هو يرفع جسد "نوت" بذراعيه . لم تظهر هذه الصورة الا فى عصر الدولة الحديثة , الا أن جذور الفكرة تعود لمتون الأهرام من عصر الدولة القديمة , حيث جاء فى أحد نصوصها أن السماء تحيط بالأرض و تحتوى كل شئ فى أحضانها . و فى كلتا الحالتين – سواء بقرة أو امرأة – كان الفنان المصرى القديم يصور "نوت" و بطنها مرصع بالنجوم .



<u>(نوت على هيئة امرأة تنحنى فوق جب , و تحملها أذرع "شو")</u>

و تعود جذور هذه الفكرة لمتون الأهرام من عصر الدولة القديمة , حيث نقرأ فى النص رقم 434 أن "نوت" احتضنت كل كيان الهى يمتلك قاربا (مدارا فلكيا) لكى تحيا هذه الكيانات الالهية كنجوم داخل جسدها . و قد وصف هذا النص نوت بأنها نوت ذات الألف "با" (روح / قدرة الهية) , و يترجم علماء الآثار هذا اللقب عادة بأنه "السماء ذات النجوم" .

هذا التأكيد على ربط "نوت" بالنجوم فى النصوص الدينية المصرية يدل على أن "نوت" ترمز بشكل خاص لسماء الليل , و ليس سماء النهار .

و هو ما يعنى أيضا أن "نوت" ترمز للسماء الدنيا أو السفلى , أى السماء المظلمة أو القارب المظلم

و فى النصوص الدينية المصرية نقرأ أن فم نوت يقع عند الأفق الغربى , و أن رحمها يقع عند الأفق الشرقى , و هناك نسخة مرآه معكوسه من جسد نوت المقبب تقع أسفل الأرض .

و هكذا تصور المصرى القديم أن نوت تبتلع قرص الشمس فى الأفق الغربى عند غروب كل يوم ,

و تعود فتلده من جديد فى الأفق الشرقى كل صباح .

احتلت هذه الصورة أهمية كبرى فى الفكر الدينى المصرى فى عصر الدولة الحديثه , و لكن جذورها تعود لمتون الأهرام من عصر الدولة القديمة , حيث نقرأ فيها أن نوت تلد النجم "ساح" كما تلد روح ملك مصر , و نقرأ أيضا أن نوت هى التى تحمل "رع" و روح ملك مصر فى بطنها كل يوم .

نستشف من ذلك أن "نوت" هى السماء السفلى , المظلمة التى تنتمى للأبعاد الباطنية للكون و التى تعتبر بمثابة الرحم الذى تولد منه الشمس و النجوم .

<u>الأجرام السماوية :-</u>

ننتقل أخيرا للأجرام السماوية التى تدور فى صفحة السماء , و تحديدا الشمس و القمر و النجوم .

اعتقد قدماء المصريين أن هذه الأجرام تبحر فى بطن المحيط السماوى عبر طرق ملاحية و قنوات لا يعرف أسرارها سوى ال "نترو" (الكيانات الالهية) .

و بخلاف فكرة انسان العصر الحديث عن الأفلاك و اعتبارها مجرد أجسام من الصخور و الغازات , نجد أن المصرى القديم كان ينظر للأجرام السماوية باعتبارها كيانات حية لها وعى و كان يطلق عليها لقب "باو" (أرواح) أو "آخو" (أرواح نورانية) .

و الشمس هى أهم الأجرام السماوية فى نظر قدماء المصريين .

و قد ربطت متون الأهرام بين الشمس و بين "رع" (رب النور) و حور آختى (رب الأفق) .

وصفت متون الأهرام الشمس بأنها عين "رع" . و من الموضوعات الرئيسية التى جاء ذكرها فى متون الأهرام , ميلاد الشمس من جديد كل صباح , حيث تذهب عين "رع" كل ليلة الى العالم السفلى و تعود و تولد من جديد .

هذا التكرار (نحح) لموت و ميلاد "رع" من جديد كل يوم هو الذى يجعل بمقدوره الارتحال فى السموات الى الأبد , و بالتالى يضمن للكون الاستمرار (دجد) .

لذلك اهتمت معظم النصوص الدينية المصرية برحلة "رع" الليلية , و ابحاره بقاربه فى أبعاد الكون

المختلفة من ال "دوات" الى حقول الايارو الى ال "آخت" حيث يولد من جديد فى الأفق الشرقى .

أما القمر فقد احتل فى النصوص الدينية المصرية مكانة أقل من الشمس , و مع ذلك فقد كان رمزا قويا لعين حورس التى كانت تلقب ب "الربة العظيمة" .

و كانت منازل القمر و مراحل موته و ميلاده من جديد رمزا لموت و بعث العين التى سرقها "ست" رب الفوضى و الظلام , و لكن حورس (رب النور و النظام) تمكن من انقاذها و استعادتها مرة أخرى .

كان الهلال فى نظر المصرى القديم رمزا للانتصار على قوى الفوضى و الظلام , أما البدر فهو رمز التناغم و استعادة التوازن (الماعت) .

و كانت رمزية القمر تكتسب قوة بشكل خاص وقت الخسوف .

تقول الأسطورة التى جاء ذكرها فى متون الأهرام أن تحوت هو الذى أنقذ عين حورس و حملها فوق جناحه و عرج بها الى السموات .

أما متون التوابيت فقد ذكرت أن تحوت هو الذى قام بعلاج عين حورس مما أصابها من جروح .

و لذلك كان تحوت فى نظر قدماء المصريين أحد أرباب القمر .

جاء فى النص رقم 210 من متون الأهرام أن تحوت يقطع السماء ذهابا و ايابا بصحبة "رع" .

تلك الصلة الميثولوجية بين تحوت و القمر تقدم لنا تفسيرا لاختيار تحوت ربا للكتابة و الهندسة و قياس الزمن و علوم الفلك .

و بعد ذلك أصبح القمر رمزا ل "خونسو" أحد أضلاع ثالوث طيبة (آمون و موت و خونسو) و اسمه يعنى "المرتحل / الرحال" .

و كانت الشمس و القمر فى نظر المصرى القديم هما العين اليمنى و اليسرى ل "رع" .

و قد برزت هذه الفكرة فى متون الأهرام التى تحدثت باهتمام عن ما يسمى ب "امتلاك العينين السليمتين" .

و فى أحد الابتهالات من عصر لاحق , نقرأ هذا النص الذى يخاطب حورس قائلا :-

** حين تفتح عينيك , يشرق النور على العالم ..... و حيت تغلقهما , يحل الظلام **

أطلق قدماء المصريين على النجوم العديد من الأسماء , من اهمها اسم "أخمو- سكو" (akhmu-sku) و يعنى "الذين لا يأفلون" . و اسم "آخمو- وردو" (akhmu-wrdu) و يعنى "الذين لا يصيبهم الوهن" أو "الدائمى الحركة" .

و كان المصرى القديم يكتب كلا الاسمين باستخدام مخصص على شكل نجمة "سبا" (sba) (✶) .

و كانت سماء الليل المظلمة تعرف فى مصر القديمة بالعديد من الأسماء و منها "شدو – بت" (shdu-pet) و معناه السماء المرصعة بالنجوم , و أيضا اسم "كبحو – سباو" (qebhu-sbau) و يعنى "ماء النجوم الطهور" . كما عرفت السماء أيضا باسم "بدجت" (pdjt) و يعنى "المحيط أو الاتساع السماوى" , و قد يأتى هذا الاسم أحيانا فى صيغة الجمع فيقال "بدجوت" (pdjwt) .

وصفت النجوم فى النصوص الدينية المصرية بأنها "نترو" (كيانات الهية) .

فقد أشارت اليها متون الأهرام ب " الكيانات الالهية " و أحيانا ب "الكيانات الالهية العظيمة و الحكيمة" , أو "الكيانات الالهية التى فى السماء" , أو الكيانات الالهية التى تسكن ال "كبحو" أى التى تسكن ماء السماء الطهور أو التى تسكن ال "ميحيت – ويريت" أى الفيضان العظيم , أو التى تسكن المحيط السماوى .

و من الأسماء التى أطلقها قدماء المصرين على النجوم أيضا اسم "أتباع رع" , و "أتباع أوزيريس" , و الكيانات المضيئة , و التاسوع أو التاسوعان .

و أرواح النجوم تسكن كلا من السماء العليا و السماء الدنيا , حيث يطلق عليهم لقب "الذين فى السماء الدنيا" أو "أرباب السماء الدنيا الذين لا يأفلون" , أو "النجوم التى لا تغيب" .

بعض هذه النجوم تسكن المنطقة القطبية الشمالية , و تلك هى النجوم القطبية التى تظل فى مجال الرؤية طوال الليل و لا تغيب , و البعض الآخر من النجوم يتبع مسار "رع" و يرتحل بين الأفق الغربى و الأفق الشرقى حيث يموت و يولد من جديد مثل "رع" .

و سنناقش هذه المجموعات من النجوم لاحقا .

أطلق قدماء المصريين على النجوم الشمالية اسم "الكيانات الالهية الشمالية" , أو "الذين يسكنون السماء الشمالية" أو الأرواح التى فى السماء الشمالية .

تتكون النجوم الشمالية من مجموعتين متشابهتين من النجوم , كل واحدة منهما تحوى سبعة نجوم , و قد أطلق عليها قدماء المصريين اسم القادوم أو فخذ الثور الأمامية , أما فى علم الفلك الحديث فيطلق عليهما اسم كوكبة الدب الأكبر و كوكبة الدب الأصغر .

و فى النص رقم 302 من متون الأهرام جاء ذكر هاتين الكوكبتين (كوكبة الدب الأكبر و كوكبة الدب الأصغر) تحت اسم "مسختيو أخمو سكو" (mskhtiu akhmu sku) , و يعنى "مسختيو , النجوم التى لا تغيب" , و غالبا ما كان يطلق عليهما لقب التاسوعان .

كان قدماء المصريين يكتبون كلمة "مسختيو" باستخدام علامة هيروغليفية على شكل قادوم .

بل انهم استخدموا كلمة "مسختيو" أيضا بمعنى قادوم , و هى هنا فى صيغة المثنى .

و فى النص رقم 274 من متون الأهرام نقرأ تشبيه تلك المجموعات النجمية بأرجل الثور الأمامية , حيث يقول النص أن النجوم العظيمة التى فى السماء الشمالية تستخدم الأرجل الأمامية للكيانات الالهية الأزلية لتصنع منها مراجل .

و هناك أسطورة طريفة ترتبط بالنجوم الشمالية , تحكى أن حورس و ست دخلا فى صراع و قتال شرس فى مدينة هرموبوليس (الأشمونيين , بمحافظة المنيا) و كان كل منهما يستخدم القادوم كأداة فى القتال .

و قد يكون قادوم كوكبتى نجوم "مسختيو" (الدب الأكبر و الدب الأصغر) هو رمز لذلك الصراع الأسطورى بين حورس و ست .

و من النصوص التى تؤكد تلك الفكرة النص رقم 21 من متون الأهرام و الذى جاء فيه ذكر قادوم "ويبواويت" (فاتح الطرق) و قادوم "ست" , مع ملاحظة أن "ويبواويت" ارتبط فى الفكر الدينى المصرى فى كثير من الأحيان بحورس .

و فى النص رقم 61 من متون الأهرام نقرأ أن حورس قام ببتر الساق الأمامية ل "ست" (على هيئة ثور) . قد تكون هذه الساق التى قطعها حورس هى نفسها مجموعة نجوم "مسختيو" , الا اننا يجب أن نلفت الانتباه انه لا يوجد نص صريح يقول ان ساق "ست" التى قطعها حورس هى نفسها مجموعة نجوم "مسختيو" .

أما الدليل الأخير على علاقة مجموعات نجوم "مسختيو" بكل من حورس و ست , هو أن قدماء المصريين ربطوا دائما بين أبناء حورس الأربعة و بين السماء الشمالية .

جاء فى كتاب الخروج الى النهار أن موقع أبناء حورس الأربعة هو فيما وراء "مسختيو" فى السماء الشمالية و يطلق النص على أبناء حورس الأربعة لقب الأربعة الأوائل من الأرواح السبعة التى تحمى أوزيريس .

و من المعروف أن عدد نجمات كل كوكبة من كوكبات الدب الأكبر و الأصغر هو 7 نجمات .

و قد ذكرت متون الأهرام نفس الفكرة و لكن بشكل أقل وضوحا حين وصفت أبناء حورس الأربعة بأنهم "الكيانات الالهية الأربعة التى تستند الى عصيها و تحرس مصر العليا" , و نلاحظ أن اسم مصر العليا فى هذا السياق يشير الى النجوم القطبية الشمالية .

و الأربعة نجوم التى وردت فى ذلك السياق هى الأربعة نجوم الأولى التى تشكل رأس القادوم أو الساق الأمامية أو فخذ الثور الذى تحاكيه صورة كوكبة نجوم الدب الأكبر و الدب الأصغر .

ننتقل الآن للمجموعة الثانية من المجموعات النجمية و هى النجوم التى تتبع مسار "رع" و يطلق عليها النجوم التى تغيب أو تموت (أى ترتحل فى العالم السفلى) ثم تعود و تولد من جديد .

كانت هذه النجوم تقوم بدور ملاحى قارب سماوى عظيم يطلق عليه أحيانا اسم قارب "رع" و أحيان أخرى اسم قارب التاسوعين .

فى السماء العليا تبحر هذه النجوم بالقارب من جهة الشرق الى جهة الغرب , و فى هذه الحالة يطلق عليها اسم "آخمو سكو" (akhmu sku) أى النجوم التى لا تغيب , أو "آخمو وردو" (akhmu wrdu) أى النجوم التى لا يصيبها الوهن .

و فى السماء الدنيا تبحر هذه النجوم بالقارب من جهة الغرب الى جهة الشرق , و فى هذه الحالة يطلق عليها اسم أرباب السماء الدنيا (netjeru nwtiu akhmu sku) . و فى كتب العالم الآخر المصرية تقوم هذه النجوم بجر قارب "رع" بالحبال فى ال "دوات" (العالم السفلى) .

تشكل هذه النجوم حاشية تتبع "رع" و تتقدمه فى السماء العليا و السماء الدنيا , و تجدف بقاربه لقطع السموات ذهابا و ايابا .

يؤكد علماء المصريات أن "النجوم التى لا تغيب" – حسب تعبير قدماء المصريين – هى النجوم القطبية (التى تلتف حول القطب الشمالى) لأنها لا تغرب , أى لا تختفى أسفل الأفق . و لكن فى الحقيقة هذا التفسير غير دقيق لأن كلمة "آخمو سكو" (akhmu sku) باللغة المصرية القديمة تعنى النجوم التى لا تنتهى حياتها أو التى لا تعرف الهلاك / الموت .

لذلك نقرأ فى متون الأهرام أن الملك يلقب ب "النجم الذى لا يأفل" و يخاطبه أحد النصوص قائلا :

** لن تنتهى حياتك و لن تعرف الهلاك / الموت **

لم يذكر أى نص من متون الأهرام أن تلك النجوم (آخمو سكو) لا تغيب تحت الأفق .

على العكس , فالنجوم التى تغيب تحت الأفق تعود و تولد من جديد , و هى بذلك تجدد شبابها و تظل حية و بالتالى لا تعرف الموت أو الهلاك .

توصف النجوم القطبية بأنها نجوم لا تأفل , بمعنى أنها خلقت كأرواح خالدة لا تعرف الهلاك .

و هنا علينا أن ننتبه الى أن صفة عدم الأفول ليست حصرية للنجوم القطبية فقط . فعلى العكس مما يقول به بعض الباحثين نجد أن قدماء المصريين أطلقوا لقب "آخمو سكو" (النجوم التى لا تأفل / تموت) على العديد من النجوم الأخرى فى قبة السماء .

ان السبب فى وصف النجوم بأنها "لا تأفل/تموت" ليس فقط كونها أرواح خالدة , و انما يعود السبب فى عدم موتها الى أنها تغرب فى الأفق الغربى و ترتحل الى ال "دوات" (العالم السفلى) و تعود و تولد من جديد فى الأفق الشرقى , و هكذا الى الأبد .

هذا التكرار الأبدى لفعل الموت و الميلاد من جديد هو الذى يضمن لها الخلود و الاستمرار للأبد "دجد" (djed) , طبقا للقانون الكونى الذى يقضى بأن استمرار الكون "دجد" مرهون بالتكرار

الأبدى "نحح" لنموذج النشأة الأولى أو للصور الأولية , و أهم هذه النماذج أو الصور الأولية هو نموذج الموت و الميلاد من جديد , و هو النموذج الذى يجدد به الكون طاقته و بذلك يستمر للأبد .

و ذلك ما يفسر لنا ما ورد فى متون الأهرام من وصف لنجوم السماء الدنيا بأنها "أرباب السماء الدنيا التى لا تموت" و بأنها "أرباب السماء الدنيا التى لا تأفل" .

كان الموت و الميلاد من جديد أحد أهم الملامح التى تميز هذه النجوم التى توصف بأنها أرواح أو أرباب .

و أهم أمثلة تلك النجوم المقدسة الثالوث الشهير "سوبدت" (الشعرى) و "ساح" (نجم سهيل أو أوريون) و "نتر دواو" (نجمة الصباح) .

"سوبدت" هو الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين على نجمة "زيريوس" (الشعرى) , و هى أكثر النجوم لمعانا فى قبة السماء . و كان الاغريق يطلقون عليها اسم "سوثيس" (Sothis) .

و منذ بداية عصر الأسرات (الذى بدأ حوالى عام 3100 قبل الميلاد) كان الشروق الاحتراقى لنجمة "سوبدت" مؤشرا لبداية الفيضان السنوى لنهر النيل , و لذلك كان قدماء المصريين يطلقون على هذه النجمة لقب "الواهبة العظيمة" و أيضا لقب "ذات العروش النقية / الطاهرة" .

ارتبطت نجمة "سوبدت" (زيريوس/الشعرى) فى الفكر الدينى المصرى بشكل خاص بالربة ايزيس و كان اختفاء هذه النجمة خلف الأفق لمدة سبعين يوما يرمز للفترة التى قضتها ايزيس فى البحث عن جثمان زوجها و حبيبها المقتول أوزيريس .

كان لنجمة "سوبدت" و لاختفاءها خلف الأفق لمدة سبعين يوما علاقة وثيقة بالعالم الآخر و بالبعث فى الفكر الدينى المصرى لدرجة أن قدماء المصريين جعلوا فترة تحنيط جثمان الملك سبعين يوما , على اعتبار أن وفاة كل ملك من ملوك مصر هى تكرار لموت و بعث أوزيريس .

ذكرت متون الأهرام النجمة "سوبدت" فى كثير من الأحيان برفقة نجم آخر (أو مجموعة نجمية أخرى) يطلق عليها "ساح" . يلقب "ساح" فى النصوص الدينية المصرية ب "أبو الكيانات الالهية" و أيضا ب "الواسع الخطى" (أبو خطوة) . يقال عنه انه يقطع السماء من الشرق الى الغرب ,

و يمضى موسما فى السماء و موسما آخر على الأرض , فى اشارة الى اختفائه من قبة السماء لفترة من الزمن . ارتبط نجم "ساح" عند قدماء المصريين فى كثير من الأحيان بأوزيريس , كما ارتبط فى أحيان أخرى بحورس . و قالت عنه النصوص الدينية المصرية انه رفيق النجمة "سوبدت" (الشعرى) الذى يخرج معها من ال "دوات" (العالم السفلى) أو من ال "آخت" (الأفق) الى السماء .

أجمع علماء المصريات على أن "ساح" فى العلوم الكونية المصرية هو مجموعة النجوم التى تعرف فى عصرنا الحاضر باسم "أوريون" . و قد استدل علماء المصريات على ذلك من الساعة النجمية التى تعود الى بداية عصر الدولة الوسطى , و التى تصور الظهور الاحتراقى لمجموعة نجوم أوريون سابقا على الظهور الاحتراقى لنجمة "سوبدت" , و قد صور الفنان المصرى القديم مجموعة نجوم "ساح" على شكل رجل , مع ملاحظة أن مجموعة نجوم أوريون تبدو فى السماء على هيئة رجل ضخم جبار يمشى بخطى واسعة .

رأى المصرى القديم أن "ساح" (أوريون) يولد من جديد من رحم ال "دوات" (العالم السفلى) بعد أن يمضى فيه سبعين يوما , حيث تقوم "سوبدت" (ايزيس) بمنحه طاقة الحياه .

و لكن مطابقة "ساح" ب "أوريون" قد لا تكون صحيحة فى العصر الذى دونت فيه متون الأهرام .

و الدراسة المتأملة لمتون الأهرام تظهر لنا العديد من المشكلات بخصوص فرضية "ساح – أوريون" .

فالنص رقم 216 من متون الأهرام على سبيل المثال يشير الى أن الشروق الاحتراقى ل "ساح" يتبع الشروق الاحتراقى ل "سوبدت" , لأن ساح يختفى تحت الأفق قبل "سوبدت" .

و فى النص رقم 422 من متون الأهرام نقرأ أن "سوبدت" تقوم بدور المرشد لكل من "ساح" و روح ملك مصر الذى انتقل للعالم الآخر .

كما أن النص رقم 266 من متون الأهرام يصف "ساح" (باعتباره أخا ل سوبدت) بأنه "ذلك النجم الذى يضئ السماء" , و هنا نلاحظ أن النص يتحدث عنه بصيغة المفرد و ليس بصيغة الجمع , أى أن "ساح" نجم واحد و ليس مجموعة نجمية .

و أخيرا علينا أن ننتبه الى شئ هام , و هو أن لقب "واسع الخطى" التى يفترض علماء المصريات أنه أحد صفات مجموعة نجوم أوريون هو فى الحقيقة لقب كان قدماء المصريين يطلقونه على أى نجم أو كيان الهى يقطع السماء .

يتأكد لنا ذلك حين نعلم أن هناك نصين من نصوص الأهرام استخدم فيهما لقب واسع الخطى لوصف "حور آختى" (حورس الذى يرتحل بين الأفقين) .

لذلك فمن الممكن أن يكون "ساح" فى الأصل هو الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين على النجم "سهيل" (Canopus) , و هو ثانى ألمع النجوم فى قبة السماء , و هو ما يجعل منه رفيقا مناسبا لنجمة "سوبدت" (الشعرى) و هى ألمع نجوم السماء .

أما تحول "ساح" من رمز للنجم "سهيل" الى رمز لمجموعة نجوم أوريون , فربما يكون قد حدث فى وقت ما بين نهاية الدولة القديمة و بداية الدولة الوسطى .

مثل هذا التحول ليس بعيد التصور , و خصوصا اذا عرفنا أن مثل هذا التداخل كان معروفا عند قدماء المصريين و أن حورس على سبيل المثال كان فى الأصل هو رب مجموعة نجوم أوريون .

أما الضلع الأخير فى هذا الثالوث الى جانب "ساح" و "سوبدت" فهو "نتر دواو" , أى نجمة الصباح أو "رب ضوء الفجر" , و قد وصفته متون الأهرام بأنه هو أصل أو جد نجم "سوبدت" و نجم "ساح" .

و نقرأ فى النص رقم 366 من متون الأهرام أن ثالوث "سوبدت" و "ساح" و "نتر دواو" هو تجلى للثالوث الشهير ايزيس و أوزوريس و حورس , اذ يقول النص :-

** يا أوزيريس , ها قد أتتك أختك ايزيس و قلبها يخفق بحبك .... و قد وضعتها فوق عضوك الذكرى لتسرى فيها نطفتك ... ها هى "سوبدت" قد تهيأت , و قد خرج منك حورس "سبدو" (اللامع) , حورس الساكن فى "سوبدت" (نجمة الشعرى) **

أطلق أحد نصوص الأهرام على "نتر دواو" اسم "حورس الدوات" , أى حورس العالم السفلى , لأن حمل ايزيس من زوجها أوزيريس وقع فى ال "دوات" (العالم السفلى) .

توصل الباحثون فى علم المصريات الى أن "نتر دواو" هى كوكب فينوس و الذى يعتبر ثالث ألمع الأجرام السماوية بعد الشمس و القمر (برغم كونه كوكبا و ليس نجما) , و أهم ما يلفت الانتباه له هو ظهوره فى الأفق الشرقى للسماء قبل شروق الشمس مباشرة , لذلك يطلق عليه نجمة الصباح .

أبدى قدماء المصريين اهتماما أكبر بدور كوكب فينوس كنجمة للصباح أكثر من دورها الآخر كنجمة للمساء , لأن الفكر الدينى المصرى كان يدور بشكل كبير حول الميلاد من جديد أو البعث بعد الموت , و الذى يضمن استمرار الحياة .

بالاضافة الى الشروق الاحتراقى لنجمة الشعرى و مجموعة أوريون , أو نجمة الشعرى و النجم سهيل , كان ظهور نجمة الصباح (كوكب فينوس) فجر كل يوم رمزا لميلاد الطفل الالهى أو فجر الروح .

اجتذبت مجرة الطريق اللبنى أيضا اهتمام قدماء المصريين و كانت من أهم الأجرام السماوية التى جاء ذكرها فى متون الأهرام . و قد أطلق عليها قدماء المصريين اسم "مر نخا" (mr nkha) و يعنى الطريق المائى الدائرى , أو "مسكت شدو" (mskt shdu) أى "الطريق الذى تطرقه النجوم" أو "شارع النجوم" .

صادفنا الطريق المائى الدائرى (مر نخا) عند حديثنا عن حقول الايارو (البوص) خلف الأفق الشرقى , و عرفنا أنه هو النهر السماوى الذى يفيض و يغرق حقول البوص .

كان ذلك النهر السماوى من أهم معالم السماء الدنيا و أيضا السماء العليا , و خصوصا سماء الليل .

نستدل على ذلك بعدة نصوص , منها النص رقم 684 من متون الأهرام و الذى نقرأ فيه أن الملك يرتحل تحت بطن السماء بصحبة النجم الجميل , و يشق طريقه وسط منحنيات الطريق المائى .

ما هى طبيعة ذلك الطريق المنحنى ؟

بالاضافة الى احتوائه على منحنيات , تصفه النصوص بأن له ضفتان , كما أنه يمتلئ أو يفيض بالماء . و هذا الامتلاء بالماء هو الذى يساعد قارب "رع" و قارب التاسوعين على الابحار فى صفحة السماء . و برغم أن متون الأهرام لم تصف دروب هذا الطريق المنحنى , الا اننا نستنتج

من النصوص بوجه عام أنه يبدأ من الأفق الشرقى للسماء , و يقطع السماء كلها من الشرق للغرب و لذلك يفترض الباحثون أن ال "مر نخا" (الطريق المائى الدائرى) عند قدماء المصريين هو ما نطلق عليه فى عصرنا الحاضر مجرة الطريق اللبنى .

و نستنتج من ذلك أن الطريق المائى الدائرى فى حقول الايارو التى تقع خلف الأفق الشرقى هو نفسه مجرة الطريق اللبنى .

رأى قدماء المصريين فى الطريق المائى السماوى بمنحنياته و ضفافه صورة سماوية من نهر النيل على الأرض , و بتعبير آخر , يمكننا أن نقول أن قدماء المصريين رأوا أن نهر النيل الأرضى هو صورة مرآه معكوسة من نهر آخر سماوى , هو مجرة الطريق اللبنى بأذرعها التى تشبه الأنهار و القنوات المائية . كما كانت السماء فى نظرهم أشبه بحقول و مروج و جنات .

و نجد تأكيدا لهذا المعنى فى مجموعة من نصوص التوابيت التى تبتهل ل "حابى" (روح النيل) .

فى النص رقم 317 و النص رقم 321 من نصوص التوابيت نجد "حابى" - على لسان الاله الخالق – يتحدث عن قدرته على منح الخصوبة و خلق حياة جديدة فى الأرض و فى السماء .

و بخصوص السماء يقول "حابى" :-

** ان صورتى فى السماء , و الأرض كلها تحت ظلى , و روحى تسبح فوق صفحة السماء و فوق الأرضين **

أى أن نهر حابى السماوى يمتد فوق صفحة السماء من الأفق للأفق الآخر .

و برغم أن هذه النصوص لم تذكر اسم "مر نخا" (الطريق المائى الدائرى) , الا أن حابى استخدم لفظ آخر يشير الى المنحنيات المائية و هو لفظ "كابو" (kabu) .

و يدل السياق على أن كلا اللفظين يدلان على شئ واحد و هو النهر السماوى الذى تنعكس صورته على الأرض فى نهر النيل , و الذى يمتد فوق صفحة السماء فى صورة أذرع مجرة الطريق اللبنى

و الاسم الثانى الذى أطلقه قدماء المصريين على مجرة الطريق اللبنى هو "مسكت شدو" (mskt shdu) , و يترجم عادة بمعنى "الطريق الذى تطرقه النجوم" أو "شارع النجوم" .

تحدثت نصوص الأهرام قليلا عن "مسكت شدو" , حيث جاء ذكر هذا الاسم فى ثلاثة نصوص فقط

, منها اثنين مكررين .

من هذه النصوص نعرف أن ال "مسكت شدو" يمكن عبورها بالقارب , و أنها تفضى الى السموات العلى , و أنها تحت حراسة كيانات الهية تعرف باسم "الأرباب العظيمة فى قلعة العامود" .

و نستنتج من المخصصات المستخدمة فى تلك النصوص أن هذا المكان أشبه بالمستنقعات أو بمجموعة من الجزر (جمع جزيرة) المتناثره .

و من متون التوابيت نحصل على مزيد من المعلومات حيث قالت نصوصها أنه من الممكن الوصول الى ال "مسكت شدو" عن طريق بوابات ال "دوات" (العالم السفلى) .

و برغم قلة النصوص التى تصف ال "مسكت شدو" الا اننا نستطيع أن نقول أنه هناك أرضا صلبة للفرضية التى قال بها علماء المصريات حين قالوا أن ال "مسكت شدو" (الطريق الذى تطرقه النجوم) هو نفسه مجرة الطريق اللبنى .

<u>ملخص الفصل الثانى :-</u>

* كانت الأرض فى نظر قدماء المصريين هى قلب الكون .

* يمكن للأجرام السماوية أن تدور حول الأرض بالابحار فى السماء العليا و السماء الدنيا , كما يمكنها أيضا أن تدور حول الأرض بطريقة أخرى , بأن تبحر فى ال "دوات" (العالم السفلى) الذى يقع فى باطن الأرض , و المسار الثانى هو المحور الذى دارت حوله كتب العالم الآخر فى مصر القديمة , لأنه الطريق الذى يقطعه "رع" و صحبته من الكيانات الالهية و أيضا روح ملك مصر , لكى يبعثوا من جديد .

* من أهم المعالم التى تميز أبعاد الكون الخفية / الماورائية , كثرة الطرق المائية و الحقول الخضراء و المروج , و هى نفس المعالم التى تنعكس فى السماء .

و هذه المشاهد جميعا تستدعى الزمن الأول , الذى وقعت فيه أحداث نشأة الكون .

الفصل الثالث

الخلق

جاء فى متون التوابيت (نص رقم 648) :-

** انه السحر الأزلى الذى أتى للوجود بذاته .... فابتهجت قلوب الكيانات الالهية عند رؤيته **

كيف نشأ الكون ؟

فى مصر القديمة , لم يكن هناك "دوجما" (جمود فكرى) , و لا كتاب واحد مقدس يتم فرضه على الناس , و لا مركز دينى واحد أوحد (مثل أورشاليم أو مكة) . و انما كان هناك مراكز دينية متعددة , لكل منها نظرياته و أفكاره التى تتناول أحداث نشأة الكون , و كل نظرية منها تطلق على الاله الخالق اسما محليا خاصا بها .

و هكذا ترك لنا قدماء المصريين العديد من أساطير الخلق التى تصف الحدث الأزلى (نشأة الكون) من خلال صور مختلفة و بأساليب مختلفة , حيث ينسب فعل الخلق فى كل أسطورة لأحد التجليات الالهية , مثل آتوم , و رع , و بتاح , و خنوم , و آمون , الخ .

هذا التعدد و التنوع لأساطير الخلق يعتبر كنزا من المعرفة للباحث الذى يسعى لاستكشاف عقل الانسان القديم و كيف كان يعبر عن المعرفة الروحانية باستخدام لغة شاعرية هى لغة الأسطورة .

و أول ما يلفت انتباه الباحث فى العصر الحديث عند قراءة أساطير الخلق المختلفة أن مؤلفى هذه الأساطير من حكماء العالم القديم اتفقوا جميعا – برغم اختلاف الأساطير و تنوعها – على مبدأ واحد و هو أن قصة الخلق لا يجب أن تدون بطريقة سردية تتبع تسلسلا فى اتجاه واحد له بداية و نهاية مطلقة كخط مستقيم .

دون حكماء مصر القديمة ما لديهم من معرفة بقصة الخلق فى اشارات وردت فى سياق ابتهالات

و أناشيد و صلوات و طقوس جنائزية و طقوس خدمة يومية فى المعابد و تعاويذ لحماية أرواح الموتى , و التزم الحكماء دائما بسرد أقل قدر من المعلومات التى تخدم الهدف الذى وردت فى سياقه . و لذلك كان على الباحث فى العصر الحديث أن يعيد بناء قصة الخلق و تكوين صورة واحدة كاملة من قطع متناثره من الشظايا و التلميحات الفضفاضة و التعبيرات المجازية التى تبدو كأجزاء مقتطعة من جسد واحد .

و مما يزيد الطين بلة , أن على الباحث محاولة فك شفرة العديد من العبارات الاصطلاحية المبهمة (بالنسبة له) و التشبيهات و الاستعارات , مما يجعل الترجمة الى لغاتنا الحديثه فى الغالب ترجمات غير دقيقة . كل هذه الصعوبات واجهت علم المصريات فى بداية ظهوره (فى أوائل القرن التاسع عشر) , مما جعل علماءه يتحاملون على أساطير الخلق المصرية و يصفونها أحيانا بالخرافة .

عجز علماء المصريات الأوئل عن تكوين نظرة شاملة لقصة الخلق فى مصر القديمة , و بدلا من التركيز على البحث عن الحلقات المفقودة و تجميع أجزاء الصورة , انصب اهتمامهم على ما يبدو فى نظرهم تناقضا , و وصفوا أساطير الخلق المصرية بأنها مجموعة من القصص البدائية الخالية من المعنى و الغير جديرة بالدراسة الجادة .

و نتيجة هذا التجاهل الأكاديمى لأساطير الخلق , أصبحت تلك الأساطير فى نظر الأفراد و المؤسسات العلمية قصصا مجردة من أى قيمة علمية .

فى عام 1912 ميلادية كتب جيمس هنرى بريستد واصفا أساطير الخلق المصرية بأنها << قصصا شعبية بسيطة تحكى عن نشأة العالم >> .

عند تأمل أساطير الخلق المصرية نجد أن هناك بالفعل تناقضا جليا لا يمكن انكاره .

فقد وصفت بعض الأساطير الاله العظيم بأنه أتى فعل الخلق وحده بأن خلق نفسه بنفسه حين كان وحده فى مياه الأزل .

و على الجانب الآخر , هناك أساطير أخرى قالت أن الاله أتى فعل الخلق الأزلى بمشاركة كيان الهى آخر مؤنث أو بمشاركة جمع من الكيانات الالهية .

و فى تلك الأساطير نقرأ أن الكيان الالهى المؤنث (الأم الكونية) تلعب دورا رئيسيا فى ولادة الكون

بأن تبعث فيه الحياة أو أن أعضاء الجمع الالهى تتفاعل معا لكى يخرج الاله للوجود و بالتالى يخرج معه الخلق (كما فى ثامون الأشمونيين على سبيل المثال) .

و فى رواية أخرى نجد الأم الكونية (العذراء الكونية) تأتى فعل الخلق الأول وحدها .

و نلاحظ أيضا أن آلية الخلق و كيفيته تختلف من أسطورة الى أخرى .

ففى احدى الأساطير يخلق الاله العظيم الكون من ذاته بفعل أشبه بقذف السائل المنوى , و فى رواية أخرى يأتى الكون للوجود من أنف و فم الاله الخالق فى فعل أشبه بالعطس و البصق , و فى روايات أخرى يشكل الاله المخلوقات بيديه كما يشكل الفخرانى الأوانى من الطين على عجلته , و فى حالات أخرى يبدع الاله الكون بالقلب و اللسان , بأن يفكر بقلبه (عقله) ثم يستدعى كل شئ للوجود بأن ينطق اسمه كما فعل بتاح .

و يبدو أن الكتبة فى مصر القديمة كانوا يستمتعون كثيرا بتدوين هذا التنوع الفريد لقصص الخلق دون أن يساورهم الشك لحظة فى كيفية وقوع فعل الخلق بهذه الطريقة أو تلك .

أما بالنسبة للباحث فى العصر الحديث , فيعتبر الشك فى كيفية حدوث فعل الخلق عبئا ثقيلا , بل لعنة تطارد الباحث .

لم يستطع علم المصريات حتى الآن أن يحسم الجدل الدائر منذ مائتى عام (أى منذ نشأة علم المصريات) و أن يجيب عن سؤال جوهرى , و هو << هل الديانة المصرية القديمة ديانة توحيدية أم ديانة تعددية ؟ >>

فى النصف الثانى من القرن العشرين بدأ علم المصريات يراجع نظرته السابقة لأساطير الخلق المصرية . ففى عام 1948 ميلادية نشر هنرى فرانكفورت دراسة ملهمة قال فيها أن الديانة المصرية القديمة تختلف عن الديانات الحديثه فى أنها كانت تسمح (بل تحبذ) بالنظر الى الألوهية من منظور التعددية . لذلك تظهر لنا النصوص الدينية المختلفة فى كلماتها و صورها فى بعض الأحيان تناقضا جليا , و لكنه ليس خاليا من المعنى .

و قد لاقت نظرية هنرى فرانكفورت صدى واسعا وسط علماء المصريات , و أدت الى اعادة تقييم أساطير الخلق المصرية .

و فى عام 1988 كتب جيمس ب. الن (James P. Allen) و هو أحد المتخصصين البارزين فى علم المصريات يقول :

*** منذ خمسين عام مضت , كان من عادة الباحثين تصنيف النصوص الدينية مثل نظرية ممفيس و بردية لايدن كنصوص تنتمى لأنظمة لاهوتية متعارضة . و مثل هذا التحليل يتعارض مع الوحدة التى تتجلى فى الفكر الدينى المصرى و تهيمن عليه , و التى تؤكدها القراءة المتأملة الواعية للنصوص المصرية . فعلم الكونيات المصرى يقدم لنا صورة واحدة شاملة للكون , و هى نظرة استمرت طوال تاريخ مصر القديم . و لا يجب أن نندهش من وجود بعض الاختلافات , فنظريات الخلق المصرية المتعددة لم تكن أنظمة لاهوتية متنافسه , و انما هى أوجه متعددة لقصة واحدة تعبر عن فهم عميق لطبيعة الكون و كيفية نشوئه . و النصوص التى ترجمت هنا , و غيرها من النصوص , انما تعبر عن التوافق و التكامل , أكثر مما تعبر عن الاختلاف و التناقض . و هى أشبه بقطع متناثرة من الزجاج الملون الذى تبدو كل قطعة فيه مختلفة و متناقضة مع غيرها من القطع , و لكنك اذا نظرت اليها نظرة كلية شاملة ستكتشف أنها تتآلف معا لتشكل قطعة فنية رائعة من الفسيفساء . و كذلك الفكر الدينى المصرى الذى يتشكل من قطع متناثره من أساطير مختلفة تتآلف معا لتكون صورة واحدة للمعرفة الكونية عند قدماء المصريين ***

صار علماء المصريات يدركون الآن أن هناك ثلاثة خطوط عريضة تشكل معا قلب و جوهر أساطير الخلق المصرية , و هذه الخطوط هى :-

(1) أن كل الأشياء خرجت من محيط أزلى أطلق عليه قدماء المصريين اسم "نون", و هو على ما يبدو كامنا فى اللبنات الأزلية التى تشكل المادة و التى أطلق عليها قدماء المصريين اسم "باؤت" (pautt) . توصف "نون" فى النصوص الدينية المصرية بأنها هاوية لا يسبر غورها و أنها فيضان عظيم لا حدود له تهيمن عليه الظلمة و الفوضى .

(2) تم تشكيل التل الأزلى "ايات" (iat) أو الجزيرة الأزلية "ايو" (iw) داخل مياه الأزل . ثم ارتفع التل الأزلى من هاوية "نون" صانعا بذلك الأرض "تا" (ta) .

تزامن ارتفاع التل الأزلى مع انحسار غامض لمياه الأزل لا يعرف أحد سره .

(3) بعد خروج الأرض من مياه الأزل , انفصلت السماء "بت" (pet) عن الأرض "تا" (ta) , و هو الحدث الذى مهد الطريق لخلق الشمس و القمر و النجوم .

و الالمام بهذه الخطوط العريضة الثلاثة هو مفتاح فهم أساطير الخلق المصرية و الذى يمنحنا القدرة على ادراك الوحدة التى تجمع بين مختلف رواياتها , و الوصول الى فهم عقلانى لعملية الصيرورة التى تحولت بها مياه الأزل "نون" من هاوية سحيقة مظلمة عشوائية الى هذا الكون المنظم الذى تسكنه مخلوقات مختلفة لا حصر لها .

يعتبر جيمس ب. آلن (James P. Allen) من علماء المصريات القلائل الذين حاولوا تبسيط تلك الفكرة لأذهان القراء , عن طريق تخيل فقاعة من الفراغ تسبح وسط مياه . و لكن تحليل جيمس ب. آلن لأسطورة الخلق المصرية وقف عاجزا عن تفسير كيف ظهرت الأجرام السماوية فى قبة السماء , و بذلك يعتبر تحليلا جزئيا لقصة الخلق و ليس تحليلا شاملا .

و هناك قصور فى علم المصريات بوجه عام فيما يخص هذا السؤال , حيث يدعى معظم الباحثين أنه لم يعثر على تفاصيل كافية فى النصوص المصرية .

ما سر هذا الموقف السلبى الانهزامى من جانب علماء المصريات ؟

يرجع أحد أسباب هذا الموقف السلبى الى تمسك علماء المصريات بالنظرة القديمة لأساطير الخلق المصرية و التى تصمها بأنها قصص خرافية بدائية .

أما السبب الرئيسى , فهو أن علماء المصريات كانوا دائما يفترضون أن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية , و لذلك كان يتم تأويل النصوص الدينية دائما تأويلات تتناسب مع هذه الفرضية . فاله الشمس هو الذى تحرك فى المحيط الأزلى , و اله الشمس هو الذى ارتفع من مياه الأزل على هيئة تل أزلى , و اله الشمس هو الذى خلق نفسه (أى الشمس) و خلق الأجرام السماوية الأخرى . بالقطع , تبدو هذه الدراما الكونية كخرافة أو هذيان , و لكن لماذا يتحتم عليها أن تبدو لنا عقلانية طالما أن العقول التى كانت تستوعبها هى عقول حضارات قديمة بدائية .

خطفت نظرية الديانة الشمسية أنظار الباحثين الى الحد جعلهم يفقدون الحماس و الدافع للبحث عن

أساس عقلانى آخر لأسطورة الخلق . و يبدو أنهم كانوا مشغولين جدا بأشياء أخرى أكثر أهمية يمضون فيها وقتهم .

ان النظر للديانة المصرية القديمة باعتبارها ديانة شمسية هو فى الحقيقة خطأ فادح .

فالاله الخالق فى مصر القديمة لم يكن دائما اله الشمس , بل انه فى معظم الحالات لم يكن اله الشمس (آتوم – رع) .

الاله فى مصر القديمة هو الاله الخالق , الذى اضطلع بمهمة خلق الكون , بعكس اله الشمس الذى اضطلع بمهمة حفظ الكون و ضمان حمايته و تجديد طاقته و بالتالى استمراره .

علينا أن نفرق هنا بين دور الاله الخالق و دور اله الشمس .

فالاله الخالق هو الذى خلق الشمس و تجلى فيها (أو من خلالها) , و هكذا أخرج للوجود اله الشمس كصورة أو انعكاس له . و هكذا يمكننا أن نقول أن اله الشمس هو نفسه الاله الخالق على اعتبار أن اله الشمس هو صورة أو انعكاس للاله الخالق .

و لكن قدماء المصريين عندما قالوا أن اله الشمس هو الاله الخالق , لم يقصدوا بذلك أن الشمس هى السبب الأول أو أنها مركز الكون .

ان الادعاء بأن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية كما يقول علماء المصريات , يجعل أساطير الخلق المصرية عارية من أى معنى و يصمها بأنها مجرد حكايات خرافية طريفة .

لقد آن الأوان لنتحرر من فرضية العقيدة الشمسية التى هيمنت على علم المصريات خلال القرنين الماضيين و أن نتأمل بعمق المغزى الحقيقى لقصة الخلق فى مصر القديمة .

تكشف لنا النصوص الدينية المصرية أن قصة الخلق احتلت أهمية كبرى فى الفكر الدينى عند قدماء المصريين , حيث نقرأ فيها أن كلا من "رع" (متمثلا فى الشمس) و ملك مصر يقومان معا باعادة فعل الخلق الأول وتكرار حدث النشأة الأولى , و هو ما يجدد طاقة آلة الزمن و يضمن للكون الاستمرار .

و قد ظل مغزى قصة الخلق غامضا و مبهما أمام أعيننا لفترة طويلة .

و لكن ما هو السبب فى عدم قدرتنا على فهم مغزى قصة الخلق المصرية ؟

هل كان هناك خطأ من جانب قدماء المصريين فى طريقة التدوين أو فى طريقة فهمهم لولادة الكون و تطوره ؟ أم أن أساطير الخلق المصرية تحوى معانى باطنية لم يتمكن الباحثون فى العصر الحديث من اكتشافها بعد ؟

و اذا أردنا أن نعيد تقييم قصة الخلق المصرية و فهم قدماء المصريين للاله الخالق بعيدا عن فرضية العقيدة الشمسية , فهل سنتوصل الى خطأ ارتكبه قدماء المصريين فى التدوين أم سنكتشف المعانى الباطنية التى كانت غائبة عنا ؟

و لكى نبدأ بحثنا , علينا أولا أن نفند الحقائق الأساسية المعروفة لدى الأثريين , و لكن بدون أن نغلفها بعباءة العقيدة الشمسية التى يتسرع الكثيرون فى فرضها على النصوص الدينية المصرية .

فى هذا الفصل سنستعرض أساطير الخلق المصرية التى يمكن أن نصنفها تبعا لاسم الاله الخالق كما ورد فى الأسطورة , مثل : آتوم , شو , نبر دجر , رع , حورس ابن ايزيس , بتاح , خنوم , آمون , حورس و شبتيو , الأزليون , الثامون , الربة الأم .

سنستعرض بعض الأساطير بشكل مختصر و البعض الآخر سنناقشة بمزيد من التفصيل و الاسهاب يتضمن هذا البحث القليل من المفاجآت بالنسبة للقارئ المتخصص , و منها على سبيل المثال اختيارى لقصة حورس ابن ايزيس كأحد نماذج قصة الخلق , برغم أنها تصنف من قبل الأثريين كأسطورة تتناول أصل الملكية , و ذلك لأسباب ستتضح لاحقا .

و من الأشياء التى ستلفت انتباه القارئ أثناء البحث أن أساطير الخلق هى نوع من الأدب ينتمى لفترات تاريخية مختلفة , و فى بعض الحالات قد نجد مثالا لاثنين من النصوص تفصل بينهما فترة زمنية تصل لألفى عام .

و لكن علينا أن نكون حذرين من اعطاء الأولوية للترتيب التاريخى لقصص الخلق , لأنه من المحتمل أن المراكز الدينية المختلفة كانت تمتلك أساطير قديمة جدا تعود الى عصور عتيقة , و لكنها لم تدون هذه القصص الا فى عصور لاحقة حين صعد نجم هذه المراكز الدينية و أصبحت مركز جذب سياسى و دينى فى نفس الوقت .

آتوم (الكل / الكامل) :-

"آتوم" هو الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين على الاله الخالق فى الأساطير التى نشأت فى مدينة هليوبوليس , و اسمها باللغة المصرية القديمة هو "ايونو" (Iunu) , أى مدينة العامود أو المسلة أو التل الأزلى .

و هليوبوليس هى أحد أهم المراكز الدينية فى الحضارة المصرية منذ بدايتها و حتى أفولها .

يعتبر اسم "آتوم" لغزا عصى الفهم , فهو يعنى "أن لا يكون" (to not be) , و فى نفس الوقت يعنى أيضا "أن يكمل" (to complete) . و لتفسير ذلك يمكننا القول بأن "آتوم" يرمز لعملية التحول التى نقلت الكون من اللاوجود الى الوجود .

و من ألقاب آتوم "رب كل شئ" (neb-tm) , و "رب حدود السماء" و التى تقال أحيانا بصيغة مختصرة هى "رب الحدود" (ned-r-djr) .

و أول دليل مدون على قصة الخلق التى يقوم فيها آتوم بدور الاله الخالق نجده فى متون الأهرام (نص رقم 527) حيث نقرأ :-

** آتوم هو الذى أتى للوجود بذاته , و خلق نفسه بنفسه فى هليوبوليس بالاستمناء .... حين أمسك بعضوه الذكرى , و عندما بلغ حالة من النشوة أخرج من بذرته أبناءه التوأم "شو" و "تفنوت" **

أما النص رقم 600 من متون الأهرام فيخاطب الاله الخالق فى هيئة "خبرى - آتوم" قائلا :-

** لقد تحولت الى تل عالى (qay qaa) , و ارتفعت من مياه الأزل على هيئة حجر ال "بن بن" (التل الأزلى) فى قصر طائر ال "بنو" (العنقاء) بهليوبوليس .... أخرجت "شو" من ذاتك على هيئة عطسه .... و أخرجت "تفنوت" من ذاتك على هيئة بصقة ...... ثم احتويتهما داخل ذراعيك على هيئة علامة ال "كا" , لكى تسرى فيهما كاءك **

يخبرنا هذا النص أن أول أشكال تجلى "آتوم" كانت هى التل العالى/الأزلى أو حجر ال "بن بن" , و هو التجلى الذى جعله يخرج من ذاته التوأم "شو" و "تفنوت" .

و هو ما ينقلنا الى العديد من النقاط الهامة .

ان ارتفاع التل العالى (qay qaa) أو حجر ال "بن بن" يرمز لارتفاع الأرض الأزلية من الهاوية "نون" . و المغزى الحقيقى للتل العالى ما زال موضع جدل بين علماء المصريات (انظر الفصل الحادى عشر) , أما حجر ال "بن بن" فقد كان أهم رموز الألوهية فى هليوبوليس , مدينة "آتوم – رع" . و هو عبارة عن حجر على شكل مخروط أو هرم مرفوع فوق عامود وسط فناء المعبد الرئيسى بهليوبوليس .

و هناك علاقة محتملة بين شكل هذا العامود الذى يحمل فوقه حجر ال "بن بن" , و بين اسم المدينة كما كان معروفا فى مصر القديمة و هو "ايونو" (Iunu) و يعنى حرفيا مدينة العامود .

كما نستتشف من النص السابق أيضا أن حجر ال "بن بن" قد يكون رمزا للعضو الذكرى لآتوم و الذى قام باخراج "شو" و "تفنوت" للوجود فى حركة أشبه بقذف السائل المنوى , و هى فكرة مطروحة للنقاش و التحليل .

و بحسب رأى علماء المصريات , يعتبر "شو" رمزا للهواء , و "تفنوت" رمزا للرطوبة .

و هو تحليل صحيح الى حد كبير بالنسبة ل "شو" و الذى تتلخص مهمته الرئيسية فى رفع السماء و فصلها عن الأرض . أما بالنسبة ل "تفنوت" فالتحليل ليس دقيقا بسبب عدم قدرة الباحثين على تحديد وظيفتها .

هناك تفسير آخر لرمزية "شو" و "تفنوت" يفترض أن "شو" هو أحد رموز الشمس و أن "تفنوت" هى أحد رموز القمر , و لذلك وصفتهما متون الأهرام فى كثير من المواضع بأنهما توأم .

و هناك أدلة على رمزية الشمس و القمر فى نصوص أخرى , و لذلك لا يمكننا اهمال هذه الفرضية تماما . و على أية حال , فان "شو" و "تفنوت" يرمزان بوجه عام لكل ما هو موجود , و لذلك منحهما آتوم "كاءه" (طاقته الحيوية) لتسرى فيهما .

و تعتبر ال "كا" أحد الأفكار الرئيسية فى الديانة المصرية و قد لعبت دورا رئيسيا فى أساطير الخلق , و يقدم لنا النص السابق من نصوص الأهرام دليلا على أصل فكرة ال "كا" و يرجعه الى الزمن الأول , زمن ولادة الكون .

و من الأشياء التى تلفت الانتباه فى النص السابق (نص رقم 600 من نصوص الأهرام) فكرة

"الخلق الذاتى" , حيث يوصف آتوم بأنه "الذى أتى للوجود بذاته و خلق نفسه بنفسه" , بمعنى أنه تحول من تلقاء نفسه من حال الى حال , بدون تدخل قوة خارجية .

و الفعل المستخدم فى هذا السياق هو "خبر" (khpr) و يكتب باستخدام رمز هيروغليفى على شكل جعران و الذى يبدو و كأنه خلق نفسه بنفسه من كرة طينية (𓆣) .

هذا الجعران الذى أتى للوجود من تلقاء نفسه هو الذى أوحى لقدماء المصريين برمز الاله الخالق "خبرر" (khprr) , و الذى تحول لاحقا الى "خبرى" (khepri) .

و نلاحظ أن النص يستدعى صورة آتوم فى هيئة خبرى و يخاطبه ب "خبرى – آتوم" .

و هناك نص آخر من نصوص الأهرام يؤكد هذه العلاقة الوثيقة بين آتوم و خبرى , و هو النص رقم 587 , و الذى يروى لنا كيف أن خبرى أتى للوجود من تلقاء نفسه . يقول النص :-

** تقدست يا آتوم .. تقدست يا خبرى .. يا من أتيت للوجود بذاتك , يا من خلقت نفسك بنفسك .. يا من ارتفعت على هيئة تل عالى (qay qaa) ... يا من أتيت للوجود على هيئة "خبرر" (kheprr) **

و الفعل يأتى للوجود "خبرر" يعنى أن ينشأ أو يتطور أو يتحول من تلقاء نفسه .

و عند استخدام الفعل لوصف آتوم فهو يعنى أن يصير مرتفعا .

و كما أوضح عالم المصريات جان أسمان , فان ذلك يعنى أن الكون انبثق من آتوم , أو بمعنى آخر أن آتوم تحول فصار هو نفسه الكون .

و المكان الذى قام فيه آتوم بعملية التحول و الصيرورة - طبقا لما ورد فى متون الأهرام - هو مدينة هليوبوليس (ايونو) , أو نسختها الأزلية .

و برغم أن متون التوابيت تكرر نفس الفكرة , الا أنها تقدم لنا رواية أخرى مختلفة بعض الشئ .

تصور لنا متون التوابيت الاله الخالق على هيئة روح تتحرك داخل مياه الأزل الساكنة "نون" , ثم تخرج للوجود من رحم أربعة كيانات الهية هى "ححو" (الفيضان) و "نو" (المياه) , و "ككو" (الظلمة) , و "تنمو" (الفوضى) .

و فى النص رقم 80 من متون التوابيت نقرأ هذه العبارات على لسان آتوم و التى تسرد لنا تفاصيل هامة عن قصة الخلق . يقول آتوم :-

** لقد أرسلت عينى حين كنت كامنا فى مياه الأزل , و حين لم يكن هناك موطئا لقدمى , و لا عرشا لأتبوأه ... حين لم تكن مدينة هليوبوليس قد أنشئت بعد لأسكنها .. حين لم تكن زهور اللوتس قد جمعت بعد فى باقاتها من أجلى ... و قبل أن أخلق "نوت" لتصير من فوقى , و ليتزوجها "جب" .. و قبل أن تولد صحبة الكيانات الالهية .. و قبل أن يأتى للوجود التاسوع الأزلى ليكون بصحبتى .. و هكذا خاطب آتوم نون قائلا : هاأنذا أطفو , مجهدا .. و الأسلاف (الأجداد) فى حالة سكون تام .. انه "جب" الذى يحيا و يمنح قلبى القوة و الحياة , حين يجمع أعضاء جسدى المجهدة **

هناك عدة أفكار جديرة بالاهتمام فى النص السابق .

<u>أولا</u> : يعتبر هذا النص من أوائل النصوص التى تتناول مفهوم العين , و هى أحد أشكال الربة الأم . و يعتبر وجودها هنا الى جانب آتوم فى مياه الأزل "نون" شيئا محيرا . لأن آتوم يفترض أنه خلق نفسه بنفسه حين كان وحده فى مياه الأزل .

<u>ثانيا</u> : هناك اشارة فى النص الى جمع أزهار اللوتس فى باقات من أجل آتوم . و هو تعبير مجازى (كما سنرى لاحقا) عن نشأة النور و الحياة على سطح المحيط الأزلى .

<u>ثالثا</u> : السطر الأخير من النص يشير الى جوارح آتوم و أعضاء جسده المجهدة .

و لأن "جب" (رب الأرض) هو الذى يجمع أعضاء جسد آتوم , فان هذا التشبيه بالقطع له علاقة بتشكيل التل الأزلى (انظر الفصل الرابع) .

لكى يتحول آتوم من حالة اللاوجود (not-being) و يصير كاملا (complete) كان عليه أن يخرج من الهاوية المائية "نون" و يتجلى فى السماء التى فوق الأرض . و أثناء عملية التحول و الصيرورة تجلى آتوم فى هيئة "رع" (رب الشمس/النور) .

يقدم لنا النص رقم 335 من متون التوابيت (و الذى ورد بصيغ مختلفة) و كذلك النص رقم 17 من كتاب الخروج الى النهار معلومات شيقة عن عملية التحول و الصيرورة التى صاحبت فعل الخلق

الأول .

و نلاحظ أن هذه النصوص مصحوبة بتعليقات و تفسيرات (دونها الكاتب المصرى القديم) , و هو أمر غير مألوف فى النصوص الدينية المصرية .

و النص فى الحقيقة أطول من أن نسرده هنا كاملا , و لكننا يمكن أن نسرد سطوره الأولى و التى تقول :-

** جاءت الكلمة للوجود .. كل شئ كان كامنا بداخلى حين كنت وحدى فى مياه الأزل .. كنت "رع" عندما تجلى للوجود أول مرة من ال "آخت" .. كنت "رع" فى اطلالته البهية عندما بدأ يحكم العالم الذى خلقه ... أتعرف ما يعنيه ذلك ؟ يعنى "رع" حين بدأ يحكم العالم الذى خلقه , و حين بدأ فى التجلى كملك , قبل أن تخلق أعمدة "شو" .... حين كان فوق التل الذى فى هرموبوليس .... حين تمكن من "الأبناء العاجزين" (الذين ينتمون الى هرموبوليس) و أخضعهم و أصبحوا تحت طوعه ... أنا الاله العظيم , الذى أتى للوجود بذاته .... أتعلم من هو ؟ هو مياه "نون" , و يقال أيضا أنه "رع" ... أنا الذى خلق اسمه بنفسه , رب التاسوع الذى ليس كمثله أحد بين الكيانات الالهية .... أتعلم من هو ؟ هو آتوم الذى يتجلى فى قرص شمسه ..... هو "رع" الذى خلق أسماءه و أعضاء جسده .... هذا هو ما يعنيه مجئ هذه التجليات الالهية للوجود , و ما جاء بعدها **

فى الحقيقة ان التعليقات و الشروح التى وردت فى النص لا تقل ابهاما بالنسبة للباحث فى عصرنا الحديث عن النص الأصلى .

و لكننا بوجه عام نستطيع أن نستنتج أن آتوم تحول وصار "رع" .

فالاله الخالق هو آتوم , عندما كان وحده فى مياه الأزل , ثم صار "رع" حين خرج من ال "آخت" الى السماء .

و فى الجزء الأخير من النص (و الذى لم نورده هنا) نقرأ أن آتوم بدأ بالخروج من "نون" و من ال "دوات" (العالم السفلى) الى حقول ال "ايارو" (البوص) فى الركن الشرقى من السماء .

أى أن الاله الخالق استعاد هويته باعتباره "آتوم" لحظة اطلالته الأزلية فى السماء فى هيئة "رع" .

و من الجدير بالانتباه ما ورد فى التعليق الأول من اشارة الى التل الأزلى , و نلاحظ أن مكان

التل (qaa) هنا هو هرموبوليس (الأشمونيين) و ليس هليوبوليس .

احتلت فكرة اخضاع أبناء هرموبوليس (الأطفال العاجزين) أهمية كبرى فى الديانة المصرية القديمة , لأن الكون بحاجة دائمة الى اعادة اخضاع قوى الفوضى .

يصف لنا النص أول ظهور لقوى الفوضى (و التى عبر عنها المصرى القديم لاحقا بأبوفيس أحيانا , و ب "ست" أحيان أخرى) فى الزمن الأول , و لكن على الفور تم اخضاعها بمجرد ظهورها و محاولتها عرقلة النظام الآخذ فى التشكل .

أطلق المصرى القديم على تلك القوى المعارضة للنظام اسم "الأطفال العاجزين" , فى اشارة لضعفهم و عجزهم أمام قدرة الاله الخالق .

و التعليق الثانى مثير للانتباه أيضا , لأنه يلقى الضوء على العلاقة بين آتوم و "رع" و "نون" (رب مياه الأزل) . لأن الاله يخلق نفسه بنفسه من مياه الأزل , أى أنه هو المياه نفسها .

بالنسبة لآتوم , تمتد هذه العلاقة لتشمل مياه السماء .

فالنص رقم 78 من متون التوابيت يصف آتوم بأنه هو نفسه المحيط السماوى .

أما النص رقم 437 من متون التوابيت , فيقول أن آتوم صعد من "نون" (مياه الأزل) الى المحيط السماوى .

أما التعليق الثالث فهو يشير الى ال "نترو" (التجليات الالهية) و التى تعرف باسم التاسوع (psdjt) , و هى بمثابة أعضاء جسد الاله الخالق و جوارحه .

<u>"شو" (أنفاس الحياة) :-</u>

نقرأ فى متون الأهرام أن "شو" انبثق من آتوم فى نفس اللحظة مع توأمه "تفنوت" .

و مع ذلك نجد فى متون التوابيت مجموعة من النصوص تعرف باسم "نصوص شو" , يتحدث فيها "شو" على لسان الاله الخالق و فى نفس الوقت يؤكد على أنه مخلوق من آتوم .

يوصف "شو" فى تلك النصوص بأنه هو الأب بالنسبة للكيانات الالهية , و بأنه هو الذى وضع بذرة الكيانات الالهية , و هو الذى حمل بداخله الملايين التى تعيد تكرار نفسها . بل أن هناك نص

واحد وصف "شو" بأنه هو الذى وضع بذرة آتوم , و هو شئ مثير للدهشة .

تقدم لنا "نصوص شو" نظرة فريدة لأسطورة خلق آتوم للكون و هى نصوص تستحق أن تدرس بعمق على حدة مع الوضع فى الاعتبار أن هذه النصوص كتبت من منظور "شو" و على لسانه .

و اليكم مقتطفات من هذه النصوص .

فى النص رقم 75 من متون التوابيت نقرأ أن "شو" كان روحا لا يعرف لها شكل , انبثقت من جسد آتوم . يقول النص :-

** أنا روح "شو" الاله الذى أتى للوجود بذاته ... جئت للوجود من جسد الاله الذى خلق نفسه بنفسه ... أنا روح "شو" الاله الذى لم يطلع أحد على صورته .. صنع جسدى من جسد الاله الذى خلق نفسه بنفسه **

و اذا عدنا لمتون الأهرام , نجدها قد وصفت جسد آتوم (الاله الذى أتى للوجود بذاته) بأن له فم و أنف و عضو ذكرى و يد . و نلاحظ أن آتوم استخدم كل هذه الأعضاء لكى يخرج التوأم "شو" و "تفنوت" للوجود .

و من تأمل النصوص ندرك أنه لا يوجد طريقة واحدة لكيفية اخراج آتوم لنسله من ذاته , و انما هناك طرقا متعددة .

يقول النص رقم 75 من متون التوابيت أن آتوم أخرج "شو" للوجود من أنفه و ليس من فمه و لا من قبضة يده .

بينما يقول النص رقم 76 من متون التوابيت أن آتوم عطس فأخرج "شو" من فمه . أى أن "شو" خرج للوجود من فم "آتوم" و ليس من رحم و لا من بيضة .

و فى النص رقم 77 من متون التوابيت نجد أن آتوم أخرج "شو" من ذاته بأن بصقه من فمه , بعد أن قام بالاستمناء و بلغ حالة من النشوة .

و يؤكد النص رقم 80 من متون التوابيت على أن آتوم أخرج "شو" من فمه بأن عطس , فى نفس اللحظة التى استخدم فيها يده .

و فى متون الأهرام نجد صدى لهذه الروايات المختلفة لكيفية خروج "شو" للوجود .

تقدم لنا نصوص "شو" التى وردت بمتون التوابيت معلومات هامة عن خلق السماء و هى بذلك تكمل الصورة التى رسمتها متون الأهرام التى أخبرتنا فقط بأن "شو" وقف أسفل نوت (السماء) فرفعها و فصلها عن الأرض , و هو هنا يقوم بدور الهواء أو الرياح .

يقول "شو" فى النص رقم 75 من متون التوابيت :-

*** ان ردائى هو أنفاس الحياة التى انبثقت منى و من فم آتوم ***

و فى النص رقم 76 من متون التوابيت نقرأ أن "شو" قد خرج للوجود بعد أن كان محبوسا فى هواء حنجرة طائر الفينيكس .

أما أكثر النصوص تفصيلا فهو النص رقم 80 من متون التوابيت و الذى يقول على لسان "شو" :-

** ان ردائى هو نفس الحياة , الذى انبثق من فم آتوم , و الذى يشق طريقى وسط الرياح . انا الذى أضأت السماء بالنور بعد أن كانت مظلمة ... جلدى هو ضغط الرياح , التى خرجت للوجود بعدى مباشرة من فم آتوم **

يستدعى النص صورة "شو" فى هيئة الهواء أو الغلاف الجوى و هو يقوم بفصل السماء بعنف عن الأرض و عن "نون" (مياه الأزل) صانعا فراغا بينهما هو الغلاف الجوى .

و يخبرنا النص رقم 67 و النص 78 من متون التوابيت عن تطور الأحداث , اذ يقول "شو" :-

** لقد رفعت ابنتى "نوت" (السماء) من فوقى , لأدنيها من جدها آتوم فى ملكوته , و جعلت "جب" (الأرض) تحت قدمى .... و وقفت بينهما .... أنا الخفى , فلا يستطيع التاسوع رؤيتى .... أنا روح "شو" التى تقف فوقها نوت و يقف تحت أقدامها "جب" ... و أنا بين الاثنين **

و هكذا تصور لنا النصوص "شو" و هو واقف فوق الأرض (جب) رافعا السماء (نوت) بذراعيه .

يبدو "شو" فى هذه النصوص على هيئة روح شفافة لا تدركها الأبصار , لذلك يطلق على "شو" فى العديد من النصوص الدينية لقب "الذى لم يطلع أحد على صورته" .

و من الأشياء التى تلفت الانتباه أن "نصوص شو" ربطت بين رفع السماء و بين تشكيل الأرض و تجمع الفيضان العظيم .

و قد جاء ذكر هذه الأحداث فى النص رقم 76 و النص رقم 79 من متون التوابيت بهذه العبارات على لسان شو :-

** يشكل "جب" الأرضين لأبى آتوم .... و يجمع له الفيضان العظيم **

** كان "شو" لا يزال فى ملكوته ... كان "شو" لا يزال ساكنا فى نون , حين لم تكن أرباب الأرض قد تشكلت بعد , و حين لم يكن فيضان آتوم العظيم قد خلق بعد ليستريح فيه **

نستنتج من النص أن التل الأزلى تشكل فى نفس الوقت الذى تشكل فيه الفيضان العظيم "ميحيت – ويريت" و هو الاسم الذى يطلق على المحيط السماوى الذى رفعه "شو" .

يصف النص رقم 80 من متون التوابيت "شو" بأنه "الروح التى فى مقدمة الفيضان العظيم , الذى يصعد للسماء كما اقتضت مشيئته" . و هذه العبارة تعطينا الانطباع بأن "شو" رفع الفيضان العظيم و جعل منه المحيط السماوى و وهبه لأبيه آتوم . و هى عبارة تذكرنا بالعبارة التى وردت فى النص رقم 76 و التى أخبرتنا أن "شو" قد رفع نوت (السماء) و وهبها لأبيه آتوم .

ثم استراح آتوم فى ذلك المحيط السماوى , أى أنه أصبح هو نفسه المحيط السماوى .

<u>أصل "شو" و "تفنوت" :-</u>

جاء فى متون الأهرم (نص رقم 527) :-

** آتوم هو ذلك الذى أتى للوجود , و هو الذى قام بالاستمناء فى "أون" (هليوبوليس) حين أمسك عضوه الذكرى و بلغ حالة من النشوة , و هكذا خلق التوأم "شو" و "تفنوت" **

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 600) :-

** لقد تحولت الى تل عالى يا "خبرى – آتوم" .. لقد ارتفعت على هيئة حجر ال "بن بن" .. عطست فخلقت "شو" , و بصقت فخلقت "تفنوت" **

جاء فى متون التوابيت (نص رقم 75) :-

** أنا "شو" , خلقنى آتوم بقلبه و صنعنى بقدرته ... أخرجنى مع أنفاسه من أنفه .... لم يخلقنى من

فمه و لا بقبضة يده , و لكنه أخرجنى من أنفه **

جاء فى متون التوابيت (نص رقم 76) :-

** أنا "شو" الذى خلقنى آتوم فى اليوم الذى أتى فيه للوجود . لم يحملنى رحم , و لم أتشكل داخل بيضة , و لم تحمل بى أنثى , و لكن أبى آتوم أخرجنى للوجود من عطسته فى نفس اللحظة مع أختى تفنوت **

جاء فى متون التوابيت (نص رقم 77) :-

** أنا روح "شو" , أول من خرج للوجود من نار النشوة التى خلقها آتوم بقبضته , حين قام بالاستمناء فخرج السائل المنوى (بذور الخلق) من فمه . و حين بصق فأخرج للوجود "شو" و "تفنوت" **

جاء فى متون التوابيت (نص رقم 80) :-

** أنا "شو" , أنا التكرار الأبدى , أنا الذى أحمل الملايين التى يعاد تكرارها للأبد ..... أنا من أخرجه آتوم للوجود حين عطس , أنا الذى خرجت من فم آتوم , حين استخدم يده **

و آخر نقطة تلفت انتباهنا فى نصوص "شو" هى خلق الأرباب الثمانية اللانهائيين "حح" , و الذين توكل اليهم مهمة مساعدة "شو" فى حفظ السماء مرفوعة .

تقول النصوص أن "شو" هو الذى خلق هذه الأرباب فى مياه الأزل وسط الفوضى و الظلمة , حيث قام بتشكيلهم من السوائل التى فى لحمه (أو من الهواء) .

و يقول أحد النصوص أن آتوم هو الذى خلق أسماء الأرباب الثمانية اللانهائيين .

و فى النص رقم 76 من متون التوابيت نقرأ أن الأرباب الثمانية اللانهائيين قاموا بصنع معراج لآتوم , ليتمكن من الصعود من الهاوية (نون) الى السماء . و هو نفس المعراج الذى استخدمه "شو" و من بعده مساعدوه "الثمانية اللانهائيون" الذين يضطلعون بمهمة رفع السماء .

ان حملة السماء الثمانية قد رفعوا من الهاوية الى السماء (بواسطة شو أو نون) ليصبحوا هم أعمدة السماء الأربعة , حيث يقف اثنان منهم فى كل جهة من الجهات الأربعة (الشمال و الجنوب

و الشرق و الغرب) .

لذلك يقال انهم يحتضنون السماء بأذرعهم من كل اتجاه , و يحفظونها مرفوعة عن الأرض .

<u>"نبر – دجر" (Neber-djer) , رب الحدود :-</u>

كان "نبر - دجر" (Neber-djer) فى الغالب أحد جوانب شخصية الاله الخالق آتوم , و قد وصفته متون التوابيت بأنه (neb-r-djr n pet) أى رب حدود السماء , و يعتبر "نبر- دجر" اختصارا لهذا الاسم .

يترجم اسم "نبر – دجر" عادة بمعنى رب الحدود و لكنه يعنى أيضا "رب كل شئ" أو "رب الكون" . وردت أسطورة خلق "نبر - دجر" للكون فى بردية "بريمنر ريند"

(Bremner-Rhind Papyrus) التى دونت فى العصر البطلمى , حوالى عام 310 قبل الميلاد , الا أن أصلها قد يعود الى عصر الدولة الحديثه .

تحاكى بردية "بريمنر ريند" الأسطورة التى تعود الى عصر الدولة القديمة و التى تقول أن آتوم أخرج من ذاته التوأم "شو" و "تفنوت" عن طريق الاستمناء و القذف . كما تسير أيضا على نهج الأسطورة التى تعود الى عصر الدولة الوسطى و التى تقول أن آتوم أرسل عينه للبحث عن أبنائه "شو" و "تفنوت" بعد أن ضلا طريقهما فى مياه الأزل .

تمزج بردية "بريمنر ريند" بين الأسطورتين فى رواية تحوى الكثير من المعلومات و التفاصيل التى تحمل رموزا روحانية .

و فى بردية "بريمنر ريند" نقرأ هذا النص على لسان الاله الخالق "نبر - دجر" :-

** أنا الذى خلقت نفسى بنفسى و أتيت للوجود على هيئة خبرى .. و عندما أتيت للوجود , جاء الوجود للوجود .... كل الأشياء أتت للوجود بعد أن أتيت أنا للوجود .... لقد أتى للوجود من فمى ما لا حصر له من الكائنات , قبل أن تأتى السموات و الأرض للوجود , و قبل أن يخلق أبناء الأرض (الحيات) فى ذلك المكان ... لقد شكلت جسدى من "نون" (مياه الأزل) , و من السكون , حين لم يكن هناك موطئ لتقف فوقه قدمى (أى لم يكن هناك شئ) . لقد بدأت الخلق بأن وعيته بقلبى ,

و تصورت كل ما سيأتى للوجود . لقد خلقت صورة كل شئ عندما كنت وحدى و لا موجود سواى , و قبل أن يأتى "شو" للوجود من عطستى , و قبل أن تأتى "تفنوت" للوجود من بصقتى , و قبل أن يأتى أى شئ للوجود ليعمل معى ... أردت الخلق بقلبى , فأتت للوجود أشياء لا حصر لها ....

أنا الذى قمت بالاستمناء بقبضة يدى , و احتضنت ظلى , و قذفت بذور الخلق من فمى , و عطست فخلقت "شو" , و بصقت فخلقت "تفنوت" **

و هناك عدة نقاط نستخلصها من هذا النص .

أولا : هناك تشديد على فعل "خبر" (khpr) و معناه "يأتى للوجود / يصير موجودا" , و هو يرتبط أيضا بالاسم "خبرو" (khpru) و معناه "الوجود أو التطور" .

و أحد السطور التى وردت فى النص يقرأ هكذا (khpr.i khpr khpru) , و معناه **"كان مجيئى للوجود هو مجئ الوجود للوجود"** . و كما أوضحنا سابقا , ان ذلك يعنى حدوث عملية تغير و تطور فى الهيئة , و هو المعنى الذى تعبر عنه صورة الجعران "خبرى" أو "خبرر" (Keprer) .

ثانيا : أن مدون هذا النص اقتبس من أسطورة "آتوم" و "شو" و "تفنوت" لكى يبرز بشكل خاص فكرة الخلق بالفم . و عند قراءة النص , نلاحظ أن "نبر- دجر" يقوم بالاستمناء مثل آتوم , و لكنه يقذف بذور الخلق من فمه و ليس من عضوه الذكرى . و فى نفس اللحظة التى يقوم فيها "نبر- دجر" بالاستمناء يخلق "شو" و "تفنوت" من فمه بالطرق التى وردت فى أسطورة آتوم , حين خلق "شو" من عطسة آتوم , بينما خلقت "تفنوت" من بصقته .

يعتقد الباحثون أن هذا النص (بردية بريمنر ريند) قد مزج بين أسطورتين منفصلتين , و لكن أيا كان أصل الأسطورة , فان من الواضح تماما أن مدون بردية بريمنر ريند أراد التركيز بشكل خاص على فكرة الخلق بالفم .

ثالثا : أن الحيات التى يتم تشكيل جسد "نبر- دجر" منها داخل "نون" (مياه الأزل) , تقابل ما يعرف ب "التاسوع الأزلى" أو "أسلاف آتوم" الذين ورد ذكرهم فى النص رقم 80 من متون التوابيت

باسم "اتباع رع" و هم أيضا الأعضاء أو الجوارح التى يتشكل منها جسد الاله الخالق الذين ورد ذكرهم فى النص رقم 335 من متون التوابيت .

و فى الحقيقة ان المعنى المقصود من هذه الحيات لا يتضح تماما من النص , و لكنه قد يكون رمزا لظهور مكان الوقوف أو عرش الاله وسط مياه الأزل , ألا و هو التل الأزلى .

يستمر "نبر- دجر" فى حديثه الذى ورد فى بردية "بريمنر ريند" , فيخبرنا عن الظهور الغامض للعين . و فى هذا الموضع يصبح النص فى غاية الصعوبة و التعقيد .

نقرأ فى بردية بريمنر ريند أن "شو" و "تفنوت" يقومان باحضار العين لأبيهما , بعكس ما ورد فى النص رقم 76 من متون التوابيت و الذى يخبرنا أن العين هى التى ذهبت للبحث عن "شو" و "تفنوت" بعد أن ضلا طريقهما فى مياه الأزل .

ثم تذرف العين الدمع فوق جوارح "نبر- دجر" , فتخلق البشر و النبات و كل ما يدب على الأرض.

و تروى بردية "بريمنر ريند" أيضا قصة أخرى طريفة عن العين الغيورة التى تحترق من الغضب فتولد منها عين أخرى , ثم تظهر كلتا العينان (irti) فى وجه الاله الخالق .

قد يكون ذلك تعبيرا مجازيا عن خلق الشمس و القمر , لأن كلمة "العينان" (irti) كانت تستخدم فى النصوص الدينية المصرية بوجه عام للدلالة على التوأم السماوى "الشمس و القمر" .

"رع" , رب الشمس :-

يوصف "رع" عادة بأنه رب الشمس , و اليه توكل مهمة تكرار فعل الخلق الأول , بأن يعود الى المحيط الأزلى "نون" بشكل متكرر ثم يخرج منه و يولد من جديد كل صباح فى الأفق الشرقى "آخت" . و مع ذلك فهناك العديد من النصوص التى تبتهل الى "رع" و تناجيه بوصفه الاله الخالق و منذ عصر الدولة الوسطى فصاعدا , نجد أن "رع" يلعب دورا هاما فى أساطير الخلق .

فى تلك الأساطير يظهر "رع" أحيانا باعتباره الصورة الثانية للاله الخالق , عل سبيل المثال نجد أن آتوم صار هو "رع" . أو يظهر فى أحيان أخرى باعتباره روحا خلقها الأجداد أو الأسلاف فى

الهاوية "نون" .

و فى بعض الأحيان يظهر "رع" باعتباره الصورة الأولى للاله الخالق .

و النص رقم 648 من متون التوابيت يعتبر من أقدم النصوص التى تتحدث عن "رع" كاله خالق .

يصف النص "رع" بأنه (الذى أتى للوجود بذاته) أو " الذى خلق نفسه بنفسه" (khpr-djs.f) ,

و بأنه (رب ال "آخت" فى يوم الأبدية) , أى رب الأفق .

يصف النص "رع" أيضا بأنه جمع سوائل بيضته (swht) , و ارتفع فى السماء بصحبة أرباب التاسوع . يقول النص :-

** يشرق "رع" و يرتفع و كأنه فيضان "نون" , و برفقته حاشيته من الحيات , و خلفه تاسوعه , و باواته (أرواحه) فى فمه , و هى بالملايين .... انه السحر الأزلى "حكا" الذى أتى للوجود بذاته .... هو الذى خلق الجبال , و صور ال "كبحو" (السماء) **

يؤكد النص أيضا أن "بت" (السماء العليا) كانت حبلى ب "رع" و أن "نوت" (السماء السفلى) هى التى ولدته . و بعكس ما يفكر عقل الانسان الغربى , فان العقل المصرى القديم لم يكن لديه أى مشكلة فى تصور نوت و هى تلد "رع" , برغم أن "رع" هو الاله الذى أتى للوجود بذاته و الذى خلق نفسه بنفسه .

فى عصر الدولة الحديثه ظهرت العديد من الأناشيد الدينية التى تبتهل ل "رع" باعتباره رب النور الذى خلق الكون . و هذه الأناشيد تتبع صيغا معينة تتكرر بشكل دائم , و يكفى أن نطلع على أحد أمثلتها لنتعرف على طبيعتها .

جاء فى أحد الابتهالات ل "رع" :-

** التحيات لك يا "رع" حين تشرق ... و التحيات لك يا "آتوم" حين تغرب ... عندما تشرق كل يوم يتجلى نورك و تضئ العالم باطلالتك البهية ... أنت ملك الكيانات الالهية , رب السماء

و الأرض و ما فيهما من مخلوقات .... أنت الواحد الذى أتى للوجود بذاته فى الزمن الأول ....

خالق الأرض و البشر .... خلقت نون (مياه الأزل), و خلقت النيل و كل البحار و الأنهار و وهبت

الحياة لكل ما هو تحت الماء من مخلوقات ... رفعت الجبال و منحت الحياة للبشر و القطعان .... أنت الكيان الالهى الذى يجدد شبابه ... رب الأبدية الذى خلق نفسه بنفسه ... أنت الواحد ذو التجليات التى لا حصر لها **

تعتبر أساطير خلق الشمس التى ظهرت فى عصر الأسرة ال 18 و ال 19 من أكثر القصص تشويقا و أكثرها ملاءمة للبحث الذى نقوم به .

فى احدى تلك الأساطير و تعرف باسم "كتاب البقرة السماوية" , يظهر "رع" و قد أصابته الشيخوخه فيقرر أن يرحل عن عالم البشر .

صعد "رع" على ظهر نوت بعد أن تحولت الى بقرة سماوية , و خلق حقلا هائلا من النجوم فوق بطنها . و بعد أن ارتفعت نوت بدأت فى الاهتزاز من شدة الارتفاع , فخلق رع الأرباب اللانهائيين (الذين ليس لهم نهاية) ليكونوا هم أعمدة السماء و جعلهم تحت رئاسة "شو" (رافع السماء) .

و هكذا اكتمل الخلق .

و قد اقتطفت من كتاب البقرة السماوية هذا النص الذى يلخص جوهر الأسطورة قائلا :-

** و قال جلالته (رع) : ليكن هناك حقلا لل "حتب" (القرابين / الرضا) , و هكذا جاءت حقول الحتب للوجود ..... و قال رع : سأقوم بجمع ال "ايارو" (البوص) فى تلك الحقول , و هكذا جاءت حقول الايارو للوجود .... و قال رع : سأملأ تلك الحقول بالنجوم اللامعة من كل الأشكال , و هكذا جاءت النجوم اللامعة "ايخخو" للوجود ..... ثم اهتزت "نوت" (السماء) من شدة الارتفاع , فقال جلالته (رع) : لقد اقتضت مشيئتى أن يكون هناك ملايين من الكيانات الالهية يحملون السماء , و هكذا جاء "اللانهائيون" للوجود ***

يحوى النص السابق معلومات هامة عن أصل الحقول السماوية و هى معلومات فريدة لا نجدها فى النصوص الدينية المصرية الأخرى .

و نستطيع أن نستشف من ذلك النص أن حقول ال "حتب" (القرابين / الرضا) هى المكان الذى تسكنه النجوم , و لذلك قد يكون "سيخيت – حتب" هو أحد أسماء السماء عند قدماء المصريين .

و فى أسطورة أخرى تعرف باسم قصة ايزيس و "رع" , نقرأ أن "رع" سقط مريضا بسبب حية ألقتها ايزيس فى طريقه . أصاب الوهن قلب "رع" و جوارحه , فأرسل فى طلب أبنائه من الكيانات الالهية ليساعدوه .

حاول الجميع مساعدته و لكن سحرهم لم يأت بفائدة . فايزيس فقط هى التى تستطيع مساعدته فى ازالة أثر السم لأنها هى "العظيمة فى السحر" .

و لكنها يجب أن تعرف الاسم الخفى (الأعظم) ل "رع" لكى تستطيع مساعدته .

يحاول "رع" تجنب افشاء سر اسمه الخفى لايزيس و يستبدل الاسم الأعظم بسرد صيغ أدبية تعدد انجازاته كخالق . و لكنه فى النهاية يخضع لرغبة ايزيس و يسمح لها بأن تبحث فى كل أعضاء جسده عن الاسم الخفى و تستخرجه . ثم يتبع ذلك تجلى الخلق للوجود .

يخبرنا النص أن "رع" يحيا بأن يخرج العين من فمه (أى يخرج الخلق من فمه) , و يخبرنا بأن عينيه قد انبثقتا منه , و عينا "رع" هما الشمس و القمر , أى أن هذه القصة تتحدث عن خلق الشمس و القمر .

<u>حورس ابن ايزيس :-</u>

تعتبر أسطورة حورس ابن ايزيس قصة قومية لكل أطياف الشعب المصرى , و هى تدور حول الصورة الأولية (archetype) أو نموذج النشأة الأولى للملكية فى مصر القديمة , و تصف الملك باعتباره صورة من حورس الذى يحكم من فوق عرش أمه ايزيس .

و القصة لا تعتبر من أساطير الخلق بالمعنى الدقيق , و لكننا نذكرها هنا لأنها تشرح لنا أصل فكرة الكيان الالهى حورس (صقر السماء) الذى ولد أعمى , و لكنه ملأ الكون نورا حين فتح عينيه , ألا و هما الشمس و القمر . و يعتبر موت أوزيريس هو المقدمة أو السبب فى ميلاد حورس , و قد ظهر أوزيريس فى هذه الأسطورة فى صورة جسد مذبوح صريع يرقد فاقدا للوعى نتيجة سقوطه أو نتيجة غرقه فى مياهه . و نجد هنا تشابها بين هذه الأسطورة و بين أساطير أخرى وصفت

أوزيريس بأنه يرقد فاقدا للوعى وسط الظلمة و الفوضى و مياه الفيضان , بينما تقوم ايزيس بدور المنقذ أو المخلص , حيث تعثر على أشلاء جسد أوزيريس و تعيد تجميعها و تمنحه طاقة الحياة و تنتشله من المياه . و فى نفس الوقت تتحد بجسده و تحمل منه بابنه و وريثه حورس بمعجزة الهية

و قد ذكرت متون الأهرام تلك الواقعة بشكل مقتضب فى اثنين من النصوص , جاء فيهما :-

** ها هى ايزيس تأتيك و قلبها ينبض بالحب , و بذورك تسرى فى جسدها **

*** لقد أتتك أختك ايزيس و قلبها ينبض بالحب , حين وضعتها فوق عضوك الذكرى لتسرى نطفتك فى جسدها **

و هناك ابتهال من عصر الدولة الحديثة يكمل لنا القصة و يشرح لنا كيف قامت ايزيس - و هى على هيئة طائر - باعادة احياء أوزيريس بأن منحته أنفاس الحياة بجناحيها , ثم حملت منه بحورس و ذهبت لتلده فى مكان سرى .

يقول النص الذى يعود لعصر الدولة الحديثه :-

** ايزيس هى القوية , التى قامت بحماية أخيها (أوزيريس) , و هى التى سعت فى أرجاء الأرض بحثا عنه و الحزن يعتصر قلبها .... و لم تهدأ الا بعد أن عثرت عليه , و عندها ألقت ظلا بريشها فوق جسده , و حركت الهواء فخلقت أنفاس الحياة و أطلقت صرخة الأنثى النائحة على أخيها .... و جعلت طاقة الحياة تسرى فى جسد "صاحب القلب الذى أضناه التعب" (أوزيريس) , و سحبت بذوره (سائله المنوى) من جسده الى جسدها , و هكذا خلقت الابن و الوريث (حورس) ..... ثم أرضعت طفلها فى عزلة فى مكان خفى , و حين اشتد ساعده , قادته الى قاعة "جب" (رب الأرض) **

و عند اجتماع المحكمة الالهية برئاسة "جب" أصدر أعضاء التاسوع حكمهم بأحقية حورس فى أن يرث عرش الأرضين خلفا لأبيه أوزيريس , فتوج بالتاج الأبيض و تولى حكم السموات و الأرض جميعا .



(ايزيس على هيئة حدأة تحمل بحورس من جسد أوزيريس الذى عاد للحياة)

وصف النص رقم 148 من متون التوابيت صعود حورس من رحم أمه ايزيس الى السماء على هيئة صقر بهذه العبارات :-

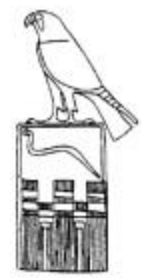
** انظرى أيتها الكيانات الالهية الى حورس ... أنا حورس الصقر الذى يقف فى حراسة قصر من من أخفى اسمه عن كل المخلوقات .... لقد حلقت عاليا فى السماء و بلغت ال آخت" (الأفق) و تجاوزت أرباب السماء ..... و جعلت مكانى أعلى من الأرباب الأزليين ..... لقد استخدمت طرق الأبدية لأبلغ الفجر .... و عندما أحلق أرتفع عاليا , و لا يستطيع أى كيان الهى آخر أن يفعل ما فعلت .... أنا حورس ابن ايزيس , الذى كان محروسا فى بيضته .... أنا حورس الذى مكانى أبعد من أن يصل اليه انس أو كيانات الهية .... أنا حورس ابن ايزيس **

يشبه النص رحم ايزيس بالبيضة (swht) .

يخبرنا النص فى البداية أن الرحم أو البيضة تم تخصيبها ببذور أوزيريس , أى بسائله المنوى , الذى تجلى فى ضوء البرق .

و كما أوضحنا من قبل , تتلخص لحظة الخلق التى قام فيها حورس بدور الاله الخالق فى فتح عينيه

(الشمس و القمر) اللتين ملأتا الدنيا نورا . و لكى يستطيع حورس أن يخلق العينين (الشمس و القمر) كان عليه أولا أن يحصل على العين "الواحدة / السليمة" و هو شئ لا يتأتى الا بخوض صراع ضد "ست" و هو أحد رموز الفوضى .





(حورس على هيئة صقر)

تخبرنا متون الأهرام أن "ست" سرق العين , اما من حورس أو من أبيه أوزيريس .

و لكى يكتمل خلق العالم بخلق الشمس و القمر , كان من الضرورى تصحيح ذلك الخطأ .

لذلك قام حورس بمصارعة "ست" , و استرد العين و مزق خصية ست , و قطع ساقه الأمامية و أجبره على الخضوع لأوزيريس فى العالم السفلى , و هكذا تمكن النظام من الهيمنة على الفوضى الكونية .

بتاح , مبدع الكون :-

بتاح هو الاله الخالق فى مدينة منف , و اسمها باللغة المصرية القديمة هو "من - نفر" و يعنى الجمال الأبدى , و كانت عاصمة مصر فى فترات طويلة من عصر الأسرات .

تضمنت أقدم النصوص الدينية المصرية (متون الأهرام و متون التوابيت) القليل من المعلومات عن بتاح , الا انه عرف منذ عصر الدولة الوسطى فصاعدا بأنه رب الابداع و ملهم الفنانين و المهندسين و البنائين .

و معنى اسم بتاح ليس معروفا على وجه الدقة , الا انه فى العصر المتاخر أصبح مرتبطا بالفعل "بتح" (pth) و معناه "يخلق" أو "يفتح / يبدأ" , لذلك يقال أن بتاح هو الفتاح , أو الأول , أو رب البدايات .

و من ألقاب بتاح لقب "الذى يقف جنوب حائطه" , و ربما كان ذلك اشارة الى الحائط الميثولوجى (الذى جاء ذكره فى احدى الأساطير) و الذى يفصل السماء عن جسد الاله .

و هناك العديد من النصوص التى تصف بتاح باعتباره الاله الخالق .

و لكن أهم هذه النصوص و أكثرها تفصيلا يعود لعصر الدولة الحديثه , و منها بردية هاريس العظمى التى تعود لعصر الأسرة ال 20 , و بردية برلين رقم (3048) التى تعود لعصر الأسرة ال 22 , و لوحة شباكا التى تعود لعصر الأسرة ال 25 .

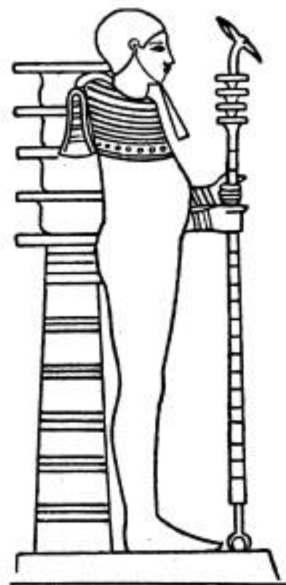
فى بردية هاريس العظمى نقرأ هذا الابتهال لبتاح و الذى يقول :-

** التحيات لك أيها العظيم الأزلى "تا تنن" , أبو الكيانات الالهية , الاله العظيم منذ بداية الزمن الأول ... الذى صور البشر و الكيانات الالهية ... الذى أوجد التحول و الصيرورة فى الزمن الأزلى (الذى كان قبل بداية الزمان) ... أنت الأول الذى أتت كل الأشياء للوجود بعد أن أتى هو للوجود ... الذى شيد السماء كما اقتضت مشيئته و كما أراد قلبه , ثم رفعها فوق ذراعى "شو" (رب الهواء) ... و الذى خلق الأرض بأن شكلها بنفسه , ثم أحاطها ب "نون" (مياه الأزل) و بالبحار ... الذى خلق ال "دوات" (العالم السفلى) و طهر الموتى .... الذى جعل "رع" يرتحل فى ال "دوات" (العالم السفلى) ليعيد الحياة للموتى . و لذلك كان "رع" هو رب التكرار الأبدى "نحح" و رب الاستمرار الأبدى "دجد" **

و نلاحظ أن هذا النص قد دمج بين بتاح و بين "تا تنن" و هو أحد تجليات الاله الخالق التى ارتبطت بمدينة منف , و اسمه يعنى "الأرض التى ارتفعت" أو بمعنى أدق "الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل" .

يشير النص الى أن بتاح ارتفع من مياه الأزل (نون) على هيئة "تا تنن" , قبل أن يرفع السماء فوق الأرض .

و يظهر "شو" هنا فى دوره المعتاد باعتباره رافع السماء , بينما يظهر "رع" فى دوره المعتاد أيضا كرب للشمس (أو للنور بوجه عام) يقوم بتكرار فعل الخلق الأول أثناء ارتحاله عبر السموات و ال "دوات" (العالم السفلى) .



(بتاح فى هيئته المعتادة , مقيدا بلفائف المومياء , و خلفه عامود ال "دجد")

يظهر "تا تنن" أيضا فى بردية برلين رقم (3048) و التى يطلق عليها أحيانا اسم "أنشودة بتاح" , و التى تقدم لنا المزيد من المعلومات عن خلق الأرض , اذ يقول النص :-

** لقد شكلت الأرض , و جمعت جوارحك .... و عانقت أعضاء جسدك .... و كنت وحدك و لا موجود سواك حين صنعت عرشك و صورت الأرضين .... حين وقفت فوق الأرض فى سكونها , جمعت أجزاءها و وحدتها .... صنعت كل ذلك فى هيئة "تا تنن" الذى وحد الأرضين **

فى هذا النص - كما فى بردية هاريس العظمى - نجد أن بتاح يأتى بالمخلوقات للوجود بأن يهندسها أو يبنيها أو يصهرها (كما يفعل الحداد) , و لذلك عرف عنه أنه الصانع الماهر , أو الحداد .

أما فى النص الثالث و هو لوحة شباكا (و المعروف أيضا باسم نظرية ممفيس لنشأة الكون) , نجد أن بتاح يخلق الكون بقلبه و لسانه , بأن يقدر المشيئة بقلبه , ثم ينطق أسماء الأشياء من بين شفتيه و أسنانه فيستدعيها للوجود .

للأسف لا يذكر النص تفاصيل الخطة الالهية , و لكنه يطلعنا على نشأة الكيانات الالهية , و التى قيل أن بتاح حملهم بداخله و أخرجهم معه للوجود حين ارتفع من مياه الأزل على هيئة "تا تنن" (الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل) .

جاء فى لوحة شباكا :-

** بتاح هو الذى خلق كل شئ , و أتى بالكيانات الالهية للوجود ... هو بحق "تا تنن" (الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل) الذى أنجب الكيانات الالهية التى انبثق منها كل شئ ..... و هكذا تشكلت الكيانات الالهية فى صورها , من كل نوع و شكل , من الخشب و كل أنواع الأحجار و الفخار و كل ما ينبت فوق الأرض ... و هكذا اتخذت الكيانات الالهية هيئتها فى كل المخلوقات .... و هكذا جمعت كل الكيانات الالهية و كاواتها (أجسامها الأثيرية) لرب الأرضين و اتحدت به راضية **

تكمن أهمية هذا النص فى أنه يوضح لنا أن الكيانات الالهية ولدت من التل الأزلى بعد أن ارتفع من مياه الأزل (نون) .

<u>خنوم (الفخرانى / المصور) :-</u>

"خنوم" هو اسم الاله الخالق فى جزيرة اليفانتين , و يطلق عليها باللغة المصرية القديمة اسم "آبو" (Abu) , و هى جزيرة تقع بالقرب من الشلال الأول عند حدود مصر الجنوبية .

كان قدماء المصريين يكتبونه "خنمو" (Chnmu) و قد يكون مشتقا من الفعل "خنم" (chnm) و معناه يصل أو يربط أو يحمى .

كانت جزيرة اليفانتين فى نظر قدماء المصريين هى المكان الذى ينبع منه النيل و يفيض ليمنح الخصوبة للأرضين . و هذا الفيضان الأرضى بدوره ينبع من مصدر آخر هو "نون" (مياه الأزل)

التى توجد فى باطن الأرض و التى تتصل بجزيرة اليفانتين عن طريق كهوف تحت الأرض .

لذلك ارتبط رب هذه الجزيرة و هو "خنوم" ارتباطا وثيقا بمنابع النيل .

يتحدث خنوم فى أحد النصوص الدينية المصرية القديمة باعتباره صورة أخرى أو جانب آخر من جوانب شخصية كل من "نون" (مياه الأزل) و "حابى" (رب النيل) , قائلا :-

** أنا الاله الذى أتى للوجود بذاته و خلق نفسه بنفسه ..... أنا "نون" العظيم الذى جاء للوجود فى الزمن الأول .... أنا "حابى" الذى أرتفع و أفيض كما اقتضت مشيئتى **

ارتبط خنوم بكل من الماء و الأرض و أيضا بالمعادن الموجودة فى منطقة أسوان , و لذلك عرف عنه أنه رب الفخار , الذى يشكل الأشياء و يصورها كما يشكل الفخرانى الآنية من الطين على عجلته .



(خنوم يصور البشر من الطين على عجلته)

وصفته متون الأهرام بأنه هو الذى صنع قاربا كونيا ضخما و معراجا للسماء يطلق عليه اسم "معراج خنوم" .

و بعد انتهاء عصر الدولة القديمة ظهر خنوم فى الفن المصرى فى صورة الاله الذى يشكل المخلوقات من الطين بيده كما يشكل الفخرانى الأوانى على عجلته .

يرمز خنوم أيضا للروح الكامنة فى كل أشكال الخلق و قد عبر قدماء المصريين عن ذلك بالقرون الأفقية و التى تعتبر من أقوى رموز الخصوبة .

للأسف , لا يوجد لدينا أسطورة طويلة تتحدث عن خلق خنوم للكون , و لكن هناك بعض النصوص من عصر الدولة الحديثة تحوى ألقاب خنوم .

و برغم أن هذه الألقاب موضوعة فى صيغ معينة لأهداف دينية مثل الانشاد و الابتهال , الا انها تقدم لنا معلومات قيمة عن قصة الخلق .

و من ألقاب خنوم التى وردت فى نصوص من عصر الدولة الحديثة :-

** مصور البشر , و الكيانات الالهية , الأب الذى كان موجودا فى الأزل .

** خالق كل ما هو موجود , و ما سوف يأتى للوجود .... أب كل الآباء , و أم كل الأمهات

** جد كل الكيانات الالهية , رب الكائنات التى خلقها من ذاته , خالق السماء و الأرض و ال "دوات" (العالم السفلى) , و خالق المياه و الجبال .

** الذى يرفع السماء فوق أعمدتها الأربعة , و يبقيها مرفوعة الى الأبد .

<u>آمون (المحتجب) :-</u>

آمون هو الاله الخالق فى مدينة طيبة , و اسمها باللغة المصرية القديمة "واست" , و كانت أحد أهم المراكز الدينية فى مصر القديمة فى عصر الدولة الوسطى و الدولة الحديثه .

و اسم "آمون" يعنى المحتجب أو الذى يخفى نفسه .

جاء ذكر آمون بشكل مقتضب فى متون الأهرام فى اثنين من النصوص , حيث ذكره النص الأول بشكل غامض باعتباره زوجا ل "آمونيت" , بينما وصفه النص الثانى بأنه رب العرش الذى يجلس عليه ملك الأرضين (مصر) , و ربما كان ذلك العرش رمزا للتل الأزلى .

أما فى عصر الدولة الوسطى و الحديثه , فقد ظهرت العديد من الأناشيد و الأدعية التى تبتهل

لآمون بوصفه الاله الخالق , و تعكس هذه النصوص المكانة الرفيعة التى بلغتها مدينة طيبة كعاصمة لمصر فى تلك الفترة .

و من بين هذه النصوص هناك نص طويل ملئ بالتفاصيل يعرف باسم بردية لايدن أو أنشودة آمون العظمى و التى تجمع العديد من الكيانات الالهية التى شاركت فى خلق الكون تحت مظلة آمون .

لا يمكننا سرد الأنشودة هنا كاملة لأنها طويلة جدا , و انما يمكننا التركيز على أربعة من نصوصها التى تلقى الضوء على أسطورة الخلق .

فى الفصل ال 80 من بردية لايدن نقرأ هذا النص :-

** أخفيت جسدك حتى عن الأزليين ..... جعلت نفسك محتجبا (آمون) و حاكما للكيانات الالهية .... أتيت للوجود بذاتك على هيئة "تا تنن" لكى يولد التل الأزلى من هذا التجلى الأزلى ..... ظهر حسنك للوجود على هيئة "كا - موت – اف" (ثور أمه) , و رفعت نفسك للسماء فى صورة الشمس .... أتيت للوجود من لا شئ , حين لم يكن هناك عالم , فى الزمن الأول .... و كل الكيانات الالهية أتت للوجود من بعدك **

هناك عدة نقاط شيقة فى هذ النص .

<u>أولا</u> : من المفترض أن الأزليين خلقوا من التل الأزلى "تا تنن" (راجع أسطورة بتاح تا تنن)

<u>ثانيا</u> : ان رفع "كا - موت – اف" يرمز لرفع الحجر المقدس (اقرأ الفصل الحادى عشر) .

<u>ثالثا</u> : ان الاله الخالق يبدو أنه تطور أو تحول من تل أزلى الى شمس .

<u>رابعا</u> : يشير السطر قبل الأخير الى أن الكون كان موجودا فى الأزل فى حالة سديمية غير مكتملة التشكيل يمثلها آمون نفسه , و أن الخلق لم يأتى من عدم و انما انبثق من ذات الاله .

و فى الفصل التسعين من بردية لايدن نقرأ هذا النص :-

** أنت الأول ... أنت من بدأ البداية ... يا آمون , يا من لم يطلع على سره أى من الكيانات الالهية ..... يا من تجلى فى الشمس التى خرجت من مياه الأزل , لكى يجدد طاقته .... أنت الذى أخرجت "شو" و "تفنوت" معا من ذاتك فى هيئة آتوم حين عطست .... يا من تجلى على هيئة نور فى الزمن الأول , حين كانت كل المخلوقات ما زالت كامنة , خاشعة له ...... أنت الذى أطلق صيحته

فى مدينته على هيئة أوزة عظيمة , حين كان وحده و لا موجود سواه , ثم بدأ يتحدث فى قلب السكون , ليفتح كل عين و يمنحها البصر .... و بدأ يصيح , بينما العالم كله غارق فى السكون , فطافت صيحته أرجاء الدنيا حين كان وحده و لا رفيق له , ليخلق بذلك كل ما هو موجود و يمنحه الحياة **

يخبرنا هذا النص أن الشمس ولدت من مياه الأزل , و نفس السطر يؤكد على أن دور الشمس فى منظومة الخلق هو أنها تجعل الكون يجدد طاقته , و ذلك بأن ترتحل فى السماء و فى الدوات , كما أوضحنا من قبل . أما السطر التالى فهو مقتبس من أسطورة آتوم مما يدل على أن أساطير الخلق فى مصر القديمة كانت مرنة و يمكن فيها تبادل المواقع و أن كل أسطورة لم تكن حصرية لكيان الهى معين دون غيره من التجليات الالهية الأخرى (لاحظ اقتباس فكرة اخراج "شو" و "تفنوت" من فم الاله فى حركة أشبه بالعطس) .

ثم تلى ذلك خلق النور , و هو ليس نور الشمس و انما هو نور روح الخالق التى خرجت من ظلمة "نون" (مياه الأزل) .

و أخيرا يخبرنا النص أن ذلك النور الالهى الذى شق قلب الظلمة كان مصحوبا بصوت شق السكون و الأوزة العظيمة هنا ربما كانت أحد رموز "جب" رب الأرض , الذى قالت عنه الأساطير الأخرى أنه اتخذ هيئة أوزة و وضع بيضة الكون . أما المدينة أو المنطقة "سواو" (swau) التى أطلقت فيها الأوزة العظيمة صيحتها فيعتقد أنها هى التل الأزلى .

أما الفصل رقم مائة من بردية لايدن فيعطينا تفاصيل أكثر عن أصل آمون . يقول النص :-

** هو الذى أتى للوجود فى الزمن الأول .... هو آمون الذى خلق نفسه بنفسه فى البدء .... هو الذى لا يعرف كنهه أحد .... لم يأت قبله للوجود أى كيان الهى , و لم يكن معه أحد ليطلع على صورته ... لم تلده أم و لم يضع بذرته أب .... هو الذى شكل بيضته بنفسه .... هو القدرة الالهية التى لم يطلع أحد على سرها .... هو الذى خلق حسنه بنفسه .... هو الكيان الالهى الذى أتى للوجود بذاته , و كل الكيانات الالهية الأخرى أتت للوجود بعده **

يؤكد هذا النص على أن آمون خالق لذاته أو موجود بذاته .

و برغم أنه أتى للوجود من بيضة , الا أن هذه البيضة لم تضعها أم و لم يخصبها أب , و انما شكلها آمون نفسه , لذلك يقال عنه أنه هو الذى خلق بيضته بنفسه .

اقتبس هذا النص من نص دينى آخر تحدث عن فكرة الخلق من البيضة و وصف آمون بأنه هو الذى مزج بذوره بجسده و صنع منهما بيضته حين كان وحده فى الأزل و لا موجود سواه , و يطلق على هذه البيضة "خبرو خبرو" (kheperu kheperu) أى الذى يحمل بذور الخلق بداخله .

و آخر المقتطفات التى نوردها من بردية لايدن من الفصل رقم 200 , حيث يقول النص :-

** جسده هو أوزيريس , الذى اتحد به "رع" , العظيم الذى يسكن هليوبوليس .... و يطلق عليه أيضا "تا تنن" ... هو آمون الذى خرج من مياه الأزل ليرشد البشر ... و من تجلياته الذين ينتسبون لمدينة هرموبوليس (الأشمونيين) .... هو الأزلى "باؤتى" (pauti) الذى أخرج من ذاته الأزليين "باؤتيو" (pautiu) الذين كانوا سببا فى ميلاد "رع" .... هو الذى أكمل ذاته فى "آتوم" (الكامل) و اتحد بجسده ..... هو "نبر- دجر" الذى أوجد الوجود **

يربط هذ النص بين آمون و بين مجموعة من أهم تجليات الاله الخالق , فجسده هو أوزيريس (الذى يتحد معه رع فى هليوبوليس) .

و من تجلياته أيضا "تا تنن" (التل الأزلى) , و أيضا آتوم (الوجود الكامل) , و أيضا "نبر - دجر" (حدود الكون اللانهائية) , و أيضا الأزلى .

و من الأشياء التى تلفت الانتباه فى هذا النص أنه يصور "رع" باعتباره أحد صور الاله الخالق التى تنتمى للجيل الثانى أو المرحلة الثانية من مراحل الخلق . يقول النص أن "رع" ولد من الأزلى (و هو أحد صور آمون) .

أما الذين ينتمون لمدينة هرموبوليس فهم كيانات الهية أسطورية , و ربما كان النص يقصد بهم القوى الالهية الثمانية المعروفة باسم ثامون هرموبوليس (الأشمونيين) .

حورس و شبتيو :-

صادفنا فى بحثنا من قبل حورس ابن ايزيس , الصقر الذى خرج من الرحم أو البيضة و حلق فى السماء ليصبح هو الاله العظيم الذى فى السماء , و عيناه هما الشمس و القمر .

و لكن فى بقية المراكز الدينية المصرية كان حورس أحد رموز الاله الخالق و هو رمز يعود الى عصور عتيقة وليس له علاقة واضحة بأسطورة ايزيس و أوزوريس .

و أحد هذه الأساطير العديدة التى تتناول حورس كاله خالق نشأت فى مدينة "ادفو" و اسمها باللغة المصرية القديمة هو "ويتجيسيت - حور" (Wetjeset-Hor) و هى المكان الذى نشأ فيه حورس .

يحوى معبد حورس بادفو – والذى شيد فى العصر البطلمى – مجموعة من النصوص التى يطلق عليها "نصوص معبد ادفو" و هى تعتبر من أهم أساطير الخلق فى مصر القديمة و أكثرها تفصيلا.

اعترف العديد من الباحثين بصعوبة هذه النصوص لكونها تتشكل من مقتطفات تم تجميعها من مصادر و مراكز دينية مصرية مختلفة و تحتوى على مجموعة كبيرة من الكيانات الالهية .

و برغم ذلك يمكننا أن نستخلص منها أسطورة رئيسية تتحدث عن خلق الصقر حورس للكون بالاشتراك مع مجموعة من الكيانات الالهية يطلق عليها اسم "شبتيو" (Shebtiu) .

و برغم أن هذه النصوص دونت فى زمن حديث نسبيا (حوالى عام 250 قبل الميلاد) الا انها بالتأكيد تستند الى نصوص دينية مصرية أقدم بكثير من العصر البطلمى .

تبدأ الأسطورة بمياه الأزل و يطلق عليها هنا اسم "حبت" (hbbt) و بها منطقة يطلق عليها اسم "واريت" (waret) و هى عبارة عن مستنقع راكد من البوص .

كان الظلام يكتنف كل شئ , و لكن فجأة امتلأت مياه ال "واريت" بالنور الساطع , و طفت عيدان البوص فوق سطح المياه .

و فى نفس اللحظة ظهر الكيان الالهى "حتر - حر" (Heter-Her) و هو أحد أشكال حورس و حلق فوق المياه الأزلية , كما ظهر اثنان من قادة ال "شبتيو" يطلق عليهما "وا" و "عا"

(Wa and Aa) و صنعا قاربا من عيدان البوص الطافية فى مستنقع ال "واريت" و جعلا منه مسكنهما .

و الحدث التالى يكتنفه الغموض , و لكنه يرمز بوجه عام لبعث الاله الخالق .

انقسمت عيدان البوص الطافية فوق سطح المياه الى قسمين , انغرس أحدهما فى المياه صانعا حقولا من البوص تغمرها المياه .

يطلق على هذا البوص اسم "العامود الذى يرفع الاله" و فى نفس الوقت يعتبر هو المجثم "دجبا" (Djeba) الذى يأوى اليه الصقر حورس و لذلك كان من ألقاب حورس "رب ال دجبا" (Lord of Djeba) . يقال أن مجثم حورس أو ال "دجبا" يقع فى مكان يطلق عليه "ويتجيسيت - نتر" (Wetjeset-Neter) , و هو المكان الذى يرتفع فيه الاله أو يصعد الى السماء .

و يقول نص آخر من نصوص ادفو أن الصقر ارتفع للسماء فوق شجرة صفصاف تتوهج بالضياء .

فى ذلك الزمن كان الفيضان ما زال يغمر حقول البوص و لم تظهر بعد الأرض الصلبة .

و لكن ال "شبتيو" قاموا بطقس سحرى منحوا فيه مكونات الأرض طاقة و بمجرد أن نطقوا تعاويذهم بدأت المياه فى الانحسار و بدأت الأرض فى الظهور .

و انتهت تلك الأحداث بخلق التل الأزلى العظيم و الذى يطلق عليها أيضا اسم المكان العظيم و منطقة الدائرة المغلقة .

لسؤ الحظ تتضمن نصوص ادفو اشارات قليلة حول خلق السماء و الأجرام السماوية .

و هى تركز بشكل رئيسى على خلق الأرض .

و لكن ذكر التل الأزلى العظيم أو منطقة الدائرة المغلقة قد يكون أيضا اشارة الى خلق مدارات الشمس و القمر و النجوم حول الأرض .

بالاضافة الى اشارات أخرى مثل هذ النص الذى يقول :-

** و بعد أن أكمل ال "شبتيو" دورهم فى الخلق أبحروا , و اتحد الصقر بالسماء ***

و على أية حال , فان من الموضوعات التى تتكرر عادة فى الأساطير المصرية فكرة طيران الصقر حورس للسماء ليصبح رب السماء و عيناه هما الشمس و القمر .

الأزليون و زهرة اللوتس العظيمة :-

تشتمل نصوص معبد ادفو على أسطورة أخرى من أساطير الخلق و هى أسطورة قلما ذكرت فى كتب علم المصريات .

تظهر هذه الأسطورة فى معبد ادفو فى مشاهد تقديم قرابين زهور اللوتس , و هى تستند الى تراث مدينة هرموبوليس (الأشمونيين) فيما يتعلق بنشأة الكون و الذى سنناقشه لاحقا .

تحوى هذه الأسطورة الكثير من التفاصيل , و يمكننا أن نستخرج منها مجموعة من الصور و الأشكال التى تصف مراحل تطور الحياة و المادة داخل المحيط الأزلى و ما أعقبها من ظهور لما يعرف ب "الجزيرة الأزلية" .

و كما هى العادة فى كل قصص الخلق المصرية , تبدأ هذه الأسطورة بمياه الأزل "نون" و التى يهيمن عليها الظلام .

و فجأة تظهر على مسرح الأحداث مجموعة من الكيانات الالهية تعرف باسم "باؤتيو" (Pautiu) , أى "الأزليين" , و تتلخص مهمتهم فى تخصيب منطقة باطنية داخل "نون" تعرف باسم "بننت" (bnnt) . يخاطب النص هؤلاء "الأزليين" قائلا :-

** لقد غرستم بذرتكم فى "بننت" (bnnt) , فقمتم باخصابها بالعضو الذكرى الذى أدخلتموه الى رحم "نون" , فأصبح الاثنان واحدا **

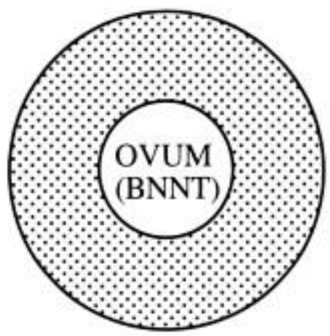
توصف منطقة "بننت" (bnnt) بأنها مكان متميز أو منفصل داخل "نون" , أشبه بالرحم أو البويضة الغير مخصبة . و بعد اخصابها بواسطة الأزليين تتحول "بننت" (bnnt) من بويضة غير مخصبة الى بيضة (swht) , لذلك يقال عن "الأزليين" أنهم هم (أول من وضع البذرة و أول من خلق البيضة) .

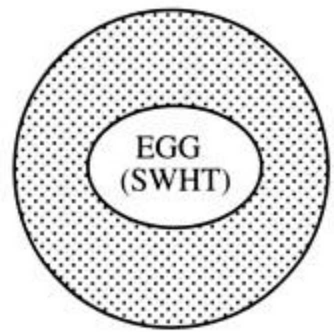
و بمواصلة قراءة نصوص ادفو نجدها تشير الى "جزيرة البيضة" (iw swht) , و يمكننا أن نتخيلها على هيئة بيضة تطفو وسط مياه الأزل "نون" و كأنها جزيرة .

ثم يتخذ الأزليون من جزيرة البيضة مسكنا لهم , و هناك يبدأون فى خلق أشكالهم و أجسادهم المادية , و التى يتم صقلها فى مرحلة تالية لتصبح أشكالا نهائية .

ثم بعد ذلك تبدأ جزيرة البيضة التى يسكنها الأزليون فى الارتفاع من قاع "نون" الى سطحها , لتخترق السطح أو تنقره كما ينقر الطائر البيضة من الداخل ليخرج منها , و هكذا يخرج للوجود طائر النور .

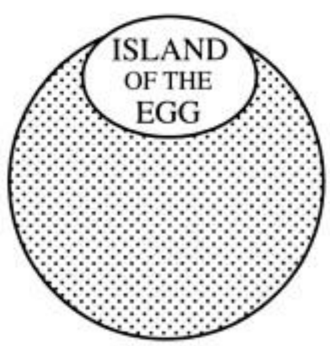
<u>مراحل تطور جزيرة الخلق :-</u>





المرحلة الأولى : بويضة غير مخصبة داخل نون (bnnt)

المرحلة الثانية : بويضة مخصبة تتحول الى بيضة (swht)





المرحلة الثالثه : بيضة تطفو فوق سطح نون

المرحلة الرابعة : بيضة تفقس و تخرج منها زهرة لوتس



المرحلة الخامسه : ميلاد طفل النور حورس من زهرة اللوتس

و تعتبر لحظة ميلاد النور هى اللحظة الفارقة فى هذه الأسطورة , و هى اشارة أو صورة مجازية للحظة ميلاد النجوم و الشمس و القمر . و فى اللحظة التى تفقس فيها البيضة - أو جزيرة البيضة - تكتسب اسما جديدا هو "جزيرة اللهيب" (iw nsrsr) و هو اسم يعبر عن ميلاد النور .

و داخل هذه الجزيرة توجد بحيرة يخرج منها الاله الخالق على هيئة زهرة لوتس عظيمة (nkhb wr) . يطلق على زهرة اللوتس العظيمة لقب "باؤتى تبى" (pauti tpi) , أى "أول الأزليين" , الذى كان موجودا قبل الأزليين .

تشرح النصوص الطريقة التى تخرج بها زهرة اللوتس العظيمة من البحيرة فتقول أن ذلك يحدث من خلال أشكال أو أجسام الأزليين التى تشكلت داخل البيضة .

فى أحد مشاهد تقديم قرابين اللوتس بمعبد ادفو نقرأ هذا النص المصاحب الذى يخاطب الأزليين قائلا :-

** استقبلوا هذا الكيان الالهى الذى يسكن فى بحيرته , لقد انبثق من أجسامكم على هيئة زهرة اللوتس العظيمة التى خرجت من بحيرة جزيرة اللهيب .... هنا الموضع الذى خرج فيه النور

للوجود فى الزمن الأول على هيئة تل مرتفع (qay qaa) , حين بدأ الخلق **

و فى مشهد آخر من مشاهد تقديم قرابين اللوتس بمعبد ادفو يقول النص المصاحب :-

** استقبلوا هذا الكيان الالهى الذى يسكن بحيرته , الذى خلق النور فى الزمن الأول .... زهرة اللوتس العظيمة التى خرجت من بحيرة جزيرة اللهيب , فى أرض البداية **

تبتهل هذه النصوص لزهرة اللوتس العظيمة باعتبارها خالق النور (نور النجوم و الشمس و القمر) . و فى نفس الوقت كان الأزليون أيضا مبجلين باعتبارهم خالقى النور , لأنهم هم الذين أخرجوا زهرة اللوتس العظيمة من أعماق مياه الأزل .

تصف نصوص ادفو الأزليين بهذه العبارات :-

* أرباب النور و الاشراق و ضوء الشمس

* أول من أشرق و منح الضياء

* أرباب النور الذين أضاءوا هذه الأرض , حين خرجوا للوجود معا

* الذين صنعوا النور بأيديهم

تصف النصوص خروج الأزليين للوجود بأنه يتضمن حلول الروح فى أجسادهم داخل تلال الأرضين (iawt n tawi) . لذلك يقال أن الأزليين هم الذين خلقوا أنفسهم و انبثقوا من ذاتهم .

تقول نصوص ادفو أيضا أن "رع" هو رب النور . و فيها نقرأ أن ("رع" أتى للوجود فى البحيرة العظيمة من قلب زهرة لوتس صعدت من أعماق "نون" الى سطحها) ..

و فى نص آخر نقرأ أن "رع" أتى للوجود على هيئة طفل خرج من بيضة فقست , فخرجت منها زهرة لوتس يجلس فوقها طفل النور .

و من الجدير بالانتباه هنا أن "رع" يظهر فى هذه النصوص كقدرة الهية تنتمى للجيل الثانى من الخلق و يتم تصويره على هيئة طفل أو صبى .

و تقول النصوص أيضا أن "رع" أحرق كل شئ فى محيط البيضة الأزلية عندما ولدت عيناه المتوهجتان من جزيرة اللهيب .

أى أن نور "رع" لا يقتصر على الشمس فقط و انما يشمل أيضا ضوء القمر , حيث توصف الشمس و القمر فى النصوص الدينية المصرية بأنهما عينى الاله الخالق .

و أخيرا , يلفت انتباهنا الطبيعة المتناقضة للأزليين . ففى بعض الأحيان تصفهم النصوص بأنهم مجموعة من القوى الكونية المذكرة , و لا يوجد بينهم أنثى . و فى أحيان أخرى تصفهم بأنهم أزواج , منها المذكر و منها المؤنث , و بأنهم "هم الآباء الذين وضعوا البذرة , و الأمهات اللاتى ولدن" , و بأنهم "هم الثيران التى لقحت , و البقرات اللاتى حملن الأجنة" , و بأنهم "هم الأرباب الذين خلقوا النشوة الجنسية , و الربات اللاتى حملن البيضة المخصبة" .

و تلك الفكرة الأخيرة هى التى سنناقشها فى الجزء اللاحق الذى يتناول أسطورة الثامون .

ثامون الأشمونيين :-

الثامون هو مجموعة تتألف من ثمانية من القوى الكونية أو الكيانات الالهية , و تنسب دائما الى مدينة هرموبوليس (الأشمونيين) و اسمها باللغة المصرية القديمة هو "خمنو" (Khmnu) و معناه مدينة الثمانية أو مدينة الثامون , و هى واحدة من أقدم المراكز الدينية فى مصر القديمة .

يتكون الثامون من أربعة أزواج من القوى الكونية كل زوج منها يمثل أحد جوانب الحالة السديمية التى سبقت الخلق , و الأزواج الأربعة هم :-

* نون و نونت : المياه / الفيضان
* حح و حوحت : اللانهائية
* كك و كوكت : الظلمة
* آمون و آمونيت : الخفاء / الرياح الخفية

كان الفنان المصرى القديم يصور القوى الكونية المذكرة من أعضاء الثامون على هيئة ضفادع (أو بشر برؤوس ضفادع) , و القوى الكونية المؤنثه منهم على هيئة حيات (أو سيدات برؤوس حيات) .

تبدأ أسطورة الثامون كما هو معتاد فى أساطير الخلق المصرية بالمحيط الأزلى "نون" الذى لا

يسبر غوره و الذى تهيمن عليه الظلمة . و فجأة تظهر رياح غامضة تقوم بتحريك مياه الأزل الساكنة فتخلق بذلك دوامة من الطاقة .

و بعد أن كانت قوى الثامون فى حالة من التفكك/التحلل و التراخى (السكون) تبدأ فى التحرك و الاقتراب من بعضها البعض لتمتزج معا فى كيان واحد هو تل مرتفع أو قطعة من الأرض تم تشكيلها من الطين الموجود فى قاع "نون" .

ترتفع هذه الأرض من مياه الأزل على هيئة تل (qay) , يخطو فوقه الثامون ليخلق النور .

لذلك يقال عن قوى الثامون أنهم هم (الأباء و الأمهات الذين صنعوا النور) , و أحيانا يقال أنهم هم (الرجال و السيدات الذين خلقوا النور) .

و أحيان أخرى يقال أنهم هم (المياه التى خلقت النور) .

يقال عن الثامون أيضا أنهم هم الآباء و الأمهات الذين ولدوا "رع" , و المقصود هنا هو نور الخلق (النور الخالق) و ليس نور قرص الشمس التى ترى بالعين المجردة .

هناك روايات عديدة مختلفة لأسطورة الثامون , و كلها تتمركز حول فكرة ميلاد "رع" و التى تشكل جوهر الأسطورة و ذروة أحداثها . حيث يوصف "رع" أحيانا بأنه خرج من بيضة و أحيان أخرى بأنه خرج من زهرة لوتس تطفو وسط بحيرة فى جزيرة اللهيب بمدينة هرموبوليس (الأشمونيين) .

و هنا نجد تشابها بين أسطورة الثامون و بين قصة زهرة اللوتس العظيمة التى جاء ذكرها فى نصوص معبد ادفو و التى أخرجها الأزليون من بحيرة فى جزيرة اللهيب التى خلقت النور فى الزمن الأول .

تؤكد نصوص ادفو هذه العلاقة , حيث نجد أن أحد النقوش تتحدث عن الأزليين و فى نفس الوقت تقوم بتصوير قوى الثامون . و قد تكرر ذلك فى موضعين , و فى كل مرة نقرأ أن الاله الخالق قد ارتفع من هاوية "نون" و أشرق نوره على الوجود كنتيجة لتفاعل مجموعة من القوى الكونية التى امتزجت معا فى وحدة واحدة .

الأم الكونية :-

كان الاله الخالق فى مصر القديمة يصور فى الغالب على هيئة كيان مذكر يقوم بفعل الخلق وحده . و لكن هناك بعض أساطير الخلق أولت أهمية كبرى لقوة كونية مؤنثه عملت جنبا الى جنب مع الاله الخالق .

و فى النصوص الدينية التى استعرضناها فى السابق صادفنا العين التى يكتنفها الغموض و التى أخرجها آتوم من هاوية "نون" (مياه الأزل) . و لاحظنا كيف ظهرت الربة ايزيس كمحرك أساسى لأحداث نشأة الكون و أعادت الحياة لأوزيريس و حملت بحورس و ولدته .

و فى أسطورة الثامون نجد أن أربعة من قوى الثامون هم عبارة عن قوى كونية مؤنثه .

و هناك العديد من أساطير الخلق المصرية التى تتضمن تفاصيل أكثر و تعلق أهمية أكبر على دور الربة الأم فى عملية الخلق .

و فى هذا الجزء من الكتاب سنستعرض بشكل سريع دور اثنين من أهم رموز الأم الكونية و هما حتحور و نيت .

تمتعت حتحور بشعبية كبيرة فى كل أنحاء مصر طوال تاريخها القديم , و لكن مركزها الدينى الرئيسى كان مدينة دندرة و اسمها باللغة المصرية القديمة هو "ايونيت" و معناه مدينة العامود .

كانت حتحور مقدسة فى مدينة "ايونيت" (دندرة) منذ العصر العتيق فى أقدم أشكالها و هو البقرة , رمز الخصوبة و الأمومة .

و كلمة حتحور باللغة المصرية القديمة تعنى بيت حورس أو قصر حورس و الذى يعتقد الباحثون أنه يشير الى صفحة السماء التى يحلق حورس فوقها . كما تؤكد ألقاب حتحور هذا المعنى الذى يعبر عنه اسمها , و من تلك الألقاب "ربة السماء" , و "الذهبية" و "ربة النجوم" .

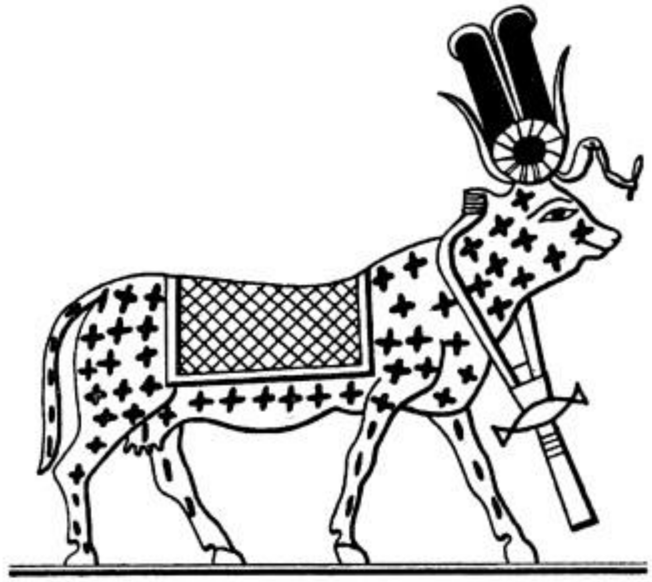
لم نعثر فى النصوص الدينية المصرية على أسطورة كاملة تحكى عن قيام حتحور بخلق الكون , و لكننا عثرنا على مقتطفات و نصوص متفرقة تشير لدور حتحور فى عملية الخلق .

و أقدم هذه النصوص نجدها فى متون التوابيت من عصر الدولة الوسطى , و هى تتناول صعود حتحور للسماء , حيث يقول أحد نصوص التوابيت :-

** ها هى حتحور تصعد فى ال "آخت" (الأفق) , و من حولها حاشيتها , ينسجون لها ثوبا .....
تنشق الجبال , و ينفلق الحجر و تنفتح كهوف حتحور على مصراعيها لكى تصعد حتحور فى هيئتها الفيروزية **

و تصف نصوص معبد ادفو الزواج المقدس بين حتحور و حورس الكبير , و تحوى تلك النصوص ابتهالات لحتحور تصفها بأنها هى "التى خلقت الكيانات الالهية" و هى "التى خلقت البشر" و هى "التى صورت الحيوانات" , و هى "التى خلقت كل أنواع القرابين و النباتات" .

تحكى نصوص معبد ادفو أن حتحور بعد أن تزف من معبدها بدندرة الى حورس الكبير فى معبده بادفو تحمل منه ابنا و تلده هناك , و هذا الابن هو "حور - سما – تاوى" أى حورس الذى وحد الأرضين .



(حتحور فى هيئة بقرة جسدها مرصع بالنجوم)

و هناك أسطورة أخرى تتحدث عن دور حتحور كأم كونية , و هى أسطورة تحولت الى رواية يتم تمثيلها فى دندرة و فيها تقوم حتحور بانجاب طفل مقدس يطلق عليه فى دندرة اسم "ايحى" و معناه

العازف و يظهر فى الفن المصرى على شكل طفل يمسك بيده صلاصل حتحور و يعزف بها .

تحدثت متون التوابيت عن ميلاد الطفل "ايحى" من بيضة حتحور أو من رحمها و صعوده للسماء فى أحد النصوص . حيث نقرأ هذه العبارات على لسان الطفل "ايحى" :-

** أنظر .... لقد أتيت للوجود .... أنا رب الحاشية ... أنا عازف الصلاصل , ابن حتحور .... أنا البذرة العظيمة .... لقد ولدت من بين فخذى أمى السماوية , و كان اسمى "ابن آوى الذى أتى بالنور" ... لقد خرجت من البيضة , و انزلقت من دمها .... أنا رب الدماء .... أنا الثور الهادر ..... أنا ابن أمى .... أنا الصبى اليافع , ابن حتحور ..... أنا من كنت ساكنا فى "نون" (مياه الأزل) **

و هنا تظهر لنا مرة أخرى العلاقة الوثيقة بين "نون" (مياه الأزل) و بين البيضة الكونية .

و ربما كان اسم حتحور يحمل دلالات تشير لدورها كربة أم . فقد جاء فى أحد النصوص الدينية أن الطفل الوليد داخل جسدها , داخل بيت حورس الذى أعد له , و لذلك كان اسمها حتحور أى بيت حورس .

تظهر حتحور فى العديد من النصوص الدينية المصرية و كأنها صورة أو نسخة أخرى من ايزيس التى خرج من بيضتها (رحمها) الصقر الالهى حورس .

يكتب اسم حتحور بالهيروغليفية على شكل صقر يقف داخل مربع يمثل بيتا أو قصرا أو رحما () , ليعبر عن ملكوت حورس و هو السماء , و أيضا عن المكان الذى وضعت فيه بذرة حورس و هو الرحم .

توصف حتحور أيضا بأنها "ربة الغرب" "حتحور آمنتت" , أى ربة العالم السفلى الذى يختفى عن أنظارنا تحت خط الأفق الغربى . و بالاضافة الى دور الربة الأم , تلعب حتحور أيضا دورا كبيرا فى الدورة الكبرى التى تنظم موت و ميلاد المخلوقات من جديد فى الطبيعة .

يقول المؤرخ الانجليزى ادوين أوليفر جيمس (E. O. James) أن حتحور هى الأم العظمى للعالم , أو هى الطبيعة الأم , هى القدرة الكامنة فى الطبيعة على خلق حياة جديدة .

لذلك وصفت حتحور فى الفكر الدينى المصرى بأنها هى أم الكيانات الالهية فى السماء و الأرض فكل الكيانات الالهية هى عبارة عن صور متعددة للأم الكونية حتى و ان قدسهم قدماء المصريين بأسماء و هيئات مختلفة .

أما "نيت" فهى أيضا واحدة من رموز الربة الأم , و مركزها الدينى هو مدينة "سايس" بالدلتا (صا الحجر , مركز بسيون , محافظة الغربية) , و اسمها فى الأصل "ساو" (Sau) و ربما كان لهذه الكلمة علاقة بالحماية و لذلك يمكن أن تكون مدينة "ساو" هى مدينة الحماية أو مدينة الحراس.

افترض بعض الباحثين ان اسم "نيت" يعنى المياه الأزلية , و قد يعنى أيضا "المرعبة" أو "التى تثير الرعب" لأنها كانت دائما تحمل القوس و السهم .

بقدوم عصر الأسرة الرابعة (دولة قديمة) كانت "نيت" هى ربة السماء السفلى التى تحمل "رع" فى رحمها و تلده من جديد كل يوم فتعيد بذلك تكرار قصة الخلق .

وصفت "نيت" فى النصوص الدينية التى تنتمى لعصر الدولة القديمة بأنها (الأم الكونية التى حملت ب "رع") و بأنها (الأزلية) , و بأنها (أم الكيانات الالهية التى أشرقت فى الأزل) .

و فى العصر المتاخر حملت "نيت" لقب (أب كل الآباء , و أم كل الأمهات) و هو لقب يتكرر فى النصوص الدينية المصرية و تم اطلاقه على العديد من الكيانات الالهية الأخرى مثل آمون و بتاح .

اعتقد قدماء المصريين أن "نيت" أتت للوجود حين لم يكن هناك أى موجود سواها , و كل الأشياء أتت للوجود بعد أن أتت هى للوجود .

"نيت" هى التى وضعت بذرة الانس و ال "نترو" (الكيانات الالهية) . و قد قدسها قدماء المصريين باعتبارها رمزا للاله الواحد و أيضا للأم العذراء التى قامت وحدها بفعل الخلق الأول .

أما الأسطورة الكاملة التى تتناول خلق الكون على يد "نيت" , فنجدها فى معبد خنوم باسنا , و هو معبد يعود للعصر الرومانى .

و فى هذه الأسطورة نقرأ أن "نيت" خرجت من مياه الأزل و خلقت التل الأزلى بأن نطقت اسمه , ثم استقرت فوق التل الأزلى و هو المكان الذى شيد فوقه معبد خنوم باسنا .

و بعد أن تبوأت مكانها فوق التل الأزلى , خلقت "نيت" النور و الكيانات الالهية و تنبأت بميلاد طفل سيصير هو رب الشمس (رب النور) .

و قد اكتمل الخلق حين ولد هذا الطفل و ارتفع من ال "آخت" (الأفق) و أشرق على العالم باطلالته البهية .

نظرة عامة على قصة الخلق :-

ما الذى يمكننا أن نستنتجه من أساطير الخلق المتعددة فى مصر القديمة ؟

اذا كان انطباع القارئ الغير متخصص عنها انها محيرة , فاننا نلتمس له العذر لأن المتخصصين أيضا يرونها محيرة .

و مع ذلك يمكننا أن نخرج من هذه القراءة السريعة لأساطير الخلق المصرية بخطوط عريضة و سمات عامة تشكل معا اطار يساعدنا على فك شفرة ما خفى من جوانب قصة الخلق .

تتلخص هذه السمات العامة فى هذه النقاط :-

* تتفق كل أساطير الخلق المصرية على أن الكون قبل الخلق كان فى حالة أزلية سديمية توصف بأنها محيط أزلى و يطلق عليها اسم "نون" , و يبدو أن هذا المحيط الأزلى كان يحوى بداخله المادة الخام للخلق و التى شبهتها النصوص الدينية المصرية بالطين و البوص .

* كانت عناصر الخلق كامنة فى المحيط الأزلى فى حالة سكون , الى أن بدأت روح الاله الخالق تتحرك داخل مياه الأزل و تحرك معها عناصر الخلق بعد أن كانت ساكنه .

* تقول بعض أساطير الخلق أن الاله الخالق كان وحده فى مياه الأزل , بينما تقول أساطير أخرى أنه كان بصحبة أم كونية أو جمع الهى . فى الحالة الأولى يخلق الاله ذاته , أما فى الحالة الثانية فهو يخرج من رحم أم كونية أو يأتى للوجود نتيجة تفاعل مجموعة من الكيانات الالهية يطلق عليهم اسم الآباء و الأمهات (كما فى أسطورة الثامون) . و يعتبر ذلك من أعقد أشكال التناقض فى النصوص الدينية المصرية و أكثرها غموضا .

* كان ظهور التل الأزلى أو الجزيرة الأزلية من مياه الأزل هو أول أشكال التغير الملموس فى

عملية الخلق . و يبدو أن هذه الأرض الصلبة قد تشكلت فى قاع مياه الأزل قبل أن تخرج للوجود و تطفو على السطح . توصف هذه الأرض فى النصوص الدينية المصرية بأنها تل أزلى أو بيضة أو جزيرة من اللهيب , و قد رمز لها قدماء المصريين بأحد الكيانات الالهية و هو "تا تنن" (الأرض التى ارتفعت) . جاء فى نصوص معبد ادفو أن هذه الأرض الصلبة اتخذت فى البدء هيئة مستنقع من البوص , ثم بعد ذلك جفت و تحولت الى أرض صلبة و أصبحت هى "الأرضين" .

و الحدث الذى أعقب ظهور التل الأزلى يشكل أهمية كبرى فى فهم قصة الخلق برغم أن النصوص الدينية المصرية قد ذكرته بشكل غامض و مبهم . فقد ذكرت احدى أساطير الخلق المصرية أن التل الأزلى قد انشق و انفتح كالبيضة أو الرحم لحظة الولادة , و كانت تلك هى اللحظة التى ولد فيها "رع" , أو بمعنى أدق اللحظة التى ولد فيها النور .

بشكل ما يمكننا أن نقول ان هذه الأحداث هى التى أفضت الى خلق السماء و الأجرام السماوية .

جاء وصف خلق المحيط السماوى فى أسطورة "شو" (التى وردت فى نصوص "شو" بمتون التوابيت) .

تناولت هذه النصوص خروج "شو" من جسد آتوم اما عن طريق القذف كما يقذف السائل المنوى خارج الجسم أو عن طريق العطس , ثم وصفت دوره فى فصل السماء عن الأرض و ابقائها مرفوعة , و هكذا خلق الغلاف الجوى .

و فى نفس الوقت نلاحظ أن النصوص تركت دور "تفنوت" (توأم شو) مبهم و غامض , كما أنها لم تشرح بالتفصيل كيف ظهرت الشمس و القمر و النجوم فى السماء .

تحمل النصوص بعض الاشارات لهذه الأحداث الهامة , و لكن هذه الأحداث لم تجذب انتباه علماء المصريات فلم يعيروها الانتباه الكافى و لم يحاولوا دراستها بالتفصيل و لذلك سنوليها عناية أكبر فى فصول الكتاب القادمة .

لعب "رع" دورا رئيسيا فى خلق السماء . و "رع" فى نظر علماء المصريات هو رب الشمس , وهو الاله الخالق لذاته . و برغم أن "رع" يظهر فى بعض الأساطير فى دور الاله الخالق , الا أنه

فى نفس الوقت يظهر فى أساطير أخرى ككيان الهى ينتمى للجيل الثانى من الخلق , و هو ما سعيت الى ابرازه فى هذا الفصل من الكتاب .

ان "رع" فى الغالب لا يخلق و انما هو يظهر أو يشرق أو يطل على العالم , و هذه الاطلالة تتزامن مع خلق النور . و المقصود هنا ليس خلق الشمس , لأن الشمس لم تكن قد ظهرت بعد للوجود فى هذه المرحلة الأولى من مراحل خلق الكون . و النور المقصود هنا هو النور الأزلى , نور الخلق (نور الخالق) .

و تفسير ذلك نعثر عليه فى النص رقم 17 من كتاب الخروج الى النهار , و الذى يقول على لسان الاله الخالق :-

** كنت آتوم , عندما كنت وحدى فى مياه الأزل و لا موجود سواى .... و كنت "رع" فى اطلالته البهية حين بدأ يحكم العالم الذى خلقه **

و لذلك من النادر أن نعثر على نصوص تتناول "رع" فى مياه الأزل فى حالة ما قبل الخلق .

حيث أن أول ظهور ل "رع" فى البدء كان على هيئة خبرى , الاله الخالق لذاته , و هو فى الأصل أحد رموز الخلق و ليس رمزا للشمس كما يعتقد الكثيرون .

و الى هنا ينقسم الطريق الى شعبتين .

فعلم المصريات الأكاديمى يقول أن الديانة المصرية القديمة كانت ديانة شمسية و أن اله الشمس "رع" هو خالق الكون . و برغم أن علم المصريات يعترف بأهمية مفهوم الخلق فى الفكر الدينى المصرى , الا انه عاجز عن ادراك المفاهيم الكونية التى تعبر عنها أساطير الخلق المصرية , و لذلك يصفها بأنها مجموعة غير مترابطه من القصص البدائية الخالية من المعنى .

و لا يعترف بأن هذه القصص المتشابكة يمكن ان تكون أساسا للديانة المصرية .

و انا أدعو القارئ أن يتحرر من هذه النظرة التقليدية للديانة المصرية .

و ما أسعى اليه فى هذا الكتاب هو أن أثبت للقارئ أن الاله فى مصر القديمة هو الاله الخالق , و ليس الشمس كما يعتقد الكثيرون . الاله الخالق هو القدرة الالهية اللامتناهية التى يستمد منها الخلق وجوده و التى قامت بفعل الخلق .

و لكى نعرف هوية الاله الخالق علينا أن نبحث عنها فى أساطير الخلق المصرية و التى تشكل معا نظرية واحدة تتناول أصل الكون و نشأته , و هو ما يخالف الاعتقاد السائد فى علم المصريات .

ان المنطق الذى يستند اليه علم نشأة الكون فى مصر القديمة قد أصاب الباحثين بالحيرة و عجزوا عن استيعابه و ذلك لسببين :

أولا : لأن قدماء المصريين لم يقوموا بتدوين هذا العلم بالأسلوب العلمى الذى نعرفه فى عصرنا الحديث و انما دونوه بأسلوب فريد هو الأسطورة .

ثانيا : بسبب الاختلاف الكبير بين طريقة تفكير انسان الحضارات القديمة و انسان العصر الحديث .

و هدفى من هذا الكتاب هو تحليل هذه الفلسفة و العلوم القديمة التى جاء ذكرها فى أساطير الخلق بحيث تبدو مفهومة لعقولنا , و وضع هذه الأساطير فى مكانها الصحيح فى قلب الديانة المصرية القديمة .

أما اله الشمس , فانى لا أقصد التقليل من أهميته بالنسبة لقدماء المصريين , و انما هدفى هو اثبات أن دور اله الشمس لا يتضح الا اذا وضعناه فى سياق ديانة النشأة (و ليس ديانة الشمس) .

و ديانة النشأة هى الديانة التى تهدف كل طقوسها و ممارساتها الى اقامة الماعت (حفظ النظام الكونى) عن طريق اعادة تكرار قصة الخلق .

ملخص الفصل الثالث :-

* حان الوقت لنضع جانبا نظرية الديانة الشمسية التى هيمنت على علم المصريات طوال القرنين الماضيين , و أن نوجه اهتمامنا بشكل أكبر لمغزى قصة الخلق فى مصر القديمة .

* علينا أن نفرق بين دور الاله الخالق و بين دور اله الشمس فى مصر القديمة . فالاله الخالق هو الذى بدأ فعل الخلق الأول , أما اله الشمس فهو الذى أوكل اليه الاله الخالق مهمة حفظ الكون .

* هناك العديد من صور (تجليات) الاله الخالق فى أساطير الخلق المصرية المتنوعة .

* برغم بعض التناقضات التى تبدو لنا لأول وهلة عند النظر لأساطير الخلق المصرية , الا أن هناك سمات عامة تجمع بين كل هذه الأساطير , و هذه السمات تتلخص فى :

أصل كل شئ يعود الى المحيط الأزلى "نون" , ظهور جزيرة (iw) أو تل (iat) من داخل المحيط الأزلى , و هذا التل الأزلى أصبح بعد ذلك هو الأرض (ta) , ثم أعقب ذلك انفصال السماء عن الأرض و عن المحيط الأزلى .

* ان "رع" الذى يفترض علم المصريات انه اله الشمس يظهر فى أساطير الخلق المصرية بوصفه رب النور (التجلى الظاهر للاله الخالق) .

الفصل الرابع

قوة الأرض

يقول عالم المصريات "هنرى فرانكفورت" فى كتابه الديانة المصرية القديمة الذى نشر فى عام 1948 ميلادية :-

** اعتقد قدماء المصريين أن الجعران يخلق ذاته من الأرض , و لذلك اتخذوه رمزا للاله الخالق لذاته **

يعتقد علماء المصريات أن الشمس هى المركز الذى يدور حوله الكون فى مصر القديمة , و فى نفس الوقت هى المنبع الذى جاء منه الكون .

و عند تفسيرهم لقصة الخلق يقولون أن اله الشمس هو الذى خلق الكون بأن بدأ يتحرك داخل ظلمة و سكون المحيط الأزلى , و أن اله الشمس هو الذى خلق التل الأزلى , و أن اله الشمس هو الذى صارع قوى الفوضى الأزلية و أخضعها , و أن اله الشمس هو الذى فصل السماء عن الأرض ثم صعد للسماء ليحكم منها الكون الذى خلقه .

يقول عالم الآثار البريطانى "ستيفن كويرك" (Stephen Quirke) فى كتابه "ديانة رع" (The Cult of Ra) :-

*** ان الأدلة الأثرية التى قام العلماء بجمعها من مصادر مختلفة و من فترات زمنية مختلفة تمتد لحوالى ثلاثة آلاف عام من تاريخ مصر القديم تقدم لنا صورة واحدة متجانسة للخلق باعتباره هبة الشمس و انعكاسها ***

كيف يمكن لهذه النظرة التقليدية لأساطير الخلق المصرية أن تتفق مع نظرتنا لقصص الخلق كما ناقشناها فى الفصل السابق .

نعم هناك أسطورة من أساطير الخلق قالت بأن "رع" هو الذى خلق الكون . و لكن فى أغلب الأساطير يظهر "رع" فى صورة كيان الهى ينتمى للجيل الثانى من الخلق , فهو يوصف أحيانا بأنه ابن آتوم , و أحيان أخرى بأنه ابن الأزليين أو ابن الثامون . و هناك نصوص عديدة تؤكد ذلك .

فقد وصف "رع" فى متون التوابيت بأنه انبثق من الربات اللاتى يتخذن هيئة الضفدعة .

كما وصفته احدى الابتهالات بأنه ابن "تا تنن" و "نونت" , و قالت نقوش معبد المدامود بالأقصر أن الأرباب الأجداد أو الأسلاف هم الذين أتوا ب "رع" للوجود فى موضع ما من التل الأزلى .

أما فى أقدم النصوص الدينية المصرية (ألا و هى متون الأهرام) فلا نكاد نعثر على أى نص ينسب فعل الخلق الأول ل "رع" . و بدلا من "رع" , نجد أن متون الأهرام تنسب فعل الخلق الأول الى آتوم أو خبرى .

أما النصوص الدينية التى ظهرت فى عصر الدولة الحديثه فهى فى الغالب تنسب فعل الخلق الأول الى أحد الكيانات الالهية الغير شمسية (أى التى لا تتعلق بمنظومة الشموس) مثل بتاح و خنوم و آمون .

اذن , على أى أساس افترض علماء المصريات أن الخلق هو فعل من أفعال الشمس ؟

تكمن اجابة هذا السؤال فى الأحكام المسبقة التى تهيمن أحيانا على عقل الباحث و تجعله يقفز لنتائج بدون أدلة كافية .

طوال قرنين من الزمان و منذ نشأة علم المصريات ظل العلماء يعتقدون أن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية , و أن رب الشمس فى الفكر الدينى المصرى هو الاله الخالق .

بدأ كل ذلك بفرضية ظلت تتردد كثيرا الى أن اكتسبت مصداقيتها من كثرة الترديد و أصبحت فى نظر الكثيرين حقيقة .

و من أمثلة الأحكام المسبقة أيضا الفرضية التى تقول بأن مدينة "أون" (هليوبوليس) هى مدينة الشمس و أن آتوم هو رب الشمس و كذلك خبرى .

و هكذا أقنع الباحثون أنفسهم أن الخلق هو فعل من أفعال رب الشمس . و فى هذا الفصل من الكتاب أود أن أناقش هذه الفرضيات .

و لنأخذ على سبيل المثال الفرضية التى تقول أن "أون" (هليوبوليس) هى مدينة الشمس .

و "أون" هى العاصمة الدينية لمصر القديمة و مركز تقديس آتوم و "رع" . و اذا كانت أون هى مركز الديانة الشمسية فان ذلك يؤيد الفرضية التى تنسب فعل الخلق الأول لرب الشمس . و لكن فى الحقيقة لا يوجد أدلة كافية لتأكيد هذه الفرضية .

و لنبدأ باسم المدينة "هليوبوليس" و الذى يعنى مدينة الشمس , و هذه الكلمة هى فى الحقيقة كلمة يونانية و ليست مصرية . و الكثير من الباحثين (و منهم أصحاب خلفية أكاديمية) ينظر لهذا الاسم باعتباره حقيقة مطلقة فقط لأنه يتناسب مع الحكم المسبق الذى يسيطر عليهم و الذى يفترض أن آتوم و رع هم أرباب الشمس .

و لكى نستطيع الاقتراب من الفكر الدينى الذى نشأ فى هذه المدينة علينا أن نبحث فى الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين أنفسهم على مدينتهم , و هو "ايونو" (Iunu) , و يكتب باستخدام رمز هيروغليفى على هيئة عامود , أى أن مدينة "ايونو" أو "أون" هى مدينة العامود .

بالطبع لا يوجد سبب يجعلنا نفترض أن العامود هو رمز الشمس .

ففى الأساطير المصرية بوجه عام نجد أن العامود (أو التل الأزلى) يرتبط برفع السماء و بصعود الاله الخالق اليها .

اذن مدينة "ايونو" تحمل اسما يرتبط بحجر ال "بن بن" و الذى يعتبر أحد رموز الخلق (ربما كان رمزا للعضو الذكرى لآتوم الذى انبثقت منه بذور الخلق) . لذلك فالأجدر بنا أن نقول أن مدينة "ايونو" هى مركز "ديانة النشأة" و ليست مركزا لديانة الشمس .

لا ننكر أن الشمس كانت مقدسة فى مدينة أون , و لكن هذه القداسة لا تستند الى الافتراض بأن الشمس هى التى أتت فعل الخلق الأول , و انما تستند هذه القداسة الى الدور الذى تلعبه الشمس فى اعادة تكرار قصة الخلق . و هذا التكرار (نحح) هو الذى يضمن للكون الاستمرار (دجد) .

و هذا ما يفسر لنا وجود رموز دينية نجمية و أيضا قمرية فى مدينة أون جنبا الى جنب مع الشمس التى ترمز لتكرار قصة الخلق بشكل دائم .

و هذه الفكرة ليست جديدة على علم المصريات . ففى عام 1959 ميلادية كتب راندل كلارك

(R. T. Rundle Clark) يقول :-

*** كان معبد مدينة "أون" الذى يحوى فناؤه حجر ال "بن بن" مركزا للطقوس الدينية المتعلقة بدورات الزمن , و رمزا لصعود الاله الخالق للسماء , و هو المكان الذى تقام فيه طقوس اعادة قصة الخلق ***

و لكن أفكار "راندل كلارك" عن قصة الخلق المصرية لم تلقى الاهتمام الكافى بسبب هيمنة النظرية الشمسية .

و من الأفكار التى يجب اعادة النظر فيها أيضا وصف آتوم و خبرى بأنهما من أرباب الشمس .

لا ننكر أن آتوم و خبرى قد أصبحا رموزا للشمس , حيث يرمز خبرى لشروق الشمس , بينما يرمز آتوم لغروبها , و لكن هذه الرموز يجب أن تقرأ داخل سياقها حسب قصة الخلق المصرية , بمعنى أن غروب الشمس و شروقها من جديد كل يوم هو اعادة تكرار لفعل الخلق الأول , و هذا التكرار هو ما يضمن للكون الاستمرار .

و لكى نفهم مغزى تكرار فعل الخلق الأول علينا أن ندرك أولا أن رب الشمس هو نفسه الاله الخالق فى الأفق الغربى و فى الأفق الشرقى .

جاء فى احد النصوص الدينية المصرية على لسان الاله الخالق :-

** أنا خبرى فى الصباح , و رع فى الظهيرة , و آتوم فى المساء **

ندرك من هذا النص أن كل هذه الأسماء هى تجليات الاله الخالق , و أن أساطير الخلق تصف تحول الكون من حالة اللاوجود (آتوم) الى الوجود (خبرى) .

ان آتوم و خبرى ليسوا أرباب الشمس , و انما هم الاله الخالق نفسه , و لكن علم المصريات جعلهم رموزا شمسية لتتناسب مع فرضية الديانة الشمسية للتى تهيمن على عقولهم .

اذا لم تكن الشمس هى أصل الكون كما تقول فرضية الديانة الشمسية , فما هو أصل الكون ؟

اذا لم تكن الشمس هى مركز الكون , فما هو مركز الكون فى نظر قدماء المصريين ؟

فى العلوم الكونية المصرية كانت الأرض و "نون" (المياه الأزلية) هى مركز الكون و هى الأصل

الذى منه نشأ . من الأرض و من مياه الأزل خلقت السماء , ثم انفصلت عنهما و ارتفعت .

و قد عبر قدماء المصريين عن ذلك ب "خبرى" و هو أحد أسماء الاله الخالق , و يكتب بالهيروغليفية باستخدام رمز على شكل جعران (𓆣) .

تأمل قدماء المصريين الجعران فوجدوا فيه رمزا للخلق من الأرض . فالجعران يولد من الأرض و الماء , اذ تخرج صغاره من كرة من الطين و هو عبارة عن مزيج من التراب و الماء , كما يتزامن ظهور و تكاثر الجعران مع ارتفاع فيضان النيل .

و علم المصريات يعترف أن بعض أساطير الخلق المصرية صورت الاله الخالق باعتباره قوة كونية أرضية و اعتبرت أن الأرض هى الأصل الذى نشأ منه الكون , الا انه ينظر الى هذه الأساطير باعتبارها استثناء و ليست القاعدة .

أما بحثى هذا فيهدف لاثبات العكس .

فالخلق فى الفكر الدينى المصرى بدأ من الأرض الأزلية , أو بمعنى أدق من **الأرض الأزلية + المياه الأزلية** (نون) . أى أن الكون فى نظر قدماء المصريين هو كون مركزه الأرض (geocentric) و ليست الشمس (heliocentric) .

قد تبدو فكرة الخلق من الأرض غريبة فى نظر البعض لأنها تفترض أن الكون الخارجى (الغلاف الجوى و السماء و الأجرام السماوية) قد نشأت من مركز أرضى , و هو ما يخالف الفكرة التقليدية السائدة و التى ترى الكون لامحدود و فى حالة تغير دائم ما بين اتساع و تقلص , كما فى كتابات عالم الآثار الأمريكى "جيمس بيتر آلن" (James Peter Allen) .

و اذا سمح لى القارئ , سأؤجل مناقشة ذلك بالتفصيل فى الفصل السادس , حيث سنقارن بين نظرية مركزية الأرض و نظرية جيمس بيتر آلن .

و الآن , أريد أن أركز على الحقائق و ليس على النظريات . فى هذا الفصل سأحاول أن أثبت للقارئ أن الخلق من الأرض هو الأصل و ليس الاستثناء .

"بتاح" و "تا تنن" :-

كانت "منف" واحدة من أهم مدن مصر القديمة التى تنافس مدينة "أون" (هليوبوليس) فى عظمتها .

و "منف" هى المكان الذى وقع فيه حدث توحيد الأرضين الذى ورد فى أساطير الخلق المصرية .

هنا فى منف خلقت الكيانات الالهية منصب الملكية من أجل البشر .

و هنا فى منف بدأ حكماء مصر القديمة فى تنفيذ الخطة الالهية بتشييد المعابد و الأهرامات .

هنا فى منف استطاع كهنة مصر القديمة أن يجعلوا حياة البشر فى تناغم مع المقدس/الالهى , و ذلك لخير الكون كله .

و فى حين كانت هليوبوليس هى مركز الطاقة الجنسية , كانت منف هى مركز الفكر و العاطفة .

كانت منف بحق قلب الأرضين (ميزان الأرضين) .

منف هى بيت بتاح , مهندس الكون و مبدعه , خالق البشر و الكيانات الالهية .

و منف هى أيضا مركز تقديس "تا تنن" (رب الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل) و "سوكر" (صقر العالم السفلى) الذى ارتبط ارتباطا وثيقا بالحديد (bja) و بالعالم السفلى و بالسماء .

كانت منف مركزا لتقديس "تا تنن" و سوكر منذ أقدم العصور , ثم قام قدماء المصريين فى عصور لاحقة بدمجهما مع شخصية بتاح تحت مسميات مثل "بتاح تا تنن" و "بتاح سوكر" , و فى عصر الدولة الوسطى ظهر مزيج من هذه الكيانات الالهية الثلاثة على هيئة "بتاح - سوكر- أوزيريس" .

يتفق علماء المصريات من كل أنحاء العالم على أن أسطورة خلق بتاح للكون هى قصة تعبر عن مركزية الأرض , حيث تنسب فعل الخلق الأول لكيان الهى ينتمى للعالم الأرضى (أو بمعنى أدق للعالم ال "تحت - أرضى" أو السفلى) , ألا و هو بتاح .

سجلت تلك الأسطورة على لوحة شباكا , و فيها نقرأ أن بتاح (فى هيئة تا تنن) هو الذى قام بخلق البشر و الكيانات الالهية و كل شئ . كما وردت قصة خلق بتاح للكون فى مصادر أخرى مثل بردية هاريس العظمى , و بردية برلين رقم (3048) و بردية برلين رقم (13603) .

يمكننا تتبع الفكرة الرئيسية المشتركة بين كل هذه النصوص , و التى تدور حول قيام بتاح بفعل الخلق الأول و هو متخذا هيئة "تا تنن" (الأرض التى ارتفعت) .

تخبرنا كل هذه النصوص أن بتاح خلق السماء بأن أراد ذلك بقلبه .

و كل الاشارات فى النصوص تدل على أن بتاح هو كيان الهى يرتبط بالأرض و ليس بالشمس و قد وصفه أحد النصوص بشكل صريح بأنه "رب الأرض" .

هل يعتبر خلق "بتاح تا تنن" للكون استثناءا فى الفكر الدينى المصرى ؟

كتب هنرى فرانكفورت عن نظرية منف لخلق الكون قائلا :-

*** و الجديد الذى تقدمه لنا نظرية منف لنشأة الكون هو أنها تنسب فعل الخلق الأول للأرض و ليس للشمس , و تقول بأن الأرض هى مركز الكون و منبعه و ليس الشمس ***

فهل كانت تلك الفكرة بالفعل جديدة على العقل المصرى القديم , أم أنها فكرة أصيلة فى الديانة المصرية ؟

رب الأرض فى ادفو :-

ان الاعتقاد بأن الأرض هى السبب الأول و أن الاله الخالق هو اله أرضى نجد أثره فى نصوص معبد ادفو التى تتناول تاريخ و مغزى تشييد المعبد فى مصر القديمة بتفاصيل لا نجدها فى أى مصدر مصرى آخر . و قد قامت "ايف ريموند" من جامعة ليفربول بترجمة هذه النصوص أول مرة و نشرها فى عام 1969 ميلادية .

تقدم لنا نصوص معبد ادفو تفسيرا عميقا لمغزى المعبد فى مصر القديمة و أصله الميثولوجى , حيث تصفه بأنه من صنع أيدى رب الأرض . و عند قراءتنا لترجمة ايف ريموند لنصوص معبد ادفو علينا أن نتذكر أيضا أن المعبد فى نظر قدماء المصريين هو نسخة مصغرة من الكون (أنظر الفصل الخامس عشر) . أى أن انشاء معبد جديد فى مصر القديمة كان يعنى بالنسبة لقدماء المصريين أن رب الأرض يقوم بخلق الكون من جديد .

تنقسم الدراسة التى قامت بها ايف ريموند لمعبد ادفو الى قسمين .

فى القسم الأول تعاملت مع النصوص التى تتعلق بالأصل الميثولوجى لمعبد ادفو .

و فى القسم الثانى تعاملت مع النصوص التى تتعلق بالعالم الأزلى للكيانات الالهية , أى العالم

الذى سبق خلق الكون بصورته الحالية .

تتناول نصوص معبد ادفو أسطورتين مختلفتين .

الأولى : تحكى عن نشأة معبد ادفو و عن مملكة الصقر (حورس) الخفية .

و الثانية : تحكى عن نشأة معابد رب الشمس "رع" .

تشير النصوص التى وردت فى الأسطورة الأولى المتعلقة بانشاء معبد حورس الى الأصل الأزلى الذى يستند اليه انشاء ذلك المعبد و هو عبارة عن عش (nht) أو مجثم (djba) لطائر , و هو الصقر . تركز هذه النصوص على أصل مملكة الصقر حورس و تقول أن الأرض الأزلية حين ارتفعت من مياه الأزل أصبحت هى مجثم الطائر حورس , و بالتالى فهى الموضع الذى يشيد فوقه المعبد .

أما المجموعة الثانية من النصوص و التى تتعلق برب الشمس فهى تتناول أبعاد و مقاييس الصروح المعمارية التى يتكون منها المعبد (برغم أن هذه المقاييس لم تتضح بعد بشكل كامل لعلماء الآثار) و هذه المجموعة من النصوص لا تقدم لنا شيئا جديدا بخصوص الأصل الميثولوجى للمعبد , لأنها تركز بشكل أكبر على الصراع الذى يخوضه رب الشمس ضد أعدائه الذين يتخذون فى هذا السياق هيئة الحيات .

و هناك أرضية مشتركة بين المجموعتين , حيث تكرر ذكر نفس أسماء الكيانات الالهية فى كليهما . و فى حين تركز المجموعة الأولى (نصوص الصقر) بشكل أساسى على رواية أحداث أسطورية , نجد أن المجموعة الثانية (نصوص رب الشمس) تسرد طقوس انشاء المعبد باعتبارها اعادة لأحداث الأسطورة التى وردت فى المجموعة الأولى من النصوص .

و نصوص الصقر (المجموعة الأولى) هى الأسطورة التى تحكى قيام حورس و ال "شبتيو" بخلق الكون .

تبدأ النصوص بالأحداث التى سبقت ظهور الأرض من المحيط الأزلى .

فى البدء كانت المادة الأزلية تختلط بالمياه الأزلية فى هاوية سحيقة يهيمن عليها الظلام و الفوضى .

شبهت النصوص المادة الأزلية التى بدأ منها الخلق بالبوص , و وصفت أعواده بأنها تقترب من

بعضها البعض لتشكل مستنقع يطلق عليه اسم "واريت" (waret) .

تلك الصورة الأولية للأرض الغارقة تحت المياه توصف أحيانا بأنها جزيرة (iw) و أحيان أخرى بأنها الأساس (sntjt) , و هى نفسها الأرض التى سترتفع بعد ذلك من مياه الأزل لتصبح هى التل الأزلى أو الجزيرة التى انبثق منها الخلق .

تهتم النصوص اهتماما خاصا بتشكل هذه الأرض و بتشييد العش أو المجثم (ربما باستخدام البوص) الذى سيحط فوقه الصقر و الذى يعتبر هو الصورة الأولية للمعبد .

و النصوص لا تذكر أى معلومة عن خلق السماء و لم تذكر بشكل صريح أن السماء خلقت من الأرض أو من الجزيرة المغمورة بمياه الأزل . و لكن قد يفهم ذلك ضمنيا , لأن هناك نصوصا أخرى ذكرت أن السماء و الأرض كانتا كيانا واحدا قبل أن يقوم "شو" (رب الهواء) بفصلهما و يرفع السماء فوق الأرض . و قد يكون بناء المعبد (باعتباره الكون الأصغر) فوق الأرض الأزلية رمزا لخلق الكون الأكبر . و حسب ما ورد فى ترجمة ايف ريموند لنصوص معبد ادفو نفهم ضمنيا أن فعل الخلق الأول ينسب ل "رب الأرض" , و الذى يلقب فى منف ب "تا تنن" (رب التل الأزلى) و لكنه يلقب أيضا فى بعض الأحيان ب "اير- تا" (Ir-ta) أى خالق الأرض , و فى احيان أخرى ب "اير- آخت" (Ir-akht) أى خالق الجوهر , أو "مسنتى" (Mesenti) , أو الصقر "<u>بن</u>" (Pn) و تعنى "<u>الذى هو</u>" أى <u>الذى ليس له اسم</u> .

و من المحتمل أيضا أن أول الأزليين "باؤتى تبى" (Pauti tpi) و الملقب ب "زهرة اللوتس العظيمة" هو أحد تجليات رب الأرض .

و مما يلفت الانتباه فى نصوص معبد ادفو أن رب الأرض له روح صعدت من العالم السفلى و أشرفت على بناء المعبد الأزلى أو نموذج النشأة الأولى للمعبد .

يطلق على هذه الروح الالهية العديد من الأسماء مثل : "با" , و "كا" , و "با – حاتى" (ba-hatty) أى الروح المحلقة , و "ندم – ندب" (ndm-ndb) أى رب الأجنحة .

تقول ايف ريموند أن هذه الروح ترتبط بالصقر "بن" (Pn) و تعتبر قرينا له .

و من ملاحظات ايف ريموند التى تلفت الانتباه أن الاله الصقر "بن" (Pn) يبدو فى نصوص ادفو و كأنه مات و دفن فى ال "دوات ان با" (duat n ba) أى فى العالم السفلى للروح و هو عالم يقع أسفل الجزيرة الأزلية التى انبثق منها الخلق . و بينما كان جسده راقدا فى العالم السفلى , صعدت روحه لعالم النور و استقرت فوق عامود الجد المصنوع من البوص .

تستنتج ايف ريموند أن روح الاله الخالق انبعثت من روح رب الأرض الذى انتقل للعالم السفلى .

و النقطة الثانية التى تثير الانتباه فى نصوص ادفو أنها وصفت المعبد الأزلى و كأنه صورة مصغرة من الأرض الأزلية , كما أنها وصفت روح رب الأرض بأنها صعدت من العالم السفلى و تجسدت فى صرح المعبد .

لذلك يطلق على المعبد اسم "ابن الأرض" , أما "تا تنن" فيطلق عليه جد المعبد .

هناك صلة واضحة بين معبد ادفو و معبد بتاح بمدينة منف , و يطلق عليه "حوت - كا - بتاح" أى "بيت كا بتاح" (الكا هى الجسم الأثيرى أو النسخة الأثيرية) , و هو ما يعنى أن الكا (الجسم الأثيرى) الخاص ب "بتاح" يملأ المعبد أو يتجلى فيه .

تلك هى الفكرة التى تدور حولها نصوص معبد ادفو .

و لأن بتاح هو أحد الكيانات الالهية الأرضية , يمكننا أن نفترض أن بتاح هو الجد أو السلف الأعلى لمعبد منف , و أن روحه صعدت من العالم السفلى فخلقته , و أن معبد بتاح هو أيضا ابن الأرض .

اذن , ما هو مغزى نصوص معبد ادفو ؟

تقول ايف ريموند أن نصوص المعبد ربما صممت خصيصا لشرح حيثيات اختيار الأرض التى شيد فوقها المعبد و ربطها بأسطورة الخلق . و لكن علينا أن لا نهمل أنه فى العصر المتأخر - و كذلك طوال تاريخ مصر القديم - كان المعبد صورة مصغرة للكون .

لذلك ربما كانت نصوص ادفو تتناول أسطورة الخلق الرئيسية التى تدور حول دور رب الأرض فى خلق الكون الأكبر من الأرض الأزلية التى ارتفعت من مياه الأزل .

و قد أيدت ايف ريموند تلك الفرضية فى صفحة رقم 275 من كتابها و ذكرت أن نصوص ادفو

تتصل بتراث منف الذى يلعب فيه "بتاح تا تنن" دور الاله الخالق .

و بوجه عام , تعطى دراسة ايف ريموند لنصوص معبد ادفو ثقلا لفرضية الخلق من الأرض و تضع علامة استفهام أمام نظرية الخلق من الشمس , و لكن المغزى الحقيقى للنصوص غاب عن علماء المصريات بسبب صعوبة هذه الفكرة و تعقيدها , و بسبب نظرة الأثريين لنصوص ادفو باعتبارها نصوصا تتناول تاريخ المعبد بدلا من اعتبارها جزءا من الأساطير التى تتناول قصة الخلق .

<u>دور "آتوم" و "جب" فى الخلق :-</u>

قد يبادر بعض الباحثين بالقول أن نصوص معبد ادفو تستند الى تراث منف و أن فرضية الخلق من الأرض تظل هى الاستثناء و ليست القاعدة , و ذلك فى محاولة لتدعيم فرضية الخلق من الشمس .

و لكن فى الحقيقة هناك أدلة أخرى على فكرة الخلق من الأرض ظهرت فى أساطير هليوبوليس التى تناولت خلق آتوم و جب للكون .

تقول أساطير هليوبوليس أن آتوم أخرج الخلق من ذاته عن طريق الانبثاق , بما فى ذلك الأرض الأزلية .

يصف النص رقم 222 من متون الأهرام الأرض الأزلية بأنها "الأرض التى انبثقت من آتوم" و بأنها "اللعاب الذى سال من فم خبرى" ,

فهل خلق آتوم الكون من الأرض الأزلية ؟

يتوقف ذلك على تحديد هوية الاله الأصلية .

تقول أساطير هليوبوليس أن آتوم خلق الكون و هو وحده فى مياه الأزل "نون" , أو و هو وحده فى "أون" (هليوبوليس) . و لما كانت "أون" (هليوبوليس) هى الكون الأصغر الذى يتمثل فى التل الأزلى , فيمكننا أن نفسر هذه المقولة بأن آتوم خلق الكون من الأرض الأزلية .

و هنا علينا أن ننتبه الى أن المصرى القديم كان ينظر لكل مدينة من مدن مصر القديمة باعتبارها صورة مصغرة من الكون .

حين نقرأ فى أساطير هليوبوليس أن آتوم كان وحده فى هليوبوليس فان ذلك يعنى أن آتوم تجلى فى البدء فى التل الأزلى .

و هناك دليل آخر فى متون التوابيت يدعم هذه الفكرة حيث نقرأ فى أحد النصوص أن آتوم أتى للوجود من الأرض .

جاء فى النص رقم 306 من متون التوابيت :-

** التحيات لك يا آتوم .... يا من خلقت السماء و خلقت كل ما هو موجود .... يا من أتيت للوجود من الأرض .... يا من وضعت بذرة الخلق .... رب كل شئ , الذى خلق الكيانات الالهية **

قد يفسر البعض هذا النص بأنه يشير الى أن آتوم يتجلى فى بذور النباتات التى تخرج من الأرض .

و لكن النص يقول أن "آتوم أتى للوجود من الأرض" . أما البذور التى جاء ذكرها فى النص فهى القوى الكونية التى انبثقت من آتوم اما عن طريق القذف من عضوه الذكرى أو من فمه .

ذكرت متون التوابيت أيضا أن آتوم أتى للوجود من مياه الأزل و من ال "آخت" (الأفق) .

و لمعرفة ماهية ال "آخت" و رمزيته أرجو من القارئ تصفح الفصل السادس .

و من الأشياء التى تلفت الانتباه و التى تبدو ذات مغزى عميق أن العديد من النصوص الدينية المصرية ربطت بين "آتوم" و بين "جب" (رب الأرض) .

تشير متون الأهرام للعلاقة المحيرة بين الاثنين , حيث يقوم آتوم بتوريث ملكه لحفيده "جب" و يجمع التاسوع (بما فى ذلك آتوم نفسه) من أجل "جب" .

تقول النصوص أن الكيانات الالهية قد جمعت من أجل "جب" كما جمعت من قبل من أجل آتوم فى هليوبوليس , و تقول أيضا أن روح ملك مصر تحصل على طاقة حياة جديدة من جب و آتوم سويا , حيث يجلس الملك على عرش حورس و يقول : (أنا خليفة جب , أنا خليفة آتوم) .

تقول متون الأهرام أيضا أن آتوم يهب السماء و الأرض لروح ملك مصر و أن "جب" يحشد الكيانات الالهية من أجل روح الملك .

و تقول أيضا أن آتوم يجمع المدن المقدسة من أجل روح ملك مصر و أن هذه المدن هى نفسها مدن "جب" (رب الأرض) .

تؤكد متون التوابيت هذه العلاقة . فالنص رقم 76 من متون التوابيت يقول أن (جب يشكل الأرض من أجل آتوم و يجمع من أجله الفيضان العظيم) .

و النص رقم 80 من متون التوابيت يقول أن (جب يرفع قلب آتوم و يجمع جوارحه التى أصابها التعب و الوهن) , و ربما كان هذا النص اشارة لخلق التل الأزلى .

ان العلاقة بين "آتوم" (الكامل/الكل) و "جب" (رب الأرض) لا تتضح لنا بشكل كامل من النصوص الدينية التى تبدو غامضة و مبهمة .

فأساطير هليوبوليس تقول أن "جب" (رب الأرض) هو ابن "شو" و "تفنوت" , و هم بدورهم أبناء آتوم , أى أن "جب" هو حفيد آتوم . و لذلك ينظر له معظم الباحثين باعتباره أحد الكيانات الالهية الثانوية .

و لكن القراءة المتأملة الواعية للنصوص الدينية المصرية تكشف لنا أن "جب" كان أحد أهم الكيانات الالهية فى الفكر الدينى المصرى , بل انه قد يكون هو الاله الخالق نفسه (الذى أتى فعل الخلق الأول) .

تقدم لنا متون الأهرام أكثر من دليل على أهمية دور "جب" فى الخلق .

فالنص رقم 592 من متون الأهرام يخاطب "جب" باعتباره "الاله الواحد العظيم" و يصفه بأنه (كا كل الكيانات الالهية) أى روح كل الكيانات الالهية , و هذا اللقب من أهم ألقاب الاله الخالق فى مصر القديمة . و يقول النص أيضا أن ميراث "آتوم" قد انتقل الى "جب" و أن قوى التاسوع (بما فيها آتوم) قد جمعت من أجل "جب" .

و يقول أيضا أن "جب" يقف فوق الأرض و يحكم التاسوع بوصفه "صاحب الفم القوى" و بوصفه "حاكم الكيانات الالهية" و أيضا بوصفه "ثور السماء" .

و فى نص آخر من نصوص الأهرام يوصف "جب" بأنه يرفع عين حورس للسماء بقوة الأرواح التى يمتلكها . .و يخاطب النص "جب" قائلا :-

** انبثقت العين من رأسك فى صورة تاج مصر العليا ذو القوة السحرية .... انبثقت العين من

رأسك فى صورة تاج مصر السفلى ذو القوة السحرية **

تكمن أهمية هذه النصوص فى أن العين تلعب دورا محوريا فى نشأة الكون و تطوره و فى خلق الشمس و القمر . أى أن "جب" هو المصدر الذى ولدت منه هذه الأجرام السماوية .

و فى نص آخر نقرأ أن هناك أربعة من الكيانات الالهية انبثقت من رأس "جب" , و أن هناك ربة لا اسم لها قد انبثقت من رأسه أيضا و صعدت للسماء .

يتطابق ذلك مع تراث منف الذى يقول بأن "تا تنن" (الأرض الأزلية / التل الأزلى) هو المنبع الذى انبثقت منه كل الكيانات الالهية .



("جب" ببشرة سوداء بلون الأرض , و "شو" يرفع جسد نوت فوقه)

جاء فى احدى أساطير الخلق المصرية أن الكيانات الالهية صعدت للسماء فى نفس اللحظة التى انفصلت فيها السماء عن الأرض .

يعيدنا ذلك مرة أخرى الى "جب" , لأن "جب" هو رب الأرض التى انفصلت عن السماء (نوت) .

ينسب فعل رفع السماء فى الغالب الى "شو" (رب الهواء) , و لكن هناك نص واحد من نصوص الأهرام وصف "جب" بأنه يقف رافعا ذراعا نحو السماء بينما الذراع الآخر ينخفض نحو الأرض , و كأن "جب" هو القوة التى ترفع السماء عن الأرض .

و على أية حال , فان النصوص بوجه عام تقول بأن الأرض هى الأصل الذى انبثقت منه السماء قبل أن تنفصل عن ذلك الأصل وترتفع عنه .

يلعب "جب" أيضا دورا محوريا فى أسطورة أوزيريس . جاء فى متون الأهرام أن "جب" بحث عن أوزيريس و عثر عليه . بعد أن طرح "ست" أوزيريس أرضا و أسقطه على جنبه , قام جب بانقاذه و انتشله من مياهه التى غرق فيها و جمع عظامه و أعادها كما كانت (و فى روايات أخرى أن "جب" هو الذى استدعى ايزيس و نفتيس و حورس و تحوت لكى يقوموا بجمع عظام أوزيريس) . يقوم "جب" بحماية أوزيريس , و يضرب ست و أتباعه , و يحكم على ست بالادانة فى محكمته , و يهب ميراث الأرضين لحورس , و يبعث أوزيريس (ابنه البكر) من جديد فى هيئة روح , و يجعل هذه الروح تنبثق منه (من العالم الأرضى و ما تحت - الأرضى) .

أى أن أسطورة موت و بعث أوزيريس تقع فى ملكوت "جب" (رب الأرض) و فى عالمه .

و بتأمل رموز هذه الأسطورة نجد أنها جزء من قصة الخلق فى مصر القديمة .

فى عصر الدولة الحديثة ظهر "جب" فى الفن المصرى على هيئة أوزة يطلق عليها لقب "الصياح العظيم" و يقال أن تلك الأوزة هى التى وضعت البيضة التى خرجت منها الشمس , مما يدل على أن الأرض فى علم نشأة الكون المصرى هى الأصل الذى انبثقت منه الشمس .

و من الألقاب التى أطلقها قدماء المصريين على جب أيضا لقب "أبو الكيانات الالهية" .

كل ذلك يدل على أن "جب" فى نظر قدماء المصريين هو الاله الخالق , و بالتالى فان الأرض التى ارتبطت دائما ب "جب" هى أصل الخلق و منبعه .

و من كل تلك الأمثلة نستنتج أن فكرة الخلق من الأرض لم تكن غريبة على العقل المصرى القديم و ليست مجرد استثناء يقتصر فقط على تراث منف و على نصوص معبد ادفو و انما هى فلسفة كونية حظيت بانتشار , و كان لها صدى كبيرا بين حكماء مصر القديمة بما فى ذلك حكماء مدينة "أون" (هليوبوليس) .

<u>الجزيرة الأزلية – العالم الذى انهدم و ولد من جديد :-</u>

سنستعرض هنا بشكل سريع مثال رابع من أمثله الخلق من الأرض فى مصر القديمة .

و لكن علينا أن نقدم أولا بعض التفسيرات لنصوص معبد ادفو و خصوصا تلك النصوص التى تتناول خلق المعبد الأزلى و المكان المقدس للصقر حورس .

تقول النصوص أن أول معبد شيد للصقر حورس تم بناؤه فوق الأرض الأزلية التى ارتفعت من مياه الأزل فى الزمن الأول .

تلك الأرض الأزلية كانت فى الأصل عبارة عن جزيرة مليئة بنبات البوص تغمرها مياه الأزل يطلق عليها اسم "الجزيرة التى دهستها الأقدام" (iw titi) .

قامت "ايف ريموند" بترجمة نصوص معبد ادفو و نشرها أول مرة فى عام 1969 ميلادية , و كانت حريصة على التقاليد الأكاديمية عند تفسيرها لتلك النصوص و التعليق عليها .

و لكنها فى احدى التفسيرات تجاوزت الحدود الأكاديمية و كتبت تعليقا خارجا عما هو متعارف عليه عند علماء المصريات , حيث فسرت "الجزيرة التى دهستها الأقدام" بأنها رمز لعالم قديم كان موجودا قبل خلق عالمنا و لكنه انهدم , و قالت أن قصة خلق الجزيرة الأزلية و ارتفاعها من قاع مياه الأزل "نون" ترمز لاعادة خلق ذلك العالم و بعثه من جديد بعد موته .

كتبت "ايف ريموند" تفسيرها لنصوص ادفو باختصار قائلة :-

*** يمكننا أن نستشف من تلك النصوص أن الزمن الأول هو الزمن الذى بدأ مع نهاية زمن آخر كان موجودا قبل هذا الزمن . يبدو لنا من النصوص و كأن العالم القديم بعد أن بدأ يتشكل تعرض للتدمير و انهدم و أصبح ميتا , و بعد موته أضحى ذلك الجسد الميت للكون القديم هو المادة الخام التى أعيد تدويرها من جديد مع بداية دورة الخلق الجديدة التى بدأت باعادة خلق ما كان موجودا من قبل و بعثه من جديد ***

ان صح ما طرحته "ايف ريموند" فى تعليقاتها , فان نصوص معبد ادفو تقدم لنا دليلا قويا على فكرة الخلق من الأرض .

و اذا عثرنا على مزيد من الأدلة من نصوص دينية مصرية أخرى , فيمكننا ان نخرج بنظرية جديدة تماما عن الديانة المصرية القديمة يحل فيها رب الأرض محل رب الشمس . حيث ينسب فعل

الخلق الأول لرب الأرض الذى مات و بعث من جديد , بدلا من رب الشمس الذى يموت هو أيضا (أى يذهب للعالم السفلى) و يبعث من جديد فى صباح كل يوم و لكن دور رب الشمس هو حفظ النظام الكونى و ليس هو السبب الأول .

ما هى الأدلة التى يمكن أن تدعم النظرية التى طرحتها "ايف ريموند" ؟

أولا : الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين على العالم القديم الغارق تحت مياه الأزل , و هو (iw titi) و يعنى "الجزيرة التى دهستها الأقدام" و هو اسم يحمل دلالات على وجود صراع أو معركة . و هناك أسماء ثانوية للجزيرة الأزلية , مثل (iw aha) و يعنى جزيرة الصراع أو الحرب , و أيضا (iw hetep) و يعنى جزيرة السلام أو الرضا .

لم تتمكن "ايف ريموند" من معرفة طبيعة ذلك الصراع على وجه اليقين , و لكن من المؤكد أنه صراع بين قوى النظام و قوى الفوضى الكونية . و يبدو أن قوى الفوضى كانت هى المنتصرة فى البداية .

ثانيا : أن الجزيرة الأزلية بعد أن ارتفعت من مياه الأزل استقرت بعد ذلك فوق ال "دوات ن با" (duat n ba) أى فوق العالم السفلى للروح , و الذى يشير اسمه الى الموت و البعث من جديد و هو أيضا العالم الذى يحكمه أوزيريس رب الموت و البعث .

يرتبط هذا الاسم بفكرة صعود روح رب الأرض الى السماء على هيئة "روح محلقة" (ba hatty) لكى تتحد بالسماء التى يحكمها "من لا يطلع أحد على مشيئته" .

تقول "ايف ريموند" أن الجزيرة التى دهستها الأقدام قد تحولت نتيجة ذلك الصراع بين قوى النظام و قوى الفوضى الكونية الى العالم السفلى للروح (duat n ba) و بذلك تحولت الى مقبرة لرب الأرض و صحبته ممن يطلق عليهم "دجاجسو" (djajsu) , أى الحكماء .

و فى الحقيقة ان "ايف ريموند" لم تقل ذلك بشكل مباشر فى كتابها , الا أن فحوى ما قدمته فى الكتاب هو أن موت و بعث رب الأرض (و هو حاكم العالم القديم الذى انهدم و انتهى زمنه) هو

ما رمز له قدماء المصريين بالجزيرة التى دهستها الأقدام .

ثالثا : أن فعل الخلق الأول فى هذه الأسطورة هو عبارة عن غرس أعواد البوص فى مياه الأزل , و هذا البوص هو رمز لبقايا العالم القديم الذى انهدم و تفكك و عاد لعناصره الأولية التى عادت مرة أخرى الى حالة ما قبل الخلق , ألا و هى "نون" .

وقع هذا الحدث بعد أن صعدت جزيرة البوص من قاع مياه الأزل و طفت فوق سطحها .

و عند ذلك أخذت مجموعة من الكيانات الالهية يطلق عليها اسم ال "شبتيو" (Shebtiu) تقطع أطراف أعواد البوص و تغرسها فى الجزيرة الى أن صنعت منها مجثما (djeba) لطائر أو بتعبير آخر صنعت منها عامود "دجد" ليحط فوقه الصقر المقدس .

يوصف هذا المجثم أو عامود ال "دجد" فى نصوص ادفو بأنه "عود البوص الذى يرفع الاله" (nbi wtjs ntr) , كما يوصف أيضا بأنه هو بقايا الصقر المقدس الذى يقف هو نفسه فوق العامود و من المثير للانتباه أيضا أن نصوص معبد ادفو وصفت البوص بأنه يعيد بناء المكان الذى يرتفع فيه عامود ال "دجد" , كما وصفت المكان الذى ينموفيه البوص بأنه يعيد الأجداد/الأسلاف المقدسين من جديد .

تلخص "ايف ريموند" الفكرة الرئيسية التى تدور حولها أسطورة الخلق بادفو بهذه العبارات :-

*** البوص هو رمز للعناصر التى تخلفت بعد موت و انهدام الكون السابق و التى أشار لها قدماء المصريين باسم الكيان الالهى "بن" (Pn) و أعوانه . و هذه البقايا هى الوسيلة الوحيدة التى يمكن من خلالها اعادة احياء الكون و خلقه من جديد ***

رابعا : تشير أسطورة الصقر التى وردت فى نصوص معبد ادفو بوجه عام الى عملية تحلل و تفكك يعقبها تشكل و خلق من جديد .

بالاضافة الى ذكر أسماء أبعاد كونية مختلفة و الاشارات المتكررة لأرواح و بقايا كيانات الهية ماتت أو انتقلت للعالم السفلى هناك أيضا اشارات غامضة لصروح معبد عتيق يبدو أنه تعرض للهدم . فقد ذكرت النصوص على سبيل المثال ما يعرف ب بيت أو قصر "ايسدن" (Isden) و هو

المكان الذى يسكنه "اير- تا" (Ir-ta) , أى خالق الأرض . كما ذكرت أيضا أن رب الأرض قد "دخل الى ما هو منهدم" , و لكن للأسف لم توضح النصوص ما هو المقصود بذلك على وجه الدقة و هناك أيضا اشارة الى تهدم و تفكك المأوى الذى يحفظ البقايا المقدسة للاله الخالق .

يتضح مما سبق أن ايف ريموند كان لديها أسباب وجيهه جعلتها تفسر أسطورة الخلق التى وردت فى نصوص ادفو باعتبارها اعادة خلق لكون سابق تعرض للهدم و التفكك .

الا أن المغزى الحقيقى لتلك الأسطورة ظل بعيدا عن فهم "ايف ريموند" لأن تركيزها كان منصبا على الأصل الميثولوجى للمعبد المصرى و ليس على مغزى الأسطورة و علاقتها بنشأة الكون .

و قد أغفل علماء المصريات تعليقات ايف ريموند على أساطير معبد ادفو باعتبارها ليست مرجعا علميا فى ذلك التخصص , و هو شئ متوقع بسبب هيمنة النظرية الشمسية التى لا تدع أى مجال للعلماء لاعادة النظر فى قصة الخلق و التفكير فى أى نظرية بديلة كنظرية الخلق من الأرض .

و لكى نكون منصفين , فان نصوص ادفو تشكل تحديا كبيرا لفهم المتخصصين , لأنها تركز بشكل أساسى على خلق الأرض و تكاد تهمل خلق السماء (برغم أن بناء المعبد ربما كان رمزا لخلق الكون الأكبر و كل أبعاده بما فيها السماء) .

عند قراءة نصوص ادفو نبدو و كأننا نقرأ فقط نصف قصة الخلق .

بوجه عام , تعتبر تأملات "ايف ريموند" فى أساطير ادفو مناسبة تماما للفكرة التى أطرحها فى هذا الفصل و هى فكرة الكون الأرضى أى الكون الذى خلق من الأرض و الذى قام فيه رب الأرض بفعل الخلق الأول . و هى فكرة تتطابق تماما مع واحدة من أهم أساطير مصر القديمة و أكثرها شعبية و هى أسطورة موت و بعث أوزيريس , كما سنرى حالا .

<u>موت أوزيريس :-</u>

تقف أسطورة أوزيريس فى قلب الديانة المصرية القديمة , و تفسر لنا مغزى قيام كل من ملك مصر و رب الشمس (رع) بتكرار نموذج النشأة الأولى للموت و العودة للحياة من جديد .

فى حالة الملك , تقول الأسطورة بأن كل ملك جديد لمصر يتوج على الأرض باعتباره حورس ابن أوزيريس فى حين يتحول سلفه الذى انتقل للعالم الآخر الى أوزيريس .

و فى حالة "رع" , تقول الأسطورة أن نور "رع" يولد من جديد من ال "دوات" (العالم السفلى) كل يوم . أى أن أسطورة أوزيريس تدور حول التكرار الأبدى لنموذج الموت و البعث و الذى يشارك فيه كل من ملك مصر و رب الشمس (رع) حيث توكل لهما مهمة اعادة خلق الكون من جديد بشكل متكرر , و هذا التكرار الأبدى "نحح" هو الذى يضمن للكون الأستمرار الأبدى "دجد" .

و أوزيريس هو مفتاح النظام الكونى (ماعت) , لأنه ببساطة يمثل انتصار الحياة على الموت .

و لكن ما الذى يرمز له موت و بعث أوزيريس على وجه التحديد ؟

لكى نجيب على هذا السؤال , علينا أولا أن ننتبه لبعض الحقائق التى دونها قدماء المصريين فى أقدم الكتب الدينية ألا و هى متون الأهرام .

سنبحث فى ذلك الجزء من الأسطورة الذى يتحدث عن موت أوزيريس و بعثه من جديد .

و أقدم النصوص الدينية التى تحدثت عن أسطورة أوزيريس هى متون الأهرام .

و فيها نقرأ أن أوزيريس ذاق الموت بثلاثة طرق مختلفة : الأولى هى تقطيع الأوصال , و الثانية هى الغرق , و الثالثة بأن سقط على أحد جوانبه . قد يبدو ذلك تناقضا فى نظر القارئ لأول وهلة , و لكننا اذا نظرنا الى طرق موت أوزيريس داخل سياقها الكونى سيتضح كل شئ و يبدو معقولا .

و يعتبر تقطيع الأوصال هو الرواية الأكثر شيوعا عن موت أوزيريس , حيث تقول الأسطورة أن ايزيس كان عليها أن تجمع أجزاء جسد أوزيريس أولا لكى تتمكن من اعادته للحياة .

و السبب فى هذه الحالة من التمزق و التشتت غير مفهوم , و لا يعزى لأى من القوى الكونية , و لا يوجد أى اشارة لكونه ناتج عن عنف أو صراع نشب بين أوزيريس و بين قوة كونية أخرى .

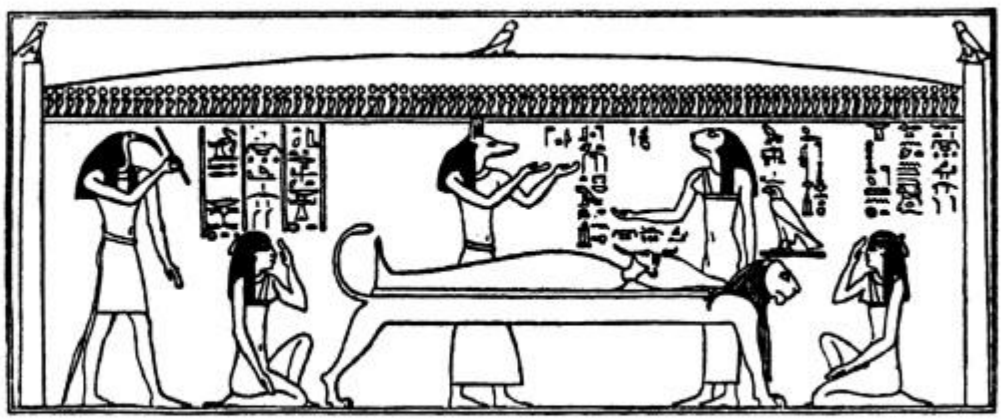
و قد يكون هذا التفكك و التحلل هو النتيجة الطبيعية التى أعقبت موت الجسد المادى , كما علق دكتور هنرى فرانكفورت .

و فى نفس الوقت , لا يمكننا أن نستبعد وقوع حادث عنيف أدى لتمزق جسد أوزيريس ,

و خصوصا أن بعض نصوص الأهرام ذكرت أن "ست" قد طرح أوزيريس أرضا , كما ذكرت نصوص أخرى أن "ست" و أتباعه قد قطعت أوصالهم جزاء لهم على ما ارتكبوه ضد أوزيريس .
و قد أكدت متون التوابيت على أن هناك عدو غير معروف (و هو فى الغالب ست) قام بتمزيق أوصال أوزيريس .

و هناك رواية أخرى تقول أن أوزيريس مات غرقا .
هناك ثلاثة نصوص من متون الأهرام جاء فيها ذكر "المكان الذى غرق فيه أوزيريس" , و هناك نص واحد جاء فيه ذكر "اليوم الذى قام فيه جب بانتشال أوزيريس كاملا من المياه" .
و من المثير للانتباه أن حادثة غرق أوزيريس كانت تذكر فى الغالب متبوعة بجمع أوصال أوزيريس الممزقة .
أحد النصوص تحدث عن غرق أوزيريس و أتبع ذلك بذكر جمع أوصاله . و ربط نص آخر بين انتشال جب لجسد أوزيريس و بين "يوم تجميع عظام أوزيريس و اعادتها لموضعها الأصلى" .
و تحدثت ثلاثة نصوص عن جمع من الكيانات الالهية و عن احتشاد أبناء حورس فى المكان الذى غرق فيه أوزيريس .
و تفاصيل حادث غرق أوزيريس نادرة جدا فى متون الأهرام و متون التوابيت .
أشارت متون الأهرام فى أكثر من موضع الى فيضان المياه الذى سال من جسد أوزيريس .
و فى أحد المواضع جاء ذكر "السوائل التى نزفت من جسد أوزيريس المتحلل" .
و تكمل متون التوابيت رسم الصورة , فنقرأ فى أحد نصوصها عن "افرازات جسد أوزيريس التى ملأت البحيرات و الأنهار" و عن قيام ايزيس و نفتيس بجمع أوصال جسد أوزيريس الممزق و قيامهما ببناء سد على أحد جوانب جسد أوزيريس لوقف الفيضان الذى يسيل من جسده .
كما نقرأ فى نص آخر أن "افرازات جسد أوزيريس سالت منه عند دفنه" .
و أخيرا , نعثر فى تراث منف (لوحة شباكا) على نص شيق جدا يتحدث عن غرق أوزيريس , اذ يقول النص أن أوزيريس غرق فى مياهه ثم نقل بعد ذلك الى البر .

كان أوزيريس يغرق فى مياهه , بينما أختاه ايزيس و نفتيس تنظران اليه بحزن .
و حورس يصرخ فى ايزيس و نفتيس أن تمسكا بأوزيريس و تنتشلاه من الغرق . و هنا أدارت ايزيس و نفتيس رأسيهما فى الوقت المناسب و أخرجتاه الى البر .



("أنوبيس" و "حيقيت" يقومان بتحنيط جسد أوزيريس تحت اشراف تحوت . و ايزيس و نفتيس تنتحبان)

أما الرواية الثالثة لموت أوزيريس و هى رواية السقوط فقد جاء ذكرها عدة مرات فى نصوص الأهرام , حيث نقرأ فى بعض النصوص أن أوزيريس قد "سقط على جنبه" , بينما تقول نصوص أخرى أن أوزيريس قد "طرح أرضا" على يد "ست" أو على يد عدو لا يعرف أحد اسمه .
و هناك نص واحد يقول أن أوزيريس أصيب بعصا الصيد .
و يبدو أن الأصل فى الأسطورة أن العدو الذى طرح أوزيريس أرضا هو قوة كونية غير معروفة و أن ربط هذا الفعل العدائى ب "ست" حدث فى عصر لاحق و تم استعارة اسم "ست" من أسطورة أخرى ليقوم بدور عدو أوزيريس الذى طرحه أرضا استكمالا لدوره كعدو لحورس أيضا .
يكمن جوهر الأسطورة فى أن موت أوزيريس ليس فناءا و انما هو حالة عابرة أو بوابة انتقل أوزيريس من خلالها الى مستوى آخر من مستويات الوجود أو الى بعد آخر من أبعاد الكون .
صارع أوزيريس الموت و انتصر عليه , ثم ولد من جديد كما يولد طائر الفينيكس من الرماد .

ان موت أوزيريس ليس الموت الذى يعرفه البشر , و انما هو حالة من السكون و السلبية و غياب الوعى و النوم , و هو نوم مؤقت يعود أوزيريس و يستيقظ منه مرة أخرى .

و لكى يستعيد أوزيريس وعيه و يفيق من غيبوبته يجب أولا جمع أجزاء جسده الممزق و اعادتها للحياة .

توكل هذه المهمة أحيانا لابنه حورس , و أحيان أخرى لأبيه "جب" (رب الأرض) أو لأمه "نوت" (ربة السماء) , و لكن فى معظم الأحيان تقوم ايزيس و نفتيس بهذه المهمة , حيث تصفهما النصوص بأنهما "سيدتا الأرض" .

و قد ارتبط احياء ايزيس و نفتيس لجسد أوزير بهذه الخطوات :-

العثور على الجسد , البكاء و النحيب , ابتهاج قلب ايزيس بحب أوزيريس , جمع عظام أوزيريس و لحمه , الامساك بجسد أوزيريس , رفع جسد أوزيريس (و خصوصا الرأس) , قيام ايزيس بتعديل وضع جسد أوزيريس الممدد من الرقود فوق الجنب الأيسر للرقود فوق الجنب الأيمن , تطهير جسد أوزيريس لازالة الأرواح الشريرة الملتصقة به , اتحاد ايزيس بجسد أوزيريس بعد اعادته للحياة , فتح فم أوزيريس و عينه .

و الهدف من كل هذه الخطوات هو تحويل أوزيريس من جسد الى روح , أى مساعدته على الخروج من وعى الجسد و التحول الى روح شفافه . و هكذا يبعث أوزيريس و يولد من جديد , اما بوصفه أوزيريس ابن جب و نوت , أو بوصفه حورس ابن أوزيريس .

ثم تصعد روح أوزيريس من ال "دوات" (العالم السفلى) لتحلق فى ال "آخت" (الأفق) و فى السماء .

ما هو مغزى أسطورة موت و بعث أوزيريس , و لماذا لعبت دورا محوريا فى الديانة المصرية القديمة ؟

ظل علماء المصريات يناقشون مغزى تلك الأسطورة طوال قرنين من الزمان و هو عمر علم المصريات دون أن يصلوا الى اجابة نهائية . و هناك بعض الباحثين البارزين المعاصرين قد تأثروا

بما كتبه مؤرخون اغريق و رومان عن أسطورة أوزيريس و الذين ادعوا بأن أوزيريس كان بشرا من لحم و دم عاش على أرض مصر فى سالف العصر و الأوان و أنه هو الذى علم قدماء المصريين الحضارة , و بعد موته قام المصريون برفعه الى مصاف الآلهه اعترافا بفضله و كراماته .

يفسر مؤيدو هذه النظرية موت و بعث أوزيريس بأنه انتقل بعد موته الى السماء بمعجزة الهية .

و هناك مجموعة أخرى من الباحثين ترى أن أوزيريس هو أحد أرواح الطبيعة التى تتجلى فى فيضان النيل و فى خصوبة الأرض , و بالتالى فان موته و بعثه يرمز لايقاع دورات الطبيعة و تتابع مواسمها .

و البعض يرى فى أوزيريس ربا سماويا يتجلى فى حركة النجوم فى السماء و فى اختفاءها تحت خط الأفق (أى موتها) و ظهورها من جديد (أى بعثها من جديد) .

و البعض الآخر يرى أن أوزيريس هو رب الشمس (النور بوجه عام) و الذى يتكرر حدث موته و ميلاده من جديد فى كل يوم , و فى كل عام , و عند كل خسوف للشمس .

و هناك من يرى أن تمزق جسد أوزيريس يرمز لمنازل القمر و خصوصا فى النصف الثانى من الشهر القمرى حين يبدأ نور القمر فى النقصان يوما بعد يوم , و كأن هناك من يقتطع جزءا من جسد القمر كل ليلة .

و هناك من يرى فى تمزق جسد أوزيريس رمزا للنجوم التى تتناثر فى قبة السماء لحظة غروب الشمس .

تختلف نظرة الباحث لأوزيريس حسب المركز الدينى الذى يتحدث عن موت أوزيريس و الطريقة التى يعبر بها عن موته و تقطيع جسده و عودته للحياة مرة أخرى .

و بالنسبة لغرق أوزيريس فى مياهه , فهناك اتفاق على أن ذلك يرمز لفيضان النيل كل عام .

كل هذه النظريات تبدو مقنعة , باستثناء النظرية التى تفترض أن أوزيريس كان بشرا من لحم و دم تم تأليهه بعد موته , لأنها تتناقض مع الكثير من النصوص الدينية المصرية . أما باقى النظريات فهى تتشابك معا لترسم صورة أكبر لم يستطع علماء المصريات استيعابها حتى الآن .

هل يمكن لنظرية الخلق من الأرض أن تساعدنا فى رسم الصورة الكبيرة التى تكشف لنا عن الهوية الحقيقية لأوزيريس ؟

حسب نظرية الخلق من الأرض , يعتبر أوزيريس ربا للأرض مر بتحول أو صيرورة من حال الى حال , حيث تحول الى روح صعدت للسماء .

ان النظر الى أوزيريس باعتباره ربا للخصوبة , أو ربا للشمس , أو ربا للقمر , أو ربا للنجوم , كل ذلك يدخل تحت مظلة نظرية ديانة النشأة .



(أوزيريس بعد أن بعث من جديد , تحيط به ايزيس و نفتيس)

هل كان أوزيريس رمزا للأرض الأزلية التى ماتت ثم ولدت من جديد فى الزمن الأول لكى ينبثق منها الخلق بعد ذلك ؟

هل أوزيريس هو نفسه الاله الخالق , الذى أخرج الخلق من ذاته ؟

تقدم لنا النصوص الدينية المصرية المزيد من الأدلة التى تقنعنا بتلك الفرضية .

تقول الأسطورة أن أوزيريس دفن فى باطن الأرض , حيث رقد هناك فى ظلمة و فى سكون تام و فى حالة من التمزق و الذى قد يكون رمزا للفوضى الأزلية التى تحدثت عنها كل أساطير الخلق المصرية . و هنا علينا أن ننتبه الى أن المواضع التى قيل أن أوزيريس غرق فيها (مثل منف , و نديت , و جستى , و أندجت) هى رموز لمدن الخلق الأزلية التى يتكون منها العالم الأزلى السديمى . تماما كما تقول الأسطورة أن آتوم أتى فعل الخلق الأول فى مدينة "أون" (هليوبوليس) الأزلية .

و هذا يفسر لنا النصوص التى تقول بأن ايزيس عثرت على جسد أوزيريس "فى منتصف الأرض" كما تفسر لنا دور أنوبيس و "جب" (رب الأرض) فى اعادة الحياة لأوزيريس و تحويله الى روح .

تحدثت النصوص الدينية عن أوزيريس فى بعض الأحيان و كأنه هو نفسه مياه الأزل (الحالة السديمية للكون فى بدء الخليقة) .

تقول متون الأهرام أن ايزيس عثرت على جسد أوزيريس فوق احدى ضفتى نهر النيل عند مدينة "نديت" (Nedyt) و أن مياهه سالت من جسده نتيجة تحلل الجسد .

و تقول متون التوابيت أن سوائل جسد أوزيريس نزفت منه عند دفنه .

أما لوحة شباكا فتقول أن أوزيريس قد غرق فى مياهه .

تذكرنا مياه أوزيريس التى غرق فيها بالمحيط الأزلى الذى خرج منه كل شئ فى الوجود .

يبدو أوزيريس و كأنه هو المصدر الذى ينبع منه ذلك المحيط و هو أصل الفيضان الأزلى الذى تهيمن عليه الفوضى .

يبدو أوزيريس فى حالة من الفوضى فى الأرض و فى الماء . فبعد عودة أوزيريس للحياة يصبح هو مصدر كل المياه الموجودة فى العالم .

جاء فى متون الأهرام أن ايزيس و نفتيس أعادتا الحياة و الصحة لأوزيريس مرة أخرى , و بعد استعادته لقواه أصبح يلقب بعدة ألقاب تتعلق بالمياه , و منها لقب "حائط البحيرات" , و لقب "البحر" , و "المحيط" و لقب "الذى يحيط بالجزر" .

تؤكد متون الأهرام و متون التوابيت على أن المياه التى تنبع من جسد أوزيريس تملأ القنوات

و الطرق المائية للأرضين . و وسط هذا الفيضان العظيم , يتحول أوزيريس الى أرض .

تقول نصوص لوحة شباكا أن ايزيس و نفتيس أمسكتا بأوزيريس و هو يغرق فى مياهه و أنتشلتاه الى البر / الأرض . و يعتبر ذلك تعبيرا مجازيا عن ظهور الأرض الأزلية من مياه الأزل "نون" .

و يتأكد لنا هذا المعنى حين نعرف أن ايزيس و نفتيس قامتا بجمع أجزاء جسد أوزيريس , و أن هناك نصوص أخرى (كنصوص معبد ادفو) قالت أن التل الأزلى أو الأرض الأزلية تشكلت من أعضاء جسد الاله الخالق بعد تجميعها .

يمكننا القول بأن أوزيريس يرمز للأرض الأزلية و المياه الأزلية "نون" فى حالتهما السديمية التى تهيمن عليها العشوائية .

يرمز أوزيريس للفيضان الكونى العظيم الذى تدفق من "نون" , كما يرمز للتل الأزل الذى ارتفع منها .

و رمزية أوزيريس لا تقتصر فقط على ذلك . فنصوص الأهرام تقول أن "جب" (رب الأرض) قام بتحويل أوزيريس الى روح . و هى صفة تلازم الاله الخالق الذى يرتفع من المياه الأزلية و الأرض الأزلية على هيئة روح .

و لكن أوزيريس ليس مجرد روح ارتفعت عن الأرض و المياه الأزلية , و انما هو عالم الروح كله و الذى انبثق من العالم السفلى , ثم ارتفع فوقه .

يتأكد لنا هذا المعنى عند قراءة نصوص الأهرام , و فيها نجد أوزيريس يوصف بأنه (ال "آخت" الذى يولد منه "رع") .

اذن أوزيريس يرمز لذلك البعد من أبعاد الوجود الذى يتحول فيه الاله الخالق الى "آخ" (روح) و يعرج للسماء .

و فى عصر الدولة الحديثة أصبح أوزيريس رمزا للعالم السفلى (دوات) و الذى يتصل اتصالا وثيقا بال "آخت" (الأفق) . يصعد أوزيريس للسماء باعتباره الاله الخالق .

تصفه متون الأهرام بأنه يصعد للسماء وحده أو بصحبة ابنه حورس و يجعل منه (الاله العظيم فى

المياه السماوية) . كما تصف متون الأهرام أيضا صعود أوزيريس للسماء فتقول بأنه تحول الى النجم "ساح" و أن جوارحه أصبحت هى النجوم التى لا تأفل .

و هناك نص شيق من نصوص الأهرام وصف أوزيريس بأن هناك عيونا تخرج من رأسه ثم تتحول الى قارب النهار و قارب الليل , أى أن العيون التى انبثقت من رأس أوزيريس قد تحولت الى الشمس و القمر .

و فى أحد النصوص يظهر أوزيريس و هو يرفع السماء و يفصلها عن الأرض .

جاء فى النص رقم 577 من متون الأهرام هذه العبارات التى تخاطب أوزيريس قائلة :-

** أنت تحمل السماء فوق جنبك الأيمن , فتحفظ الحياة و تبقيها مستمرة .... و تحمل الأرض فوق جنبك الأيسر , فتبقيها تحت هيمنتك **

أشارت متون الأهرام فى أكثر من موضع الى تقلب أوزيريس و تحوله من الرقود على جنبه الأيسر الى الرقود على جنبه الأيمن . و من مقارنة هذه النصوص بنصوص أخرى نستنتج أن هذا الوصف هو رمز لتحول أوزيريس من الموت الى الحياة . فأوزيريس مات حين سقط على جنبه الأيسر و بعث للحياة من جديد حين اعتدل ليصير راقدا على جنبه الأيمن .

أى أن أوزيريس بتحوله من الرقود فوق الجنب الأيسر الى الجنب الأيمن رفع السماء و فصلها عن الأرض , أى رفع عالم الروح للسماء بعد أن كان ممتزجا مع عالم الأرض و العالم السفلى . يذكرنا ذلك بأسطورة "شو" (رب الهواء) و دوره فى خلق الكون حين رفع السماء و فصلها عن الأرض .

باختصار , هناك العديد من نقاط التشابه بين أسطورة موت و بعث أوزيريس و بين قصة الخلق , حيث يحمل أوزيريس صفات الاله الخالق .

و يعتبر تمزق جسد أوزيريس و غرقه رمزا للعالم الأزلى السديمى (أى العالم فى حالة ما قبل الخلق) و الذى امتزجت فيه الأرض الأزلية بالمياه الأزلية و هيمنت عليهما العشوائية و الرغبة . اذا كان هناك اختلاف بين أوزيريس و بين التجليات الأخرى للاله الخالق فهذا الاختلاف يكمن فقط فى حالة التراخى و السكون التى لازمت أوزيريس دائما و جعلته ضحية لعنف "ست".

و من النادر أن نعثر على أى كيان الهى آخر تعرض لمثل هذا العنف الذى تعرض له أوزيريس .
يقف أوزيريس ككيان الهى فريد فى أساطير الخلق المصرية , لأنه مات و بعث من جديد .

اذا كان تفسير أسطورة أوزيريس بهذا الوضوح فلماذا عجز علماء المصريات عن الانتباه اليه ؟
يكمن أحد الأسباب فى نظرة المؤرخين الاغريق (من أمثال ديودور الصقلى و بلوتارك) للأساطير المصرية , حيث تأثر علم المصريات الحديث بهذه النظرة . تأثر المؤرخون بآراء الفيلسوف الاغريقى "يوهيميروس" الذى اعتبر أوزيريس بشرا من لحم و دم عاش فى حقبة تاريخية قديمة و علم قدماء المصريين الحضارة .
وجد علماء المصريات الأوائل أن تلك الفكرة مقنعة بالنسبة لهم , ربما بسبب تشابهها فى بعض الجوانب مع قصة المسيح الذى مات ثم بعث للحياة مرة أخرى .
و حتى يومنا هذا يقع الكثير من الباحثين فى الفخ حين يقومون باقتباس النسخة البلوتاركية المحرفة من أسطورة أوزيريس , بدلا من أن يبذلوا الجهد فى محاولة جمع أجزاء الأسطورة من مصادرها المصرية الأصلية كمتون الأهرام و متون التوابيت .
أما السبب الثانى فى عدم قدرة علماء المصريات على ادراك مغزى أسطورة أوزيريس , فهو أن موت أحد الكيانات الالهية هو موضوع غير مألوف فى الميثولوجيا المصرية .
و باستثناء نصوص ادفو (و التى دونت فى العصر البطلمى) , لا نجد أثرا لفكرة الكيان الالهى الذى يذوق الموت سوى فى أسطورة أوزيريس فقط .
و قد رفض الباحثون تفسير الديانة المصرية القديمة على ضوء نظرية الخلق من الأرض حيث يقوم أوزيريس بدور الاله الخالق لأن أوزيريس لم يلقى تقديسا على نطاق واسع فى مصر القديمة قبل عصر الأسرة الخامسه , على حد زعمهم . و هو ما يثير الدهشة , لأن أسطورة أوزيريس تعتبر جوهرية بالنسبة لمنصب الملكية فى مصر القديمة كما أنها أيضا جزء أساسى من فكر مدرسة "أون" (هليوبوليس) .
و لكى نحل هذه المشكلة علينا أن ننتبه أولا الى شئ هام و هو أن أوزيريس فى مرحلة ما من تطور

أسطورته ارتدى عباءة عدد من الكيانات الالهية الأخرى مثل أندجتى , و خنتى أمنتيو , و حورس , و سوكر .

ربما كان هناك فى مصر فى العصر العتيق العديد من الكيانات الالهية التى ماتت و بعثت من جديد و لكنهم انضموا جميعا تحت لواء أوزيريس و ذابوا فى شخصيته بقدوم عصر متون الأهرام (أى عصر الأسرة الخامسه , حوالى 2400 قبل الميلاد) . و ربما بسبب التشابه الشديد بينهم جميعا أصبح أوزيريس كالمغناطيس الذى يجتذب اليه كل الكيانات الالهية التى تشبهه الى أن اندمجوا جميعا فى شخصية أوزيريس و أصبحوا جزءا من أسطورته .

و لكن العنصر الأساسى الذى يرتكز اليه التحليل الأكاديمى لأسطورة أوزيريس هو الاعتقاد المطلق و الراسخ بأن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية .

فعالم المصريات المتخصص يرى أن الاله الخالق فى مصر القديمة لابد و أن يكون هو اله الشمس و أن أى كيان الهى آخر لابد و أن يكون فى مرتبة تاليه لاله الشمس و لا يمكن أن يكون هو من أتى فعل الخلق الأول .

و لذلك لا يتصور علماء المصريات أن أوزيريس يمكن أن يكون على قمة الجمع الالهى لأنه فى المقام الأول اله أرضى و ليس شمسى .

بل ان الباحثين عادة ما يصنفون أوزيريس باعتباره اله "تحت - أرضى" أى ينتمى للعالم السفلى (الدوات) مهملين بذلك الجانب النجمى من شخصيته .

فأوزيريس – فى نظر البعض - ليس له مكان محدد فى السماء و هو يظهر فى قبة السماء فقط لأن كهنة "أون" (هليوبوليس) اضطروا لرفعه للسماء نتيجة ضغوط سياسية . هكذا يفترض بعض الباحثين و هكذا يبررون عدم قدرتهم على أخذ الأسطورة بعين الجد .

و هكذا أصبح أوزيريس فى نظرهم ربا من أرباب الطبيعة و رمزا لموت الأرض و بعثها فى كل موسم زراعى جديد .

و هذه النظرة الأكاديمية لأسطورة أوزيريس فى الحقيقة لا تتفق مع ما قاله قدماء المصريين .

ففى أقدم النصوص الدينية المصرية (و هى متون الأهرام) يبدو أوزيريس و هو مستسلم للرقود فى

باطن الأرض أو فى السماء .

و هناك روايات تناولت صعوده من عالم الى عالم آخر . و لكن لا يوجد دليل واضح على أن أوزيريس تحول الى جرم سماوى . و تأويل هوية أوزيريس كجرم سماوى هو مجرد تكهن يحاول تدعيم نظرية الديانة الشمسية .

يتوقف فهم هوية أوزيريس على الطريقة التى ينظر بها الباحث للديانة المصرية القديمة , سواء ديانة شمسية أو أرضية .

من وجهة نظر الديانة الشمسية يعتبر اله الشمس هو الاله الرئيسى (الذى أتى فعل الخلق الأول) و أوزيريس هو كيان الهى ثانوى .

و لكن من وجهة نظر "ديانة النشأة" يعتبر أوزيريس هو الاله الرئيسى بينما اله الشمس هو كيان الهى ثانوى .

اذا غيرنا نظرتنا من الديانة الشمسية لديانة النشأة فستتغير كل صفات أوزيريس الأرضية و السماوية و يصبح لها معنى يفسر و يوضح فكرة الخلق من الأرض . و سنكتشف أن أسطورة أوزيريس قد أسيئ تأويلها و أسيئ فهمها لأسباب سياسية .

و ستتضح لنا هوية أوزيريس الحقيقية ككيان الهى أرضى قام بفعل الخلق الأول و لن نكون بحاجة لابتكار أى فرضيات غير مجدية .

يشكل موت أوزيريس حجر الزاوية فى هذه الأسطورة , و هو العنصر الفريد الذى لا نجده عند أى كيان الهى آخر .

من وجهة نظر الديانة الشمسية , يعتبر موت أوزيريس حدثا هامشيا يتم استدعاؤه لتفسير موت الملك و رغبته فى الحصول على حياة أخرى أبدية بعد الموت بأن يصبح هو نفسه أوزيريس , و بذلك يولد الملك من جديد مع كل فيضان جديد للنيل و مع كل محصول جديد يخرج من الأرض .

أما نظرية ديانة النشأة فترى أن موت أوزيريس هو حدث جوهرى فى نشأة الكون و تطوره .

حيث يرمز موت أوزيريس لانهدام كون قديم كان موجودا قبل كوننا , و تحلله لعناصره الأولية , ثم

بعثه فى صورة كون جديد . تضع الديانة الأرضية أوزيريس فى قلب قصة الخلق , بل و تنظر اليه باعتباره الاله الخالق بامتياز .

يعيدنا ذلك مرة أخرى الى نصوص معبد ادفو و الى جزيرة البوص . فقد علقت المترجمة "ايف ريموند" على نصوص ادفو قائلة أن هذه النصوص تصف موت عالم مادى و اعادة خلقه من جديد , و ذلك من خلال وصف موت و بعث رب ذلك العالم و الذى يعتبر هو الجد الأعلى أو السلف الأول الذى انبثق منه ذلك العالم , و الذى أطلق عليه فى نصوص ادفو اسم "الاله بن" (Pn-god) و برغم أن النصوص غير واضحة فى حديثها عن خلق السماء , الا انها تحمل العديد من أوجه التشابه مع أسطورة موت و بعث أوزيريس . و قد لاحظت "ايف ريموند" ذلك التشابه .

فهل يمكن أن يكون أوزيريس رمزا لذلك الكون القديم الذى انهدم ثم عاد للحياة مرة أخرى .

لم تستطع "ايف ريموند" أن تطرح ذلك السؤال فى كتابها , لأن دراستها كانت منصبة بشكل أساسى على الأصل الميثولوجى (الأسطورى) للمعبد المصرى . و لم تكن تسعى فى تلك الدراسة لتفنيد النظريات الأكاديمية التى تعاملت مع أسطورة أوزيريس و قصة الخلق فى مصر القديمة .

و لكن على ما يبدو أن الوقت قد حان لتفنيد هذه النظريات و اعادة مناقشتها .

اعادة جمع أشلاء العالم :-

فى الفقرة السابقة من الكتاب طرحت امكانية أن يكون تمزق جسد أوزيريس رمزا لحالة الفوضى الأزلية التى كانت تهيمن على العالم فى مرحلة ما من مراحل نشأة الكون , و أن يكون اعادة تجميع أجزاء الجسد الممزق هو رمز انتهاء الفوضى و هيمنة النظام .

و لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد . فأعضاء جسد أوزيريس و جوارحه ترمز أيضا للأرض التى تحللت الى عناصرها الأولية و التى يغمرها المحيط الأزلى . و اعادة تجميع أجزاء جسد أوزيريس ترمز لاعادة خلق الأرض من جديد و اعادة تركيب عناصرها الأولية لكى تعود و ترتفع من "نون" على هيئة تل أزلى .

و هناك أدلة تؤيد تلك الفرضية , ليس فقط فى أسطورة أوزيريس و انما أيضا فى أسطورة آتوم

و بتاح . و أقدم دليل يعبر عن هذه الفكرة نجده متون الأهرام فى النصوص التى تتحدث عن بعث أوزيريس .

بالاضافة الى النصوص التى تشير الى اعادة تجميع أجزاء جسد أوزيريس , هناك نص ذكر أن نفتيس تقوم باعادة "بناء" أوزيريس . يقول النص :-

** لقد جمعت نفتيس كل أجزاء جسدك , و هى فى هيئة "سشات" , ربة البنائين **

كانت "سشات" هى ربة البناء فى مصر القديمة و كان دورها محوريا فى بناء المعابد و الصروح الدينية المقدسة . تظهر "سشات" دائما و هى تقوم بوضع أساس المعبد , كما فى معبد ادفو على سبيل المثال .

يمكننا اذن أن نقول أن المصرى القديم منذ عصر متون الأهرام كان ينظر لاعادة تجميع أجزاء جسد أوزيريس كتعبير مجازى عن تشييد صرح أو معبد . و لما كان المعبد صورة مصغرة من الكون يتم تشييدها فوق التل الأزلى يمكننا اذن أن نقول أن أوزيريس هو التل الأزلى الذى بنى فوقه معبد الكون , و أن تجميع أجزاء جسد أوزيريس هو رمز لامتزاج العناصر التى خلق منها التل الأزلى .

و هناك المزيد من الأدلة الأكثر وضوحا فى متون التوابيت .

فى النص رقم 76 من متون التوابيت فى سياق الحديث عن خلق السماء و رفعها فوق الأرض نقرأ هذه العبارات على لسان "شو" (رب الهواء) :-

** ها هو "جب" (رب الأرض) يشكل الأرضين لأبى آتوم **

و فى النص رقم 80 من متون التوابيت يقول آتوم :-

** كنت متوحدا مع "نون" (مياه الأزل) فى سكون تام , حين لم يكن هناك موطئا لقدمى , حين لم تكن مدينة "أون" (هليوبوليس) قد شيدت بعد لأسكنها , و حين لم تكن زهور اللوتس قد جمعت بعد من أجلى , قبل أن أجعل "نوت" (السماء) من فوقى , حين كنت أطفو فى مياه الأزل يعترينى الوهن , و الأسلاف فى سكون . انه "جب" (رب الأرض) الذى يحيا و يمنح قلبى القوة و الحياة , حين قام "جب" بجمع أعضاء جسدى الواهن **

يخبرنا هذا النص أن "جب" أتى للوجود حين جمع أعضاء جسد آتوم الواهنة و أعاد لقلبه النشاط و الحيوية . و لما كان "جب" يمثل الأرض الأزلية , فمما لا شك فيه أن جمع أعضاء جسد آتوم يعنى خلق التل الأزلى . و خصوصا أن التل الأزلى جاء ذكره ثلاث مرات قبل العبارة التى تحدثت عن جمع أعضاء جسد آتوم . و الكلمات التى تشير للتل الأزلى هى موطئ قدم آتوم , و مدينة أون , و جمع أزهار اللوتس .

و نلاحظ وجود أوجه تشابه بين هذا النص و بين أسطورة أوزيريس , و خصوصا فيما يتعلق بجمع أعضاء جسد آتوم و الذى يعبر عن خلق التل الأزلى .

و هناك مثال آخر فى أنشودة برلين لبتاح (من عصر الأسرة ال 22) . و قد اقتطفنا منها هذا النص , و فيه نقرأ كيف قام بتاح (و هو على هيئة "تا تنن") بجمع أعضاء جسده ليخلق منها التل الأزلى , يقول النص :-

** لقد شيدت جوارحك , و صورت جسدك , قبل أن تأتى السماء و الأرض و المياه للوجود . لقد شكلت الأرض , و جمعت جوارحك , و عانقت أعضاءك . كنت وحدك و لا موجود سواك , حين صنعت عرشك , و خلقت الأرضين **

يتضح لنا من هذا النص أن أعضاء جسد الاله الخالق هى رمز للأرض الأزلية .

فى السطر الأول من النص يقوم بتاح بتشييد الصورة الأولية للأرض و هو ما زال داخل مياه الأزل (أى فى حالة سديمية) . و فى السطر الثانى يقوم بتاح بتشكيل الأرض الأزلية بعد أن خرجت من مياه الأزل , و التى يطلق عليها أحيانا "التل الأزلى" , و أحيان أخرى "عرش الاله" أو "الأرضين"

و هنا نلاحظ من جديد مدى التشابه بين هذا النص و بين أسطورة أوزيريس .

و نكمل أنشودة برلين لبتاح , حيث نقرأ فيها هذا النص الذى يقول :-

** حين وقفت فوق الأرض فى سكونها اجتمعت عناصرها و تشكلت , و كنت فى هيئة "تا تنن" الذى وحد الأرضين **

يؤكد النص أن الأرض التى تحولت الى تل أزلى بدأت بحالة من السكون و السديمية و لكنها تشكلت بمعالم واضحة بعد أن وقف الاله الخالق فوقها .

و هناك فكرة شبيهة بذلك فى أحد النصوص التى تعود للعصر البطلمى و التى تصف مدينة طيبة بأنها الكون الأصغر أو التل الأزلى . يقول النص :-

** حين كانت الأرض لم تزل فى أعماق مياه الأزل , خطا آمون فوق "واست" (طيبة) . فذهب عنه كل وهن و تعب حين استقر فوقها . كانت "واست" (طيبة) هى ينبوع الحياة الذى تحول الى التل الأزلى الذى ارتفع فى الزمن الأول **

يعتبر هذا النص مثالا آخر للأرض الأزلية أو الصورة الأولية للأرض فى حالتها السديمية , حين كانت مغمورة تحت مياه الأزل . يقوم آمون (بدلا من آتوم) فى هذ النص بدور الاله الخالق الذى يسترد قوته و نشاطه بعد ما أصابه من ضعف و وهن , و ذلك بأن يستقر فوق التل الأزلى .

فى حين أن فى النص السابق كان التل الأزلى هو نفسه بتاح الذى يسترد نشاطه بعد حالة السكون و الوهن التى كان يحيا فيها من قبل .

هذه النصوص جميعا تحمل العديد من أوجه التشابه مع أسطورة أوزيريس و الذى يوصف موته بأنه حالة من الركود و الاسترخاء . كما نستشف منها أن اعادة جمع أجزاء جسد أوزيريس هى رمز جمع عناصر الأرض الأزلية و تشكيلها لتصبح هى نفسها التل الأزلى .

و فى كتاب الخروج الى النهار نقرأ هذا النص الذى يقدم لنا دليلا جديدا على الفكرة التى أطرحها فى هذه الفقرة . و فيه يستيقظ أوزيريس من حالة السبات أو النوم الأزلى بفضل سحر تحوت .

يقول النص :-

** رب الأرض المقدسة , تحوت . الذى جعل النور يسطع فوق جسدك الساكن النائم . من أجلك يا أوزيريس أضاء تحوت الطرق المظلمة . و من أجلك أذهب الوهن و الضعف من جوارحك بقوة السحر الذى فى فمه **

و نلاحظ وجود تشابه بين هذا النص و بين النص السابق الذى يقوم فيه جب بجمع أعضاء جسد آتوم التى أصابها الوهن و الضعف ليخلق منها التل الأزلى .

و من كل ما سبق نستطيع أن نقول أن أوزيريس يرمز لموت عالم قديم و اعادة خلقه من جديد , و أن تمزق جسد أوزيريس يرمز لتحلل الأرض لعناصرها الأولية و التى أعيد تجميعها مرة

أخرى ليخرج منها التل الأزلى .

شمس منتصف الليل :-

اذا كان موت و بعث أوزيريس رمزا لانهدام العالم المادى و اعادة خلقه من جديد , فان العلاقة بينه و بين "رع" تحتاج منا لاعادة نظر .

و كما ذكرنا من قبل , يعتبر أوزيريس هو مصدر الطاقة اللازمة لاعادة خلق رب الشمس من جديد بشكل دائم و متكرر و هو ما يجدد طاقة الكون و يضمن له الاستمرار .

يقوم "رع" بزيارة جسد أوزيريس الراقد فى قاع ال "دوات" (العالم السفلى) كل ليلة و يتحد به , و بذلك يحصل على طاقة متجددة تمنحه القوة الكافية ليدور فى مداره الفلكى الى الأبد .

هذا التكرار الأبدى لرحلة "رع" هو فى الحقيقة اعادة تكرار قصة الخلق , و هو ما يضمن للكون الاستمرار "دجد" (djed) .

أى أن رب الشمس "رع" يمثل مبدأ التكرار الأبدى "نحح" (neheh) و يرتبط بالحركة التى هى سبب نشأة الزمن . أما رب الأرض أوزيريس فيمثل مبدأ ال "دجد" (djet) و يرتبط بالسكون و اللاحركة .

و قد عبر قدماء المصريين عن ذلك بهذه العبارة :-

** أما ال "نحح" فهو النهار ... و أما ال "دجد" فهو الليل . أما الأمس فهو أوزيريس ... و أما الغد فهو "رع" **

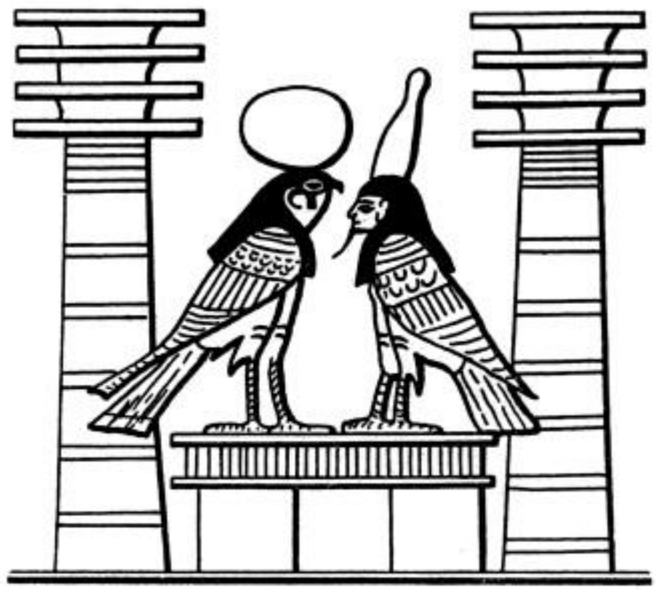
و هكذا رأى المصرى القديم أن كل يوم جديد هو نسخة مكررة من اليوم الأول .

تتضح لنا هذه العلاقة الخاصة بين أوزيريس و "رع" من أقدم الكتب الدينية المصرية , ألا و هى متون الأهرام . يوصف أوزيريس فى العديد من نصوص الأهرام بأنه (ال "آخت" الذى يولد منه رع) .

بينما يطلق أحد النصوص على كل من أوزيريس و "رع" نفس اللقب و هو (حورس الذى فى مقدمة الأرواح) و لكن الفرق بين الاثنين أن أوزيريس يرقد دائما بلا حراك وسط المحيط بينما

"رع" فى حالة حركة دائمة يقطع فيها المحيط ذهابا و ايابا .

و فى واحد من نصوص الأهرام التى تبدو مثيرة للدهشة يوصف رع بأنه فى باطن الأرض تحيط به الأغلال , و كأن "رع" قد تحول الى جسد أوزيريس الراقد بلا حراك فى العالم السفلى .



(عناق روح أوزيريس و روح رع فى مدينة "دجدو")

تقدم لنا متون التوابيت المزيد من الايضاح لفكرة شمس منتصف الليل . حيث يصف أحد النصوص "رع" بأنه ينزل من السماء ليذرف الدمع على جسده الذى يرقد فى "أون" (هليوبوليس) .

و فى نص آخر من نصوص التوابيت نقرأ أن روح أوزيريس دخلت الى مدينة "دجدو" (Djedu) حيث قابلت روح "رع" و عانقتها و فى لحظة العناق يطلق عليهما اسم "الأرواح التوأم" .

و فى كتاب الخروج الى النهار نقرأ أن رب العالم السفلى هو أوزيريس , و هو أيضا "رع" (أو بمعنى أدق "با رع" أو روح رع) الذى يتزاوج مع ذاته ليجدد طاقة الكون .

أما كتب العالم الآخر التى ظهرت فى عصر الدولة الحديثة فقد تناولت بالتفصيل لقاء رع و أوزيريس فى العالم السفلى . سجلت هذه الكتب على جدران مقابر ملوك الدولة الحديثه , و فيها

وصف تصويرى مصحوب بنصوص تتناول رحلة رع فى العالم السفلى و لقائه بأوزيريس .

و هناك روايات مختلفة , كل رواية تتناول جانبا من جوانب الرحلة و تعتبر كتابا من كتب العالم الآخر . و أسماء هذه الكتب كما يطلق عليها علم المصريات :-

*** كتاب الغرفة الخفية (أمدوات)

*** كتاب البوابات

**** كتاب العالم السفلى

*** كتاب الكهوف

*** كتاب الأرض

و أنا لا أسعى فى هذا الكتاب لتقديم دراسة تفصيلية لكتب العالم الآخر و انما سأكتفى بذكر الأفكار الرئيسية التى تدور حولها هذه الكتب و التى يمكن أن نختصرها فى هذه النقاط .



أحد مشاهد كتاب الأمدوات (وصف ما هو كائن فى العالم الآخر) : قارب رع الذى يبحر فى العالم السفلى

تبدأ رحلة "رع" بنزوله من السماء و دخوله للعالم السفلى من بوابة الأفق الغربى "آخت" .

و من الأفق الغربى يمر رع من بوابات الأرض و يدخل العالم السفلى الذى يطلق عليه فى مصر القديمة اسم "دوات" أو "أمنتت" .

ينقسم العالم السفلى بوجه عام الى 12 مرحلة / محطة / منطقة / بوابة (أو 12 ساعة) , باستثناء كتاب الكهوف الذى تنقسم فيه رحلة "رع" الى 6 محطات أو مراحل أو كهوف من الأرض و الماء تكتنفها الظلمة .

فى بعض الكتب يسافر رع بقاربه الشمسى الذى تجره الكيانات الالهية بحبل , و فى البعض الآخر يسافر رع على هيئة قرص شمس .

يظهر رع فى مشاهد رحلة العالم السفلى على هيئة رجل برأس كبش , أى على هيئة روح , و فى نفس الوقت على هيئة جسد من اللحم و يطلق عليه باللغة المصرية القديمة اسم "ايوف" (iwf) .

و كلما سار "رع" فى العالم السفلى , أضاء نوره ظلمات ذلك العالم و أيقظ أرض الموتى التى يسكنها أيضا العديد من الكيانات الالهية .

و أثناء مروره , يأمر رع بتوزيع القرابين على سكان العالم السفلى و يمنح المبجلين منهم الحياة الأبدية , بينما يأمر بمعاقبة الآخرين حيث تقطع أوصالهم و يحرقون فى مراجل أو يطرحون فى بحيرات تغلى مياهها فتنصهر جلودهم .

و هدف رع من القيام بهذه الرحلة هو أن يتحد بجسده , و الذى يرمز له بجسد أوزيريس .

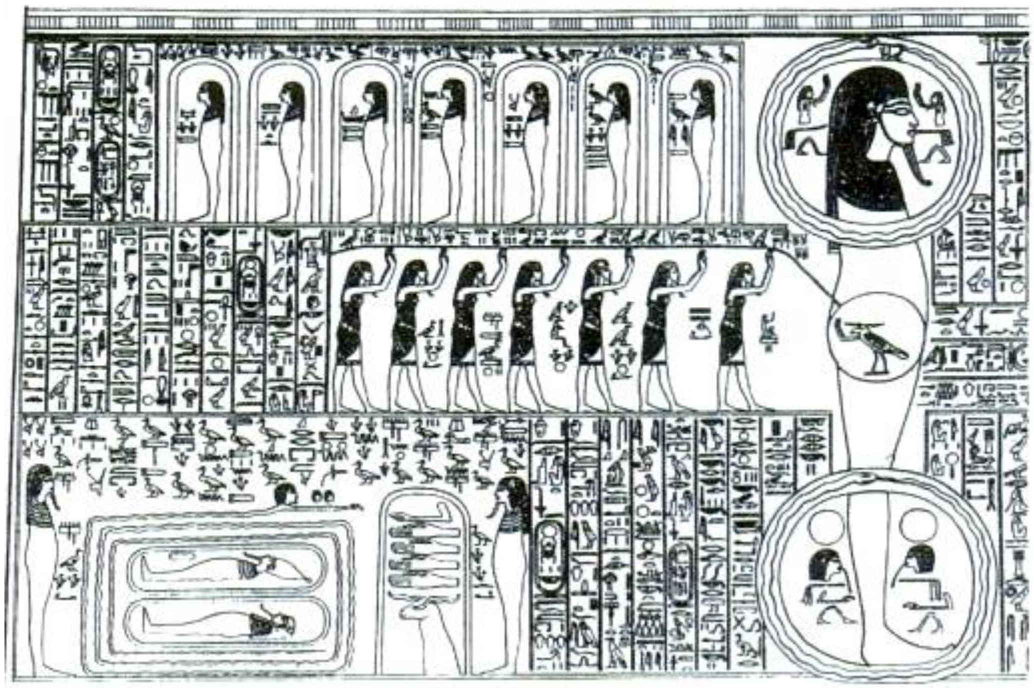
هذا اللقاء المنشود بين رع و أوزيريس يقع فى الساعة التى ينتصف فيها الليل , حين يصل رع الى قاع العالم السفلى الذى يرقد فيه جسد أوزيريس بلا حراك داخل تابوته . و هناك تتحد "با" (روح) رب الشمس "رع" بجسد رب الأرض أوزيريس و تعيد اليه الحياة مرة أخرى , و بذلك تبعث الكيانات الالهية على هيئة أرواح .

يوصف هذا الحدث فى النصوص الدينية المصرية بأنه سر الأسرار .

و بعد اعادة الحياة لأوزيريس , يستمر رع فى رحلته و يعبر المراحل أو المناطق المتبقية من ال "دوات" (العالم السفلى) , ليصل فى النهاية الى الأفق الشرقى "آخت" حيث يصعد من العالم السفلى للسماء .

و فى المراحل الأخيرة من الرحلة يتعرض موكب "رع" لهجوم ثعبان الظلام و الفوضى "عبيب" (أبو فيس) . و هنا تبادر العديد من الكيانات الالهية التى تصاحب "رع" و تسافر معه فى قاربه

بالدفاع عنه .



(أحد مشاهد كتاب العالم السفلى : اتحاد رع و أوزيريس)

ما الذى نفهمه من هذه الرحلة ؟

اعتاد علماء المصريات لسنوات طويلة النظر الى كتب العالم الآخر نظرة شك و ازدراء .

و فى نظرهم تعتبر زيارة رع لأوزيريس فى أعماق الأرض شيئا هزليا , و يحاولون تفسير ذلك تفسيرا سياسيا و يعزون ذلك لوجود تنافس بين ديانة رع و ديانة أوزيريس ينتهى بدمج الاثنين معا فى رحلة يموت فيها رع و يولد من جديد ليحاكى أوزيريس .

يفترض علماء المصريات أن ملوك و كهنة الدولة الحديثة قاموا بتحريف أسطورة الشمس الأصلية و تطويعها لأهداف جنائزية يتم فيها تحويل قوة اله الشمس رع و قدرته على أن يولد من جديد كل يوم لخدمة الملك المتوفى فى مقبرته . و لذلك نجد الرواد المتخصصين فى علم المصريات قد أظهروا عدم الاكتراث بكتب العالم الآخر و وصفوها بأنها نتاج خيال الكهنة و أنها لا علاقة لها

بالديانة المصرية القديمة و لا بقصة الخلق .

اجتذبت كتب العالم الآخر اهتمام الباحثين فقط باعتبارها المصدر الأصلى لبعض الطقوس الدينية اليونانية القديمة , و خصوصا طقوس الربة ايزيس . ولكن فى السنوات الأخيرة بدأ عدد من علماء المصريات فى اتخاذ موقف أكثر ايجابية تجاه كتب العالم الآخر المصرية و للعلاقة بين رع و أوزيريس .

فى عام 1948 ميلادية كتب هنرى فرانكفورت قائلا أنه لم يكن هناك أى صراع أو تنافس بين رع و أوزيريس , و أنهما فى الحقيقة لا يتنافران و انما يكمل أحدهما الآخر داخل سياق الديانة المصرية القديمة التى قامت على مفهوم التكرار الأبدى لدورات الطبيعة و الحركة الدائبة التى تعيد الخلق من جديد و هى الأساس الذى يقوم عليه النظام الكونى الذى لا يتغير .

و فى عام 1984 ميلادية كتب عالم المصريات جان أسمان قائلا أن رع و أوزيريس يشتركان معا فى خلق الزمن , حيث يرمز رع لمبدأ ال "نحح" أى التكرار الأبدى أو العود الأبدى بينما يمثل أوزيريس مبدأ الاستمرار الأبدى . و اتحاد كل من رع و أوزيريس هو سر حركة الزمن الذى يكمن سر لانهائيته فى اعادة تكرار دوراته الى ما لا نهاية . أو كما يقول جان اسمان ان اعادة تكرار دورات الزمن هو الذى يضمن استمرار الواقع (reality) .

يرى جان أسمان أن قدماء المصريين استوحوا مفهوم الزمن من دورة الشمس التى يعبر فيها خبرى (رمز التحول / الصيرورة) عن مبدأ ال "نحح" (التكرار الأبدى) , بينما يعبر "آتوم" عن مبدأ ال "دجد" (الاستمرار الأبدى) .

و هكذا بدأ علم المصريات مؤخرا فى فهم طبيعة رحلة رع فى العالم السفلى و أصبحت الآن تبدو منطقية و متماشية مع فكرة قدماء المصريين عن طبيعة الزمن الدوار .

و لكن هل يمكن أن يكون هناك سبب آخر لارتحال رع فى باطن الأرض , سبب يتعلق بأصل مبدأ ال "نحح" (التكرار الأبدى) و ال "دجد" (الاستمرار الأبدى) للزمن ؟

ذكرنا فى الفصل الأول أن دور "رع" فى منظومة الخلق هو اعادة تكرار أحداث الزمن الأول "سب - تبى" (zep tepi) .

فى كتاب "نوت" – على سبيل المثال – يظهر "رع" فى هيئة قرص شمس يولد فى الصباح من رحم "نوت" الذى يرمز للدوات (العالم السفلى) . و يقول النص المصاحب لهذا المشهد :-

** يسترد "رع" قواه و يعود فعالا و قويا "آخ" (akh) من جديد عن طريق أوزيريس رب أبيدوس فى صورته الأولية . يولد رع من جديد , ثم يصعد للسماء . يأتى رع للوجود من جديد , كما أتى للوجود فى الزمن الأول , كما أتى للوجود أول مرة ***

تحدثت العديد من النصوص الدينية المصرية عن مبدأ اعادة تكرار أحداث النشأة الأولى .

و قد بدأ علماء المصريات مؤخرا فى الانتباه لذلك .

أصبح من المفهوم لدى الباحثين الآن أن ظهور رع فى الأفق الشرقى للسماء كل صباح هو اعادة تكرار لظهوره فى الزمن الأول و أن ميلاده من جديد عند فجر كل يوم هو تكرار لميلاده أول مرة من مياه الأزل "نون" التى يرمز لها ب رحم "نوت" (السماء) .

و أصبح من المفهوم أيضا (و لكن بشكل جزئى) أن هزيمة أعداء رع هى اعادة تكرار لهزيمة قوى الفوضى الكونية و انتصار رع عليها فى الزمن الأول .

و بنفس المنطق , يمكننا أن نقول أيضا أن رحلة رع فى ال "دوات" (العالم السفلى) و اتحاده بجسد أوزيريس الراقد فى قاع الدوات هو اعادة تكرار لأحداث النشأة الأولى و لقصة الخلق .

و لكن هذا الطرح لا يلقى قبولا لدى علماء المصريات بسبب هيمنة نظرية الخلق من الشمس و التى تنسب فعل الخلق الأول لرب الشمس رع , و ليس لأوزيريس .

و عند هيمنة نظرية الخلق من الشمس يصبح من الصعب فهم مغزى رحلة رع فى باطن الأرض و اكتشاف العلاقة بين هذه الرحلة و بين اعادة قصة الخلق و اعادة تدوير الزمن .

و قد لاحظ الباحثون مؤخرا أن كتب العالم الآخر المصرية تحتوى على العديد من صور و تجليات الاله الخالق , و العديد من المشاهد التى تعبر عن لحظة الخلق , لا يقتصر ذلك على اللحظة الأخيرة التى يولد فيها رع فى الأفق الشرقى و انما طوال رحلته فى العالم السفلى .

فى كتب العالم الآخر , نرى آتوم و خبرى و نون و نوت و شو و تفنوت , بالاضافة الى أرباب الأرض مثل "تا تنن" و جب و آكر و سوكر (و نلاحظ أن أرباب الأرض تظهر فى هيئة

جثامين أو مومياوات ترقد بلا حراك داخل توابيت) .

فى كتب العالم الآخر نرى الظلمة الكثيفة التى كانت سائدة فى زمن الفوضى الأزلية , و نرى مياه الأزل التى تهب رع طاقة الحياة المتجددة .

فى كتب العالم الآخر , نرى "سيا" (العلم الكلى/الشامل) و "حكا" (السحر الأزلى / الكونى) بصحبة رع فى قاربه , و نرى أرواح النجوم و هى تجر القارب بحبل , و نراها و هى تدافع عن القارب و تحميه من قوى الفوضى و الظلام التى تهاجمه .

و فى كل مرحلة من مراحل الرحلة نرى دمار و هلاك كل من يقف فى طريق رع و يحاول منعه من الوصول الى غاية رحلته و منتهاها و هى أن يولد من جديد (أى يعيد تكرار قصة الخلق) .

كل هذه الصور التى تتعلق بقصة الخلق تبدو مفهومة و ذات مغزى حين تستبدل نظرية الخلق من الشمس بنظرية ديانة النشأة .

و عند ذلك سندرك أن رع يرتحل فى باطن الأرض ليعود الى النقطة التى بدأت منها قصة الخلق , و سندرك أن قارب رع يخترق العالم ال "تحت - أرضى" ليعيد تكرار رحلته الأزلية التى انتقل فيها من عالم الظلمة (مياه الأزل) الى عالم النور (السماء) .

ان اتحاد رع بجسده (فى هيئة جسد أوزيريس) و ميلاده من جديد هو اعادة تكرار لقصة الخلق حين انبثقت روح الاله الخالق من جسده و انفصلت عنه و هكذا خلقت ال "كا" (الجسم الأثيرى/النجمى) من الأرض الأزلية .

و من كل ما سبق يمكننا أيضا أن نستشف أن موت و بعث أوزيريس يرمز لموت عالم قديم كان موجودا قبل عالمنا و اعادة خلقه من جديد , و أن جسد أوزيريس المحنط يرمز لعناصر الكون القديم التى تحللت ثم أعيد تشكيلها من جديد .

ان اتحاد رع و أوزيريس فى أعماق العالم السفلى فى قلب الليل (و تحديدا فى منتصف الليل) هو بحق سر الأسرار . هو رمز خلق الكون الذى نحيا فيه من بقايا كون قديم انتهى زمنه و انهدم و تحلل الى عناصره الأولية .

ان مصطلح شمس منتصف الليل لا يرمز فقط لميلاد الشمس من جديد كل يوم , و انما يرمز فى

المقام الأول لميلاد الكون من جديد .

ان لحظة ميلاد الشمس من جديد فى الأفق الشرقى هى صورة مصغرة و نسخة مكررة من لحظة ميلاد الكون بعد أن خلق من جديد من بقايا الكون القديم .

و بتصوير هذه الرحلة الغامضة على جدران المقابر (حيث المقبرة هى رمز العالم السفلى) كان المصرى القديم يهدف للتأكيد على دور روح ملك مصر فى هذه الرحلة و مشاركته فيها حيث تقوم مومياء الملك المحنطة بدور جسد أوزيريس الراقد فى قاع العالم السفلى بينما تتبوأ روح الملك مكانها فى قارب رع وسط حاشيته و مرافقيه لتقطع السماء و تعود لتزور الجسد الأوزيرى الراقد فى باطن الأرض كل ليلة و بذلك تيعد تكرار قصة الخلق الى الأبد .

و ذلك يعنى أن الملك يولد من جديد على صورة الاله الخالق , حيث يتحد بالأرض الأزلية و يشارك فى تحولها من الحالة السديمية الساكنة الى أن تتشكل و تصبح تل أزلى ثم يرتفع من الأرض على هيئة روح و يصعد للسماء حيث يتبوأ مقعده بين النجوم .

و عند ذلك يصبح بمقدور روح الملك أن تعود لباطن الأرض كل ليلة لتجدد طاقتها و تعيد تكرار معجزة الخلق .

و هكذا يتضح لنا أن ال "نحح" (التكرار الأبدى) هو الذى يضمن للكون ال "دجد" (الاستمرار الأبدى) .

حين يدور "رع" حول الأرض فهو بذلك يعيد تكرار أحداث قصة الخلق , حيث يرمز غروب الشمس و شروقها من جديد للموت الأزلى للكون القديم و اعادة خلقه من جديد من نفس عناصره القديمة التى تحللت و تفككت .

ان تكرار موت رع و ميلاده من جديد هو الذى يضمن الحياة الأبدية للأرض المتمثلة فى جسد أوزيريس المحنط .

يعيدنا ذلك مرة أخرى لنظرية "جان أسمان" التى يقول فيها أن رع و أوزيريس معا يشكلان الزمن و هو محق بلا شك .

الا أن الفكرة قد تكون أوسع و أشمل من ذلك . فعند النظر الى رع و أوزيريس حسب نظرية

ديانة النشأة , نجد أنهما فى الحقيقة وجهان لنفس الكيان الالهى الذى خلق الكون (أو بمعنى أدق أعاد خلقه) , حيث رع هو الروح و أوزيريس هو الجسد الذى عادت اليه الحياة .

و الاتحاد الخيميائى بين رع و أوزيريس لا يرمز فقط للزمن و انما للأصل الذى نشأ منه الزمن , هذا الأصل الذى أطلق عليه قدماء المصريين اسم "سب - تبى" (zep tepi) , أى الزمن الأول .

<u>لغز شمس منتصف الليل :-</u>

كتب الفيلسوف اللاتينى (الأمازيغى الأصل) "لوسيوس أبوليوس" فى كتابه الذى يحمل عنوان "التحولات" فى القرن الثانى الميلادى :-

*** لقد عبرت حدود الموت , و تخطيت عتبة الربة "بروسربينا" (ربة العالم السفلى) , لقد تحللت الى عناصر أولية ثم عدت من جديد . و فى منتصف الليل رأيت شمسا تضئ بنورها الساطع . وصلت الى أرباب العالم السفلى و العالم العلوى , و قمت بتحيتهم وجها لوجه ***

لاحظ الكثير من الباحثين وجود ملامح مصرية فى هذا الوصف للعالم السفلى الذى جاء فى كتاب التحولات للكاتب اللاتينى لوسيوس أبوليوس .

يصف النص أحد الطقوس السرية و يعرف باسم (katabasis) أى النزول للعالم السفلى , و هو طقس روحى يكون مصحوب عادة بالنزول لقبو أو كهف تحت الأرض تزينه نقوش تصور العالم السفلى و العالم السماوى .

و على نفس المنوال كانت مقابر ملوك الدولة الحديثة بمصر تزين بنقوش و جداريات تصور العالم السفلى , و بذلك يصبح دخول الملك مقبرته بمثابة نزول للعالم السفلى .

و النقوش التى تزين جدران مقابر الدولة الحديثة هى نقوش كوزمزغرافية تصف مسار رب الشمس الذى يبحر فى قاربه فى العالم السفلى و فى السماء فى رحلة تنقسم الى محطات توصف بأنها ساعات .

تحمل كتب العالم الآخر المصرية سمات صوفية روحانية و تكشف عن وجود معرفة باطنية مدونة بطريقة مشفرة داخل هذه الكتب , و هو ما تؤكده طبيعة المشاهد التى تتألف منها الكتب .

ان النظر لكتب العالم الآخر باعتبارها مجرد أدب جنائزى يفقد الباحث المغزى الحقيقى لها و الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بنشأة الكون و بدور الشمس فى اعادة تكرار قصة الخلق .

فى هذه الكتب الكوزمغرافية (كتب العالم الآخر) التى سجلها قدماء المصريين على جدران مقابر ملوك الدولة الحديثه يلتقى العالم السماوى و العالم السفلى .

تصف الكتب زيارة رب العالم السماوى (رع) لسكان العالم السفلى مصحوبا بحاشيته و مرافقيه الذين يركبون معه قاربه الليلى .

و بعد موت ملك مصر , تذهب روحه لتبحر فى قارب "رع" حيث تلتقى هناك بالكيانات الالهية وجها لوجه و تقدم لهم التحيات و الصلوات فى تلك الحضرة الالهية .

و تعتبر مقابلة روح الملك للكيانات الالهية بعد الموت وجها لوجه أحد أهم الموضوعات التى تناولها الأدب الجنائزى فى مصر القديمة .

أن تنظر روح الملك لرب الشمس وجها لوجه فى لحظة الغروب و تقف بين الكيانات الالهية التى تحييه و تبتهل اليه , يعتبر ذلك الهدف الأسمى الذى تسعى اليه نصوص الأدب الجنائزى .

و تعتبر رحلة العالم السفلى التى ذكرت فى كتاب لوسيوس أبوليوس رمزا للموت الذى يتبعه البعث , كما تبعث الشمس فى صباح كل يوم جديد .

يبعث المرتحل للعالم السفلى كما يبعث رب الشمس , و يظهر أمام جموع الناس مبتهجا , تزينه أكاليل من غصون النخل , تماما كما يحدث للروح التى تثبت براءتها أمام محكمة الموت .

لا شك أن طقوس الولادة الروحانية المسماه بطقوس ايزيس السرية و التى وصفها لوسيوس أبوليوس فى كتابه تعود جذورها للطقوس الدينية المصرية القديمة .

من كتاب (الموت و الولادة الروحانية فى الديانة المصرية القديمة) للكاتب جان أسمان , و الذى صدر فى عام 1989 ميلادية .

ملخص الفصل الرابع :-

* قامت قصة الخلق فى مصر القديمة على فكرة الخلق من الأرض , و ليس الخلق من الشمس .

* كان الخلق من الأرض فى الفكر الدينى المصرى هو القاعدة , و ليس الاستثناء . حيث يعتبر آتوم , و خبرى , و جب , و بتاح , و تا تنن كيانات الهية أرضية و ليست شمسية .

* تصف نصوص معبد ادفو كيف صعد الاله الخالق من الأرض على هيئة روح و تجلى فى أول معبد ظهر للوجود . و هذا المعبد الأزلى هو الصورة الأولية للكون .

* تقول نصوص معبد ادفو أن الأرض و المعبد الأزلى أعيد خلقهما من بقايا عالم قديم تعرض للدمار و تحلل الى عناصره الأولية . كما أن الاله الخالق و الكيانات الالهية التى انبثقت منه عادوا جميعا الى حالة اللاوجود , ثم بعثوا من جديد و أتوا للوجود ليعيدوا الخلق من جديد

* يعتبر أوزيريس - و هو أحد أرباب الأرض - الاله الخالق بامتياز , و كذلك مياه الأزل . كما يعتبر موت و بعث أوزيريس تعبير مجازى عن موت كون سابق انتهى زمنه و أعيد خلقه من جديد .

* يرمز تمزق جسد أوزيريس لحالة الفوضى التى هيمنت على الكون فى مرحلة من مراحل الخلق كما يرمز أيضا لتفكك الأرض الأزلية لعناصرها الأولية و امتزاجها بمياه الأزل .

* فى أسطورة الخلق المنسوبة لآتوم و بتاح و تا تنن , يرمز جمع أعضاء جسد الاله لجمع عناصر الأرض الأزلية داخل مياه الأزل و تحولها من الحالة السديمية الى التل الأزلى .

و هذه الأساطير جميعا تتشابه مع أسطورة أوزيريس حيث تعرض جسده للتمزق و أعيد جمع أوصاله و تشكيلها و ربطها بلفائف لتتحول الى مومياء .

* ترمز اعادة اتحاد رع و أوزيريس فى أعماق الأرض الى اعادة تكرار قصة الخلق .

لذلك فان شمس منتصف الليل هى رمز لسر الأسرار , و هو موت الكون و خلقه من جديد .

الفصل الخامس

الاله و الكيانات الالهية

جاء في متون الأهرام (نص رقم 599) :-

*** أيتها الكيانات الالهية , فلتقبلوا جميعا , و لتجتمعوا كما اجتمعتم من قبل من أجل آتوم فى هليوبوليس ***

لم يعتقد قدماء المصريين فى الخلق من عدم . فالنصوص الدينية المصرية تؤكد أن الكون خلق من مواد أولية كانت موجودة من قبل , و قد أطلق عليها قدماء المصريين اسم المياه الأزلية "نون" , و هى تحوى بداخلها المادة الأزلية و الهواء الأزلى .

و عملية الخلق فى نظر قدماء المصريين هى تحول هذه المواد من حالة الفوضى و العشوائية و السديمية التى كانت تهيمن عليها قبل الخلق الى النظام .

الخلق فى مصر القديمة هو بناء كون جديد من بقايا كون قديم مات و انهدم و تحلل الى عناصره الأولية .

وصفت النصوص الدينية المصرية هذا الكون القديم بأنه جسد الاله الخالق .

رمز قدماء المصريين لجسد الاله الخالق ب "نون" , مياه الأزل . كما رمزوا له أيضا ب "أوزيريس" الذى يعتبر جثمانه تعبيرا مجازيا عن الكون القديم فى حالته السديمية حيث السكون و الفوضى و الرغبة . و لكى تبدأ عملية الخلق , كان من الضرورى أن يتم أولا ايقاظ جسد الاله الخالق من السبات أو من الموت . و القوة التى حركت الجسد الساكن هى الروح , و هى عبارة عن طاقة حياة أطلق عليها قدماء المصريين اسم "با" (ba) .

عادت روح الاله الخالق لوعيها داخل "نون" , ثم صعدت من مياه الأزل لتقوم بخلق كون جديد .

و نجد واحدا من أوضح الأمثلة على ذلك فى النص رقم 307 من متون التوابيت , و الذى يقول :-

** أنا "رع" الذى خرج من "نون" على هيئة خبرى ... روحى الهية / مقدسة ... أنا "حو" (الكلمة التى تخلق) , التى لا يخفت صوتها أبدا ... أنا ال "با" (الروح) ....أنا أول الأزليين ... أنا روح من يسكنون معبد الأبدية ..... أنا الروح الأعظم التى تخطت حدود السماء ....أنا الروح التى خلقت المياه السماوية , و جعلت عرشها فى مملكة الموتى (العالم السفلى) **

كان الخلق فى نظر قدماء المصريين عملية تحول و صيرورة بدأت بتحول فى وعى الروح , و كلما تحولت الروح , كلما تحول الجسد و اعترته الصيرورة .

و لكى يخلق الاله الكون الجديد , كان عليه أن يعيد تشكيل العناصر التى يتكون منها جسده , ألا و هى المياه الأزلية و المادة الأزلية و الهواء الأزلى .

لذلك وصفت النصوص الدينية المصرية الاله الخالق بأنه (Kheper-djesef) أى "الذى يخلق ذاته" , أو "الذى يتطور من تلقاء نفسه".

و قد أطلق هذا اللقب كل من آتوم , و رع , و بتاح , و آمون . و لكن "خبرى" (الجعران) هو أكثر الكيانات الالهية قدرة على التعبير عن معجزة الخلق من الماء و الأرض معا .

و اسم "خبرى" مشتق من الفعل "خبر" (kheper) و معناه "يصير / يتحول / يأتى للوجود" .

كما تعبر كلمة "خبرو" (kheperu) عن معانى تتعلق ب "التطور / التحول / الصيرورة" و التى تدور جميعا حول فكرة خلق الكون الجديد .

هناك العديد من النصوص الدينية التى تشير الى أن الاله خلق الكون من ذاته و ليس من عدم .

على سبيل المثال , وصفت متون الأهرام عملية التحول و الصيرورة التى طرأت على آتوم حين ارتفع من مياه الأزل فى هليوبوليس و أخرج "شو" و "تفنوت" من فمه عن طريق العطس أو البصق أو من عضوه الذكرى عن طريق القذف .

و هكذا أصبح الواحد ثلاثة (آتوم + شو + تفنوت) و هكذا بدأت "كاؤه" (روحه) فى التجسد فى الكون الواسع .

يطلق على التل الأزلى لقب (الأرض التى انبثقت من آتوم , و اللعاب الذى سال من خبرى) .

ذكرت النصوص الدينية المصرية أيضا أن "نبر- دجر" (رب حدود السماء) قد جمع أعضاء جسده , ثم تحول الى هذه الأرض الأزلية .

جاء فى أحد النصوص على لسان "نبر- دجر" :-

** شكلت جسدى من المادة الأولية ... خلقت نفسى من المادة الأزلية التى كانت موجودة فى الأزل ....اسمى هو أوزيريس , اسمى هو المادة الأزلية (باؤتى) , اسمى هو "الأزليون" (باؤتيو) **

و هناك مثال آخر , و هو "بتاح تا تنن" , حيث تقول النصوص الدينية المصرية أن بتاح قام بتشكيل الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل بأن أعاد جمع أجزاء جسده .

لذلك يطلق على بتاح لقب (الذى خلق نفسه) .

بدأ التحول يعترى بتاح حين وقف فوق الأرض الأزلية (فى حالتها السديمية) بينما ارتفعت هامته للسماء . و بذلك خلق نفسه فى صورة الكون الذى شيده و رفعه .

جاء فى النصوص الدينية المصرية أيضا أن "شو" قام بدور الاله الخالق فى مرحلة من مراحل نشأة الكون , حيث خلق الغلاف الجوى من "افرازات لحم جسده" . و أبناء "شو" هم أرباب الهواء الثمانية الذين يضعون أقدامهم فوق الأرض و يرفعون السماء , و يطلق عليهم أيضا "اللانهائيون" أو "من ليس لهم نهاية" .

و هناك مثل أخير , و هو آمون . حيث تقول النصوص الدينية المصرية أنه أتى للوجود حين لم يكن هناك أى موجود سواه , ثم قام بتحويل نفسه لصورة أخرى .

يقول أحد النصوص واصفا خلق آمون لذاته :-

** لقد صيرت نفسك لصورة أخرى فأصبحت "تا تنن" (الأرض التى ارتفعت) .... ظهر حسنك للوجود على هيئة "كا - موت – اف" (ثور امه) ... و رفعت نفسك للسماء , و تجليت فى قرص الشمس **

و كما ذكرنا من قبل , الاله الخالق هو روح مهمتها خلق حياة جديدة و اعادة تشكيل جسد قديم مات و تحلل لعناصره الأولية . هذا الجسد هو الكون .

فى البدء , كان هذا الجسد عبارة عن خليط من المياه الأزلية و المادة الأزلية و الهواء الأزلى تهيمن عليه العشوائية و الظلمة و السكون . و بمجرد أن تحركت الروح أتت للوجود ظاهرتان رئيسيتان هما النور و الرياح و بدأتا فى اعادة تشكيل المواد الأولية للجسد الميت .

تحولت المادة الأزلية للحالة الصلبة لتتشكل منها الأرض , ثم انقسمت المياه الأزلية الى "نون" العليا و "نون" السفلى , و انقسم الهواء الى الغلاف الجوى الذى يرفع السماء و الى النور الذى خلق منه الشمس و القمر و النجوم .

و فى كل مراحل نشأة الكون كانت روح الاله الخالق هى المحرك الرئيسى , هى الشرارة الأصلية التى أشعلت كل ذلك .

و برغم غموض البداية التى رمز لها قدماء المصريين بجسد الاله و روحه , الا أن الروح تعتبر هى الجوهر الحقيقى للاله و ليس الجسد .

الروح هى الثابت / المطلق , و الجسد هو النسبى / المتغير .

و بناء على ذلك يمكننا القول أن الاله الخالق فى نظر قدماء المصريين هو اله "متسامى / متعالى" (transcendental) , و لكنه يختلف عن الاله المتعالى فى الأديان الابراهيمية (اليهودية , المسيحية , الاسلام) . فالاله فى مصر القديمة يوصف بأنه قوة ماورائية لا تدركها الأبصار و لا العقول , و هو مستقل عن الخلق بمعنى أنه يستمد وجوده من ذاته و ليس من الخلق . الا أن ذلك لا يمنع أن الاله خلق الخلق من ذاته و أصبح كامنا فيه .

و الدليل على ذلك أن آمون يوصف فى النصوص المصرية بأنه متعالى و فى نفس الوقت يوصف بأنه كامن فى كل المخلوقات .

أى أن قصة الخلق فى مصر القديمة تؤكد على مبدأ الوحدانية فى الديانة المصرية القديمة .

الكون واحد و الاله واحد .

حتى اذا نظرنا "للنترو" المتعددة فى مصر القديمة باعتبارها تجليات أو جوانب مختلفة للاله الواحد فسيبقى هناك سؤال حول مغزى وجود جمع الهى مثل التاسوع .

ان دور ال "نترو" (الكيانات الالهية) المتعددة محير , و خصوصا أن هناك نصوص تقول أن الاله

خلق ال "نترو" و فى نفس الوقت هناك نصوص أخرى تقول أن ال "نترو" خلقت الاله .

بالاضافة للتناقض الذى يدعو للحيرة , فان وجود العديد من ال "نترو" يعطى انطباع بأن الديانة المصرية القديمة كانت ديانة تعددية و يتناقض مع مفهوم الوحدانية الذى ينعكس هو أيضا فى الديانة المصرية .

و هذا الكتاب لا يسعى لهدم نظرية الوحدانية و لا نظرية التعدد فى الديانة المصرية .

و لكن مناقشتنا السابقة لمفهوم روح الاله و جسده تقدم لنا تفسيرا منطقيا للعلاقة بين الاله و ال "نترو" , و خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار أن جسد الاله هو رمز للكون القديم فى حالته السديمية التى تهيمن عليها العشوائية و السكون و الرغبة .

فى هذا الفصل سنبحث هذه الفكرة بالتفصيل , لكى نصل فى النهاية لحل هذا الخلاف الذى استمر طوال قرنين من الزمان حول طبيعة الديانة المصرية القديمة و هل كانت تعددية أم وحدانية .

ستركز دراستنا على النصوص المصرية القديمة التى تقدم معلومات تتعلق بجسد الاله و روح الاله , و أجساد و أرواح ال "نترو" , و الجمع الالهى .

و سنقوم بتفسير هذه النصوص من وجهة نظر"ديانة النشأة" التى تفترض أن الأرض هى الأصل الذى خلق منه الكون .

<u>موت الاله و بعثه من جديد :-</u>

يعتبر جسد الاله من أكثر المفاهيم التى تكرر ذكرها فى النصوص الدينية المصرية , و مع ذلك لم تلقى الاهتمام الكافى فى كتب علم المصريات .

و لنستعرض بشكل سريع ما الذى نعرفه عن هذا الموضوع .

كان جسد أوزيريس من أهم الموضوعات التى تحدثت عنها متون الأهرام .

وصفت النصوص جسد أوزيريس بأنه فى حالة تمزق و تحلل و هو فى نفس الوقت مغمور بالمياه أو غارق فى المياه التى سالت منه .

جاء فى النص رقم 532 من متون الأهرام أن جسد أوزيريس الذى أصابه التعفن و التحلل هو نفسه

جسد حورس , و حورس المقصود فى هذ السياق هو حورس ال "دوات" (العالم السفلى) و ليس حورس ابن ايزيس . و هو ما يوحى بأن الاثنين واحد : جسد أوزيريس و جسد حورس الدوات .

و يصف النص رقم 362 من متون الأهرام جسد الاله بأنه هو جسد آتوم , اذ يقول النص على لسان الملك "جسد أبى آتوم الراقد فى الظلمة" .

و فى متون التوابيت يظهر جسد أوزيريس أيضا كموضوع رئيسى . كما أن هناك اشارة أيضا لجسد آتوم , و جسد شو , و جسد رع , و جسد حورس , و جسد تحوت .

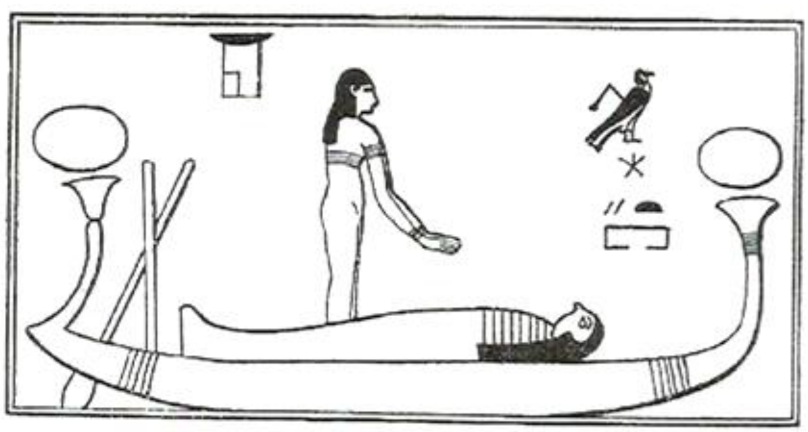
جاء ذكر جسد آتوم فى أكثر من نص . حيث يقول أحد النصوص :-

*** أبى آتوم , رب المساء , الجسد الذى يسكن هليوبوليس ***

و فى نص آخر نقرأ عبارة "آتوم يوم جنازته/دفنه" و فى نص ثالث نقرأ أن "جسد آتوم هو الذى يبعث روح الصقر من لحم جسده" .

جاء ذكر جسد "شو" فى عدة نصوص . فأحد النصوص يتحدث عن "شو الراقد فى التابوت" , بينما تحدث نص آخر عن "مقابر شو " , و يخبرنا نص ثالث أن روح "شو" أتت للوجود من جسده .

و يقول نص رابع أن أرباب الهواء الثمانية أتوا للوجود من جسد "شو" .



(مومياء حورس , تحميها نفتيس)

أما جسد رع , فقد ذكر مرة واحدة , حيث يخبرنا النص أن جسد رع ينزل من السماء ليبكى على جسده الراقد فى هليوبوليس .

كما ذكر جسد حورس مرة واحدة أيضا فى نص يشبه النص رقم 532 من متون الأهرام .

و ذكر جسد تحوت أيضا مرة واحدة , باعتباره هو نفسه جسد أوزيريس الذى يرقد فى جزيرة تسمى جزيرة اللهيب .

و اذا انتقلنا للنصوص الدينية التى ظهرت فى عصرالدولة الحديثه , فسنجد أن أنشودة آمون العظمى قد ذكرت جسد آمون عدة مرات .

تقول الأنشودة أن روح آمون هى التى خلقت بيضته بأن خلطت سائله المنوى بجسده , و بعد ذلك أصبح جسده خفيا بين الأزليين .

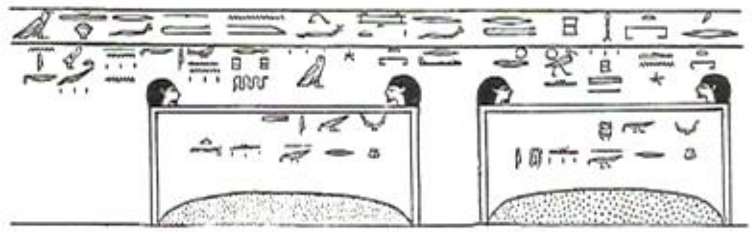
تقول الأنشودة أن روح آمون فى السماء , أما جسده فهو فى أرض الغرب "أمنتى" , أى فى العالم السفلى . و فى كتب العالم الآخر التى ظهرت فى عصر الدولة الحديثه , نلاحظ أن جسد أوزيريس فى بؤرة الاهتمام . حيث يعتبر اتحاد رب الشمس رع بجسد أوزيريس الراقد فى أعماق الدوات هو الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله هذه الكتب .

توصف مقبرة أوزيريس بأنها لغز كبير و سر لا يطلع عليه أحد . و لكن جسد أوزيريس ليس هو الجسد الوحيد الذى يرقد فى العالم السفلى , فهناك العديد من أجساد الكيانات الالهية التى ترقد هناك.

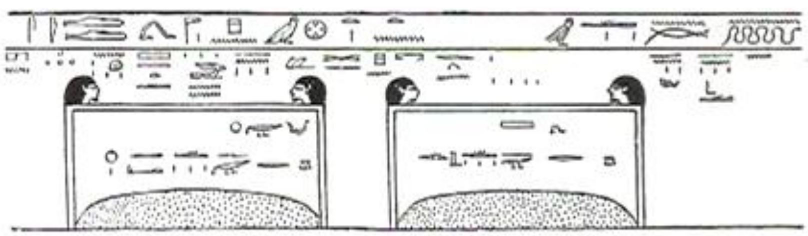
فى كتاب الأمدوات و كتاب الكهوف جاء ذكر مجموعة من التوابيت التى تحوى أجساد آتوم , و خبرى بالاضافة الى جسد رع و جسد أوزيريس . و هذه الكهوف مدفونة فى تلال من الرمال .

و فى كتاب الأرض هناك مشاهد هامة تعود فيها أجساد بعض ال "نترو" للحياة فى أعماق العالم السفلى , و هى تحديدا أجساد جب , و تا تنن , و شو , و تفنوت , و خبرى , و نون , و ايزيس , و نفتيس .

و من الجدير بالذكر هنا أن كتاب الأرض يطلق على عالم الموتى بأكمله لقب "جسد شيتاييت" أى الجسد الخفى / الغامض / المحتجب .



The coffer of Tem. The coffer of Kheperà.



The coffer of Râ. The coffer of Osiris.

الساعة السابعة من كتاب الأمدوات (وصف ما هو كائن فى العالم الآخر)

(الاله الخالق فى هيئة أجساد آتوم و خبرى و رع و أوزيريس , داخل توابيت مدفونة فى تلال من الرمال)

فى القرن الثامن عشر و التاسع عشر اكتشف علماء المصريات أسطورتين من أساطير الخلق فى مصر القديمة تصفان حدثا كارثيا وقع لجسد رع .

وردت الأسطورة الأولى فى كتاب البقرة السماوية و تعرف لدى الأثريين باسم أسطورة دمار البشرية . و الأسطورة الثانية وردت فى بردية تورين رقم (1993) و تعرف لدى الأثريين باسم أسطورة ايزيس و رع .

تقع أحداث أسطورة دمار البشرية فى الزمن الأول حين لم تكن السماء قد انفصلت بعد عن الأرض , و فيها نقرأ أن رع قد أصابته الشيخوخه و الضعف و أن البشر الذين خلقهم رع من عينه بدأوا فى الشكوى و التذمر من رع و أعلنوا ثورتهم عليه قائلين : لقد أصابت جلالته (رع) الشيخوخه , و تحولت عظامه الى فضة , و تحول لحمه الى ذهب , و تحول شعره الى لازورد .

و هنا أمر "رع" ابنته و عينه حتحور أن تدمر من ثاروا عليه و سخروا منه . و لكن قبل أن تكمل حتحور مهمتها , انتابت رع آلام شديدة و قال : (لقد سقطت طريح آلام المرض . من أين جاءنى هذا الألم و كيف أصابتنى ناره ؟ لقد أصاب الوهن أعضاء جسدى كما فى الزمن الأول) .

و لكى ينجو رع من هذا المصير المؤلم الذى يتربص بجسده , يخلق السماء و يصعد اليها ليسكنها .

و فى أسطورة ايزيس و رع , نقرأ أن رع يبحر بقاربه فيقطع السماء و العالم السفلى و بصحبته حاشيته و أتباعه من أرواح النجوم . تصف الأسطورة رع و قد أصابته الشيخوخه و جعلت الضعف يدب فى جسده لدرجة أن اللعاب أخذ يسيل من فمه و يسقط على الأرض .

و هنا تلجأ ايزيس لحيلة ماهرة لكى تقنع رع أن يكشف لها عن اسمه الخفى .

قامت ايزيس بخلط لعاب رع بالتراب و صنعت منه حية سامة , و وضعتها فى طريقه .

و أثناء مرور موكب رع لدغته الحية , فصرخ و سقط على الأرض من شدة الألم , و بدأ فكه و شفتاه يرتجفان , و سرى السم فى كل جزء من جسده . بدأت نار الحية تسرى فى جسد رع , فصرخ فى أبنائه قائلا : (لقد أصابنى شئ مميت . لم أشعر من قبل بمثل هذ الألم . أنظروا ! أهى نار أم ماء ؟ ان قلبى تملأه النار الحارقة , و أوصالى ترتعد , و كل أعضاء جسدى يعتصرها الألم) .

و هنا يتم استدعاء ايزيس التى عرفت بين ال "نترو" بأنها العظيمة فى السحر , حيث تقوم باستجواب رع و تبحث فى كل أجزاء جسده عن سر اسمه الخفى .

و حين عرفت ايزيس اسم رع الأعظم (الخفى) , استطاعت أن تستخرج السم من جسده و بذلك أعادت له الحياة .

و فى الأسطورتين يبدو لنا جسد الاله و قد أصابته أزمة أو كارثه جعلته يوشك على الموت , ثم يتم انقاذه فى اللحظة الأخيرة . و لكن العقل المصرى القديم لم يكن ليرى الأسطورة كما تراها أعيننا . فالموت بالنسبة للمصرى القديمة هو مجرد بوابة للانتقال الى مستوى آخر من مستويات الوجود .

عندما يموت الاله , فان ذلك يعنى بالضرورة أنه سيعود مرة أخرى للحياة .

فى جسد الاله يكمن سر كلمة الخلق , و منه تنبثق الحياة بشكل متجدد .

ان أوزيريس فى نظر قدماء المصريين لم يمت , لأن ذلك يعنى نهاية العالم .

فالاله فى الحقيقة لم يمت بالمعنى الذى يعرفه انسان العصر الحديث للموت .

لقد صارع أوزيريس الموت و قهره , و عاد للحياة مرة أخرى , و بذلك ضمن للكون أن يولد من جديد و يعود للحياة .

ان الموت بالنسبة لقدماء المصرين يعنى الحياة , و الحياة تعنى الموت . و هذا هو سر أسرار الديانة المصرية القديمة .

عند تحنيط الجسد , تأتى روح الاله للوجود , و تخرج من المومياء ككيان ماورائى قائم بذاته .

يطلق على هذه الروح فى مصر القديمة اسم "با" , و فى بعض الأحيان يعبر قدماء المصريين عن نفس المعنى بقولهم ان "الاله قد عاد الى كائه" , أى أنه أصبح نسخة روحانية من جسده .

هذه الصيرورة التى تحدث للاله هى الصورة الأولية أو نموذج النشأة الأولى للتحولات التى تحدث لملك مصر بعد الموت .

كان هذا الحدث من الغموض و الالغاز بحيث كان قدماء المصريين يذكرونه دائما بمصطلحات طلسمية أو بطريقة مشفرة .

و يعتبر النص رقم 75 من متون التوابيت من أوضح النصوص التى تناولت العلاقة بين الجسد و الروح , حيث تقول روح "شو" (رب الهواء) أنها أتت للوجود من جسد الاله . يقول النص :-

** أنا روح "شو" , الاله الذى خلق نفسه بنفسه . أتيت للوجود من جسد الاله الموجود بذاته **

و النص لا يوضح لنا ان كان الجسد المقصود فى السياق هو جسد "شو" أم جسد آتوم .

من الممكن القبول بالاحتمالين , لأن كل من آتوم و شو يمكن أن يقوم بدور الاله الخالق .

و الاله باعتباره خالق له هويتان : روح و جسد .

و بناء على هذه الهوية المزدوجة , يمكن للاله الخالق أن يظهر فى لحظة فى هيئته الجسدية , و فى لحظة أخرى فى هيئته الروحية .

على سبيل المثال , قد يظهر آتوم فى أحد النصوص على هيئة جسد الأرض , و فى نص آخر على هيئة روح السماء .

بالنسبة لانسان العصر الحديث تظل صورة آتوم بدون تغير فى أى نص يقرؤه , أما المصرى

القديم فتختلف نظرته لآتوم حسب سياق النص الذى يقرؤه . فقد يكون مرة روحا و مرة أخرى جسدا . و الكاتب المصرى القديم كان يدرك ذلك من السياق بدون الحاجة لنطق المعنى بشكل مباشر . و يعتبر أوزيريس مثالا آخر لازدواجية الهيئة .

و طوال مائتى عام ظل علم المصريات فى حيرة و خلاف حول ما اذا كان رب الأرض هو نفسه رب السماء . و تفسير ذلك أن الاله الخالق بعث روحه من جسده أو عاد الى كائه كما يقول قدماء المصريين . أى أن جسد أوزيريس ظل فى الأرض (أو فى باطن الأرض) , بينما صعدت روحه للسماء و طافت فى أرجائها .

و ذلك ما يفسر لنا أيضا لماذا يظهر "جب" (رب الأرض) فى بعض الأحيان فى السماء .

كانت العلاقة بين الجسد و الروح فى مصر القديمة أشبه بالعلاقة بين الأب و الابن .

حيث جسد الاله هو الأب , بينما الروح هى الابن .

أى أن الاله الخالق تمتد حياته عبر جيلين , هما الكون القديم الذى مات و تحلل لعناصره الأولية و الكون الحالى الذى خلق من جديد من بقايا الكون القديم .

بعد موت ملك مصر يتحول الى نسخة مكررة من أوزيريس , و ينظر لجسد الملك المتوفى باعتباره جسد أوزيريس أبو حورس .

و قد ذكر واحد من نصوص التوابيت أن أوزيريس هو أبو "رع" , برغم أن رع هو جد أوزيريس حسب ما جاء فى أساطير هليوبوليس .

و عندما يبعث الملك من جديد يصبح هو روح الاله الخالق التى ولدت مجددا من جسده القديم .

يصبح هو حورس , "العظيم ابن العظيم" .

مزجت الفلسفة الدينية المصرية بين التجليات المختلفة للاله الخالق , و فى كثير من الحالات كان جسد أحد الكيانات الالهية هو الذى ينجب أو يخلق روح كيان الهى آخر .

و يعتبر جسد أوزيريس الحى الذى أنجب الابن و الوريث حورس أحد أشهر الأمثلة على ذلك .

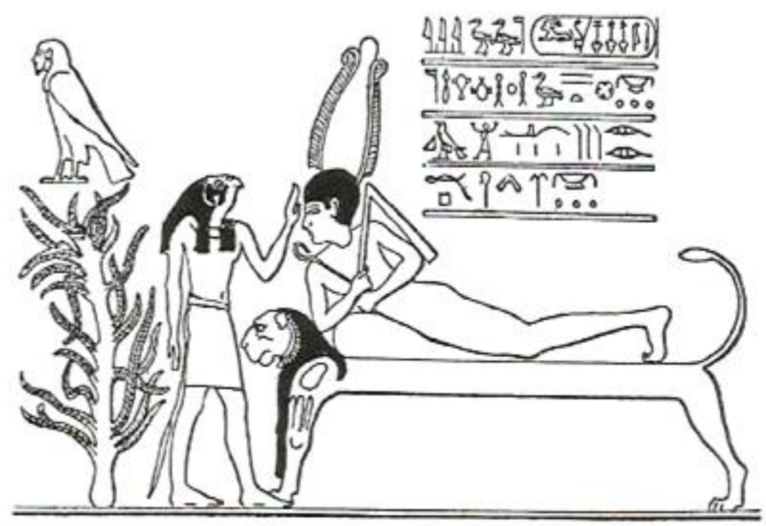
فبينما يرقد جسد أوزيريس فى باطن الأرض , يحلق حورس فى السماء على هيئة صقر و يضئ

العالم من خلال عينيه و هما الشمس و القمر .

و بعد أن أنجب أوزيريس حورس اتحد معه فى عناق أبدى . و هذا العناق الأبدى هو المدد الذى يمد الكون بطاقة الحياة .

ان أسطورة أوزيريس و حورس لا تتحدث عن الهين اثنين , و انما عن اله واحد له وجهان يعانق أحدهما الآخر . فما نراه فى أسطورة أوزيريس و حورس هو فى الحقيقة اندماج و انصهار اثنين من تجليات الاله , حيث أوزيريس هو الجسد و حورس هو الروح .

و فى مناسبات تاريخية مختلفة , قد يصبح حورس هو الأب و أوزيريس هو الابن , أو بمعنى آخر قد يصبح حورس هو الجسد و أوزيريس هو الروح .



حورس يبعث الحياة فى مومياء أوزيريس

العلاقة بين الابن و الأب هى العلاقة بين الروح و الجسد

و من نفس المنطلق , يمكننا أن نقول أن "نون" (جسد مياه الأزل) هو الأب و الجسد بالنسبة لآتوم و الذى يعتبر هو الابن و الروح .

و فى نفس الوقت يعتبر آتوم هو الجسد و الأب بالنسبة ل "شو" و أيضا بالنسبة ل "رع" .

كما يعتبر أوزيريس هو الجسد و الأب لروح حورس و أيضا لروح رع .

و يعتبر "جب" هو الجسد و الأب لروح أوزيريس و أيضا لروح حورس .

و يعتبر تا تنن هو الجسد و الأب لروح رع .

و مثل هذا التبادل كان مقبولا و مسموحا به فى الفلسفة الدينية المصرية , لأن كل كيان من الكيانات الالهية كان يحوى بداخله ازدواجية الجسد و الروح أى أن كل كيان الهى هو جسد/أب و فى نفس الوقت روح/ابن .

قد يبدو ذلك غريبا بالنسبة لانسان العصر الحديث , و لكنه كان معقولا جدا بالنسبة لقدماء المصريين .

<u>لغز ال "نترو" (الكيانات الالهية) :-</u>

و المناقشة السابقة ترضى أصحاب الرأى القائل بأن الديانة المصرية القديمة قامت على الوحدانية لأنها تؤكد أن قدماء المصريين عرفوا الها واحدا , و أن الأسماء العديدة التى وردت فى النصوص الدينية المصرية هى جميعا أوصاف و تجليات لنفس الاله الخالق الواحد .

و لكن هناك عقبة تقف دائما فى وجه نظرية الوحدانية , و هى وجود ما يعرف بال "نترو" (netjeru) و التى يترجمها الأثريون عادة بمعنى آلهة .

ما الذى نعرفه عن ال "نترو" ؟

ال "نترو" هم مجموعة من الكيانات الماورائية من جنس واحد أو من طبيعة واحدة , و أهم ما يميزها هو انتماءها لجنسها أو لطبيعتها المختلفة .

و من أمثلة ال "نترو" ما عرف فى مصر القديمة باسم "بسدجت" (psdjt) , أى التاسوع .

لا تتوقف دلالة التاسوع عند رقم تسعة فقط , انما تشمل أيضا كل مضاعفات ذلك العدد الى ما لا نهاية .

و حتى عند وصف أعضاء التاسوع بأسماء و شخصيات مميزة , يبقى التاسوع كيان واحد .

ينتمى أعضاء التاسوع الى الزمن الأول , و هو الزمن الميثولوجى (الأسطورى) الذى وقعت فيه

أحداث نشأة الكون .

لذلك أطلقت عليهم ألقاب مثل "باؤتيو" (الأزليون) و "ورو" (العظماء) , و "اياوت" (الأقدمون) .

يوصف أعضاء التاسوع بأنهم أرواح , و يشمل مفهوم التاسوع أيضا مجموعة من أرواح الموتى أو الأجداد يطلق عليهم "تبيو" (tpiu) أى الأولين و هم كائنات انتهى زمنها قبل بدء أحداث نشأة الكون الذى نعرفه .

و ال "نترو" على علاقة وثيقه بالاله الخالق .

أخرج الاله الخالق ال "نترو" من ذاته بالعديد من الوسائل : بالكلمة و الفكرة و بالولادة أو بالاستمناء .

و الاله الخالق هو "كا" (الجد/السلف) كل ال "نترو" , و هم جميعا أبناؤه .

و من ناحية أخرى , نقرأ فى بعض النصوص الدينية المصرية أن ال "نترو" هى التى خلقت الاله , حين اجتمعوا و انصهروا معا ليخرجوه من "نون" (مياه الأزل) , و لذلك وصفتهم الابتهالات المصرية بأنهم "آباء و أمهات الاله" .

و يعتبر ذلك أحد أعجب ألغاز قصة الخلق فى مصر القديمة .

و العلاقة الوثيقة التى تجمع الاله و ال "نترو" هى علاقة أزلية أبدية .

و قد صور الفنان المصرى القديم هذه ال "نترو" و هى مجتمعة فى حضرة الاله , و صورهم فى هيئة حاشية تتبع الاله الذى يتجلى فى الشمس أثناء رحلته فى السموات و فى ال "دوات" (العالم السفلى) .

كانت الطقوس الدينية المصرية تستحضر الاله و ال "نترو" (الكيانات الالهية) معا .

ففى معابد مصر القديمة , لم يكن الاله يحيا وحده , و انما بصحبة التاسوع .

و ال "نترو" تسكن كل أبعاد الكون , حسب الفلسفة الدينية المصرية .

فهى تسكن "نون" (مياه الأزل) و ال "دوات" (العالم السفلى) , و ال "آخت" (الأفق) , و حقول البوص , و حقول الرضا , و السموات .

و فى النصوص الدينية المصرية , كثيرا ما نقرأ ازدواجية "نترو الأرض" و "نترو السماء" .

ذكرت متون الأهرام أن "نترو الأرض" و "نترو السماء" تجتمع معا لتصنع معراجا تصعد فوقه روح ملك مصر من الأرض للسماء .

كما نقرأ أيضا عن ازدواجية ال "نترو" الأموات و ال "نترو" الأحياء , حيث يرقد ال "نترو" الأموات فى مقابر فى باطن الأرض و يطلق عليهم "أصحاب المقاعد الخفية" أو "الذين تستخفى أماكنهم" , بينما ال "نترو" الأحياء فى هيئة أرواح تسكن الجزء العلوى من الأرض , كما تسكن السماء و ال "آخت" (الأفق) .

ما هو أصل هذه ال "نترو" ؟

تقول احدى الروايات أن الاله أخرجهم من ذاته , و لذلك فهم أبناء الاله , و هو أبوهم .

بينما تقول رواية أخرى ال "نترو" انبثقوا من اله و الهة .

جاء فى النص رقم 301 من متون الأهرام أن "شو" و "تفنوت" قاما بخلق ال "نترو" بأن أنجباهم كما ينجب الانسان أبناءه .

عبر قدماء المصريين عن نشأة ال "نترو" أيضا تعبيرا كوزموغرافيا .

تقول احدى الروايات أن ال "نترو" ولدوا من رحم "نون" . و فى متون الأهرام نقرأ أن "نون" و "نونت" هما "الينبوع الذى خرج منه ال نترو" .

و فى متون التوابيت هناك نص على لسان آتوم يقول فيه أن ال "نترو" - الذين لم يولدوا بعد – كانوا معه حين كان وحده فى مياه الأزل .

و فى نص آخر من متون التوابيت يقول "نبر- دجر" (رب الحدود) أنه كان فى فيضان "نون" مع الساكنين/ الخاملين , حين كان مصابا بالوهن .

و فى بردية بريمنر ريند هناك نص على لسان "نبر- دجر" (رب الحدود) يقول فيه أن هناك ما لا حصر له من الكيانات التى انبثقت من فمه . يقول النص :-

*** لقد صنعت جسدى و شكلته من "نون" (مياه الأزل) , و من السكون ***

و فى نصوص "شو" - و هى جزء من متون التوابيت – هناك نص يقول فيه "شو" أنه أنجب ال

"نترو" من الفوضى/العشوائية/السديمية داخل "نون" (مياه الأزل) و سط الظلمة و العتمة .

و يقول أحد نصوص كتاب الخروج الى النهار أن "نون" (المحيط الأزلى) هو أبو ال "نترو" .

و هناك رواية أخرى تقول أن ال "نترو" نشأوا من الأرض .

جاء فى نظرية ممفيس لنشأة الكون و المدونة على لوحة شباكا أن ال "نترو" انبثقوا من "تا تنن" (الأرض الأزلية التى ارتفعت من مياه الأزل) .

لذلك وصف "تا تنن" فى العديد من النصوص الدينية المصرية بأنه هو أبو ال "نترو" و خالقهم .

و فى بردية لايدن نقرأ أن آمون اتخذ هيئة "تا تنن" لكى يخلق الأزليين .

و تصف نصوص معبد ادفو الأزليين بأنهم نسل أو ذرية "تا تنن" , و تبتهل اليهم – وسط صفات أخرى – بأنهم : كاوات العظماء "ورو" (Wru) الذين أتوا للوجود فى الزمن الأول , الذين ملأوا هذه الأرض نورا حين جاءوا للوجود دفعة واحدة , و بأنهم هم الذين خلقوا النور .

و علينا أن لا نغفل أيضا أن "جب" (رب الأرض) كان يوصف فى مصر القديمة بأنه أبو ال "نترو" و هو أيضا كاءها . حيث ارتبط مفهوم ال "كا" فى مصر القديمة دائما بالأسلاف أو الأجداد أو الآباء أو الأصل و المنشأ بوجه عام .

و فى متون الأهرام هناك نصوص تقول أن ال "نترو" ولدوا فى الركن الشرقى من السماء , فى ال "آخت" (الأفق) . و فى الفصل السادس سنناقش مغزى هذا التناقض بين فكرة مولد ال "نترو" من السماء , و فكرة مولد ال "نترو" من الأرض أو من "نون" (المحيط الأزلى) .

و أيا كان أصل ال "نترو" و منشأهم , لا شئ يضاهى فى الغموض ما حدث بعد نشأتهم أو مولدهم

صعدت ال "نترو" للسماء , و قد سجلت هذه اللحظة فى النص رقم 519 من متون الأهرام و الذى وصف يوم صعود ال "نترو" للسماء بأنه : اليوم الذى انفصلت فيه الأرض عن السماء , اليوم الذى صعدت فيه ال "نترو" للسماء .

و عند موت ملك مصر , تعيد روحه تكرار اللحظة الأزلية التى صعدت فيها ال "نترو" للسماء , و تصيح قائلة :-

** الى السماء , الى السماء , بين ال "نترو" التى صعدت . أنا أنتمى للسماء حيث تسكن ال "نترو" التى ارتفعت **

و هذه ال "نترو" التى صعدت للسماء تحولت بعد ذلك الى النجوم التى ترصع بطن "نوت" (السماء) . جاء فى النص رقم 434 من متون الأهرام :-

** أيتها العالية فوق الأرض .... "نوت" (السماء) التى فوق "شو" (الغلاف الجوى) ... لقد أحبك "شو" و وضع نفسه تحتك و تحت كل الأشياء .... أيتها العالية التى احتوت كل "نتر" (كيان الهى) لديه قارب (مدار فلكى) , فأصبحت "نوت" ذات الألف "با" (روح) , فلا تنفلت منها النجوم **

قام المصرى القديم بتصوير أرباب النجوم أو ال "نترو" (الكيانات الالهية) التى تحولت الى نجوم على هيئة أتباع "شمسو" ل "رع" أو بحارة فى القارب السماوى العظيم الذى يدور فى مدار حول الأرض . و هم جميعا جزء من منظومة كونية واحدة أو جسد واحد هو الجسد الجديد للاله أو الكون الذى أعيد خلقه من جديد بعد أن مات .

لذلك يقول أحد النصوص الدينية مخاطبا آمون :-

** لقد اجتمع التاسوع داخل جسدك . و صورتك هى صورة كل "نتر" (كيان الهى) احتويته داخل كيانك **

تلك هى الروايات التى تحدثت عن أصل ال "نترو" و نشأتهم . فما الذى نفهمه من ذلك ؟

تعتبر ال "نترو" (الكيانات الالهية) أحد الألغاز التى احتار فيها علماء المصريات .

و لم يستطع أى عالم مصريات أن يقدم لها تفسير واضح و مقنع .

على سبيل المثال , لم يستطع علماء المصريات معرفة مغزى ازدواجية ال "نترو" الذين فى الأرض و ال "نترو" الذين فى السماء . و لا معرفة السبب فى أن هناك "نترو" أموات و آخرون أحياء .

و التفسير الوحيد الذى يقدمه الباحثون فى العصر الحديث هو أن قدماء المصريين كانوا يفتقدون وجود اطار منطقى يجمع بين كل أفكارهم الدينية .

هل كان قدماء المصريين حقا يفتقدون المنطق ؟

أشرت من قبل الى أن مفهوم الاله عند قدماء المصريين كان يحكمه المنطق , و أن طبيعته مزدوجة , تجمع بين الجسد و الروح .

و جسد الاله هو الكون القديم الذى أصابته عوامل الهدم و كان فى حالة تهيمن عليها الفوضى و السكون و الرغبة .

أما روح الاله فهى تلك الشعلة المقدسه التى خبت لوهلة , ثم عادت و ولدت من جديد .

أوقدت الشعلة الالهية نفسها من جديد , ثم انفصلت عن الجسد الذى كانت تسكنه , و حولته الى الكون الجديد الذى نعرفه بما فيه من أرض و سماء و شمس و قمر و نجوم .

لذلك توصف روح الاله الخالق بأنها هى التى خلقت نفسها بنفسها (khpr-djs.f) , أى أنها أحيت نفسها من جديد و أعادت خلق جسدها .

هيمنت ازدواجية الجسد و الروح أيضا على ال "نترو" (الكيانات الالهية) .

فأجساد ال "نترو" هم أرباب الموتى , هم "الأجداد / الأسلاف" الذين يرقدون فى مقابرهم فى باطن الأرض بعد أن قاموا بدورهم فى خلق الكون .

و أرواح ال "نترو" هم الأرباب الأحياء الذين صعدوا من الأرض الى السماء و تحولوا الى نجوم ترصع جسد "نوت" (السماء) .

تحدثت متون الأهرام عن ذلك التحول و الصيرورة التى اعترت ال "نترو" . حيث نقرأ فى العديد من النصوص أن ال "نترو" قد "عادوا الى كاواتهم" , أى تحولوا الى أرواح حية , و أنهم انتقلوا ليسكنوا فى ال "آخت" (الأفق) أو فى حقول الرضا أو فى السماء . و هو ما يعنى التطور من الجسد

تتضح لنا طبيعة تطور ال "نترو" من احدى الأساطير التى يقوم فيها "رع" بدور الاله الخالق .

تقول الأسطورة أنه فى يوم من الأيام قام "رع" باستدعاء كل ال "نترو" , ثم قام بابتلاعهم فأصبحوا داخل بطنه .

ثم بدأ ال "نترو" بالعراك داخل بطن "رع" الى أن قتل بعضهم بعضا و لم يبقى منهم أحد .

ثم عاد "رع" و بصق كل ال "نترو" من فمه على هيئة طيور و أسماك .

و هذه الأسطورة هى بلا شك تعبير مجازى عن خلق ال "نترو" التى انقسمت فى مرحلة من مراحل الخلق فنزل بعضها للعالم السفلى (و الذى ترمز له الأسماك) و صعد البعض الآخر الى السماء (و التى ترمز لها الطيور) . كما أن الرواية تشير بشكل رمزى لبعث ال "نترو" من أجسادهم الميته .

و هناك نسخة أخرى من نفس الأسطورة نجدها فى نصوص معبد ادفو . و نلاحظ أن هناك اهتمام خاص فى نصوص ادفو بالأجداد أو الأسلاف الذين ذاقوا الموت فى مرحلة معينة من مراحل نشأة الكون ثم عادوا للحياة مرة أخرى .

أطلقت احدى روايات معبد ادفو على هؤلاء الأجداد/الأسلاف لقب "باؤتيو" (Pautiu) و معناه الأزليون . يبدو الأزليون فى نصوص ادفو و كأنهم ينتمون للجيل الأول و أيضا للجيل الثانى من الخلق (أو بمعنى آخر للمرحلة الأولى و المرحلة الثانية من نشأة الكون) . حيث وصفوا بأنهم هم الأجداد و الجدات الذين خلقوا البيضة و أنجبوا رع و زهرة اللوتس العظيمة (أحد رموز النور) , و أنهم هم الذين أنجبوا أنفسهم . كما وصفوا أيضا بأنهم أطياف أو أرواح انبثقت من ذاتها أو من تلقاء نفسها .

تقول نصوص ادفو أن الأزليين نشأوا و تطوروا فى جزيرة البيضة كمادة أولية "دجت" (djt) لم تتشكل بعد و لم تتجسد بعد فى أى هيئة . ثم سكنت الروح هذه المادة الأولية حين ارتفعت البيضة من أعماق المياه و طفت على السطح و فقست .

و من نصوص ادفو التى تحدثت عن الأزليين هذ النص الشيق الذى يقول :-

** هم الأجداد/الأسلاف الذين أتوا للوجود فى البداية ... و هم الجدات اللاتى أتين للوجود فى الزمن الأول ... الذين تحولت أجسادهم الى صور الهية/مقدسة فى تلال الأرضين **

يشير النص السابق الى انبثاق الأرواح من أجساد الأجداد/الأسلاف المدفونة فى التلال الأزلية .

و هناك نص آخر يقول أن الأجداد/الأسلاف قد دفنوا بعد أن انتهى دورهم فى عملية الخلق , و أن نسلهم أخذوا بعد ذلك فى زيارة مقابرهم لأداء الطقوس الجنائزية من أجلهم .

و هناك نص فريد من نصوص ادفو يقدم لنا المزيد من المعلومات عن الأزليين . يشير النص الى "الأرباب الأزليين التسعة"الذين دفنوا فى بستان بالقرب من ادفو .

بمجرد انتهاء دور هؤلاء الأرباب فى عملية الخلق , أمر "رع" بأن تحنط أجسادهم فى نفس الموضع الذى قاموا فيه بعملهم . لذلك قيل فى نصوص ادفو :-

** ان جبانة ادفو العظيمة المقدسة تؤوى بداخلها أجساد أرباب الكهوف **

و عن أرواح هذه الأرباب تقول نصوص ادفو :-

*** لقد صعدت أرواحهم للسماء , حيث سكنوا بين النجوم ***

تصف نصوص ادفو هؤلاء الأرباب بأنهم "تاسوع أبناء آتوم" و بأنهم "الأرباب الأحياءالذين انبثقوا من رع" .

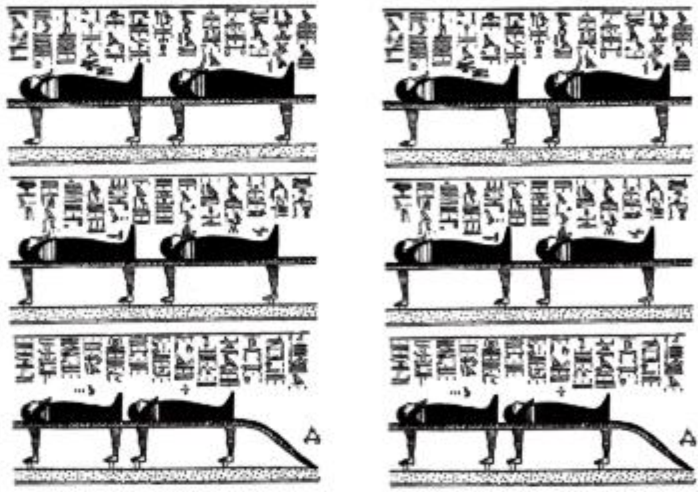
يتضح من النصوص السابقة أن وجود ال "نترو" - مثلهم مثل الاله الخالق - يمتد عبر جيلين من أجيال الخلق , و أن أجساد ال "نترو" انبثقت منها أرواح صعدت من الأرض و من ال "دوات" (العالم السفلى) الى السماء .

مثل هذا التحليل قد يثير الجدل بين علماء المصريات , و لكنه يفسر عدد من النصوص الدينية التى كانت تبدو مبهمة تماما .

على سبيل المثال , أشارت متون الأهرام الى آباء ال "نترو" , و جاء فيها ذكر مصطلحات مثل "أبناء آباءهم" و النجوم التى لا تغيب فى وصف ال "نترو" .

كيف يمكن تفسير مثل هذه المصطلحات ان لم تكن تعبيرا عن ازدواجية الجسد و الروح ؟

و فى متون التوابيت , هناك اشارة ل "الأرباب الأقدمين الذين أتوا للوجود من قبل مع الأسلاف" ما الذى يمكن أن تعبر عنه تلك العبارة اذا لم تكن تعبر عن العلاقة بين الأرواح التى ولدت من الأجساد .



(الساعة السابعة من كتاب البوابات : الأرباب الاثنى عشر النائمين داخل جسد أوزيريس)

<u>جمع ال "نترو" (الكيانات الالهية) :-</u>

طرحت فيما سبق أن تحول ال "نترو" (الكيانات الالهية) و صيرورتها هو نفسه تحول الاله , و أن كل منهما أتى للوجود كروح حية ولدت من جسد مادى هامد .

و هكذا أصبح بمقدور ال "نترو" أن يخلقوا أنفسهم بأنفسهم و أن ينجبوا ذرية أو جيل جديد من الخلق , و هكذا أصبح بمقدور الاله الخالق أن يخلق نفسه بنفسه و أن يخرج من ذاته الابن .

و هناك يبرز السؤال حول العلاقة بين ال "نترو" و بين الاله .

ما الذى يعنيه أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) هم الذين خلقوا الاله , بينما من المفترض أن الاله هو الذى خلق ال "نترو" ؟

وصفت متون الأهرام العلاقة بين ال "نترو" (الكيانات الالهية) و بين الاله , حيث جاء فيها أن الاله هو الذى خلق ال "نترو" , و أن الاله هو "كا" ال "نترو" , و هم أبناؤه . و أن ال "نترو" هم الذين شكلوا ال "بسدجت" أى التاسوع أو الجمع الالهى .

يفسر علم المصريات مثل هذه العبارات بأنها رموز تعكس اعتقاد قدماء المصريين بأن الاله هو مصدر و منبع كل شئ .

و لكن هل يمكن أن تحمل هذه العبارات دلالات و معانى حرفية ؟

تقول متون التوابيت أن الاله خلق ال "نترو" (الكيانات الالهية) من جسده بالمعنى الحرفى للكلمة .

تقدم لنا نصوص "شو" (و هى جزء من متون التوابيت) أول الأمثلة على ذلك , فتقول أن "شو" خلق الأبديين/اللانهائيين (أرباب الهواء) من جسده أو من جسد آتوم . يقول النص :-

** أيها الثمانية الأبديون/اللانهائيون , يا من تضطلعون بمهمة رفع السماء و توسيعها , يا من خلقكم "شو" من سوائل جسده , يا من خلق آتوم أسماءكم حين خلق "نون" **

** أيها الثمانية الأبديون/اللانهائيون , يا من حمل "شو" بذرتكم بداخله , يا من صوركم "شو" و نسج أجسادكم , يا من خلقكم "شو" من السوائل التى تدفقت من جسده **

** أيها الثمانية الأبديون/اللانهائيون , يا من انبثقتم من "شو" , يا من خلقت أسماءكم من جسد آتوم , حين كان وحده فى "نون" وسط الظلمة و العتمة و الفوضى **

و الثمانية الأبديون (من ليس لهم نهاية) هم أرباب الهواء .

و لكننا فى نفس الوقت نلاحظ أن نفس الأوصاف تطلق على أرباب السماء .

فى النص رقم 312 من متون التوابيت وصف الثعبان الأزلى ميلاده على هيئة روح النور من جسد آتوم :-

** أنا الذى يسكن فى النور ... أنا روح أتت للوجود من جسد الاله .... أنا أحد الأرواح التى تسكن النور .... أنا أحد الأرواح التى خلقت من جسد آتوم ... انبثقت من قاع عين آتوم ... خلقنى آتوم و جعلنى روحا ... أنا أتميز عن الكيانات الأخرى التى تسكن النور , تلك الأرواح التى أتت للوجود فى نفس اللحظة التى أتيت فيها للوجود **

يقول النص أيضا أن آتوم خلق الثعابين الأزلية ليكونوا معه حين كان وحده فى "نون" (مياه الأزل) , و لكى يعلنوا تجليه للوجود فى اللحظة التى يخرج فيها من ال "آخت" (الأفق) .

هل هناك تفسير عقلانى للنصوص التى قالت أن الاله خلق ال "نترو" (الكيانات الالهية) من جسده ؟

و اذا كان هناك تفسير عقلانى , كيف يمكن أن نفهمه فى ضوء النصوص التى تقول أن ال "نترو" خلقوا من أجسادهم , أى من أنفسهم ؟

قد نعثر على اجابة هذا السؤال فى أسطورة "رع" و التى وصفت رع بأنه "رب التاسوع" .

يشرح لنا النص رقم 17 من كتاب الخروج الى النهار هذا اللقب فيقول أن لقب "رب التاسوع" يعنى أن "رع هو الذى خلق أسماء أعضاء جسده" , و تعنى أن هذه الأرباب أتت للوجود بعد أن أتى رع للوجود .

ما هى أعضاء جسد رع ؟

تقول أسطورة ايزيس و رع التى أشرنا اليها سابقا أن رع سقط على الأرض بعد أن لدغته حية أثناء مروره فى العالم السفلى , و أن رع استغاث بال "نترو" و هم أبناءه الذين فى السماء قائلا :-

** هلموا الى يا كل ال "نترو" (الكيانات الالهية) التى أتت للوجود من أعضاء جسدى و التى انبثقت منى .. أحضروا لى أبنائى الذين يمتلكون سحر الكلمة **

و من الجدير بالانتباه هنا أن النص يعنى أن قوى التاسوع لم تخلق من جسد رع المكتمل فى كيان واحد و انما خلقوا من أعضاء جسده الممزق المنقسم .

و هناك صيغة أخرى لنفس الفكرة نجدها فى كتاب ال "أمدوات" (وصف ما هو كائن فى العالم الآخر) و الذى يعود لعصر الأسرة الى 18 , دولة حديثه .

اذ يقول "رع" مخاطبا أرباب العالم السفلى فى بداية رحلته :-

** امنحونى النور , و كونوا مرشدينى , يا من أتيتم للوجود من أعضاء جسدى . لقد خلقتكم من أجسادى . لقد صورتكم و صنعتكم من روحى **

و يعتبر اتحاد "رع" بالنترو (الكيانات الالهية) التى انبثقت من أعضاء جسده من أهم الموضوعات التى جاء ذكرها فى كتاب الأمدوات و أيضا فى كتاب البوابات .

تتناول متون التوابيت فكرة خلق ال "نترو" من أعضاء جسد "رع" , و لكن نلاحظ أن "شو" (رب الهواء) يرتدى فيها عباءة رع و يقوم بدوره .

حيث نقرأ فيها أن "شو" خلق أرباب الهواء من السوائل التى تدفقت من أعضاء جسده .

ما الذى يعنيه ذلك ؟

هل يمكن أن يكون هناك تفسير عقلانى لمقولة أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) انبثقوا من أعضاء جسد الاله ؟

يكمن حل هذا اللغز فى القراءة الواعية لفكرة تمزق جسد الاله و هى أحد أهم الموضوعات التى تكرر ذكرها بطرق مختلفة فى أساطير الخلق المصرية .

و أكثر الأساطير التى عبرت عن فكرة تمزق جسد الاله هى أسطورة موت و بعث اوزيريس , حيث تعتبر اعادة جمع أجزاء جسد أوزيريس الممزق خطوة أساسية من أجل اعادته للحياة مرة أخرى .

فى الفصل الرابع , افترضت أن أوزيريس هو أحد صور الاله الخالق و أن أعضاء جسده الممزق ترمز للحالة الأزلية السديمية التى مر بها الكون قبل اعادة خلقه من جديد و هو الحدث المحورى فى نشأة الكون الموجود حاليا .

و لكن أوزيريس ليس هو الكيان الالهى الوحيد الذى تعرض جسده للتمزق و التفكك فى أساطير الخلق المصرية . فهناك أسطورة تناولت تمزق جسد حورس و ست , و هناك أسطورة تناولت تمزق العين (رمز الأم الكونية) , كما أن هناك اشارات لتمزق جسد آتوم وردت فى متون التوابيت , و فيها نقرأ عن (اليوم الذى تم فيه اعادة جمع جسد آتوم) .

كما وردت أيضا نصوص تتحدث عن قيام "بتاح تا تنن" بجمع أجزاء جسده ليشكل منها التل الأزلى و عن قيام "جب" (رب الأرض) بجمع أجزاء جسد آتوم المنهك , الذى أصابه الوهن .

هناك تفسير عقلانى للأسطورة التى تقول أن الاله خلق ال "نترو" (الكيانات الالهية) من جسده أو من أعضاء جسده . هذا التفسير هو أن الاله قد حول أعضاء جسده الى أرواح , و هكذا جاء ال "نترو" للوجود .

و هناك تفسير عقلانى آخر للأسطورة المعكوسه و التى تقول أن ال "نترو" هم الذين خلقوا الاله . هذا التفسير هو أن جسد الاله الممزق لكى يعود للحياة مرة أخرى كان من الضرورى أولا اعادة جمع اجزائه . و بالتالى فان ال "نترو" التى ترمز لأجزاء جسد الاله هم الذين أعادو الاله للحياة بأن اجتمعوا و تقاربوا على هيئة كيان واحد متماسك , بعد أن كانوا فى حالة من التفكك و التحلل .

و بالطبع يتطلب ذلك تفكير و فعل واعى من ال "نترو" بافتراض أن كل منهم يمتلك جزء أو قبس من روح الاله الأزلية .

تعتبر أسطورة الثامون أحد أهم الأمثلة على ذلك . و فيها نقرأ أن القوى الكونية الثمانية التى كانت موجودة فى زمن السديمية و العشوائية الأزلى قد اقتربت من بعضها البعض و امتزجت لتصبح كيان واحد تحول الى تل أزلى انبثق منه النور "رع" .

لذلك يوصف أعضاء الثامون بأنهم هم الآباء و الأمهات الذين أنجبوا "رع" .

و يعتبر اجتماع ال "نترو" (الكيانات الالهية) فى حضرة الاله الخالق من أهم الموضوعات التى جاء ذكرها فى النصوص الدينية المصرية .

تصور متون الأهرام هذا الاجتماع أو الجمع بأنه فى غاية الأهمية , و بأنه يقع فى حضرة "آتوم" أو "جب" . و فيها نقرأ على سبيل المثال :-

** أيها ال "نترو" (الكيانات الالهية) ... أقبلوا جميعا , و ليدنوا بعضكم من بعض ... كما اجتمعتم من قبل من أجل آتوم فى مدينة هليوبوليس**

** يا جب .... أنت الاله الواحد العظيم .... و قد أورثك آتوم الملك , و وهبك التاسوع الذى اجتمع أعضاؤه فى كيان واحد , و آتوم نفسه واحد منهم ... و قد انضم اليك أكبر أبناؤه *

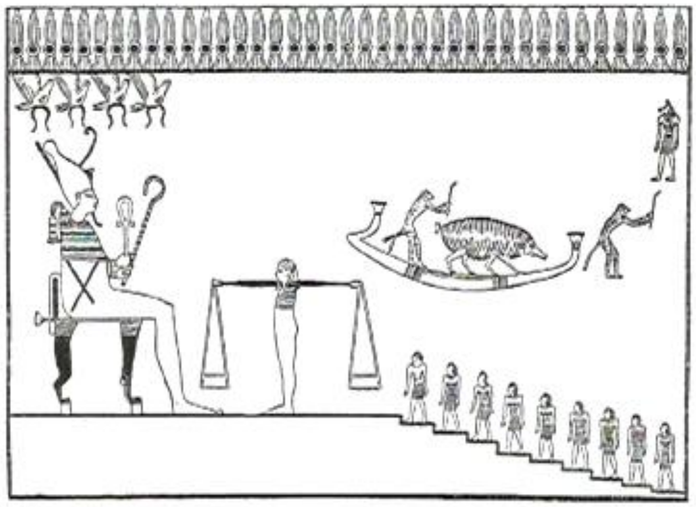
و النصوص السابقة لا تشرح الهدف من اجتماع ال "نترو" . الا أن هناك نصوص أخرى من متون الأهرام تتناول اجتماع ال "نترو" بشكل أكثر تفصيلا .

و نلاحظ أن اجتماع ال "نترو" يلعب دورا هاما فى بعث ملك مصر و الذى يعتبر جسده الميت صورة من جسد أوزيريس .

تقع مهمة جمع ال "نترو" على عاتق حورس الذى يجمع ال "نترو" من أجل أبيه أوزيريس , "و لن يفلت منه أحد" كما جاء فى أحد النصوص .

و بعد جمع ال "نترو" أمام أوزيريس , يهدى حورس هذا الجمع لأبيه أوزيريس و يجعلهم يصعدون اليه و يلتحقون به و لا ينكرونه . يجعل حورس أباه أوزيريس قبل ال "نترو" و فى مقدمتهم ,

و يجعل أوزيريس يعانق كل ال "نترو" و يحتويهم فى أحضانه .



(الساعة السادسه من كتاب البوابات : اجتماع التاسوع أمام عرش أوزيريس)

يطلق على الأرباب المجتمعة فى معظم النصوص اسم "نترو" (netjeru) , و لكن فى العديد من المواضع جاء ذكرهم تحت اسم "مسو – حيرو" (Msu Hru) , أى أبناء حورس .

و كلمة أبناء حورس غالبا ما ترتبط فى الفكر الدينى المصرى بأبناء حورس الأربعة , و هم حابى , و دواموتيف , و ايمستى , و كبحسنوف .

يوصف ال "مسو- حيرو" بأنهم "الذين ولدوا من جسده" (أى من جسد حورس) . بينما يوصف أبناء حورس الأربعة بأنهم روح حورس . و يعتبر أوزيريس أبا لأبناء حورس الأربعة جنبا الى جنب مع حورس .

تقول متون الأهرام أن أبناء حورس يتم حشدهم و جمعهم فى المكان الذى غرق فيه أوزيريس , حيث يزحفون تحت جسده و يحملونه و يضربون عدوه . و تحث النصوص أوزيريس على أن يتحد بهم , لأنهم يحبونه , و لأنه يكتسب قوته منهم . و يخبرنا أحد النصوص أن أبناء حورس الأربعة

هم الذين يهبون أوزيريس- الملك (روح الملك المتوفى) لقب "النجم الذى لا يأفل" .

و فى بعض الأحيان يقوم "جب" بمهمة جمع ال "نترو" أو يستدعى حورس للقيام بهذه المهمة .

عند قيام جب بجمع ال "نترو" بنفسه , فى هذه الحالة يطلق عليهم لقب "كل أرباب مصر العليا و السفلى الذين رفعوا أوزيريس للسماء و الذين يمنحونه القوة" .

و فى مجموعة من النصوص نقرأ أن ال "نترو" تجتمع من أجل حورس أحيانا , و من أجل أوزيريس فى أحيان أخرى .

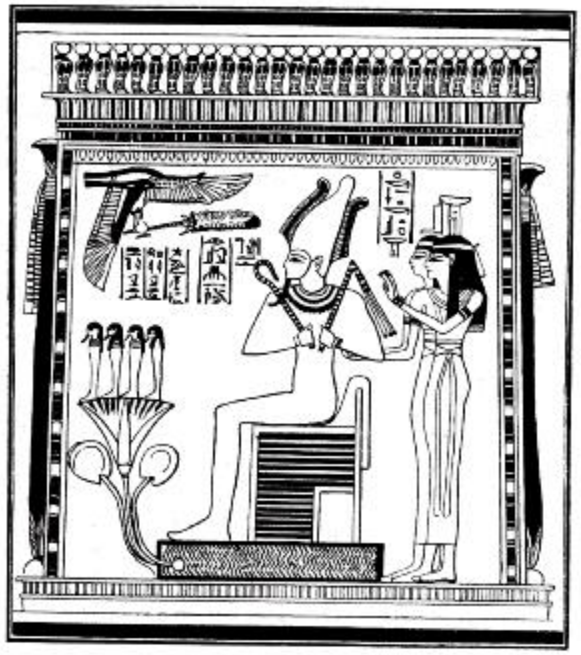
يتكون هذا الجمع من "النترو الذين فى السماء" و "النترو الذين فى الأرض" , و يطلق عليهم أيضا اسم "أرواح نخن" و "أرواح بوتو" .

تزحف هذه ال "نترو" (الكيانات الالهية) تحت جسد الاله و ترفعه بأذرعها و تصنع معراجا ليصعد به للسماء .

و هناك مثل أخير لأسطورة اجتماع ال "نترو" حيث نقرأ فى متون الأهرام أن حورس حين علم أنه أصبح وريث عرش جب قال متعجبا :-

** لقد التحمت أعضاء جسدى التى كانت خفية , و اتحدت بهؤلاء الذين فى "نون" (مياه الأزل) , لقد بعثت اليوم على هيئة روح حية .... لقد وهبنى الذين فى "نون" الحياة **

و بالنسبة لهوية الكيانات التى أشار اليها النص بلقب "الذين فى نون" نلاحظ أن متون الأهرام وصفتهم فى موضع آخر بأنهم "أرواح جب" .



(أحد مشاهد كتاب الخروج الى النهار : أبناء حورس الأربعة يخرجون من زهرة لوتس نبتت من تحت عرش أوزيريس)

اذا وضعنا كل الأدلة جنبا الى جنب , يتضح لنا أن الهدف من اجتماع ال "نترو" - على الأقل فيما يخص أوزيريس و حورس - هو اعادة الحياة لجسد الاله و تحويله الى روح , أى رفع روحه من هاوية "نون" (مياه الأزل) الى السماء .

و يمكننا أن نستنتج أيضا أن هذا هو نفس الهدف من اجتماع ال "نترو" من أجل آتوم و جب .

و نلاحظ وجود تشابه كبير هنا بين فكرة اجتماع ال "نترو" التى وردت فى متون الأهرام و بين أسطورة الثامون و فيها نقرأ أن قوى الثامون بعد أن كانت فى حالة تفكك داخل "نون" بدأت فى التقارب من بعضها البعض و التحمت لتتحول بعد ذلك الى تل أزلى خرج منه النور "رع" .

و يمكننا أن نقول أن اجتماع ال "نترو" من أجل آتوم و جب , أو من أجل أوزيريس و حورس يهدف أيضا لنفس الغرض , بمعنى أنه مرحلة من مراحل الخلق .

و نلاحظ أن النصوص الدينية تحدثت أحيانا عن اجتماع ال "نترو" و أحيان أخرى عن جمع أجزاء جسد الاله . و فى متون الأهرام غالبا ما تظهر الفكرتان جنبا الى جنب .

كل ذلك يدور حول الخلق , و لكن من الجدير بالتأمل أن ال "نترو" تظهر فى النصوص الدينية على هيئة أرواح واعية فاعلة تقترب من بعضها البعض , بينما تظهر أعضاء جسد الاله على هيئة قطع متناثره سلبية غير واعية يتم جمعها نتيجة تدخل قوة خارجية .

و علينا أن لا ننسى أن أسطورة رع تصف انبثاق ال "نترو" من أعضاء جسد الاله .

و المعنى يتضح لنا حين ننظر للأسطورة من منظور ازدواجية الجسد و الروح .

و ملخص ما سبق أن الاله أخرج ال "نترو" (الكيانات الالهية) من ذاته , عن طريق عملية تفكك و تحلل حيث ورث كل "نتر" قطعة من جسد الاله و قبس من روحه .

و فى مرحلة من مراحل الخلق كان كل شئ فى حالة من السديمية و العشوائية , و كانت قطع الجسد الالهى فى حالة من السكون , و كانت الروح فى حالة من حالات اللاوعى و فقدان الاتجاه .

ثم تولى ال "نترو" الهيمنة و السيطرة على أجسادههم و اقتربوا من بعضهم البعض ليلتحموا فى كيان واحد , و يصبحوا جسدا واحدا و روح واحدة .

و بذلك خلقوا الاله , و أصبحوا هم آباء و أمهات الاله .

و هكذا صعد الاله كروح , و قام بتحويل جسده لحالة من التوحد و التماسك بعد حالة التمزق و التحلل التى مر بها من قبل .

ثم خلق الاله ال "نترو" (الكيانات الالهية) بأن حولهم الى أرواح , فأصبحوا هم نجوم السماء .

لذلك يقال أن جب خلق نفسه .

و هكذا يمكننا أن نحل اللغز الذى حير علماء المصريات طوال مائتى عام .

<u>ملخص الفصل الخامس :-</u>

* من المبادئ الأساسية التى قامت عليها الديانة المصرية أن الاله الخالق كان ينظر له من منظور ازدواجية الجسد و الروح . فجسد الاله الذى كان فى وقت ما هامدا انبثقت منه روح حية .

كانت العلاقة بين الجسد و الروح فى نظر قدماء المصريين أشبه بالعلاقة بين الأب و الابن .

* يرمز جسد الاله للكون القديم . و الكارثة التى حلت بجسد الاله ترمز للكارثه التى حلت بالكون

القديم و لموته و تحلله لعناصره الأولية و بقائه لفترة ما فى حالة من العشوائية و الفوضى و الظلمة و التفكك .

* عاد جسد الاله الذى يتكون من ماء و مادة أزلية و هواء للحياة مرة أخرى بفضل الروح التى جلبت له النور و الطاقة . قامت الروح بتحويل الجسد الميت الى كون جديد و ملأته بالنور .

لذلك يقال أن الاله خلق نفسه بنفسه أو أتى للوجود بذاته "خبر- دجس- اف" (kheper-djesef) .

* ال "نترو" (الكيانات الالهية) أيضا تخضع لمبدأ ازدواجية الجسد و الروح . فأجسادهم ترقد فى مقابر فى باطن الأرض , بينما تحيا أرواحهم للأبد كنجوم فى السماء .

* خلق الاله ال "نترو" (الكيانات الالهية) من أعضاء جسده . و خلقت ال "نترو" الاله بأن جمعت أعضاء جسده .

قد يبدو ذلك متناقضا لأول وهلة , و لكن هذا التناقض يزول اذا نظرنا الى هذه المصطلحات على أنها تعبير مجازى عن اعادة خلق كون قديم انهدم و تفكك لعناصره الأزلية .

الفصل السادس

رفع السماء

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 434) :-

** يا نوت ... أيتها العالية فوق الأرض .... يا من تقفين فوق رأس "شو" .... لقد أحبك "شو" و وضع نفسه تحتك و تحت كل الأشياء **

كانت السماء فى نظر قدماء المصريين عبارة عن محيط من المياه , يفصله عن الأرض فقاعة من الهواء هى الغلاف الجوى " شو" . و على سطح هذا المحيط تقطع النجوم و الشمس و القمر مساراتها كأنها سفن تبحر فى محيط سماوى .

كيف أتت السماء للوجود و كيف ظهرت فيها النجوم و الشمس و القمر ؟

هناك أسطورة تناولت هذا الموضوع , و هى أسطورة انفصال السماء عن الأرض , أو بمعنى أدق أسطورة انفصال السماء عن الأرض و عن "نون" (مياه الأزل) .

جاء ذكر هذه الأسطورة فى متون الأهرام فى أكثر من موضع , فيقال أن "شو" (رب الهواء) رفع السماء بذراعيه و أنه يبقيها مرفوعة الى الأبد .

وضع "شو" نفسه تحت جسد نوت التى احتوت كل كيان الهى له قارب (مدار فلكى) , و يقال أن هذه الكيانات الالهية صعدت للسماء فى اللحظة التى انفصلت فيها السماء عن الأرض .

يفسر علماء المصريات عملية الانفصال هذه بأنها انفصال العناصر التى كانت فى حالة فوضى و عشوائية داخل "نون" (مياه الأزل) مثل انفصال النور عن الظلمة و انفصال التراب عن الماء و انفصال الأرض عن السماء , و هكذا ظهر للوجود الكون المادى المحسوس الذى تتميز فيه الأشياء عن بعضها البعض .

و لكن علماء المصريات لم يحاولوا البحث أبعد من ذلك و لم يسعوا للوصول الى أساس عقلانى لأسطورة الخلق عن طريق الانفصال و التى ينظر اليها فى الأوساط الأكاديمية باعتبارها واحدة من الحكايات الشعبية الساذجة التى تحاول تفسير خلق العالم .

و لكن فى السنوات الأخيرة ظهر تفسير آخر لأسطورة انفصال السماء عن الأرض و بدأ يلقى قبولا واسعا من علماء المصريات .

و هذا التفسير ينسب لعالم المصريات جيمس بيتر آلن (James P. Allen) , و فى رأيه أن معنى الأسطورة يتضح اذا نظرنا للكون الذى نعيش فيه و كأنه فقاعة تطفو داخل محيط لامتناهى من المياه التى كانت موجودة قبل خلق الفقاعة .

كتب جيمس بيتر آلن يقول :-

*** داخل جسد آتوم ظهرت فقاعة من الفراغ أو الفضاء هى "شو" الذى يطفو وسط مياه الأزل و يفصل الأرض "جب" عن سطح المياه "نوت" . ثم أخذت المياه فى الانحسار ليخرج منها أول تل من الأرض يرتفع و يتخذ شكلا يميزه عن ما حوله من مياه , هذا التل الذى ارتفع هو "تا تنن" ***

من قراءة نصوص "شو" التى وردت فى متون التوابيت (و هى من عصر الدولة الوسطى) يستنتج جيمس بيتر آلن أن الفقاعة التى خلقها "شو" تمثل ضغط الهواء الذى خرج من أنف آتوم .

هذا الزفير المندفع من أنف آتوم أزاح مياه الأزل فى أطراف الكون و جعلها تنحسر و أتاح الفرصة لصعود التل الأزلى من القاع الى السطح .

اتخذت فقاعة الهواء (شو) هيئة قبة تعلو الأرض .

و يقول جيمس بيتر آلن أن للفقاعة جزء آخر سفلى , ألا و هو ال "دوات" , و الذى كان ينظر له فى مصر القديمة باعتباره عالم سفلى يقع تحت الأرض .

و الأرض و الغلاف الجوى و الدوات و صفحة السماء , كل هؤلاء معا يشكلون فقاعة محاطة من كل جانب بالفوضى و العشوائية و المياه الأزلية .

أو حسب تعبير جيمس بيتر آلن :-

***** كان الكون فى نظر قدماء المصريين عبارة عن فقاعة من الهواء و النور و المادة تطفو وسط محيط لانهائى *****

و يرى جيمس آلن أن خلق تلك الفقاعة هو أحد أفعال اله الشمس و الذى يعتبر هو الاله الخالق بامتياز .

و من وجهة نظر جيمس آلن يعتبر آتوم أحد صور اله الشمس , و يرمز ظهور أول أبنائه (شو) لأول شروق للشمس , و يؤكد على أن خبرى هو أيضا أحد أشكال اله الشمس .

يرى علم المصريات أن الخلق هو أحد أفعال اله الشمس , الذى خلق نفسه أولا فى هيئة "خبرى-آتوم" , ثم صعد للسماء على هيئة "شو" (أو صنع الفقاعة الكونية حسب تعبير جيمس آلن) , ثم تجلى فى هيئة رب الشمس "رع" ملك الكون و حاكمه .

هذا هو تفسير جيمس آلن لأسطورة انفصال السماء عن الأرض , و هو تفسير لاقى قبولا واسعا لدى علماء المصريات .

و لكن ما زلنا نواجه عدة مشاكل مع قبولنا لهذا التفسير .

أولا : بالرغم من أن الدوات هو جزء من الكون المخلوق , لا يوجد دليل على أنه ينتمى للفقاعة الكونية (لا يوجد أسطورة تحكى عن خلق شو للدوات).

و كما أوضح جيمس آلن فى موضع آخر من أطروحته , هناك اشارات لوجود سماء سفلى تحت الأرض , و أن هذه السماء السفلى تحملها "تفنوت" توأم "شو" الذى يحمل بدوره السماء العليا .

أى أن الفقاعة الكونية التى يتحدث عنها جيمس آلن هى عبارة عن كرة من الهواء تحيط بالأرض من كل جانب .

ثانيا : تفسر لنا نظرية جيمس آلن كيف انفصلت السماء عن الأرض , و لكنها لا تتحدث عن انفصال السماء عن ال "دوات" (العالم السفلى) .

أطلق قدماء المصريين على السماء اسم "بت" (السماء العليا) و "نوت" (السماء الدنيا) لتمييزها عن مياه الأزل "نون" التى تحيط بها من كل جانب . و لكننا لا نعرف على وجه التحديد كيف انفصلت السماء بشقيها (العليا و الدنيا) عن "نون" و لا عن ال "دوت" .

كيف استطاع "شو" (على هيئة ضغط الهواء) أن يميز بين المياه السماوية ل "بت" و "نوت" و بين المياه الأزلية "نون" ؟

و بالاضافة الى تلك التساؤلات التى ليس لها أجابة , فان نظرية جيمس بيتر آلن لا تفسر لنا كيف نشأت الأجرام السماوية (الشمس , القمر , النجوم) .

ثالثا : يقول جيمس بيتر آلن أن حجم الكون لا يتغير أثناء عملية الخلق . فالكون لامتناهى قبل الخلق و بعد الخلق أيضا . فخلق الفقاعة التى تقف الأرض فى مركزها ما هو الا تحول للمادة الأولية التى كانت موجودة فى الأزل لتتخذ أشكال أكثر تحديدا بعد أن كانت فى حالة تفكك و عشوائية و سديمية و لكن هذا يتناقض مع مقولة أن الاله الخالق صعد الى السماء .

تقول متون الأهرام أن آتوم صعد على هيئة تل مرتفع أو على هيئة حجر ال "بن بن" , و ان ال "نترو" (الكيانات الالهية) التى انبثقت من آتوم قد صعدت للسماء .

و تقول متون التوابيت أن "شو" قام برفع "نوت" و أن آتوم خلق نوت لكى تكون من فوقه .

و فى متون التوابيت أيضا يقول "رع" (لقد ارتفعت فوق تلك الأماكن الموجودة فى مياه الأزل "نون") بينما يقول "نون" (أنا الذى ارتفعت , أنا رب أولئك الذين فى العالم الأعلى) , و يقول "شو" (لقد خلقت السماء من أجلى , لكى أكون عاليا) .

و اذا تأملنا هذه النصوص فى ضوء نظرية جيمس بيتر آلن , سنجد أنها تشكل معضلة .

حسب نظرية جيمس آلن نجد أن الاله الخالق الذى يتجسد فى الكون المخلوق (و الذى يقوم بدوره آتوم) قد حدث له تقلص و أصبح أصغر مما كان عليه قبل عملية الخلق و ليس أكبر .

قد تحل هذه المعضلة عن طريق اعادة ترجمة النصوص .

على سبيل المثال النص الذى يقول أن ال "نترو" قد صعدوا الى السماء يترجمه جيمس آلن قائلا أن ال "نترو" ذهبوا الى السماء و بذلك أسقط الكلمة التى تدل على معنى الارتفاع .

و لكن هناك معضلات أخرى لا يمكن حلها عن طريق اعادة الترجمة , مثل تل آتوم العالى أو الأزلى , أو معراج آتوم و معراج شو .

تخبرنا النصوص الدينية المصرية مرارا أن الاله الخالق حلق نحو السماء كطائر أو كجعران مجنح

أو أنه اتخذ عرشه فوق عامود مرتفع أو فوق مجثم طائر أو فوق شجرة كونية أو فوق منصة عالية رفعت فوق الأرض و فوق هاوية "نون" .

رابعا و أخيرا : هناك مشاكل تصادفنا عند تأمل فرضية أن اله الشمس هو الاله الخالق .

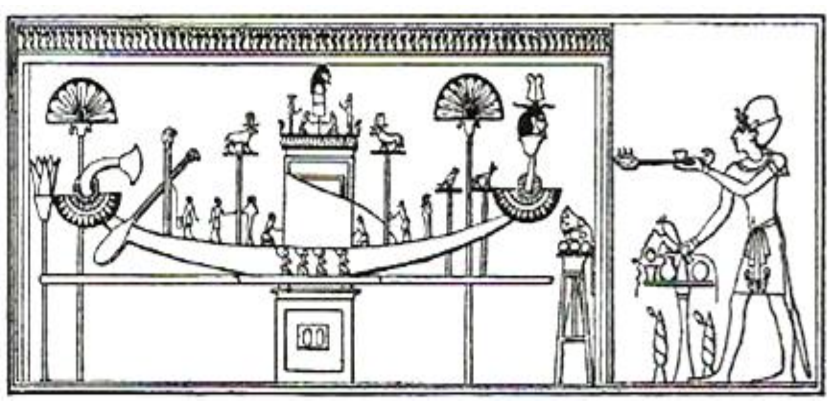
من الخطأ أن نعامل آتوم و خبرى باعتبارهم أحد أشكال اله الشمس . لأنهم ظهروا فى أقدم النصوص الدينية المصرية (ألا و هى متون الأهرام) باعتبارهم تجليات الاله الخالق و هم يحملون صفات أرباب الأرض أكثر مما يحملون صفات أرباب الشمس .

كما أن أساطير رع تتعارض مع فرضية أن اله الشمس هو الاله الخالق , لأن رع ينشأ من "نون" و من التل الأزلى .

تقول احدى الأساطير أن رع ولد من زهرة لوتس فى بحيرة تقع فى الجزيرة الأزلية , بينما تقول أسطورة أخرى أن رع هو ابن "تا تنن" (الأرض الأزلية التى ارتفعت من نون) أو أنه ابن الأرباب الأزليين أبناء "تا تنن" .

اذا كان رع هو الاله الخالق و فى نفس الوقت هو اله الشمس , فلماذا يصعد من "نون" (مياه الأزل) للسماء عن طريق الأرض .

ان صعود الاله الخالق للسماء عن طريق الأرض يعنى أنه اله أرضى أكثر من كونه اله شمسى .



(من معبد أبيدوس : مشهد لقارب أوزيريس , و هو مشهد يعبر عن صعود الاله للسماء)

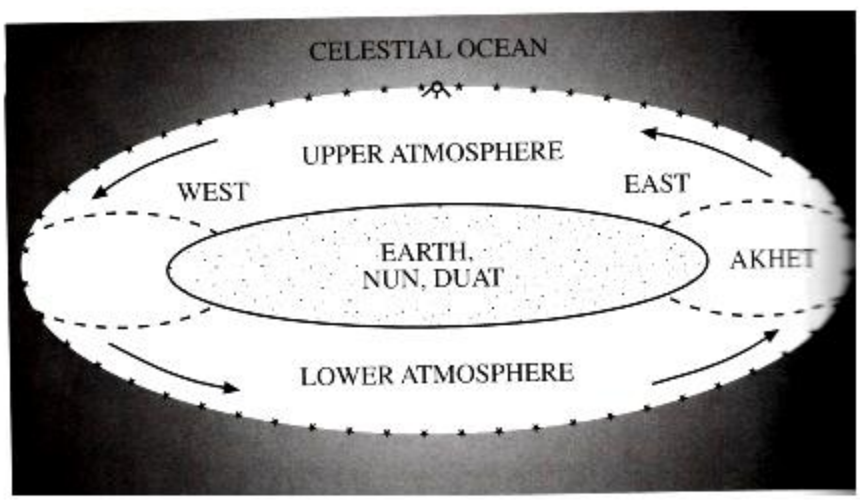
هل هناك بديل لنظرية جيمس بيتر آلن ؟

اذا نظرنا لأساطير الخلق المصرية من وجهة نظر أرضية (geocentric) بدلا من وجهة النظر الشمسية (heliocentric) - حيث الأرض هى نقطة بداية الخلق - سنصل لتحليل مختلف للديانة المصرية القديمة و لطبيعة الاله الخالق .

فحسب وجهة النظر الأرضية , نجد أن "نون" (التى تحوى بداخلها المادة الأولية و الهواء) لها حجم متناهى و لها حدود , و لكن هذه الحدود تمتد و تتسع كلما تطور الخلق .

و بالتالى فان أفعال الخالق ليست موجهة للداخل بمعنى خلق فقاعة من الفراغ داخل المحيط الأزلى تحوى بداخلها الأرض و الهواء و السماء , و انما هى موجهة للخارج بمعنى خلق فقاعة من الغلاف الجوى فوق الأرض ثم خلق المحيط السماوى المحمول فوق تلك الفقاعة من الهواء.

و هكذا انفصل المحيط السماوى عن المحيط الأزلى (نون) بأن ارتفع , فسمح بظهور التل الأزلى من الأعماق .



(نموذج يوضح مفهوم الكون الأرضى Geocentric Cosmos كما تخيله قدماء المصريين , و هو نموذج يلخص الفكرة التى يطرحها الكاتب آلان ف. ألفورد فى هذا الكتاب)

و هنا علينا أن ننتبه الى أن السماء انفصلت عن الأرض و أيضا عن "نون" (باعتبار أن "نون"

هى المادة الأولية المتبقية من الكون السابق) عن طريق قيام "شو" بالضغط نحو الخارج .

و "شو" (الغلاف الجوى) لا يشكل قبة فوق الأرض , و انما هو يحيط بها من كل جانب و يفصلها عن السماء , و بذلك تكون الأرض فى المركز , يحيط بها الغلاف الجوى , ثم السماء .

و فى هذه الفرضية يعتبر ال "دوات" (العالم السفلى) عالما تخيليا يرمز للكون السابق أثناء قيامه من الموت و عودته للحياة مرة أخرى , و موقعه فى باطن الأرض التى تعتبر هى مركز الكون الجديد

تتميز هذه النظرية عن نظرية جيمس بيتر آلن بأنها تتفق بشكل كامل مع اعتقاد قدماء المصريين بأن السماء كانت ملتصقة بالأرض فى بداية الخلق ثم انفصلت عنها بعد ذلك و ارتفعت , و أعقب ذلك صعود الاله الخالق اليها و كذلك ال "نترو" (الكيانات الالهية) لتصبح السماء هى موطنهم .

تصف النظرية الأرضية عملية نشأة الكون بأنها عملية توسع و تمدد , بينما تفترض نظرية جيمس بيتر آلن ما يمكن أن نطلق عليه عملية الخلق الانعكاسية , و التى تصف كونا له حدود متناهية و ثابته تظل كما هى قبل الخلق و بعده .

و الخاصية الثانية التى تتميز بها هذه النظرية أنها ترى الكون أرضى المركز (geocentric) و ليس شمسى المركز (heliocentric) .

يرى علم المصريات الأكاديمى أن اله الشمس هو مركز الكون و خالقه , أى أن الكون فى نظر علم المصريات هو كون شمسى المركز .

أما النظرية الأرضية البديلة التى أطرحها فى هذا الكتاب فترى أن الاله الخالق هو مركز الكون و خالقه , و هو ليس الشمس و انما هو المادة الأزلية (الأرض الأزلية + المياه الأزلية) .

أى أن الكون حسب هذه النظرية هو كون أرضى المركز .

ترى النظرية الأرضية أن كل شئ تراه أعيننا فى الكون (الأرض , الغلاف الجوى , السماء , الأجرام السماوية) جاء نتيجة عملية نمو و تمدد من الداخل الى الخارج .

و لذلك فان الشمس ليست هى الخالق و انما هى مخلوق .

هل هناك نصوص مصرية قديمة تؤيد هذه النظرية الأرضية ؟

يشك علماء المصريات فى ذلك , لأنهم اعتادوا قراءة النصوص الدينية المصرية و تأويلها بما

يتناسب مع النظرية الشمسية .

و لكن مؤلف هذا الكتاب يعتقد أننا اذا أعدنا قراءة النصوص الدينية المصرية فى ضوء النظرية الأرضية سنجد هناك أدلة متعددة على أن الأرض هى الأصل الذى نشأت منه السماء و الأجرام السماوية .

تبدأ مهمتنا فى هذا الكتاب من دراسة ثلاثة مشكلات رئيسية تعتبر هى مفتاح فهم الديانة المصرية .

و هذه المشكلات هى :-

* أصل المحيط السماوى

* أصل النجوم

* أصل الشمس و القمر

<u>أصل المحيط السماوى :-</u>

كانت السماء فى نظر قدماء المصريين و غيرهم من شعوب الحضارات القديمة عبارة عن محيط هائل تسبح فوقه الشمس و القمر و النجوم و كأنها قوارب أو سفن تسير فى قوافل أو مواكب لها طرق محددة .

و كما ذكرنا بالتفصل فى الفصل الثانى , عرف هذا المحيط السماوى فى مصر القديمة بعدة أسماء , و هى :-

- **<u>"بت"</u>** (pet) , و تترجم عادة بمعنى السماء .

- **<u>"حرت"</u>** (hrt) , و معناها العالية أو المرتفعة

- **<u>"كبحو"</u>** (qebhu) , و تترجم عادة بمعنة قبة السماء , و لكنها تعنى حرفيا "الماء النقى / الطهور"

- **<u>"نو"</u>** (nw) و تنطق أيضا "نون" , و تعنى المياه السماوية , أو الهاوية , و تعنى حرفيا المياه الأزلية .

- **"نوت"** (Nut) و تعنى السماء و تصور على هيئة ربة .

- **"ميحيت – ويريت"** (Mehet Weret) , و تعنى حرفيا "الفيضان العظيم" , و تستخدم للدلالة على السماء و تصور فى هيئة بقرة .

كيف يمكن لمحيط المياه أن ينتقل للسماء ؟

فى الحقيقة لا توجد أى معلومات لدينا من النصوص الدينية المصرية تتحدث عن أصل "بت" أو "كبحو" أو "ميحيت – ويريت" , و لكن هناك أساطير مصرية تحدثت عن أصل "نون" و "نوت" .

و لكى نعرف "نون" علينا أن نقرأ أسطورة "نون" و هو الكيان الالهى الذى يمثل المياه الأزلية .

يكشف "نون" عن أصله فى واحد من متون التوابيت , و لكن قبل أن نقرأ معا هذا النص , علينا أن نمر سريعا على مفهوم "نون" فى الدولة الوسطى و كيف كان قدماء المصريين ينظرون اليه فى ذلك العصر .

فى النص رقم 335 من متون التوابيت يوصف "نون" بأنه الاله الخالق لذاته . و قد وردت هذه المعلومة على هيئة سؤال و جواب ملحقين بأحد العبارات التى جاءت على لسان آتوم .

اذ يقول النص :-

** أنا الاله العظيم "نتر- عا" ... أنا الذى خلق نفسه بنفسه "خبر - دجس – اف" .... من هو الاله العظيم الخالق لذاته ؟ ... انه مياه "نون" ..... هو الاله , الذى أنجب ال "نترو" (الكيانات الالهية) **

و فى كتاب الخروج الى النهار هناك نص آخر عبر عن نفس المعنى تقريبا و لكن بطريقة أخرى , اذ يقول النص :-

** أنا الاله العظيم , الخالق لذاته .... هل تعلم من هو ؟ الاله العظيم الخالق لذاته هو المياه ... هو "نون" , الذى أنجب ال "نترو" (الكيانات الالهية) **

اذن "نون" فى الفكر الدينى المصرى هو أحد تجليات الاله الخالق .

احتل "نون" أهمية كبرى فى قصة الخلق المصرية , لدرجة أن أى كيان الهى خالق كان لابد أن يعود الى "نون" لكى يمكنه القيام بتفعيل دوره فى الخلق .

لذلك ارتدى آتوم أحيانا عباءة "نون" و تحدث بلسانه كاله خالق لذاته , و لذلك حمل آتوم أحيانا لقب "نون القديم أو العتيق , أول من بدأ التحول/الصيرورة" , أو لقب نون القديم أو العتيق , الذى أتى للوجود فى الزمن الأول" (kheper m zep tepi) .

أو نون القديم , الأزلى , رب الأرضين , الذى خلق الأزليين .

و فى أحد نصوص الدولة الحديثة , يقول خنوم :-

** أنا الذى خلق نفسه بنفسه ... أنا نون , الاله العظيم الذى أتى للوجود فى البدء **

و نون باعتباره الاله الخالق له جسد و روح , و جسده هو المياه الأزلية التى تحوى بداخلها المادة الأزلية التى خلق منها كل شئ .

و خلق "نون" لذاته يعنى انبعاث الروح من جسده بعد فترة من الخمول و السكون , تبدأ بعدها الروح فى اعادة تشكيل الجسد باستخدام المواد الأولية المترسبة فى أعماق المياه الأزلية .

فى كتاب الخروج الى النهار نقرأ هذا النص على لسان "نون" :-

*** أنا "نون" .... أنا أقدم الكيانات الالهية الأزلية .... أنا روح الأرواح للكيانات الأبدية .... جسدى لا يفنى , و صورتى أبدية .... أنا الذى خلقت الظلمة , و جعلت عرشى فى السماء ... أنا الروح التى خلقت جسد "نون" **

و هناك نص آخر مشابه فى كتاب متون التوابيت و هو النص رقم 307 .

أما النص الذى يعطينا أهم المعلومات عن دور نون فى نشأة الكون و تطوره فهو النص رقم 714 من متون التوابيت .

و فى هذا النص يصف نون (باعتباه الاله الخالق) كيف أتى للوجود وسط فيضان :-

** أنا "نون" , أنا الواحد الذى ليس كمثله شئ ... جئت للوجود هناك وسط الحدث العظيم , ألا و هو فيضانى (ميحيت) .... أنا الذى أتيت للوجود فى هيئتى , ألا و هى النطفة/البذرة التى فى البيضة .... أنا الذى نشأ هناك , فى المياه الأزلية .... أنظر , لقد اقتطع الفيضان منى .... أنظر , أنا ما تبقى بعد ذلك .... لقد خلقت جسدى بقدرتى , و صورت نفسى كما اقتضت مشيئتى , و كما أراد قلبى **

و العبارة الرئيسية فى هذا النص هى العبارة التى تقول (أنظر , لقد اقتطع الفيضان منى . أنظر , أنا ما تبقى بعد ذلك) . و هذه الترجمة هى ترجمة جيمس بيتر آلن .

من الواضح أن "نون" يتحدث فى هذا النص عن قيامه بفعل الخلق . و لكن ما الذى يعنيه "نون" ؟

حسب نظرية جيمس بيتر آلن , نجد أن اقتطاع المياه من "نون" لا يعنى شيئا , لأن الفقاعة التى شكلها نون و التى تحوى بداخلها الكون المخلوق محاطه من كل جانب بمياه الأزل اللانهائية .

كيف يمكن أن يكون هناك اقتطاع للمياه أو انفصال لها اذا كانت المياه محيط واحد لانهائى يحوى بداخلها فقاعة .

و يعتبر الفيضان الأزلى من الأشياء المحيرة فى هذه النص .

لماذا يفترض أن يكون هناك فيضان داخل "نون" اذا كان خلق الفقاعة هو الحدث الرئيسى فى عملية الخلق , حسب نظرية جيمس بيتر آلن .

لماذا يخلق "نون" نفسه وسط فيضان ؟

الى أى مدى يمكن للفيضان أن يكون هو الحدث الأعظم ؟

كل هذا يمكن أن تتضح رمزيته اذا نظرنا للخلق باعتباره عملية توسع و تمدد .

بهذا المنطق يمكننا أن نفهم أن مياه الأزل قد انقسمت فى مرحلة من مراحل الخلق , حيث ظل هناك جزء منها فى مركز الكون بينما انسكب الجزء الآخر فى السماء و أصبح هو المحيط السماوى .

و يعتبر قيام "شو" برفع نصف المياه الأزلية و سكبها فى المحيط السماوى هو فعل أشبه بالفيضان .

هذا الفيضان تم اقتطاعه من جسد "نون" الأزلى الذى ظل باقيا كما هو فى مركز الأرض الذى يعتبر هو مركز الكون , و هو المصدر الذى ينبع منه النيل و كل الآبار و مصادر المياه العذبة على الأرض , كما عبرت عن ذلك مختلف النصوص المصرية .

و فى متون التوابيت نجد ما يؤيد هذه الفرضية , حيث نقرأ فى أحد النصوص أن آتوم خرج من "نون" الى المياه السماوية .

و فى كتاب الخروج الى النهار يقول آتوم :-

** لقد صعدت من "نون" (المياه الأزلية) , الى نون (المياه السماوية) **

تختلف هذه النظرية الأرضية عن النظرية التى يطرحها جيمس بيتر آلن . فبينما يفسر جيمس آلن "نون" بأنها هى المياه السماوية , ترى النظرية الأرضية أن المياه الأزلية الأرضية هى الأصل الذى نشأت منه المياه السماوية , حيث اقتطعت المياه السماوية من المياه الأرضية فى مرحلة لاحقة من مراحل تطور الكون .

و هذا يقودنا لتفسير النصوص التى يظهر فيها "نون" باعتباره رب مياه الأزل تفسيرا مختلفا .

ننتقل الآن الى "نوت" (ربة السماء) , و الأسطورة التى تتحدث عن أصلها و نشأتها .

جاء فى النص رقم 432 من متون الأهرام :-

** أيتها العظيمة "نوت" , التى نشأت فى السماء ... أيتها القديرة ... الأرض كلها من تحتك ... لقد احتويت الأرض و كل الأشياء فى أحضانك **

يخبرنا هذا النص أن "نوت" قد نشأت فى السماء , و مع ذلك فالسماء ليست هى الأصل الذى انبثقت منه نوت . فالنص رقم 484 من متون الأهرام يقول على لسان نوت :-

** أنا العظيمة , التى تصعد للسماء فى سلام **

نستشف من هذا النص أن نوت قد صعدت للسماء , أى أنها لم تكن فى السماء من الأصل و انما فى بعد آخر من أبعاد الكون , ثم صعدت اليها و أصبحت هى السماء .

يتفق ذلك مع النصوص التى تقول أن "شو" (رب الهواء) رفع السماء فوق ذراعيه بعد أن فصلها عن الأرض .

و بعض النصوص قالت بشكل محدد أن "شو" رفع نوت لتصبح هى السماء .

جاء فى أحد نصوص الأهرام :-

** أيتها العالية فوق الأرض ... نوت , يا من تقفين فوق رأس "شو" ... لقد أحبك "شو" و وضع نفسه تحتك و تحت كل الأجرام السماوية **

و فى متون التوابيت يقول "شو" فى أحد النصوص :-

** لقد رفعت ابنتى "نوت" من فوقى .... و و هبتها لأبى آتوم فى ملكوته .... و وضعت "جب"

(رب الأرض) تحت قدمى ... و جعلت نفسى بين الاثنين **

من الصعب تفسير مثل هذه النصوص فى ضوء نظرية جيمس بيتر آلن .

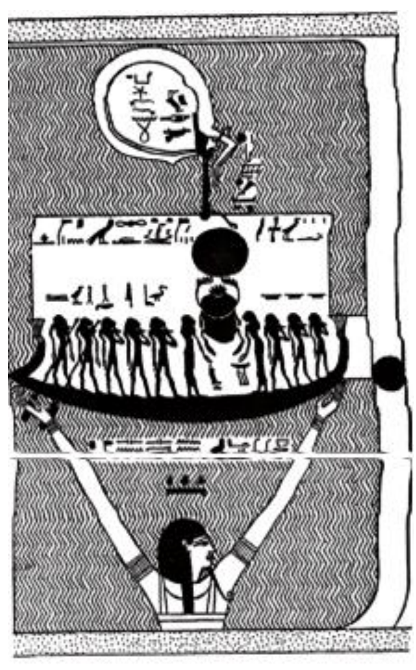
فماذا يعنى أن نوت كانت فى عالم سفلى ثم تم رفعها بواسطة شو ؟

و ما الذى يعنيه وقوف شو بين نوت و جب ؟

كل هذه التعبيرات هى فى الحقيقة جزء من النظرية الأرضية التى ترى أن الخلق بدأ من الأرض الأزلية + المياه الأزلية , حيث تعتبر هذه هى نقطة البداية التى بدأ منها التمدد و التوسع و أيضا الصعود .

و علينا أن نتذكر فى هذا السياق أيضا أن نوت هى عبارة عن محيط من المياه (أنظر الفصل الثانى) . و أن قيام "شو" بفصل السماء عن الأرض هو رمز لفصل المياه الأزلية التى فى باطن الأرض عن المياه الأزلية السماوية .

و هو نفس السيناريو الذى قرأناه فى النصوص التى تحدثت عن نون .



المشهد الثانى عشر (و الأخير) من كتاب البوابات , و فيه يظهر "نون" و هو يرفع قارب خبرى صانعا بذلك فقاعة وسط مياه الأزل . يولد قرص الشمس من ال "دوات" (العالم السفلى) , و فى نفس الوقت ترفعه أذرع نوت . و نلاحظ أن نوت هى أيضا تخرج من ال "دوات" الذى يحيط به جسد أوزيريس المتكور .

هل يمكن أن تكون مياه الأزل المرتبطة بباطن الأرض هى أصل "نوت" (المحيط السماوى) ,
و هل يمكن أن تكون مياه الأرض هى التى خلقت مياه السماء ؟

هناك مجموعة من نصوص الأهرام تقدم لنا المزيد من التفسيرات و تلهم العقول بأفكار فى غاية العمق حول هذا الموضوع .

و لنقرأ معا هذه النصوص :-

** يا نوت ... أيتها القديرة/الفعالة (آخ) ... يا من امتلكت القدرة منذ أن كنت فى رحم أمك تفنوت , و قبل أن تولدى .... يا نوت , يا قوية القلب .... يا من تتحركين داخل رحم أمك تفنوت .... أنت الابنة القوية فى رحم أمها , و التى ظهرت للوجود كنحلة **

و بالاضافة الى هذه النصوص هناك نصوص أخرى من عصر الدولة الحديثة دونت على تابوت الملك سيتى الأول , تقول :-

** أنا نوت , قوية القلب ... لقد اتخذت هيئتى و أنا فى جسد أمى تفنوت .... التى لا يضاهيها أحد و لا يهيمن عليها أحد **

يمكننا أن نفسر هذه النصوص كالآتى :-

ترمز تفنوت للرحم الكونية الأزلية التى حملت نوت بداخلها , فقامت نوت بالتحرك داخل الرحم على هيئة روح داخل مياه الرحم . ثم صعدت روح نوت بعد ذلك للسماء .

أى أن تفنوت ترمز للكون الأم , بينما ترمز نوت للكون الابن , أى الكون الوليد .

و فى نفس الوقت هناك نصوص أخرى فى متون الأهرام تفند التمييز بين تفنوت و نوت , و تصف نوت بأنها هى الرحم الأزلى الذى خرج منه الكون .

وصفت نوت فى أحد النصوص بأنها "الينبوع العظيم" (خنمت - ويريت) , و بأنها تلد من خلال رحم ابنتها , ألا و هى ال "دوات" (العالم السفلى) , و هى محمولة على أكتاف أربعة من الكائنات الالهية التى يضع آتوم بذرتها .

و يوصف رع بأنه يخرج من رحم نوت , كما يقال ان أوزيريس أيضا يخرج من رحمها .

يبرز دور نوت كأم كونية بشكل خاص فى كتاب نوت الذى ظهر فى عصر الدولة الحديثه .

نقرأ فى هذا الكتاب أن رع يذهب كل مساء للأفق الغربى حيث يبتلعه فم نوت , ثم يعود و يولد من جديد من رحمها فى الأفق الشرقى كل صباح .

و يوصف ال "دوات" (العالم السفلى) فى هذه النصوص بأنه هو جسد نوت .

و يعلق جيمس بيتر آلن على ذلك بقوله :-

*** تضع نصوص كتاب نوت ال "دوات" (العالم السفلى) داخل جسد نوت , أى أنه فى مكان ما فى السماء . عند الغروب تدخل الشمس من فم نوت الى ال "دوات" , و هو ما يعادل لحظة الحمل عند البشر . و أثناء الليل تبحر الشمس داخل جسد نوت و هو الدوات . و فى الصبح تعود الشمس و تولد من جديد من بين فخذى أمها نوت , حيث يفتح الرحم و تخرج منه الشمس محاطة بالشفق الأحمر الذى يشبه الدماء لتبدأ الشمس رحلتها النهارية فى السماء ***

و هناك عدة كتب أخرى من كتب العالم الآخر المصرية تناولت رحلة الشمس الليلية فى ال "دوات" (العالم السفلى) الذى يقع داخل جسد نوت .

فى كتاب ال "أمدوات" (وصف ما هو كائن فى العالم الآخر) , و فى بداية رحلة رع فى ال "دوات" يقول أرباب العالم السفلى :-

** أيها الاله العظيم , لقد فتحت لك الأبواب .... لقد فتحت لك البوابات الخفية لأرض الغرب على مصراعيها .... لقد فتحت لك أبواب نوت (السماء) العظيمة على مصراعيها .... أشرق بنورك وسط الظلمات الكثيفة .... و اقترب من المكان الذى يسكن فيه أوزيريس "خنتى – أمنتيو" (سيد الغربيين) **

تظهر نوت فى هذا النص باعتبارها أرض الغربيين و يطلق عليها "أمنتت" و هو اسم مرادف لكلمة "دوات" (العالم السفلى) . و بعد دخول رع الى ال "دوات" ب 12 ساعة , يخرج منه مرة أخرى على هيئة خبرى و يولد من جديد من بين فخذى نوت .

أى أن ال "دوات" (العالم السفلى) هو نفسه "نوت" (السماء) , أو هو جزء من جسد "نوت" .

يقول عالم المصريات ايريك هورنونج تعليقا على كتب العالم الآخر المصرية :-

*** يقطع "رع" فى رحلته الليلية المناطق الباطنية / الماورائية من الكون و التى كانت فى نظر*

قدماء المصريين هى العالم السفلى الذى يقع فى باطن الأرض و فى نفس الوقت هى المياه الأزلية التى يطلق عليها "نون" و هى مناطق خفية فى السماء تهيمن عليها الظلمة **

فى ضوء مناقشتنا السابقة حول شمس منتصف الليل (الفصل الرابع) , يتضح لنا أن دور نوت فى ابتلاع رع و ولادته من جديد كل يوم يهدف الى اعادة تكرار قصة الخلق .

و هو ليس مجرد تكرار رمزى لدراما كونية وقعت فى زمن بعيد , و انما هو تكرار له انعكاس على تجديد طاقة الكون تقوم فيه نوت بدور الأم الكونية التى تطورت من "نون" و هى المياه الأزلية التى تحمل بداخلها الأرض و السماء معا و تحوى بداخلها كل بذور الخلق , الى أن انفصلت المياه السماوية بعد ذلك عن الأرض , و هكذا أنجبت الأم ابنتها و أنجبت الأرواح .

يتأكد لنا هذا التفسير عندما نقرأ فى النصوص الدينية المصرية عن الدور الذى تقوم به نوت تجاه روح الملك المتوفى .

كما أوضحنا فى الفصول السابقة , عند موت ملك مصر يتحول الى أوزيريس , و يعيد تكرار ما حدث له فى الزمن الأول , أى تنبعث روحه من جسده و تصعد للسماء .

و لما كان أوزيريس فى أسطورة تاسوع هليوبوليس هو ابن "جب" (الأرض/الجسد) و "نوت" (السماء/الروح) , كذلك ملك مصر أيضا هو ابن "جب" و "نوت" .

فى الفصل الرابع بحثنا فى العلاقة بين "جب" و أوزيريس كما وردت فى متون الأهرام داخل سياق النظرية الأرضية .

و بقى أن نبحث فى العلاقة بين نوت و أوزيريس .

هل يتفق دور نوت فى اعادة احياء الملك المتوفى (باعتباره أوزيريس) و رفعه للسماء مع فكرة الكون الذى نشأ من الأرض و الذى يتوسع و يكبر ؟

فى متون الأهرام تلعب "نوت" دورا رئيسيا فى اعادة الملك المتوفى للحياة . فهى تنشر جسدها فوقه و تخفيه و تحميه و تعيد جمع أوصاله الممزقه و تأتى بقلبه و تعيده الى مكانه فى الجسد و تطهره و تنقيه و تحتضنه , ثم تلده (ذكر أحد النصوص أن هذه الولادة تحدث فى ال "أمنتت" أى فى المكان الخفى) , ثم تحمله باعتباره "العظيم ابن العظيم" , و باعتباره "آخ" (كائن نورانى /

قدرة الهية) .

تمسك نوت بيد الملك المتوفى , و تقوده فى الطريق الى ال "آخت" (الأفق) , و ترفعه للسماء العليا و تستقبله هناك , و تجعله من النجوم التى لا تأفل التى ترصع جسدها , و تحمله حيا كل يوم كما تحمل "رع" , حيث تطوف روح الملك بين أبعاد الكون فى صحبة رع و يصير من حاشيته و من ركاب قاربه .

كل هذه الأحداث تشير الى شئ واحد , و هو أن الملك المتوفى يلعب الدور الذى لعبه أوزيريس فى الزمن الأول , حيث يتم جمع أجزاء جسده الممزق و اعادته للحياه و بعثه كروح تصعد للسماء .

أى أننا فى هذه النصوص نتعامل مع اعادة تكرار لأسطورة أوزيريس . و الشئ الجدير بالانتباه هنا هو حضور نوت و وقوفها الى جوار أوزيريس فى كل مرحلة من مراحل موته و بعثه .

فى البداية نرى "نوت" فى ال "دوات" (العالم السفلى) و هى تقوم بحماية الملك المتوفى "أوزيريس" و تعيده للحياة مرة أخرى . ثم نراها بعد ذلك و هى تقود الملك الى ال "آخت" (الأفق) , و فى النهاية نراها و هى تأخذه الى السماء "بت" و تحوله الى نجم لا يأفل فوق جسدها .

و هنا نلاحظ أن مفهوم "نوت" يتسع ليشمل أبعاد الكون الرئيسية (العالم السفلى و الأفق و السماء) و هو ما يعنى ان "نوت" نشأت و تطورت فأصبحت هى الكون كله (ما عدا الأرض) .

يؤكد ذلك الألقاب التى أطلقت على "نوت" فى متون الأهرام .

فمن ناحية يطلق عليها السماء , حيث تخاطبها النصوص قائلة :-

** يا من تحملين بذور الخلق من جب , و اسمك هو "بت" (السماء) **

** لا تدعى روح الملك تبتعد عنك , يا من اسمك "حرت" (العالية) **

و من ناحية أخرى يطلق على نوت أيضا لقب المقبرة أو التابوت أو المصطبة , حيث تقول النصوص :-

** لقد عدت أيها الملك (أوزيريس) الى أمك "نوت" و اسمها المقبرة "قرت" (qrt) . لقد احتضنتك بين ذراعيها و كان اسمها التابوت "قرس" (qrs) و لقد ذهبت اليها محمولا و كان اسمها المصطبة "عا" (aa) **

و لكى تكتمل الصورة , و صف أحد نصوص الأهرام نوت بأنها هى المعراج , حيث قال :-

** ها قد عاد الملك (أوزيريس) الى أمه نوت . ها هو يصعد فوقها , و اسمها المعراج "ماكت" (maqt) **

توضح لنا هذه النصوص الكثير من الأشياء عن نوت .

لم يستطع علماء الآثار تفسير لماذا ترتبط مقبرة الملك و تابوته الذى يدفن تحت الأرض ب "نوت" ربة السماء . لماذا يجب أن تستند السماء الى مكان موجود فى باطن الأرض ؟

هل يمكن أن نفسر ذلك بأن نوت ليست فقط ربة السماء و انما هى أحد صور الاله الخالق , هى الأم الكونية ؟

و النص الثالث من مجموعة النصوص السابقة يؤيد هذه الفرضية . فهو يقول أن نوت رفعت نفسها من مكان منخفض الى مكان مرتفع , كالمعراج الذى يرتفع نحو السماء .

تلك أسطورة نوت . و برغم أنه ليس هناك نص يقول بشكل مباشر أن نوت اقتطعت جزء من مياه الأزل و سكبته فى المحيط السماوى (كما فعل نون) , الا اننا نستشف نفس المعنى تقريبا من نصوص "نوت" التى تحدثت عن انفصالها عن "جب" (رب الأرض) و صعودها للسماء .

كما أن هناك شئ يجب الانتباه اليه , و هو أن هوية نوت الأصلية هى هوية مائية .

فالسماء عبارة عن محيط لانهائى من المياه .

و اسم "نوت" هو فى الغالب مشتق من كلمة "نو" (nw) و معناها المياه الأزلية .

و من ألقاب نوت "الينبوع العظيم" , و هى الرحم الكونى الذى أنجب العديد من الكيانات الالهية .

أما نوت نفسها فقد ولدت من رحم أمها "تفنوت" مع أخيها "جب" (رب الأرض) و بعد ذلك انفصلت عنه و صعدت للسماء ثم أتت للوجود فى السماء و أصبحت هى نفسها المحيط السماوى .

و قد يكون من المفيد فى هذ السياق أن نذكر فيضان نون . و كما رأينا , جاء نون للوجود وسط فيضانه العظيم , و أن هذا الفيضان قد اقتطعه "نون" من ذاته أو من جسده الأزلى ليتحول ذلك الجزء الذى تم اقتطاعه الى المحيط السماوى .

و هناك مشكلة فى تفسير مغزى هذا الفيضان فى ضوء نظرية جيمس بيتر آلن التى تقول بأن الكون

خلق داخل فقاعة . أما فى ضوء نظرية الخلق من الأرض , فيتضح مغزى الفيضان الذى يشير الى أن المحيط السماوى هو فى الأصل جزء من مياه الأزل اقتطعت من منبعها و انسكبت فصارت هى المحيط السماوى .

يعتبر فيضان نون الذى وقع فى بدء الخليقة أحد أكثر الموضوعات تكرارا فى أساطير الخلق المصرية .

وصفت متون التوابيت آتوم بأنه "فى وسط الفيضان داخل نون مع الساكنين أو الخاملين" .

و وصفته بأنه يأتى للوجود من داخل الفيضان و من داخل نون .

كما يوصف "شو" (رب الهواء) أيضا بأنه "وسط الفيضان , داخل نون" . و يقال أن آتوم و شو قاما بخلق الأرباب اللانهائيين (الذين ليس لهم نهاية) وسط فيضان نون .

فى متون التوابيت و غيرها من النصوص يبدو كل من الفيضان و "نون" (المياه الأزلية) و كأن كل منهما مرادف للآخر . و فيضان بدء الخليقة هو صورة مرآه معكوسه من فيضان النهاية .

فى كتاب الخروج الى النهار هناك نص جدير بالتأمل يقول فيه آتوم (الكامل / الكل) أنه بعد ملايين الملايين من السنين ستعود الأرض مرة أخرى الى فيضان "نون" (مياه الأزل) كما كانت فى البدء .

يظهر الفيضان فى كل أبعاد الكون كما عرفه قدماء المصريين , بما فى ذلك ال "دوات" العالم السفلى) حيث يوصف هناك بأنه تيارات مائية يبحر فوقها قارب "رع" .

توصف كل من حقول الايارو (البوص) و حقول الحتب (الرضا/القرابين) بأنها مغمورة بمياه الفيضان .

و فى متون الأهرام نقرأ أن هذا الفيضان هو الذى يحمل روح الملك المتوفى الى ال "آخت" (الأفق) فى الركن الشرقى من السماء . و هو أيضا الفيضان الذى يخرج منه التل الأزلى الذى ولد منه النور فى بدء الخليقة .

يوصف ال "آخت" (الأفق) فى الفكر الدينى المصرى بأنه مكان ملئ بالمياه , تحيط به الشواطئ و الضفاف .

فى أحد نصوص الأهرام , يوصف شاطئ من شواطئ ال "آخت" بأنه يحوى "فيضان ميحيت – و يريت" أى الفيضان العظيم .

و فى متون التوابيت يقول "نبر- دجر" (رب حدود الكون) أن الفيضان هو واحد من أربع أفضل الأشياء التى صنعها فى بوابة ال "آخت" (الأفق) .

و أخيرا , توصف صفحة السماء فى النصوص الدينية المصرية بأنها فى حالة فيضان .

فكلمة "بت" , و "كبحو" , و "نوت" , كلها مرادفات لكلمة "ميحيت - ويريت" و معناها الفيضان العظيم .

تقول متون الأهرام أن الكيانات الالهية تحيا على هذا الفيضان العظيم .

و تقول متون التوابيت أن "آتوم" (الكامل/الكل) يذهب ليستريح أو ليجدد طاقته فى ذلك الفيضان .

و كما بحثنا فى نوت و نون , علينا الآن أن نبحث فى ديناميكية هذا الفيضان .

هل يمكن أن نعثر على أدلة على أن هذا الفيضان قد انقسم الى جزئين كما فى أسطورة "نون" ؟

هل قام "شو" برفع الفيضان بضغط الهواء كما فعل مع السماء ؟

هل يمكن أن نتتبع نشأة الفيضان من "نون" (المياه الأزلية) ثم انتقاله الى ال "آخت" (الأفق) ثم الى ال "ميحيت - ويريت" (السماء) ؟

هناك بالفعل العديد من الأدلة على ذلك .

تتحدث متون الأهرام (و النصوص المقتبسه عنها فى عصر الدولة الحديثه) عن "ليل الفيضان العظيم الذى انبثق من العظيمة" . و نلاحظ هنا أن كلمة العظيمة "ويريت" (weret) وردت بصيغة المؤنث و لم يتم تفسيرها بأى صفة محددة , و لا يوجد هنا أى تفسير للفيضان الذى يتحدث عنه النص , و لكن سياق النص بشكل عام يتحدث عن انتقال روح الملك المتوفى من جزيرة اللهيب الى ال "آخت" (الأفق) و ما وراء الأفق .

كما أطلقت متون الأهرام على "رع" لقب " الفيضان العظيم الذى انبثق من العظيم " , و هو لقب غير معتاد لاله الشمس و يشير الى أن هناك مفهوم أوسع لمنظومة الخلق .

و العظيم الذى جاء ذكره فى النص السابق ربما كان أوزيريس و الذى يحمل فى كثير من المواضع

لقب العظيم , و الذى يعتبر جسده مصدر الفيضان (انظر الفصل الرابع) .

و برغم أن هذه الاشارات مبهمة , الا انها تدل على أن الفيضان كان حدثا هاما فى أساطير الخلق المصرية و أن مياه ذلك الفيضان نبعت من جسد الهة أو اله عظيم .

و هناك دليل آخر فى متون التوابيت , فى النصوص التى تتناول دور آتوم و شو فى عملية الخلق .

يقول النص رقم 79 من متون التوابيت أنه فى بدء الخليقة كانت "نون" (مياه الأزل) موجودة و لكن الفيضان العظيم "ميحيت - ويريت" لم يكن موجودا بعد . ثم خلق الفيضان العظيم ليستريح فوقه آتوم , أى أن آتوم صعد ليستريح فوق صفحة المحيط السماوى .

أما النص رقم 76 من متون التوابيت فيخبرنا عن لحظة فارقه فى تاريخ نشأة الكون قام فيها "جب" (رب الأرض) بجمع الفيضان العظيم "ميحيت - ويريت" من أجل أبيه آتوم .

و يفهم من هذا التعبير أن الفيضان قد رفع من الأرض للسماء .

هل "شو" (رب الهواء) هو من رفع الفيضان العظيم من الأرض للسماء ؟

هناك نص من نصوص الأهرام يصف قيام "شو" برفع المياه . و لكن سياق النص غامض , و يمكن أن يكون اشارة لفوران أو ارتفاع فى مياه الأنهار و البحار و الينابيع .

أما متون التوابيت فهى أكثر وضوحا . و برغم أنها لم تذكر بشكل مباشر أن "شو" قام برفع الفيضان العظيم , الا أنها ذكرت أن "با" (روح) "شو" كانت عند رأس الفيضان العظيم , و أن وجه "شو" كان هو نفسه وجه الفيضان العظيم .

كل هذه التعبيرات هى اشارات لقيام "شو" برفع الفيضان العظيم .

و بالاضافة الى ذلك هناك نص من نصوص التوابيت يتناول كيف ظهر "شو" بوصفه جد أو سلف الكيانات الالهية فى اطلالة بهية تحيط به الأنهار "ايترو" و لهيب الأنوار .

اذا كانت هذه الأنهار هى الأنهار السماوية (المجرات) كما يوحى سياق النص , فان النص قد يكون وصفا للفيضان العظيم و لصعوده الى السماء .

و هناك نصوص أخرى تربط بين الفيضان العظيم و بين ال "آخت" .

جاء فى فى أحد نصوص التوابيت على لسان الملك المتوفى :-

** لقد سمعت صوت الفيضان عند البوابة الشرقية للسماء **

و فى نص آخر :-

** لقد فتحت لى أبواب ال "آخت" (الأفق) , و فيضانى "ميحيت" هو الفيضان العظيم "ميحيت - ويريت" **

تشير هذه النصوص الى أن الفيضان نبع من ال "آخت" ليشكل ما يعرف ب "ميحيت - ويريت" , أى فيضان السماء العظيم .

تتأكد لنا هذه الفكرة أيضا حين نقرأ أسطورة "نحب - كاو" (الذى يصل الكاوات) و الذى يقال عنه انه ابتلع الفيضان , ثم انبعث من ال "آخت" (الأفق) فأصبح هو ثعبان ال "أوروبوراس" (auroborous) فى السماء , أى الثعبان الذى يلتف فى شكل دائرى و يضع ذيله فى فمه .

و يعتبر مغزى ال "آخت" (الأفق) من الموضوعات المثيرة للجدل فى أساطير الخلق المصرية , و سنعود لمناقشتها فى موضع آخر من هذا الفصل .

كل هذه الأدلة تدعم فرضية أن الفيضان العظيم نشأ من كون سابق انتهى زمنه و تحولت بقاياه الى الأرض الأزلية و المياه الأزلية التى خلق منها الكون الحالى , و بعد اعادة الحياة لبقايا الكون القديم انفصل الفيضان العظيم عن العالم الأرضى و أصبح هو المحيط السماوى ("ميحيت ويريت" / بت / كبحو / نون / نوت) و كل ذلك يدعم فرضية الخلق من الأرض أو الكون الذى تقف الأرض فى مركزه (geocentric) .

نكتفى الآن بالبحث فى نشأة السماء , و ننتقل الآن الى البحث فى نشأة النجوم .

<u>نشأة النجوم :-</u>

تعتبر نشأة النجوم من الموضوعات الغامضة فى النصوص الدينية المصرية .

لا يوجد نص واحد يخبرنا أن النجوم نشأت بهذه الطريقة أو تلك . أو على الأقل , ليس باللغة التى يتحدثها و يفهمها انسان العصر الحديث . و لكننا اذا تأملنا قصة الخلق فى مصر القديمة سندرك أنه لابد و أن يكون لدى قدماء المصريين نظرية أو أسطورة تتحدث عن نشأة النجوم .

و لكى نعثر على هذه النظرية أو الأسطورة علينا أن نعود الى أساسيات الفكر الدينى المصرى و الى العلاقة بين رموز قصة الخلق , و خصوصا العلاقة بين النجوم و بين ال "نترو" (الكيانات الالهية) مثل التاسوع و أرباب النجوم و الأرواح التى تسكن السماء .

و قبل أن نبدأ بحثنا , علينا أن نوضح بعض الحقائق .

كلمة نجم باللغة المصرية القديمة هى "سبا" (seba) و تكتب باستخدام علامة هيروغليفية على شكل نجمة خماسية (✶) .

و يطلق على سماء الليل فى اللغة المصرية القديمة اسم "كبحو سباو" (qebhu sebau) و معناه الاصطلاحى "قبة السماء المرصعة بالنجوم" , أما المعنى الحرفى للاسم فهو "ماء النجوم النقى/ الطهور" .

و هناك اسم آخر أقل استخداما للنجوم و هو اسم "شد" (shed) , و يستخدم فى الغالب فى صيغة الجمع فيقال "شدو" (shedu) أى النجوم . و تظهر كلمة "شدو" فى تعبيرات مثل "شدو بت" (shedu pet) أى السماء المرصعة بالنجوم , و "مسكت شدو" (msqt shedu) أى الطريق الذى تطرقه النجوم أو شارع النجوم .

و هناك اسم آخر للنجوم فى اللغة المصرية القديمة و هو "نخخ" (nekhekh) , و عندما يأتى هذا الاسم فى صيغة الجمع "نخخو" يقصد به "الأقدمين" أى الأرواح القديمة .

و هناك بعض النجوم التى تحمل أسماء خاصة .

فقد عرف قدماء المصريين النجمة "سوبدت" , و هى نفسها نجمة "سوثيس" (Sothis) عند الاغريق و المعروفة عند علماء الفلك فى العصر الحديث باسم "زيريوس" (الشعرى) .

و عرف قدماء المصريين أيضا "نتر - دواو" أى نجمة الصباح , و هى كوكب فينوس .

و عرف قدماء المصريين نجوما أخرى ما زال علماء المصريات غير قادرين على تحديد هويتها مثل "سبا - واتى" أى (النجم الوحيد / الفريد) , و "سبا - ور" أى (النجم العظيم) , و نجم آخر يدعى "اياد" (iad) و هى كلمة لا يوجد لها ترجمة حتى الآن .

كما ذكرت النصوص الدينية المصرية أسماء اثنين من المجموعات النجمية .

أولها هو مجموعة "مسختيو" (meskhetiu) و قد تعرف علماء المصريات على هوية هذه المجموعة و اتضح أنها مجموعة نجوم الدب الأصغر و التى تتخذ شكل فخذ ثور , و ربما كانت هذه المجموعة هى النجوم القطبية فى نظر قدماء المصريين .

أما المجموعة النجمية الثانية فهى مجموعة "ساح" و هو الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين على مجموعة نجوم أوريون فى عصور لاحقة برغم أن نفس الاسم ربما كان يستخدم فى العصر العتيق و حتى عصر متون الأهرام (الأسرة الخامسه , دولة قديمة) للاشارة الى النجم سهيل .

و فى النصوص الدينية المصرية نعثر أيضا على أسماء تشير لأنواع معينة من النجوم مثل اسم "أخمو- سكو" (akhmu-sku) و يعنى "النجوم التى لا تأفل" , و اسم "أخمو - وردو" (akhmu-werdu) و يعنى "النجوم التى لا تتوقف عن الحركة" .

تصف هذه الأسماء طبيعة النجوم التى لا يصيبها الهلاك أو التعب , و التى لا تفتأ تطوف السموات و تضئ ظلمتها .

يقول علماء المصريات أن "النجوم التى لا تأفل/تموت" هى النجوم القطبية الشمالية التى لا تختفى تحت خط الأفق .

و اسم "أخمو – سكو" (النجوم التى لا تأفل/تموت) يقصد به مجموعة من النجوم لها هوية خاصة يمكن أن نعرفها من خلال قراءة واعية للنصوص الدينية المصرية . فأحيانا ما يضيف قدماء المصريين لهذه النجوم ألقاب مثل "الأرباب الشماليين" أو "الذين فى السماء الشمالية" أو "الأرواح التى فى السماء الشمالية" .

وصفت النجوم فى العديد من النصوص الدينية المصرية بأنها "نترو" (كيانات الهية) .

فالنجوم التى لا تأفل "أخمو - سكو" كان يطلق عليها "نترو" , أو "النترو العظيمة الحكيمة " , أو "النترو التى فى السماء الشمالية" , أو "النترو التى فى السماء الدنيا" . أما النجوم التى لا تتوقف عن الحركة "أخمو - وردو" فكان يطلق عليها "النترو التى فى السماء" .

و قد وصفت النصوص الدينية المصرية (و خصوصا متون الأهرام) ملك مصر المتوفى بأنه "نجم فى السماء وسط ال "نترو" .

تشكل أرواح النجوم (و التى توصف بأنها كيانات الهية) حاشية تصحب "رع" فى قاربه و تقف أمامه و وراءه . و هم معا يكونون قاربه النهارى المعروف باسم "مندجيت" (mendjt) الذى يرتحل فى العوالم المضيئة , و قاربه الليلى المعروف باسم "مسكتت" (msktt) الذى يرتحل فى العوالم المظلمة .

و يقال أن هذه الأرباب النجوم هى التى تقوم بالابحار بالقارب عبر صفحة السماء الى أن يختفى خلف الأفق الغربى و يتحول من قارب نهارى الى قارب ليلى .

يطلق على هذه الأرباب النجوم مجتمعة اسم "بسدجت" (psdjt) و هو يعنى حرفيا التاسوع أو رقم تسعه , و لكنه يدل بوجه عام على "جمع الجمع" أو على رقم تسعة و كل مضاعفاته الى ما لا نهاية , أو الى رقم غير محدد .

تترجم كلمة "بسدجت" غالبا بمعنى جمع أو صحبة و فى الأغلب بمعنى تاسوع , و هو المعنى الذى سنستخدمه فى هذا السياق .

فى الفكر الدينى المصرى تستخدم كلمة "بسدجت" كمرادف لكلمة "نترو" (كيانات الهية) .

و لذلك نقرأ فى قصة خلق "بتاح تاتنن" للكون أن (الكيانات الالهية قد تشكلت , و أن التاسوع قد اكتمل) يتكون التاسوع من أرباب الأرض , و أرباب "نون" (مياه الأزل) و أرباب ال "دوات" (العالم السفلى) , و أرباب ال "آخت" (الأفق) .

و لكن اسم التاسوع كان يطلق غالبا للاشارة الى أرواح النجوم .

و من هنا جاء اسم "بسدجت ان بت" (psdjt n pet) أى "التاسوع الذى فى السماء" أو "تاسوع السماء" .

و من كلمة "بسدجت" اشتق الفعل "بسدج" و معناه "يتوهج / يضئ / يسطع / يتجلى " .

و لذلك كان "رع" يلقب ب "رب التاسوع" .

اذن مصطلح التاسوع كان يطلق على النجوم التى لا يحصى عددها .

و كعادة العقل المصرى فى افتراض وجود نسختين من كل شئ , كانت كلمة "بسدجت" تأتى فى بعض الأحيان فى صيغة المثنى فيقال "بسدجوت - سنو" (psdjwt-snu) أى التاسوعان , و هم عبارة عن تاسوع عظيم فى العالم الأعلى يهيمن على تاسوع آخر فى عالم أدنى .

قد يظهر التاسوعان فى "نون" (مياه الأزل) , أو فى ال "دوات" (العالم السفلى) أو فى حقول الايارو أو فى حقول الحتب أو فى ال "آخت" (الأفق) . و ما يهمنا هنا فى هذا الفصل هو السماء .

للتاسوعين شخصية مزدوجة فى السماء . فمن ناحية يوصف التاسوعان بأنهما نجوم القارب العظيم , و من ناحية أخرى يقال أنهما هما النجوم القطبية الشمالية التى تظهر على شكل قادوم أو فخذ ثور (مجموعة الدب الأكبر و الدب الأصغر) .

توصف النجوم فى كثير من الأحيان بأنها "آخو" (أرواح نورانية / قدرات الهية) , و يطلق على النجوم التى لا تأفل لقب الأرواح .

و تخاطب النصوص الدينية المصرية روح ملك مصر المتوفى و تطلب منه أن يقف فى مقدمة النجوم التى لا تهلك و يهيمن عليها بوصفه "الروح التى فى مقدمة الأرواح" .

و كلمة أرواح تظهر فى النصوص الدينية المصرية لوصف النجوم العادية و أيضا النجوم القطبية الشمالية .

توصف أرباب النجوم أيضا بأنها "باو" (أرواح متجسده) . و فى الكتب الدينية المصرية كانت كلمة أرباب السماء مرادفا ل "أرواح هليوبوليس" أو مرادفا لثنائية "أرواح نخن و أرواح بوتو" .

يخاطب أحد نصوص الأهرام روح ملك مصر قائلا :-

** أيها الملك ... كن روحا كأرواح هليوبوليس .... كن روحا كأرواح نخن ... كن روحا كأرواح بوتو .... كن "آخ" كنجم حى فى مقدمة أترابك من النجوم **

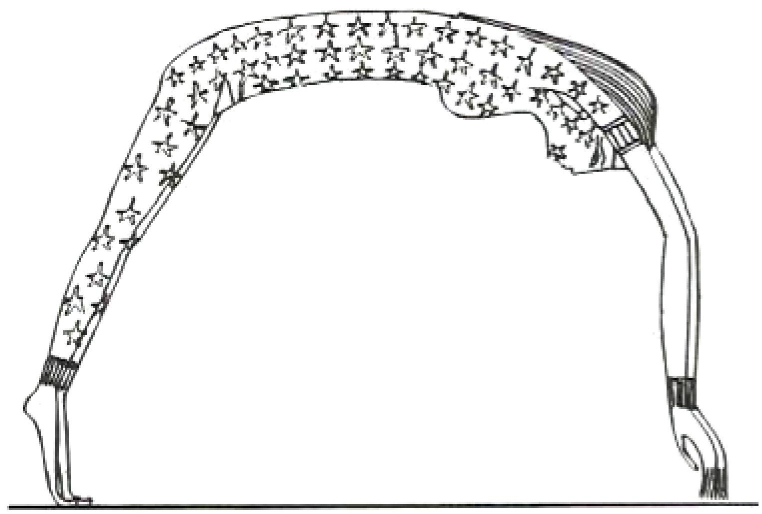
يظهر مصطلح "با" (روح متجسده) بالتبادل مع "آخ" (روح نورانية / قدرة الهية) فى السياق السابق , فيقال أحيانا (كن "با" فى مقدمة الأحياء) أى كن روحا فى مقدمة الأرواح الحية .

و هناك نص يوضح لنا الترادف بين كل من النجوم و ال "نترو" (الكيانات الالهية) و الأرواح ,

و هو النص رقم 434 من متون الأهرام , الذى تظهر فيه نوت ذات الألف روح , أى أن "نوت" تحتضن عددا لا حصر له من النجوم .

يقول النص :-

** أيتها العظيمة "نوت" ... لقد احتويت كل كيان الهى يمتلك قاربا (مدارا فلكيا) , لكى يصبح جزءا من نوت ذات الألف روح , حتى لا تنفلت النجوم من بين أحضانك **



(نوت : سماء الليل المرصعة بالنجوم)

ما هو أصل النجوم و كيف نشأت ؟

كما أوضحنا من قبل , لا يوجد نص مصرى قديم يقول بشكل مباشر أن النجوم نشأت بهذه الطريقة أو تلك . و لكن هناك أسطورة تتناول نشأة ال "نترو" (الكيانات الالهية) و التى تحول الكثير منها الى نجوم ترصع جسد "نوت" (السماء) , كما قرأنا فى النص السابق .

لا يوجد فرق واضح بين ال "نترو" و بين النجوم , و هناك دائما تداخل فى استخدام ألفاظ مثل ال "نترو" و الأرواح و التاسوع , كما أن كلمة "نترو" تستبدل أحيانا بكلمات مثل النجوم أو الأرواح أو التاسوع .

و هكذا يمكننا أن نعرف عن نشأة النجوم بأن نقرأ الأساطير التى تتحدث عن نشأة ال "نترو" (الكيانات الالهية) .

و لنبدأ بأرباب السماء أو ال "نترو" السماوية .

تقول متون الأهرام أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) قد صعدت الى السماء فى الزمن الأول , فى نفس اللحظة التى انفصلت فيها السماء عن الأرض . حينئذ ولدت الكيانات الالهية من جديد على هيئة نجوم ترصع جسد "نوت" .

و نشأة الكيانات الالهية ككيانات الهية بالطبع سابق على ولادتها فى هيئة نجوم و على صعودها الى السماء .

و هنا يبرز السؤال : من أين صعدت ال "نترو" (الكيانات الالهية) و ما هو الأصل الذى نشأت منه ؟

كما أوضحنا فى الفصل السابق , ال "نترو" هم أبناء الاله الخالق الذى حمل بذرتهم و هو داخل مياه الأزل "نون" . أى أن ال "نترو" صعدت من مياه الأزل "نون" الى السماء فى اللحظة التى انفصلت فيها السماء عن الأرض .

و لكن كيف لنا أن نفهم هذا الصعود من "نون" ؟

هناك أسطورة قد تساعدنا فى العثور على اجابة لهذا السؤال , و تقول أن ال "نترو" نشأت من الأرض الأزلية . تتأكد لنا هذه الفكرة من أربعة مصادر مختلفة :-

<u>**أولا**</u> : جاء فى نظرية ممفيس لنشأة الكون أن "تا تنن" (رمز الأرض الأزلية) هو أبو الكيانات الالهية و خالقها . يقول النص :-

** كان بتاح هو الذى خلق كل شئ و هو الذى أخرج الكيانات الالهية للوجود . و هو بحق "تا تنن" (الأرض التى ارتفعت فى الأزل) الذى أنجب الكيانات الالهية التى انبثق منها كل شئ **

و فى نص مشابه ببردية لايدن , نقرأ أن آمون اتخذ هيئة "تا تنن" (الأرض التى ارتفعت فى الأزل) لكى يخلق من ذاته الأزليين .

<u>**ثانيا**</u> : تؤكد نصوص معبد ادفو أن الأرباب الأزليين قد انبثقوا من الأرض الأزلية .

تشير النصوص الى أن أجساد هذه الكيانات الالهية تحولت الى أرواح داخل تلال الأرضين "اياوت ان تاوى" (iawt n tawi) .

ثالثا : جاء فى متون الأهرام و متون التوابيت أن ال "نترو" قد انبثقوا من "جب" (رب الأرض) فنقرأ على سبيل المثال فى هذه النصوص أن (ال "نترو" قد انبثقوا من رأس جب) و كأنهم يصعدون من الأرض للسماء , كما نقرأ أيضا أن "جب" هو أبو ال "نترو"و هو "كاءهم" , حيث يرتبط مفهوم الكا دائما بالجد أو السلف .

رابعا : جاء فى متون الأهرام أن أفواه ال "نترو" قد فتحت باستخدام أداة فتح الفم الحديدية التى يمسكها "ويبواويت" (فاتح الطرق) و أن الحديد الذى صنعت منه أداة فتح الفم قد سال من جسد "ست" . يرمز فتح الفم للميلاد من جديد ولادة روحانية و التحول من جسد الى روح , و هو طقس دائما ما يقام على الأرض أو فى باطن الأرض بالمعنى الميثولوجى .

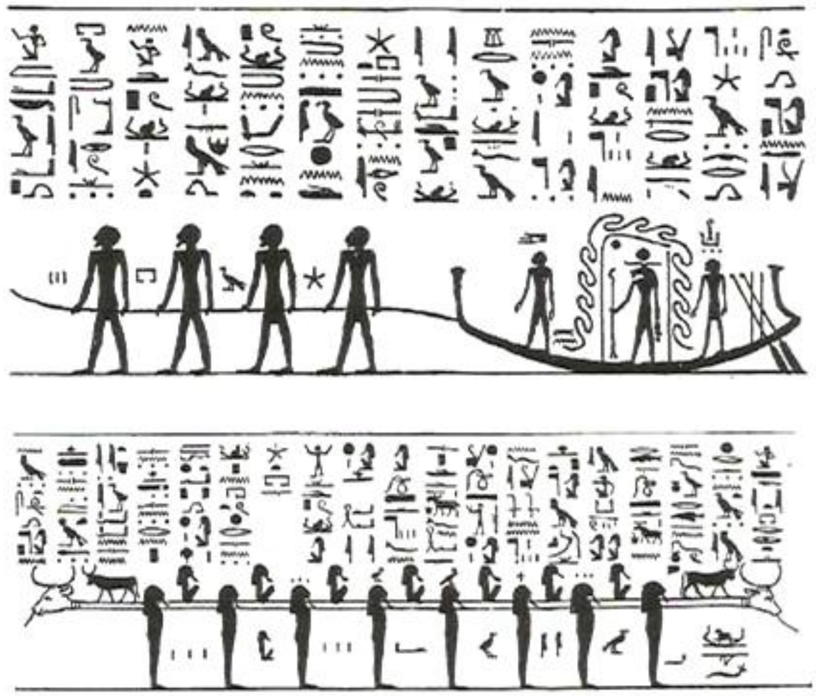
كانت أداة فتح الفم الحديدية دائما ما تصنع على شكل النجوم القطبية الشمالية "مسختيو" (النجوم التى لا تأفل) و لكن ذلك لا يعنى أن الحديد ينشأ من هذه النجوم و انما يعنى أن مصير الروح التى تجرى لها طقوس فتح الفم هو نفس مصير النجوم التى لا تأفل , ألا و هو الخلود .

(أنظر النقاش المطروح فى الفصل الثامن و الفصل العاشر حول مغزى و أصل الحديد) .

خامسا : فى كتب العالم الآخر المصرية يتم تصوير قارب رع و ركابه من الأرباب النجوم و هم يبحرون فى باطن الأرض باستخدام "قارب الأرض" و كأن الأرض هى مكان النشأة .

فى كتاب البوابات هناك نص يقول :-

** يقوم أرباب ال "دوات" (العالم السفلى) بجر قارب هذا الاله العظيم (رع) بالحبال , و يدفعون قارب الأرض و هو قارب ال "نترو" .... يلقى رع عليهم التحية و يقول : التحيات لكم أيها الأرباب الذين تحملون قارب الأرض و ترفعون قارب الدوات ... تقدس من فى قارب الأرض **



الساعة الثالثه من كتاب البوابات : فى القسم العلوى تقوم أرواح النجوم بجر قارب رع فى العالم السفلى و فى القسم السفلى نرى قارب الأرض على شكل مسطح ينتهى برأس ثور من الجهتين

بالاضافة الى كل ما سبق , نلاحظ أيضا أن باطن الأرض - ألا و هو ال "دوات" (العالم السفلى) – يصور فى النصوص الدينية المصرية باعتباره مملكة ال "نترو" الذين توفوا , حيث يعتبر ال "دوات" هو المكان الذى تولد فيه ال "نترو" من جديد , و هو فى الغالب المكان الذى تولد فيه النجوم .

و كما ذكرنا فى الفصل الرابع , ان رحلة "رع" فى ال "دوات" (العالم السفلى) هى اعادة تكرار لقصة الخلق , و هنا يمكننا أن نشهد نشأة ال "نترو" و أيضا نشأة النجوم .

و هناك أسطورة أخرى تتناول نشأة ال "نترو" و تبدو لأول وهلة و كأنها تتناقض مع نظرية الخلق من الأرض .

فى ثلاثة من نصوص الأهرام هناك عبارات تخاطب روح ملك مصر المتوفى و تحثه على أن (يذهب الى الركن الشرقى من السماء , الى المكان الذى ولدت فيه ال "نترو") .

و هناك نص آخر يحث الملك على أن (يذهب الى ال "آخت" , الى المكان الذى ولدت فيه ال "نترو") .

و الركن الشرقى من السماء هو نفسه ال "آخت" (الأفق) الشرقى فى الفكر الدينى المصرى .

نستشف من هذا أن النصوص السابقة تحدد المكان الذى ولدت فيه ال "نترو" (الكيانات الالهية) , و هو ال "آخت" .

و لكن ما هو ال "آخت" ؟

بالرغم من أن ال "آخت" يقع فى الركن الشرقى من السماء و كأنه يشكل قطعة من السماء , الا أنه فى الحقيقة يعتبر عالما قائما بذاته و يعمل كبوابة تعبر من خلالها الأرواح أثناء ارتحالها من الأرض الى ال "دوات" (العالم السفلى) , الى السماء الدنيا .

تبدو فكرة ولادة ال "نترو" فى هذا العالم البرزخى (ألا و هو ال آخت) لأول وهلة متناقضة مع فكرة ولادة ال "نترو" فى السماء على هيئة نجوم أو ولادتهم من الأرض أو الدوات أو نون .

فهل هذا التناقض حقيقى ؟

و لكى ندرك أن كل هذه الأساطير و الأفكار تتكامل مع بعضها البعض و لا تتناقض علينا أن نتأمل أولا طبيعة ال "آخت" و دوره فى قصة الخلق و مغزاه الحقيقى فى ضوء نظرية الخلق من الأرض.

فى الصفحات التالية سأوضح للقارئ أن ال "آخت" (الأفق) هو النسخة الروحانية من الأرض و من ال "دوات" (العالم السفلى) .

كما أوضحنا فى الفصل الثانى , كلمة "آخت" تعنى حرفيا (المكان الذى تتحول فيه الأرواح الى "آخ") و ال "آخ" هى الروح التى تشع نورا و لديها القدرة على تفعيل الارادة الالهية .

و بمجرد حدوث هذا التحول الى "آخ" يمكن للروح أن تصعد الى السماء .

يربط علماء المصريات دائما بين ال "آخت" و بين فكرة الخلق من الشمس , حيث ينظر للآخت باعتباره المكان الذى يتحول فيه اله الشمس الى "آخ" كل يوم , الا أن المغزى الحقيقى للآخت لا يتضح الا اذا نظرنا اليه داخل سياق قصة الخلق التى تقول بأن الاله الخالق و ال "نترو" (الكيانات

الالهية) التى انبثقت منه قد ولدوا من جديد ولادة روحانية (أى تحولوا من أجساد الى أرواح نورانية) فى ذلك المكان .

و لذلك نقرأ فى متون الأهرام أن الاله الخالق آتوم يعبر من ال "آخت" قبل أن يصعد للسماء .

تتحدث النصوص الدينية المصرية عن وجود نسختين من ال "آخت" , احداهما فى الركن الشرقى من السماء و الأخرى فى الركن الغربى منها .

و من الحقائق الجديرة بالانتباه أن "رع" يتحتم عليه أن يمر عبر الاثنين , أى يرتحل بين الأفقين "آختى" (akheti) أثناء طوافه الأبدى بين العالم السفلى و العالم السماوى .

و مما يثير الفضول و التساؤل أيضا أن قارب رع الليلى يبدأ رحلته الليلية من مكان داخل الأفق الغربى يطلق عليه رصيف ال "جزكن" (jzkn) , و هو مكان أشبه برصيف الميناء الذى تنطلق منه السفن .

أما قارب "رع" النهارى فيبدأ رحلته النهارية من الأرض التى فى الأفق الشرقى .

ما هو سر وجود أرض فى ال "آخت" و الذى يفترض أنه جزء من العالم السماوى ؟

و من الأشياء التى تستحق الانتباه أيضا أن النصوص الدينية المصرية ذكرت أن تلال حورس و تلال ست تقع فى الركن الشرقى من السماء (و هو نفس المكان الذى يقع فيه الآخت الشرقى) , و لكنها فى نفس الوقت أيضا ذكرت أن هذه التلال تنتمى الى "جب" (رب الأرض) .

فى متون الأهرام يقول "جب" :-

** ان تلالى هى تلال حورس و تلال ست **

لماذا تظهر تلال الأرض فى ال "آخت" و الذى يفترض أنه جزء من العالم السماوى ؟

و هناك أدلة أخرى تخبرنا بالمزيد عن ال "آخت" وردت فى نصوص الأهرام التى تتحدث عن أسطورة أوزيريس و رع .

يرمز أوزيريس للأرض الأزلية , و مع ذلك فقد صورته العديد من نصوص البعث فى متون الأهرام و هو يعانق ابنه حورس و أطلقت عليه لقب (ال "آخت" الذى يولد فيه "رع" من جديد) .

و معنى ذلك أن ال "آخت" يمثل أوزيريس بعد أن بعث من جديد و تحول من جسد الى "آخ" .

يتأكد لنا هذا المعنى من أحد نصوص الأهرام التى تخاطب أوزيريس و تحثه على أن يصير "آخ" (روح نورانية / قدرة الهية) و تصفه بأنه هو (ال آخت الذى ينبعث منه "رع") .

و فى مواضع أخرى من متون الأهرام نقرأ أن أوزيريس هو الروح التى انبعثت من ال "دوات" (العالم السفلى) و من الأرض .

** ها هو أوزيريس يستيقظ .... ها هو أوزيريس يقف من جديد بعد أن كان راقدا بفضل ال "آخ" (الروح النورانية) التى انبعثت من ال "دوات" (العالم السفلى) .... ها هو أوزيريس الملك ينبعث من "جب" (رب الأرض) **

و من مقارنة كل الأدلة السابقة , يتضح لنا أن أوزيريس حين يطلق عليه لقب "آخت" فهو بذلك يرمز لعالم الروح الذى نشأ من الأرض الأزلية و من العالم السفلى .

هل يعنى ذلك أن ال "آخت" كان فى الأصل عالما أرضيا ثم تحول الى عالم سماوى/روحى ؟

ذكرنا فى الفصل الثانى أن ال "آخت" هو عالم أشبه بالأرض ملئ بالقنوات المائية و الأنهار و الحقول الخضراء و الزرع الذى ينبت فوق ضفافه .

و فى متون الأهرام , كانت كلمة "آخت" تكتب باستخدام مخصص على شكل بيضاوى يعنى جزيرة و هو نفس الرمز الهيروغليفى الذى يستخدم للدلالة على الأرض بعد اضافة ثلاث نقاط أسفل الشكل البيضاوى . أى أن ال "آخت" هو عالم نشأ من الأرض أو ال "دوات" (العالم السفلى) , أو بمعنى أدق هو عالم حى ولد من جديد من بقايا عالم قديم مات و انهدم .

ينكشف لنا مغزى النصوص عندما نقرأها فى ضوء نظرية الخلق من الأرض .

ان ما نحن بصدد قراءته فى االكتب الدينية المصرية هو عبارة عن سلسلة من المشاهد تصف عالم قديم مات و انهدم ثم أعيد خلقه من جديد , حيث "نون" (المياه الأزلية + الأرض الأزلية) و ال "دوات" (العالم السفلى) يمثلان العالم القديم الذى يبدو ساكنا خاملا و لكنه فى نفس الوقت يحمل بداخله بذور حياة جديدة .

و حقول الايارو تمثل العالم الجديد الذى بدأ للتو فى العودة للحياة , و الذى أخذت أرضه الخصبة فى البروز من تحت مياه الفيضان .

أما ال "آخت" فيمثل الكون الجديد , حيث تولد أبعاد الكون الجديدة من الأرض القديمة و من مياه الفيضان , و يتسع الكون حين يقوم "شو" (رب الهواء) برفع السماء ليتجلى فيها نور "رع" و صحبته من ال "نترو" .

لا يوجد تناقض اذن فى النصوص الدينية المصرية التى تقول بأن ال "نترو" قد ولدوا بثلاثة طرق :-

(أ) من "نون"

(ب) من الأرض الأزلية

(ج) من ال "آخت"

أما عن موقع ال "آخت" فى الركن الشرقى من السماء , فيبدو معقولا فى ضوء نظرية الخلق من الأرض .

كما أوضحنا من قبل , ال "آخت" ليس جزءا من السماء و انما هو بالأحرى بوابة أو مدخل للسماء .

فى الحقيقة ان ال "آخت" ليس بأرض و لا سماء , و انما هو ذلك الموضع الذى تحولت فيه الأرض الى سماء فى الزمن الأول .

و قد تخيل قدماء المصريين أن موقعه أسفل خط الأفق , و كأنه يشكل امتدادا للسماء الدنيا و السماء العليا . تخيل قدماء المصريين كونا يقوم فيه "رع" (مع حاشيته من الكيانات الالهية) باعادة تكرار قصة الخلق كل يوم .

و ال "آخت" يتواجد بشكل رمزى فى السماء و لكنه ليس منطقة مادية ملموسة يمكننا أن نراها بالعين المجردة و نشير اليها باصبعنا و نقول هذا هو ال "آخت" .

ال "آخت" ليس جزءا من الكون المخلوق , و انما هو صورة من الكون كله فى أحد مراحل تطوره . و يمكننا أن نفسر وجود ال "آخت" الغربى بنفس الطريقة .

بوضع ال "آخت" تحت خط الأفق الغربى و الشرقى جعل قدماء المصريين السماء الدنيا كلها مرادفا للآخت .

و ال "آخت" (الأفق) يحتوى بداخله ال "دوات" (العالم السفلى) بمعنى أن العالم الحى / الجديد قد ولد من عالم قديم ميت .

و بمعنى آخر يمكننا أن نقول أن ال "آخت" يرمز لعالم أرضى تحول الى عالم روحى بعد أن قهر الموت و بعث منه .

و عندما تدخل الشمس و النجوم كل يوم الى ال "آخت" الغربى , و ترتحل فى ال "دوات" (العالم السفلى) , ثم تولد من جديد فى الأفق الشرقى فهى بذلك تعيد تكرار الأحداث التى وقعت فى الزمن الأول , حين ولدت الكيانات الالهية من الأرض .

و بعد أن عرفنا أن الأرض الأزلية هى المكان الذى ولدت منه الكيانات الالهية و النجوم , سنلقى الآن نظرة سريعة على كيفية صعودهم للسماء .

و يعتبر الفيضان العظيم هو مفتاح فهم كيفية صعود الكيانات الالهية للسماء .

جاء فى متون الأهرام أن (ال "نترو" تمتطى الفيضان العظيم) . و فى موضع آخر من متون الأهرام نقرأ أن (الفيضان العظيم يقود ال "نترو") .

و يقول نص آخر أن (ال "نترو" تقوم بالتجديف لحورس فى موكب يطفو فوق الفيضان العظيم , حيث تفتح أبواب السماء و أبواب ال "كبحو" و حيث يصعد حورس للسماء) .

و "كبحو" تعنى الماء النقى/ الطهور و تستخدم كمرادف للسماء .

و كما قلنا فى السابق , ان مياه الفيضان العظيم قد تدفقت عبر بوابات ال "آخت" فى الركن الشرقى من السماء , و هو المكان الذى تنبعث منه ال "نترو" ,

و بذلك تحولت مياه الفيضان العظيم الى المحيط السماوى .

و بالرغم من عدم وجود نص يقول بشكل مباشر أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) صعدت للسماء بواسطة الفيضان , الا أن هناك العديد من النصوص التى تعبر عن نفس المعنى .

و أوضح هذه النصوص هو النص رقم 648 من متون التوابيت و الذى يصف ميلاد "رع" و ال "نترو" أول مرة قائلا :-

** كانت السماء حبلى فى اليوم الذى حملت فيه نوت ب "رع" , رب الآخت فى يوم الأبدية ... يصعد "رع" على هيئة فيضان , و بصحبته حاشيته على هيئة حيات , و خلفه تاسوعه ... و فى فمه الملايين من كاواته **

كان قدماء المصريين يعتقدون أن ال "نترو" قد أبحروا أو قاموا بالتجديف نحو السماء .

و منذ عصر متون الأهرام (حوالى 2400 قبل الميلاد) كانت ال "نترو" توصف بأنها تبلغ السماء بعد أن تقوم بتجديف قارب رع بدءا من نقطة انطلاقه فى الأفق الغربى .

و برغم عدم وجود نص مباشر يقول أن ال "نترو" أبحرت بقارب "رع" فوق الفيضان , الا أن وجود الطرق المائية كان عنصرا رئيسيا فى رحلة رع الكونية .

يتأكد وجود الفيضان فى هذه الرحلة الكونية من خلال ثلاثة حقائق , و هى أن الفيضان موجود فى ال "آخت" , و أن ال "آخت" به بوابات تفضى الى السماء و أن من أسماء السماء "ميحيت – ويريت" , أى الفيضان العظيم .

تقول متون الأهرام أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) قامت ببناء قارب "رع" .

جاء فى النص رقم 519 من متون الأهرام أن حورس العالم السفلى قد صعد للسماء فوق مقدمة قاربه الذى يبلغ طوله 770 ذراعا و الذى جمعت أجزاءه أرواح بوتو و شيدته أرواح (أرباب) الشرق .

حدث ذلك فى نفس اللحظة التى انفصلت فيها السماء عن الأرض و صعدت فيها ال "نترو" (الكيانات الالهية) الى السماء .

ان فكرة قيام ال "نترو" بتشييد القارب الالهى المقدس و الصعود على متنه ليصبحوا من ركابه ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة اجتماع ال "نترو" . حيث ذكرت العديد من النصوص التى تنتمى لعصور لاحقة لعصر متون الأهرام أن كل جزء من أجزاء القارب هو رمز لأحد ال "نترو" .

و هناك تشابه أيضا بين فكرة جمع أجزاء القارب المقدس و فكرة جمع أجزاء جسد الاله الخالق و التى ترمز لاعادة تشكيل الأرض الأزلية .

و اذا بحثنا عن أصل القارب و نشأته , سنجد أن نشأته تعود للأرض الأزلية و للمياه الأزلية "نون".

جاء فى أحد نصوص الأهرام أن الجعران الخالق لذاته "خبرى" يقف (فى مقدمة القارب الذى فى نون) .

و فى كتاب البوابات يوصف ال "دوات" (العالم السفلى) بأنه "قارب الأرض" و هو مرادف لقارب ال "نترو" .

و من أكثر القوارب التى تلفت الانتباه فى الكتب الدينية المصرية قارب ال "حنو" الذى يستخدم لرفع "سوكر" (صقر العالم السفلى) , و قارب ال "حنحنو" الذى يستخدم لفتح فم الأرض و رفع آتوم الى قاربى خبرى (قارب الليل و قارب النهار) .

وردت فكرة فتح فم الأرض فى أحد متون الأهرام و الذى جاء فيه أن البيضة (الكونية) قد فتحت أو فقست عندما ولدت "نوت" (ربة السماء) .

و قد ولدت "نوت" من رحم أمها "تفنوت" . و لما كان الميلاد مصحوبا بانسكاب مياه المشيمة أو سوائلها , فقد يكون ابحار قارب ال "حنحنو" يعنى الابحار فوق مياه الفيضان العظيم .

و هنا نكتفى بما ذكرناه عن أصل النجوم و نشأتها و ننتقل الآن الى نشأة الشمس و القمر .

<u>نشأة الشمس و القمر :-</u>

كيف نشأت الشمس و القمر و هل صعدا هما أيضا من الأرض الأزلية و المياه الأزلية "نون" الى السماء ؟

و نقطة الانطلاق التى سنبدأ منها بحثنا هى بالطبع الكيانات الالهية التى تمثل الشمس و القمر , ألا و هى رع و تحوت (بالاضافة الى خونسو , رب القمر فى تراث طيبة) .

كيف نشأ رب الشمس و رب القمر ؟

بالنسبة ل "رع" , هناك العديد من الأساطير الجديرة بالبحث و التأمل .

و أغلب هذه الأساطير تقول أن "رع" ولد من "نون" . أى أن الأب الذى انجب رع هو "نون" رب المياه الأزلية .

بعض النصوص تتحدث عن ذلك بطريقة أكثر تعقيدا فتقول أن "رع" ولد من زهرة لوتس خرجت

من المياه الأزلية , أو من بيضة انبثقت من أعماقها .

و هناك نصوص أخرى تتحدث عن وجود كيانات الهية أخرى لعبت دورا رئيسيا فى خروج "رع" للوجود و تجليه سواء من زهرة اللوتس أو من البيضة التى خرجت من المياه الأزلية .

جاء فى احدى الروايات أن ربات برؤوس ضفادع حملن ب "رع" , و فى رواية أخرى نقرأ أن الأزليين "باؤتيو" هم من أخرج "رع" من زهرة اللوتس التى انبثقت من "نون" .

و من المدهش أن متون الأهرام و هى أقدم الكتب الدينية المصرية تناولت نشأة "رع" بشكل غامض و مبهم . الا أن هناك نص واحد من نصوص الأهرام ذكر بشكل واضح و مباشر أن "رع" ولد من "نوت" (ربة السماء) . و ربما كان ذلك اشارة الى دور "نوت" كأم كونية و ليس كربة للسماء .

و لكن نظرا للعلاقة الوثيقة بين نوت و بين المياه الأزلية , فان القول بميلاد "رع" من نوت قد يعنى بشكل ضمنى أن "رع" نشأ من المياه الأزلية .

و هناك رواية ثالثة تقول أن "تا تنن" (الأرض الأزلية التى ارتفعت فى بدء الخليقة) هو الأب الذى أنجب "رع" . و هو ما يعنى أن "رع" نشأ من التل الأزلى .

جاء فى تراث هرموبوليس (الأشمونيين) أن "رع" ولد من زهرة لوتس انبثقت من بحيرة فى جزيرة اللهيب , و أن الكيانات الالهية التى أخرجت زهرة اللوتس من البحيرة هم أبناء "تا تنن" .

كما جاء فى نقوش معبد المدامود بالأقصر أن الأرباب الأولين أو الأجداد/الأسلاف "تبيو" (tpiu) هم الذين خلقوا "رع" فى موضع التل الأزلى .

و بعد مولده (سواء من نون أو من التل الأزلى) صعد "رع" الى السماء .

جاء ذكر صعود "رع" للسماء فى متون التوابيت و لكنه ذكر بشكل أكثر تفصيلا فى كتاب "البقرة السماوية" , و نقرأ فيه أن "رع" رفع الى السماء ليتخذ موقعه الجديد فوق ظهر نوت التى اتخذت هيئة بقرة سماوية .

و صعود "رع" للسماء يفسر لنا مجموعة أخرى من الأساطير التى تقول بميلاد "رع" فى السماء .

جاء فى متون التوابيت أن (السماء كانت حبلى فى اليوم الذى حملت فيه نوت ب "رع") .

و هناك رواية أخرى تقول أن الشمس قد ولدت على هية عجل ذهبى من رحم ربة السماء "ميحيت - ويريت" , أو أنه ولد على هيئة ابن ربة السماء التى أخصبها ابنها "مين" (رب الاخصاب) .

و هناك روايات أخرى تتحدث عن ميلاد "رع" من الأم الكونية و هى تتخذ هيئة "نيت" أو هيئة "موت" .

هذه الازدواجية فى رواية ولادة "رع" (مرة من هاوية "نون" التى لا يسبر غورها و مرة من السماء العالية) تعتبر امتداد لازدواجية ميلاد نوت و كل الكيانات الالهية و التى صادفناها من قبل عند بحثنا فى أصل و نشأة الكيانات الالهية .

حسب نظرية جيمس بيتر آلن , يفترض أن اله الشمس ولد مرة واحدة فقط فى بدء الخليقة و أن الرحم الذى ولد منه هو "نون" (المياه الأزلية) .

أما اذا نظرنا لميلاد رع فى ضوء نظرية ديانة النشأة فسنجد أن "رع" ولد أول مرة من الكون السابق الخامل (الميت) , ثم ولد مرة أخرى من الكون الجديد الحى .

أى أننا بصدد ميلادين ل "رع" , و ان كان الأحرى بنا أن ننظر للميلادين باعتبارهما عملية واحدة ممتدة و مستمرة .

و اذا انتقلنا الى رب القمر تحوت , سنجد أن الأساطير التى تحدثت عن ميلاده و نشأته قليلة .

وصف أحد نصوص التوابيت تحوت بأنه (النجمة التى ولدت عند أرض الغرب) , و هو وصف يشير الى نشأة تحوت من العالم السفلى .

و بعد عصر متون التوابيت (أى بعد عصر الدولة الوسطى) ظهرت أساطير يقول بعضها أن تحوت خرج من رأس ست , و البعض الآخر يقول أنه انبثق من قلب الاله الخالق فى لحظة من لحظات الحزن .

ارتبط تحوت فى الفكر الدينى المصرى ارتباطا وثيقا ب "رع" .

جاء فى متون الأهرام أن ("رع" قد انبعث على هيئة تحوت) , و فى احدى أساطير الدولة الحديثة يقوم "رع" بتعيين تحوت نائبا له .

تتضح هذه العلاقة أيضا فى تراث طيبة فى العلاقة بين "خونسو" (رب القمر) و بين "آمون - رع" جاء فى أحد نقوش معبد الكرنك التى تتحدث عن ميلاد خونسو :-

** ألتفت الأم "موت" – على هيئة حية متوهجة – حول أبيها "رع" و أنجبته على هيئة خونسو **

كل هذه الأساطير ترسم لنا صورة مثيره جدا , و لكنها ليست بالوضوح الكافى للبحث الذى نقوم به.

و المشكلة أن مصطلح "رع" مبهم و غامض , فهو قد يشير الى قرص الشمس أو الى رب الشمس أو قد يشير الى ما هو أبعد من ذلك , الى الاله الخالق .

حين تقول بعض النصوص أن رع ولد من "نون" فان ذلك لا يعنى بالضرورة أن النص يتحدث عن ميلاد الشمس , فقد يكون المقصود هو انبعاث روح الاله الخالق من الحالة السديمية التى سبقت الخلق و التى يطلق عليها فى الفكر الدينى المصرى اسم "نون" و التى توصف بالهاوية .

و كذلك بالنسبة لتحوت , فالأساطير التى تتحدث عن ميلاد تحوت لا تعنى بالضرورة ميلاد القمر و انما قد تعنى ميلاد رب القمر أو الاله الخالق فى احدى مراحل نشاة الكون , فقد كان تحوت أحد تجليات الاله الخالق فى مصر القديمة .

و هنا نجد أننا عدنا مرة اخرى الى نقطة البداية فى بحثنا عن نشأة الشمس و القمر .

و لكن هذا لا يعنى أن الطريق مسدود , فهناك طريق آخر .

جاء فى العديد من أساطير الخلق المصرية أن الشمس و القمر هما عينا (irti) الاله الخالق أو اله السماء .

و ربما تعود أصل الفكرة الى أسطورة ليتوبوليس (مركز أوسيم بمحافظة الجيزة) حول "خنتى – ايرتى" (رب العينين) الذى ولد اعمى و لكن ابنه حورس أعاد له عينيه .

و بمرور الزمن أصبح اسم "خنتى - ايرتى" مرادفا لاسم حورس ليتوبوليس , و أصبحت أسطورة فقدانه لعينيه و استعادتهما جزءا من أساطير حورس فى كل أنحاء مصر القديمة .

لذلك قيل عن حورس صقر السماء أنه (حين يفتح عينيه يملأ العالم بالنور , و حين يغلقهما تحل الظلمة) . و قد بلغ تأثير هذه الأسطورة على أساطير الخلق الأخرى شأنا كبيرا , لدرجة أنه كان

من الضرورى أن يمتلك كل كيان أو تجلى من التجليات الالهية "عينين" (الشمس و القمر) لكى يبرهن على قدرته على حكم العالم .

على سبيل المثال نقرأ فى أحد الابتهالات ل "بتاح تاتنن" :-

** أنت تضئ السماء بعينيك (الشمس و القمر) ... و تهزم الليل و تزيح الظلمة بعينيك ... عندما تغلقهما , تأتى الظلمة , و عندما تفتحهما تنبعث أشعة النور **

و كان "سوبك - رع" يلقب ب (الاله العظيم الذى ينبثق من عينيه النور , و الذى تضئ عينه اليمنى بالنهار , و تضئ عينه اليسرى بالليل .... الذى تضئ عيناه الواسعتان الظلمة) .

و كما يتضح لنا من النص الأخير , كانت الشمس هى عين الاله اليمنى و القمر هو عين الاله اليسرى .

و بعد أن عرفنا أن العينين "ايرتى" هما الشمس و القمر , يمكننا الآن أن نكمل بحثنا فى نشأتهما بدون أى مشاكل أو غموض .

ما هو اذن أصل العينين و كيف نشأتا ؟

جاء فى النص رقم 670 من متون الأهرام أن العينين قد ظهرتا فى رأس أوزوريس .

يقول النص مخاطبا أوزيريس :-

** لقد سكبت ايزيس السوائل من أجلك ... و قامت نفتيس بتطهيرك ... هكذا فعلت أختاك العظيمتان القديرتان , اللتان جمعتا عظامك و لحمك , اللتان قامتا برفع أشلاءك , اللتان أخرجتا من رأسك العينين , ألا و هما قارب النهار و قارب الليل **

و قارب النهار هنا هو الشمس , و قارب الليل هو القمر . و اخراج العينين من رأس أوزيريس يعنى ظهور الشمس و القمر فى السماء .

قد تشير رأس أوزيريس الى رأس المومياء التى يتم رسم العينين فوق وجهها , و قد تكون رأس أوزيريس رمزا للكون كله .

و جاء فى النص رقم 443 من متون الأهرام أيضا أن العينين قد انبثقتا من رأس نوت (ربة السماء) . يقول النص :-

** لقد انبثقت العينان من رأسك يا نوت ... لقد حملت بداخلك حورس و سحره العظيم , و حملت بداخلك ست و سحره العظيم **

و هنا تظهر العينان من رأس "نوت" بمعنى ارتفاع الشمس و القمر فى السماء .

تشير كلمة "السحر العظيم" التى وردت فى النص السابق الى العينين (الشمس و القمر) .

و نلاحظ أن هناك نصوص أخرى وصفت العينين بأنهما تاج مصر العليا و تاج مصر السفلى .

أى أن العينين هما تاجى مصر العليا و السفلى و هما أيضا الشمس و القمر .

و يقال أن التاجين أو السحر العظيم "ويريت - حكاو" قد انبثقا من عين واحدة خرجت من رأس أحد الكيانات الالهية .

جاء فى النص رقم 592 من متون الأهرام أن الرأس التى انبثقت منها العينان هى رأس جب , رب الأرض . يقول النص :-

** انبثقت العين من رأس "جب" على هيئة تاج مصر العليا العظيم السحر . انبثقت العين من رأس "جب" على هيئة تاج مصر السفلى العظيم السحر **

ما هو مغزى هذه الأسطورة ؟

هناك فكرة تدور حولها العديد من النصوص الدينية المصرية , و هى أن انبثاق العين الواحدة أو ظهورها للوجود هو الذى خلق العينين (الشمس و القمر) لينظر منهما الاله الخالق الى خلقه .

لذلك يمكننا أن نقول أن العين الواحدة انبثقت من رأس الاله الخالق (فى شتى تجلياته) , و يمكننا فى نفس الوقت أن نقول أن العينين قد انبثقتا من رأس الاله الخالق . لا تعارض بين المقولتين , لأن العين الوحيدة انبثقت أولا من رأس الاله الخالق ثم انقسمت فأصبحت هى العينين , الشمس و القمر.

كيف حدث ذلك الانقسام ؟ هذا ما سنناقشه فى فصل لاحق .

أما الآن , فهدفنا الأساسى هو معرفة أصل العين و نشأتها و هو ما يعنى أن نعرف أولا ما هى الرأس التى انبثقت منها العين .

ان ظهور العين فى الرأس هو تعبير مجازى عن الكون كله أو عن اكتمال خلق الكون .

و لأن النصوص وصفت العين بأنها تصعد أو ترتفع و كأنها كانت فى مكان سفلى , فان ذلك يعنى

أن العين (أو العينين) قبل أن ترتفع فى السماء كانت فى الأرض أو فى المياه الأزلية "نون" , أو فى التل الأزلى الذى خرج من نون .

و انبثاق العين من رأس نوت (كما جاء فى نص رقم 443 من متون الأهرام) يؤكد على دور نوت كأم كونية . أما انبثاق العين من رأس "جب" فيؤكد على دور جب باعتباره رب الأرض التى ارتفعت فى الأزل .

و قد رأينا فى الفصول السابقة كيف انبثقت كل الكيانات الالهية اما من المياه الأزلية "نون" أو من الأرض الأزلية . على سبيل المثال , يقال أن آمون رفع رأسه و خرج من "نون" فى الأزل حين كان وحده و لا موجود سواه .

كما قيل فى نص آخر أن نوت قد شق رأسها أثناء خلافها مع أخيها و زوجها "جب" .

و على أية حال , يتضح من كل ما سبق أن نشأة الشمس و القمر هى نشأة أرضية .

و قد ورد فى متون الأهرام و متون التوابيت العديد من النصوص التى تشير الى انبثاق العين أو العينين من الأرض .

فقد وصف النص رقم 587 من متون الأهرام عين حورس بأنها المدينة أو المدن , و قال أن كل ما تنتجه الأرض يرفع للسماء عن طريق عين حورس .

و يخاطب النص رقم 610 من متون الأهرام ملك مصر قائلا :-

** لقد فتحت الأرض عينك ... و قد رفعك الذى يسكن فى ليتوبوليس ("خنتى - ايرتى" , رب العينين) الى السماء **

و فى النص رقم 316 من متون التوابيت تتقمص روح المتوفى شخصية عين حورس , و تقول :-

** أنا الأزلية , التى جاءت من الأرض **

و فى النص رقم 608 من متون التوابيت , نقرأ أن عين حورس خرجت من الأرض .

و فى النص رقم 820 من متون التوابيت تتقمص روح المتوفى شخصية حورس الأعمى الذى يقول عن نفسه أنه (ولد من نوت فى الأماكن الخفية التى فى بيت "جب") .

و تصف أسطورة ايزيس و رع كيف انبثقت العين أو العيون من جسد رع الخفى عن الكيانات الالهية و تصف كيف أخرجت ايزيس "العين" من فم رع بسحرها العظيم بينما كان يعانى الآلام التى انتابته بعد تعرضه للدغ حية .

و بعد خروج العين من فم رع انقسمت الى عينين (الشمس و القمر) , و هكذا عادت الحياة ل "رع" بعد أن أوشك على الموت و عانى الشيخوخة و الألم .

و هناك نصوص أخرى تقول أن العين (أو العينين) قد رفعت للسماء بواسطة حورس أو شو أو تحوت , و هو ما يدعم نظرية الخلق من الأرض .

جاء فى النص رقم 316 من متون التوابيت أن حورس هو من يرفع العين , حيث تقول روح المتوفى على لسان حورس :-

** أنا حورس الذى رفع عينه , التى تجلت حية , عالية , قديرة **

و جاء فى النص رقم 76 و 746 من متون التوابيت أن شو هو الذى رفع العين .

يقول النص على لسان شو (رافع السماء) :-

** لقد أضاءت العين الظلمة من خلالى **

بينما يقول آتوم :-

** لقد أتيت للوجود على ذراعى "شو" , و لهيب عينى يتوهج حولى **

و فى احدى ابتهالات "آمون - رع" التى تعود لعصر الأسرة 18 دولة حديثه , نقرأ أن تحوت يرفع العينين .

يمكننا الآن أن نتتبع الأفكار التى تعبر عن الفيزياء الكونية و عن خلق المحيط السماوى و خلق النجوم و الشمس و القمر .

و قبل أن نستكمل بحثنا , علينا أولا أن نستوعب أحد المفاهيم الأساسية فى قصة الخلق المصرية و هو دور الملك فى اعادة قصة الخلق .

و الفصل السابع مخصص لمناقشة هذه الفكرة .

ملخص الفصل السادس :-

* بعكس الرأى السائد لدى علماء المصريات , يعتبر الخلق فى نظر قدماء المصريين عملية تمدد و اتساع للكون بدأت من نقطة انطلاق محددة هى الأرض الأزلية و المياه الأزلية .

* خلقت السماء عن طريق انقسام للمياه الأزلية بحيث ظل جزء منها فى العالم السفلى , و صعد الجزء الآخر أو ارتفع و أصبح هو المحيط السماوى . قام "شو" برفع المياه السماوية و التى يطلق عليها أيضا اسم الفيضان العظيم "ميحيت - ويريت" , بينما ظلت المياه الأزلية السفلية متصلة بالأرض .

* النجوم هى ال "نترو" (الكيانات الالهية) التى صعدت للسماء . و قد ولدت هذه ال "نترو" من الأرض الأزلية و المياه الأزلية "نون" , كما ولدت أيضا من ال "آخت" (الأفق) .

و ال "آخت" هو عالم روحى انبثق من الأرض الأزلية و المياه الأزلية .

أى أن النجوم نشأت فى الأصل من الأرض الأزلية , ثم رفعت بعد ذلك للسماء .

* الشمس و القمر هما عينى الاله الخالق . و قد نشآ من الأرض الأزلية و المياه الأزلية ثم صعدا للسماء .

الفصل السابع

دور الملك فى اعادة خلق الكون

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 462) :-

*** أيها الملك العظيم فى صحوه و فى نومه ... استيقظ من نومك , فأنت لم تمت ***

لم تكن الملكية فى نظر قدماء المصريين مجرد منصب سياسى , و انما هى مفهوم كونى جاء للوجود فى نفس اللحظة التى خلق فيها الكون .

و طبقا لأقدم الكتب الدينية المصرية - و هى متون الأهرام - كان أوزيريس هو أول ملك فى تاريخ الكون . و قد كان مقتل أوزيريس (على يد ست) بداية لفترة من الفوضى الكونية تنازع خلالها حورس و ست عرش الأرضين . و بعد صراع طويل انتصر حورس و استحق أن يرث عرش أبيه أوزيريس .

تولى حورس حكم الأرضين و توج بتاج مصر العليا و مصر السفلى . و بعد ذلك , انتقل حورس الى عرشه فى السماء و انتقل عرشه على الأرض الى ملك مصر .

و هذا الملك الأول الذى ورث عرش حورس هو الملك مينا , حسب ما جاء فى قوائم ملوك مصر .

و الملك مينا هو شخصية نصف أسطورية , أى شخصية تاريخية دونت سيرتها بأسلوب الأسطورة , و اليه يعود الفضل فى انشاء مدينة منف , و استصلاح مساحات كبيرة من الأراضى و تنظيم الرى عن طريق شق الترع .

أما الانجاز الأعظم الذى ينسب للملك مينا فهو توحيد الأرضين , أى دمج المملكة الجنوبية بالصعيد و المملكة الشمالية بالدلتا فى مملكة واحدة عاصمتها منف , ميزان الأرضين . و هكذا أصبح الملك مينا هو أول انسان من لحم و دم يرتدى التاج المزدوج , تاج مصر العليا و مصر السفلى .

و بارتداء التاج المزدوج ارتفع الملك مينا من مصاف البشر الى مصاف ال "نترو" (الكيانات الالهية) .

تحول الملك مينا – ككل ملوك مصر- الى كيان الهى , أى تحول الى صورة أو تجسيد للكيانات الالهية على الأرض و بشكل خاص حورس .

فالملك يجلس على عرش حورس , و يرتدى تاج حورس , و يتحدث بالنيابة عن حورس , و يعيد تكرار نموذج النشأة الأولى لانتصار حورس (النظام) على ست (الفوضى) , و هو فى كل أفعاله و تصرفاته يعتبر حورس على الأرض .

كانت الملكية فى مصر القديمة مفهوما فريدا و أبديا .

جاء فى احدى الأطروحات الأكاديمية عن الديانة المصرية القديمة فى عصر الدولة الحديثه أن "رع" قضى بوجود ملك واحد ليحكم الأرضين من الأزل الى الأبد .

جعل "رع" الملك على الأرض ليعيد تكرار (نحح) قصة الخلق الى الأبد , و لكى يستمر الكون (دجد) الى الأبد , و لكى يحكم بين البشر , و لكى يقدم القرابين للكيانات الالهية , و لكى يقيم الماعت (النظام) و يزيح ال "اسفت" (الفوضى) .

قد تبدو كل تلك المهام متناقضة مع فكرة موت الملك , و لكن هذا التناقض يزول حين نعلم أن الملك حين يتوفى يصبح هو نفسه أوزيريس , و يصبح ابنه و وريثه هو حورس .

اى أن كل ملك من ملوك مصر كان يحكم على الأرض بوصفه حورس و ينتقل للعالم الآخر بوصفه أوزيريس , و هكذا يتضح لنا معنى أن "رع" قضى بوجود ملك واحد ليحكم الأرضين من الأزل الى الأبد . فالملك على الأرض هو دائما حورس , و الملك فى العالم الآخر هو دائما أوزيريس .

عندما توفى الملك "حورس - مينا" تحول الى "اوزيريس - مينا" و انتقل للعالم الآخر , ليفسح مكانه على العرش لابنه و خليفته الملك "حورس – عحا" .

و عندما توفى الملك "حورس – عحا" تحول الى "أوزيريس - عحا" و انتقل للعالم الآخر , ليفسح

مكانه على العرش لابنه و خليفته الملك "حورس- دجر" .

و هكذا تتابع الملوك على عرش مصر , بوصفهم جميعا حورس ابن أوزيريس .

و بهذه الطريقة يمكننا أن ننظر لتاريخ مصر القديمة باعتباره تتابع لملوك يحملون جميعا لقب حورس و أوزيريس , و قد امتد هذ التتابع لما يقرب من أربعة آلاف عام . و لكن هذه لم تكن نظرة قدماء المصريين أنفسهم لتاريخهم .

ففى نظر قدماء المصريين , لم يكن هناك سوى أوزيريس واحد و حورس واحد , و الاثنان معا يشكلان كيانا الهيا واحدا يتكون من جسد و روح .

كل ملك من ملوك مصر هو نفسه ذلك الكيان الالهى الواحد الذى ليس له شبيه و لامثيل .

ان ملوك مصر ليسوا أمواتا كما نعتقد فى ثقافة العصر الحديث , و انما هم أحياء , بعثوا من أجسادهم و صعدوا للسماء .و هم جميعا أوجه متعددة لنفس المبدأ الكونى الواحد .

تقدم لنا فكرة "الملك الالهى" نظرة عميقة للديانة المصرية القديمة , و تعتبر مصدرا هاما نستند اليه فى بحثنا فى قصة الخلق عند قدماء المصريين , حيث يعتبر أوزيريس و حورس من تجليات الاله الخالق . و هدفى هو استخدام هذا المصدر فى فهم قصة الخلق المصرية .

و لكى أحقق ذلك , يجب على أولا أن أقدم الأدلة على أن الملكية فى مصر القديمة كانت جزءا من قصة الخلق , على الأقل منذ عصر متون الأهرام (حوالى 2400 سنة قبل الميلاد) .

فى هذا الفصل سأتابع ما طرحته من قبل من أن أوزيريس هو الاله الخالق بامتياز و سأوضح للقارئ الدور الذى يلعبه ملك مصر فى اعادة تكرار أحداث النشأة الأولى بوصفه حورس أثناء حياته و بوصفه أوزيريس عند موته .

هوية ملك مصر – كشف اللغز :-

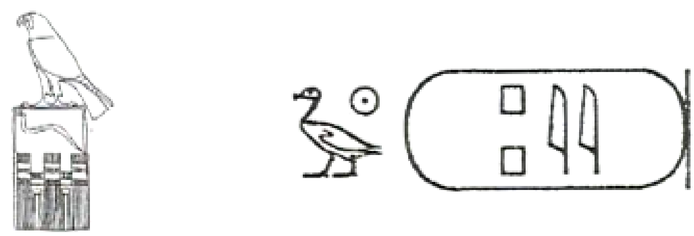
و قبل أن أبدأ , يجب على أن أوضح الغموض الذى يكتنف هوية حورس الملك .

منذ فجر الحضارة المصرية القديمة كان ملك مصر دائما هو حورس ابن ايزيس .

و كان اسمه يكتب على لوحة تحاكى شكل واجهة القصر يطلق عليها اسم "سرخ" (serekh)

يعلوها نقش على شكل الصقر حورس . و هذا هو الاسم الحورى .

و لكن بقدوم عصر الأسرة الرابعة (دولة قديمة , حوالى 2500 قبل الميلاد) أضاف ملوك مصر لقبا جديدا هو لقب "سا - رع" و يترجمه علماء المصريات ب "ابن رع" .



اللقب الحورى (الى اليسار) , و لقب "سا – رع" يسبق خرطوش الملك (الى اليمين)

كان لقب "سا - رع" عادة يسبق الخرطوش الذى يحوى اسم الميلاد الخاص بكل ملك .

و هكذا كان الاسم الحورى و لقب "سا - رع" جزءا من مجموعة من الألقاب التى يحملها ملوك مصر القديمة و التى وصل عددها الى خمسة ألقاب .

يرى علماء المصريات أن هناك شئ من التناقض بين لقب حورس ابن أوزيريس و لقب "سا- رع" أى ابن رع .

فهناك مشكلة تصادفنا حين نعلم أن الاسم الحورى يعنى أن الملك هو ابن أوزيريس , فى حين أن لقب "سا - رع" يعنى أن الملك هو ابن رع .

تكمن المشكلة فى أن أوزيريس هو رب العالم السفلى فى حين أن "رع" هو رب الشمس , و هو نقيض أوزيريس . كيف يكون الملك ابنا لأوزيريس و رع فى نفس الوقت ؟

و لكى نحل هذه الاشكالية علينا أن ننظر الى حورس باعتباره كيان الهى سماوى , و هو كيان قائم بذاته و مستقل عن أوزيريس . يعتبر ذلك أحد الحلول المطروحة لاشكالية التناقض بين الاسم الحورى و لقب "سا-رع" , و لكنه فى نفس الوقت يخلق مشكلة أخرى لعلماء المصريات الذين لا يفهمون لماذا هبط الملك من مرتبة اله رئيسى هو حورس الى مرتبة ابن رع , أى الى مرتبة الجيل

الثانى أو الذرية .

حاول بعض الباحثين حل هذه الاشكالية عن طريق طرح فكرة مغزاها أن كلا من الاسم الحورى و لقب "سا-رع" هى جوانب مختلفة من كيان الملك الذى يعتبر تجسيدا للألوهية على الأرض , حيث الاسم الحورى يشير الى دوره فى الحكم , بينما لقب "سا-رع" يشير الى أصله و نسبه باعتباره امتداد ل "رع" .

و هناك رأى سائد بين علماء المصريات بأن قدماء المصريين أنفسهم كانوا مشوشين و لم يكن لديهم تصور واضح عن الفرق بين الاسمين و أن هناك تناقضا حقيقيا فى فلسفة الملكية فى مصر القديمة و لكى يبرهن علماء المصريات على التناقض فى الفلسفة الدينية المصرية , يقولون أن الملك كان ابن رع (سا-رع) و فى نفس الوقت هو "رع" نفسه .

فالعديد من ألقاب العرش لملوك الدولة القديمة تحوى اسم "رع" باعتبار أن الملك هو تجسيد رع على الأرض . و بعد عصر الدولة القدديمة , نجد مزيد من الأدلة على أن الملك هو نفسه رع .

على سبيل المثال هناك نص يصف الملك أمنمحات الثالث من عصر الدولة الوسطى بأنه هو (رع الذى يتجلى فى أشعة نوره) .

و هناك نص آخر يخاطب الملك أمنحتب الثانى من عصر الدولة الحديثه قائلا (أنت رع) .

كما وصف الملك رمسيس الثانى فى عصر الدولة الحديثه بأنه (شبيه رع , الذى يضئ العالم كقرص الشمس آتون) , و بأنه (رع , رب السماء , الذى يحيا على الأرض) .

و وصف الملك مرنبتاح ابن الملك رمسيس الثانى بأنه (الشمس التى تضئ للبشر , و تزيح الظلمة بعيدا عن أرض مصر) .

احتار علماء المصريات فى هذه الأوصاف .

كيف يمكن للملك أن يكون هو رع و ابن رع فى نفس الوقت !

يزداد الأمر تعقيدا حين نقرأ المزيد من النصوص التى تصف الملك بأنه هو آتوم .

أطلق أحد نصوص عصر الدولة الوسطى على الملك سنوسرت الأول لقب "نبر- دجر" (neb-r-djr) و يعنى "رب كل شئ" , و هو أحد ألقاب آتوم .

و يقول نص آخر من نصوص عصر الدولة الوسطى أن الملك أمنمحات الثانى قد (أزاح الفوضى من الأرضين , حين تجلى كصورة لآتوم) .

و فى عصر الدولة الحديثة , وصف أحد النصوص الملك رمسيس الثانى بأنه "شبيه آتوم" و قال أن "آتوم يحيا فى كلمات جلالته" , أى فى كلمات الملك رمسيس الثانى .

أى أن الملك أثناء حياته على الأرض كانت له ثلاث شخصيات (حورس , و رع , و آتوم) بالاضافة الى شخصية "سا - رع " أى ابن رع .

و من الأشياء الجديرة بالملاحظة أيضا أن هناك نصوصا جمعت بين هذه الألقاب التى تبدو متناقضة , مما يزيد الأمر تعقيدا .

فى عصر الأسرة ال 12 (دولة وسطى) هناك نصوصا وصفت الملك بأنه صورة أو تجلى لخمسة من الكيانات الالهية فى نفس الوقت . على سبيل المثال هناك نص يصف الملك قائلا :-

** هو "سيا" رب المعرفة الذى يسكن فى قلوب البشر .... و هو "رع" رب الشمس الذى يرى البشر بنوره .... و هو "خنوم" الخالق الذى صور البشر فى الأرحام ... و هو "باستت" القطة المقدسة التى تحمى الأرضين .... و هو "سخمت" اللبؤة المقدسة التى تعاقب الآثمين **

و فى عصر الدولة الحديثة هناك نص يصف الملك رمسيس الثانى بأنه صورة من رع و من آتوم و من خنوم . كما يصفه بأنه صورة من رع و من حورس فى نفس الوقت .

يقول النص على لسان الملك رمسيس الثانى :-

** أنا رع الذى يضئ للبشر ... و أنا حورس ابن ايزيس الذى يجلس على عرش آتوم العظيم **

و هنا يظهر الملك فى هيئة الاله و أيضا ابن الاله (حورس هو ابن ايزيس و أوزوريس) .

كان نسب الملك و صلته بالكيانات الالهية من أهم الموضوعات فى الفلسفة الدينية المصرية .

فهو حورس ابن أوزيريس , و هو أيضا ابن رع .

لا يتوقف الأمر على حورس و رع فقط , و انما يوصف الملك أيضا بأنه ابن "تاتنن" (رب الأرض التى ارتفعت فى الأزل) , و أنه ابن حتحور , و فى عصر الأسرة 18 دولة حديثه كان الملك

يوصف أيضا بأنه ابن تحوت (رب المعرفة) .

كيف يكون الملك هو الاله و ابن الاله فى نفس الوقت ؟ كيف يمكن أن يكون هو رع و ابن رع فى نفس الوقت ؟

بالطبع لم تكن هذه الفكرة تشكل أى تناقض بالنسبة لقدماء المصريين , و لكنها تبدو مشكلة حقيقية لعلماء المصريات فى العصر الحديث .

وسط هذا التناقض و التشتت يظهر لنا شعاع من النور يساعدنا على فهم الصورة بوضوح .

اذا وضعنا جانبا (بشكل مؤقت) فكرة الاله و ابن الاله , سنكتشف وجود مجموعة من الأفكار الرئيسية تتعلق بالاله و خلقه للكون و حاجته لاعادة تكرار الخلق بشكل دائم من أجل الحفاظ على الكون و استمرار وجوده .

لذلك وصف ملك مصر فى أحد النصوص بأنه (أب كل البشر و أمهم ... و هو الذى ليس له مثيل).

و فى الطقوس الدينية التى تقام فى بداية السنة المصرية , يوصف الملك بأنه هو الذى (خلق الأرض التى انبثق منها , و أنه أتى للوجود فى الزمن الأول حين أتت الأرض الأزلية للوجود) .

و فى نفس السياق , يوصف الملك بأنه هو آتوم الذى يزيح الظلمة من الأرضين , و بأنه يتجلى فى هيئة رع ليملأ العالم نورا . و بأنه يخلق مثل خنوم و يصور البشر فى الأرحام .

و علماء المصريات يدركون ذلك و يعرفون أن الملك هو تجسيد للاله الخالق , و أنه يعيد تكرار أفعاله و أفكاره و كلماته الخلاقة .

و لكنهم يرون ذلك من منظور الديانة الشمسية .

يرى علماء المصريات أن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية و أن الاله الخالق هو "رع" اله الشمس . و يرون أن الملك هو تجسيد لاله الشمس و صورة منه على الأرض .

و لذلك فهناك تركيز من جانب علماء المصريات على هوية الملك باعتباره رع و ابن رع (سا-رع) , أما الألقاب الأخرى (مثل آتوم و حورس و سيا) فعادة ما يتم تأويلها لتتحول الى ألقاب شمسية , أو تصنيفها باعتبارها بقايا أساطير للخلق تعتبر ثانوية بالمقارنة بأسطورة الخلق من الشمس , كما ينظر عادة الى أسطورة خلق خنوم للعالم .

باختصار , يرى علماء المصريات أن الملك فى مصر القديمة هو تجلى للشمس و بالتالى فهو تجلى للاله الخالق على الأرض .

و لكن تظل المشكلة قائمة . كيف يكون الملك هو الاله و ابن الاله فى نفس الوقت ؟

و كيف يمكن أن يكون ابن أوزيريس و ابن رع فى نفس الوقت ؟

و هل التبس على قدماء المصريين هوية الملك الالهية كما يفترض بعض الباحثين ؟

و هل يمكن أن يكون هناك تفسير عقلانى لهذا التناقض الظاهر فى هوية الملك فى مصر القديمة ؟

أعتقد أن المشكلة ستحل اذا وضعنا الاله الخالق فى قلب قصة الخلق بدون تصنيفه على انه اله الشمس .

كما أوضحنا فى الفصل الخامس , أينما ذكر الاله الخالق فى النصوص الدينية المصرية فالمقصود هو خلق الكون . و الاله الخالق لا يرمز فقط لخلق الكون , و لكنه يرمز قبل ذلك و فى المقام الأول الى موت و بعث العالم الأزلى الذى كان موجودا قبل خلق عالمنا .

و لكى يستطيع قدماء المصريين التعبير عن هذه الأفكار من خلال الأساطير , قاموا بابتكار مفهوم ازدواجية جسد و روح الاله الخالق . فجسد الاله الخالق هو رمز الكون القديم الذى انهدم و تحلل لعناصره الأولية و هو عبارة عن خليط من العناصر التى تتكون منها الأرض و المياه فى حالة من الركود و العشوائية تهيمن عليها الظلمة .

و روح الاله هى رمز عودة الحياة لذلك الكون القديم , و ميلاد النور و الحياة من بين الفوضى و العتمة . ان انبعاث الروح و صعودها من هاوية "نون" (المياه الأزلية + الأرض الأزلية) يرمز لخلق الكون الأكبر بكل أبعاده و منها الأرض و الغلاف الجوى و الأجرام السماوية التى تدور حول الأرض و التى تحمل فى أعماقها جزءا من المياه الأزلية .

و الكون المخلوق كله هو جسد الاله الخالق .

كانت ازدواجية جسد و روح الاله الخالق فى نظر قدماء المصريين أشبه بالعلاقة بين الأب و الابن فجسد الكون السابق الذى انهدم و تحلل لعناصره الأولية هو الأب , أما الروح التى انبعثت من ذلك الكون القديم لتخلق الكون الجديد فهى الابن .

و النموذج التقليدى لوصف هذه العلاقة هو نموذج أوزيريس و حورس .

يرمز أوزيريس لجسد الكون القديم الذى مات و تمزق (أى تحلل لعناصره الأولية) , أما حورس فيرمز للروح التى انبعثت من تلقاء نفسها من ذلك الجسد الميت , ثم صعدت للسماء .

لذلك كان حورس يظهر فى الفن المصرى على هيئة صقر .

أوزيريس هو الأب , و هو جسد الاله الخالق . و حورس هو الابن , و هو روح الاله الخالق .

و الاثنان معا هما نفس الكيان الالهى . الاثنان معا هما رمز الاله الذى يخلق نفسه .

و هناك نماذج أخرى للعلاقة بين الأب و الابن .

على سبيل المثال , العلاقة بين "نون" (المياه الأزلية) و آتوم , حيث يعتبر "نون" بالنسبة لآتوم بمثابة الأب/الجسد و آتوم بالنسبة لنون بمثابة الابن/الروح .

و أيضا العلاقة بين "آتوم" و "شو" , حيث يعتبر آتوم بالنسبة ل "شو" الجسد/الأب , و يعتبر "شو" بالنسبة لآتوم الابن/الروح .

و كذلك العلاقة بين "تا تنن" و رع , و بين رع و أوزيريس .

و الى جانب ازدواجية الجسد و الروح , كان الاله الخالق فى نظر قدماء المصريين هو الذى أنجب نفسه , أى أنه هو أبو نفسه .

فآتوم الجسد هو أبو آتوم الروح . و أوزيريس الجسد هو أبو أوزيريس الروح . و رع الجسد هو أبو رع الروح (على الأقل فى عصر الدولة الحديثه) .

و فى كل الحالات السابقة , لم تكن النصوص المصرية القديمة تذكر طبيعة الاله (سواء جسد أو روح) بشكل مباشر , و انما يمكن للقارئ أن يستتشف من سياق النص اذا كان المذكور هو جسد الاله أم روحه .

و هنا يكمن فهم هوية الملك باعتباره ابن للاله و تجسيد للاله فى نفس الوقت .

يجسد الملك الاله الحى على الأرض , و هذ الاله الحى ليس سوى ابن الاله , الابن الذى يعيد الحياة لأبيه و الذى أتى للوجود كروح .

الاله الحى (رمز الكون الذى عاد للحياة) و ابن الاله هما نفس الكيان .

عندما تصف النصوص المصرية الملك بأنه التجسيد البشرى للاله الحى , فهى تعنى أنه فى نفس الوقت ابن الاله , بالمعنى الكونى للكلمة .

تظهر هذه الفكرة بشكل مستتر أحيانا فى النصوص المصرية القديمة و فى أحيان أخرى بشكل واضح .

ليس هناك أى تناقض بين وصف ملك مصربأنه اله (أو تجسيد/تجلى للاله) فى أحد النصوص , و وصفه بأنه ابن الاله فى نص آخر .

تبقى أمامنا الآن مشكلة واحدة فقط .

اذ كيف يكون الملك ابن أوزيريس (حورس) و ابن رع (سا - رع) فى نفس الوقت ؟

و هل يوجد أى تناقض بين أوزيريس و بين رع أم أن هذا التناقض مجرد فرضية لا أساس لها فى الفكر الدينى المصرى ؟

لنلقى أولا نظرة على أول هوية لملك مصر و أقدمها على الاطلاق و هى هوية حورس ابن ايزيس و أوزوريس . ما الذى يعنيه أن يكون ملك مصر تجسيدا لحورس ؟

منذ فجر الحضارة المصرية , كان حورس مقدسا باعتباره رب السماء , الصقر العملاق , و عيناه هما الشمس و القمر . و الى جانب صفاته كرب للسماء , كان حورس مقدسا أيضا باعتباره من أقدم صور اله الشمس , و فى هذه الحالة يطلق عليه لقب "حور - آختى" أى حورس الذى يرتحل بين الأفقين . كما كان حورس أيضا أحد صور الاله الخالق فى مصر القديمة , كما رأينا فى الفصل الثالث . أما حورس الذى تدور حوله أسطورة الملكية فى مصر القديمة فهو حورس ابن ايزيس و أوزوريس , هو الروح التى انبعثت من جسد الكون القديم الذى مات .

أى أن الملك هو "كا" أوزيريس , و هو ابن و صورة الاله الخالق .

اذن , كيف يتداخل ذلك مع هوية الملك الأخرى باعتباره ابن رع (سا - رع) ؟

كلمة "سا - رع" بالنسبة لعلماء المصريات تعنى ابن رع , أى ابن الشمس أو ابن اله الشمس .

يقوم الكثير من الباحثين بترجمة هذا اللقب بالمعنى الحرفى للكلمة , مستندين فى ذلك الى أسطورة

الميلاد الالهى لملك مصر و التى جاء فيها أن رع هو الذى يضع بذرة ملك مصر فى رحم أمه .

و لكن هل التفسير الحرفى للميلاد الالهى لملك مصر تفسير صحيح ؟

فى الحقيقة تعود فكرة الميلاد الالهى للملك الى مصدرين رئيسيين ينتميان للفترة الزمنية بين عامى 1600 و 1450 قبل الميلاد , و يبدو أنهما مقتبسان من أسطورة الخلق التى تنتمى لعصر الدولة الوسطى و التى جاء فيها أن رع قام باخصاب رحم ايزيس و و ضع فيه بذرة الخلق الجديد , حيث تقوم ايزيس فى هذه الأسطورة بدور الأم الكونية نوت .

فى عصر الدولة القديمة , عندما ظهر لقب "سا - رع" لأول مرة , لم نعثر على دليل يشير الى أن كلمة "سا" تعنى ابن بالمعنى المادى الضيق للكلمة أو كما نستخدمها نحن للتعبير عن الأبوة الجسدية للبشر . بالعكس , ففى الديانة المصرية القديمة كما أفهمها (كديانة للنشأة) لم يكن للقب ابن رع أى علاقة بالأبوة الجسدية .

يتضح المعنى الحقيقى للقب "سا - رع" حين ننظر الى "رع" كاسم من أسماء الاله الخالق .

و عندئذ تكون الترجمة الصحيحة للقب "سا - رع" هى "روح رع" , و هى الروح التى انبعثت من جسد رع .

و هنا يتبادر السؤال حول جسد رع , و قد يعتقد البعض أننا بصدد مشكلة , لأنه لا يوجد ذكر لجسد رع فى متون الأهرام . فأول اشارة لجسد رع جاءت فى متون التوابيت (فى عصر الدولة الوسطى) , و لم يأت ذكره بشكل واضح الا فى كتب العالم الآخر التى دونت فى عصر الدولة الحديثه . و لذلك فلا يمكننا التأكد من أن قدماء المصريين فى عصر الدولة القديمة كانوا يقصدون روح رع عند استخدامهم للقب "سا - رع" .

و لكن القراءة المتأملة لمتون الأهرام تكشف عكس ذلك . فقد وصفت نصوص الأهرام ملك مصر الذى بعث من جديد بأنه ابن رع , و هو ما قد يعطى انطباع بأبوة الجسد .

كما وصف ملك مصر فى أحد نصوص الأهرام بأنه ابن جسد "آتوم - رع" (أو جسد آتوم فى المقام الأول , باعتبار أن آتوم هو الجسد و الأب بالنسبة لرع) .

و هناك نص آخر يصف رع بأنه (راقد وسط أغلاله فى باطن الأرض) , أى أنه فى صورة جسد.

و هناك ثلاثة نصوص أخرى تقول أن هناك حيات و أفاعى و صقر ينبثقون تباعا من رع , و هو ما يقتضى وجود جسد تخرج منه هذه الكائنات .

يتضح لنا المعنى الحقيقى للقب "سا - رع" اذا قمنا بتعديل بسيط على ترجمته ليصبح (رع الابن) بدلا من (ابن رع) .

و متون الأهرام بالفعل تصور رع بأنه ينتمى للجيل الثانى أو المرحلة الثانية من الخلق .

فهو من ذرية أوزيريس الذى يحمل لقب (ال آخت الذى يولد منه رع) و يحمل أيضا لقب الفيضان العظيم الذى انبثق من الاله العظيم .

من المحتمل أن قدماء المصريين فهموا أن رع هو الصورة المرئية المتجسد لآتوم , أو ابنه بالمعنى الكونى .

و على أية حال , سواء كان لقب "سا - رع" يعنى (ابن رع) أو (رع الابن) , فهو فى كلتا الحالتين يعبر عن روح الاله الخالق و التى تتجلى فى الملك .

و بالتالى لا يوجد أى تناقض بين هوية الملك عندما يحمل لقب "سا - رع" , و عندما يحمل لقب حورس . فهو فى الحالتين يجسد الروح التى انبعثت من الكون القديم الذى مات و أعيد خلقه من جديد . فالبنوة المقصودة فى الألقاب الملكية هى بنوة كونية .

باختصار , كان قدماء المصريين على دراية تامة بمغزى كل لقب من الألقاب الملكية و بالعلاقة الكونية التى تربط بين الملك و بين تجليات الاله الخالق . فمنذ عصر الأسرة الأولى و حتى عصر الأسرة الثلاثين , كان الملك فى مصر القديمة هو صورة الاله الخالق و تجليه على الأرض .

<u>أوزوريس و حورس – الملكية و علاقتها بقصة الخلق :-</u>

ان فكرة الملك الذى يشارك فى خلق الكون ليست موضع جدل لدى علماء المصريات , فهم يعلمون أن ملك مصر هو صورة الاله الخالق على الأرض , و أنه يعيد تكرار أفعال الاله الخالق و أفكاره و كلماته . و لكن تكمن المشكلة لدى علماء المصريات فى رؤيتهم للاله الخالق باعتباره اله الشمس و بالتالى فان الملك فى نظرهم هو تجسيد لاله الشمس . و لذلك فقد عجزوا عن فهم دور الملك فى

اعادة قصة الخلق . و قد آن الأوان أن نعيد النظر فى مفهوم الملكية عند قدماء المصريين و أن نراه من منظور جديد , و هو منظور الخلق من الأرض , و ليس الخلق من الشمس .

و نقطة البداية المناسبة لبحثنا هى الملك المتوفى .

فكما رأينا , كان للملك فى مصر القديمة هوية مزدوجة تجمع بين كل من أوزيريس و حورس , أى الأب الذى توفى و هو يحمل ابنه فى أحضانه .

كان موت الملك فى نظر قدماء المصريين يعنى – رمزيا - عودة الأرضين الى حالة الفوضى و الظلمة الأزلية . و بمجرد اعلان وفاة الملك , يبدأ الشعب فى الصيام عن الطعام و الامتناع عن المشروبات الروحية و يعلو البكاء و النحيب فى كل أرجاء الدولة , و يأخذ المنتحبون فى تلطيخ وجوههم و رؤسهم بالطين و التراب , كرمز لعودة الجسد للأرض بعد الموت .

كان الحزن يخيم على كل القلوب , و كأن النور قد غاب عن العالم .

و لكى تعود الحياة و النور مرة أخرى لمصر , كان من الضرورى الحفاظ على جسد الملك المتوفى و الذى تتم معاملته باعتباره صورة من جسد أوزيريس .

و لذلك كان الجسد يحنط , ثم يعاد احياؤه مرة أخرى عن طريق طقوس خاصة تعرف باسم طقوس فتح الفم , ثم تدفن المومياء فى مقبرة فى باطن الأرض .

و هنا يتضح أن طقوس اعادة احياء جثمان الملك هى محاكاة لبعض أحداث قصة الخلق .

فتحنيط جثمان الملك يرمز لاعادة جمع أشلاء أوزيريس و تحنيطها , و التى ترمز بدورها لاعادة بناء الكون القديم الذى انهدم و تحلل لعناصره الأولية . و التابوت الذى توضع فيه مومياء الملك يرمز ل "نوت" , الأم الكونية التى تحولت الى السماء .

و غرفة الدفن (بر - دوات) ترمز ل "بيت العالم السفلى" و هو المكان الذى انبعث فيه الاله الخالق و صحبته من ال "نترو" و الذين يرمزون لأعضاء جسده . و دفن المومياء فى باطن الأرض هو محاكاة لولادة الكون فى بدء الخليقة . فحين يدفن جثمان الملك , يتحد بالأرض و يصبح صورة أو نسخة مكررة من جسد الكون الأزلى .

و اذا لم تقام الطقوس الجنائزية بالشكل الصحيح , فان ذلك يعنى أن أوزيريس لن ينجب ابنه

و وريثه حورس , و بالتالى فان الملك المتوفى لن يترك ملكا جديدا يخلفه على عرش مصر , و هو ما يعتبر كارثه سياسية و كونية .

ان الخوف من الموت الذى عبرت عنه الكتب الدينية المصرية ليس هو الخوف الشخصى من الانتقال الى عالم مجهول , و انما هو الخوف من أن ينتهى العالم و يعود و يسقط فى هاوية الفوضى الأزلية التى كان عليها قبل الخلق , و هى حالة توصف بأنها "اللاوجود" .

و هكذا , كانت اعادة احياء مومياء الملك المتوفى (عن طريق الطقوس السحرية) هى التى تمهد الطريق لاعتلاء الملك الجديد للعرش و تتويجه .

و النصوص الدينية المصرية تؤكد ذلك , حيث تقول أن اعتلاء الملك الجديد لعرش مصر يحدث فى نفس اللحظة التى تصعد فيها روح أبيه المتوفى للسماء .

على سبيل المثال , جاء فى نصوص تتويج الملك تحتمس الثالث :-

** صعد الملك الى السماء و التحق بالنترو (الكيانات الالهية) ... و تبوأ ابنه مكانه على عرش الأرضين , و حكم من فوق عرش أبيه **

و عندما مات الملك تحتمس الثالث , صعد للسماء فى نفس الوقت الذى اعتلى فيه ابنه أمنحتب الثانى العرش . جاء فى نصوص تتويج الملك أمنحتب الثانى :-

** صعد الملك تحتمس للسماء ... و اتحد بقرص الشمس بينما التحق جسده بالاله الذى خلق الجسد .... و فى صباح اليوم التالى , أشرقت الشمس و أضاءت السماء , و صعد الملك أمنحتب ليجلس على عرش أبيه **

و نلاحظ هنا أن قصة الخلق تلعب دورا محوريا فى طقوس التتويج , حيث يعاد تكرار قصة موت و بعث أوزيريس , و يعاد تكرار قصة صراع حورس و ست بينما يقع حدث التتويج فى مدينة منف و هى المدينة التى توج فيها حورس ملكا على عرش مصر خلفا لأبيه أوزيريس بعد انتصاره على ست .

فى منف , يقوم كل ملك جديد باعادة تكرار حدث توحيد الأرضين الذى قام به حورس فى مدينة منف فى الزمن الأول , حيث يقوم الملك بشكل رمزى بالطواف حول أسوار المدينة البيضاء , ثم

يصعد على منصة التتويج و يجلس على العرش (الذى يرمز للتل الأزلى الذى ارتفع من المياه الأزلية فى بدء الخليقة) , ثم يرتدى التاج المزدوج الذى يرمز لمصر العليا و مصر السفلى , أو للشمس و القمر , ثم يحمل صولجانات الملك التى تحوى بداخلها جزءا من سحر الخلق .

و عندما يقوم الملك من مجلسه فوق العرش , فهو بذلك يعيد تكرار ما فعله الاله الخالق فى الزمن الأول حين تجلى نوره للوجود أول مرة .

تكتمل محاكاة طقوس التتويج لقصة الخلق باطلاق أربعة أسهم فى الجهات الأصلية الأربعة , لتثبيت أركان الكون الذى ولد للتو و الذى أخذ فى الاتساع و التمدد .

و بانتهاء طقوس التتويج , يكون قد اكتمل خلق الكون من جديد .

فى طقوس التتويج يكون الملك تجسيدا للاله الخالق و صورة منه على الأرض .

و هويته الأساسية فى هذا الطقس هى هوية حورس ابن ايزيس و أوزوريس . و لكن فى بعض الأحيان يطلق عليه لقب "نتر" (الاله) , أو "نتر نفر" (الاله الجميل) .

تكمن قدسية الملك فى هذه الطقوس فى أنه يحمل داخل جسده و أوصاله روح ("كا" و "با") الاله الخالق .

يوصف الملك فى نصوص التتويج بأنه ال "نتر" (الكيان الالهى) الواحد الحى , و أحيانا بأنه هو كل ال "نترو" (الكيانات الالهية) الأحياء .

كانت مهمة الملك الأساسية باعتباره صورة الاله على الأرض هى الحفاظ على النظام الكونى (ماعت) , و ذلك باخضاع قوى الفوضى (اسفت) و السيطرة عليها .

و هى مهمة تشمل اعادة خلق حالة النظام الكونى التى أتت للوجود فى الزمن الأول .

لذلك نقرأ فى مراسم تتويج الملك أمنحتب الثالث أن الملك (يجعل الأرض "نقية / عفية / مزدهرة" كما كانت فى الزمن الأول , بأن يجعلها فى تناغم مع النظام الكونى "ماعت") .

أما مراسم تتويج الملك توت عنخ آمون فتمدحه بأنه (أزاح الفوضى "اسفت" من الأرضين , و أقام مكانها النظام "ماعت" , فعادت الأرض كما كانت فى الزمن الأول) .

كان الملك فى مصر القديمة مؤهلا بشكل فريد للحفاظ على النظام الكونى (ال "ماعت") .

فهو بوصفه صورة من حورس لديه الهيمنة على ست .

بل انه يعتبر تجسيد للاثنين معا و هما فى حالة من التناغم و التصالح و الاتزان التام , بحيث لا يخشى من قيام ست بأى عمل عدائى قد يثير الفوضى فى الكون .

و لما كان الملك صورة من الاله الخالق , فهو يمتلك كل القدرات الالهية مثل "حو" (كلمة الخلق) , و "سيا" (المعرفة الكلية / المطلقة) , و "حكا" (السحر الأزلى / الكونى) .

و فى كل يوم , يقوم الملك باستخدام ما لديه من معرفة روحانية سرية فى استقطاب القوى الالهية التى خلقت الكون و جعلها فى حالة حضور دائم و متجدد فى عالمنا .

كان الملك يملأ قلبه بالمعرفة الالهية (سيا) , و يجعل الكلمة الخلاقة (حو) فى فمه , و ينطق الكلمات السحرية التى نطقها الاله الخالق فى الزمن الأول .

و بمجرد استحضار القدرات الالهية و نطق كلمة الخلق الأزلية , تنزاح الفوضى (اسفت) من الأرضين و يحل محلها النظام (ماعت) .

و بعد انتهاء الملك من أداء دوره , تكون ثمار ما فعله أن يأتى الفيضان فى موعده , و أن تصبح الأرض خصبة و تؤتى ثمارها الوفيرة و تتدفق طاقة الحياة لينعم الشعب ببركتها .

لا تقتصر مهمة الملك على اقامة النظام فى الأرض فقط , و انما يضطلع بمسئولية الحفاظ على النظام الكونى كله . و ما يجعله مؤهلا لذلك هو اطلاعه على العلوم الكونية و استيعابه لنشأة الكون و آلية عمله , و خصوصا دورة الشمس .

جاء فى أحد النصوص المصرية القديمة هذه العبارة التى تصف ملك مصر قائلة :-

** لقد اطلع (جلالته) على كل الأسرار ... هو تحوت (رب المعرفة) الذى يعرف كل شئ ... لا يوجد سر لم يطلع عليه الملك **

و انطلاقا من هذه المعرفة الالهية , يقوم الملك بتشييد المعابد كصورة مصغرة من الكون الأكبر , و يضع أسس الطقوس الدينية التى تهدف ممارستها فى المعابد الى تجديد طاقة الأجرام السماوية و طاقة الكون كله .

حين يقوم الملك بتشييد معبد و بأداء الطقوس التى تحييه فهو بذلك يخلق صورة من نفسه , لأنه بذلك يعيد تكرار ما فعله الاله الخالق فى الزمن الأول حين خلق الكون على صورته و مثاله .

يعتبر المعبد "ابن الأرض" , و هو تجسيد ل "كا" (روح) الاله الخالق , و كذلك الملك .

حين يدخل الملك الى صرح المعبد , يصبح المكان المقدس مفعما بحضوره , و تتحد روحه بالمعبد و بالكون كله و بالكيانات الالهية التى تسكنه .

و فى قلب المعبد , و فى قدس أقداسه , يقف تمثال الاله الخالق , محتجبا فى مقصورته .

هذا التمثال هو المحور الذى تدور حوله طقوس المعبد .

فى كل صباح , يقوم الملك (أو الكاهن الأكبر الذى ينوب عنه) بفتح المقصورة التى تحوى تمثال الاله الخالق , ليتجلى نوره على العالم كما تجلى أول مرة .

يقبل الملك (أو الكاهن الأكبر) الأرض بين يدى الصورة المقدسة للاله , و يبدأ بانشاد الابتهالات , و يقدم له تمثال صغير يرمز للماعت (النظام الكونى) .

ثم يخرج التمثال من مقصورته و يقيمه وسط كومة من الرمال النظيفة ترمز للتل الأزلى الذى خرج من "نون" فى الزمن الأول . ثم يطهر التمثال بالماء و يكسوه بشرائط من الكتان و يقدم له القرابين من كل ما تخرجه الأرض . و فى نهاية اليوم يتم اعادة التمثال المقدس الى مقصورته مصحوبا بانشاد الابتهالات .

و من الجدير بالتأمل هنا أن هذا الطقس اليومى ليس مجرد طقس دينى أو صلاة يومية روتينية , و انما هو اعادة تكرار لنموذج النشأة الأولى و اعادة لأحداث قصة الخلق . ففتح أبواب المقصورة التى تحوى التمثال المقدس هو رمز لفتح بوابات السماء .

و تقديم تمثال الماعت للصورة المقدسة للاله الخالق هو رمز لانتصار قوى النظام و النور على قوى الفوضى و الظلام , و تقديم القرابين يرمز لاسترداد العين من ست و الهيمنة على قوى الفوضى و استكمال قيام النظام الكونى "ماعت" .

و الهدف من اعادة تكرار قصة الخلق بشكل طقسى هو تجديد الطاقة لكى تستطيع القوى الكونية أن تعمل و لكى يستمر الكون . و الملك هو من يضطلع بهذه المهمة .



(الملك رمسيس الثانى يقدم قربان الماعت لبتاح)

كما أوضحنا من قبل , كان لملك مصر هوية مزدوجة تجمع بين كل من أوزيريس و حورس .
فالملك الحى الجالس على العرش يجسد الروح التى انبعثت من جسد أوزيريس فى بدء الخليقة , و هو يستمد طاقته الحيوية من جسد أبيه أوزيريس الراقد فى مقبرته فى العالم السفلى .
لذلك كان على قدماء المصريين القيام بالعديد من الطقوس المعقدة التى تهدف لاعادة احياء مومياء الملك المتوفى و تحويلها الى جسد حى خالد , مثل جسد أوزيريس .
تقام هذه الطقوس أول مرة أثناء جنازة الملك , ثم يعاد تكرارها بشكل دورى كل يوم , و كل أسبوعين (حسب دورة القمر) , و كل شهر , و كل سنة . و لذلك كان قدماء المصريين يلحقون بالمقابر الملكية معبدا جنائزيا (يطلق عليه بيت ال "نحح" , أى التكرار الأبدى) يوضع فيه تمثال ل "كا" (قرين) الملك لتقام فيه طقوس اعادة احياء مومياء الملك باعتبارها مومياء أوزيريس .
و من هذه الطقوس "فتح الفم" , و تطهير التمثال و كسوته بشرائط الكتان و تقديم القرابين له من كل ما يخرج من الأرض .

يرمز تقديم القرابين لقدرة الاله الخالق على تجديد قوى النور و النظام فى الكون و السيطرة على قوى الفوضى و الظلام .

و من الجدير بالتأمل هنا أن الملك الحى الذى يجلس على العرش لا يقوم بهذه الطقوس فقط من أجل أبيه الذى أنجبه , و انما من أجل كل ملوك مصر السابقين . و كان الالتزام بممارسة هذه الطقوس ضروريا لأن كل ملك من هؤلاء الملوك هو أوزيريس أبو حورس , و بالتالى فهو أبو الملك الحى الذى يجلس على عرش مصر .

ان قيام ملك مصر بطقوس اعادة احياء مومياء الملوك السابقين لا يعنى أنه كان يعبد أجداده أو أسلافه بوصفهم بشر , و انما يعنى قيامه باعادة تكرار قصة الخلق التى يلعب فيها الآباء و الأجداد الراحلين دور أوزيريس , و من خلال هذا الطقس يمكنه أن يستقطب الطاقة الكونية الأزلية التى نتجت عن عودة أوزيريس للحياة فى الزمن الأول و هى الطاقة التى بها يحيا العالم و يستمر .

باستقطاب تلك الطاقة الأوزيرية الأزلية , يقوم الملك بتثبيت ملكه على الأرض , لأن قوة الملك (باعتباره حورس) تعتمد على الطاقة التى يستمدها من جسد أبيه أوزيريس الراقد فى مقبرته .

و لكن الأمر لا يتوقف على ذلك .

كما أوضحنا فى الفصل الأول , لم يكن ملك مصر يدعم النظام الكونى وحده , و انما يساعده فى ذلك أجداده و أسلافه الذين انتقلوا للعالم الآخر و صعدوا للسماء و تحولوا الى أرواح النجوم التى أصبحت من حاشية رع و من ركاب قاربه .

كانت مهمة هؤلاء الملوك الذين تحولوا الى كائنات سماوية هى مساعدة رع فى اعادة تدوير الزمن و فى تكرار قصة الخلق بشكل دائم .

و هكذا , صار هؤلاء الملوك من حاشية "رع" يتبعون مساره فى الكون و يقطعون السماء و ال "دوات" (العالم السفلى) و ال "آخت " (الأفق) , حيث يموتون و يولدون من جديد , و بذلك يعيدون تكرار نموذج موت الكون القديم و اعادة خلقه من جديد .

و علينا أن ننتبه هنا الى أن هؤلاء الملوك الذين تحولوا الى كائنات سماوية هم فى الحقيقة كيان واحدا - هو أوزيريس - و ليسوا كيانات متعددة .

ان قيام الملك الحى الجالس على العرش بتقديم الطقوس المقدسة للمقابر و المعابد الجنائزية لأجداده و أسلافه يهدف لاستقطاب الطاقة الحيوية .

حين يقوم الملك بطقوس احياء مومياوت الملوك السابقين فهو بذلك يساعد أرواحهم على أن تطوف الكون بصحبة رع , حيث ترتحل فى ال "دوات" (العالم السفلى) و تعيد احياء جسد أوزيريس الراقد فيه , و الذى يقوم بدوره بنقل الطاقة الحيوية من الجسد الأوزيرى الراقد فى الدوات الى جسد الملك الحى الجالس على العرش (باعتباره حورس ابن أوزيريس) , و الذى ينقلها بدوره للأرضين و كل ما عليها من كائنات .

و بعد موت الملك , يتولى ابنه و وريث عرشه نفس المهمة , بينما ينتقل الملك السابق ليلتحق بأرواح أجداده فى السماء . و هكذا يستمر انتقال الأدوار من جيل الى جيل .

يقوم منصب الملكية اذن على ازدواجية تندمج فى كيان واحد لا يمكن لا فصله .

فبدون أوزيريس و حورس معا لا يؤدى منصب الملكية الغرض منه , لأن الملك فى هذا العالم (حورس) و الملك فى العالم الآخر (أوزيريس) يعملان معا لتجديد طاقة الكون و حمايته من قوى الفوضى .

باختصار , نحن هنا بصدد مهمة مقدسة يشترك فيها الملك الحى على الأرض مع أرواح أجداده و أسلافه فى العالم الآخر فى الحفاظ على النظام الكونى و ذلك من خلال اعادة تكرار نموذج النشأة الأولى . و على عتبة الموت , يقوم كل منهما بمساعدة الآخر فى اعادة تكرار قصة الخلق التى تدور حول موت الكون و اعادة خلقه من جديد مرارا , و هو ما يحفظ الكون من عوامل الهدم و التحلل و يضمن له الاستمرار الأبدى .

تقوم هذه الدراما الكونية على ثلاثة مبادئ رئيسية هى :-

- "سب - تبى" (zep tepi) : الزمن الأول
- "نحح" (neheh) : التكرار الأبدى
- "دجد" (djed) : الاستمرار الأبدى

و من خلال القراءة الواعية للنصوص الدينية المصرية يتضح لنا مغزى هذه المبادئ الثلاثة , و هو

مغزى يفند النظرة التقليدية للديانة المصرية القديمة باعتبارها ديانة شمسية تنسب فعل الخلق الأول لاله الشمس .

و المبادئ الثلاثة السابقة ليست موضع جدل من جانب علماء المصريات , و لكن موضع الخلاف هو الفكرة التى أطرحها حول دور الملك باعتباره تجسيدا لأوزيريس و حورس معا فى اعادة تكرار قصة الخلق .

تقدم الفرضية التى أطرحها تفسيرا فريدا للعلاقة بين الملك الحى على الأرض (حورس) و بين سلفه المتوفى (أوزيريس) , و تمهد الطريق لقفزة كبرى تساعد الباحث فى فهم منصب الملكية فى مصر القديمة .

و لكنى أود الآن أن أوجه دفة البحث و أنتقل من عالم الأحياء الى عالم الموتى .

فهنا فى عالم الموتى , سنعثر على كل الأدلة الهامة فى سعينا لفهم قصة الخلق .

و الفرضية التى أطرحها هى أن الملك المتوفى (بوصفه أوزيريس) يقوم باعادة أحداث نشأة الكون بدءا من خلق الأرض الأزلية , الى خلق السماء و الأجرام السماوية .

و لكى يستطيع القارئ أن يستوعب هذه النظرية المثيرة للجدل , عليه أن يتعرف أولا على المصدر الأساسى الذى استقيت منه الأدلة على ما أطرحه من أفكار . و هذ المصدر هو "متون الأهرام" .

<u>متون الأهرام :-</u>

فى عصر الأسرة الخامسه و السادسه من الدولة القديمة (من عام 2350 الى عام 2180 قبل الميلاد تقريبا) , ظهرت فى سقارة ثمانية أهرامات تميزت بسمة معمارية فريدة و غير مسبوقة فى تاريخ مصر . فقد زينت الحوائط الداخلية لهذه الأهرامات الثمانية بنقوش هيروغليفية تملأ كل غرفها و ممراتها . و هذه النقوش هى أقدم كتاب دينى مدون فى العالم , و تعرف فى علم الآثار باسم "متون الأهرام" , و كلمة متون جمع "متن" و تعنى النص المقدس .

و المحتوى الذى تتناوله متون الأهرام يتميز بالغنى و التنوع .

يقول عالم الآثار الأمريكى "مارك لينر" (Mark Lehner) و الذى يعتبر خبيرا فى متون الأهرام

أنه يمكننا تقسيم نصوص الأهرام التى يبلغ عددها 759 نصا الى خمسة أنواع رئيسية :-

- نصوص درامية
- مقتطفات من أساطير
- أناشيد و صلوات (مكتوبة بلغة الشعر)
- ابتهالات
- تعاويذ سحرية تعود للعصر العتيق

قام بعض علماء المصريات بتعريف متون الأهرام بشكل أبسط من تعريف مارك لينر , فوصفوها بأنها (مجموعة من التعاويذ السحرية التى ترتبط بالطقوس الجنائزية) .

يستند هذا التعريف الى حقيقة هامة و هى أن أغلب هذه النصوص يتشابه مع النصوص التى يتم ترتيلها أثناء الطقوس التى تجرى على المومياء منذ يوم موت الملك الى يوم دفنه .

و لذلك تعتبر متون الأهرام مصدرا هاما يمكننا أن نطلع من خلاله على الطقوس و الممارسات التى كانت سائدة فى مصرالقديمة فى عصر الدولة القديمة .

ما هو الهدف من تدوين و ترتيل متون الأهرام ؟

باختصار , كانت هذه الطقوس و التلاوات السحرية تهدف لاعادة الحياة لجسد الملك المتوفى , و اطلاق روحه لتصعد الى السماء على هيئة "آخ" (روح نورانية ذات تأثير فعال فى منظومة الخلق) . كما تهدف هذه الطقوس أيضا الى امداد روح الملك المتوفى بالطاقة التى تحتاجها للقيام بالطواف الكونى , بحيث يمكنها أن تعود و تزور جسدها الراقد فى المقبرة مرارا لكى تعيده للحياة .

و بذلك يحيا الجسد و الروح فى تناغم مع الكون .

و هنا يكمن مغزى متون الأهرام .

فهى عبارة عن تلاوات قام المصرى القديم بتخليدها بأن نقشها فى قلب الحجر فى هيئة رموز هيروغليفية تحمل فى طياتها نفس قوة الكلمات المنطوقة التى يرتلها الكهنة أثناء الطقوس الدينية .

و وجود هذه النصوص حول جثمان الملك يضمن حفظ الجثمان من أى كارثه يمكن أن تعرقل طقوس اعادة احيائه .

اذا لم يتخذ هذا الاجراء الاحترازى و توقفت طقوس خدمة المقبرة و المعبد الجنائزى الملحق بها لأى سبب , فان ذلك يعنى توقف روح الملك عن القيام برحلة الطواف الكونى و سيعود الجسد الراقد فى مقبرته الى حالة السكون الأزلى , و بالتالى سيعود الكون الى حالة الفوضى الأزلية .
كان ذلك فى نظر قدماء المصريين كارثه حقيقية .

قد يعتقد القارئ أن هذ كل شئ . و لكنه كلما تعمق فى قراءة نصوص الأهرام كلما أدرك أنه كمن فقد طريقه وسط أدغال كثيفه من أفكار دينية و ميثولوجية غريبة تتشابك و تتداخل معا لتصنع حاجزا يمنعه من التقدم .

فى عام 1912 كتب عالم المصريات جيمس هنرى بريستد واصفا انطباعه عن متون الأهرام بشكل مختصر قائلا :-

*** هذه النصوص العتيقة أشبه بأرض لم تطأها قدم . فكلما حاول القارئ أن يتعمق فيها , ينتابه شعور و كأنه دخل الى غابة كثيفه موحشه مليئة بالأشكال الغريبة و الظلال المريبة التى تملأ أدغال لا يعرف السائر فيها طريقا . دونت هذه النصوص بطريقة عتيقة تجعل كلماتها تبدو مغلفة بحجاب من الغموض و الابهام . تعبر متون الأهرام بطريقة غامضة عن أفكار و لغة تنتمى لعالم كان موجودا من قبل و لكنه انتهى و لم يعد له وجود . لا يقتصر الأمر على غموض الكلمات , و انما البناء اللغوى أيضا هو بناء عصى على الفهم تغلفه الطبيعة الغامضه لهذه النصوص العتيقة الغنية بالعديد من الاشارات لأحداث ميثولوجية و لممارسات و تقاليد قديمة انتهى زمنها . ان متون الأهرام ليست من وحى الخيال , و انما هى نصوص نسجت من طبيعة حياة قدماء المصريين و أفكارهم و ممارساتهم العتيقة التى تبدو لنا غير مألوفة و غير مفهومة بالمرة ***

و نتيجة هذه الصعوبات , كان على الباحث فى متون الأهرام أن يكون حذرا عند محاولة تفسير هذه النصوص . و من المؤسف أن علماء المصريات الأوائل تسرعوا فى الحكم على متون الأهرام و وصفوها بأنها خليط من التعاويذ البدائية الغير مترابطة التى تدور حول العالم الآخر .

و قد عبر جيمس هنرى بريستد عن نظرة علماء المصريات المتحاملة على متون الأهرام حين

كتب هذه العبارات التى يقول فيها :-

*** بذل مدونو متون الأهرام جهدا كبيرا فى وصف النشوة الروحية التى يحياها الملك بعد وصوله لملكوت السماء (فى معية اله الشمس) بعد الموت بمختلف التعبيرات . حيث يقفز خيالهم من صورة الى أخرى بدون ضوابط و على غير هدى , كما ينمو النبات البرى المدارى . يتشابك هذا الخيال المشتت ليصنع نسيجا من آلاف الألوان التى تتنافر و لا تستطيع أن تنسجم معا فى سياق واحد . فقد نجد الملك فى لحظة يتوج على العرش كما توج فى حياته على الأرض , و فى لحظة أخرى نجده يسير فى حقول الايارو (البوص) يبحث عن الطعام , ثم فجأة نجده فى مقدمة قارب الشمس , حيث يتحول الى نجم من النجوم التى لا تأفل و يصير من حاشية رع و أتباعه . لم يبذل مدونو متون الأهرام أى جهد لخلق نوع من التناغم أو ازالة التناقض الموجود فى السياق ***

يؤيد السير واليس بدج رأى جيمس هنرى بريستد و يكتب هذه العبارات التى دونها فى نهاية حياته المهنية الغزيرة الانتاج :-

*** قام مدونو متون الأهرام بتجميع العقائد و الأساطير التى توارثوها خلال مراحل تطورهم المختلفة و شكلوا منها كتابا محيرا . واجه كهنة مصر القديمة صعوبة فى تنظيم الأفكار المختلفة و وضعها فى سياق واحد متناغم . و لذلك نجد العديد من التناقضات فى نصوص الأهرام . من المستحيل الآن تصحيح هذه الأخطاء التى ارتكبوها و توضيح الغموض الذى يكتنف هذه النصوص ***

و هنا يبرز السؤال : ما هى هذه التناقضات التى أشار اليها علماء المصريات ؟

<u>أولا</u> : يعتقد علماء المصريات أنه من المستحيل وجود تصالح أو تكامل بين كل من رع (رب الشمس) و أوزيريس (رب العالم السفلى) , و يرفضون امكانية أن يشترك الاثنان فى حكم العالم الآخر . و هم يرون أن الديانة المصرية القديمة فى عصر بناة الأهرام هى ديانة شمسية و أن العالم السفلى و السماء هما عالمين منفصلين تماما و لا توجد علاقة بينهما . كما يرون أيضا أن النصوص الشمسية تم التلاعب بها من قبل الكهنة لخدمة أهداف سياسية و استبدالها بعناصر من أسطورة أوزيريس .

ثانيا : يعتقد علماء المصريات أنه من المستحيل أن تجمع الروح بين المصير الشمسى و المصير النجمى معا بعد الموت . كيف يوصف الملك فى نص بأنه التحق باله الشمس (أو أصبح هو نفسه اله الشمس) و فى نفس الوقت يوصف فى نص آخر بأنه قد تحول الى نجم من النجوم الشمالية التى لا تأفل ؟

رأى علماء المصريات فى ذلك تناقضا , و لكى يخرجوا من هذا المأزق ادعوا أن متون الأهرام فى مجملها تعبر عن عقيدة شمسية و لكنها تحمل فى طياتها بقايا من عقائد عتيقة كانت تقدس النجوم لم يستطع قدماء المصريين التخلص منها نهائيا .

و هكذا خرج علماء المصريات بفرضية تقول أن متون الأهرام تعرضت للتحريف و بالتالى فهى لا تصلح أن تكون تعبيرا عن ديانة .

فمتون الأهرام هى فى نظرهم شبكة معقدة لا يستطيع أحد أن يفك شفرتها .

و نتيجة هذا التوصيف المحبط و المجحف توارت متون الأهرام عن أعين القارئ العادى و اقتصر تدوالها على علماء الآثار المتخصصين .

و هكذا فقد الباحثون الاهتمام بمتون الأهرام و اقتصر التعامل معها على البحث اللغوى و الأدبى فقط , و لم يحاول أحد الاقتراب منها كمصدر لكشف ملامح الديانة المصرية القديمة .

فى عام 1948 كتب عالم المصريات الهولندى الدكتور هنرى فرانكفورت نقدا لاذعا لرأى جيمس هنرى بريستد و لرأى معلمه أدولف ايرمان فى متون الأهرام . و اتهم بريستد بأنه يقحم أفكارا انجيلية على الحضارة المصرية القديمة , و اتهم ايرمان بالاستعلاء و بأنه يتبع نهجا موغلا فى العقلانية فى تناوله للديانة المصرية .

كما لاحظ هنرى فرانكفورت أيضا أن البحث فى متون الأهرام تراجع منذ نشر جيمس هنرى بريستد رأيه فيها . لم يتمكن هنرى فرانكفورت من تفسير متون الاهرام تفسيرا معقولا بشكل كامل , و لكنه قدم بعض التعليقات و الآراء الجديرة بالاهتمام و بذل مجهودا كبيرا فى محاولة اثبات خطأ الفرضية التى تقول بوجود تناقض فى نصوص الأهرام , و خصوصا فيما يتعلق بالتناقض المزعوم بين رع و أوزيريس و بين السماء و العالم السفلى .

كان لأبحاث هنرى فرانكفورت تأثير كبير فى الأوساط الأكاديمية , بحيث أصبح علم المصريات ينظر الى متون الأهرام نظرة أكثر ايجابية , و ظهر جيل جديد من علماء المصريات الذين أخذوا يطالبون باعادة النظر لهذه النصوص و لمغزاها الدينى بشكل خاص .

و مع ذلك فقد ظل البحث فى متون الأهرام داخل دائرة محدودة من المتخصصين فى علم المصريات , و لم يتمكن أى منهم من الوصول الى رؤية جديدة عميقة .

و حتى الآن لم يظهر ذلك الشخص الذى يستطيع الكشف عن أسرار متون الأهرام و يوضح ملامح الفكر الدينى التى تنعكس فيها .

حتى الآن , لا تزال متون الأهرام غير مفهومة و ما زالت نظريات جيمس هنرى بريستد و والس بدج القديمة هى المهيمنة .

حتى الآن , لم تتغير الأفكار الرئيسية التى يتم بناء عليها تفسير النصوص .

حتى الآن , ما زالت النصوص فى نظر علماء المصريات نتاج عقيدة شمسية امتزجت ببعض الأفكار عن العالم السفلى و عن النجوم و اختلطت ببقايا أفكار دينية عتيقة تتعلق بممارسات بدائية تدور حول تقديس أرواح الحيوانات .

و لكن , مؤخرا ظهرت بعض الأبحاث الجديدة التى تتحدى هذه النظرة التقليدية الأكاديمية .

فى عام 1992 , قالت عالمة المصريات جين سيللرز (Jane Sellers) فى كتابها (Death of gods in Ancient Egypt) أن متون الأهرام تكشف عن أفكار قدماء المصريين و عقائدهم فيما يتعلق بخسوف الشمس و بظاهرة السبق (precession of the equinoxes) .

و فى عام 1994 قال المهندس البلجيكى روبرت بوفال (و هو باحث حر) أن متون الأهرام تكشف عن عقيدة نجمية و ليست شمسية .

و المشكلة فى هذه الدراسات أنها تستخدم جزءا من نصوص الأهرام تم انتقاؤه و اقتطاعه من المصدر من أجل دعم نظرياتهم الفلكية , تماما كما فعل علماء المصريات لمحاولة اثبات نظريتهم التى تقول أن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية .

كما أن هذه الدراسات الحديثه تعبر عن تيار جديد يهتم اهتماما أكبر بتطور الكون على حساب فهم

النشأة و بدايات التكوين .

تلك هى قصة متون الأهرام بشكل سريع و مختصر منذ اكتشافها فى أهرامات سقارة فى عام 1880 ميلادية .

كشف لغز متون الأهرام :-

و الآن , سننظر الى متون الأهرام نظرة جديدة فى ضوء نظرية ديانة النشأة .

ففى اعتقادى اننا اذا نظرنا الى هذه النصوص من منظور قصة الخلق كما شرحتها من قبل (حيث الأرض هى أصل النشأة) فستندمج كل العناصر التى كانت تبدو من قبل متناقضة أو مفككة (كالشمس و القمر و النجوم و العالم السفلى) معا فى سياق واحد متناغم .

سأبرهن للقارئ أن هذه النصوص تصف اعادة خلق الكون بشكل طقسى حسب نظرية الكون الأرضى النشأة (geocentric creation) , حيث يقوم الملك بدور الاله الخالق و هو أوزيريس , رب العالم ال "تحت - أرضى" .

و قبل أن نستعرض معا كيف كانت تقام طقوس اعادة قصة الخلق حسب ما جاء فى نصوص الأهرام , يجب أن أوضح للقارئ أولا بعض المفاهيم الأساسية بحيث يستطيع تكوين نظرة عامة عما تدور حوله هذه النصوص .

و أول هذه المبادئ هو مبدأ التشخيص , أى مبدأ تصوير القوى الكونية فى هيئة بشر .

فبرغم أن الملك و كاؤه (نسخته النجمية) يظهرون فى هذه النصوص فى هيئة بشر , الا أن الملك فى سياق متون الأهرام لا يمثل البشر و انما يمثل فكرة كونية .

يتضح ذلك من خلال خمسة نصوص تصف الملك بأنه (لم يضع بذرته أب بشرى , و لم تلده أم بشرية) . كما يتضح أيضا من أحد النصوص التى يقول فيها الملك (لقد حملت بى الأم الكونية فى الليل , و ولدتنى فى الليل ... لقد نشأت من "نون" و ولدت فى "نون" ... لقد ولدت فى "نون" قبل أن توجد السماء و الأرض , و قبل أن يوجد أى شئ مادى) .

و الولادة فى "نون" (المياه الأزلية) هى بالطبع من سمات الاله الخالق .

و وفقا لمتون الأهرام فان أم الملك هى الأم الكونية التى وصفها أحد النصوص بأنها (البقرة السماوية العظيمة التى تسكن فى "نخب") . و "نخب" هى مدينة بصعيد مصر تعرف حاليا باسم الكاب و تقع جنوب الأقصر بحوالى 80 كم .

بينما نقرأ فى نص آخر من نصوص الأهرام أن أبو الملك هو (ثور السماء العظيم) .

أما النص رقم 571 , فيقول أن آتوم هو أبو الملك الذى خلقه قبل أن توجد السماء و الأرض .

و بوجه عام , تخاطب متون الأهرام الملك بوصفه أوزيريس ابن جب و نوت , أى ابن رب الأرض و ربة السماء (على اعتبار أن أرباب السماء و الأرض جاءوا للوجود قبل أن تتجسد الأرض و السماء فى الكون المادى المحسوس) .

أما المبدأ الثانى الذى يجب علينا استيعابه قبل البدء بقراءة متون الأهرام , فهو أن الملك يقوم باعادة تكرار ما حدث لأوزيريس فى الأزل من تحولات حيث مات و بعث من جديد .

ليس هناك خلاف على أن هذا هو الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله متون الأهرام .

و من الواضح تماما أن النصوص تتحدث عن هذه الأسطورة التى يعاد تكرارها بشكل طقسى عند موت كل ملك .

و لكن الجديد هنا هو الفرضية التى أطرحها و التى تقول بأن أوزيريس هو رمز الاله الخالق و هو أيضا رمز الكون الذى مات و انهدم و أعيد خلقه من جديد .

ان الهدف من تلاوة متون الأهرام هو تحويل الملك المتوفى الى صورة من الاله الخالق , و مساعدة روح الملك على أن تنبعث من جسده كما انبعثت روح الاله الخالق فى الزمن الأول من الأرض الأزلية و من المياه الأزلية "نون" .

يلعب الملك فى هذه الدراما الكونية دور الكون الذى مات و انهدم ثم عاد و خلق من جديد , ثم تحول الى محيط سماوى و الى الشمس و القمر و النجوم . و لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد . فالنصوص و التلاوات تهدف أيضا الى مساعدة روح الملك على أن تدور فى طواف أبدى فى كل أبعاد الكون , لكى تعيد تكرار النموذج الأزلى للموت و البعث , و الذى ينعكس فى دورة الشمس

و القمر و النجوم فى السماء .

و فى ذلك التكرار الأبدى (نحح) يكمن سر الحياة و به يضمن الكون الاستمرار الأبدى (دجد) .

اذا كانت متون الأهرام مصممة لارسال روح الملك للسماء فى طقس يجرى مرة واحدة فقط و لا يتكرر ثانية , فمن المتوقع أن تركز النصوص على خمسة أبعاد كونية فقط هى الأرض , نون , الغلاف الجوى , السماء , الأجرام السماوية .

و لن يكون من العسير فهم مجموعة من النصوص تتحدث عن صعود روح الملك للسماء بعد موته كحدث يقع مرة واحدة فقط و لا يتكرر .

و لكن الحقيقة أن النصوص تهدف الى ما هو أبعد من ذلك . فالهدف منها هو ضمان التكرار الأبدى لأحداث النشأة الأولى و لقصة الخلق , و لذلك نجد فيها اهتماما خاصا بأبعاد الكون الخفية ك "الدوات" (العالم السفلى) و ال "آخت" (الأفق) , و حقول الايارو (البوص) و حقول ال "حتب" (القرابين/الرضا) . و هو ما يجعل هذه النصوص عصية على الفهم , على الأقل بالنسبة للقارئ الذى لم يتمكن بعد من رؤية الصورة الأكبر و الأشمل التى تضم كل التفاصيل الصغيرة داخل سياق واحد .

و لكى نستطيع فهم الأبعاد الخفية للكون التى جاء ذكرها فى متون الأهرام , علينا أن ننظر اليها من منظور الكون الأرضى النشأة .

فمن وجهة النظر الأرضية , بدأ الخلق من نموذج أولى هو الأرض الأزلية و المياه الأزلية "نون" و هى فى حالة سديمية تهيمن عليها العشوائية و الظلمة , و التى قد تكون رمزا لبقايا كون قديم انهدم و تحلل لعناصره الأولية .

كانت هذه الصورة الأولية فى نظر قدماء المصريين أشبه بالبيضة التى انفتحت أو فقست و خرج منها الكون الجديد . و الأرض هى مركز ذلك الكون لسبب بسيط هو أنه نشأ منها .

تفسر لنا نظرية الكون الأرضى النشأة لماذا كانت أبعاد الكون الخفية (كالدوات و نون و ال آخت و حقول الايارو و حقول الحتب) تصور و كأنها أماكن على سطح الأرض , حيث القنوات المائية و الحقول .

و كما أوضحنا فى الفصل السادس تبدو هذه الأبعاد الخفية و كأنها سلسلة لقطات من العالم الأرضى الذى كان يعيش فيه المتوفى الذى يمر بعملية تحول و صيرورة تهدف لاعادته للحياة مرة أخرى .

و فى نفس الوقت قد تكون هذه المشاهد جزءا من مراحل تطور الكون الأزلى .

لذلك نجد النصوص تصف صعود الملك مباشرة من الدوات (العالم السفلى) أو من حقول الايارو أو من ال "آخت" (الأفق) الى السماء .

ان ارتحال الملك فى الدوات و الآخت و حقول الايارو يمكن أن يفسر بأنه اعادة تكرار لقصة الخلق من الأرض و التى تم فيها اعادة خلق الكون من بقايا كون قديم انتهى زمنه .

و هذ التكرار الأبدى لقصة الخلق لا يقوم به الملك المتوفى فقط , و انما هى مهمة تضطلع بها أيضا الشمس و القمر و النجوم .

ان عبور الملك للجانب الشرقى للسماء و التحاقه بقارب رع فى ال "آخت" (الأفق) لا يعنى ببساطة أن الملك قد صار شمسا أو نجما , و انما يعنى أن الملك يشارك فى اعادة تكرار أحداث نشأة الكون و فى اعادة خلق الشمس و النجوم , و هو يقوم بدور هام فى اعادة تكرار الشروق الأزلى للشمس كما أشرقت أول مرة و فى الظهور الأزلى للنجوم كما ظهرت أول مرة فى نفس الوقت الذى تقوم فيه هذه الأجرام السماوية بتكرار قصة نشأتها .

و فى نصوص الأهرام , يمكن للملك أن يبدأ رحلة الطواف الكونى بطريقتين . اما الصعود مباشرة من الأرض للسماء , ثم البدء برحلة الطواف الكونى , أو باختصار الطريق و التوجه مباشرة للنقطة التى تبدأ منها رحلة الطواف الكونى , ألا و هى ال "آخت" (الأفق) الشرقى للسماء .

و النظرة المتأملة لمتون الأهرام تكشف لنا أن النصوص التى تتحدث عن صعود روح الملك تنقسم بالفعل الى هاتين المجموعتين .

و الصعود المباشر من الأرض للسماء يقتضى اختراق الهواء و الغلاف الجوى أى السفر فى الهواء , أما الصعود الى ال "آخت" الشرقى حيث يرسو قارب رع , فهو يقتضى الابحار فوق المياه السماوية .

و هناك سمة أخرى فى نصوص الأهرام تزيدها غموضا و تعقيدا , و هذه السمة هى ازدواجية الرموز و تداخلها .

فحقول الايارو قد ترمز للسماء الدنيا و فى نفس الوقت قد ترمز لعالم خفى يقع تحت خط الأفق .

و حقول الحتب قد ترمز للسماء كلها و فى نفس الوقت قد ترمز لعالم خفى يقع تحت خط الأفق .

و علاوة على ذلك , نجد أن النيل الذى يجرى على أرض مصر له قرين فى السماء يتمثل فى "الطريق المائى الملتوى" و هو الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين على أذرع مجرة الطريق اللبنى , و هذا النيل السماوى يقطع السماء العليا و الدنيا و يربط بينهما كما يربط النيل على الأرض بين مصر العليا (الصعيد) و مصر السفلى (الدلتا) .

مرة أخرى نجد أن نظرية الخلق من الأرض تفسر لنا الرموز .

فالخلق بدأ من الأرض الأزلية و من المياه الأزلية , و لذلك نجد انعكاس الأرض و المياه فى السماء فى صورة حقول و قنوات مائية .

هذا عن أبعاد الكون , و لكن ماذا عن الكيان الالهى الذى يرتحل بين هذه الأبعاد ؟

كما أوضحنا من قبل , يقوم الملك المتوفى بدور أوزيريس , فجسده هو نسخة مكررة أو نموذج مصغر من جسد الاله (الكون القديم الذى انتهى زمنه) و روحه هى نموذج مكرر من روح الاله الخالق .

و لكن متون الأهرام ليست بهذه البساطة . فبينما يعتبر أوزيريس هو الشخصية المحورية فى هذه الدراما الكونية , الا أن روح الملك قد تظهر تحت أسماء أخرى , تشير جميعا الى روح الاله التى انبعثت من جسده .

فالملك ليس فقط أوزيريس , و انما هو أيضا آتوم , و هو شو , و هو جب , و هو رع , و هو حورس , و هو مين , و هو تحوت , و هو ويبواويت , و هو يبيو , و هو مونتو , و هو نفرتوم , و هو سوكر , و هو روسيتاو , و هو بابى (حارس بوابات العالم السفلى) , و هو زونتجو , و هو ثورالسماء العظيم , و هو نحب كاو , و هو عين حورس , و هو عين رع , و هو النجم الوحيد /

الفريد , هو أى كيان الهى يختار أن يقوم بدوره , و قد يكون أيضا هجينا مكونا من أكثر من كيان الهى .

و علاوة على ذلك , الملك هو أيضا ابن للعديد من الكيانات الالهية . فهو ابن جب و نوت بوصفه أوزيريس , و تلك هى هويته الأساسية .

و لكنه فى نفس الوقت هو ابن آتوم , و ابن رع , و ابن آتوم - رع , و ابن شو , و ابن سوبك , و ابن نيت .

و هو يظهر كابن , لأنه يرمز لروح الاله الخالق التى انبعثت من جسده فى الزمن الأول .

و قد يظهر الملك أيضا كواحد من أبناء حورس الأربعة , أو واحد من أرواح الأرض الأربعة التى خلقها جب , أو واحد من الجمع الالهى العظيم الذى ولد فى هليوبوليس , أو يتحول الى نجم بين النجوم التى لا تأفل .

كل هذه الشخصيات التى يتقمصها الملك تبدو لأول وهلة متداخله و متناقضة .

و لكن ما يهمنا عند دراسة متون الأهرام هو الفكرة أو المبدأ الكونى الذى يعبر عنه الاسم و ليس الاسم فى حد ذاته . فالملك لا يرتحل فى أبعاد الكون فى هيئته البشرية , برغم الانطباع الذى قد توحى به النصوص أحيانا . و انما هو يرتحل فى هيئة الاله الخالق , الذى يعبر عن فكرة الكون الذى يعيد خلق نفسه تلقائيا .

و عندما ننظر الى أوزيريس باعتباره الاله الخالق , عندها تتضح الصورة و يذهب أى لبس .

حين يتحول جسد الملك المتوفى الى جسد أوزيريس , عندها تنبعث روحه تحت أى اسم يريده .

ان متون الأهرام أشبه بدراما يتم فيها اعادة تمثيل أحداث نشأة الكون و مولده .

قد تختلف مشاهد الدراما باختلاف الممثلين , و لكن يظل النص دائما واحد و الشخصيات الرئيسية دائما كما هى بدون تغيير .

يبدو ذلك مفهوما غريبا بالنسبة لعقل انسان العصر الحديث . و لكن علينا أن نحاول تخيل الملك و هو يقوم بدوره فى هذه الدراما الكونية بأن يرتحل من مقبرته الى حقول الايارو , و الى ال

"آخت" (الأفق) , و الى السماء . علينا أن نتخيله فى هيئته الكونية و هو يقطع السماء الى ال "آخت" (الأفق) الغربى , ثم ينزل الى ال "دوات" (العالم السفلى) , و يتحد هناك بجسده الذى يرمز للأرض الأزلية و المياه الأزلية .

و أخيرا , علينا أن نتخيل الملك فى هيئته الكونية و هو يخرج من ال "دوات" ليبدأ منه رحلة طواف كونى جديدة .

أطلق قدماء المصريين على هذه الهيئة الكونية للملك المتوفى اسم "كا" , و يكتب باستخدام علامة هيروغليفية على شكل ذراعين مرفوعين الى السماء ().

يترجم علماء المصريات هذا الاسم عادة الى "القرين" أو "الجسم الأثيرى" أو "طاقة الحياة" , وفقا للسياق الذى ترد فيه الكلمة .

تشير متون الأهرام مرارا الى ال "كا" , و لا يمكننا فهم متون الأهرام الا اذا فهمنا مغزى هذه الكلمة .

تؤكد نصوص الأهرام على أن ال "كا" ظهرت للوجود فى نفس اللحظة التى بدأ فيه الخلق .

جاء فى النص رقم 600 أن آتوم قد منح "كاءه" الى أبنائه "شو" و "تفنوت" حين أخرجهما للوجود من ذاته فى حركة أشبه بالعطس أو البصق . و فى هذا السياق تترجم كلمة "كا" بمعنى الروح التى تحمل طاقة الحياة .

تخبرنا متون الأهرام أيضا أن أوزيريس و الكيانات الالهية قد عادوا الى كاواتهم (جمع كا) .

و هو تعبير يحمل ضمنا دلالة الصعود الى السماء , حيث عالم الروح . و قد يعنى أيضا ظهورهم للوجود فى الزمن الأول .

و كما عاد أوزيريس الى كاواته , تخبرنا متون الأهرام أن الملك أيضا قد عاد الى كاواته .

أى أن الملك يصعد للسماء و يعود الى كاواته ليحاكى ما فعله أوزيريس فى الزمن الأول .

تلعب "كا" الملك دورا هاما فى متون الأهرام .

يقال أن الملك هو نفسه "كا" , و هى صورته الكونية الخالدة .

نقرأ فى العديد من نصوص الأهرام أن الملك يصعد الى حقول كائه , و ينام الى جوار كائه , و أنه يمضى اليوم مع كائه , و أنه يحيا مع كائه .

و نقرأ أيضا أن "كا" الملك تجلس الى جواره و تأكل معه الى الأبد , و أن كاءه تقف الى جانبه .

و نقرأ أن "كا" الملك قد برئت ساحتها , و أنها نقية طاهرة و أنها قوية و أنها تتطهر فى بحيرة ال "دوات" , و أنها تحيا فى ال "آخت" الى الأبد و أنها تصعد الى السماء .

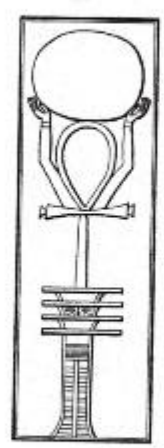
من قراءة النصوص يبدو و كأن هناك كيانان مستقلان : الملك و كاؤه .

فى كل هذه الأمثلة السابقة يبدو أن كلمة "قرين" هى الترجمة الأنسب .

تنبع تلك الفكرة من هوية الملك باعتباره رمزا للاله الخالق و لازدواجية الجسد و الروح .

باعادة تكرار ما حدث عند نشأة الكون من تحولات , تنبعث روح الملك من جسده على هيئة صورة منه , كما يورث الأب صورته و صفاته الى ابنه , و لذلك فان ال "كا" التى تنبعث من الجسد الميت تعتبرقرينا له .

و العكس صحيح , فالجسد المادى يعتبر صورة أو نسخة من الروح أى قرين لها .



(أذرع ال "كا" ترفع قرص الشمس الذى يقف فوق مفتاح الحياة , و الذى يقف بدوره فوق عامود ال "دجد")

تستخدم كلمة "كا" فى سياق متون الأهرام استخداما مزدوجا , فهى تشير أحيانا الى جسد الملك

الراقد فى ال "دوات" (العالم السفلى) , و أحيان أخرى تشير الى روح الملك أثناء طوافها فى أبعاد الكون . يتوقف المعنى المقصود على سياق النص و الذى يفترض أن قدماء المصريين كانوا أدرى به منا . و فى أغلب النصوص , نجد أن المقصود هو روح الملك .

باختصار , ان مفهوم ال "كا" يعبر بدقة عن الهيئة أو الصورة الكونية للملك التى ترتحل فى ال "دوات" و ال "آخت" و حقول الايارو و السماء و تدخل الى باطن الأرض لتزور جسدها الراقد وسط مياه الأزل و هى المصدر الذى خلق منه الكون , ثم تعيد الطواف مرارا .

ان الصورة التى تصفها متون الأهرام هى صورة روح الكون الأزلى التى ترتحل بايقاع منتظم بين أبعاد الكون الحالى و تمدها بطاقة الحياة , و تستمر هكذا تعيد تكرار قصة الخلق الى الأبد .

و بعد أن أوضحنا المفاهيم الأساسية التى تتعلق بمتون الأهرام , ننتقل الآن الى مناقشة كيف تعمل كل هذه المفاهيم معا .

<u>الملك أوزيريس :-</u>

لا يوجد نص واحد فى متون الأهرام يكشف عن جوهر المتون كلها .

و لكن هناك نصوص عديدة متنوعة تركز على جانب أو أكثر من جوانب التكرار الأبدى لقصة الخلق . و لكى نستطيع تكوين صورة عامة لمتون الأهرام علينا ان ننتقى نصوصا معينة و نضعها مع مثيلاتها حسب ترتيب أحداث قصة الخلق .

قد يعتبر البعض ذلك تحيزا لفكرة مسبقة , و لكن على الأقل قد تساعدنا هذه الطريقة فى اختبار مدى منطقية الفكرة التى أطرحها و هى أن مختلف عناصر الخلق (سواء عناصر أرضية أو شمسية أو نجمية أو قمرية) تتكامل جميعا داخل سياق واحد هو سياق قصة الخلق و اعادة تكرارها .

و نقطة البداية الطبيعية هى موت الملك , و الذى تتعامل معه متون الأهرام باعتباره حدث أسطورى حيث تنظر لموت الملك على أنه هو نفسه موت أوزيريس .

و لأسطورة موت أوزيريس عدة معالجات فى متون الأهرام . و لكن الفكرة الرئيسية التى تتكرر فى كل المعالجات هى فكرة وجود قوى الشر أو بمعنى أدق الفوضى التى تتسبب فى تمزق الجسد

و تحلله .

يتوقف هجوم قوى الفوضى حين تقوم أيزيس و نفتيس بالعثور على الجسد الراقد فوق جنبه الأيسر فترتفع أصواتهما بالنحيب .

و اليك أيها القارئ على سبيل المثال هذا النص من نصوص الأهرام و هو يرتل بجوار جسد الملك المتوفى فى المراحل الأولى من عملية التحنيط :-

** ها قد أتتك ايزيس من الغرب و هى تنتحب ... ها قد أتتك نفتيس من الشرق و هى على هيئة حدأه ... عثرت ايزيس و نفتيس على جسد أوزيريس و قد طرحه ست أرضا فى مدينة "نديت" , و عند ذلك قال أوزيريس "اذهبا عنى" و صار اسمه سوكر .... لقد حالت ايزيس و نفتيس دون تحلل جسدك يا أوزيريس , و عندها صار اسمك أنوبيس .... لقد حالت ايزيس و نفتيس دون تعفن جسدك و تفتته و ذوبانه فى الأرض .... لقد حالت ايزيس و نفتيس دون انبعاث رائحة كريهة من جسدك **

ان بعث الملك فى مصر القديمة ليس شيئا يحدث بطريقة أوتوماتيكية , و انما يحدث نتيجة طقوس يقوم بها الكهنة تهدف الى استحضار البعث الأزلى لأوزيريس . و أهم جزء فى هذه الطقوس هو تحنيط الجسد . أما موت الملك , فيتم التعبير عنه بمصطلحات أسطورية مثل اعادة تجميع أجزاء جسد أوزيريس الذى انتابته حالة من التمزق .

كانت عملية تجميع أجزاء جسد الملك (أوزيريس) حدثا محوريا فى متون الأهرام .

و عادة ما يقوم الملك بنفسه بذلك ليعيد تكرار ما قام به الاله الذى خلق نفسه بنفسه فى الأزل .

و أحيانا ما يقوم بذلك ابنه حورس و هو روحه و نسخة طبق الأصل منه .

و فى بعض الأحيان قد تقوم بذلك أخته ايزيس أو أمه نوت أو أبوه جب .

و على القارئ أن يتخيل الكاهن – الذى يقوم بدور حورس - و هو يرتل هذا النص من نصوص الأهرام على جثمان الملك المتوفى فى بداية طقوس التحنيط :-

** استيقظ من أجلى يا أبى ... استيقظ من أجلى يا أوزيريس , لأنى أنا ابنك بحق ... أنا حورس , جئتك لكى أطهرك , و لكى أعيدك للحياة , و لكى أجمع عظامك و لحمك , و لأجمع أشلاءك **

ينظر الى اعادة جمع أجزاء جسد أوزيريس أيضا على أنه حشد للكيانات الالهية .

هناك العديد من النصوص التى ذكرت أن الكيانات الالهية قد حشدت أمام أوزيريس , و عادة ما يضطلع حورس بمهمة الحشد .

و هنا نفهم ضمنيا أن حشد الكيانات الالهية يتزامن مع جمع أجزاء جسد أوزيريس أو ربما كان الحشد الالهى مصطلح آخر للتعبير عن فكرة جمع أجزاء جسد أوزيريس .

يتضح ذلك من النص رقم 562 من متون الأهرام و الذى يقول :-

** أيها الاله (أوزيريس) , ان جسدك هو هذا الملك الراقد .... أيها ال "نترو" (الكيانات الالهية) , ان أجسادكم هى هذا الملك الراقد **

و حسب فرضية الخلق من الأرض التى أطرحها فى هذا الكتاب , ترمز اعادة جمع اجزاء جسد أوزيريس الى اعادة جمع عناصر الكون القديم الذى انهدم , كما يرمز تحنيط جسد الملك لنفس الفكرة . لذلك كانت مومياء الملك المتوفى فى نظر قدماء المصريين رمزا للكون الأزلى , أو رمز لاعادة جمع عناصر الكون الأزلى و هى الأرض و الماء .

بعد الانتهاء من تجهيز المومياء , كانت تخضع للمزيد من الطقوس لاعادتها للحياة .

و من أهم هذه الطقوس التى تستحق الاهتمام , الطقوس الأربعة الآتية :-

- طقس تقديم الماء
- طقس تقديم القرابين
- طقس تقديم العين (أو العينين)
- طقس فتح الفم و العين (أو العينين)

و أثناء اقامة ثلاثة من هذه الطقوس (أو ربما أثناء الطقوس الأربعة) , يحث الكاهن الذى يقوم بالطقس أوزيريس على أن يلف جسده و يتحول من الرقود فوق جنبه الأيسر (رمز الموت) الى الرقود فوق جنبه الأيمن (رمز الحياة) . و لنا أن نتخيل بالطبع أن الكهنة كانوا يقومون أثناء الطقس بلف المومياء فى محاكاة لأحداث الأسطورة .

ذكرت متون الأهرام طقس تقديم الماء للملك (أوزيريس) . و من العبارات التى تكررت أكثر من

مرة فى متون الأهرام هذه العبارة التى تخاطب المومياء قائلة : أقدم لك ماءك , أقدم لك فيضانك .

و قد يضاف اليها أحيانا عبارة : أقدم لك السوائل التى سالت من جسد أوزيريس .

و أيضا عبارة : أقدم لك اللبن الذى فى صدر أمك ايزيس .

و فى النص رقم 33 من متون الأهرام نجد وصفا لطقس تقديم الماء , و علينا أن نتخيل أن الكاهن المحنط كان يقوم بتقديم أوانى من الماء النقى لمومياء الملك :-

** أيها الملك , تقبل هذا الماء البارد ... لقد أثلج حورس صدرك , و لذلك كان من أسماءك "الذى خلق من الماء البارد" ... خذ اليك هذه السوائل التى سالت من جسدك ... لقد حشد حورس ال "نترو" (الكيانات الالهية) من أجلك فى المكان الذى وافتك فيه المنية ... لقد حشد حورس أبناءه (أبناء حورس الأربعة) لتجتمع فى المكان الذى غرقت فيه .... أيها الملك (أوزيريس) , لقد جعلتك أمك نوت الها ... أنت اليافع دائما , و لذلك فاسمك هو الماء الطهور **

من النص السابق , يتضح لنا مغزى طقس تقديم الماء .

فالماء المقصود هنا هو الفيضان الأزلى الذى سال من جسد أوزيريس , و هو نفسه الفيضان الذى غرق فيه أوزيريس , و الذى عاد و انتشل منه فصار هو حورس .

بتقديم هذه المياه الأزلية للملك (أوزيريس) يقوم الكاهن بتطهير جسد أوزيريس و اثلاج صدره , و فى نفس الوقت يقدم له عنصرا رئيسيا من عناصر خلق الكون .

من هذه المياه , سيقوم أوزيريس (الذى يتجسد فى الملك) بخلق البحار و الأنهار و ينابيع الماء على الأرض و أيضا خلق المحيط العظيم فى السماء .

و الطقس الثانى الذى يجرى للمومياء هو طقس تقديم القرابين , و الذى يلعب فيه رقم ألف دورا رئيسيا , حيث من المعتاد أن نقرأ فى صيغ القرابين "ألف رغيف , و ألف وعاء جعة , و ألف رأس ماشية" . كل هذه القرابين و غيرها ترمز لعين حورس التى يقال أنها تحمل بداخلها كل ما يخرج من الأرض . كل القرابين يتم اختيارها من عالم الانسان , و لكن الكاهن يقوم بتحويلها من خلال الطقوس الى صورتها الأولية , أى أنه يقدم الجوهر الروحى الكامن فيها و ليس الشكل المادى الخارجى . و عند تقديم هذا الجوهر الروحى الى الملك (أوزيريس) تعود اليه الحياة .

جاء فى متون الأهرام :-

** انهض أيها الملك ... و تناول مياهك .... اجمع عظامك ..... انهض و تلقى خبزك الذى لا يتعفن , و جعتك التى لا تفسد ... لكى تقتات روحك , و تمتلك القدرة , و تعود قويا من جديد **

يعود أصل القرابين الى أسطورة العين . تقول الأسطورة أن أوزيريس حين مات , قام "ست" (رمز الفوضى) بسرقة العين , لكن حورس استردها و أعادها الى أوزيريس .

و تقديم القرابين (باعتبارها رمزا للعين) لأوزيريس يعنى الانتصار على "ست" , رمز قوى الفوضى . و بذلك يمكن لعملية الخلق أن تبدأ بدون أن تعوقها قوى الفوضى الكونية .

و بالاضافة الى علاقتها بالعين , ترمز القرابين أيضا لطاقة الأرض الأزلية .

يتضح لنا ذلك من النص رقم 49 من متون الأهرام و الذى يقول :-

** أيها "الملك – أوزيريس" , تناول الخميرة التى انبثقت منك ... خذ اليك هذا الوعاء من الجعة المصنوع من حجر ال "منو" **

نستشف من النص السابق أن الجعة أو بالأحرى مكونات الجعة سالت من جسد أوزيريس , الذى يمثل الأرض و المياه الأزلية .

أى أن القربان يعيد الى الاله مرة أخرى ما انبثق منه فى بدء الخليقة .

و نفس الفكرة تنطبق على القرابين الأخرى كالخبز و الزيوت العطرية و الألاباستر و القماش و رؤوس الماشية .

و الفكرة كلها تدور حول تقديم عينات من كل ما تنتجه الأرض لمومياء الملك (أوزيريس) لكى تتمكن من اعادة تدوير عناصر الخلق الأزلية .

أما الطقس الثالث , فهو طقس تقديم العين (أو العينين) , و نجد وصفا له فى النص رقم 80 من متون الأهرام , حيث يقترب الكاهن من المومياء ممسكا بوعاء من الكحل الأسود قائلا :-

** يا حورس .. الذى يتجسد فى هذ الملك (أوزيريس) , خذ اليك عين حورس السليمة .... ها أنذا أرسمها على وجهك , كما رسم حورس عينه السليمة .... أيها الملك , ها أنذا أثبت العين السليمة فى

وجهك , لكى ترى بها , و أرسمها بوعاء الكحل الأسود **

يعتبر هذا الطقس محاكاة لأحد أهم الأساطير فى مصر القديمة .

تقول الأسطورة أن ست سرق العين من أوزيريس و حاول تدميرها , و لكن حورس استردها و أعادها سليمة الى أوزيريس .

ترمز هذه العين الى الربة العظيمة (الأم الكونية) , و هى التى تضمن لأوزيريس البعث من جديد .

و كما قلنا من قبل , ترمز العين أيضا للقرابين , و هى كل من ينتج من الأرض .

باعادة العين الى أوزيريس , أعاد حورس له الطاقة التى يحتاجها لكى يخلق ذاته من جديد و يعيد خلق الكون . لذلك يقال أن العين تكمل أوزيريس (الملك) , و تطهره , و تمنحه القوة , و تحميه , و تعيد اليه الروح .

ان تقديم قربان العين يجعل الملك (أوزيريس) يرى بعينيه الاثنتين . و حين يفتحهما , يذهب نورهما الظلام .

يتم رسم العينين (اللتين يتلقاهما الملك – أوزيريس من حورس أو جب) عادة على وجه المومياء .

و لكن هناك نص واحد فقط ذكر وضع العينين فوق أقدام الملك لكى ترشده الى حورس , الى "كبحو" (السماء) , الى الاله العظيم .

كما ترمز العينان أيضا الى الشمس و القمر . أى أن هذا الطقس يعبر عن شروع أوزيريس فى خلق السماء .

و الطقس الرابع هو طقس فتح الفم و العين .

جاء وصف هذا الطقس فى النص رقم 20 و 21 من متون الأهرام .

و لنتخيل معا الكاهن و هو يقترب من المومياء و يلمس الفم و العين بأداة حديدية تشبه القادوم مرتلا هذه العبارات :-

** أيها الملك ... لقد جئت بحثا عنك , أنا حورس ... ها أنذا أطرق فوق فمك ... هأنذا أفتح فمك **

*** ها أنذا أفتح فمك .... ها أنذا أفتح عينك .... ها أنذا أفتح فمك بقادوم "ويبواويت" (فاتح الطرق)

** افتح فم الملك , يا حورس .... "نترو" (الكيانات الالهية) بالقادوم الحديدى الذى يفتح أفواه ال ,

و فتح الفم هو طقس يجرى على يد حورس أو على يد أبناء حورس الأربعة , و يهدف لاعادة الملك للحياة , و جعله يتنفس و يتكلم فى العالم الآخر .

يخبرنا النص رقم 21 من متون الأهرام أن هذ الطقس هو محاكاة لحدث أسطورى وقع عند بدء الخليقة تم فيه فتح فم أوزيريس , و فتح أفواه ال "نترو" (الكيانات الالهية) .

و فى الفصل التالى سنناقش مغزى هذا الطقس من وجهة نظر ديانة النشأة .



(من مقبرة الملك توت عنخ آمون : مشهد يصور طقس فتح الفم)

و فتح العين هو أيضا طقس يجرى على يد حورس , و يهدف لمنح الملك القدرة على الرؤية بنور الشمس و القمر فى العالم الآخر .

يبدأ الطقس بما يعرف ب "فتح العين الواحدة" و التى يطلق عليها (فاتحة الطرق) , و (التى تفتح طرق الاله) .

كل هذه الطقوس الأربعة (تقديم الماء – تقديم القرابين – تقديم العين – فتح العين و الفم) تتمركز كلها حول عامل مشترك واحد , و هو العين .

فى كل هذه الطقوس نجد أن العين مرادفا للماء البارد الذى يثلج الصدر , و مرادفا للقرابين , و هى التى تنبثق منها العينان (الشمس و القمر) , و هى التى تفتح الفم .

و يقال أيضا أن الزيت العطرى الذى سال من العين قادر على أن يحيى عظام الملك و يعيد جمع أوصاله و لحمه .

و فى الفصل الثانى عشر سنناقش مغزى العين من وجهة نظر الكون الأرضى النشأة .

و بعد الانتهاء من كل هذه الطقوس , يتم رفع المومياء فى وضع رأسى كرمز لصعود ال "كا" الى السماء .

و هناك اشارة لذلك الطقس فى العديد من النصوص التى تحث الملك على النهوض قائلة :-

** أيها "الملك – أوزيريس" , لقد عادت لك الحياة مرة أخرى , و فتح فمك .... فانهض **

** استيقظ أيها الملك , و انهض ... انهض لكى تكون طاهرا , و لكى تكون كاءك طاهرة , و لكى تكون باءك (روحك) طاهرة , و لكى تكون قوتك (سخم) طاهرة **

*** أيها الملك , انهض , لكى يجعلك حورس روحا , و لكى يرشدك فى طريقك للسماء **

** قف أيها الملك فوق هذه الأرض التى انبثقت من آتوم , فهى اللعاب الذى سال من خبرى , و هى الموضع الذى أتى فيه خبرى للوجود ... قف لكى يراك أبوك ... قف لكى يراك "رع" **

وصف النص رقم 254 من متون الأهرام الملك أثناء نهوضه بأنه "عامود الجد الكحيل العين" و بأنه "ثور السماء" , و أنه "عامود كنزت" و "عامود النجوم" .

و هذه الأسماء جميعا تستحضر فكرة رفع السماء و خلق الشمس و القمر و النجوم .

و الغالبية العظمى من نصوص الأهرام تندرج تحت هذا الطقس , و هى جميعا موجهة للمومياء التى يتم رفعها فى وضع رأسى , و تحث الروح على أن تنبعث منها , و تنطلق فى كل أبعاد الكون الأكبر .

<u>الصعود من الأرض للسماء :-</u>

كيف يصعد الملك الذى بعث من جديد للسماء ؟

قلنا من قبل أن الملك يمكنه أن يصعد مباشرة من الأرض للسماء , أو أن يصعد عن طريق ال "آخت" (الأفق) و الذى يقع فى الجانب الشرقى من السماء .

فى الطريقة الأولى يسافر الملك عبر الهواء , و فى الطريقة الثانية يبحر الملك فى طرق مائية و قنوات وسط حقول و مستنقعات مستخدما قارب .

و سواء استخدم الملك الطريقة الأولى أو الثانية (كما وصفتهما النصوص) فان الرحلة هى عبارة عن اعادة تكرار أحداث قصة الخلق من الأرض , حيث يعبر انتقال الملك من الأرض للسماء عن فكرة نشأة الخلق من الأرض .

يفترض علماء المصريات أن الصعود المقصود فى هذا السياق هو صعود روح الملك من الأرض - حيث دفن جثمانه – الى السماء .

و لكن مغزى الصعود للسماء لا يتعلق بشخص الملك , و انما يتعلق بنشأة الكون .

فالصعود المقصود فى سياق متون الأهرام هو رمز اتساع الكون الجديد و نشأته من الكون القديم .

و من الجدير بالانتباه هنا أن الملك يتقمص شخصيتين , فهو من ناحية يقوم بدور التل الأزلى , و من ناحية أخرى يقوم بدور ال "آخت" (الأفق) .

جاء فى النص رقم 484 على لسان الملك :-

** أنا التل الأزلى فى وسط المحيط , و قد وضع "شو" (رب الهواء) الأرض تحت قدمى **

بينما تصف نصوصا أخرى الملك بأنه هو (ال "آخت" الذى يولد منه رع) .

يتضح لنا من كل ذلك أننا لسنا بصدد روح شخص عادى تصعد من مقبرة فى باطن الأرض الى السماء .

ان الملك هنا ليس بشرا , و انما هو قوة كونية تصعد من المقبرة التى تمثل الكون القديم الذى انهدم و مات . و يعتبر بعث الملك رمزا لبعث الكون و خلقه من جديد , و جسده الذى عاد للحياة هو التل الأزلى , و روحه التى انبعثت من جديد هى ال "آخت" .

سأعرض فيما يلى للأدلة التى ستجعل القارئ يحكم بنفسه على مصداقية هذه الفكرة .

سنبدأ اولا بالصعود المباشر من الأرض للسماء عبر الهواء , أما الابحار عبر القنوات المائية فيأتى

فى جزء لاحق من طواف الملك فى أبعاد الكون .

يبدأ الصعود المباشر من الأرض و يشمل اختراق الهواء للوصول الى السماء .

فى النص رقم 511 من متون الأهرام نقرأ هذه العبارات على لسان الملك :-

** حين أصعد للسماء , يضحك جب , و تصيح نوت من البهجة ... ترتعد السماء و ترتجف الأرض و تهب العاصفة من أجلى , و أنا أجأر مثل ست ..... يفتح حراس تلك المناطق من السماء البوابات من أجلى , و انا أقف فوق الهواء "شو" **

و يصف النص رقم 331 من متون الأهرام عبور الملك للفضاء الذى يفصل السماء عن الأرض , و فيه نقرأ هذه العبارات على لسان الملك :-

** ها أنذا أصعد للسماء فوق ال "شدشد" (shedshed) الذى فى الفضاء الذى يفصل السماء عن الأرض **

و ال "شدشد" هو علامة ارتبطت ب "ويبواويت" (فاتح الطرق) , سنتحدث عنها بالتفصيل لاحقا .

عبرت النصوص عن نفس الفكرة أيضا بصعود الكا فوق "شو" (رب الهواء) .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** لقد صعدت فوق "شو" , و تسلقت فوق أجنحة خبرى **

يصور النص صعود الملك بأنه طيران فوق أجنحة "خبرى" , رمز الاله الذى خلق نفسه بنفسه .

و تصف نصوص أخرى الملك بأنه يصعد للسماء على هيئة طائر أو جرادة .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** لقد حلقت فى السماء كطائر البلشون (مالك الحزين) . لقد اقتربت من السماء فى هيئة صقر و قبلتها ... لقد وصلت للسماء على هيئة جرادة **

و يقوا نص آخر :-

** لقد صعد الملك على هيئة طائر سنونو , و حلق على هيئة صقر **

** يحلق الملك فى السماء كصقر مقدس ... يرتفع الملك فى السماء كطائر مالك الحزين .... يطير الملك لأعلى كأوزة برية .... أجنحة الملك كأجنحة صقر مقدس .... و ريش أجنحته كريش صقر

مقدس **

و تقدم لنا متون الأهرام طريقة أخرى للصعود الى السماء , حيث يصعد الملك وسط عاصفة هائلة .

على سبيل المثال , يقول احد النصوص :-

** الملك – أوزيريس وسط عاصفة رملية .... يصعد الملك للسماء فوق الرياح **

و فى نص آخر :-

** لقد أخذتنى العاصفة للسماء , و رفعتنى ل "رع" **

كما تصف النصوص أيضا صعود الملك بطريقة أكثر هدوءا من العاصفة , حيث يصعد الملك للسماء وسط السحب الغائمة أو وسط الدخان المتصاعد من المبخرة .

و يمكن للملك أيضا أن يصعد فوق خيوط النور الأزلى الذى يملأ الهواء .

يقول النص رقم 508 من متون الأهرام على لسان الملك :-

** ها أنذا يا "رع" أصعد لمكانى فى السماء .... لقد جعلت من نورك معراجا أضع فوقه قدمى , و سأصعد فوقه الى أمى السماوية **

اقترن المعراج السماوى أحيانا بفكرة اختراق الهواء على هيئة طائر .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** لقد وضع من أجلى معراجا , لأصعد فوقه الى السماء .... أنا أصعد وسط الدخان الذى يفوح من البخور ... أنا أصعد على هيئة طائر , و أحط على هيئة جعران **

و يمكن للملك أن يصعد للسماء أيضا باستخدام سلم مصنوع من الخشب أو الحبال .

و فى ثلاثة مواضع من متون الأهرام نجد أن السلم يستخدم للصعود من الجانب الشرقى للسماء .

و لكنه فى المواضع الأخرى يستخدم للصعود مباشرة من الأرض للسماء بدون تحديد موضع الصعود بالجانب الشرقى من السماء .

كما يتضح لنا من قراءة النص رقم 333 من متون الأهرام و الذى يقول على لسان الملك :-

** لقد تطهرت فوق تل الأرض الذى تطهر فوقه "رع" فى الأزل ... لقد وضعت سلما و صعدت فوقه , و أمسك سكان أرض الغرب (أمنتت) بيدى **

ان المعراج أو السلم هو وسيلة للصعود للسماء عبر الهواء .

و فى بعض النصوص نقرأ أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) قد اجتمعوا معا أو احتشدوا و صنعوا معراجا ليصعد فوقه الملك .

كما تعبر النصوص عن نفس المعنى أحيانا ب "جمع المدن الأزلية" أو "جمع تلال الأرض" .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** لقد أحضرت ال "نترو" التى فى السماء من أجلك ... و جمعت ال "نترو" التى فى الأرض من أجلك .... و قد احتشدوا جميعا و وضعوا أيديهم تحت قدمك , و صنعوا لك معراجا لتصعد فوقه الى السماء ... لقد جمع آتوم المدن الأزلية من أجلك .. و وهبك مدن "جب" و تلال حورس و تلال ست , و حقول الايارو (البوص) **

و من الجدير بالذكر أن اثنين من النصوص وصفا السماء نفسها بأنها معراج , و كأن النص يستحضر اللحظة الأزلية التى انفصلت فيها السماء عن الأرض الأزلية و عن المياه الأزلية و ارتفعت . يقول النص الأول :-

** لقد جاءتك أرواح بوتو ... لقد جاءتك أرواح نخن .... ال "نترو" الذين فى السماء , و ال "نترو" الذين فى الأرض .... و قد رفعوك على أذرعهم لكى تصعد الى السماء , و اسمها المعراج **

و يقول النص الثانى :-

** يصعد الملك الى السماء ليصير نجما وسط النجوم التى لا تأفل ... قوته من فوقه , و جلاله يحيط به , و سحره تحت قدميه ... يذهب لأمه نوت , و يصعد فوقها , و اسمها المعراج **

<u>الملك يصبح هو كل أجزاء الكون :-</u>

كان الهدف من الطقوس التى تجرى على مومياء الملك هو بعث الروح من الجسد و اطلاقها لتطوف فى أرجاء الكون .

و لذلك كان الكهنة المحنطون يقدمون له قربانا من الماء كرمز للفيضان الذى تدفق من جسد أوزيريس فى الزمن الأول .

و طبقا لقصة الخلق , كان على الملك أن يستخدم هذه المياه فى رى الأرض الجديدة التى خلقت للتو , و فى خلق المحيط السماوى . و نجد وصفا لهذه المهمة الملكية فى النص رقم 271 من نصوص الأهرام , و الذى يقول على لسان الملك :-

** لقد سقيت الأرض التى ظهرت من البحيرة **

أما النص رقم 685 من متون الأهرام , فنقرأ فيه أن بعث الملك من جديد يتزامن مع انفصال ماء الأرض عن ماء السماء . يقول النص :-

** انفصل ماء الحياة الذى فى السماء عن ماء الحياة الذى فى الأرض ... و اشتعلت السماء باللهيب من أجلك ... و ارتجفت الأرض من الخشوع عند مولد الملك ... ها قد أتى الملك للوجود **

يستمر النص فيخاطب الملك باعتباره "شو" , الاله الذى رفع المياه السماوية .

يقول النص موجها الحديث للملك :-

** سترفع السماء بذراعيك ... و ستضع الأرض تحت قدميك **

نستشف من النص أن الملك سيستخدم ضغط الهواء "شو" ليرفع ماء الفيضان و يخلق منه المحيط السماوى . و قد وصفت متون التوابيت ذلك الحدث بشكل أوضح , و جعلت موضع الفيضان عند البوابة الشرقية للسماء , و قالت أن مياه الفيضان التى تدفقت من جسد المتوفى (أوزيريس) صارت هى ال "كبحو" أى ماء السماء عندما فتحت بوابة ال "آخت" .

و فى متون الأهرام , نقرأ على لسان الملك :-

** ان مياهى فى السماء , و ذريتى فى الأرض **

** ان مياهى كنبيذ "رع" , و أنا أطوف السماء مثل "رع" **

و بعد خلق المحيط السماوى كعالم حى , يتجلى الملك - أو بمعنى أدق تتجلى "كا" الملك - فى كل منطقة منها ككيان نورانى عظيم ينعكس فى صورة النجوم و الشمس و القمر .

و كل ما ينسب للملك من أفعال فى هذا السياق هو بالطبع اعادة تكرار لما قام به الاله فى الزمن الأول حين خلق هذه الأجرام السماوية .

و هناك المزيد من الأدلة على أن كل ما يقوم به الملك فى رحلته فى العالم الآخر هو تكرار لأحداث

قصة الخلق .

سنبدأ بالنصوص التى يتحول فيها الملك الى الشمس و القمر , ثم ننتقل الى النصوص التى يتحول فيها الملك الى النجوم بوجه عام أو الى نجم محدد .

يصف النص رقم 210 من متون الأهرام الملك بأنه هو الشمس و القمر معا , حيث يطوف السماء كما يفعل "رع" (رب الشمس) و "تحوت" (رب القمر) . يقول النص :-

** أيها الرفيقان , اللذان يقطعان السماء .. يا رع , و يا تحوت ... اصطحبانى معكما .. لأبحر فى ذلك القارب الذى تبحران فيه .. أنا أطوف السماء مثل رع ... أنا أقطع السماء مثل تحوت **

يعتبر ذلك نصا فريدا و غير معتاد فى الكتب الدينية المصرية , حيث المعتاد أن يصور الملك عادة اما فى صورة الشمس أو فى صورة القمر . و من النادر أن يجمع بينهما .

فهناك على الأقل تسعة نصوص وصفت الملك بأنه رع أو مثل رع , و فى ست منها يقوم بدور القبطان أو قائد القارب السماوى .

يقول أحد هذه النصوص مخاطبا الملك :-

** اصعد على متن قارب "رع" الذى تتوق ال "نترو" الى الاقتراب منه , و الذى يبحر فيه رع الى ال "آخت" .. اصعد الى متن القارب فى هيئة "رع" ... اجلس على عرش رع , لكى تصدر الأوامر للنترو , لأنك أنت "رع" الذى ولد من "نوت" التى تلد رع كل يوم , و أنت تولد من جديد كل يوم مثل رع **

و فى اثنين من النصوص يظهر الملك على هيئة عين "رع" اليمنى التى تتجلى فى الشمس .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** يا رع ... أنا أنت , و أنت أنا ... أنا عينك التى بين قرنى حتحور .. أنا أمضى الليل فى العالم السفلى , و أعود و أولد من جديد كل يوم **

و يظهر الملك فى هيئة القمر فى واحد فقط من النصوص , حيث تتجلى عين رع اليسرى فى القمر . و فيه نقرأ :-

** لتمنحك السماء مددا من النور .... و لتصعد الى السماء فى هيئة عين رع .. و لتقف بجوار عين

حورس اليسرى ***

و بالنسبة للنجوم , نجد أن نصوص الأهرام قد تشبه الملك أحيانا بالنجوم بوجه عام و أحيان أخرى بنجم محدد .

وصف اثنان من نصوص الأهرام الملك بأنه النجوم جمعاء .

فالنص رقم 684 من متون الأهرام يصف الملك بأنه يحاكى أوزيريس حين صار هو النجوم التى لا تأفل , يقول النص :-

** يصعد الملك للسماء حين تصعد يا أوزيريس .. فكلمته و كاؤه قد توجها نحو السماء ... ان عظام الملك هى الحديد , و أوصاله هى النجوم التى لا تأفل **

أما النص رقم 723 من متون الأهرام , فهو يصف حياة الملك فى العالم الآخر بأنها حياة النجوم . يقول النص :-

** انهض أيها الملك فوق عظامك الحديدية و أوصالك الذهبية ... ان الحرارة التى فى فمك هى الأنفاس التى خرجت من أنف ست ... ستحرم السماء من النجوم , اذا نقصت تلك الحرارة التى فى فمك ... ليولد جسدك من جديد ... و لتكن حياتك أطول من حياة النجوم **

تذكرنا هذه النصوص بأحداث قصة الخلق التى تتحدث عن حشد الكيانات الالهية التى تتجلى فى أجزاء جسد أوزيريس الذى يقوم الملك بدوره .

تنبعث أرواح الكيانات الالهية من جسد أوزيريس و تصير هى نجوم السماء .

تقول متون الأهرام أيضا أن الملك يرث كل النجوم .

جاء فى النص رقم 576 أن (نوت تقوم باحضار السماء للملك و تعلق النجوم أمامه) .

و فى النص رقم 510 , يقول الملك :-

** أنا أمتلك السماء , و أعمدتها , و نجومها **

لا يقتصر الأمر على وصف الملك بأنه قد تحول الى نجوم السماء كلها , و انما قد يوصف بأنه تحول الى نجم محدد من نجوم السماء .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** أنا أتجلى فى هذه النجمة التى تتلألأ فوق بطن "نوت" (السماء) **

** أنا النجمة التى ينحنى لها ال "نترو" (الكيانات الالهية) , و التى يرتعد أمامها التاسوعان من الخشوع **

** أنا النجمة التى تضئ السماء **

** تحول الملك الى نجم فى السماء وسط ال "نترو" **

** يصعد الملك الى السماء ليحيا بين النجوم التى لا تأفل **

** اصعد أيها الملك الى السماء , و تبوأ مقعدك بين النجوم **

** أنت تنتمى الى النجوم التى تحيط ب "رع" و التى تظهر قبل نجمة الصباح **

** أيها الملك , أنت تنتمى الى مجموعة نجوم ال "نخخو" التى تتبع نجمة الصباح **

هناك أكثر من 12 نص فى متون الأهرام تتحدث عن تحول الملك الى نجمة أو مجموعة نجوم فى السماء . بالاضافة الى حوالى 12 نص آخر تصف الملك بأنه يجدف لقارب رع أثناء رحلته فى السماء .

و من أمثلة هذه النصوص :-

** لقد أمسكت بمجدافى من أجلك , و اتخذت مقعدى , و جلست فى مقدمة قارب التاسوعين .

أنا اجدف ل "رع" فى اتجاه الغرب ... أنا نجم ال "نخخ" و رفيقه .. لقد صرت أنا النجم "نخخ" **

و فى مثال آخر نقرأ :-

** تطهر أيها الملك , و تبوأ مقعدك فى قارب "رع" ... أبحر بالقارب فوق السماء و اصعد فى أعاليها ... أبحر مع النجوم التى لا تغيب ... أبحر مع النجوم التى لا يصيبها الوهن **

يظهر الملك فى هذه النصوص فى صورة نجم يقطع السماء من الشرق الى الغرب متبعا مسار رع

توصف هذه النجوم بأنها لا تأفل أو لا تموت لأنها تعود دائما و تولد من جديد بعد اختفائها .

يمكن للملك أيضا أن يتحول الى نجمة من النجوم القطبية الشمالية , و هى النجوم التى لا تختفى تحت خط الأفق .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** أنا مقيم دائما مع الأرباب التى فى السماء الشمالية , و هى النجوم التى لا تغيب **

** لتذهب أيها الملك الى الأرباب التى فى السماء الشمالية , الى النجوم التى لا تأفل ... ستجعلنى قاضيا بين الأرواح , بين النجوم التى لا تأفل , التى فى السماء الشمالية **

هذا بالاضافة الى العديد من النصوص الأخرى التى تحمل ضمنيا معنى تحول الملك الى النجوم الشمالية .

و يمكن للملك أيضا أن يتحول الى نجم يحمل اسما محددا . و نلاحظ أن النصوص تركز على ثلاثة نجوم ترمز حركتها فى الأفق الشرقى لأسطورة الثالوث (الأب و الأم و الابن)

و هذه النجوم هى "ساح" الذى يلقب ب "أبو الكيانات الالهية" و الذى ربط قدماء المصرين بينه و بين أوزيريس , و النجمة "سوبدت" التى ربط قدماء المصريين بينها و بين ايزيس , و "نتر – دواو" (نجمة الصباح) التى ربط قدماء المصريين بينها و بين حورس ابن ايزيس .

"ساح" هو مجموعة نجوم أوريون , و ربما كان يرمز فى الأصل الى النجم سهيل .

و سوبدت هى نجم "زيريوس" (الشعرى) , أما "نتر - دواو" فهى كوكب فينوس , و الذى يطلق عليه نجمة الصباح .

نحن هنا بصدد أحد الأمثلة التقليدية على استخدام قدماء المصريين للرموز الفلكية .

فى كل عام يختفى النجم ساح (النجم سهيل) تحت خط الأفق و يغيب عن الأنظار لحوالى سبعين يوما . و قد استخدم قدماء المصريين اختفاء النجم سهيل تحت خط الأفق كرمز لموت أوزيريس .

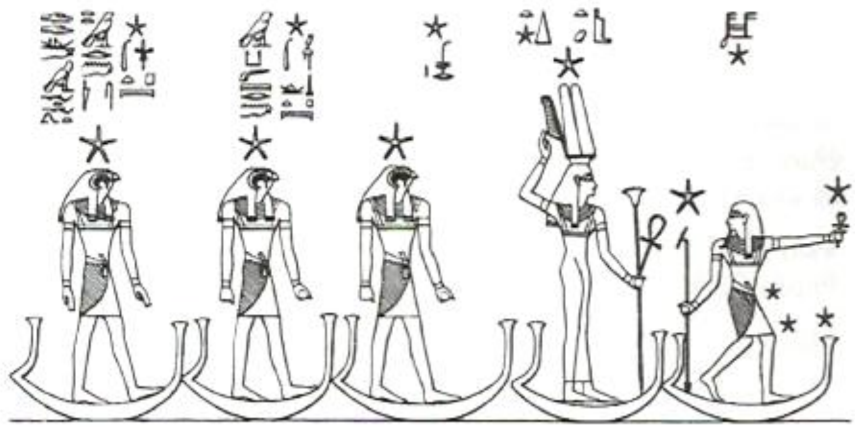
و بعد اختفاء النجم "ساح" (سهيل) مباشرة تختفى النجمة "سوبدت" (الشعرى) تحت خط الأفق و تنزل للعالم السفلى بحثا عن رفيقها "ساح" .

و بعد أن تمضى "سوبدت" سبعين يوما فى العالم السفلى , تحدث المعجزة و تعود و تظهر فى الأفق الشرقى و خلفها النجم "ساح" (سهيل) حيث ترمز هذه العودة لبعث أوزيريس من جديد .

أما كوكب فينوس (نجمة الصباح) الذى يظهر فى الأفق الشرقى من السماء كل صباح , فهو علامة ميلاد حورس الذى يعتبر روح أوزيريس .

و هكذا كان ظهور هذه النجوم الثلاثة فى الأفق الشرقى من السماء يعتبر اعادة تكرار لأحداث

قصة الخلق .



من سقف مقبرة الملك سيتى الأول بوادى الملوك : النجم ساح (أوزيريس) يقطع السماء , تتبعه النجمة "سوبدت" (الشعرى) و ثلاث نجمات أخرى .

و لما كان ملك مصر فى الغالب ذكرا , لذلك كان من المتوقع أن تشبهه متون الأهرام بالكيانات النجمية المذكرة فى هذا الثالوث , و هما الأب (ساح) و الابن (نتر- دواو) .

عند تشبيه الملك بالأب (ساح) , يصبح هو أوزيريس فى هيئته الروحانية النجمية .

و عند تشبيهه بالابن (نتر- دواو) , يصبح هو حورس ابن ايزيس , الذى يعتبر روح أوزيريس .

و النصوص لا تذكر هوية الملك باعتباره "ساح" بشكل مباشر , و انما بشكل ضمنى , حيث تقول أن الملك يصعد الى السماء فى هيئة رفيق "سوبدت" و أبو "نتر- دواو" (سوبدت هى أخته , و نجمة الصباح هى ذريته) .

و لما كان النجم "ساح" هو رفيق "سوبدت" و أبو "نتر - دواو" , يتضح على الفور أن الملك هو "ساح" .

كما جاء أيضا فى النص رقم 412 من متون الأهرام أن (الملك يصل للسماء على هيئة ساح) .

و فى النص رقم 690 من متون الأهرام , نقرأ أن (السماء تلد الملك مثل ساح) .

يتقمص الملك شخصية "نتر - دواو" (نجم الصباح / فينوس) , فى ستة من النصوص .

جاء فى اثنين منها أن "رع" يجعل الملك نجم الصباح وسط حقول الايارو . و فى الأربعة نصوص الأخرى يوصف الملك بأنه يصعد للسماء فى صورة نجم الصباح .

و من أمثلة هذه النصوص :-

** لقد جعلك "رع" نجم الصباح (نتر - دواو) وسط حقول الايارو . و قد فتحت لك بوابة السماء التى فى ال "آخت" (الأفق) ... و ابتهجت ال "نترو" (الكيانات الالهية) للقاءك و أنت فى هيئة النجم الذى يعبر المحيط السماوى فوق بطن نوت **

** السماء تبكى عليك ... و الأرض ترجف من أجلك ... تدب قدماك , و يتحرك ذراعاك حين تصعد الى السماء فى هيئة نجم الصباح "نتر - دواو" **

و هناك العديد من النصوص الأخرى التى تحمل ضمنيا معنى تحول الملك الى نجم الصباح .

على سبيل المثال , يقول النص رقم 216 من متون الأهرام أن الملك هو النجم الذى يختفى فى ال "دوات" (العالم السفلى) مع ساح و سوبدت .

و يقول النص رقم 442 من متون الأهرام أن الملك هو النجم الذى يصعد و يهبط مع كل من ساح و سوبدت , كثالث أضلاع الثالوث .

و يقول النص رقم 699 من متون الأهرام أن الملك هو النجم الذى يعبر السماء برفقة أبيه "ساح" .

و يقول النص رقم 466 من متون الأهرام أن الملك هو"النجم العظيم" (بصيغة المذكر) , الذى يرافق "ساح" :-

** أيها الملك .. أنت النجم العظيم (سبا - ور) , رفيق "ساح" , الذى يعبر السماء برفقة "ساح" الذى يبحر فى ال "دوات" مع أوزيريس ... ها أنت تصعد فى الأفق الشرقى , و تولد من جديد فى أوانك , و تجدد طاقتك فى موعدك ... لقد حملت بك السماء مع "ساح" **

و من الملاحظ أن متون الأهرام لم تشبه الملك فى أى نص من نصوصها بالنجمة "سوبدت"

(ايزيس/ الشعرى) . و ربما يرجع السبب فى ذلك أن الملك مذكر و نجمة "سوبدت" دائما مؤنثه (و نفس المبدأ ينطبق على "نوت" , التى لم يتقمص الملك شخصيتها) .

و فى نفس الوقت نلاحظ أن قدماء المصريين كانوا يشيرون الى الاله الخالق بالضمير هو أو هى على السواء , و من الممكن أن يحمل الملك أيضا نفس الهوية المزدوجة باعتباره صورة من الاله الخالق . على سبيل المثال , جاء فى النص رقم 412 من متون الأهرام :-

** ستصل أيها الملك الى السماء فى صورة ساح , و ستكتسب روحك القدرة و هى على صورة "سوبدت" **

يشير هذا النص الى القوة الكونية المؤنثة الكامنة فى روح الملك .

علاوة على ذلك , قد يعنى ميلاد الملك من جديد فى صورة ابن سوبدت ضمنيا تحوله الى سوبدت نفسها . لذلك نقرأ فى النص رقم 302 من متون الأهرام على لسان الملك :-

** لقد أصبحت السماء صافية ... و سوبدت تحيا , لأنى أنا أحيا , أنا ابن سوبدت **

الطواف الأبدى للملك فى أنحاء الكون :-

بعد وصول الملك للسماء , يبدأ رحلة الطواف الكونى الأبدى . و قبل وصوله يكون قد امتلك الهيمنة على كل أبعاد الكون و على الكائنات التى تسكنها .

يقول آتوم للملك : (السماء لك .. و الأرض لك)

و يقول جب للملك : (حقول الايارو لك .. و تلال حورس و تلال ست لك) .

و تقول نوت للملك : (الملك ابنى , و هو حبيب قلبى .. و قد منحته الأفقين ليحكمهما بوصفه "حور- آختى" .. و منحته ال "دوات" ليحكمه بوصفه حورس العالم السفلى)

و يقول جب للملك : (لقد أتيت لك بأرباب السماء ... و حشدت لك أرباب الأرض ... و هم جميعا بين يديك) .

و هكذا يصبح بمقدور الملك أن يطوف فى الكون طوافا أبديا بدون أن يعوقه شئ , طالما اعترفت به الكيانات الالهية و رحبت به .

لا يوجد نص واحد من نصوص الأهرام يصف رحلة الملك فى أبعاد الكون بطريقة السرد المتتابع الذى يبدأ من نقطة معينة و ينتهى عند نقطة معينة . و انما هناك مقتطفات و قطع متناثره من صورة واحدة يمكننا أن نطلع عليها و نحاول أن نعيد منها بناء الصورة الواحدة التى تجمع كل هذه المقتطفات .

يقطع الملك السماء العليا من الشرق الى الغرب , ثم ينزل الى أرض الغرب "أمنتت" أو السماء الدنيا , و يصعد الى قارب الليل , و يصبح نجما فى السماء الدنيا أو فى ال "دوات" (العالم السفلى) , و يبحر فوق الطريق المائى الملتوى (أذرع مجرة الطريق اللبنى) الى ال "آخت" (الأفق) فى الركن الشرقى من السماء , و يعبر ال "آخت" فى قوارب البوص التى فى السماء أو فوق جناحى تحوت , و يرتحل فى الغرب مثل "خبرى" , و يسطع نوره فى الشرق مثل رع , و يولد حيا من رحم نوت كل يوم مثل رع , و يرتحل فى السمائين "بتى" (peti) , و نجومه تغرب و تعود و تشرق مرة أخرى الى الأبد .

على سبيل المثال يقول أحد نصوص الأهرام على لسان الملك :-

** ان اوصالى و جوارحى هى النجوم التى لا تموت ... و لن أغيب أبدا من السماء أو من الأرض **

و هنا نصادف الطريقة الثانية للصعود الى السماء . فبدلا من الصعود رأسيا من المقبرة الى السماء (عبر الهواء) , ثم التوجه غربا لبدء الرحلة الكونية , يمكن للملك أن يسلك طريقا مختصرا بأن ينتظر مرور قارب رع فى السماء الدنيا و العالم السفلى و يلتحق به فى العالم السفلى و يكمل معه رحلته الى ال "آخت" فى الركن الشرقى للسماء حيث يصعد من العالم السفلى عن طريق ال "آخت" الذى يعتبر بوابة للسماء .

تشمل الرحلة أيضا المرور على الحقول التى يغمرها الفيضان الأزلى و التى تعرف باسم "سيخيت – ايارو" (حقول البوص) أو "سيخيت - حتب" (حقول القرابين / الرضا) .

على سبيل المثال , يصف النص التالى جزءا من الطواف الكونى للملك قائلا :-

** لقد فتحت القنوات المائية , و أغرقت الطريق المائى الملتوى , و أغرقت حقول البوص ...

امتلأت حقول البوص بالماء فأصبح بمقدورى أن أبحر بقاربى الى الجانب الشرقى من السماء , الى المكان الذى تولد فيه ال "نترو" (الكيانات الالهية) ... الى المكان الذى تخلق فيه ال "نترو" و تتشكل **

و يصف نص آخر طواف الملك قائلا :-

** لقد فتحت لك أبواب أرض "بات" (احدى ربات السماء) ... امتلأت أرض "بات" بالمياه الأزلية , و غمرت المياه حقول الايارو و حقول الحتب ... يجتمع الأبناء الأربعة (أبناء حورس الأربعة) الذين يقفون فى الناحية الشرقية للسماء و يصنعون لى قاربا من البوص لأبحر به الى ال "آخت" (الأفق) , لأبحر به الى "رع" **

يستخدم الملك فى هذه الرحلة الأبدية قوارب البوص السماوية , و فيها يصعد الملك للسماء على هيئة نجم (فى الغالب يكون النجم ساح) اما باستخدام قارب خاص به أو بأن يلتحق بقارب رع .

تصف النصوص توقف الملك فى حقول الايارو ليغتسل هناك فى بحيرة مقدسه كما يغتسل رع .

و فى أحد هذه النصوص نقرأ أن أتباع حورس هم الذين يقومون بغسل الملك فى البحيرة و تطهيره بينما يرتلون كلمات سحرية تساعده على الصعود للسماء فى الطريق الصحيح .

و بعد التطهر فى بحيرة حقول الايارو , يصعد الملك على متن قارب رع و يبحر معه فى السماء بدءا من ال "آخت" (الأفق) الشرقى .

و فى نص آخر نقرأ أن حورس و تحوت يقومان بغسل الملك و تطهيره فى البحيرة المقدسة و يفركان لحمه و قدميه , و بعد الانتهاء من التطهر تقوم نوت و شو برفعه الى السماء .

يقول النص :-

** ها هو الملك يتطهر فى حقول الايارو , كما تطهر رع ... يد الملك فى يد رع ... يا "نوت" , خذى بيد الملك ... يا "شو" , ارفع الملك الى السماء **

يقع حدث الصعود الى السماء فى حقول الايارو و يهمل التوقف فى ال "آخت" . و لذلك فهو يعتبر شيئا غير مألوف .

و يمكن لحقول القرابين أن تصبح طريقا مختصرا و مباشرا للوصول الى الجانب الشرقى من

السماء . على سبيل المثال , يقول النص رقم 509 من متون الأهرام على لسان الملك :-

** ها أنذا أصعد الى السماء لأحيا بين النجوم التى لا تأفل ... أختى هى "سوبدت" (الشعرى) , و مرشدى هو "نتر - دواو" (نجمة الصباح) ... و هما يمسكان بيدى فى حقول القرابين **

قد يكون عدم توقف الملك فى ال "آخت" يعنى أن حقول الايارو و حقول القرابين هما مرادفات للمكان الذى تولد فيه الكيانات الالهية من جديد فى الجانب الشرقى للسماء .

و فى الحقيقة ان الأبعاد الثلاثة (ال آخت , و حقول الايارو , و حقول القرابين) تتشابه الى حد كبير و ما يميزها هو غزارة المياه , و الحقول الخضراء و الزرع .

و البيئة التى تصفها النصوص التى تتحدث عن الصعود المباشر للسماء من الشرق تعبر عن فكرة الخلق من الأرض . و أول سمات هذه البيئة هو وجود الفيضان و حقول البوص التى يعبرها الملك ليصل الى السماء . هذ الفيضان الذى يعبره الملك يستدعى الفيضان الأزلى الذى خلق منه الكون فى الزمن الأولى , حين انقسمت مياه نون الأزلية و ظل جزء منها فى باطن الأرض الأزلية بينما ارتفع الجزء الآخر الى السماء صانعا المحيط السماوى .

أما السمة الثانية التى تميز هذه البيئة , فهى وجود حقول البوص التى يتطهر رع فى بحيرتها . توصف هذه الحقول بأنها "مكان الوصول الى الأرض" , و بأنها تحوى بداخلها "جزيرة الأرض" (iw ta) التى تقع بين فخذى "نوت" .

و حقول الايارو عبارة عن أرض خصبة تقف وسط مياه الفيضان , و هى بذلك تعتبر صورة من التل الأزلى الذى خرج منه الخلق بعد أن ارتفع من داخل "نون" (المحيط الأزلى) .

و حقول الايارو هى المكان الذى تولد فيه نجمة الصباح .

و السمة الثالثة التى تميز هذه البيئة هى ال "آخت" , و يظهر فى النصوص فى صورة جنات و فراديس تحيط بها مياه الفيضان من كل جانب . هنا فى ال "آخت" تتحول الكيانات الالهية و يتحول الملك الى "آخ" , أى الى روح نورانية تمتلك قدرات الهية تتجلى صورتها فى نجوم السماء .

تشير هذه الأوصاف الى أن مفهوم ال "آخت" يتعلق بمنظومة الخلق , و هو يعتبر الصورة

السماوية من ال "دوات" (العالم السفلى) .

تنعكس صورة الأفق الشرقى الملئ بحقول البوص التى تغمرها المياه فى نصوص معبد ادفو .

فقد جاء فى احدى أساطير الخلق التى دونت على جدران معبد ادفو (و التى ذكرناها بشكل مختصر فى الفصل الثالث) أن أول أشكال تجلى الخلق كان عبارة عن جزيرة مليئة بحقول البوص تطفو فوق المياه الأزلية .

و من الأشياء التى تميز هذه الجزيرة أن هناك جزء منها ما زال مغمورا تحت المياه , مثلها مثل حقول الايارو . و قد استخدمت أعواد البوص التى تنبت من هذه الجزيرة كمادة أولية بنى بها الكون . و نلاحظ هنا وجه التشابه بين الجزيرة الأزلية فى نصوص ادفو و بين حقول الايارو التى ترتبط دائما بقوارب البوص التى تنسب دائما للعالم السماوى .

و ليس من قبيل الصدفة أن نكتشف أن حقول الايارو (البوص) تحتوى على بحيرة و على زهرة لوتس مقدسة , و التى تعتبر أحد أهم سمات أسطورة الخلق الأشمونية (ثامون الأشمونيين) .

و الآن , نعود مرة أخرى الى رحلة الملك الكونية , حيث يصل الملك الى ال "آخت" و يبدأ أول جولة فى طوافه الكونى .

و كما أوضحنا من قبل , الهدف من هذا الطواف الكونى هو ابقاء الكون فى حالة حركة دائمة .

هذه الحركة هى التى تجدد طاقة الكون و تحفظه من عوامل الهدم و التحلل .

فى هذه المحطة من الرحلة , على الكيانات الالهية (و الملك أيضا) التزود بمدد وافر من الطعام و الشراب الذى يمنحهم الطاقة اللازمة للنشاط الذى يقومون به .

تؤكد النصوص أن المصدر الرئيسى لهذه الامدادات الغذائية هو الفيضان الأزلى , و حقول الايارو و حقول الحتب و ال "آخت" .

و تعتبر المياه و النباتات و المحاصيل التى جاء ذكرها فى وصف هذه العوالم الماورائية بمثابة الصورة الأولية (archetype) أو نموذج النشأة الأولى لكل ما هو موجود على الأرض من مياه و حقول و نباتات و محاصيل .

تقول النصوص أحيانا أن هذه الحقول موجودة فى السماء , للتأكيد على أنها الصورة السماوية

لحقول الأرض , على اعتبار أن عالم الأرض صورة من عالم السماء .

كان ال "آخت" فى نظر قدماء المصريين هو حقل رع العظيم , الذى يأتى بالفصول الثلاثة (فصل الفيضان , فصل الزرع , فصل الحصاد) - بفضل قدراته السحرية - فى يوم واحد .

لكى يكتسب الملك القدرة على البدء بالطواف الكونى , كان عليه أن يتزود بما تنتجه حقول الايارو . يتضح ذلك من النصوص التالية التى وردت فى متون الأهرام و التى تقول :-

** لقد فتحت لك أبواب السماء .. لقد فتحت لك أبواب ال "كبحو" (المياه السماوية) .. لكى تبحر بقاربك الى حقول الايارو , و لتزرع هناك الشعير , و تحصد القمح و تتزود بالقوت كما يفعل حورس ابن آتوم **

*** أبتهل اليكما يا رع و يا تحوت أن تدعانى أرافقكما .. لكى أقتات من طعامكما و أشرب من شرابكما , و لكى يحيينى ما يحييكما ... ان كوخى فى حقول الايارو , و شرابى فى حقول القرابين ... و قرابينى أمامك أيتها الكيانات الالهية **

** خذونى معكم الى حقولكم العظيمة التى صنعتموها بمساعدة الكيانات الالهية ... لأقتات بما تقتاتون به , و أشرب مما تشربون .. و لتجعلونى قاضيا بين أرواح نجوم السماء الشمالية التى لا تأفل , و التى تهيمن على القرابين و تحمى الغلال التى تم حصادها **

ليس من الغريب أن تصف النصوص هذا الفردوس السماوى و كأنه صورة من حياة الانسان على الأرض . فهناك عمال من سكان العالم السماوى يعملون فى تلك الحقول فى الزراعة و اعداد الخبز و الجعة و النبيذ و اللحم و مختلف أنواع القرابين التى تقدم للنترو .

و من الجدير بالاهتمام أن بعض النصوص تقول أن الملك يتناول خمسة وجبات , ثلاثة منها فى السماء و اثنين على الأرض .

جاء فى أحد النصوص أن الملك عند تناوله وجبتى الأرض يأكل هو و كاؤه .

و هناك نص آخر يوجه الحديث الى "كا" (قرين) الملك و يحثها على أن تجلب الطعام للملك لكى يتناوله معها (أى مع قرينه) .

يدل ذلك على أن الروح كانت تحصل على كميات وفيرة من الغذاء (الطاقة) فى السماء , و تنقلها

معها أثناء ارتحالها الى العالم السفلى لتشاطر جسدها الراقد فى العالم السفلى فيما حصلت عليه من طاقة .

كانت مومياء الملك تحصل على الغذاء (الطاقة) من مصدرين . الأول هو القرابين المادية التى تقدم لها من عالم البشر , و التى يجلبها للمقبرة ابن الملك الذى يمثل حورس الحى على الأرض (أو من ينوب عنه من الكهنة).

و الثانى هو القرابين الغير مادية التى تأتى من العالم السماوى/الالهى , و التى تجلبها للمقبرة "كا" (قرين) الملك .

أما القرابين المادية , فقد كان الكهنة يحولونها عن طريق الطقوس السحرية الى صورتها الأولية قبل تقديمها . بينما تقدم القرابين السماوية كما هى , لأنها عبارة عن الصور الأولية (archetype) للطعام , أى أنها هى جوهر الطعام و رحيقه الذى ينتمى للعالم الالهى/السماوى .

و بعد انتهاء الوليمة الروحانية فى المقبرة , تعود ال "كا" و تترك المومياء , و تواصل رحلتها الكونية و تتجه الى الجانب الشرقى من السماء , الى الحقول الخضراء التى فى ال "آخت" (الأفق) , حيث تنهل هناك من الشراب النقى و تعود و تتناول المزيد من الطعام لتعوض ما فقدته عندما نقلت الطاقة التى اكتسبتها من الوجبة السابقة الى المومياء الراقدة فى المقبرة .

ثم يعاد تكرار الدورة مرة أخرى .

حيث تعبر "كا" (قرين) الملك حقول السماء , و تتزود بثلاثة وجبات , ثم تعود و تنزل الى ال "دوات" (العالم السفلى) , ثم الى المقبرة مرة أخرى .

لذلك وصفت متون الأهرام الملك بأنه سيد ال "نحح" (التكرار الأبدى) و سيد ال "دجد" (الاستمرار الأبدى) . جاء فى النص رقم 274 من متون الأهرام :-

** ان الحياة الأخرى للملك هى ال "نحح" (تكرار نموذج النشأة الأولى) ... و حدوده هى ال "دجد" (استمرار الكون الى الأبد)... الملك هو ذلك الذى يولد من جديد و يعود و يولد من جديد ... و هو الذى يخلد الى الأبد ... و عرش قلبه (أى هرمه) سيبقى بين الأحياء فوق هذه الأرض الى الأبد **

طالما بقى الهرم , و طالما بقيت المتون المنقوشه على جدرانه , و طالما بقيت المومياء مدفونه

تحته , سيبقى الكون و يستمر الى الأبد .

و لذلك نجد فى متون الأهرام نصوصا تهدف لحماية الهرم , منها على سبيل المثال هذا النص :-

** يا آتوم , ضع ذراعيك حول الملك , و حول صرحه (هرمه) على هيئة علامة ال "كا" , لتقف "كا" الملك وسطها الى الأبد ... يا آتوم , أسبغ رعايتك و حمايتك على هذا الملك , و على هرمه , و اصرف عنه كل شر الى الأبد **

ملخص الفصل السابع :-

* كان الملك فى مصر القديمة هو تجسيد الاله الخالق على الأرض . و كان تتويجه بمثابة اعادة تكرار لأحداث الزمن الأول , حين ورث حورس عرش أبيه أوزيريس .

و كانت مهمة الملك الأساسية فى الفكر الدينى المصرى هى أن يعيد تكرار أحداث النشأة الأولى , و بذلك يساعد الكون على أن يجدد طاقته .

* كان الملك فى مصر القديمة هو ابن الاله الخالق . أو بعبارة أخرى , كان الملك هو الروح التى انبعثت من جسد الاله الخالق فى الأزل . و الجسد المقصود هنا هو جسد الكون القديم الذى مات ثم أعيد احياؤه من جديد .

* كان مفهوم الملكية فى مصر القديمة يقوم على الازدواجية , فهناك الملك "حورس" و هو الابن الحى الذى يحكم عالم الأحياء , و هناك الملك أوزيريس و هو الأب الذى يحكم عالم الموتى .

* عند موت الملك حورس يتحول الى أوزيريس و يتم تحنيط جسده . و يهدف هذا التحنيط الى اعادة تكرار أسطورة موت و بعث أوزيريس , أو بعبارة أخرى الى موت الكون القديم و اعادة خلقه من جديد

* الهدف الأساسى الذى تسعى متون الأهرام لتحقيقه هو تحويل الملك المتوفى الى صورة من الاله الخالق , و جعل روحه تنبعث من جسده , كما انبعثت روح الاله الخالق من الكون القديم فى الزمن الأول . و بعد موت الملك , يتحول الى رمز لكل أجزاء الكون (المحيط السماوى , الشمس , القمر , النجوم) .

* كانت متون الأهرام تهدف أيضا الى اطلاق روح الملك لتبدأ رحلة طواف أبدى فى كل أبعاد الكون . و عند طوافه فى ال "دوات" و ال "آخت" و حقول الايارو و السماء كان الملك بذلك يعيد تكرار موت العالم المادى و مولده من جديد , و بذلك يساعد الكون على تجديد طاقته ليستمر الى الأبد .

* كل أشكال التناقض الظاهر فى متون الأهرام تختفى تماما عندما نتأملها فى ضوء فرضية الخلق من الأرض , و ليس الخلق من الشمس .

الفصل الثامن

طقوس فتح الفم

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 20) :-

** لقد أتيت باحثا عنك أيها "الملك - أوزيريس" , أنا ابنك الحبيب (حورس) .. و قد فتحت فمك **

هناك فجوة فى قصة الخلق المصرية ما بين ارتفاع التل الأزلى من "نون" و بين ظهور الشمس و القمر و النجوم فى السماء .

و لكننا يمكن أن نتتبع ما يقوم به الملك من اعادة تكرار لقصة الخلق لملأ هذه الفجوة أو الثغرة .

و أول خطوة سنقوم بها لتحقيق ذلك هى مناقشة طقوس فتح الفم و محاولة فهم مغزاها فى ضوء نظرية ديانة النشأة .

كانت طقوس فتح الفم "وبت - ار" (wept-r) من أهم الطقوس الدينية فى مصر القديمة .

و هى عبارة عن طقوس تجرى على تماثيل ال "نترو" (الكيانات الالهية) فى المعابد الالهية كل يوم بهدف احياء التماثيل . كما تجرى أيضا فى المقابر و المعابد الجنائزية على المومياء و على تمثال ال "كا" (القرين) , بهدف مساعدة روح المتوفى على أن تنبعث من الجسد و تنطلق الى العالم الآخر .

سينصب تركيزنا بشكل خاص على طقوس فتح الفم التى تجرى للمومياء و لتماثيل ال "كا" .

تحتوى متون الأهرام على أقدم نصوص مسجلة تتحدث عن طقوس فتح الفم فى تاريخ مصر القديم , و هى النصوص الأكثر تفصيلا حول هذه الطقوس .

تتعامل طقوس فتح الفم مع الملك المتوفى باعتباره أوزيريس , و تعتبر أن جسد الملك هو جسد أوزيريس الذى جمعت أشلاؤه فى الزمن الأول و عاد للحياة مرة أخرى .

جاء فى ثلاثة مواضع من متون الأهرام أن أوزيريس هو الذى يقوم بطقوس فتح الفم لنفسه .

و لكن عادة ما يقوم حورس أو أبناء حورس الأربعة بهذا الطقس .

و عند قيام حورس بأداء الطقس من أجل أبيه يطلق عليه لقب ("الابن - الكاهن" , حبيب أبيه) .

كان فم "الملك - أوزيريس" يفتح باستخدام عدة أدوات , أهمها القادوم الحديدى و عين حورس .

و القادوم هو أداة كانت تصنع على شكل يحاكى صورة النجوم الشمالية (مجموعة الدب الأصغر , و مجموعة الدب الأكبر) و التى يطلق عليها لقب "فخذ الثور" .

جاء ذكر هذا القادوم فى العديد من نصوص الأهرام , منها على سبيل المثال هذا النص الذى يقول :-

** أيها الملك ... لقد فتحت فمك بقادوم "ويبواويت" (فاتح الطرق) ... لقد فتحت فمك بالقادوم الحديدى ... لقد فتحت فمك بالحديد الذى سال من جسد "ست" ... لقد فتحت فمك بالقادوم الذى فتحت به أفوه ال "نترو" (الكيانات الالهية) **

و يقول نص آخر :-

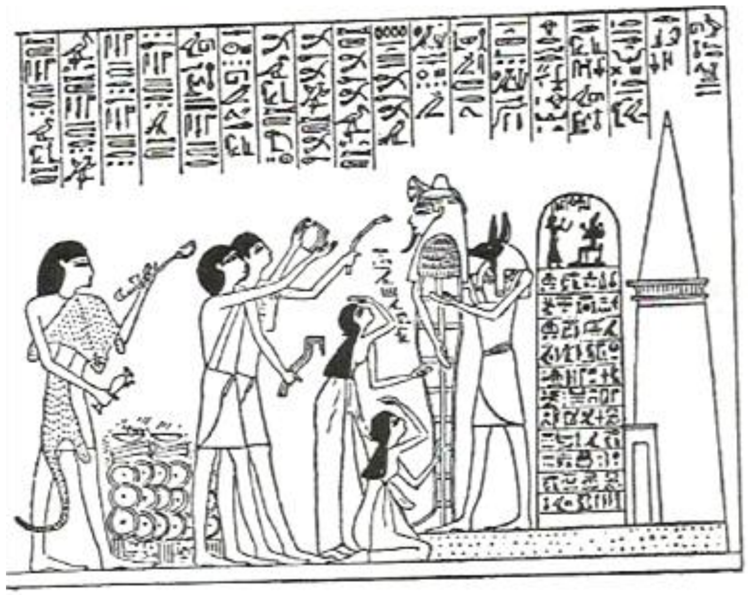
** انهض أيها الملك , انهض فوق جنبك الأيمن , و تلقى القادوم العظيم ... لقد فتح حورس فمك .. لقد فتح حورس عينك بالقادوم الالهى , بالقادوم العظيم السحر **

و الى جانب القادوم , كانت عين حورس من أهم الوسائل المستخدمة لفتح فم و عين أوزيريس .

ترمز عين حورس للقرابين التى تقدم لأوزيريس , و التى بتقديمها تتم السيطرة على "ست" و اخضاعه لقوى النظام الكونى . على سبيل المثال , جاء فى أحد نصوص الأهرام :-

** أيها الملك , خذ اليك عين حورس التى تم انقاذها من ست و اعادتها اليك . لقد فتح فمك بهذه العين ... لقد فتح فمك بقرابين الجعة المصنوعة من حجر ال "منو" الأبيض **

ان تقديم عين حورس لمومياء الملك المتوفى يرد الروح فيها , كما تفعل طقوس فتح الفم بواسطة القادوم .



(من بردية "حو- نفر" : مشهد يصور طقوس فتح الفم باستخدام القادوم السحرى)

و لكن ما هى العلاقة بين القادوم و بين العين ؟

يكمن سر هذه العلاقة فى النجوم القطبية الشمالية و أسطورة الصراع بين حورس و ست .

منذ فجر التاريخ , كان الثور مقدسا عند قدماء المصريين لأنهم رأوا فيه أحد التجليات الالهية و يقال انه بعد موت الثور السماوى تحولت أجزاء جسده الى أشلاء ثم صعدت الى السماء حيث تحولت الى أرواح سماوية تتجلى فى النجوم .

و قد احتلت النجوم القطبية الشمالية أهمية خاصة عند قدماء المصريين , و كانت فى نظرهم ترمز لسيقان الثور السماوى أو فخذيه الأماميتين , و هى فى نفس الوقت جزء من جسد "ست" .

تعرف هذه النجوم فى علم الفلك الحديث باسم مجموعة نجوم الدب الأصغر و مجموعة نجوم الدب الأكبر . أما الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين عليها فهو "مسختيو" (mskhtiu)

و يكتب باستخدام مخصص على شكل فخذ الثور الأمامية .

و هذه النجوم الشمالية هى الرمز السحرى لطقس فتح الفم .

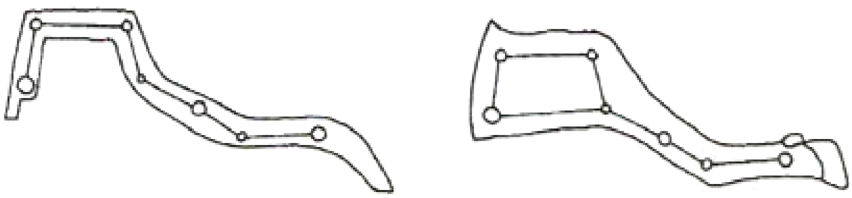
كان القادوم المستخدم فى طقس فتح الفم يصنع على صورة ساق "ست" (الثور) الأمامية و التى يطلق عليها الاسم الفلكى "مسختيو" , و يكتب باستخدام مخصص على شكل القادوم , و هو نفسه

شكل فخذ الثور الأمامية .

و كانت فخذ الثور "خبش" (khpsh) هى القربان الرئيسى الذى يقدم عند القيام بطقوس فتح الفم , و هو القربان الذى ينظر اليه عادة على أنه هو عين حورس .

جاء فى النص رقم 20 من متون الأهرام على لسان الكاهن الذى يقوم بطقس فتح الفم :-

** أيها "الملك - أوزيريس" ... لقد فتحت فمك ب "خبش" (فخذ ثور) عين حورس ... و قدمت لك فخذ الثور الأمامية "خبش" **



(النجوم السبعة لكوكبة الدب الأكبر التى يطلق عليها القادوم أو المحراث أو فخذ الثور الأمامية)

و هنا نلاحظ أن قدماء المصريين قد مزجوا العديد من الرموز المتعلقة بأسطورة الصراع بين حورس و ست معا فى نسيج واحد .

أولا : يوصف فخذ الثور الذى يقدم قربانا للملك ليفتح فمه فى مواضع أخرى من متون الأهرام بأنه هو نفسه (فخذ ست الأمامية التى قطعها حورس) .

ثانيا : كان القادوم المستخدم فى طقس فتح الفم يصنع من الحديد الذى يوصف بأنه (الحديد الذى سال من جسد ست) .

ثالثا : ترمز العين التى تستخدم فى فتح الفم لاخضاع "ست" و جعله تحت سيطرة قوى النظام الكونى (و هو ما يعنى اخضاع قوى الفوضى لخدمة اهداف النظام الكونى) , لأنه فشل فى محاولته لاختطاف العين و جعلها تحت سيطرته .

ما الذى تعنيه كل هذه الرموز ؟

تؤكد متون الأهرام أن فتح فم الملك هو اعادة تكرار لحدث وقع فى العالم الأزلى (الزمن الأول) الذى تحيا فيه ال "نترو" (الكيانات الالهية) .

ان فتح فم الملك يعيد تكرار اللحظة التى قام فيها حورس – الابن الحبيب – بفتح فم أبيه أوزيريس , و هو أيضا اعادة تكرار للحظة التى فتحت فيها أفواه ال "نترو" .

و لكن ما هو مغزى النجوم الشمالية التى تصنع أداة فتح الفم على صورتها ؟

و ما هو مغزى الحديد الذى تصنع منه أداة فتح الفم , و كيف سال من جسد "ست" ؟

و ما هو مغزى فتح الفم , ان كان هناك مغزى لذلك الطقس ؟

هل يمكن أن تكون هناك علاقة منطقية بين كل هذه الرموز ؟

اذا تأملنا النجوم الشمالية فى الفكر الدينى المصرى سنجد أنها ارتبطت بوجه عام بالحياة الأبدية , و السبب فى ارتباط هذه النجوم بالأبدية هو أنها تبقى مرئية طوال العام , و لا تختفى أبدا تحت خط الأفق . و حين قام قدماء المصريين بتشكيل القادوم المستخدم فى فتح الفم على صورة هذه المجموعات النجمية كان ذلك يهدف لخلق رمز سحرى يضمن ولادة الملك من جديد فى العالم السماوى .

أما الحديد فى الفكر الدينى المصرى , فقد كانت علاقته قوية بالسماء بوجه عام , و بالنجوم الشمالية بوجه خاص , و كان له دور كبير فى تشكيل السماء و ولادة النجوم .

تقول النصوص الدينية المصرية أن القادوم المستخدم فى طقوس فتح الفم يصنع من الحديد النيزكى , و يطلق عليه فى مصر القديمة اسم "بيا ان بت" (bja n pet) , أى "حديد السماء" .

و قد يكون لمس فم المومياء بأداة فتح الفم الحديدية رمزا للحظة اصطدام النيازك - التى تحمل بداخلها حديد السماء - بالأرض .

و أما الهدف من اقامة طقس فتح الفم , فهو ببساطة مساعدة روح الشخص المتوفى (و الذى يعتبر نموذجا مكررا من أوزيريس) على أن تتنفس و تتكلم فى العالم الآخر .

و الطقس بوجه عام هو محاولة اعداد المتوفى للحياة فى العالم الآخر عن طريق استحضار رموز

سحرية عتيقة مستمدة من الزمن الأول (سب - تبى) , و هو العالم الذى تحيا فيه ال "نترو" .

و لكن هل يمكن أن تحمل تلك الرموز معانى أخرى علاوة على كل ما سبق ؟

ذكرت فى الفصل السابق أن الهدف من كل الطقوس و النصوص الجنائزية التى وردت فى متون الأهرام هو اعادة تكرار قصة الخلق , حيث يتحول جثمان الملك الى صورة أو نسخة مكررة من جثمان أوزيريس . أما روح الملك , فتنبعث من جسده و تنطلق لتطوف فى كل أبعاد الكون , كما انبعثت روح الاله فى الزمن الأول حين خلقت الكون .

كان فتح الفم هو الطقس الرئيسى الذى يجعل روح الملك تنبعث من جثمانه و تنطلق فى رحلتها الكونية , و يمكنها من أن تتنفس و تتكلم فى العالم الآخر .

و كانت طقوس فتح الفم تجعل من الملك روحا حية , و تساعد ال "كا" على أن تنبعث من الجسد و تنفصل عنه لتبدأ حياتها الأخرى .

و لكن هذه الحياة الأخرى ليست حياة بشرية فالهدف ليس ضمان الرفاهية الشخصية للملك فى العالم الآخر , و انما الهدف هو تهيئة الملك ليقوم بدوره فى خدمة منظومة الخلق .

فالحياة الأخرى للملك ليست كحياة أى بشر , و انما هى حياة مكرسة لهدف واحد هو التكرار الأبدى لما فعله الاله الخالق فى الأزل , و هذه الأفعال الالهية أو أحداث النشأة الأولى هى تجسيد لولادة الكون و تطوره .

أى أن طقس فتح الفم كان موجها فى الأساس الى جسد الاله الخالق (الذى يرمز للكون القديم) و الهدف منه هو خلق كون جديد من بقايا كون قديم .

اذا كان جسد الاله يرمز للكون القديم (أى للأرض الأزلية و المياه الأزلية) , فان طقوس فتح الفم يمكن أن تفسر حرفيا بأنها "فتح جوف الكون القديم" , و الفتح هنا بمعنى الفقس الذى يحدث للبيضة حين تخرج منها الأفراخ الصغيرة .

ان صورة فتح جوف الكون كما تنفتح البيضة لحظة خروج الأفراخ الصغيرة منها تستدعى فى الذهن الأساطير التى تقول أن "رع" خرج من بيضة كونية أو من رحم أمه السماوية "نوت" , حيث الرحم هو المقابل للفم .

كما تستدعى فكرة فتح الفم أيضا صورة الاله الخالق التى وردت فى أساطير الخلق و التى تقول أن الاله يخلق بفمه بأن ينطق كلمة الخلق أو عن طريق البصق أو العطس , و هو ما يتطلب فتح الفم أولا . و هنا تواجهنا عدة صعوبات فى فهم مغزى طقس فتح الفم .

أولها أن فكرة فتح فم ال "نترو" (الكيانات الالهية) تتعارض مع فكرة قيام الاله بالخلق بالفم , لأن من المفترض أن هناك فم واحد فقط هو الذى نطق كلمة الخلق .

علينا اذن أن نعتبر هذه الفكرة مجرد تنويعة أخرى على أسطورة الاله الذى يفتح فمه و يخلق به , على اعتبار أن الاله الخالق يحوى بداخله كل ال "نترو" (الكيانات الالهية) التى تم حشدها و جمعها معا لتصبح هى نفسها الاله الخالق .

و الصعوبة الثانية التى تواجهنا , هى فهم مغزى طقس فتح عين الملك .

يمكننا بالطبع أن نفهم ذلك بالمعنى المجازى , و لكنه فى نفس الوقت قد يكون استعارة من أسطورة "العين الواحدة" (رمز العالم الأزلى) أو احدى تنويعاتها , حيث فتحت العين الواحدة لكى تولد منها العينان , و هما الشمس و القمر .

و بعد هذا العرض السريع لمفهوم فتح الفم و العين , ننتقل الآن لتفسير هذا الطقس فى ضوء نظرية ديانة النشأة . و هو التفسير الذى سيساعدنا فى فهم قصة الخلق فى مصر القديمة بشكل أعمق .

<u>فتح فم الأرض (أو جوف الأرض) :-</u>

اعتقد قدماء المصريين أن للأرض الأزلية فم , و هو ما تؤكده النصوص الدينية التى وردت فيها العديد من الاشارات لما يعرف ب "فم الأرض" و "فم جب" .

و هذه النصوص تصف الملك أحيانا و هو ينزل الى باطن الأرض – ربما فى اشارة الى مقبرته – و فى أحيان أخرى تصفه و هو يصعد من الأرض الى السماء , و هو الوصف الأكثر تكرارا فى متون الأهرام . على سبيل المثال , جاء فى نصوص الأهرام :-

** لقد انفتح فم الأرض من أجل هذا الملك , و تحدث اليه "جب" (رب الأرض) ... و فتحت له البوابة الشرقية للسماء **

كما جاء فى نصوص التوابيت :-

** أيها الملك , لقد فتحت الأرض فمها من أجلك (أو بسببك) , و فتح جب فكيه من أجلك (أو بسببك) ... لتصعد فوق المعراج العظيم , و لتبلغ المدينة السماوية العظيمة **

و جاء فى متون التوابيت أيضا :-

** أنا آتوم , الذى انبعث على هيئة صاحب قارب ال "حنحنو" ... قارب ال "حنحنو" يرفعنى الى قاربى خبرى , و يفتح لى فم الأرض **

أما قارب ال "حنحنو" الذى ورد فى النص الأخير , فقد يكون رمزا لقارب الأرض (أى مدارها الفلكى) , بينما يرمز قاربى "خبرى" الى قارب الليل و قارب النهار و هما فى نفس الوقت قاربى "رع" (أى المدارالفلكى للشمس) .

تصور النصوص المتوفى و هو يعيد تكرار أحداث خلق السماء العليا و السماء الدنيا انطلاقا من الأرض .

فى أحد المواضع بمتون الأهرام , يقوم الملك بفتح فم الأرض .

ففى النص رقم 254 من متون الأهرام , يقول أحد أرباب ال "دوات" (العالم السفلى) :-

** اخشونى و ارتعدوا منى يا من توصفون بالعنف (قوى الفوضى الكونية) , يا من تقفون فوق غيوم العاصفه السماوية . لقد فتح الملك فم الأرض بما اطلع عليه فى اليوم الذى ود فيه أن يأتى من الأرض **

ذكر النص رقم 685 من متون الأهرام حدث فتح فم الأرض , حيث انشق اثنان من الجبال لحظة ميلاد الملك من جديد فى العالم الآخر . يقول النص :-

** لقد أحضر ماء الحياة الذى فى السماء و أحضر ماء الحياة الذى فى الأرض ... السماء تشتعل من أجلك , و الأرض ترتجف لحظة بعث الاله من جديد ... الجبلان ينشقان , و الاله يأتى للوجود .. الجبلان ينشقان , و الملك يأتى للوجود ***

و يصف النص رقم 719 من متون الأهرام الأرض و هى تنشق اثر زلزال يصاحب صعود الملك للسماء , و هو بالطبع تكرار لحدث وقع فى الزمن الأول حين صعد الاله من الأرض للسماء . يقول

النص :-

** ترعد السماء , و ترتجف الأرض ... أيها الملك , لقد قذفك "جب" (رب الأرض) , و التقفتك "نوت" (ربة السماء) . اصعد الى السماء , فقد فتحت لك أبوابها , و انشقت الأرض من أجلك **

قد يكون انشقاق الأرض اشارة لفعل طقسى . و قد جاء ذكر ذلك الفعل الطقسى فى خمسة مواضع من متون الأهرام و دائما ما يكون مقترنا بتقديم قربان للملك .

و كما تنفتح الأرض , ينفتح كذلك ال "دوات" (العالم السفلى) أو ال "أمنتت" (أرض الغرب) .

جاء فى أحد نصوص التوابيت أن المتوفى هو الذى (يفتح ال "دوات") و أنه هو الذى (يفتح الظلمة) – و كأن الظلمة بيضة فقست و خرجت منها الحياة - , و أنه هو الذى (يفتح أرض الغرب) .

ما الذى تعنيه تلك العبارات ؟

يقول علماء المصريات أن فكرة قيام الملك بفتح فم الأرض انبثقت من كون الملك مدفونا فى باطن الأرض . و لكى يستطيع الملك أن يدخل العالم الآخر , عليه أولا أن يخرج من مقبرته , و هو ما يتطلب منه أن يفتح أولا باب المقبرة , أو يفتح الأرض بالمعنى المجازى .

لا يوجد أى علاقة فى ذهن علماء المصريات بين قيام الملك بفتح فم الأرض , و بين قيام الكهنة بفتح فم مومياء الملك بعد الانتهاء من تحنيطها و قبل دفنها . و العلاقة فى نظرهم تقتصر على رؤيتهم لطقس فتح فم المومياء باعتباره حافزا لقيام الملك بفتح باب المقبرة .

وفى ضوء نظرية ديانة النشأة , يعتبر دفن الملك فى باطن الأرض رمزا فى غاية الأهمية , لأن الأرض تمثل نقطة البداية التى انطلقت منها أحداث قصة الخلق , حيث يتحول الملك عند الموت الى صورة من أوزيريس , وبذلك يتحول الى صورة من اله الأرض (و هو فى نفس الوقت اله الموت و البعث) , و الأهم من ذلك أنه يتحول الى صورة من جسد الاله الخالق الذى يتجسد فى الأرض الأزلية و المياه الأزلية "نون" .

و بالتالى , فان فم الأرض و فم مومياء الملك هما فى الحقيقة واحد . و هو ما يعنى أن فتح فم أحدهما يعنى بالضرورة فتح فم الآخر .

و أوضح دليل على ذلك نجده فى النص رقم 816 من متون التوابيت , حيث نقرأ أن المتوفى (أوزيريس) يفتح أرض الغرب "أمنتت" , لأنه قد فتح فمه بالقادوم الحديدى . يقول النص :-

** هذا هو الحديد الذى يفتح فم أرض الغرب (العالم السفلى) ... هذا هو الحديد الذى لمس فمى , و هو الحديد الذى حوله "سوكر" (صقر العالم السفلى) الى روح فى مدينة هليوبوليس , و هو الحديد الذى يجعل مياه فمى ترتفع ... لقد غسل الحديد و تطهر , و أصبح حادا و قويا ... هذا هو الحديد الذى رفعه "سوكر" فصار اسمه "العظيم الذى فى هليوبوليس" .. هذا هو الحديد الذى يرفعنى , لكى أفتح فم أرض الغرب التى أسكن فيها ***

هناك سطران فى النص السابق يستحقان التوقف و التأمل .

السطر الأول هو العبارة التى تقول أن (الحديد فتح فم أرض الغرب) , و السطر الثانى هو العبارة التى تقول (الحديد الذى رفعه سوكر فى هليوبوليس) .

حسب وجهة النظر الأكاديمية , يكمن مغزى هذه العبارات فى القادوم المستخدم فى طقوس فتح الفم , و المصنوع من الحديد .

هذه الأداة الحديدية تفتح فم المتوفى , و ترفعه عن الأرض و تطلق روحه من المقبرة .

و يعبر النص عن ذلك تعبيرا مجازيا بأن يقول أن الحديد يفتح فم العالم السفلى أو أرض الغرب .

أما رفع الحديد , فيتم تأويله عادة بأنه يعبر عن رفع الكاهن للقادوم الحديدى أمام فم المومياء أثناء أداء الطقس .

و الآن , لنحاول تفسير هذا النص فى ضوء نظرية ديانة النشأة .

كما ذكرنا من قبل , للأرض فم , و فتح هذا الفم هو الذى يمكن روح الملك من الصعود الى السماء.

اذا كان فم الأرض هو نفسه فم أوزيريس (و هو أحد رموز الأرض) الذى تعيد طقوس فتح الفم تكرار ما حدث له فى الزمن الأول , فان فتح فم المتوفى كما جاء فى النص رقم 816 من متون التوابيت يرمز لفتح فم الأرض الذى حدث عند بدء الخليقة .

و بالتالى فان تعبير "ارتفاع المياه فى فم المتوفى" الذى ورد فى السطر الثانى من النص يرمز لارتفاع الفيضان الأزلى , و هو أيضا واحد من أحداث نشأة الكون .

أما الحديد الذى يفتح فم الأرض , فهو يرمز للعنصر الأولى الذى صعد من هاوية نون و لعب دورا رئيسيا فى خلق الكون .

هذا الحديد هو أيضا المادة التى استخدمت فى فتح العالم السفلى , و قد تم غسله (كما جاء فى السطر الثالث من النص السابق) بمعنى أنه أتى أو ظهر للوجود وسط الفيضان الأزلى .

علاوة على ذلك , قام سوكر (صقر العالم السفلى) برفع الحديد عاليا , أو بعبارة أخرى قام برفعه الى السماء .

و من الأدلة التى تدعم هذه الطرح المثير للجدل أن افتتاحية النص رقم 816 من متون التوابيت تقول أن أنوبيس قام بكسر الحديد , و أن النص رقم 669 من متون الأهرام , و كذلك النص رقم 989 من متون التوابيت يشيران الى فتح أو فقس بيضة حديدية .

تصف هذه النصوص الملك بأنه (هو الذى سيفتح البيضة و يكسر الحديد) .

و هذه الاشارات تدل على أن الكون الأزلى كان مصنوعا من الحديد الذى انكسر كما تنكسر قشرة البيضة عند بدء أحداث خلق الكون الجديد من بقايا الكون القديم .

يرمز حديد السماء (bja n pet) لانبعاث الكون من الأرض الأزلية .

و عند القيام بطقوس فتح الفم يستخدم كهنة مصر القديمة القادوم المصنوع من الحديد , و هو الحديد الذى نشأ فى الأصل فى باطن الأرض الأزلية قبل أن يقذف فى أنحاء السماء لتولد منه النجوم .

و يصنع القادوم الحديدى على صورة النجوم الشمالية , و هو ما يعنى أن هذه النجوم ولدت من الأرض الأزلية , و أنها الصورة السماوية لأعضاء جسد ست .

و سنواصل مناقشة هذه الأفكار فى الفصول التالية .

<u>الخلق بالفم :-</u>

يلقى هذا التفسير لطقس فتح الفم ضوءا جديدا على دور الفم فى قصة الخلق كما وردت فى الأساطير المصرية القديمة .

ذكرت العديد من الروايات أن الاله الخالق أخرج الكون من ذاته عن طريق الفم , و ذلك من خلال

البصق أو العطس أو بنطق كلمة الخلق . و أقدم الأمثلة على فكرة الخلق بالفم ظهرت فى متون الأهرام و التى جاء فيها أن آتوم أخرج "شو" و "تفنوت" للوجود من فمه عن طريق العطس و البصق , أثناء صعوده من مياه الأزل "نون" على هيئة تل أزلى .

ثم انبثق الخلق جميعا من "شو" و "تفنوت" . أى أن كل شئ فى الوجود خرج من فم آتوم .

تناولت متون التوابيت نفس الفكرة و جمعت بين صورة الخلق من الفم و الخلق من السائل المنوى لآتوم فى صورة واحدة .

جاء وصف الخلق بالفم فى النص رقم 75 و 75 و 80 من متون التوابيت , حيث تصف هذه النصوص "شو" بأنه الهواء أو الرياح التى خرجت من فم آتوم .

و هكذا تفسر الأسطورة أصل الهواء الذى يحمل السماء بأنه انبثق من فم الاله الخالق آتوم .

أما الخلق عن طريق الاستمناء , فقد ورد فى النص رقم 77 و النص رقم 80 من متون التوابيت .

تقول النصوص أن آتوم أمسك بعضوه الذكرى و حين بلغ حالة من النشوة قام ببصق السائل المنوى من فمه فظهر للوجود "شو" و "تفنوت" .

هذا المزج الغريب بين العضو الذكرى و الفم فى صورة واحدة لا يقتصر فقط على متون التوابيت و انما ينعكس أيضا فى نصوص بردية "بريمنر ريند" , التى جاء فيها هذا النص على لسان "نبر- دجر" (رب حدود السماء) :-

** أنا الذى استمنيت فى الأزل باستخدام قبضة يدي .. لقد تزاوجت مع ظلى , و بصقت بذورى (ذريتى) من فمى ... عطست فأتى "شو" للوجود .. و بصقت فأتت "تفنوت" للوجود **

و نلاحظ أن هناك عناصر من أسطورة العين قد دخلت فى نسيج أسطورة خلق آتوم ل "شو" و "تفنوت" , حيث تعبر الأسطورتان عن فكرة الخلق بالفم فى الطقوس الدينية و علاقتها بقصة الخلق .

جاء فى النص رقم 261 من متون التوابيت هذ النص على لسان المتوفى :-

** أنا من خلقه "نبر- دجر" (رب الحدود) قبل أن يأتى الخلق للوجود , حين أخرج للوجود عينه الوحيدة .. حين كان وحده و لا موجود سواه .. حين خرج كل شئ من فمه .. حين كانت الملايين

من كاواته (تجلياته) تحمى رفيقيه (الشمس و القمر) اللذين ولدا من العين الوحيدة **

هل تلك العين الوحيدة هى العين التى خرجت من فم الاله ؟

ذلك بالفعل أصل العين التى جاء ذكرها فى أسطورة ايزيس و رع (من عصر الدولة الحديثه) ,
و التى تحدثت عن سماح رع لاسمه الخفى (الأعظم) بأن يخرج من جسده و يسرى فى جسد ايزيس
و هنا قالت ايزيس :-

** أيها السم , اخرج من جسد رع , و دع عين حورس تخرج من جسد الاله و تسطع خارج
فمه **

و ال "نترو" (الكيانات الالهية / التجليات الالهية) هم أيضا خرجوا من فم الاله الخالق , و فى نفس
الوقت خرجوا من أعضاء جسده كما فى روايات أخرى .

جاء فى متون الأهرام هذا النص الذى يتحدث فيه الملك على لسان الاله الخالق :-

** ان شفتاى هما التاسوعان ... أنا الكلمة العظيمة (الكلمة التى تخلق) **

و تبتهل النصوص التى ظهرت بعد عصر متون الأهرام للاله الخالق قائلة (خلق ال "نترو" من فم
الاله , و خلق البشر من عينه) .

هناك رواية أخرى لقصة الخلق بالفم تتحدث عن مجئ المخلوقات للوجود بالأمر (الالهى) و بنطق
أسماء المخلوقات . و قد وردت هذه الرواية بشكل بارز فى متون التوابيت .

جاء فى النص رقم 76 من متون التوابيت أن آتوم خلق أسماء الأرباب "اللانهائيين" (الذين ليس لهم
نهاية) فى اليوم الذى كان فيه داخل "نون" (المياه الأزلية) وسط السديمية و الظلمة , و العتمة .

و فى النص رقم 80 من متون التوابيت , نقرأ أن "شو" يقوم بمنح أنفاس الحياة لكل الكائنات الحية
و يقول أنه يفعل ذلك "بالقدرة التى يمتلكها و التى تتجلى فيما يخرج من بين شفتيه" .

و فى النص رقم 261 من متون التوابيت , نقرأ أن "نبر - دجر" نطق كلمة الخلق (حو) من فمه
فى اليوم الأول (اليوم الذى وقعت فيه أحداث نشأة الكون) حين تحدث الى "خبرى" .

و فى النص رقم 320 من متون التوابيت , يقول رب النيل (حابى) :-

** أنا الذى خلقت كل ما هو كائن , و كل ما هو ليس كائن . حين نطقت , أتت كلمة الخلق

بالوجود **

و فى النص رقم 335 من متون التوابيت , يقول آتوم :-

** انا الذى خلق أسماءه , أنا رب التاسوع **

نفس الفكرة جاءت أيضا فى كتاب الخروج الى النهار و لكنها نسبت ذلك الى رع , قائلة :-

** هو "رع" , الذى خلق أسماءه و أعضاء جسده **

أى أن رع هو الذى خلق ال "نترو" (أعضاء جسده) بأن نطق أسماءهم .

تؤكد الكتب الدينية المصرية على أن ال "نترو" بشكل خاص خلقوا بالكلمة التى خرجت من فم الاله الخالق .

على سبيل المثال , يوصف "آتوم - رع" بأنه (أمر , فأتت ال "نترو" للوجود) .

من كل الأمثلة السابقة , يتضح لنا أن فكرة الخلق بالفم كان لها أهمية كبرى فى مصر القديمة منذ بزوغ فجر الحضارة المصرية و حتى قبيل أفولها .

و لكن , ما مغزى ذلك ؟

يقول علماء المصريات أن أهمية الفم تعود الى الصورة الانسانية للاله فى نظر قدماء المصريين .

كان قدماء المصريين يركزون على الفم لأنه يسمح للاله الخالق بأن يعبر عن أفكاره و عن مشيئته , و بذلك يعتبر هو الصورة الأولية و المصدر الذى تستمد منه الكلمات السحرية التى ينطقها الملك و الكهنة قدرتها .

ذلك هو رأى علماء المصريات , و هم لا يرون للفم أى معنى أبعد من ذلك .

أما نظرية ديانة النشأة . فترى للفم مغزى أعمق بكثير .

ففم الاله يرمز للكون القديم . و عملية فتح الفم ترمز لميلاد الكون الجديد من بقايا الكون القديم .

حين عطس آتوم و بصق الكون من فمه فأتى به للوجود , كان ذلك يعنى أن الاله أخرج من جسده (أى من الكون القديم) العناصر الأولية التى سيتشكل منها جسد الكون الجديد , و منها سينمو و يتسع , كالماء و الهواء و النور .

و هكذا أصبح هواء "شو" هو الغلاف الجوى , و أصبحت مياه "نوت" (أو ربما تفنوت) هى

المحيط السماوى .

و هكذا كان الخلق بالكلمة هو التطور الطبيعى لهذه الفكرة , لأن قدماء المصريين كانوا ينظرون للكلمة باعتبارها تحول للهواء الذى يخرج من الفم .

ان الاتيان بالمخلوقات للوجود بنطق أسماءها هو أحد التنويعات لفكرة الخلق بالفم .

رع و نوت :-

تبرز أهمية الفم أيضا فى رحلة "رع" اليومية فى مداره حول الأرض و التى يقوم فيها باعادة تكرار قصة الخلق . حيث يقوم بتكرار حدث فتح فم الأرض الذى وقع فى الزمن الأول , كما سنرى لاحقا.

فى نهاية كل يوم , يدخل رع من بوابة الأفق الغربى الى العالم السفلى ("دوات" , أو "أمنتت") الذى يمتد من الأفق الغربى الى الأفق الشرقى فيما وراء سماء الليل أو السماء الدنيا "نوت" .

و لكى يولد رع فى الصباح من جديد قويا عفيا , عليه أن يعيد تكرار أحداث نشأة الكون بأن ينزل للعالم السفلى و يتحد بجسده الراقد هناك , و هو نفسه جسد أوزيريس .

منذ ظهور أقدم الكتب الدينية المصرية - ألا و هى متون الأهرام – كانت رحلة رع فى العالم السفلى أو فى السماء الدنيا تعبر عن ميلاده من جديد من رحم أمه "نوت" .

و قد تبلورت الفكرة فى عصر الدولة الحديثه حيث قام الفنان المصرى القديم بتصوير جسد نوت باعتباره تجسيدا للعالم السفلى الذى يرتحل فيه رع .

و فى كتب العالم الآخر التى تناولت رحلة رع فى ال "دوات" فى عصر الدولة الحديثه كان فم نوت هو بوابة الأفق الغربى التى يعبر منها رع للعالم السفلى و المنطقة التى بين فخذيها هى بوابة الأفق الشرقى التى يولد منها رع من جديد .

يدخل رع فم نوت عند مساء كل يوم , و يرتحل داخل جسدها خلال ساعات الليل الاثنى عشر , و يولد من رحمها فى صباح اليوم التالى .

كان ميلاد رع من رحم نوت يعادل خروج رع من ال "دوات" (العالم السفلى) .

فى كتاب نوت (و هو أحد كتب العالم الآخر التى دونت فى عصر الدولة الحديثه) , صور الفنان

المصرى القديم رع على هيئة قرص شمس يبتلعه فم نوت عند الأفق الغربى .

و يقول النص المصاحب للمشهد أن نوت قد حملت ب "رع" .

ثم يعود قرص الشمس و يظهر بين فخذى نوت عند الأفق الشرقى , و يقول النص المصاحب لهذا المشهد :-

** تخضب الأفق الشرقى باللون الأحمر عند ميلاد رع ... انفتحت المشيمة , و شق رع طريقه عبر قناة الولادة , و سبح فى الحمرة التى سالت من رحم نوت و خضبت الأفق ... يشق رع طريقه بين فخذى أمه نوت لحظة المخاض و يصعد (من العالم السفلى) الى السماء **

نجد أصداء هذه الفكرة فى كتب أخرى من كتب العالم الآخر التى دونت فى عصر الدولة الحديثه .

تتكرر صورة رع و هو يشق طريقه ليولد من بين فخذى أمه نوت , حيث ترمز ولادة رع لخلق الكون من جديد .

و مرة أخرى نجد أن عملية الخلق تتضمن فكرة فتح الفم , حيث يفتح فم نوت فى الأفق الغربى لابتلاع رع , و يفتح رحم نوت فى الأفق الشرقى لمولده .

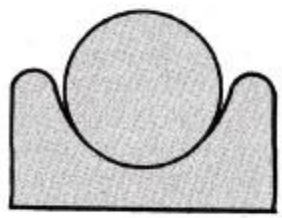
و هنا علينا أن لا ننسى أن جسد "نوت" الممتد من الأفق الغربى للأفق الشرقى يرمز للعالم السفلى ("دوات" أو "أمنتت") . كما يرمز فتح رحم نوت لفتح فم الأرض الأزلية الذى وقع فى بدء الخليقة .

تعود فكرة فتح رحم نوت لمتون الأهرام . ففى النص رقم 1 من متون الأهرام تعلن نوت بفخر أن ابنها البكرى أوزيريس قد شق رحمها و فتحه ليولد منه .

و فى النص رقم 222 من متون الأهرام نقرأ أن رحم نوت قد فتح بطريقة يشوبها العنف حين ولد منه ست (رب الفوضى) .

و من الأشياء التى تستحق التوقف و التأمل النص الذى ورد فى متون التوابيت و الذى وصف نوت بأنها (التى فتحت الأرض) . قد يكون ذلك تعبيرا مجازيا عن ميلاد أوزيريس أو قد يكون اشارة لولادة نوت من رحم أمها تفنوت , و الذى جاء وصفه فى النص رقم 429 و 432 من متون الأهرام .

ان المقابلة بين فتح الفم و فتح الرحم تستحق التوقف و التأمل , فالاثنان بلا شك يرمزان لحدث ميثولوجى واحد , ألا و هو فتح جوف الأرض الأزلية . و قد عبر قدماء المصريين عن هذه الفكرة بصورة جبل انشق الى نصفين تباعدا و أصبحا جبلين متقابلين .



رمز ال "آخت" (الأفق الشرقى) , يحاكى فخذى نوت لحظة ولادتها لقرص الشمس فى الصباح

يصف كتاب البوابات دخول قارب رع الى ال "دوات" (العالم السفلى) عن طريق جبل الغرب الذى يظهر فى المشاهد التصويرية و قد انشق الى نصفين .

يصف كتاب البوابات العالم السفلى بأنه "الجبل الخفى" الذى يمتد من الأفق الغربى للأفق الشرقى .

و برغم أن النصوص لم تذكر بشكل صريح انشقاق الجبل الشرقى , الا أنه يفهم ضمنيا من صورة ظهور رع فوق الجبل الشرقى .

يحتوى كتاب الكهوف أيضا على صورة تعبر عن فكرة انشقاق الجبل الشرقى , حيث جاء فى الجزء الأخير من الكتاب أن رع يمر من بين (الكهفين الخفيين فى ال أمنتت) ., ثم يظهر من بين تلين يمثلان ال "دوات" و يظهران على شكل هرم انشق و انقسم الى نصفين .

تستحضر هذه الصورة حدث ميلاد حتحور و الذى وصفته متون التوابيت بهذه العبارات :-

** انشق الجبل , و انفلق الصخر , و انفتح الكهف ... انفتحت بوابة ال "آخت" من أجل حتحور , التى تصعد للسماء فى لونها الفيروزى **

و تستحضر الصورة أيضا حدث ميلاد الملك من جديد و التى وصفتها متون الأهرام بهذه العبارات

** انشق الجبلان , حين أتى ال "نتر" (الاله) للوجود ... انشق الجبلان حين أتى الملك للوجود **

ان عبارة "انشقاق الجبلين" تعبر عن فكرة الميلاد (سواء ميلاد رع أو حتحور أو ميلاد ملك مصر , كما أشارت الأمثلة السابقة) , و تعتبر مرادفا لمصطلح "فتح رحم نوت" و "فتح فم الأرض" .

كما يعتبر مصطلح فتح البوابة أو فتح الباب أيضا مرادفا ل "فتح الرحم" و "فتح الفم" .

جاء فى كتاب البوابات أن رع يدخل ال "دوات" (العالم السفلى) من بوابات الأفق الغربى , و يخرج منه من بوابات الأفق الشرقى .

أما كتاب ال "أمدوات" (وصف ما هو كائن فى العالم الآخر) , فيصف أبواب الأفق الغربى بأنها "أبواب نوت" . و لما كان جسد نوت هو رمز العالم السفلى , فذلك يعنى أن أبواب نوت هى أبواب العالم السفلى . و تعتبر أبواب نوت الغربية مرادفا لفم نوت .

باختصار , من الواضح أن تعبيرات مثل فتح الفم و فتح الرحم و فتح الجبلين (أو انشقاقهما) و فتح الأبواب تدور جميعا حول فكرة واحدة , ألا و هى فتح شرنقة الكون القديم ليولد منها الكون الجديد .

<u>أبواب الأرض , و أبواب السماء :-</u>

كان فتح الأبواب أحد الرموز التى استخدمها قدماء المصريين للتعبير عن فتح أو تطور الكون , و هو ما يساعدنا فى فهم النصوص الجنائزية بشكل أفضل .

من الأشياء الجديرة بالتأمل فى الفكر الدينى المصرى أن أبعاد الكون الخمسة الرئيسية (نون , الأرض , ال "دوات" , ال "آخت" , السماء) كانت جميعا مزودة بأبواب أو بوابات تفتح فى لحظات معينة و بشكل دورى لتسمح بمرور رع و ال "نترو" و أيضا روح الملك المتوفى أثناء قيامه برحلة الطواف الأبدى فى أبعاد الكون .

اعتقد بعض الباحثين فى البداية أن المقصود هو أبواب مادية ملموسه , و لكن الآن أدرك الباحثون أن المعنى ربما يكون أبعد من ذلك و بدأوا فى البحث عن مغزى هذه الأبواب و دورها .

هل من الممكن أن نتخيل أن هذه الأبواب كانت فى الأصل أبواب الأرض , و أنها كانت تفضى مباشرة من الأرض للسماء ؟

و هل تم نسخ هذه الأبواب أو اسقاط صورة منها فى الأفق الشرقى "آخت" ليقوم رع و ملك مصر

بالمرور منها و اعادة تكرار أحداث نشأة الكون ؟

تعتبر فكرة فتح فم الأرض نقطة البداية المناسبة للبحث فى هذا الموضوع .

كما ذكرنا سابقا فى هذا الفصل , هناك نصان من نصوص الأهرام يشيران الى فتح فم الأرض لكى يخرج الملك من مقبرته .

فى كلا النصين , يتزامن فتح فم الأرض مع قيام "جب" (رب الأرض) بالتحدث الى روح ملك مصر المتوفى . ثم يصعد الملك الى السماء من خلال البوابة الشرقية للسماء , و ليس مباشرة .

و هناك تشابه كبير بين هذين النصين و بين ثلاثة نصوص أخرى من متون الأهرام تصف صعود الملك للسماء من خلال أبواب "جب" و بمصاحبة أصوات تصدر عن الأرض أو عن أنوبيس .

على سبيل المثال , يقول أحد هذه النصوص الثلاثة :-

** الأرض تتكلم , و أبواب رب باطن الأرض "آكر" تفتح من أجلك , و أبواب رب الأرض "جب" تفتح من أجلك ... ها أنت تأتى للوجود مع صوت أنوبيس ... ها هى أبواب السماء التى فى ال "آخت" تفتح لك **

تتحدث متون التوابيت عن أبواب جب و كأنها هى فم الأرض .

و لذلك ليست مصادفة أن من ألقاب جب لقب "الفم الحاد" أو صاحب الفم الحاد , بالاضافة الى العديد من الألقاب الأخرى التى من بينها الاله الواحد , أى الخالق .

و كما يفضى فم الأرض الى السماء , كذلك تفضى أبواب جب الى بوابة السماء التى فى الأفق الشرقى , و التى يطلق عليها أيضا أبواب ال "آخت" , و هو العالم الذى يقع تحت خط الأفق الشرقى الذى تجرى فيه الأنهار و القنوات المائية و تملأه الحقول الخضراء و الجنات .

و أبواب ال "آخت" بدورها تفضى الى السماء .

على سبيل المثال , جاء فى أحد نصوص الأهرام :-

** قف أيها الملك أمام أبواب ال "آخت" ... و اعبر أبواب ال "كبحو" (السماء) **

** قف أيها الملك , اصعد الى السماء , و ادخل من بوابة ال "آخت" **

ان أبواب ال "آخت" و أبواب السماء هما فى الحقيقة واحد , و لكن الفرق فى الجهة التى ننظر منها

لهذه الأبواب . فأبواب ال "آخت" تقع فى الجانب السفلى من السماء , بينما أبواب السماء تقع فى الجانب الأعلى منها .

و نلاحظ أن أبواب السماء هى الأكثر تكرارا فى متون الأهرام , حيث استخدم قدماء المصريين فى بعض الأحيان كلمة "بت" , و فى أحيان أخرى كلمة "كبحو" .

و كلا من لفظ "بت" و "كبحو" يعبر عن المياه السماوية أو المحيط السماوى .

و الغالبية العظمى من النصوص التى تتناول صعود الملك للسماء تصفه بأنه يصعد من خلال البوابة الشرقية للسماء , و تستخدم أحيانا لفظ "بت" و قد تستخدم معه لفظ "كبحو" فى نفس العبارة على سبيل المثال , جاء فى أحد النصوص :-

** أيها الملك , لقد فتحت لك أبواب السماء (بت) ... لقد فتحت لك أبواب السماء (كبحو) .. و حين تعبر منها ستجد "رع" واقفا بانتظارك **

** أيها الملك , لقد فتحت لك أبواب السماء (بت) .. لقد فتحت لك أبواب السماء (كبحو) لكى تبحر بالقارب الى حقول الايارو **

فى العديد من المواضع فى متون الأهرام جاء ذكر صعود الملك للسماء عبر بوابة السماء (بت) , حيث تم استخدام لفظ "بت" فقط . و فى هذه النصوص جاء ذكر البوابة فى صيغة المفرد و أكدت النصوص على أنها تقع فى الناحية الشرقية من السماء . على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** أيها الملك , لقد فتحت لك بوابة السماء (بت) الشرقية .. و قد وضعت نوت يدها فوقك .. و حملتك لتصعد اليها , لتصعد الى السماء **

ما هو الهدف من وجود كل هذه الأبواب ؟

تشير متون التوابيت الى "أصوات الفيضان عند البوابة الشرقية للسماء" , و تقول أن الفيضان العظيم "ميحيت - ويريت" صعد للسماء من بوابات ال "آخت" .

أى أن فتح هذه البوابات هو الذى أطلق مياه الفيضان من منبعها و هو "نون" .

و لذلك فان ل "نون" أيضا بوابات تخرج منها مياه الفيضان العظيم .

فوق مياه هذا الفيضان يبحر رع بقاربه الذى يتبوأ فيها ملك مصر مقعدا بين حاشية رع و أتباعه

من ال "نترو" .

يعتمد قارب رع أثناء ابحاره على فتح بوابات ال "آخت" التى تشبه الهاويس .

هل يمكن أن يكون فتح الأبواب أمام قارب رع بمثابة اعادة تكرار لحدث الفيضان الأزلى و صعوده من "نون" و من باطن الأرض الى السماء ؟

نلاحظ أن فتح أبواب السماء يتزامن أيضا مع فتح أبواب الأرض .

على سبيل المثال , يقول أحد نصوص الأهرام :-

** أيها الملك , لقد فتحت السماء .. لقد فتحت الأرض .. لقد فتحت أبواب "سات" من أجل حورس .. لقد فتحت أبواب اللوتس من أجل ست **

** أيها الملك , لقد فتحت من أجلك أبواب "جب" (الأرض) .. لقد فتحت من أجلك بوابة السماء التى فى ال "آخت" **

يقول علماء المصريات أن مثل هذه النصوص و غيرها تعبر عن قيام "كا" الملك بفتح المقبرة .

و بالطبع , لا يمكن انكار ذلك . و لكن الحقيقة أن ال "كا" هى فى الأصل مفهوم كونى قبل أن تكون مفهوم شخصى , و المقبرة هى صورة مصغرة من ال "دوات" (العالم السفلى) .

أى أن "كا" الملك عندما تفتح باب المقبرة فهى بذلك تعيد تكرار حدث كونى أزلى .

على سبيل المثال , يقول النص رقم 676 من متون الأهرام :-

** أيها الملك , لقد فتح باب المقبرة من أجلك .. لقد فتح غطاء التابوت من أجلك .. لقد فتحت أبواب السماء من أجلك **

و نقرأ فى متون الأهرام أيضا مثل هذه العبارات :-

** لديك ماءك , و لديك فيضانك .. فلتجلس على عرشك الحديدى .. لقد حملت السماء على كتفيك , و رفعت الأرض .. ثم صعدت للسماء على هيئة نجمة , على هيئة نجمة الصباح **

يتضح لنا من النصوص السابقة أن خروج الملك من مقبرته هو تعبير مجازى عن أحداث هامة وقعت عند نشأة الكون .

يقدم لنا النص رقم 553 من متون الأهرام أوضح الأدلة على ذلك , حيث تتخذ المقبرة هيئة "نوت"

يقول النص :-

** أيها الملك , لقد فتحت لك أبواب السماء .. لقد فتحت لك أبواب ال "كبحو" .. لقد فتحت لك أبواب المقبرة .. لقد فتحت لك مغاليق أبواب "نوت" **

يتحدث هذا النص عن أبواب نوت على اعتبار أنها هى نفسها أبواب المقبرة , و هى نفسها أبواب السماء .و هو شئ جدير بالتأمل , لأنه يعتبر أن نوت هى المقبرة و هى أيضا السماء .

أى أن ل "نوت" طبيعة مزدوجة . فهى ترمز من ناحية للمقبرة و للتابوت و للدوات بوجه عام , و هو العالم السفلى الذى يقع فى داخل السماء أو الذى تحتويه السماء .

و من ناحية أخرى , ترمز "نوت" للمحيط السماوى الذى يمتد فوق الأرض على هيئة قبة مرفوعة فوق ذراعى "شو" (رب الهواء) .

علاوة على ذلك , تقوم "نوت" أيضا بدور المعراج الذى يصعد فوقه الملك من مقبرته الى العالم السماوى .

كيف لنا ان نفسر ذلك ؟

كما أوضحنا من قبل , يرمز فتح رحم نوت لفتح الأرض (أو تطورها من حالة التشرنق) عند بدء الخليقة . تقوم نوت بدور الأم الكونية التى تلد الأرواح . و هى التى ولدت أوزيريس و ست , و لكن قبل كل شئ ولدت نفسها بأن أتت للوجود على صورة السماء .

ان أبواب نوت هى نفسها أبواب الأرض و أبواب السماء , كما جاء فى النص رقم 553 من متون الأهرام . و هى نفس الأبواب , التى تتوقف تسميتها على المنظور الذى ننظر من خلاله لتلك الأبواب . و عن طريق هذه الأبواب خلقت السماء حين تم فصلها عن الأرض .

فى ضوء كل ما سبق , يمكننا أن نقول أن فتح أبواب السماء يمكن أن يشير – فى بعض الأحيان – الى الصعود مباشرة من الأرض للسماء , بعكس الصعود الغير مباشر و الذى يتم عن طريق الأفق الشرقى .

و من دراسة نصوص الأهرام , يتضح لنا أنه أينما ذكرت أبواب السماء , كان ذلك يتفق مع سيناريو الصعود المباشر للسماء , بمعنى أنه لا توجد أى اشارة الى الأفق الشرقى "آخت" , و لا

للصعود على متن قارب .

على سبيل المثال , جاء فى النص رقم 313 من متون الأهرام أن هناك صلة بين فتح أبواب السماء و بين مرجل ال "نترو" المتقد . و ربما كان ذلك رمزا لفتح شرنقة الأرض .

يقول النص :-

*** لقد فتحت مغاليق أبواب "بابى" (حارس بوابات العالم الآخر) .. لقد فتحت أبواب السماء .. لقد فتح الملك بوابات السماء بالنار التى تحت مرجل ال "نترو" المتقد ***

و فى النص رقم 719 و 511 من متون الأهرام يتزامن فتح أبواب السماء مع حدوث زلزال :-

** السماء ترعد , و الأرض تتزلزل .. أيها الملك , لقد رفعك جب , و التقفتك نوت .. اصعد للسماء .. فقد فتحت لك أبواب السماء .. و تصدعت الأرض من أجلك .. و قدم لك القربان **

** السماء ترتعد من فوقى .. و الأرض تتصدع من تحتى .. و قد فتح حراس مناطق السماء الأبواب من أجلى .. و أنا أقف فوق الهواء "شو" **

يصف النص رقم 482 و 670 من متون الأهرام فتح أبواب السماء أو المحيط السماوى "بدجوت" (pdjwt) بأنه كان متزامنا مع حدوث ضوضاء و صخب .

و فى النص رقم 670 تحديدا يصعد الملك مباشرة من ال "دوات" للسماء . يقول النص :-

** لقد فتحت أبواب السماء .. لقد فتحت أبواب المحيط السماوى .. خيم الحزن على أرواح "بوتو" , و جاءوا الى "الملك – أوزيريس" حين سمعوا عويل ايزيس و بكاء نفتيس , حين سمعوا رثاء ايزيس و نفتيس للعظيم (أوزيريس) الذى صعد من ال "دوات" **

و عند قراءة النص رقم 572 من متون الأهرام نكتشف أن فتح أبواب السماء أو السماء ذات النجوم "شدو بت" (shdu pet) يتزامن أحيانا مع حشد ال "نترو" و مع رفع معراج بين الأرض و السماء . يقول النص :-

** لقد أحتشدت من أجلك ال "نترو" التى فى السماء و ال "نترو" التى فى الأرض .. و وضعوا أياديهم تحت قدميك ليصنعوا لك معراجا لتصعد فيه الى السماء .. لقد فتحت لك أبواب السماء .. لقد فتحت لك أبواب السماء ذات النجوم **

و هناك نصوص أخرى جاء فيها ذكر فتح أبواب السماء و فتح أبواب السماء ذات النجوم , و لكن فى تلك المواضع لا يتضح اذا كان الملك يصعد للسماء بطريق مباشر أم غير مباشر .

ظهرت أبواب السماء بشكل منفصل فى ثلاثة مواضع بمتون الأهرام , و لكن يشوبه الغموض .

و منها على سبيل المثال النص رقم 361 و الذى جاء فيه أن آتوم و شو يأخذان بيد الملك و يرفعانه للسماء , و هو ما قد يكون دليلا على أن الصعود للسماء كان صعودا مباشرا .

حين يقترن فتح أبواب السماء بفتح أبواب ال "كبحو" (ماء السماء الطهور) , يكون الصعود دائما صعودا غير مباشر , أى عبر الأفق الشرقى .

و لكن هناك أيضا نصوصا تصف صعودا مباشرا للسماء , و هو ما قد يشير الى أن ال "كبحو" (ماء السماء الطهور) ربما كان فى الأصل فيضانا صعد من الأرض (الأزلية) للسماء .

على سبيل المثال , تقول النصوص :-

** أيها الملك , الماء ماءك .. و الفيضان فيضانك .. فيضانك هو الفيضان الذى سال من جسد أوزيريس .. لقد فتحت لك أبواب السماء .. لقد فتحت لك أبواب نوت .. لقد فتحت لك أبواب "كبحو" **

** انهض أيها النائم .. فقد فتحت لك أبواب السماء .. لقد فتحت لك أبواب "كبحو" لكى تصعد للسماء على هيئة "وبيو" (wepiu) **

** السماء ترتعد , و الأرض تتزلزل , أمام العظيم (أوزيريس) حين ينهض .. ها هو يفتح أبواب السماء .. ها هو يفتح أبواب ال "كبحو" .. لقد تصدعت من أجلك الأرض , و قدم لك القربان **

** لقد فتحت لك أبواب السماء . لقد فتحت لك أبواب ال "كبحو" .. لقد فتحت لك أبواب المقبرة .. لقد فتحت لك مغاليق أبواب نوت **

و أخيرا , جاء فى النص رقم 724 ذكر فتح أبواب ال "كبحو" بشكل منفصل أثناء طيران روح الملك مباشرة من الأرض للسماء . يقول النص :-

** لقد فتحت للملك أبواب ال "كبحو" التى تمنع مرور من هو غير جدير بذلك .. لقد تحولت أذرع الملك الى جناحى صقر , ريشاته هى ريشات تحوت .. ها هو "جب" يجعل الملك يطير وسط رفاقه

من ال "نترو" **

كل هذه النصوص تشير الى أن ماء السماء الطهور "كبحو" ربما نشأ فى الأصل من الأرض الأزلية , ثم رفع الى السماء فى نفس اللحظة التى قام فيها "شو" (رب الهواء) بفصل نوت عن جب و النصوص التى جاء فيها وصف موقع أبواب "كبحو" بأنه فى الجانب الشرقى من السماء تفسره الحاجة لوجود الفيضان الأزلى فى الأفق الشرقى و هو المكان الذى يولد منه الكون من جديد كل يوم مع ميلاد رع .

و باختصار , الأبواب هى وسيلة فتح ما كان من قبل مغلقا . و تستمد فكرة فتح الأبواب رمزيتها من حدث فتح شرنقة الأرض و هو فعل من أفعال الخلق .

كل الأبواب فى الكون هى نسخة مكررة من أبواب الأرض الأزلية (و مرادفا لأبواب المقبرة و أبواب ال "دوات" و أبواب نوت) التى فتحت عند بدء الخليقة .

و السبب فى وجود كل هذه الأبواب فى الكون هو السماح للنترو و لروح الملك باعادة تكرار الحدث الأزلى الذى فتحت فيه أبواب الأرض . و هذا التكرار الأبدى (نحح) لأحداث النشأة هو الذى يضمن للكون الاستمرار الأبدى "دجد" .

و كما يعبر فتح الأبواب عن فتح ما كان من قبل مغلقا , كذلك يعبر مصطلح "فتح الفم" عن فتح ما كان من قبل مغلقا . و لكن مصطلح فتح الفم يشمل أيضا تدفق الهواء و صدور الصوت و تدفق سوائل الجسد .

يعبر الهواء و الصوت عن صرخة الطفل الوليد لحظة الولادة , بينما يعبر تدفق سوائل الجسد عن تدفق السائل المنوى الذى يخلق حياة جديدة .

و كذلك يعبر مصطلح فتح الرحم أيضا عن فتح ما كان من قبل مغلقا . حيث يعبر ميلاد الطفل الجديد من الرحم عن ميلاد الكون كله .

<u>ملخص الفصل الثامن :-</u>

* ترمز مومياء الملك لجسد الكون الأزلى .

* يعتبر طقس فتح الفم اعادة تكرار لحدث وقع فى بدء الخليقة , و هو حدث فتح شرنقة الكون الأزلى . و هذ الحدث الميثولوجى هو الذى فتح الباب لميلاد الكون الجديد .

* ان استخدام اداة مصنوعة من الحديد النيزكى فى طقس فتح الفم ربما يشير الى أن الحديد الموجود فى النيازك تم قذفه من الأرض الأزلية فى مرحلة مبكرة من مراحل نشأة الكون .

* فى الكتب الدينية المصرية , يقوم الاله فى الغالب بالخلق عن طريق الفم .

ان أفعال الاله الأزلية مثل البصق و العطس و النطق بكلمة الخلق هى جميعا تنويعات على فكرة "فم الأرض الأزلية" الذى انفتح كما تنفتح الشرنقة أو كما تفقس البيضة و تخرج منها الحياة .

* تظهر فكرة "فتح الفم" أيضا فى رحلة "رع" اليومية فى جسد "نوت" . حيث يفتح رع فم نوت عند الأفق الغربى و يدخل منه الى العالم السفلى , ثم يعود و يفتح رحم نوت و مشيمتها عند الأفق الشرقى ليخرج من العالم السفلى الى النهار . و ما يقوم به رع فى رحلته اليومية هو اعادة تكرار لحدث وقع عند بدء الخليقة , و هو حدث فتح فم الأرض .

* هناك أبواب فى جسد "نوت" (السماء) , و فتح أبواب نوت يعنى فتح فمها .

ان فتح الأبواب أو البوابات فى كل مرحلة من مراحل طواف الملك فى أبعاد الكون هو فى الحقيقة اعادة تكرار لحدث فتح فم الأرض الذى وقع عند نشأة الكون .

كل الأبواب الكونية هى فى الأصل أبواب الأرض الأزلية و المحيط الأزلى .

* يعتبر هذا أول دليل على أن قدماء المصريين ربما كانوا يمتلكون علم فيزياء كونية متقدم و عقلانى .

الفصل التاسع

يوم العاصفه

فى أحد مشاهد تقديم قرابين اللوتس بمعبد ادفو جاء هذا النص الذى يخاطب الأزليين قائلا :-
** تقبلوا قربان اللوتس الذى أتى للوجود فى بدء الخليقة , و الذى أبعد العاصفة , مع أنه لم يكن يعرفها **

فى متون الأهرام , لا يرتحل الملك فى كون ثابت جامد , و انما هو يخترق كونا فى حالة تغير و تطور و تشكل .

تصف متون الأهرام الملك و هو ينهض و يقف و يجلس و يغتسل و يأكل و ينام وسط دراما كونية تصف كل مراحل تطور الكون من البذرة الى الميلاد الى التشكل و التوسع .

كل ما يأتى به الملك من أفعال بعد موته هو عبارة عن وصف لمراحل نشأة الكون و تطوره .

و كما ذكرت من قبل , اذا كان الملك يعيد تكرار قصة الخلق بموته و بعثه من جديد , فمعنى ذلك أننا يمكن أن نعرف قصة الخلق من خلال قراءة النصوص التى تتناول الطقوس الجنائزية التى تهدف لاطلاق روح الملك من الجسد لتبدأ رحلتها فى العالم الآخر .

فى الفصل السابق اتبعنا نفس المنهج لمحاولة فهم مغزى طقس فتح الفم و علاقته بقصة الخلق .

فى نظرية ديانة النشأة , يعتبر طقس فتح الفم اعادة تكرار لحدث أزلى انفتحت فيه شرنقة أو بيضة الكون القديم ليولد منها الكون الجديد .

و من الأدلة التى تدعم هذه الفرضية أن هناك العديد من الأساطير فى مصر القديمة تصف خروج الاله الخالق من بيضة كونية أو من رحم الأم الكونية نوت , كما أن هناك أساطير أخرى تصف قيام الاله بالخلق بالفم عن طريق البصق أو العطس أو القاء كلمة أو أمر الهى من فمه .

لذلك كان من المعقول أن يكون طقس فتح الفم تعبيرا مجازيا عن كل هذه الأفكار .

فى هذ الفصل و فى الفصلين التاليين أيضا , سنستعرض معا فكرة صعود الملك للسماء و سنبحث فيما اذا كان ذلك رمزا لحدث أزلى وقع عند نشأة الكون .

و سنركز فى بحثنا على ثلاثة جوانب لهذه المحاكاة , و هى :-

- العاصفة التى يصعد الملك للسماء من خلالها

- الحديد الذى يصادفه الملك فى طريقه للسماء

- قيام الملك باخصاب السماء كما يفعل الثور

و كما سنرى , فان هذه الموضوعات الثلاثة التى جاء ذكرها فى متون الأهرام تتبع سياقا واحدا و تتشابك معا داخل نمط تفكير مترابط و تتفق مع العديد من الأحداث الرئيسية التى جاء ذكرها فى أساطير الخلق . و بالقراءة المتأملة للنصوص الواحد بعد الآخر سنعيد تكوين أجزاء الصورة الكبرى لقصة الخلق لنعرف سر نشأة النجوم و الشمس و القمر .

سنبدأ هذا الفصل بصعود الملك للسماء وسط عاصفة .

<u>الملك و العاصفة :-</u>

كما أوضحنا فى الفصل السابع , يمكن للملك (أو بالأحرى يمكن ل "كا" الملك) أن يصعد للسماء مباشرة بأن يخترق الهواء و يرتفع فوقه , و غالبا ما يفعل ذلك بأن يمتطى ظهر عاصفة .

فى متون الأهرام , تتخذ هذه العاصفة عدة أشكال .

يصف النص رقم 258 من متون الأهرام صعود الملك بأنه يحدث وسط عاصفة ترابية .

يقول النص :-

** الملك هو أوزيريس وسط عاصفة ترابية ... الملك فى طريقه للسماء فوق العاصفة **

و يصف النص رقم 261 صعود الملك للسماء وسط البرق . يقول النص :-

** ظهور الملك يثير الرهبة فى القلوب ... الملك هو ابن "شو" (رب الهواء) الحبيب , الذى يخطف نوره الأبصار ... الملك شعلة من اللهيب تتحرك أمام العاصفة لتبلغ حدود السماء و أطراف الأرض

, حين ينطلق مثل البرق **

و فى النص رقم 262 من متون الأهرام يصعد الملك للسماء وسط عاصفة ثلجية (أو نيزكية) .

يقول النص على لسان الملك :-

** لقد أخذتنى عاصفة ثلجية (أو نيزكية) الى السماء .. و رفعتنى الى أعلى , الى "رع" **

يصف النص رقم 627 من متون الأهرام صعود الملك للسماء وسط سحابة من الجراد و فوق سحابة ممطرة . يقول النص :-

** السماء ترتعد , و الأرض ترتجف .. لقد صعد الملك للسماء وسط سحابة من الجراد .. لقد صعد الملك للسماء وسط سحابة ممطرة **

يصف النص رقم 511 من متون الأهرام صعود الملك للسماء وسط رعد السماء و زلازل الأرض يقول النص على لسان الملك :-

** السماء ترتعد من أجلى .. و الأرض تتزلزل أمامى .. و قد هبت العاصفة الثلجية من أجلى .. و انا أزأر مثل ست **

ما الذى ترمز له هذه العاصفة الهائلة ؟

يقول علماء المصريات أن السحب الممطرة و العاصفة الثلجية و البرق و الرعد هى ظواهر طبيعية تحدث فى العالم المادى , و بالتالى فليس هناك مغزى لهذه العاصفة لأن الملك لا يحتاج لعاصفة كى يصعد للسماء . يمكن للملك أن يصعد للسماء باستخدام المعراج السماوى أو أن يطير فوق العاصفة فى هيئة طائر .

و هكذا ينكر علماء المصريات وجود أى رمز تشير اليه العاصفة و ينظرون اليها باعتبارها فكرة غير متسقة مع باقى الأفكار الموجودة فى متون الأهرام .

و لكن , هل ما يقوله علماء المصريات صحيح ؟

اذا كان الملك فى متون الأهرام يعيد تكرار قصة الخلق – كما ذكرت من قبل فى الفصل السابع – فان هذا الصعود وسط عاصفة يرمز لحدث من أحداث نشأة الكون .

و فى هذه الحالة فان العاصفة لن تكون مجرد عاصفة عادية تحدث كظاهرة طبيعية فى حياتنا

اليومية و انما هى عاصفة كونية وقعت فى الزمن الأول , أى عند بدء الخليقة .

فهل تؤيد النصوص المصرية القديمة هذه الفرضية ؟

<u>عاصفة الخلق :-</u>

لنتأمل أولا الوقت الذى تحدث فيه العاصفة .

اذا كان الملك بعد موته يعيد تكرار حدث العاصفة الأزلية التى وقعت فى الزمن الأول , فمن المتوقع أن نجد أثرا لهذه العاصفة فى أساطير الخلق المصرية .

و أول نقطة يجب الانتباه اليها هى أن الملك بعد موته يجسد أوزيريس و يعيد تكرار قصة موته و بعثه من جديد .

و هنا , سنجد أن اوزيريس نفسه قد بعث بعد موته وسط عاصفة اجتاحت السماء و الأرض .

جاء فى النص رقم 477 من متون الأهرام :-

** السماء فى مهب اعصار .. و الأرض ترتجف .. ها هو حورس يأتى .. ها هو تحوت يظهر .. و الاثنان يرفعان أوزيريس الراقد فوق جنبه , و يجعلانه يقف أمام التاسوعان **

يتزامن بعث أوزيريس أيضا مع حدوث برق . يقول النص رقم 148 من متون التوابيت :-

** البرق يخطف الأبصار .. و ال "نترو" ترتجف .. و ايزيس تستيقظ حبلى ببذور أخيها أوزيريس **

تصف متون الأهرام أيضا وقوع حدث الحمل ب حورس و ست بينما الأرض ترتجف و السماء ترتعد . على سبيل المثال , يقول أحد نصوص الأهرام :-

** لقد ولدت يا حورس و أنت تحمل لقب "الذى ترتجف أمامه الأرض" .. لقد حملت بك أمك يا "ست" و أنت تحمل لقب "الذى ترتعد أمامه السماء ***

و فى نص آخر من متون الأهرام , يظهر ست على هيئة زلزال يضرب الأرض تحت جسد أوزيريس الراقد . يتزامن بعث أوزيريس من جديد فى صورة حورس (رب السماء) مع أول ظهور أو شروق ل "رع" .

فى متون التوابيت هناك دليل على أن "رع" أيضا أتى للوجود وسط عاصفة هائلة .

على سبيل المثال نقرأ فى النص رقم 326 :-

** السماء يجتاحها الصخب .. و الأرباب الأزليون يقولون "ها نحن نرى شيئا جديدا" .. ها هو رع يشرق و يتجلى فى صورة حورس , رب النور , الذى قذف الرعب فى قلوب أرباب الخوف .. ها هم يسمعون صوت رع و هو يصيح بصوت جهورى **

و عند ظهور "رع" تضطرب السحب الممطرة . يقول النص رقم 992 من متون التوابيت :-

** السموات مكشوفه / مفتوحه .. و السحب الممطرة ترتعد .. و "رع" يظهر وسط تاسوعه فى هيئة رب النور **

يصف النص رقم 1029 من متون التوابيت الرعد و الزلزلة التى تجتاح ال "آخت" (الأفق) و السماء و الأرض لحظة ظهور "رع" . يقول النص :-

** يجتاح الرعد ال "آخت" الشرقى للسماء لدى انطلاق صوت نوت و هى تقوم بافساح الطريق ل "رع" .. انهض يا رع .. فالأرباب العظماء يرتجفون لدى سماع صوتك .. السماء و الأرض ترتعد أمامك , و تنتابهم الرجفة حين تبدأ طوافك الكونى من جديد كل يوم ***

وردت العاصفة أيضا فى سياق قصة الخلق التى لعب فيها "شو" (رب الهواء) دور الاله الخالق و التى تعرف باسم "نصوص شو" .

جاء فى النص رقم 80 من متون التوابيت على لسان "شو" :-

** ان سوائل جسدى هى عاصفة غائمة فى السماء .. و عرقى هو عاصفة ثلجية (أو نيزكية) تكتنفها الظلمة **

و قد ورد النص السابق فى سياق مجئ "شو" للوجود على هيئة هواء خرج من فم آتوم .

و نفهم من النص السابق أن السماء و الغلاف الجوى قد خلقا وسط عاصفة .

هناك أسطورة متأخرة (تعود للعصر البطلمى) تقول أن "شو" صعد للسماء وسط عاصفة .

تحكى الأسطورة أن "شو" قد حكم الأرض الى أن صار عجوزا و ضعيفا و أصابه العمى .

فثار عليه أتباعه و أحدثوا فوضى فى القصر و أثاروا النزاعات و الصراعات فى أنحاء الأرض .

كان ذلك هو الوقت الذى غادر فيه "شو" و مساعدوه الثمانية (اللانهائيون) الأرض و صعدوا للسماء تاركين وراءهم القصر و قد غرق فى الظلمة و اجتاحته عاصفة من الرياح القوية .

و فى هذه الأسطورة نقرأ :-

** صعد "شو" للسماء .. و لم يخرج أحد من القصر لمدة 9 أيام .. و طوال هذه الأيام ساد العنف و هبت العاصفة .. و لم يستطع أى أحد , سواء "نتر" (كيان الهى) أو انسان أن يرى وجه من يقف أمامه ***

فى الأسطورة السابقة , نجد الفوضى الكونية هى نتاج ثورة قام بها عدد من ال "نترو" لم تحدد الأسطورة أسماءهم .

و لكن فى أساطير أخرى , نجد أن الفوضى الكونية هى نتاج أفعال "ست" العنيفة ضد حورس أو ضد أوزيريس .

و كل من حورس و ست هم أرباب العاصفة . وصفت متون الأهرام ست بأنه (رب العاصفة الغائمة) , و بأنه يهاجم عين حورس . أما حورس فيهدد بتدمير ست بالعاصفة التى تخرج من عينه , قائلا (سأخرج اللهيب من عينى , و سيحيط بك , و سأطلق العاصفة تجاه من يفعل الشر .. سأطلق عاصفة نارية بين أولئك الأزليين **

ذكرت متون الأهرام قصة الصراع بين حورس و ست بشكل غامض و مبهم .

أما النصوص المتأخرة (من عصر الدولة الوسطى و ما بعدها) فقد وصفت الصراع بين حورس و ست بأنه أشبه بعاصفة اجتاحت الأرض و السماء .

و هو ما يعتبر امتدادا للفكرة التى وردت فى متون الأهرام حيث ورد فى بعض المواضع أن حمل السماء بحورس و ست و ولادتها لهما كان مصحوبا برعد السماء و زلزلة الأرض .

يميل الكثير من الباحثين الأكاديميين لتأويل قصة الحرب و الصراع بين حورس و ست تأويلا تاريخيا و يفترضون أن هذا الصراع هو صراع تاريخى وقع بين مجموعتين متنافستين من البشر .

و يميل آخرون لتأويل هذ الصراع تأويلا فلكيا , فيقولون أنه تعبير مجازى عن حدث فلكى عنيف أثر فى حركة الشمس أو النجوم .

لا شك أن الصراع بين حورس و ست يرمز للصراع الأبدى بين قوى النظام و قوى الفوضى الكونية , و هى تعبر بشكل خاص عن الصراع الأزلى الذى وقع بين قوى النظام و قوى الفوضى عند بدء الخليقة .

و هناك أدلة على ذلك فى متون الأهرام و التى أشارت الى (الزمن الذى جاء فيه الغضب للوجود أول مرة , و الذى جاءت فيه الضوضاء للوجود أول مرة , و الذى جاء فيه الصراع للوجود أول مرة ... حين فقأت عين حورس , و حين اقتلعت خصية ست) .

كل هذه التعبيرات هى رمز للصورة الأولية للفوضى .

ان العاصفة التى هبت نتيجة للصراع بين حورس و ست هى عاصفة كونية أزلية حدثت فى الزمن الأول .. و هى عاصفة الخلق .

و نفس المبدأ ينطبق أيضا على رب العاصفة أبوفيس (عبيب) , الذى يحاول أن يمنع قارب "رع" من استكمال رحلته فى اتجاه الأفق الشرقى كل يوم .

و عاصفة عبيب التى تهاجم رع كل يوم هى بلا شك اعادة تكرار لعاصفة الخلق التى وقعت فى الزمن الأول .

تصف متون الأهرام هذه العاصفة الأزلية بأنها (ليل و نهار من الفوضى المتتابعة , حين هلكت بعض ال "نترو" , و ثار المشاغبون و أحضر الخاطئون للعدالة) .

وصفت متون الأهرام يوم العاصفة الأزلية بأنه (اليوم الذى ذبح فيه الأقدمين) , و أنه (اليوم الذى قطعت فيه رؤوس الأفاعى الرقطاء) .

و وصفت متون التوابيت يوم العاصفة الأزلية بأنه (الليلة التى ذبح فيها العظماء) , و أنه (يوم المذبحة العظمى) , و أنه (اليوم الذى تصارع فيه المتنافسان) , و أنه (الليلة التى شنت فيها الحرب , و طرد فيها المشاغبون) و أنه (يوم حساب العصاه فى حضرة "نبر - دجر") , و أنه (يوم تحطيم رؤوس الأفاعى الرقطاء بعصا الصيد) , و أنه (يوم اعادة النظام للقاعة العظيمة , و انهاء الصراع بين ال "نترو") .

<u>نشأة العاصفة و أصلها :-</u>

و بعد أن تناولنا وقت حدوث العاصفة , سنبحث الآن فى طبيعة العاصفة و أصلها .

يتضح الحجم الهائل لهذه العاصفة الأزلية من النصوص التى وصفتها بأنها (غطت الأرضين) أى العالم كله , و بأنها اجتاحت كل أبعاد الكون الرئيسية و هى الأرض و ال "دوات" و ال "آخت" و السماء , و أنها من صنع الكيانات الالهية مثل حورس , و ست , و شو , و رع .

اذن يمكننا أن نقول بدون تردد أنها عاصفة كونية .

و حين نطلق عليها عاصفة كونية , فان ذلك يعنى أن آليات حدوثها هى جزء من مراحل تطور الكون .

يقول النص رقم 80 من متون التوابيت أن العاصفة هى السوائل و العرق الذى خرج من جسد "شو" . و "شو" بدوره خرج من فم آتوم على هيئة هواء .

جاء فى النص رقم 989 من متون التوابيت أن العاصفة نشأت من رحم الأم الكونية نوت .

يقول النص :-

** ظهرت نذر هبوب العاصفة الغائمة العظيمة من ال "آخت" , من رحم التى حملت بالنترو (ايزيس و أوزوريس و ست و نفتيس و حورس) فى الأيام الخمسة الأخيرة من السنة , من رحم نوت **

جاء فى النص رقم 720 من متون التوابيت أن نوت تصعد للسماء . و أثناء صعودها تسبب رجفة للنترو الذين فى قلب العاصفة . و كأن نوت تلد العاصفة و تلد أيضا ال "نترو" الذين فى قلبها .

يصف أحد نصوص الأهرام هؤلاء ال "نترو" المرتجفون بأنهم (الذين يتسمون بالعنف , الذين يقفون فوق العاصفة الغائمة فى السماء) , كما يعزى النص سبب خوف أولئك المرتجفون الى حدث كونى رهيب تحطمت فيه كرة عجل أبيس (الشمس) فى السماء .

و من القراءة المتأملة للنصوص الدينية المصرية , يتضح لنا أيضا أن الصراع بين ال "نترو" نشأ فى الأصل فى الأرض الأزلية , ثم انتقل بعد ذلك ليشمل كل انحاء الكون .

يقال أن الصخب و الجلبة بدأ حدوثها فى مدينة أزلية (و المدينة هى صورة مصغرة من العالم فى

اليوم الذى بدأ فيه الخلق) و فى داخل أو فوق أحد التلال الأزلية .

تقول بعض النصوص أن مقابر ال "نترو" تقع فى ال "دوات" أو فى جزيرة اللهيب أو فى الجزيرة التى دهستها الأقدام .

و وصف الجزيرة بأنها التى دهستها الأقدام يوحى بوجود صراع , و لكن هذا الصراع لم ينشأ من السماء , و انما نشأ فى الأرض الأزلية ثم انتقل للسماء .

و بعد موت الملك , يقوم باعادة تكرار حدث العاصفة الكونية أثناء صعوده للسماء من أعماق ال "آخت" . على سبيل المثال يقول أحد نصوص الأهرام :-

** يصعد الملك وسط عاصفة هائلة من أعماق ال "آخت" .. و يشهد ميلاد ال "نترو" فى الأيام الخمسة الأخيرة من السنة **

الأيام الخمسة الأخيرة من السنة هى الأيام التى ولد فيها أيزيس و أوزوريس و ست و نفتيس و حورس .

أما طبيعة العاصفة فنلاحظ أنها تتنوع ما بين عاصفة ترابية و عاصفة رعدية و عاصفة ثلجية (أو نيزكية) .

تصف بعض النصوص الملك وهو يصعد للسماء وسط عاصفة ترابية , حيث ترفعه الرياح و الأتربة عاليا , أو وسط عاصفة رعدية , و قد ترفعه عاصفة ثلجية لأعلى ليقابل رع , أو قد تأخذه سحب ممطرة نحو السماء . أو قد يصعد الملك للسماء وسط زلزال .

و هنا علينا أن ننتبه الى أننا لسنا أمام تعبيرات تشير الى ظواهر الحياة اليومية , و انما أمام رموز تتعلق بنشأة الكون . فالبرق و الرعد عند قدماء المصريين - على سبيل المثال – ليس مجرد ظاهرة مناخية و انما هو أحد الصور الأولية لأحداث نشأة الكون .

لا يمكن أن نتصور أن ذلك البرق و الرعد الذى تتحدث عنه النصوص هبط من السماء لأن السماء لم تكن قد خلقت بعد . لابد أن تلك العاصفة الرعدية قد صعدت من الأرض الأزلية , لأن الأرض الأزلية هى مركز الخلق و هى الأصل الذى خرج منه .

ان ترجماتنا المعاصرة لتلك الأحداث الكونية الأزلية الى ظواهر مثل "البرق و الرعد" و "العاصفة

الثلجية" , و "السحب الغائمة" هى جميعا مجرد اجتهادات لا تستطيع أن تعبر عن المعنى الدقيق لمغزى هذه النصوص .

فعلم نشأة الكون المصرى يطيح بالمفاهيم العلمية الحديثه ويقلبها رأسا على عقب .

و من الأشياء التى تستحق التوقف و التأمل أن بعض النصوص تحدثت عن فتح فم العاصفه .

جاء فى النص رقم 261 من متون الأهرام أن الملك يقوم بفتح فم العاصفه لكى يصعد فوقها من الجانب الشرقى للسماء .

و فى النص رقم 288 من متون التوابيت يتحدث المتوفى عن نفسه قائلا انه هو الذى يفتح فم العاصفة .

و يقول النص رقم 631 من متون التوابيت أن المتوفى يفتح فم العاصفه .

و يخاطب النص رقم 1112 من متون التوابيت العاصفه قائلا (افتحى فمك , أيتها الملئية بالسحب) .

ما الذى يعنيه فتح فم العاصفه ؟

هل يمكن أن يكون ذلك تعبيرا مجازيا عن فتح شرنقة الأرض الأزلية عند بدء الخليقة ؟

هناك نصوص تؤيد ذلك .

فالنص رقم 254 من متون الأهرام يقول أن العاصفة الغائمة ظهرت فى السماء فى نفس اللحظة التى فتح فيها الملك فم الأرض الأزلية ليصعد منها للسماء . يقول النص :-

** لترتجفوا و ترتعدوا يا أرباب العنف التى تقف فوق العاصفة الغائمة فى السماء .. ها هو الملك يفتح فم الأرض بما اطلع عليه فى اليوم الذى شاء أن يأتى فيه **

و يعبر النص رقم 622 من متون التوابيت عن نفس الفكرة , و لكنه يتحدث مباشرة عن فتح فم العاصفة بدلا من فتح فم الأرض . يقول النص :-

*** لترتجفوا و ترتعدوا يا أرباب العنف التى تقف فوق العاصفه الغائمة فى السماء .. ها هو الملك يفتح فم العاصفة بما اطلع عليه فى اليوم الذى شاء أن يأتى فيه **

اذا لم يكن ذلك مجرد خطأ فى النسخ , فهو يعنى أن المصرى القديم كان ينظر لفتح فم الأرض

و فتح فم العاصفة باعتبارهما شيئا واحدا .

فى النص رقم 511 من متون الأهرام – الذى ذكرناه من قبل – نلاحظ أن زلزلة الأرض تزامنت مع هبوب عاصفة ثلجية (أو نيزكية) .

و فى النص رقم 1069 و 1179 من متون التوابيت نلاحظ أن فتح فم السماء تزامن مع هبوب عاصفة . و الفعل الذى استخدمه قدماء المصريين فى هذا السياق هو فعل (khsr) , و يترجم عادة بمعنى "يزيح" , و لكنه يعنى أيضا "يفصل أو يشطر باستخدام القوة" , و يستخدم لوصف حدث فصل السماء عن الأرض .

أى أن انشطار العاصفة أو فتح فمها قد يكون تعبيرا مجازيا عن حدوث فوضى فى الكون فى اللحظة التى انفصلت فيها السماء عن الأرض .

علينا أن ننتبه الى أن صعود الملك وسط عاصفة هو جزء من رحلة صعوده الى السماء .

فزلزلة الأرض و رعود السماء ربما حدث أثناء فصل السماء عن الأرض بالقوة .

تصف النصوص الدينية ذلك الحدث بتعبيرات مثل :

تصدعت الأرض و انفتح جوفها , و انفتحت أبواب السماء .. جب يضحك و نوت تصيح .. و يعلو النحيب و العويل .. يمسك ال "نترو" بيد بعضهم البعض و يطرقون الأرض بأقدامهم .. يصعد الملك للسماء وسط أنفاس من النار .. الملك يزأر مثل ست , و خشيته تملأ القلوب , و ترهب ال "نترو" .. ترتعد ال "نترو" من الخوف .. النجوم أظلمت .. اشتعلت النار فى السماء فى اللحظة التى تزلزلت فيها الأرض , حين صعد الملك وسط عاصفة من الرياح و البرق و الرعد و الثلج .

كل هذه التعبيرات تدور حول فكرة الكون الذى يأتى للوجود و يتشكل , حيث تنفصل السماء عن الأرض فى حدث مصحوب بالعنف يؤدى الى فتح جوف الأرض الأزلية و المحيط الأزلى .

و بالتالى قد نستنتج من ذلك أن هبوب العاصفة أو فتح فمها هو تعبير مجازى عن قذف المادة الأولية من شرنقة الكون القديم ليتشكل منها الكون الجديد .

و هواء هذه العاصفة هو الذى تشكل منه الغلاف الجوى , و مياهها هى المياه التى تشكل منها المحيط السماوى , و نارها هى النار التى تشكلت منها النجوم و الشمس .

و لكى يحدث ذلك , كان على العاصفة أن تتحول أولا من حالة الفوضى الى النظام .

و قد وصفت النصوص ذلك التحول .

صفاء السماء :-

تصف النصوص الدينية المصرية السماء فى بداية تشكلها بأنها كانت فى حالة من الفوضى و العشوائية و السديمية . فالسحب (من الغازات و الغبار الكونى) تغطى وجه السماء , و النجوم مظلمة و ساكنة فى مواضعها , لم تبدأ بعد فى الدوران فى أفلاكها و ال "نترو" فى السماء ترتعد فى قلب العاصفة الغائمة , و هناك صراع بين حورس (النظام) و "ست" (الفوضى) , و أتباعهما و تعتبر اعادة النظام للسماء المضطربة أحد أهم الأفعال التى قام بها الاله الخالق عند نشأة الكون , و هو الفعل الذى تقوم روح ملك مصر باعادة تكراره مرارا .

جاء فى متون الأهرام أن الملك يضع حدا للفوضى الكونية و يحكم بين ال "نترو" المتصارعين .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** لقد وضعت نهاية للصراع فى هليوبوليس (الصراع بين حورس و ست) .. لأنى أبعث اليوم فى هيئة روح حية , لأنهى الصراع , و أقتلع أولئك الذين يتسمون بالعنف **

** لقد حكمت بين المتصارعين (حورس و ست) , و أنا فى الفيضان العظيم "ميحيت - ويريت" (السماء) **

و هكذا يقيم الملك النظام مكان الفوضى , و يجلب السلام للسماء و البهجة للأرض .

على سبيل المثال , يقول أحد نصوص الأهرام :-

** عم السلام السماء , و عمت البهجة الأرض .. لأنهم سمعوا أن الملك أقام النظام (ماعت) مكان الفوضى (اسفت) **

حين يجلب الملك السلام للكون , فهو بذلك يعيد تكرار ما فعله تحوت فى الزمن الأول عندما صالح بين المتخاصمين , أى بين حورس و ست بعد صراع طويل .

جاء فى النص رقم 7 من متون التوابيت :-

** تصدعت الأرض حين بدأ الغريمان (حورس و ست) يتصارعان .. حيث حفرت أقدامهما البحيرة المقدسة فى هليوبوليس .. و لكن تحوت بكل جلاله أتى , فانتهى القتال و توقف الصراع , و انطفأت النيران و هدأ الغضب حين اتخذ تحوت مجلسه فى المحكمة الالهية ليحكم فى حضرة جب **

و هناك نصوص أخرى تقول أن "شو" (رب الهواء) هو الذى أعاد النظام للسماء .

جاء فى النص رقم 75 من متون التوابيت على لسان "شو" :-

** أنا الذى أعاد الهدوء للسماء .. أنا الذى اخترق سقف السماء .. لقد اطفأت النيران و هدأت من روع المتصارعين . أنا الذى هدأت من روع "الغاضبة" (العين) وسط حالة الغضب التى انتابتها **

و من الأشياء التى تستحق التوقف , أن "شو" نفسه يعتبرا تجسيدا للعاصفة الكونية .

و قد قرأنا فى أحد النصوص التى جاء ذكرها سابقا فى هذ الفصل أن سوائل جسد "شو" هى العاصفة الغائمة التى فى السماء و أن عرقه هو العاصفه الثلجية التى تكتنفها الظلمة .

و يعتبر تبديد العاصفة و ازاحتها أحد أهم الأحداث التى تناولتها متون الأهرام , و هى مهمة يقوم بها الاله الخالق و ملك مصر , أو بعبارة أخرى هى مهمة قام بها الاله فى بدء الخليقة و يقوم الملك باعادة تكرارها مرارا .

جاء فى النص رقم 519 من متون الأهرام أن الاله الخالق (فى صورة رع) يقوم بازاحة العاصفة ليحل محلها السلام و النظام , و هو حدث وقع فى أعقاب انفصال السماء عن الأرض .

يوجه النص رقم 570 من متون الأهرام الحديث الى "آتوم - رع" و يحثه على (أن يكشف غيوم السماء و يبددها , حين يشرق "حور - آختى") .

أما النص رقم 1112 من متون التوابيت فيقول أن "رع" كانت تغطيه الغيوم الى أن جاء حورس و أزاح هذه الغيوم و بددها بأنفاسه المشتعلة .

و فى النص رقم 311 من متون الأهرام يقوم الملك باعادة تكرار ما فعله الاله الخالق فى الزمن الأول . يقول النص على لسان الملك مخاطبا "رع" :-

** خذنى معك , لأزيح العاصفة بعيدا عنك .. لأبدد السحب من حولك .. و لأذيب الثلوج من

أجلك **

و فى النص رقم 1099 من متون التوابيت يقول المتوفى :-

** سأبدد الغيوم لكى أرى حسن "رع" , و لأظهر الخشوع له **

ان ازاحة السحب و الغيوم الكونية هو الذى يسمح ل "رع" بأن يظهر و يتجلى للوجود على هيئة شمس , أو على هيئة الشمس و النجوم و القمر (و ذلك حسب رؤيتنا ل "رع" باعتباره اله الشمس أو الاله الخالق) .

و نتيجة لازاحة الغيوم , تصبح السماء صافية و تشرق الشمس , و تصبح الرؤية واضحة أمام عين حورس (أى يكتمل خلق الشمس و القمر) و أمام أعين ال "نترو" (أى تتلألأ النجوم بعد أن كانت مظلمة) , و تصبح الطرق السماوية ممهدة و مفتوحة و جاهزة لمرور "رع" و ال "نترو" و أيضا لروح ملك مصر أثناء طوافها الكونى .

و من المدهش أن النصوص وصفت فتح الطرق السماوية بأنه تم باستخدام القوة , و كأنه يعنى ضمنيا أن السحب و الغيوم كانت تشكل عائقا أمام حركة "رع" .

يقول النص رقم 110 من كتاب الخروج الى النهار على لسان المتوفى :-

** لقد فتحت طرق "رع" فى اليوم الذى رفعت فيه السماء **

و هناك نص أقدم من النص السابق يقول أن السماء رفعت (نتيجة غضب ست الذى نفثه فى الهواء بعد خروج من كان فى البيضة للحياة) . و يعتبر وصف "من كان فى البيضة" اشارة لحورس .

ما هى طبيعة تلك الغيوم التى كانت تملأ السماء فى تلك المرحلة المبكرة من نشأة الكون ؟

ان هذه الغيوم بالقطع ليست غيوما عادية كالتى نشاهدها فى حياتنا اليومية .

نشأت هذه الغيوم من الأرض الأزلية ثم صعدت الى سطح السماء الدنيا , و الذى ينظر اليه فى مصر القديمة باعتباره بطن الأم الكونية نوت .

الغيوم المقصودة فى سياق الكتب الدينية هى سحب كونية (غبار كونى و غازات فى حالة سديمية) . كانت هذه الغيوم تملأ المحيط السماوى و تغطى النجوم و تحجب نورها و تعوق مرور قارب "رع" (أى تعترض مدار الشمس فى الفلك) .

مم كانت تتكون هذه الغيوم ؟

أول ما يتبادر للذهن على الفور هو المياه (السماوية) .

جاء فى متون التوابيت أن "رع" (يبحر فى السماء المليئة بالغيوم) , كما ربطت النصوص أيضا بين (ليلة العاصفة الهائلة) و بين مياه الخلق .

اعتقد قدماء المصريين أن السماء خلقت من المياه التى تدفقت من "نون" فى (ليلة الفيضان العظيم) , كما جاء فى متون الأهرام (انظر الفصل السادس) .

و ماء السماء هو ماء نوت الذى ارتفع من الأرض الأزلية بقوة دفع رياح "شو" .

و من المؤكد أن ماء الفيضان هذا كان يشكل عقبة فى المرحلة التى كانت السماء تتشكل فيها ,

و من المنطقى أن ازاحة مثل هذه المياه كان يحتاج لأنفاس حورس النارية .

و لكن , هناك أيضا أدلة على أن غيوم العاصفة الكونية كانت تحتوى على عناصر أخرى من عناصر الأرض الأزلية الى جانب مياه الفيضان العظيم الذى خلق منه الكون .

و قد ذكرنا تلك الأدلة بشكل مختصر و سريع فى الفصول السابقة , و لكن فى الفصل التالى سيكون تركيزنا منصبا فقط على هذا الجانب من جوانب قصة الخلق فى مصر القديمة .

ملخص الفصل التاسع :-

* تصعد روح الملك للسماء فى الغالب وسط عاصفة . كما تظهر العاصفة أيضا فى الأساطير التى تتناول الصراع بين ال "نترو" . و هذه العاصفة ليست كأى عاصفة تحدث فى حياتنا اليومية , و انما هى مرحلة من مراحل تطور الكون , أى أنها عاصفة كونية .

* نشأت العاصفة فى الأرض الأزلية , و لكنها انتقلت الى السماء حين أتت السماء للوجود , بعد انفصالها عن الأرض . ان زلزلة الأرض و رعد السماء يشير للحظة التى انفصلت فيها السماء عن الأرض بالقوة .

* لم تظهر الشمس و القمر للوجود الا بعد أن أطفئت النيران و أزيحت الغيوم بالقوة من السماء . هناك اشارات الى أن العاصفة لم تكن تحتوى فقط على المياه الأزلية و انما تحتوى أيضا على عناصر كونية أخرى .

الفصل العاشر

انقسام الحديد

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 257) :-

** هناك جلبة و اضطراب فى السماء .. و الملك يهيمن على السماء , و يكسر الحديد **

من أكثر الأشياء التى تثير الانتباه عند قراءة متون الأهرام هو الحضور الطاغى لمعدن الحديد , و قد عرف فى اللغة المصرية القديمة باسم "بيا" (bja) , و يترجم عادة الى الحديد .

تصف متون الأهرام الملك المتوفى (أو بمعنى أدق "كا" الملك المتوفى) بأنه يرفع عظامه الحديدية , و بأنه يفتح بيضته الحديدية , و بأنه يجلس على عرشه الحديدى و بأنه يشطر أو يقطع حديد السماء , و بأنه يستريح فوق الحبال الحديدية التى تجر القارب السماوى , و بأنه يخرج من السماء عن طريق الأبواب الحديدية .

و يستمر الحديث عن الحديد فى متون التوابيت , حيث تتحدث نصوصها عن قيام الملك بفتح بيضته الحديدية , و قيامه بشطر أو قطع حديد السماء , و تقول أن قارب الملك يتم جره أو سحبه فى السماء بواسطة حبال من الحديد .

و فى متون التوابيت نصادف تعبيرات جديدة تدور حول الحديد , مثل (الحائط الحديدى الذى يحيط بحقل البوص السفلى) و (السهل الحديدى العظيم الذى تقف فوقه أرواح/أرباب النجوم فى السماء الشمالية) .

ما الذى يعنيه ذلك ؟

لماذا تمتلئ النصوص الدينية المصرية باشارات للحديد ؟

فى عام 1904 , كتب عالم المصريات الانجليزى السير "والس بدج" (E.A. Wallis Budge) يقول أن السماء كانت فى نظر قدماء المصريين عبارة عن قطعة مسطحة هائلة من الحديد مرفوعة

فوق أربعة أعمدة . و مؤخرا , توصل عالم المصريات "جيمس بيتر آلن" الى نظرية مفادها أن الحديد عند قدماء المصريين يشكل ما يشبه الحوض الذى يحوى بداخله المياه السماوية .

على أية حال , نستشف من كل ما سبق أن الحديد أحد المواد الأولية التى خلقت منها السماء .

و برغم أن هذه الفكرة تستحق التوقف و التأمل , الا أنها لم تحظى بالاهتمام الكافى من جانب علماء المصريات .

للأسف , ان فكرة حديد السماء لا تبدو شيئا هاما فى نظر علماء المصريات .

اذا كان بعث الملك بعد الموت هو اعادة لتكرار أحداث قصة الخلق - كما أوضحت من قبل فى الفصل السابع – فان الحضور الطاغى للحديد فى متون الأهرام يعنى أنه يرمز لاحدى مراحل نشأة الكون . و هو ما يعنى أن حديد السماء هو موضوع فى غاية الأهمية و يستحق البحث و الدراسة .

فى هذا الفصل سأوضح دور الحديد فى قصة الخلق من خلال قراءة النصوص التى تحدثت عن حديد السماء و فى ضوء الفرضية التى أطرحها فى هذا الكتاب و هى أن الكون نشأ فى الأصل من الأرض الأزلية , و منها بدأ التوسع و التمدد .

هل يمكن أن يكون حديد السماء قد قذف بعنف و قوة من جوف الأرض الأزلية أثناء وقوع حدث فتح الفم ؟

<u>عظام الملك الحديدية :-</u>

تعتبر فكرة عظام الملك الحديدية هى أنسب مكان يمكن أن نبدأ منه بحثنا .

جاء ذكر العظام الحديدية فى خمسة مواضع من متون الأهرام .

فى النص رقم 325 , يقول الملك :-

** أنا طاهر .. لقد أمسكت بعظامى الحديدية و نثرت أوصالى و أعضاء جسدى التى لا تموت و التى فى رحم أمى نوت **

و نلاحظ أن عظام الملك الحديدية ترتبط دائما أو يتم تشبيهها بأوصال الملك و أعضاء جسده التى لا تموت فى أربعة من النصوص الخمسة التى ذكرت العظام الحديدية , و هو ما يعنى

ضمنيا أن الملك قد اكتسب جسدا الهيا خالدا , لا يموت .

و فى نص واحد وصفت أعضاء جسد الاله بأنها ذهبية . و الاله المقصود هنا هو أوزيريس , و الذى ترمز عظامه و أعضاء جسده لعناصر الكون القديم التى أصبحت مفككة و ممزقة .

فى النص السابق , يقوم الملك بجمع عظامه و ينثرها فى رحم نوت , و بذلك يعيد تكرار حدث ميلاد أوزيريس فى الزمن الأزل .

و ربما كانت نوت هنا هى الأم الكونية التى أوشكت على التطور و التحول لتتجلى فى صورة السماء , و لتلد بعد ذلك "أوزيريس - الملك" .

و هيمنة الملك على عظامه الحديدية يعنى صعوده للسماء .

يقول النص رقم 419 من متون الأهرام ::-

** انهض أيها الملك , و انفض عنك تراب أرضك .. أنت العظيم .. أمسك بأعضاء جسدك الحديدية .. و أقطع السماء الى حقل البوص .. و اجعل استراحتك فى حقل ال حتب (القرابين/الرضا) , وسط النجوم التى لا تأفل **

و هذ النص يستحق التأمل , لأن الملك يقطع فيه السماء لكى يصل الى الحقول السماوية .

هناك بعض الباحثين الذين استخدموا هذا النص كدليل على أن حقول القرابين تقع فى الجزء الشمالى من السماء .و لكن بوجه عام حقول القرابين هى نفسها السماء .

و هنا يبرز السؤال : لماذا يقطع الملك السماء لكى يصل الى السماء ؟

و فى اعتقادى أن تفسير ذلك هو أن الملك هنا يقطع السماء أثناء انفصالها عن الأرض , أو بمعنى آخر يقطع السماء أثناء مرحلة مبكرة من مراحل تطورها .

تلعب هذه الفكرة دورا هاما فى موضع لاحق من بحثنا , حين نبدأ بمناقشة موضوع قيام الملك بشطر حديد السماء .

عبر النص السابق بأسلوب شعرى عن العلاقة الوثيقة بين أعضاء جسد الملك الحديدية و بين النجوم التى لا تأفل و كأنهما شئ واحد .

يتأكد لنا نفس المعنى عند قراءة النص رقم 570 و 684 من متون الأهرام , و التى نقرأ فيها :-

** لا تحطمى الأرض .. يا أذرعى التى ترفع السماء مثل "شو" .. ان عظامى هى الحديد , و أعضاء جسدى هى النجوم التى لا تأفل **

** يا أوزيريس .. لقد صعد الملك للسماء حين صعدت أنت للسماء .. ان كلمة الملك و كاؤه فى طريقهما للسماء .. عظام الملك من الحديد , و أعضاء جسده هى النجوم التى لا تأفل **

هذه المقابلة بين أعضاء الجسد الحديدية و بين النجوم نجد صداها أيضا فى النص رقم 723 من متون الأهرام , و هو ما يؤيد الفكرة التى أطرحها و التى تقول أن النجوم هى أعضاء جسد الاله الخالق التى انفصلت عن الجسد القديم (الذى يرمز للأرض الأزلية التى أعيد جمعها لينشأ منها التل الأزلى) و صعدت للسماء و تحولت الى نجوم .

العرش الحديدى :-

جاء ذكر العرش الحديدى "خندو بيا" (khndu bja) فى اثنى عشر موضعا من متون الأهرام . تقول النصوص أن الملك يجلس على العرش الحديدى بينما تقدم له القرابين من اللحم و من أوانى ماء التطهر . و أثناء جلوسه على العرش الحديدى , يمارس الملك دوره فى الحكم و فى اصدار الأحكام القضائية و اصدار الأوامر للنترو , سواء من كان منهم فى ال "دوات" (العالم السفلى) – و يطلق عليهم لقب "أصحاب المقاعد الخفية" أو "الذين تستخفى أماكنهم" - أو من كان منهم فى السماء – و يطلق عليهم لقب "أرواح النجوم التى لا تأفل" .

أما الرموز التى يمسكها الملك فى يده لتعبر عن سلطته فهى الهراوة أو المقرعة (و من أشهر نماذجها مقرعة الملك نارمر) و الصولجان و الذى يقال أنه صنع فى الأصل من الحديد .

و العرش الحديدى هو مكان بعد المنال عن أرواح الموتى من البشر .

و لكى يصل الملك الى ذلك المكان , عليه أولا أن يعيد جمع أجزاء جسده و يصعد من المقبرة .

يصف النص رقم 413 و 536 من متون الأهرام وصول الملك الى العرش الحديدى قائلا :-

** انهض أيها الملك .. ارفع نفسك , و أسند رأسك , و اجمع عظامك .. انفض عنك ترابك , و اجلس فوق عرشك الحديدى **

** انهض أيها الملك .. و ضع عنك أغلالك , و فك لفائف الكتان التى تقيدك .. انفض عنك ترابك .. و اجلس فوق عرشك الحديدى **

و العرش الحديدى هو شئ تتعجب منه ال "نترو" (الكيانات الالهية) , حيث يوصف بأن له وجوه عبارة عن وجوه أسود , و له أقدام عبارة عن حوافر الثور البرى العظيم .

أن يجلس الملك على ذلك العرش المميز , كان ذلك يعنى ضمان صعوده للسماء , كما جاء فى العديد من نصوص الأهرام , و منها على سبيل المثال ما يلى :-

** ستصعد للسماء فى صورة حورس فوق نجوم السماء , طالما أنت تجلس على عرشك الحديدى

** اجلس فوق عرشك الحديدى .. و أصدر الأوامر لأصحاب المقاعد الخفية , الذين تستخفى أماكنهم (الكيانات الالهية التى تسكن العالم السفلى) .. فقد فتحت لك أبواب السماء **

** أجلس فوق عرشك الحديدى .. و اجرى فى مدارك (الفلكى) .. و جدف بقاربك فوق الطرق المائية السماوية كما يبحر "رع" بين ضفاف السماء **

علاوة على ذلك , يوصف العرش الحديدى أيضا بأنه مزود بمعراج , يصعد فوقه الملك للسماء بينما تمسك بيده ال "نترو" .

يصف النص رقم 483 من متون الأهرام صعود الملك للسماء بطريقة مدهشة , اذ يقول :-

** تتكلم الأرض .. و تنفتح بوابة رب الأرض .. تفتح أبواب "جب" من أجلك و فى حضرتك .. يصعد كلامك الى أنوبيس .. لتصعد للسماء فوق عرشك الحديدى **

لأول وهلة , يبدو النص السابق و كأنه يقول أن العرش الحديدى قد رفع من الأرض للسماء .

و هو بذلك يعطينا اشارة الى أصل العرش الحديدى السماوى و منشؤه .

و لكن السطر الأخير يبدو مبهما , فهو قد يعنى أن "كا" الملك تصعد للسماء , و فى نفس الوقت تبقى جالسة فوق عرشه على الأرض .

و لكى نستوضح معنى النص السابق علينا أن نقارنه بغيره من النصوص التى تدور حول نفس الفكرة و تحتوى على تفاصيل أكثر مثل النص رقم 673 و 676 .

يقول النص رقم 673 من متون الأهرام :-

** أيها الملك .. يسرع رسلك , و يهرول مبعوثيك , و يصعدون للسماء و يخبرون "رع" أنك تقف فى مقاصير ال "آخت" , فوق فضاء /هواء السماء , و أنك تجلس على العرش الحديدى لأبيك "جب" , الذى تتعجب منه ال "نترو" **

ربط النص السابق بين العرش الحديدى و بين الأرض (جب) , و الملك يجلس فوقه (حيث العرش دائما ما يستخدم للجلوس) .

و فى نفس الوقت يقول النص أن الملك يقف فى ال "آخت" فوق فضاء أو هواء السماء .

و النص فى الحقيقة يصف لحظة من لحظات ميلاد الكون و نشأته , حيث يمثل الملك الكون الناشئ .



(أوزيريس فوق عرشه تحميه ايزيس . يرمز عرش أوزيريس للأرض التى تقف فى مركز الكون)

ان جلوس الملك على العرش يرمز لخلق الأرض و تشكيلها (أو صعود التل الأزلى) , بينما يرمز وقوفه لخلق السماء و تشكيلها .

يؤكد النص رقم 676 من متون الأهرام ذلك المعنى حيث يصف الملك بأنه يجلس فوق العرش الحديدى , و لكنه فى نفس الوقت يقف ليرفع السماء فوق كتفيه . يقول النص :-

** انهض أيها الملك .. اجلس فوق عرشك الحديدى .. أنت بحق صورة من الاله .. فقد رفعت السماء فوق كتفيك , و رفعت الأرض **

عند قراءة متون الأهرام قراءة متأملة , ندرك أن فعل الوقوف الذى يقوم به الاله و ال "نترو" و الملك يرمز للبعث , بمعنى الصعود للسماء .

بينما يرمز الجلوس للبعث بمعنى الجلوس على عرش الأرض التى ارتفعت .

لذلك تخاطب النصوص الملك مطالبة اياه بأن يقف و يجلس فى نفس الوقت .

يتضح لنا من المناقشة السابقة أن العرش الحديدى هو تعبير مجازى عن التل الأزلى .

و هو شئ لم يتوصل له أى من الباحثين من قبل , و لكن الأدلة عليه لا يمكن انكارها .

أولا : ينسب العرش الحديدى دائما ل "جب" (رب الأرض) .

ثانيا : يعتبر العرش الحديدى صورة من عرش "خنتى - أمنتيو" (سيد الغربيين) , و هو أحد أرباب الأرض و قد اندمجت شخصيته فى شخصية أوزيريس بمرور الزمن .

ثالثا : يوصف العرش الحديدى أيضا بأنه عرش أوزيريس , و هو أحد أرباب الأرض .

رابعا : الموضع الذى يوجد فيه العرش الحديدى هو هليوبوليس , و التى تعتبر نسخة مصغرة من الكون .

خامسا : انتقل العرش الحديدى من الأرض الأزلية للسماء أثناء قيام الملك باعادة تكرار قصة الخلق و لذلك , من المنطقى أن نفترض أن العرش قد صنع من الحديد (bja) , لأن هذا المعدن يرمز لتكوين الأرض , و هو أيضا رمز الخلود , لأنه المعدن الذى يعاد به خلق الأجرام السماوية بعد موتها .

<u>قشرة البيضة الحديدية :-</u>

فى الفقرات السابقة بحثنا فى مفهوم عظام الملك الحديدية و عرشه الحديدى , و هناك احتمال كبير لوجود صلة قوية بين المفهومين , لأن الأرض (التى يرمز لها العرش الحديدى) أتت للوجود نتيجة جمع أجزاء جسد الاله (التى تعبر عنها عظامه الحديدية) .

ننتقل الآن للمفهوم الثالث الذى يتعلق بالحديد , ألا و هو البيضة (swt) الحديدية .

جاء ذكر البيضة الحديدية أو بمعنى أدق البيضة ذات القشرة الحديدية مرة واحدة فى متون الأهرام فى النص رقم 669 .

فى هذا النص يتحول ميلاد الملك من جديد من "عش تحوت" الى موضع مناقشة بين ايزيس و ال "نترو" .

تقول ال "نترو" (الكيانات الالهية) مخاطبة ايزيس : لقد ولدتيه , و قمتى بتشكيل صورته , و قذفتيه .. و لكنه بلا قدمين و بلا ذراعين .. فكيف يمكن اذن أن يلتحم كيانه ؟

و تجيب ايزيس : سيجلب له هذا الحديد .. و سيجلب له قارب ال "حنو" (قارب سوكر) , لكى يرفعه الى أعلى .

و هنا تسأل ال "نترو" : بأى شئ سنكسر بيضته ؟

و تجيب ايزيس : سيأتى سوكر بدجو-ش (Pdju-sh) من أجله , فهو الذى شحذ طرف حربته .. سوكر (صقر العالم السفلى) هو الذى سيكسر البيضة و يفلق الحديد .

و تسأل ال "نترو" : بأى وسيلة سيطير الملك ؟

فتجيب ايزيس موجهة حديثها للملك : سيجلب لك قارب ال "حنو" (قارب سوكر) و طائر ال "حن" (hn) , و ستحلق بهما أيها الملك .. ستطير كالطائر و تضئ بريش أبيك "جب"

و وسط هذه المحادثة بين ايزيس و ال "نترو" نقرأ هذه العبارة التى تتكرر أكثر من مرة :-

** انظروا , لقد ولد الملك .. انظروا , لقد جمعت أعضاء جسد الملك .. انظروا , لقد كسر الملك البيضة **

و هناك صيغة أخرى لنفس النص وردت فى متون التوابيت فى النص رقم 989 .

و ردا على السؤال الأول الذى يطرحه ال "نترو" تتحدث ايزيس عن "نتر" يقوم بقذف السائل المنوى و تعد بأن تجلب للملك الحديد الذى فى مقدمة قارب ال "حنو" (قارب سوكر) .

و ردا على السؤال الثانى , تقول ايزيس أن عظام الملك سيتم سبكها كما تسبك المعادن . و فى هذه الصيغة يبدو و كأن الملك (و ليس سوكر) هو الذى يكسر البيضة الحديدية .

و ردا على السؤال الثالث , تقول ايزيس أن الملك سيطير مستخدما ريش صقر ال "حنو" (الصقر الذى يعلو قارب سوكر) .

ما الذى يعنيه ذلك ؟

البيضة بلا شك هى رمز الكون الأزلى (السابق) الذى ولد منه الكون الجديد .

لذلك نقرأ فى النص رقم 223 من متون التوابيت على لسان المتوفى :-

** أنا هذه البيضة التى فى داخل جسد الصياح العظيم "جب" .. أنا الذى أفلق الحديد .. لقد طفت حول البيضة "سيدة الغد" **

اذن خروج الملك من البيضة يرمز لبعث الاله الذى خلق الكون و أوسعه . و كسر قشرة البيضة الحديدية يرمز لكسر شرنقة الكون الأزلى (القديم) لكى يخرج منها الكون الجديد .

و من الأفكار الجديرة بالتأمل , فكرة استخدام حربة سوكر (صقر العالم السفلى) فى كسر الحديد .

فالحراب و الرماح التى يأتى ذكرها فى الكتب الدينية عادة ما تكون مصنوعة من الحديد .

على سبيل المثال يقول النص رقم 23 من كتاب الخروج الى النهار أن فم المتوفى يفتح باستخدام الحربة الحديدية ل "شو" (رب الهواء) و التى تفتح أفواه ال "نترو" .

و هنا يبدو لنا وجود تشابه أو مقابلة بين حربة "شو" الحديدية و بين رمح صقر ادفو الشهير الذى يقال انه خرج من "نون" (المياه الأزلية) عند بدء الخليقة .

على أية حال , ان فتح فم المتوفى بواسطة حربة "شو" الحديدية هو اعادة تكرار لحدث أزلى و هو فتح فم (أو جوف) الأرض الأزلية , و هو ما يدعونا لتأمل حربة سوكر التى جاء ذكرها فى النصوص السابقة و التى يتم بها كسر البيضة الحديدية . و هو ما يعنى ضمنيا أن الحديد (و هو معدن السماء) قد تم قذفه فى مرحلة مبكرة من مراحل نشأة الكون من الكون القديم الذى كان فى حالة أشبه بالشرنقة أو البيضة .

طرحنا هذا السيناريو من قبل فى الفصل الثامن حين تحدثنا عن الحديد الذى يفتح فم المتوفى و يفتح أرض الغرب (نص رقم 816 من متون التوابيت) .

و سوكر هو الذى يقوم بتحويل الحديد الى معدن سماوى (و بذلك يجعله قريبا من عالم الروح)

و يرفعه للسماء فى هليوبوليس , و يوصف هذا الحديد الذى يرفع للسماء دائما بأنه حاد و قوى .

يوصف حديد سوكر الحاد أحيانا بأنه هو قادومه و أحيان أخرى بأنه حربته .

تحتوى متون الأهرام على نص جدير بالتأمل يتحدث عن فتح جوف الأرض باستخدام الحديد الحاد , و فيه يوصف العرش الحديدى الذى يجلس فوقه الملك بأنه حاد . يقول النص :-

** ظهر الملك فوق عرشه .. لقد شحذت روحه الحديد .. فلتجلس أيها الملك على عرشك العظيم .. و لتنهض مثل "مين" (رب الاخصاب) , و لتحلق فى السماء **

اذا كان الحديد المذكور فى النص السابق جزءا من العرش , فلماذا يوصف بأنه حاد ؟

هل يمكن أن يكون العرش الحديدى قد صعد من أعماق الهاوية , من داخل بيضة أو شرنقة الكون القديم و كسر قشرة البيضة أثناء صعوده ؟

اذا كان العرش يرمز للتل الأزلى – كما اقترحت فى السابق – فان هذا الصعود للحديد سيكون له انعكاس على أسطورة الخلق .

و هو ما يعتبر دليل جديد على أن الحديد تم قذفه من البيضة الأزلية (أى من الكون القديم) .

تتضح لنا المزيد من الأدلة عندما نبحث فى الدور الذى يلعبه قارب ال "حنو" .

فى النص رقم 699 من متون الأهرام يتم استخدام الحديد و قارب ال "حنو" فى جمع أعضاء جسد الملك و اعادة وصلها و نسجها معا فى كيان واحد .

و فى صيغة أخرى لنفس النص , نقرأ أن مقدمة قارب ال "حنو" (قارب سوكر) مصنوعة من الحديد , حيث يركب الملك هذ القارب و يصعد به من الأرض للسماء .

نفهم من ذلك أن قارب ال "حنو" لا يرفع الملك فقط من الأرض للسماء و انما يرفع معه الحديد .

كل أوصاف قارب ال "حنو" تؤيد تلك الفكرة .

أولا : قارب ال "حنو" هو قارب سوكر , و هو أحد أرباب العالم السفلى , و السماء , و هو أيضا رب لسبك المعادن .

ثانيا : يقوم حورس باستخدام قارب ال "حنو" فى رفع روح الملك الى السماء و عند ذلك يحمل الملك لقب سوكر .

ثالثا : يستخدم قارب ال "حنو" أيضا كوسيلة نقل لروح الملك فى المحيط السماوى , و فى هذه الحالة لا يتم استخدام مجاديف و انما يتم سحب القارب بواسطة حبال مصنوعة من الحديد .



(قارب ال "حنو" = قارب سوكر , صقر العالم السفلى)

<u>حديد السماء :-</u>

فى متون الأهرام , جاء ذكر الحديد أربع مرات مقترنا بالسماء , فى عبارات منها على سبيل المثال أن الملك (يشطر حديد السماء) , و أنه (يقطع حديد السماء) , و أنه (يأتى ليستريح فوق الحبال الحديدية التى تجر القارب السماوى) , و أنه (يخرج من السماء من خلال الأبواب الحديدية) .

و بوجه عام , فان هذه العبارات تدعم الفكرة التى أطرحها و هى أن الحديد تم قذفه من الأرض الأزلية الى السماء فى مرحلة مبكرة من نشأة الكون - على الأقل اذا نظرنا لها فى ضوء نظرية ديانة النشأة .

لذلك كان من الضرورى أن نلقى نظرة أعمق على أصل الحديد و كيف صعد للسماء .

و سنستعين فى ذلك بمتون التوابيت لنتمكن من رسم صورة أوضح لتلك الفكرة .

و كما سنرى لاحقا , فان هذه العبارات الأربعة التى وردت فى متون الأهرام و التى ربطت بين الحديد و بين السماء هى أعمق بكثير مما يبدو للقارئ لأول وهلة .

سنبدأ اولا بالنص الذى يتحدث عن الحبال الحديدية .

جاء فى النص رقم 214 من متون الأهرام هذا الحديث الموجه الى الملك :-

** ستغتسل فى ماء النجوم الطهور "كبحو – سباو (qebhu sebau) , و ستنزل (hay) فوق الحبال الحديدية التى فوق أكتاف "حورس- سوكر" , الذى فى قارب ال "حنو" **

يبدو هذا النص معقدا .

فالفعل (hay) فى اللغة المصرية القديمة يترجم عادة بمعنى ينزل , و هو ما يعنى ضمنيا أن الملك ينزل فوق هذه الحبال الحديدية فى الجانب الغربى من السماء . و لكن قد يكون هناك معنى آخر , لأن الحبال الحديدية وردت فى متون التوابيت و هى تستخدم فى سحب القارب السماوى .

على سبيل المثال , يقول أحد نصوص التوابيت :-

** سيبحر بك طاقم البحارة المكون من النجوم التى لا تأفل و النجوم التى لا تتوقف عن الحركة .. سيقودونك و يجرون قاربك بالحبال الحديدية فوق المناطق المائية **

فى النص السابق نلاحظ أن الحبال الحديدية لا تستخدم فى النزول من السماء و انما فى عبور السماء . تدور الفكرة حول قيام أرواح النجوم بسحب القارب بالحبال الحديدية .

و هذه الحبال هى بديل المجاديف التى تستخدم فى الابحار بقارب "رع" , و هى صورة تخيلية ربما يكون المصرى القديم قد استوحاها من ظاهرة الشهب و المذنبات .

و اذا عدنا للنص رقم 214 من متون الأهرام و الذى جاء فيه أن الملك ينزل فوق الحبال الحديدية , فان المعنى قد يشمل امساك الملك بهذه الحبال لكى يصعد فوقها (أو فوق الشهب أو المذنبات) للسماء , أو أنه يستريح فى القارب الذى تجره أرواح النجوم بالحبال الحديدية .

و فى كلا الحالتين , يمكننا أن ننظر للحبال الحديدية باعتبارها قاطرات عبر السماء تستند فوق أكتاف (أو أذرع) حورس .

ننتقل الآن الى الأبواب الحديدية , و قد جاء ذكرها فى النص رقم 469 و 584 من متون الأهرام و هما نصان متطابقان . يقول النص الأول (584) :-

** ها أنذا أجدف قارب رع الى الغرب , و قد جعل رع مقعدى فى مقدمة ال "نترو" .. لقد فتحت لى أبواب "با - كا" التى فى ماء السماء الطهور "كبحو" .. لقد فتحت لى الأبواب الحديدية التى فى السماء ذات النجوم "شدو" .. ها أنذا أعبر من هذه الأبواب **

يبدو هذا النص معقدا .

فالأبواب الحديدية (و التى يبدو أنها مرادفا لأبواب "با- كا") موجودة فى منطقة من مناطق المحيط السماوى يطلق عليها **"با- كا"** . و يعد موقع **"با- كا"** لغزا , و كذلك موقع الأبواب الحديدية فى السماء هو شئ لا يعلمه أحد على وجه اليقين .

من المحتمل أن هذه الأبواب الحديدية تستخدم لمرور روح الملك (و ال "نترو") من القارب السماوى الى منطقة النجوم الشمالية .

يشير النص رقم 479 من متون التوابيت الى وجود سبعة من ال "نترو" يقفون فوق سهل من الحديد فى السماء الشمالية .

هل من الممكن أن تكون الأبواب الحديدية هى مدخل ذلك السهل الحديدى ؟

و هناك احتمال آخر , و هو أن هذه الأبواب الحديدية تقع فى الجانب الغربى من السماء .

قد يكون النص رقم 469 و 584 من متون الأهرام حالة فريدة بين النصوص .

من المحتمل أنهما كانا يعبران عن شئ غير مألوف عندما وصفا قارب رع بأنه يسحب بالحبال الحديدية الى أرض الغرب (أمنتت) .

فقد ظهرت فكرة الأبواب الحديدية فى هذه النصوص فقط و لم يتكرر ظهورها فى أى نصوص أخرى . قد تكون الأبواب الحديدية هى الأبواب التى يعبر من خلالها قارب رع الى العالم السفلى .

و نلاحظ أن المخصص الذى استخدمه الكاتب المصرى فى النص رقم 469 و 584 من متون الأهرام فى كتابة كلمة الأبواب الحديدية عبارة عن صورة بئر من المياه (فى النص الأول) و أرض صحراء فى النص الثانى , و الاثنان من الرموز التى ارتبطت بالعالم السفلى . فالعالم السفلى يوصف بأن به مناطق مائية و مناطق أخرى رملية .

و هناك المزيد من الأدلة التى تدعم هذه الفرضية فى كتب العالم الاخر التى دونت فى عصر الدولة

الحديثه .

على سبيل المثال , جاء فى كتاب نوت أن "رع" (يبحر الى أطراف حديد السماء) , و هناك يدخل الى فم نوت , أى الى ال "دوات" (العالم السفلى) .

يؤكد هذا النص أن الحديد يمتد فى كل أنحاء السماء الى الأفق الغربى .

ربما كان السبب وراء ربط الأبواب الحديدية بالسماء أنها تعتبر مدخلا للعبور من السماء الى العالم السفلى فى أقصى الغرب .

تشكل هذه الأبواب لغزا حقيقيا , لأن الأبواب الكونية الأخرى التى جاء ذكرها فى الكتب الدينية (مثل أبواب الأرض و أبواب السماء التى فى الشرق) لم توصف بأنها حديدية .

فلماذا توصف الأبواب التى فى الغرب بأنها حديدية ؟

ربما لأن مدونى متون الأهرام كانوا يعتبرون ذلك شيئا بديهيا و لذلك لم يذكروا أى تفسير يساعدنا نحن على فهم ذلك اللغز الذى يستعصى علينا فهمه .

و نلاحظ أن النصوص الدينية المصرية عادة لا تذكر المادة التى تصنع منها الأبواب الكونية باستثناء أبواب "با- كا" التى جاء ذكرها فى النصوص السابقة .

ننتقل الآن الى نصين آخرين جاء فيهما ذكرالحديد مرتبطا بالسماء . و مرة أخرى , نلاحظ أن النصوص معقدة و صعبة الفهم .

و أول هذه النصوص هو النص رقم 257 من متون الأهرام و الذى يقول :-

** هناك جلبة و اضطراب فى السماء .. و الملك يهيمن على السماء , و يكسر الحديد **

أما النص الثانى فهو النص رقم 509 , و فيه يقطع الملك الحديد أثناء صعوده للسماء .

يقول النص :-

** السماء ترعد , و الأرض تتزلزل .. و انا أصعد للسماء , و أقطع الحديد . و أنا أقطع مياه ال "حساو" .. ها أنذا أحطم متاريس "شو" و أنا أصعد للسماء **

و فى كلا النصين السابقين نلاحظ ان كلمة الحديد (bja) كتبت باستخدام مخصص على شكل ينبوع أو بئر للمياه .

يقول "جيمس بيترآلن" أن الحديد يشكل الحوض الذى يحوى بداخله المياه السماوية , و أن الملك يقوم فى رحلته السماوية بشطر الحوض الحديدى عند عبوره للمياه السماوية .

و يقول "جيمس بيتر آلن" و غيره من علماء المصريات أن الحديد (bja) فى هذه النصوص هو مصطلح يستخدم للدلالة على السماء أو قبة السماء على وجه التحديد .

و لكن فى الحقيقة من الخطأ تأويل النصوص السابقة بتلك الطريقة .

فالنصوص تبدو و كأنها تصف حدث يقوم فيه الملك بالصعود من الأرض للسماء فى حركة أشبه بالقذف , و هو بذلك يعيد تكرار حدث أزلى وقع فى مرحلة مبكرة من نشأة الكون حين لم تكن السماء قد تشكلت بعد . و الحديد (أو الحوض الحديدى الذى يحوى المياه السماوية) الذى يقوم الملك بشطره الى نصفين هو حدود الكون الأزلى القديم الذى اتخذ هيئة أشبه بالشرنقة أو البيضة .

و قد صادفنا من قبل نصوصا تحدثت عن كسر قشرة البيضة الحديدية التى ترمز لحدود الكون القديم المتشرنق , كما صادفنا نفس المعنى فى رمزية الحائط الحديدى الذى يحيط بحقل البوص .

يخبرنا النص رقم 257 من متون الأهرام أن الملك يقوم بشطر الحديد أو كسره لكى يهيمن على السماء (و ليس العكس) .

و الأرض هى الأصل الذى جاء منه ذلك الحديد , و لكنه ينسب فى الغالب الى السماء لأن السماء كانت ملتصقة بالأرض و كانت جزءا منها فى مرحلة مبكرة من نشأة الكون و هى المرحلة التى وقع فيها حدث كسر الحديد أو كسر قشرة البيضة الحديدية .

و قد ذكرنا العديد من الأدلة على ذلك فى الفصل الثامن , حين اتضح لنا من مقارنة العديد من النصوص أن أبواب السماء هى نفسها أبواب الأرض و لكن يختلف الاسم حسب الموقع أو المنظور الذى ننظر منه لهذه الأبواب .

و فى النص رقم 509 من متون الأهرام يقطع الملك الحدود الحديدية للكون الأزلى لكى يصل الى السماء . و النص يستخدم ألفاظ توحى بأن قطع الحدود الحديدية للكون الأزلى تم بطريقة أشبه بالابحار فوق قارب , و هو ما يعكس فكرة خلق السماء من مياه الفيضان الأزلى .

تؤكد عبارة (تحطيم متاريس "شو") عن فكرة كسر الحدود الحديدية للعالم الأزلى و تدعم كل ما

طرحناه من قبل .

و فى النص رقم 612 من متون الأهرام نجد دليلا جديدا يدعم هذ الطرح . حيث نقرأ أن الملك يحطم القصر لكى يجلس على عرشه . يقول النص :-

** انهض أيها الملك , و اجلس فوق عرشك الحديدى .. لأن أظافرك هى التى حطمت القصر **

و هنا نلاحظ أن الفعل الذى استخدمه مدونو متون الأهرام للتعبير عن التحطيم يكتب باللغة المصرية القديمة باستخدام مخصص على شكل قارب .

و كأن المعنى المقصود هو أن الملك قام بتحطيم القصر أثناء ابحاره فوق المياه .

و هو ما يذكرنا أيضا بالنص رقم 511 و الذى يقوم فيه الملك بقطع الحديد و تحطيم متاريس "شو"

يظهر القصر مرة أخرى فى النص رقم 666 من متون الأهرام . و لكن فى هذه المرة يقوم الملك بكسره أو فتح جوفه بقادومه , لكى يتمكن من الجلوس فوق عرشه الحديدى .

و فى هذا النص يطلق على القصر اسم قصر "نوت- اك - نو" (nut-k-u) , فى اشارة الى نوت و المياه الأزلية .

و من الأشياء التى تستحق التأمل , أن كلمة قصر "حوت" (hwt) باللغة المصرية القديمة تستخدم أيضا للتعبير عن رحم حتحور .

جاء فى النص رقم 612 من متون الأهرام أن (الطفل داخل جسد حتحور) و أن الطفل (ينمو و يكبر داخل قصر حورس) و لذلك كان اسم "حت - حور" يعنى قصر حورس .

يظهر حورس فى هذا النص على شكل صقر و يظهر قصره على شكل بيضة .

و ربما كان النص رقم 612 يصف خروج حورس على هيئة فرخ صغير من داخل بيضته أو قصره .

باختصار , من غير المحتمل أن الملك يكسر الحديد و يقطعه و هو فى السماء .

يبدو أن كسر الحديد أو قطعه يحدث فى الطريق الى السماء .

و لذلك , فمن الخطأ القول بأن النصوص السابقة تدور حول وصف السماء كحوض أو قبة مصنوعة من الحديد . فالحوض الحديدى (اذا أردنا وصفه بذلك) هو فى الأصل ينتمى للأرض ,

أو للتل الأزلى .

بالطبع , من الممكن أن يكون قدماء المصريين قد تخيلوا السماء على هيئة حوض حديدي , و لكن هذا التفسير للنصوص لا يخدم هدفنا من الدراسة وهو محاولة فهم قصة الخلق .

كما أنه لا يعنى أننا ننكر أن السماء تحتوى على الحديد , بالمعنى الحرفى للكلمة .

فالنصوص السابقة تقول أن السماء تحتوى على حبال حديدية , و أبواب حديدية فى الغرب عند أطراف حديد السماء , و على سهل حديدى فى الناحية الشمالية .

و علاوة على ما سبق , تخبرنا متون التوابيت أن أنوبيس قد كسر حديد السماء , و أن قبة السماء بها شبكة بداخلها قوارب من الحديد , و أن رع سبح وسط حديده عندما كان يعبر السماء .

من أين جاء حديد السماء ؟

تقول النصوص التى جاء ذكرها من قبل أن عظام الملك الحديدية تكونت و تشكلت داخل رحم نوت , و تقول أيضا أن أعضاء جسده التى لا تموت أصبحت هى نجوم السماء .

و تقول النصوص أيضا أن ظهور العرش الحديدى تزامن مع فتح جوف الأرض , و أن البيضة ذات القشرة الحديدية قد فتحت فيما يبدو بحربة حديدية , و أن قارب ال "حنو" الذى صنعت مقدمته من الحديد يبحر أو يصعد من الأرض الى السماء , و أن الملك يقطع الحديد أو يكسره أثناء حدوث جلبة و اضطراب فى السماء و حدوث زلزال فى الأرض .

كل ما سبق من تعبيرات يدل على أن الحديد تم قذفه من داخل الكون الأزلى (القديم) و هو فى حالة أشبه بالشرنقة أو البيضة التى كسرت و قذف منها الحديد ثم صعد الى السماء .

فى الفصول السابقة رأينا كيف انفتح الكون القديم مثل الرحم و قذف من داخله الهواء و مياه الفيضان . ثم ارتفعت مياه الفيضان لأعلى بضغط الرياح .

اذا كانت حدود ذلك الكون الأزلى من الحديد الذى انكسر (كما تقول النصوص) , فمن المحتمل أن جزءا من ذلك الحديد المكسور رفع للسماء بواسطة مياه الفيضان و رياح العاصفة .

قد يبدو ذلك غريبا لعقل انسان العصر الحديث و لكنه كان معقولا جدا بالنسبة للمصرى القديم .

يفسر لنا هذا الطرح العلاقة الغامضة التى تربط بين الحديد و المياه و التى تظهر فى النصوص الدينية .

فى هذا الفصل رأينا ان كلمة حديد (bja) تكتب باللغة المصرية القديمة باستخدام مخصص على شكل حوض مياه .

و رأينا أن الملك يقطع الحديد أثناء ابحاره بقارب , و أن هناك حبال حديدية تستخدم فى عبور السماء أو الصعود اليها .

و فى الفصل الثامن , رأينا أن حديد سوكر (صقر العالم السفلى) قد غسل فى الوقت الذى وقع فيه حدث فتح الفم أو فتح جوف الأرض .

كل ذلك يصبح معقولا و تصبح له دلالة اذا علمنا أن الحديد نشأ من الأرض الأزلية فى مرحلة مبكرة جدا من نشأة الكون ثم رفع للسماء بواسطة مياه الفيضان الأزلى .

تفسر لنا هذه الفرضية أيضا العبارة التى تقول أن (أنوبيس قد كسر الحديد الذى فى السماء) .

و فى الحقيقة ان أنوبيس لم يكسر الحديد فى السماء (فأنوبيس ينتمى للعالم السفلى) , و انما هو كسره عند حدود العالم السماوى أو عند أطراف السماء , ثم انتقل الحديد بعد ذلك للسماء .

قد يختلف علماء المصريات حول ما اذا كانت السماء عبارة عن سهل أو مسطح أو حوض من الحديد , و لكنهم يتفقون جميعا على أن السماء عبارة عن محيط هائل من المياه السماوية (الفضاء) الذى تسبح فيه سحب من الحديد (نيازك) .

و لذلك جاء فى أحد النصوص أن (رع يسبح وسط حديده أثناء عبوره السماء) .

يعيدنا ذلك مرة أخرى الى طبيعة العاصفة الهائلة التى يصعد الملك وسطها الى السماء .

فى الفصل التاسع صادفتنا فكرة امتلاء السماء بالغيوم و الحاجة لازاحة هذه الغيوم لكى يحصل "رع" على وضوح الرؤية و يتمكن من السير فى طرقه السماوية .

و هناك , قدمت طرحا مفاده أن غيوم العاصفة تتكون بشكل أساسى من مياه الفيضان .

و لكن مكونات غيوم العاصفة لا تقتصر فقط على مياه الفيضان و انما قد تشمل أيضا مواد أخرى .

و فى ضوء ما ناقشناه فى هذا الفصل حول مفهوم حديد السماء , يمكننا أن نخمن أن غيوم العاصفة

كانت تتكون أيضا من الحديد , و ربما من مواد أخرى (سواء معادن أو غازات أو غبار كونى) تم قذفها من الأرض الأزلية أو من شرنقة الكون القديم .

و فى الحقيقة لا يوجد نص واحد ذكر فيه بطريقة مباشرة أن العاصفة تحتوى على الحديد .

و لكن عالم المصريات "وينرايت" (G.A. Wainwright) يرى أن قدماء المصريين عبروا عن ذلك بطريقة مجازية من خلال استخدام رمز البرق و الرعد .

يقول "وينرايت" (G.A. Wainwright) فى كتابه "ديانة السماء فى مصر القديمة" (The Sky Religion in Egypt) أن المقصود بالبرق و الرعد الذى جاء ذكره فى متون الأهرام مرارا و الذى وصف بأنه يأخذ الملك و يصعد به الى السماء هو "النيازك" , و التى يعتقد أنها هى الأصل الذى أتى منه الحديد .

اعتقد قدماء المصريين أن النيازك هى الأصل الذى يأتى منه معدن الحديد .

علاوة على ذلك , فان كلمة "شنيت" (shnyt) و التى ترجمها العديد من علماء المصريات بمعنى عاصفة ثلجية قد تكون دلالتها الأصلية هى "عاصفة نيزكية" و ليس عاصفة ثلجية , و خصوصا حين يتم استخدامها فى سياق قصة الخلق .

و هناك دليل آخر ورد فى أسطورة حورس "بحديتى" (المنتصر) و قرص الشمس المجنح التى سجلت على جدران معبد ادفو , و التى تقول أن من أهلك أعداء "رع" هم حورس و الأرباب الحدادين المعروفين باسم "مسنيو" (mesniu) , و أن حورس يبحر فى قارب رع ممسكا بحربة و سلاسل من الحديد .

هذا الصراع بين اعداء "رع" من ناحية و بين حورس و أتباعه من الحدادين من ناحية أخرى هو صراع أزلى وقعت أحداثه فى المياه الكونية (الفضاء) , و يتم التعبير عنه فى الكتب الدينية المصرية تعبيرا مجازيا باستخدام مصطلح عاصفة الخلق . و يقدم لنا ذلك الصراع دليلا آخر على أن الحديد و غيره من المعادن قد رفعت من الأرض الأزلية الى السماء .

الحديد المستخدم فى طقوس فتح الفم :-

لن تكتمل دراستنا لدور الحديد فى نشأة الكون قبل أن نبحث استخدامه فى طقس فتح الفم .

جاء ذكر استخدام الحديد فى طقس فتح الفم فى اثنين من نصوص الأهرام .

أولا : النص رقم 21 , و الذى يقول :-

** أيها الملك .. لقد فتحت فمك بقادوم "ويبواويت" (فاتح الطرق) .. لقد فتحت فمك بالقادوم الحديدى الذى تفتح به أفواه ال "نترو" (الكيانات الالهية) .. لقد فتح حورس فم الملك بما فتح به فم أبيه أوزيريس .. لقد فتح حورس فم الملك بالحديد الذى سال من جسد "ست" , بالقادوم الحديدى الذى تفتح به أفواه ال "نترو" ***

ثانيا : النص رقم 670 , و الذى يقول على لسان حورس الذى يقوم بأداء طقس فتح الفم لأبيه أوزيريس :-

** لقد أحضرت آتوم من أجلك يا أوزيريس .. لقد أحضرت التاسوعين من أجلك .. لقد اجتمع أحفادك , أبناء حورس الأربعة (حابى , و دواموتيف , و ايمستى , و كبحسنوف) و رفعوك للسماء .. لقد غسل وجهك , و مسحت دموعك , و فتح فمك بالأصابع الحديدية لأبناء حورس الأربعة **

يمكننا الآن أن نبدأ فى محاولة الوصول لتفسير مفصل لهذه الطقوس فى ضوء نقاشنا السابق عن الحديد .

فى النص الأول (رقم 21) الذى ذكرناه سابقا , يقوم ابن الملك بتقمص شخصية حورس أثناء أداء طقس فتح الفم لمومياء أبيه المتوفى أوزيريس .

يهدف الطقس لاعادة تكرار حدث أزلى وقع عند بدء الخليقة , و هو حدث بعث أوزيريس .

يستخدم الابن (حورس) فى ذلك الطقس قادوم مصنوع على صورة النجوم الشمالية (مجموعة نجوم الدب الأكبر , و مجموعة نجوم الدب الأصغر) لأن الهدف النهائى للطقس هو مساعدة روح أوزيريس على أن تنبعث من داخل المومياء و تنطلق للسماء لتحيا للأبد كروح حية وسط النجوم التى لا تأفل , أى لا تموت .

يكمن مغزى القادوم فى وظيفته كأداة تستخدم فى الكسر أو الفلق .

و فى هذا السياق يستخدم القادوم فى فتح الفم , أما فى النص رقم 666 من متون الأهرام نجد أن

القادوم يستخدم فى تحطيم قصر "نوت - اك – نو" (Nut-k-nu) , و فى النص رقم 229 و 258 يقوم حورس و ست باستخدام اثنين من القواديم كأسلحة للقتال فى مدينة هرموبوليس (الأشمونيين) .

و المغزى الحقيقى المقصود فى كل الحالات هو أن القادوم الحديدى قد فتح فم أو جوف الكون و الذى تصوره النصوص الدينية على هيئة رحم أو بيضة (أو شرنقة) أو مدينة أزلية (ميثولوجية) .

و كون القادوم مصنوع من الحديد يعنى **<u>أن الحديد فتح جوف الكون المتشرنق بالقوة</u>** .

ينسب القادوم المستخدم فى طقس فتح الفم الى "ويبواويت" (فاتح الطرق) , بينما ينسب الحديد الذى صنع منه القادوم الى "ست" , فيقال أن القادوم مصنوع من الحديد الذى سال من جسد ست .

ما الذى يعنيه ذلك ؟

بالنسبة ل "ست" , قد يكون النص اشارة الى الحديد النيزكى الذى يصنع منه القادوم المستخدم فى طقس فتح الفم فى مصر القديمة .

كما أن هناك علاقة قوية أيضا بين ست و بين طقس فتح الفم , و هو أن القادوم المستخدم فى الطقس مصنوع على صورة النجوم الشمالية (الدب الأكبر و الدب الأصغر) و قد كان قدماء المصريين يعتقدون أن ست يسكن فى السماء وسط تلك النجوم .

و لذلك كان الحديد الذى يصنع منه قادوم فتح الفم فى نظر قدماء المصريين هو معدن ست .

الا أن المغزى الحقيقى للحديد يكمن فى أصله الميثولوجى و الذى ينعكس فى صلته بالكيان الالهى الذى ينسب له قادوم فتح الفم , ألا و هو "ويبواويت" (فاتح الطرق) .

كان الفنان المصرى القديم عادة ما يصور "ويبواويت" على هيئة ابن آوى , و لكن "ويبواويت" كان يظهر فى الأصل على شكل ثعلب .

ظهر رمز الثعلب على رايات و شعارات الملك فى مصر القديمة فى عصر الأسرة الأولى , مثل لوحة نارمر على سبيل المثال .

و اسم "ويبواويت" يعنى حرفيا فاتح الطرق أو الذى يفتح الطرق , و لكنه يحمل أيضا معنى ضمنيا هو "الذى يفتح الجسد" .

تصفه متون الأهرام بأنه يتواجد فى مكان عالى فى السماء و بأنه يفتح الطريق أمام الملك أثناء

صعوده للسماء .

ينسب ل "ويبواويت" أحد أهم الانجازات فى الكون ألا و هو فصل المياه , أى فصل السماء عن المياه الأزلية "نون" . و لذلك فهو بالقطع يعتبر أحد صور الاله الخالق .

قد يكون ال "شدشد" (shedshed) الذى ينسب ل "ويبواويت" هو مفتاح فهم العلاقة التى تربط بينه و بين قادوم فتح الفم .

ذكرت متون الأهرام فى أكثر من موضع ما يعرف ب "شدشد السماء" و هو أحد الوسائل التى يستخدمها حورس و روح الملك المتوفى فى الصعود الى السماء .

جاء فى اثنين من متون الأهرام أن "شدشد السماء" يصعد الى الفراغ الذى يفصل , أى الفراغ الذى يفصل السماء عن الأرض .

و بالرغم من أن معنى كلمة "شدشد" غير واضح تماما , الا أن هذه الكلمة لها علاقة بالفعل "شد" (shed) و معناه ينتزع أو يقتلع , بما فى ذلك اقتلاع شئ من باطن الأرض .

اذن , من المنطقى أن كلمة "شدشد" قد تعنى اقتلاع معادن من جوف الأرض الأزلية قبل قذفها نحو السماء .

و ظهور كلمة "شدشد" فى النصوص الدينية لا يتعارض مع هذا التفسير , و انما يؤيده .

يظهر ال "شدشد" كشعار ل "ويبواويت" دائما فوق عاموده على هيئة نتوء مغطى أحيانا بنقط صغيرة .

ما هو ذلك الشئ على وجه التحديد ؟

يقول عالم المصريات دكتور هنرى فرانكفورت أن ال "شدشد" هو المشيمة التى كانت تحمل الملك حين كان جنينا فى بطن أمه .

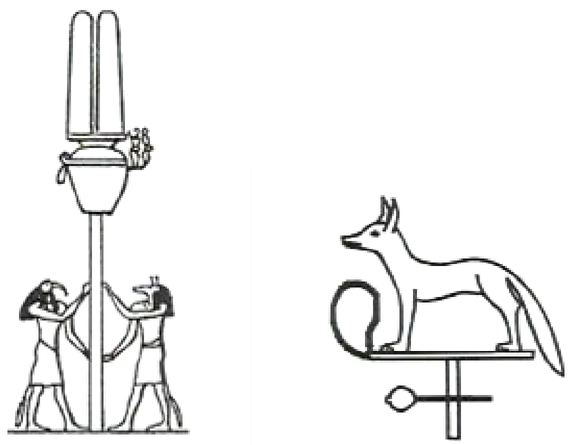
و لكنه أشار أيضا الى أنه من المحتمل أن يكون ال "شدشد" عبارة عن نيزك . و النيازك الحديدية تحتوى عادة على شقوق و هى التى عبر عنها الفنان المصرى باضافة النقاط المبعثرة حول جسم ال "شدشد" . و هناك تشابه مثير للانتباه بين "شدشد ويبواويت" و بين رأس أوزيريس التى تحمل فى أعياده و مواكبه فى أبيدوس .

و قد فسر العديد من الباحثين رمزيتها بأنها نيزك حديدى أو صندوق بداخله نيزك حديدي يحمل فوق عصا طويلة .

و هذا التفسير يؤكد وجود علاقة بين النيازك و بين الحديد الذى صنع منه قادوم "ويبواويت" .

و على أية حال , فان "ويبواويت" هو الابن البكرى الذى يفتح جسد أو جوف أمه (الأرض) , أو "يفتح الطرق الى السماء" .

و من هذه الأوصاف التى تطلق على "ويبواويت" يمكننا أن نستنتج أن قادومه الحديدى هو الذى يفتح رحم أو جوف الأرض الأزلية ليخرج منها بذور خلق العالم الجديد .



الى اليمين : ويبواويت فوق عاموده المرتفع و أمامه علامة ال "شدشد"

الى اليسار : رأس أوزيريس محمولة فوق عامود مرتفع , و هى رمز لنيزك

و فى النص رقم 670 من متون الأهرام (و الذى ذكرناه سابقا) لم يأت أى ذكر للقادوم الحديدى .

فالنص يخبرنا أن فم "الملك - أوزيريس" قد فتح بواسطة الأصابع الحديدية لأبناء حورس الأربعة .

و أبناء حورس الأربعة هم الأرواح التى خرجت من جسد حورس , و هم يعيدون تكرار قصة خلق ال "نترو" للاله (فى مقابل أسطورة خلق الاله لذاته) .

و فى هذا النص – كما فى سابقه – يرمز فتح فم المومياء لفتح فم أو جوف الكون .

و لكن ما هو مغزى الأصابع الحديدية ؟

تقول "آن ماسى روث" (Ann Macy Roth) أن الأصابع الحديدية ترمز للأدوات الحديدية التى استخدمها ال "نترو" فى الزمن الأول لفتح جوف الأرض الأزلية .

هذه الأدوات أو الشفرات الحادة تتخذ شكل اصبعين صغيرين , و ربما استوحى المصرى القديم صورتها من صورة أصابع القابلات حين يقمن بتنظيف فم الطفل الوليد من المخاط .

و لكن لماذا كانت هذه الأصابع من الحديد ؟

و تقول "آن ماسى روث" أيضا أن الشفرات الحديدية للنترو المصنوعة من النيازك ترمز للنجوم الشمالية (مجموعة الدب الأكبر و الدب الأصغر) و التى كانت تتخذ شعارا للعالم الآخر بوجه عام ان فتح فم المتوفى بمعدن مأخوذ من نجم (أو نيزك) سقط من السماء هو طقس يؤثر على ميلاد المتوفى من جديد من رحم أمه السماوية .

و لكن "آن ماسى روث" فاتها الصورة الأكبر التى تجمع كل رموز طقس فتح الفم فى سياق واحد .

فى النص رقم 519 من متون الأهرام , تقول روح الملك المتوفى ل "رع" :-

** أعطنى اصبعيك اللذين أعطيتهما للجميلة , ابنة الاله العظيم , حين انفصلت السماء عن الأرض , و حين صعدت ال "نترو" للسماء **

اذا كانت "آن ماسى روث" محقة فيما قالته عن أصابع القابلات – و هى فرضية مقنعة – فان النص السابق يعنى أن الملك يسعى للميلاد مجددا كطفل بنفس الطريقة التى ولدت بها ابنة الاله العظيم , أى عن طريق فتح الفم أو الجوف باصبعى "رع" .

يؤكد النص السابق أن ميلاد الملك من جديد هو اعادة تكرار لأحداث قصة الخلق , حين انفصلت السماء عن الأرض و حين صعد ال "نترو" للسماء .

و هو ما يؤكد فرضيتى بأن طقس فتح فم المومياء يرمز لحدث فتح جوف الكون الذى وقع فى الزمن الأول , و أن ميلاد الطفل يرمز لاعادة خلق الكون من جديد .

يذكرنا النص السابق أيضا أن النجوم التى صنعت شفرات ال "نترو" على صورتها يعود أصلها الى أرباب الأرض .

اذا نظرنا الى النصوص السابقة فى ضوء نظرية ديانة النشأة , سيتضح لنا أن أصابع ال "نترو"

الحديدية تنتمى فى الأصل للأرض .

ان الأصابع المزودة بأظافر طويلة تكون حادة و قوية مثل القادوم الحديدي , و هى ترمز لأداة تستخدم فى فتح الرحم أو البيضة التى تحمل بداخلها بذور الخلق .

و وصف الأصابع بأنها حديدية – مثلها مثل قادوم فتح الفم و حربة سوكر – يدل على أن الحديد قد فتح جوف الأرض الأزلية بالقوة فى مرحلة مبكرة من نشأة الكون .

يقول عالم المصريات "هرمان تى فيلدا" (Herman Te Velde) فى أسطورة حورس و ست أن الأصابع قد تكون كناية عن العضو الذكرى .

و هو فى الحقيقة طرح مقبول فى هذا السياق , ليس فقط للتشابه فى المظهر الخارجى , و انما لأن هذا الطرح يفسر لنا العديد من العبارات التى وردت فى متون الأهرام .

على سبيل المثال , هناك عبارات فى متون الأهرام تقول أن (اصبع ست هو الذى أعاد البصر لعين حورس البيضاء) , و أن (معدن الالكتروم – و هو سبيكة من الذهب و الفضة – يضئ أطراف اصبع ست) , و أن (أصابع رب الأرض وضعت فوق القرون الطويلة الملتوية أو الحلزونية) , و أن (أصابع آتوم وضعت فوق صاحب القرون الطويلة) , و أن (لأوزيريس اصبعا ميتا يحتاج لضمادات) .

و هناك أيضا اشارة مبهمة فى متون الأهرام لما يعرف ب (أظافر أصبع آتوم) و الذى قد يعنى طرف العضو الذكرى لآتوم اذا قبلنا فرضية أن الأصبع هو كناية عن العضو الذكرى .

و هنا نكتشف أن لرمزية طقس فتح الفم مستوى آخر .

على سبيل المثال , حين يفتح حورس فم أبيه أوزيريس بأصبعه الصغير , قد يفسر ذلك بأن الاله يفتح جوف الكون الناشئ بعضوه الذكرى المنتصب (قارن ذلك بأساطير هليوبوليس التى تتحدث عن خلق آتوم و "نبر – دجر" للكون باستخدام العضو الذكرى) .

و حين يضع حورس الابن اصبعه فى فم مومياء أبيه , فان ذلك قد يفسر بأن الاله يخلق نفسه بنفسه بأن يقذف السائل المنوى من عضوه الذكرى الى فمه .

أما أسطورة قيام الاله الخالق بفتح رحم الأم السماوية باصبعيه , فليس من السهل تقديم تفسير شامل

لها , و لكنها قد تعكس نظرة قدماء المصريين للأرض باعتبارها مثنى , حيث يقال دائما الأرضين "تاوى" و ليس الأرض .



حورس الطفل يضع اصبعه فى فمه , و هو مشهد يعبر عن لانهائية دورات الخلق , و قدرة الكون على أن يعيد خلق نفسه من جديد من تلقاء ذاته .

ملحق : الحديد النيزكى فى مصر القديمة :-

كان اهتمام قدماء المصريين بالحديد (bja) شيئا مثيرا للانتباه , و خاصة بالنسبة لمجتمع لم يعرف استيراد المعادن فى زمن تدوين متون الأهرام , و هو عصر الأسرة الخامسه من الدولة القديمة .

يقول علماء المصريات أن قدماء المصريين مثل غيرهم من شعوب الحضارات القديمة كانوا يحصلون على الحديد بشكل أساسى من النيازك التى تسقط من وقت لآخر من السماء .

هناك ثلاثة أنواع رئيسية من النيازك , أحدها هو النوع الذى يحتوى على الحديد النيزكى و هو الأكثرها شيوعا و انتشارا على سطح الأرض .

هناك العديد من الأدلة الأركيولوجية على استخدام قدماء المصريين للحديد النيزكى .

كما أن هناك أيضا أدلة على أن قدماء المصريين كانوا على علم تام بأن هذا المعدن قد هبط من السماء . فالعديد من النصوص الدينية ربطت بين الحديد و بين النجوم الشمالية , كما جاء ذكر "حديد السماء" فى العديد من نصوص الأهرام .

و فى النص رقم 1080 من متون التوابيت وصف قدماء المصريين سقوط نيزك من السماء , و شبهوه بسوائل جسد أوزيريس و وصفوا كيف يسقط من السماء , ثم يختفى و يوضع داخل صندوق محكم يغلق فوقه للأبد , ربما فى اشارة الى التابوت الجرانيتى . يقول النص :-

** هذا هو الشئ المحكم الغلق الذى فى داخله ظلمة , و حوله نار مشتعلة , و الذى يحوى سوائل جسد أوزيريس .. و قد وضع فى "روسيتاو" , و قد تم اخفاؤه منذ أن سقط منه .. هذا الشئ سقط من أوزيريس الى رمال الصحراء .. و ما ينتمى لأوزيريس قد وضع فى "روسيتاو" **

روسيتاو : هو اسم منطقة من مناطق العالم الآخر , و أيضا اسم هضبة الجيزة .

اعتقد قدماء المصريين أن للنيازك الحديدية قدرات سحرية , و لذلك صنعوا منها الأدوات المستخدمة فى الطقوس السحرية كالصولجانات و التمائم و الأدوات المستخدمة فى طقس فتح الفم , و تشمل القادوم و النصل الحاد أو مشرط ديل السمكة المعروف باسم "بسش – كف" (pesesh-kef) .

لم يكن قدماء المصريين يستخدمون كل النيازك الحديدية فى تصنيع أدواتهم . فقد كانوا يحتفظون بالعديد من النيازك بحالتها الأصلية بدون أن تمسها يد , و لارتباطها الوثيق بنشأة الكون كانت توضع داخل المعابد و الأماكن المقدسة .

يعتبر حجر ال "بن بن" بمعبد هليوبوليس أحد أهم أمثلة تقديس النيازك فى مصر القديمة , اذ يعتقد أن ذلك الحجر هو حجر نيزكى . و برغم أنه لا يوجد نص مصرى قديم يذكر بشكل مباشر أن حجر ال "بن بن" المقدس بمعبد هليوبوليس كان من الحديد النيزكى , الا أن اسم الحجر باللغة المصرية القديمة و هو "بن بن" يعنى "الحجر الذى سال" و الذى قد يعنى الحديد السائل الذى تحمله النيازك .

سنناقش رمزية ذلك الحجر المقدس الذى كان يرفع فوق عامود داخل معبد هليوبوليس فى الفصل الحادى عشر .

و هناك مثال آخر لتقديس النيازك فى مصر القديمة , و هو حجر "كا - موت - اف" فى طيبة , و هو فى الغالب حجر نيزكى .

و سنناقش حجر "كا – موت – اف" أيضا فى الفصل التالى .

علاوة على ذلك , يعتقد أن النيازك كانت مقدسة أيضا فى معابد ليتوبوليس (أوسيم) و أبيدوس .

هذا الاستعراض السريع لتقديس النيازك فى مصر القديمة هو فقط قمة جبل الجليد الذى ما زال معظمه مختفيا عن الأنظار .

للأسف , نفتقد وجود أدلة أركيولوجية من نيازك حديدية حقيقية , لأن النيازك تتآكل و تتحلل بمرور الزمن لاحتوائها على نسبة كبيرة من الحديد .

اختفت تقريبا كل النيازك الحديدية التى كانت مقدسة فى مصر القديمة , اما بسبب الصدأ أو التآكل أو بسبب السرقة و النهب و الحروب , و لذلك فان معرفتنا بطقوس تقديس النيازك ليست كاملة .

ظل علماء المصريات لفترة طويلة من الزمن على دراية بأهمية النيازك الحديدية و رمزيتها الدينية فى مصر القديمة , و لكنهم كانوا ينظرون لتقديس النيازك باعتباره جزءا من العقيدة الشمسية (كما فى حجر ال "بن بن" على سبيل المثال) او باعتباره جزءا من العقيدة النجمية (حيث ينظر للنيزك على أنه نجم هوى) , أو باعتباره بقايا ديانة عتيقة تقدس السماء .

على أية حال , فقد أبدى علماء المصريات اهتماما سطحيا بالنيازك الحديدية فى مصر القديمة و بدورها فى قصة الخلق .

تأثرت تأويلات علماء المصريات لتقديس الحديد النيزكى فى مصر القديمة بنظرة الثقافة الحديثه للنيازك . فنحن نربط بين النيازك و بين السماء .

و لكن كما رأينا فى هذا الفصل , كان قدماء المصريين يعتقدون أن النيازك نشأت فى الأصل من الأرض الأزلية , ثم قذفت من جوف الأرض الى السماء .

و هو ما يتناقض مع رؤيتنا الحديثه للنيازك و يقلبها رأسا على عقب .

أما فى ضوء نظرية الخلق من الأرض , فالنيازك هى بقايا مراحل مبكرة من نشأة الكون , و هى جزء من الحديد الذى فتح جوف الكون الأزلى , و هو الحدث الذى كان علامة بارزة فى تاريخ الكون .

و كما سنرى فى الفصل التالى , الحديد النيزكى هو بذرة الاله الخالق التى أخصب بها رحم الأم

السماوية لتحمل بالأجرام السماوية .

ملخص الفصل العاشر :-

* يظهر الحديد بشكل متكرر و مبهم فى النصوص التى تتناول قيام الملك بالطقوس التى تعيد تكرار أحداث قصة الخلق .

* تقول الكتب الدينية المصرية أن الكون الأزلى (القديم) كانت حدوده من الحديد . يتضح ذلك من تعبيرات مثل "البيضة ذات القشرة الحديدية" و الأبواب الحديدية , و أبواب "با - كا" الحديدية , و "الحائط الحديدي الذى يحيط بحقل البوص" .

* انكسر هذا الاطار الحديدى حين ولد الكون الجديد من داخل بيضة الكون القديم . و يقوم الملك باعادة تكرار هذا الحدث الأزلى حين يقطع الحديد و هو فى طريقه للسماء .

* اندفع الحديد من الهاوية و ارتفع ليشكل التل الأزلى . و لذلك تقول الكتب الدينية المصرية أن الملك يجلس على عرش من الحديد .

* ارتفع جزء من حديد الأرض الى السماء عند بدء الخليقة . لا يوجد أى دليل على أن السماء تحولت الى حوض حديدي , و لكن من المؤكد أنها تحتوى على سحب من الحديد يسبح "رع" وسطها أثناء ابحاره فى السماء , و أنها تحتوى أيضا على حبال من الحديد تستخدم فى سحب القارب السماوى .

* يبدو أن النجوم خلقت من الحديد النيزكى , و الذى هو فى الأصل أعضاء جسد أوزيريس التى تحولت الى روح و صعدت الى السماء و أصبحت هى النجوم .

* كانت النيازك الحديدية مقدسة فى مصر القديمة , لأنها فى نظر قدماء المصريين أحد المواد الأولية التى خلق منها الكون .

* كان فم الملك المتوفى يفتح بواسطة قادوم حديدي مصنوع على صورة النجوم الشمالية (مجموعة نجوم الدب الأكبر , و مجموعة نجوم الدب الأصغر) , فى اشارة الى أن الحديد قذف من الأرض الى السماء , فتحول الى هذه النجوم الشمالية .

الفصل الحادى عشر

ثور السماء

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 273) :-

** الملك هو ثور السماء .. و هو يحيا بوجود كل "نتر" (كيان الهى) **

فى متون الأهرام , يوصف الملك فى كثير من الأحيان بأنه ثور (ka) .

و لذلك تصادفنا فى متون الأهرام تعبيرات مثل "الثور العظيم" أو "الثور البرى" أو "الثور الخالد بين الثيران البرية " , أو "الثور البرى العظيم" , أو "ثور هليوبوليس" أو "ثور البابون" , أو "الثور الذى تلمع عينه" , أو "ثور النور" , أو "ثور السماء" , و هى جميعا تصف ملك مصر .

و لذلك كان الملك يصور أحيانا بقرون ثور , و كانت أرجل العرش الملكى أحيانا تصور على هيئة حوافر الثور البرى العظيم .

كان الملك يطوف فى أبعاد الكون فى هيئة ثور , أو فى هيئة "كا" (نسخة أثيرية / قرين) .

تصف متون الأهرام ما يصادفه الملك فى تلك الرحلة الكونية فتقول أنه يجدف بقاربه من أرض الغرب (أرض الموتى) الى حقول القرابين , و يعبر الحقول الخضراء هناك الى أماكن "رع" النقية الطاهرة , و أنه يقطع شارع النجوم "مسكت شدو" , و يضرب الكرة فى مروج أبيس , و أنه يفتح جوف الأرض , و يجعل ال "نترو" ترتعد أمام عاصفة السماء الغائمة , و يخرج من هليوبوليس , و يقطع سماء الليل , و أنه يشع ضياءا مثل رمح ذهبى .

يوصف الملك أيضا بأنه عامود على شكل ثور , تزينه عينان هما الشمس و القمر , و أن اسمه كأسماء النجوم , أى خالد كالنجوم .

على سبيل المثال , يقول النص رقم 254 من متون الأهرام واصفا الملك :-

** هو صاحب القرن العالى .. هو العامود المزين بعينين .. هو ثور السماء **

** هو عامود النجوم .. هو عامود "كينزيت" (Kenzet) .. هو ثور السماء **

و أثناء رحلة الملك فى العالم الآخر , يصادف ثيرانا فى نهاية كل مرحلة أو عند كل نقطة تحول .

و من الشخصيات التى يقابلها الملك فى رحلته للعالم الآخر شخصية المعداوى الذى ينقل الأرواح بقاربه عبر الطرق المائية الملتوية , و يطلق على هذا المعداوى لقب "ثور ال نترو " .

و هناك معداوى آخر فى العالم السفلى يطلق عليه لقب "الثور العظيم , عامود اقليم الحية" .

و من الثيران التى يصادفها الملك أيضا "ثور رع" , و الذى يعتبر رمزا للعالم السفلى بأكمله .

فى النص رقم 304 من متون الأهرام , يوجه الملك حديثه ل "ثور رع" قائلا :-

** التحيات لك يا "ثور رع" يا صاحب القرون الأربعة .. فأحد قرونك فى جهة الغرب , و الثانى فى الشرق , و الثالث فى الجنوب , و الرابع فى الشمال .. اخفض قرنك الغربى لكى أستطيع المرور الى أرض الغرب **

و يجيب "ثور رع" على الملك مؤكدا أنه (أى الملك) روح طاهرة انبعثت من مدينة الصقر , ثم يسمح له بالمرور الى حقول ال "حتب" (القرابين / الرضا) .

و بالاضافة الى "ثور رع" , هناك أيضا "ثور السماء" الذى يمد يده للملك و يرفعه الى السماء .

يقوم ثور السماء أيضا بخفض قرنه لكى يعبرالملك الى بحيرات ال "دوات" (العالم السفلى) .

تصف متون الأهرام الملك و هو يلتهم الثور (السماوى) لكى يستطيع الانتقال الى العالم الآخر .

جاء وصف هذه الوليمة السماوية فى واحد من نصوص الأهرام أطلق عليه علماء المصريات اسم "نص التهام لحم الأضحية " (Cannibal Hymn) .

يصف هذا النص الامساك بالثور و ربطه بالحبال و طرحه أرضا و ذبحه و تقطيعه و طبخه و تقديمه كوجبة سماوية للملك .

و حسب ما ورد فى النص رقم 413 من متون الأهرام , يستطيع الملك تكرار هذه الوليمة السماوية أثناء جلوسه على عرشه و طوافه فى السماء . يقول النص :-

** انهض أيها الملك .. و اجلس على عرشك .. لكى تلتهم فخذ الثور الأمامية .. التهم الفخذ الخلفية و شارك فى التهام صدر الثور الذى فى السماء مع ال "نترو" **

ما الذى يرمز له ذلك الثور ؟

حسب الفرضية التى طرحتها فى الفصل السابع , يرتدى الملك عباءة الاله الخالق و يعيد تكرار أحداث النشأة الأولى . أى أن الثور هو أحد صور أو تجليات الاله الخالق .

يتوافق ذلك مع الفكر الدينى المصرى , لأن متون الأهرام ذكرت فى العديد من المواضع ما يعرف ب "الثيران الالهية/المقدسة" التى ترتبط بالأرض و السماء . يطلق على أحد هذه الثيران المقدسة لقب "ثور السماء" , و يعتقد أنه يرمز للسماء , و يطلق على الآخر لقب "الثور البرى العظيم" و هو يرتبط ارتباطا وثيقا ب "خنتى - أمنتيو" (سيد الغربيين/ رب العالم السفلى) .

و هناك ثور ثالث يطلق عليه لقب "ثور الثيران" , و يعتقد أنه أحد ألقاب رع .

و هناك ثور رابع يطلق عليه لقب "ثور التاسوعين" , و يعتقد أنه أيضا أحد ألقاب رع .

كما يطلق على "جب" (رب الأرض) أحيانا لقب "ثور نوت" , أى الذى يقوم باخصاب نوت .

يوصف "رع" أيضا بأنه "ثور فى العالم السفلى" , و يوصف "ست" بأنه الثور الذى تم تقطيعه و التهامه . و يعتقد أن أصل هذه الثيران الالهية يعود الى العصر العتيق .

منذ فجر الحضارة المصرية , كان عجل أبيس مقدسا فى مدينة منف , و كان ثور "مر- ور" (Mnevis) مقدسا فى هليوبوليس .

و كان كل منهما يقدس باعتباره أحد التجسدات الفريدة للاله الخالق .

لم تظهر أدلة على وجود علاقة بين أوزيريس و بين الثور الا بظهور متون التوابيت فى عصر الدولة الوسطى , حيث يلقب أوزيريس فى بعض نصوصها بلقب "ثور الغرب" و " ثور نديت" , و "نديت" هو اسم أحدى مدن الدلتا فى مصر القديمة .

و فى نفس الفترة الزمنية – أى فى عصر الدولة الوسطى – ارتفعت مكانة آمون فى طيبة , و أطلق عليه لقب "كا – موت – اف" (Ka-Mut-f) , أى "ثور أمه" , و أيضا لقب "ثور الفتيات الأربعة" .

هل كانت كل هذه الثيران تجليات متعددة للاله الخالق ؟

دعونا نختبر معا هذه الفرضية من واقع الكتب الدينية المصرية لنرى الى أين ستقودنا .



(عجل أبيس المقدس فى منف)

ثور ال "نترو" (الكيانات الالهية) :-

كانت الطقوس الدينية فى مصر القديمة – و فى غيرها من الحضارات القديمة – تتضمن مفهوم التضحية بالثيران , أو الثور الأضحية .

تبدو هذه الأضحيات لغزا أمام انسان العصر الحديث , لأنها تجمع بين فكرتين متناقضتين .

فالثور كان مقدسا عند انسان الحضارات القديمة باعتباره أحد تجليات القدرة الالهية .

فكيف يتم ذبحه بينما هو مقدس ؟

و من ناحية أخرى يعتبر ذبح الثيران اهدارا للثروة الحيوانية لأن الثيران كانت أحد أعمدة الاقتصاد فى الدول الزراعية .

لماذا أقدمت المجتمعات القديمة على مثل هذه الطقوس التى تبدو لنا غريبة و قاسية , بالاضافة الى كونها مرهقة لاقتصاد تلك المجتمعات الزراعية ؟

يقول علماء المصريات أن تقديم قرابين من الأضاحى هو من أجل ارضاء ال "نترو" , و من أجل الحصول على منفعة فى المقابل , حيث تكون المنفعة عادة متعلقة بالرمز الذى تعبر عنه الأضحية .

فى حالة الثور على سبيل المثال , نجد أن الثور هو أقوى الرموز التى تعبر عن الطاقة الجنسية و عن القدرة على الاخصاب و بالتالى عن تجدد الحياة من خلال التناسل .

و بتقديم أضحية الثور , يضمن سكان المجتمعات القديمة خصوبة الأرض فى العام القادم و بالتالى وفرة المحاصيل . لذلك كانت تلك المجتمعات تقدم أضحية الثور فى أوقات معينة من السنة , مثل فترة الاعتدال الربيعى (يوم 21 مارس) , و عند ذبح الأضحية كان دمها يترك ليسيل فوق الأرض.

و لكن الهدف الحقيقى لاقامة شعيرة الأضحية لا يتوقف عند هذا التفسير السطحى و انما هو يشمل رموزا دينية أخرى أعمق بكثير . فتقديم أضحية الثور هو طقس يعود فى الأصل لصورة أولية أو نموذج الهى للأضحية وقع فى الزمن الأول .

يقول عالم الأنثروبولوجى "ميرسيا ايلياد" (Mircea Eliade) فى كتابه "أسطورة العود الأبدى" (The Myth of the Eternal Return) :-

*** ان طقوس الأضاحى عند المجتمعات القديمة ليست فقط اعادة تكرار لحدث كونى وقع عند بدء الخليقة تم فيه تقديم أضحية كونية , و انما هو أيضا طقس يقام فى نفس اللحظة الزمنية الميثولوجية التى وقع فيها الحدث الأزلى , لتكون الأضحية على الأرض متزامنة مع الأضحية فى العالم الالهى و بعبارة أخرى , فان كل أضحية على الأرض هى اعادة تكرار للأضحية الكونية التى وقعت عند نشأة الكون , و هى فى نفس الوقت تتزامن معها و تعتبر صورة مرآه لها على الأرض .*

*كل الأضاحى يتم تقديمها فى نفس الزمن الميثولوجى , و هو الزمن الذى وقعت فيه أحداث نشأة الكون ***

تنطبق هذه النظرية على الفكر الدينى فى مصر القديمة .

على سبيل المثال , فى النص رقم 580 و 670 من متون الأهرام , يرمز ثور الأضحية ل "ست" , رب الفوضى الذى يشكل عقبة فى طريق اكمال منظومة الخلق .

جاء فى النص رقم 580 من متون الأهرام على لسان حورس :-

** يا أبى .. أيها "الملك – أوزيريس" .. لقد ذبحت من ذبحك على هيئة ثور .. لقد قتلت من قتلك على هيئة ثور برى .. لقد كسرت من كسرك على هيئة قرن ثور طويل .. لقد أصبح من مزقك الآن

على هيئة ثور ممزق .. ان من طعنك بحربة أصبح الآن ثورا مطعونا .. ان من جعلك أصما أصبح الآن أصم .. لقد قطعت رأسه و ذيله و ذراعيه و ساقيه **

و يتبع ذلك تقسيم الثور الأضحية بين كل من خبرى , و آتوم , و شو , و تفنوت , و جب , و نوت , و ايزيس , و نفتيس , و أوزوريس , و أنوبيس , و "خنتى - ايرتى" , و أبناء حورس الأربعة و "نترو" آخرين , و الباقى يخصص لأرواح نخن و أرواح بوتو .

ثم يقوم ال "نترو" بالتهام الثور لكى يستطيعوا استكمال طريقهم الى العالم الآخر .

جاء فى أحد نصوص الأهرام على لسان ال "نترو" :-

** دعونا نأكل .. دعونا نأكل الثور الأحمر (ست) .. لنعبر الى البحيرة التى صنعها حورس من أجل أبيه "الملك - أوزيريس" **

يتضح من النص السابق أن التضحية بالثور فى مصر القديمة هى اعادة تكرار لحدث وقع عند نشأة الكون تم فيه ذبح ثور كونى و التهامه بهدف اعادة الحياة لأوزيريس و للنترو . حيث تعتبر اعادة أوزيريس للحياة رمزا لاعادة احياء الكون .

ان فهم مغزى الأضحية الأزلية/الكونية هو مفتاح فهم النصوص التى أطلق عليها علماء المصريات اسم "نصوص التهام لحم الأضحية" (Cannibal Hymn) .

و النصوص السابق ذكرها هى النص رقم 273 و 274 من متون الأهرام , و فيها تقوم روح "الملك - أوزيريس" بالتهام ثور ليتحول بعدها الملك الى ثور السماء .

و من الأشياء التى تستحق التأمل فى هذه النصوص , أن الثور المضحى به (و قد يضحى باثنين من الثيران) ينظر له باعتباره تجسيدا لكل الأرباب الأزليين . و بالتهام أجزاء جسد ذلك الثور الكونى الأزلى تكتسب روح الملك المتوفى الطاقة و القدرات الالهية التى كان يمتلكها هؤلاء الأرباب الأزليون .

عند التهام روح الملك لأجزاء جسد الثور الكونى فهى فى الحقيقة تلتهم تلك القوى الكونية الأزلية .

على سبيل المثال , يقول أحد نصوص ما يعرف ب (Cannibal Hymn) :-

** يحيا الملك على التهام ال "نترو" .. يلتهم الملك طاقة ال "حكا" (السحر الكونى/الأزلى) الذى

كانت تمتلكه تلك ال "نترو" , و يبتلع قدراتهم الالهية الفعالة "آخو" .. لقد كسر الملك عظام العامود الفقرى لهؤلاء ال "نترو" الأزليين , و انتزع قلوبهم , و التهم الأحمر منهم و ابتلع الأخضر .. التهم الملك رئة الحكيم منهم , و هو يستمد طاقة الحياة بأن يقتات على قلوبهم و طاقتهم السحرية (حكا) .. ابتلع الملك الذكاء الكونى و المعرفة "سيا" التى يمتلكها كل "نتر" من هؤلاء الأزليين .. و الآن أضحت باواتهم (أرواحهم) فى بطن الملك .. و أضحت قدراتهم الالهية "آخو" فى حوزة الملك .. و أصبح الحساء الذى يتناوله الملك هو عظامهم **

و بعد الانتهاء من هذه الوليمة الكونية , تولد روح الملك من جديد على هيئة ثور السماء .

و نستكمل القراءة فى نصوص الأهرام التى تقول

** ها هو الملك يشرق بنوره فى السماء .. و تتجلى قوته فى ال "آخت" (الأفق) .. و كاواته (أجسامه الأثيرية / أقرانه) من حوله .. و قريناته تحت قدميه .. و أجداده من فوقه .. و رأسه فوق كتفيه (أى أنه مكتمل الوعى) .. الملك هو ثور السماء **

ما الذى يعنيه ذلك ؟

لكى نعرف الاجابة علينا أولا أن ننظر للنصوص السابقة فى ضوء نظرية ديانة النشأة التى طرحتها فى هذا الكتاب و التى تقول أن موت الاله و بعثه فى الكتب الدينية المصرية هو رمز لانهدام الكون و خلقه من جديد , و أن ال "نترو" على اختلافها و تعددها ترمز لحالة التفكك و التمزق التى سقط فيها الكون القديم حين انهدم و تحلل لعناصره الأولية .

و علينا أيضا أن ننظر الى أضحية الثور باعتبارها تكرار لحدث أزلى وقع فى مرحلة مبكرة من نشأة الكون . اذا فعلنا ذلك , سندرك على الفور أن الثور الذى يضحى به هو الكون القديم الذى يعتبر أضحية تم التهام عناصرها و اعادة تدويرها من جديد لتصبح هى المواد الأولية التى خلق منها الكون الجديد .

ان ذبح ثور الأضحية و تقطيع جسده الى أجزاء يرمز لموت الكون القديم و سقوطه فى حالة من التمزق و التحلل . و طبخ أجزاء جسد الثور بعد ذبحه يرمز لتطهير عناصر الكون القديم المتحلل باستخدام النار و اعادتها للحياة مرة أخرى .

و التهام أجزاء جسد أضحية الثور و هضمها يرمز لاعادة دمج عناصر الكون القديم ليتم استخدامها كمواد بناء فى الكون الجديد .

و بعث الملك من جديد على هيئة ثور السماء بعد التهام أضحية الثور يرمز لبعث الكون من جديد أو اعادة خلقه فى صورة كون جديد .

و عند قراءة نصوص ال (Cannibal Hymn) بتأمل , نكتشف المزيد من الأدلة التى تدعم تلك الفرضية .

على سبيل المثال , تقول النصوص أن ال "نترو" التى ترمز لجسد الثور الذى تمزق بعد ذبحه نشأت من جزيرة اللهيب و "بطونها مملوه بالحكا" , أى مملوءة بالسحر الكونى/الأزلى . و جزيرة اللهيب هى مركز الخلق فى أساطير هرموبوليس التى تحكى جانبا من جوانب قصة الخلق .

و هنا نجد مقابلة بين الثور المذبوح و بين جزيرة اللهيب التى تعتبر مركز الخلق , و خصوصا فى العبارات التى تحدثت عن طبخ أجزاء جسد الثور فوق النار .

و علاوة على ذلك , نلاحظ أن النصوص تشير الى النجوم الشمالية و الى صورتها التى تحاكى الساق الأمامية للثور , و ذلك أثناء طبخ الثور واعداده للملك . يقول احد النصوص :-

** ان العظيم الذى فى السماء الشمالية هو الذى يوقد له النار , و يعد المراجل التى سيطهى فيها الأزليون .. و يضع فيها الساق الأمامية لأقدمهم **

يتحدث نص آخر عن "يوم ذبح الأقدمين" .

أى أن عملية طبخ أجزاء جسد الثور هى رمز لعملية تحول و صيرورة للثور بحيث تنبعث منه روح الكون الجديد و تصعد للسماء لتخلق النجوم و منها النجوم الشمالية (الدب الأكبر و الدب الأصغر) التى توصف بأنها فخذ الثور .

و النصوص لا توضح لنا هوية "الأقدمين" الا أن الاسم قد يكون اشارة الى الأرباب الأزليين , أو ربما يكون اشارة للمتخاصمين , حورس و ست .

يقدم لنا النص رقم 304 من متون الأهرام دليلا آخر على أن الثور هو رمز الكون الأزلى .

و فيه نقرأ أن "ثور رع" له أربعة قرون , أحدها فى الغرب , و الثانى فى الشرق , و الثالث فى

الجنوب و الرابع فى الشمال . يخفض الثور قرنه الغربى , لكى تستطيع روح الملك أن تعبر من الدوات الى حقول ال "حتب" .

و قد يفهم من سياق النص أيضا أن الثور هو نفسه حقول ال "حتب" و أن قرونه هى البوابات التى تفضى الى ذلك العالم الماورائى أو ال "تحت - أرضي" .

تبدو قرون الثور رمزا مناسبا للبوابات , لأنها يمكن أن تستخدم كأداة لفتح ما هو مغلق .

و عليك أن تتخيل ثورا و هو يقتحم بقرنيه مكانا ما فيفتحه بسهولة و بدون أى عائق .

على سبيل المثال , يصف النص رقم 251 من متون الأهرام الملك و هو فى صورة ثور ذو قرون قوية حادة يشق طريقه بسهولة و يخترق ال "دوات" (العالم السفلى) و ال "آخت" (الأفق) .

يقول النص :-

** لقد وليت وجهى شطر عرشى .. أنا تاج العروش , الذى يأتى بعد الاله العظيم .. الذى وضعت رأسه فى مكانها ... أنا الذى أمتلك قرونا حادة و قوية كمن يحمل سكينا حادا يقطع به الرقاب .. ان القرن العظيم الذى يقف خلف الاله العظيم هو الذى يزيل العقبات من أمام الثور , و يجعل الذين يعيشون فى الظلمة (قوى الظلام و الفوضى) يرتجفون .. لا شئ يقف أمامى أو يعيقنى فى ال "آخت" (الأفق) **

ان وصف قرون الثور بأنها قوية و حادة فى النص السابق من متون الأهرام يشبه الى حد كبير وصف حديد سوكر فى النص رقم 816 من متون التوابيت بأنه "حاد و قوى" (بالاضافة الى وصفه بأنه مغسول و طاهر) .

هل لعبت قرون الثور الحادة و القوية دورا فى فتح فم أو جوف ال "دوات" (العالم السفلى) كما لعب حديد سوكر دورا أساسيا فى فتح فم أرض الغرب ؟

ان السكين الحاد الذى جاء ذكره فى النص السابق يدعم تلك الفكرة , و كذلك الخوف الذى ينتاب من يعيشون فى الظلمة .

لذلك ليس من قبيل الصدفة أن يكون بعث الملك على هيئة ثور سماوى مصحوبا بتزلزل الأرض و تصدعها . و فى نصوص ال (Cannibal Hymn) التى أوردناها فى السابق , نلاحظ أن

ظهور الملك على هيئة ثور سماوى يكون مصحوبا بزلزال فى الأرض , اذ يقول النص :-

** أظلمت السماء .. و خبت النجوم .. و اضطرب المحيط السماوى .. و ارتجفت عظام "آكرو" (أرباب الأرض) **

و يقدم لنا النص رقم 254 من متون الأهرام صورة مفعمة بالحياة , يقوم فيها الملك بفتح جوف الأرض التى تبدو و كأنها عامود يقف فى وضع رأسى بينما يخترقه الملك على هيئة ثور موجها قرونه نحو العامود . يقول النص موجها خطابه لروح الملك :-

** أمسك بالحبل بقوة .. و اقطع شارع النجوم (السماء) .. و اضرب الكرة فى مروج أبيس .. لقد أصيبت حقولك بالخوف .. أنت نجم "اياد" أمام عامود النجوم (أوزيريس) .. ها هى النجوم تراك و قد أضحيت عامود "كنزت" , أضحيت ثور السماء الذى يخشع أمامه قطيع الثيران .. فلترتجفى و ترتعدى أيتها الكائنات العنيفة (قوى الفوضى) التى تسكن العاصفة الغائمة فى السماء.. لقد فتح الملك فم الأرض بما اطلع عليه فى اليوم الذى أراد أن يأتى فيه .. هكذا يقول "ور- سكات" (Wr-skat) الذى يسكن ال "دوات" العالم السلفى) **

يفسر علماء المصريات النص السابق بأنه رمز لقيام الملك بفتح باب المقبرة .

و لكن معنى النص لا يتوقف على هذا المعنى السطحى و المباشر , و انما يحمل دلالات أكثر عمقا تتعلق بقصة الخلق .

اذا نظرنا الى النص فى ضوء نظرية ديانة النشأة , فان النص يصف قيام الملك باعادة تكرار حدث من أحداث نشأة الكون . هذا الحدث هو فتح فم أو جوف الأرض الأزلية .

ان هياج الملك الذى يشبه هياج الثور هو رمز لحالة الاضطراب التى كانت تهيمن على الكون فى مراحل نشأته المبكرة أثناء تشكله .

و مما يؤكد هذه الفكرة أن الملك وصف فى نصوص أخرى بأنه "الثور صاحب الوجه العظيم , الذى أتى من هليوبوليس" .

و هليوبوليس فى الفكر الدينى المصرى هى عبارة عن نسخة مصغرة من الكون الأزلى (microcosm) و الثور الذى خرج من هليوبوليس هو الثور الوليد (رمز الكون الجديد) الذى

يحطم حدود و متاريس الكون القديم بقرونه الحادة القوية ليخرج منه .

يتزامن ظهور الثور أيضا مع خلق النجوم .

يتضح ذلك من الألقاب التى يدخل الثور فى تكوينها و منها على سبيل المثال الألقاب التالية :-

** ثور التاسوعين , الذى يفتح الطريق أمام الملك و يضعه فى مقدمة ال "نترو" .

** ثور التاسوعين , الذى ينبعث من ال "آخت" .

** ثور ال "خنمت" الذى يخرج بذرة الحياة من عضوه الذكرى .

** ثور الملايين (من النجوم) , الذى يصنع المعراج ل "شو" .

و التاسوع و ال "خنمت" هى أرواح النجوم التى كان يعتقد أنها بالآلاف و الملايين , أى لا حصر لها .

وردت فكرة خلق الثور للنجوم أيضا فى النص رقم 254 من متون الأهرام و الذى وصف الملك بأنه "عامود النجوم" و بأنه ثور يقطع شارع النجوم "مسكت - شدو" (السماء) و يصعد للسماء فيخشع أمامه قطيع الثيران , و هو رمز للنجوم بوجه عام و ليس لمجموعة نجمية بعينها .

و قد يكون تعبير "قطيع الثيران" رمزا للنترو التى تسكن قلب العاصفة الغائمة التى فى السماء .

ليس من الغريب اذن أن نكتشف أن مجموعة نجوم الدب الأكبر و الدب الأصغر - و هى من النجوم الشمالية - كانت فى نظر قدماء المصريين رمزا لساقى الثور السماوى الأماميتين .

و ليس من الغريب أيضا أن نكتشف أن عين الشمس و عين القمر كانت فى نظر قدماء المصريين رمزا لعيون الثور السماوى , و ذلك قبل أن تتحول الى عيون للصقر السماوى .

و بمرور الزمن , تحولت السيقان الأمامية (الدب الأكبر و الدب الأصغر) من رموز للثور السماوى الى رموز ترتبط ب "ست" , كما تحولت العينان (عين الشمس و عين القمر) أيضا من رموز للثور السماوى الى رموز ترتبط ب "حورس" .

<u>البقرة الكونية :-</u>

و كما كان الثور فى مصر القديمة رمزا للكون , كذلك كانت البقرة .

فى عصر متون الأهرام (عصر الأسرة خامسه , دولة قديمة) كان هناك أربعة من الربات يتخذن هيئة البقرة , ثلاثة منها كن أما كونية للملك الذى يولد من جديد فى عالم الروح .

كانت البقرة بوجه عام رمزا للأمومة فى مصر القديمة , لأنها هى مصدر اللبن .

و أكثر الربات اللاتى جاء ذكرهن فى متون الأهرام و قمن بدور الأم الكونية للملك هى " البقرة البرية العظيمة التى تسكن نخب" ("نخب" هى مدينة الكاب بصعيد مصر) .

توصف تلك البقرة البرية العظيمة بأنها ذات غطاء رأس أبيض , و ذات ريش (أو شعر) طويل , و ذات ضرع متدلى , فى اشارة الى امتلاء ضرعها باللبن .

تحمل هذه البقرة البرية العظيمة التى تسكن "نخب" بملك مصر و تلده فى العالم السماوى و ترضعه و تحمله عبر مياه الهاوية "نون" ليصل الى العرش العظيم الذى صنعته ال "نترو" , و رفعته للسماء .

و هذه الأم الكونية لا تظهر فقط فى هيئة بقرة , و انما تظهر أيضا فى هيئة أنثى طائر الرخمة (بضم الراء و فتح الخاء و الميم) التى تفرد جناحيها حول الملك لتحتويه بينهما و تحميه .

و عندما تظهر فى هيئة أنثى النسر يطلق عليها اسم "نخبت" , و هو الاسم الذى اشتق منه اسم مدينتها , مدينة "نخب" (الكاب) بصعيد مصر .

و "نخبت" هى ربة التاج الأبيض (تاج مصر العليا / الصعيد) , و هى تشكل ثنائى مع الربة الحية "وادجت" ربة مصر السفلى/الدلتا و تشتركان معا فى حماية الأرضين , و يطلق عليهما معا لقب "نبتى" , أى السيدتان .

و من الأشياء التى تستحق الانتباه أن العديد من نصوص الأهرام ذكرت (البقرة البرية العظيمة) بشكل منفرد بدون أن تربطها بأى من ال "نترو" ذات الطبيعة المذكرة .

ربما كان ذلك مقصودا , لأن بعض الباحثين أشار الى أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أن طائر الرخمة لا يوجد منه ذكور , أو أن ذكوره فى منتهى الندرة .

و لما كانت البقرة البرية العظيمة هى الصورة الأخرى لأنثى طائر الرخمة , فقد يكون المقصود هو التأكيد على أن هذه الأم الكونية التى تلد الملك من جديد فى عالم الروح هى أم عذراء .

أما البقرة الكونية الثانية التى جاء ذكرها فى متون الأهرام فهى "حتحور" .

لا يوجد الكثير من المعلومات عن حتحور فى متون الأهرام , و لكن النصوص ذكرت أنها ترفع عين رع فوق قرنيها .

جاء فى النص رقم 303 من متون الأهرام أن حتحور هى الأم الكونية التى تلد روح الملك من جديد فى العالم السماوى .

منذ فجر الحضارة المصرية كانت حتحور تصور بقرنى و أذنى بقرة , و فى عصر الدولة الحديثة كانت تصور فى العديد من المشاهد على هيئة بقرة برية تخرج من بين جبال الغرب .

كانت حتحور أما لحورس (صقر السماء) و "ايحى" (عازف الصلاصل) .

تقول النصوص أن "حت حور" - أى قصر حورس - هو رحم الأم الكونية الذى أنجب السماء , لذلك كان اسم "حت حور" يعتبر من أسماء السماء فى مصر القديمة .

و على الرغم من أن حمل حتحور بكل من حورس و ايحى غالبا ما يعزى الى تزاوجها مع أحد ال "نترو" الذكور , الا أن حتحور كانت فى الأصل هى الأم العذراء للكون , أو عذراء الكون .



أحد جوانب لوحة نارمر . فى أعلى اللوحة نرى حتحور بقرنى بقرة و أذنى بقرة , و فى أسفل اللوحة نرى الملك على هيئة ثور يقتحم أسوار مدينة .



أحد مشاهد كتاب الخروج الى النهار يصور حتحور فى هيئة بقرة برية تخرج من بين مستنقعات البردى .

و البقرة الكونية الثالثة هى نوت , و التى توصف فى متون الأهرام بأنها "ذات القرون الطويلة (أو ذات الشعر الطويل) , و ذات الضرع المتدلى .

و فى عصر الدولة الحديثه أصبحت تظهر فى صورة البقرة السماوية التى تقف فوق الأرض مستندة فوق ذراعى "شو" (رب الهواء) و مساعديه الثمانية "اللانهائيين" .

يخبرنا كتاب البقرة السماوية الذى ظهر فى عصر الأسرة 18 دولة حديثه , أن "رع" قام بتحويل نوت الى بقرة سماوية , و صعد فوق ظهرها و اتحد بها .

و من الغريب أن "رع" لم يظهر فى تلك الأسطورة فى صورة ثور كما قد يتصور البعض (ليكون زوجا للبقرة السماوية) , و انما فى صورة رجل عجوز , أو ملك اصابته الشيخوخه يتنازل عن عرشه على الأرض .

من مناقشاتنا فى الفصول السابقة , عرفنا أن نوت هى فى الأصل أم كونية خرجت من رحم كون سابق لتصبح هى سماء الكون الجديد .

أما البقرة الكونية الرابعة التى جاء ذكرها فى متون الأهرام فهى "ميحيت - ويريت" , و التى يكتب اسمها باللغة المصرية القديمة فى العديد من النصوص باستخدام مخصص على شكل بقرة .

و "ميحيت - ويريت" لا تظهر فى النصوص الدينية فى صورة بقرة , و انما فى صورة فيضان السماء العظيم , و هو المعنى الحرفى لاسمها .

يمكن للبقرة الكونية أيضا أن تظهر فى صورة امرأة . لذلك كانت حتحور فى بعض الأحيان تجمع بين صورة بقرة و وجه امرأة .

و يمكن للبقرة الكونية أيضا أن تصور بأذرع تحتضن بها أبناءها .

لذلك وصفت متون الأهرام نوت فى بعض النصوص بأن لها أذرع طويلة تمتد حول الأرض لتحتضنها , و تصفها فى أحيان أخرى بأن لها (أذرعا تمتد لتصل الى الأرض , و أفخاذ تحيط بجزيرة الأرض) .

قد يكون لتلك الرموز الفضفاضة علاقة بوصف الملك فى بعض النصوص بأنه ابن (الثور البرى العظيم الذى أخصب الفتيات العظيمات اللاتى يسكن فى هليوبوليس) , و أحيانا ما يتم استبدال لفظ "فتيات هليوبوليس العظيمات" ب (الأنثى الحبلى فى هليوبوليس) .

كل هذه بالطبع تعبيرات مجازية لأحداث كونية أزلية و ليس لأحداث تاريخية .

<u>جب" , ثور السماء :-</u>

ذكرت من قبل أن قدماء المصريين رمزوا للكون الذى يخلق من جديد بثور ذو قرون قوية حادة يخرج أو يصعد من العالم السفلى للسماء . كما رمزوا له فى بعض الحالات القليلة ببقرة تخرج من رحم الكون القديم لتصبح هى سماء الكون الجديد .

الثور اذن هو أحد رموز الاله الخالق , أما البقرة فهى أحد رموز الالهة الأم , أو الأم الكونية العذراء .

تقول احدى الأساطير أن هناك تزاوجا حدث بين الثور السماوى و البقرة السماوية و أن الذرية التى نتجت من ذلك التزاوج هى الكون الجديد الذى ظهر للوجود فى هيئة عجل صغير يافع .

و أقدم أشكال أسطورة زواج الثور السماوى و البقرة السماوية هى أسطورة جب و نوت .

وصفت متون الأهرام "جب" بأنه "ثور نوت" أما نوت فقد وصفت بأنها "ذات القرون الطويلة و الضرع المتدلى" .

جاء فى متون الأهرام أن جب يتزاوج مع "نوت" (السماء) فيجعلها تحمل بالنجوم و منها ملك مصر الذى يتبوأ مكانه بين النجوم التى لا تأفل .

يوصف ملك مصر الذى يولد من جديد فى العالم السماوى بأنه ابن جب و نوت و بأنه (العجل الذهبى الذى ولد من السماء) .

و فى أسطورة أخرى توصف نوت بأنها تحمل ب "رع" و الذى وصفته احدى الابتهالات من عصر الدولة الحديثه بأنه (العجل الذى ولد من الفيضان العظيم "ميحيت - ويريت" , و الذى أرضعته نوت) .

جاء وصف تزاوج جب و نوت فى الكتب الدينية المصرية بحذر شديد .

فى متون الأهرام هناك نص واحد يقول على لسان الملك (أو ربما على لسان "شو") :-

** يا "نوت" (السماء) لقد جعلتك تحملين من جب , لأنى جمعت الأرض كلها من أجلك فى كل موضع **

و فى صيغة أخرى لنفس النص يقوم جب بنفسه بجمع الأرض من أجل نوت .

يشكل النص السابق صعوبة لعلماء المصريات بسبب عدم قدرتهم على تحديد معنى كلمة "بند" (pnd) التى وردت فى سياق النص , و أيضا بسبب غموض العبارة الثانية منه (لأنى جمعت الأرض كلها من أجلك فى كل المواضع) .

ما الذى يعنيه جمع الأرض كلها من أجل نوت ؟

قد يعنى ذلك أن "شو" (رب الهواء) قد وصل الأرض بالسماء من خلال الغلاف الجوى .

و لكن هناك صيغة أخرى لنفس النص يقوم فيها جب (بدلا من شو) بجمع الأرض كلها من أجل نوت .

و لما كان النص يتحدث عن جمع الأرض كلها لتتحد بها نوت (السماء) , فمن المتوقع أن هذا

الحدث الذى يصفه النص قد وقع فى الكون الأزلى القديم حين كانت السماء و الأرض ملتصقتان و قبل أن يقوم "شو" بفصل السماء عن الأرض و رفعها لتصبح العالية "حرت" .

يقوم "جب" اذن بتخصيب "نوت" - كما تقول العبارة الأولى من النص – بأن يجمع أرضه كلها الى مياهها , لتدخل فى مرحلة جديدة من نشأة الكون تولد فيها النجوم و تظهر السماء بصورتها الحالية و بعبارة أخرى , كانت السماء ملتصقة بالأرض فى مرحلة مبكرة من مراحل نشأة الكون , و هذا الالتصاق (الذى وصفته الكتب الدينية المصرية بالتزاوج) هو الذى أدى لظهور السماء بصورتها الحالية لأن بذور خلق النجوم و المجرات وضعت فى رحم السماء فى تلك المرحلة المبكرة من مراحل النشأة و قبل انفصال السماء عن الأرض .

و لكن هناك أيضا نصوصا أخرى تناقض ذلك و هو ما يدعو للحيرة .

على سبيل المثال تقول متون التوابيت أن جب تزوج من نوت بعد أن رفعها "شو" لتصبح عالية "حرت" .

و يبدو أن "جب" قد صعد للسماء ليكمل اتحاده بنوت و تزاوجه معها .

و مما يؤيد هذا الطرح أن متون الأهرام تحدثت فى أكثر من موضع عن ظهور "جب" فى السماء , و هو ما يسبب حرجا لعلماء المصريات الذين يفضلون بقاءه على الأرض .

و سنعود لهذه الفكرة فى موضع لاحق من هذ الفصل .

لا توضح النصوص كيف أكمل جب علاقته مع نوت فى السماء .

و لكن يمكننا ان نستعيد الجزء المفقود من الأسطورة من خلال الطقوس التى يقوم بها الملك و التى تعتبر اعادة تكرار لأحداث قصة الخلق .

فى متون الأهرام يولد الملك من جديد فى صورة أوزيريس ابن جب و نوت (ابن الأرض و السماء) . تبدأ القصة بالملك و هو داخل رحم الأم الكونية نوت .

فى النص رقم 325 و 479 و 563 من متون الأهرام تكررت هذه العبارات :-

** أنا طاهر .. لقد جمعت عظامى الحديدية , و نثرت أعضاء جسدى التى لا تموت فى رحم أمى نوت **

** يا "رع" , قم باخصاب رحم نوت ببذور الروح التى نشأت منها **

** لقد ثقل رحمك و امتلأ يا نوت ببذرة الاله الذى يسكنك .. أنا بذرة الاله الذى يسكنك **

تنتهى كل عبارة من العبارات السابقة بصعود الملك للسماء , و كأنه يخرج من رحم نوت بعد انتهاء فترة الحمل .

يرفع الملك للسماء بواسطة اثنين من ال "نترو" الغامضة , أولها يعرف باسم "هبات" (Hpat) و الثانى باسم "هننى" (Hnny) . و فى حالة واحدة فقط انضم لهما "نتر" ثالث يدعى "زمنو" (Zmnnu) . و لم يظهر أى من هذه ال "نترو" الغامضة التى ترفع الملك للسماء فى أى كتاب دينى آخر بخلاف متون الأهرام .

و من الجدير بالانتباه أن دور "هبات" (Hpat) فى رفع الملك للسماء يتلخص فى قيامه بالضغط على رحم "بت" (السماء) . يقول النص :-

** يا "هبات" , اضغط فوق رحم السماء بقوة بذرة الاله التى فى داخلها .. أنظر لى , أنا بذرة الاله التى فى رحم السماء . يا "هبات" (Hpat) و يا "هننى" (Hnny) , و يا "زمنو" (Zmnnu) , خذونى معكم لأسكن بينكم **

و الشئ الغريب فى هذا النص أن الملك يظهر أولا على صورة بذرة تجعل نوت حبلى بالعالم السفلى , ثم يظهر مرة أخرى فى صورة بذرة تجعل نوت حبلى بالسماء .

و لما كانت نوت هى نفسها السماء بعد أن مرت بمراحل تطور , فقد يعنى ذلك أننا بصدد مفهوم كونى واحد يمر بعدة بمراحل تطور .

و اذا فهمنا هذه النقطة , سنتمكن من فهم النصوص العديدة التى وردت فى متون الأهرام و التى وصفت ملك مصر بأنه يصعد للسماء فى صورة صاحب العضو الذكرى و البذرة , و كأنه ثور فحل .

على سبيل المثال , يقول أحد نصوص الأهرام على لسان الملك :-

** أنا الثور البرى العظيم الذى انبعث على هيئة "خنتى - أمنتيو" (سيد الغربيين) .. أنا السائل المنوى .. لقد نشأت من ماء الحياة الذى يأتى منه يخلق **

و فى متون التوابيت يقول أحد النصوص على لسان الملك :-

** أنا ذلك الثور الذى يتحكم فى خصيتيه .. الذى انبعث من هليوبوليس **

** انا أشرق عند شروق الشمس .. لقد جئت للوجود على هيئة بذرة (سائل منوى) ثور الغرب **

** ان عضوى الذكرى هو "بابى" (حارس بوابات العالم الآخر) .. بذرة الخلق فى فمى .. أنا الذى يقذف بذرة الحياة فينسج الحياة .. أنا أقذف بذرة الحياة فأخلق هذا و ذاك **

** أنا أزلى .. عضوى الذكرى أزلى , و بذرتى هى بذرة ثور "حنمت" (Hnmmt) .. لقد ارتحلت الى أوزيريس و كائه (قرينه) , و قد وهبنى بذرته لكى أتحد بها .. ان عضوى الذكرى هو العضو الذكرى ل "مين" (رب الخصاب) **

** أنا الروح العظيمة لأوزيريس .. الذى اتحدت به ال "نترو" .. لقد خلقت أوزيريس من جديد من السوائل التى كانت فى لحم جسده و من البذرة الى خرجت من عضوه الذكرى عند الخروج الى النهار لكى يتحد بها **

و هكذا يصعد الملك للسماء على هيئة ثور فحل يسكب بذوره فى رحم أمه السماوية نوت .

و هكذا تحمل الأم السماوية بملك مصر و تلده من جديد فى العالم السماوى على هيئة نجم .

يبدو من تلك القراءة للنصوص أن الملك يولد مرتين , مرة من الرحم القديم و مرة من الرحم الجديد و هو لا يعتبر تناقضا , و انما مراحل مختلفة من التطور . و حين تذكر النصوص أن الملك يفتح رحم أمه فان ذلك يعنى أنه يخلق مكانا له فى السماء , كما يقول النص التالى :-

** أيها الملك , أفسح مكانك فى السماء وسط النجوم , لأنك أنت النجم الوحيد/الفريد "سبا - واتى" (sba-wati) **

ان فتح فم الكون أو جوف الكون هو فى الحقيقة عملية ميلاد أو مخاض , و فى بعض الأحيان هو عملية تزاوج .

اذا نظرنا لفتح جوف الكون على ضوء نظرية ديانة النشأة فنحن بصدد أم تلد أبنها من رحمها .

و اذا استبعدنا نظرية ديانة النشأة , فسيبدو لنا النص و كأنه يصف قيام الابن (ثورالسماء) بسكب بذوره فى رحم أمه , ألا و هو السماء .

و هو ما يأخذنا لمناقشة مفهوم "كا - موت - اف" (ثور امه) الذى يعتبر أحد ألغاز الفكر الدينى فى مصر القديمة .

"كا - موت - اف" , ثور أمه :-

بعد صعود نجم مدينة طيبة حوالى عام 2000 قبل الميلاد , بدأ ظهور ما يعرف ب "كا - موت - اف" , و تكرر ذكره فى العديد من النصوص المصرية القديمة , حيث يقال أنه كان محفوظا فى معبد صغير بمدينة هابو فى البر الغربى بالأقصر .

و "كا - موت - اف" يعنى "ثور أمه" , و هو اسم كان يطلق على شئ مقدس كان محفوظا بمعبد هابو , و هو فى الغالب نيزك حديدى . و فى نفس الوقت هو لقب أطلق على العديد من الكيانات الالهية مثل "آمون" , و "مين" , و "حورس" .

فكل منهم كان ينظر له باعتباره الثور السماوى الذى قام باخصاب رحم أمه , و هو تعبير مجازى عن حدث كونى أزلى .

و "كا - موت - اف" هو أحد الألقاب التى أطلقها قدماء المصريين على آمون , و يتضح لنا معنى هذا اللقب من النص التالى الذى يصف آمون قائلا :-

** كا - موت - اف (ثور أمه) هو الذى يبهج قلب البقرة السماوية , و هو الزوج الذى يخصب زوجته بعضوه الذكرى **

كان "مين" أحد أقدم أرباب الاخصاب فى الفكر الدينى المصرى و قد اشتهر بعضوه الذكرى ذو الحجم الهائل و قدرته على الاخصاب .

كان "مين" يظهر فى الفن المصرى فى صورة رجل بعضو ذكرى منتصب , و كان قدماء المصريين يرونه متجسدا فى صورة ثور أبيض , لذلك كانوا يقدمون القرابين من القمح و الغلال فى موسم الحصاد لثور أبيض باعتباره صورة "مين" على الأرض .

ينطبق وصف "كا - موت - اف" (ثور أمه) على "مين" رب الاخصاب أكثر من أى كيان الهى آخر .

يتضح لنا معنى كلمة "كا - موت - اف" من النص التالى و هو عبارة عن ابتهال يرتله الكهنة ل "مين" فى عيد الحصاد , حيث نقرأ فيه هذه العبارات :-

** التحيات لك يا "مين" .. يا من أخصبت أمك السماوية .. ان ما فعلته لأمك السماوية فى الظلمة لهو من الأسرار الغامضة **

أما الكيان الالهى الثالث الذى ارتبط ب "كا - موت – اف" فهو حورس .

جاء فى احدى الأساطير أن حورس تزاوج مع أمه ايزيس تزاوجا يشوبه العنف .

فعلى سبيل االمثال يقول احد النصوص :-

** انظر , انه حورس يتزاوج مع أمه ايزيس .. اتحد قلب حورس بقلب أمه ايزيس و هو يتزاوج معها , و قفز قلبه تجاهها **

و قد استبدل الكاتب المصرى تعبير انتصاب العضو الذكرى فى الأسطورة بتعبير آخر أكثر رومانسية هو قفز القلب .

ما الذى يعنيه ذلك ؟

يقول علماء المصريات أن مصطلح "كا - موت - اف" يرمز للخلود و الذى يتجلى فى قدرة الاله الغامضة على أن يخلق نفسه بنفسه من جديد بأن يضع بذرته فى رحم الأم الكونية .

و هذا التفسير صحيح بالفعل , و لكن هناك رموزا أخرى .

فمصطلح "كا - موت - اف" هو تعبير مجازى عن ميلاد الكون من جديد من رحم الكون القديم .

و من المدهش أن مصطلح "كا - موت - اف" ليس فقط صفة تعبر عن القوة و الفحولة و القدرة على خلق حياة جديدة , و انما هو أيضا اسم لشئ مقدس يرمز أيضا لنفس المعانى .

هذا الشئ المقدس هو الرمز المقدس لكل من "آمون" , و "مين" , و "حورس" و كان قدماء المصريين يحفظونه فى معبد هابو بالبر الغربى بالأقصر .

تتحدث النصوص المصرية القديمة عن "كا - موت - اف" باعتباره شئ مادى ملموس .

جاء فى أسطورة ايزيس و رع أن رع هو الذى خلق "كا - موت - اف" .

و جاء فى الفصل الثامن عشر من أنشودة آمون العظمى أن آمون رفع "كا - موت - اف" الى

السماء فى بدء الخليقة . يقول النص :-

** لقد تحولت (يا آمون) الى "تا تنن" , لكى تنجب الأزليين من كيانك الأزلى .. لقد ارتفع حسنك على هيئة "كا - موت - اف" , و أصبحت متعاليا فى السماء , بينما تتجلى صورتك فى الشمس **

ان الانطباع الذى يتركه النص لدى القارئ أن آمون قذف الشئ المسمى ب "كا - موت - اف" من الأرض الأزلية التى ارتفعت من المياه الأزلية .

يتفق ذلك مع الفكرة التى طرحناها فى الفصل العاشر و التى تقول أن الحديد النيزكى قد قذف من الأرض الأزلية فى مرحلة مبكرة من نشأة الكون .

و ليس من المصادفة أن نعرف أن الدراسات التى أجراها علماء المصريات حول "كا - موت - اف" المقدس فى طيبة اقترحت أن يكون محور طقوس تقديسه عبارة عن نيزك حديدى صغير كان يحفظ فى معبد هابو .

و توصلت نفس الدراسات أيضا الى أن "مين" (و هو أكثر الكيانات الالهية التى ارتبطت بلقب كا - موت - اف) ليس فقط ربا للاخصاب , و انما هو رب النيازك .

يقول "وينرايت" (G.A. Wainwright) فى كتاب "ديانة السماء فى مصر القديمة" (The Sky Religion in Egypt) أن الرمز الهيروغليفى الذى يعبر عن "مين" فى اللغة المصرية القديمة و الذى يبدو على هيئة سهم مزدوج هو فى نفس الوقت الرمز الذى يعبر عن الصاعقة و عن البرق و الرعد , و أن الصاعقة كانت فى نظر قدماء المصريين مرادفا للنيزك .

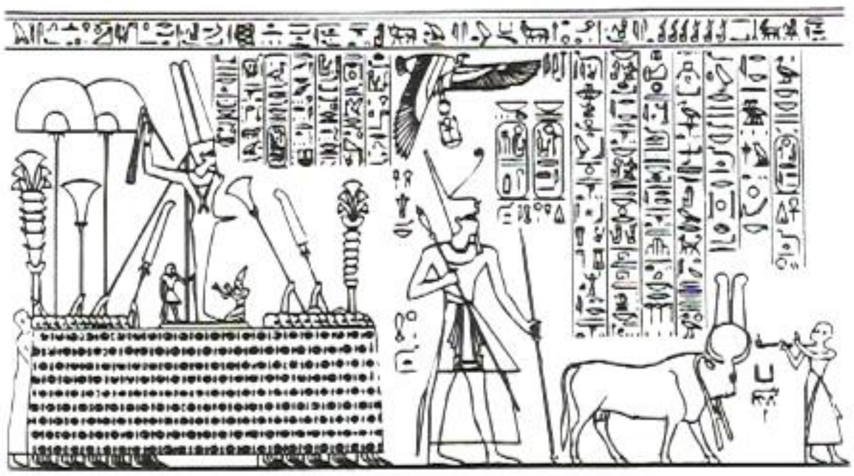
لاحظ "وينرايت" (G.A. Wainwright) أن نفس الرمز الهيروغليفى ل "مين" كان يستخدم فى كتابة أسم مدينة "ليتوبوليس" (مركز أوسيم محافظة الجيزة) و التى كانت تعرف فى مصر القديمة بأنها مدينة الصاعقة .

و قد استخدم مدونو متون الأهرام صورة عتيقة من الرمز الهيروغليفى ل "مين" لوصف الملك أثناء قذفه الى السماء و كأنه صاعقة .

يتضح من ذلك أن "مين" ليس مجرد رب للخصوبة كما يعتقد البعض , و انما هو صورة من صور الاله الخالق , و أن عضوه الذكرى المنتصب هو رمز لمرحلة هامة من مراحل نشأة الكون و هى

المرحلة التى تم فيها اخصاب السماء ببذور النجوم و المجرات .

و "كا - موت - اف" الذى كان كهنة طيبة يحفظونه داخل معبد هابو هو بذرة "مين" التى قذفها من عضوه الذكرى , و هو أيضا السائل المنوى للثور السماوى الذى قام باخصاب أمه السماوية .



الاحتفال بعيد "مين" , و فيه تظهر صورة مين على هيئة رجل بعضو ذكرى منتصب و أيضا على هيئة ثور .

<u>آتوم و حجر ال "بن بن" :-</u>

يظهر الثور و العضو الذكرى و النيزك معا فى واحدة من أقدم قصص الخلق فى مصر القديمة و هى قصة تاسوع هليوبوليس و التى يلعب فيها آتوم و حجر ال "بن بن" دورا رئيسيا .

جاء ذكر أسطورة التاسوع فى النص رقم 527 و 600 من متون الأهرام , و هما بالترتيب كالآتى

** آتوم هو الذى أتى للوجود , حين قام بالاستمناء فى هليوبوليس . أمسك آتوم عضوه الذكرى بيده ليخلق به النشوة , و هكذا أخرج من ذاته "شو" و "تفنوت" **

** لقد تحولت (يا "خبرى - آتوم") الى تل مرتفع "qay qaa" .. لقد ارتفعت على هيئة حجر ال "بن بن" فى قصر طائر ال "بنو" (الفينيكس) فى هليوبوليس .. عطست فأخرجت "شو" للوجود , و بصقت فأخرجت "تفنوت" للوجود .. ثم وضعت ذراعيك حولهما على هيئة علامة ال "كا" لتحتضنهما , و لتسرى فيهما كاءك (صورتك الأثيرية) **

و تفسير هذه الأسطورة حسب علم المصريات الأكاديمى يقول أن حجر ال "بن بن" و التل العالى هما من رموز التل الأزلى , أى الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل .

و يفترض علماء المصريات أن آتوم خلق الأرض فى نفس الوقت الذى خلق فيه الغلاف الجوى و السماء , و التى رمزت لها الأسطورة ب "شو" و "تفنوت" .

أما الاستمناء فهم يفسرونه بأنه يرمز لوحدانية الاله الذى يخلق بدون زوجة أو رفيقه . و هم لا يرون أى رموز أخرى للأسطورة أبعد من ذلك .

و فى الحقيقة ان أسطورة الخلق التى تنسب لمدينة هليوبوليس هى أسطورة فريدة و تستحق التأمل . فقد ربطت بشكل مباشر بين خلق آتوم للكون و بين معبد يطلق عليه معبد طائر ال "بنو" (الفينيكس) فى مدينة هليوبوليس و بين حجر ال "بن بن" و الذى كان قدماء المصريين يرفعونه فوق عامود وسط فناء المعبد . و فى الحقيقة ان المعبد و الحجر لم يعد لهما وجود على الأرض بعد أن تعرض المعبد للتدمير فى عصر الانتقال الأول .

و لكن المصادر التاريخية التى تحدثت عن مدينة هليوبوليس قالت أن معبد ال "بنو" كان يحتوى على فناء مفتوح للسماء فى وسطه حجر على شكل مخروطى مرفوع فوق عامود .

ما هو بالضبط حجر ال "بن بن" الذى جاء ذكره فى متون الأهرام ؟

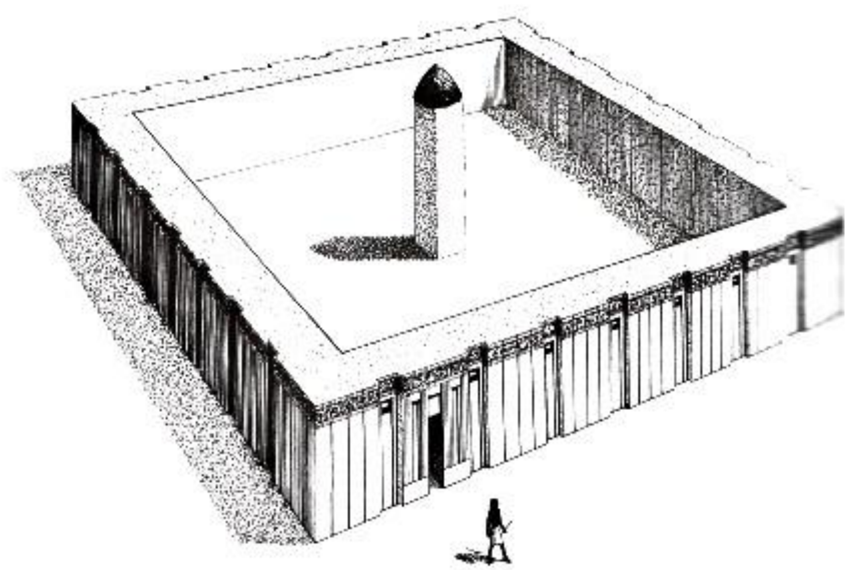
استنتج العديد من الباحثين أن حجر ال "بن بن" هو فى الغالب نيزك , و قد بنوا استنتاجهم على شكله الذى وصف فى بعض المصادر بأنه مخروطى و أيضا بسبب رفعه فى اتجاه السماء فوق عامود و كأنه يشير الى العالم الذى جاء منه .

و هنا , أود أن أوضح للقارئ أن بعض النيازك الحديدية تتخذ شكلا مخروطيا أثناء سقوطها من السماء للأرض نتيجة احتكاكها بالغلاف الجوى .

و فى الحقيقة , ان النصوص المصرية القديمة لا تؤكد و لا تنفى أن حجر ال "بن بن" مكون من حديد السماء (bja) أو من أى مادة أخرى .

و قد يكون حجر ال "بن بن" الذى كان كهنة هليوبوليس يرفعونه فوق عامود وسط فناء معبد ال "بنو" هو مجرد نسخة أو صورة من حجر نيزكى قديم كان مقدسا فى هليوبوليس من العصر العتيق

و لكنه تعرض للصدأ و التآكل بمرور الزمن .



صورة تخيلية لمعبد ال "بنو" بهليوبوليس كما كان فى عصر الدولة القديمة , حيث يقف فى وسطه عامود مرتفع يحمل فوقه حجر ال "بن بن" .

و ما يهمنا الآن هو معرفة ما الذى يرمز له حجر ال "بن بن" على وجه التحديد .

يرى علماء المصريات أن حجر ال "بن بن" هو أحد رموز الشمس , و قد بنوا رأيهم على الافتراض بأن الديانة المصرية القديمة هى ديانة شمسية و أن المسلة أيضا هى رمز من رموز الشمس . و يعتقد أن فكرة المسلة نشأت من مفهوم حجر ال "بن بن" , حيث يطلق على القمة الهرمية للمسلة اسم "بن بنت" .

و يرى آخرون أن حجر ال "بن بن" يرمز للتل الأزلى , أى الأرض التى تدور من حولها الشمس .

أما الباحثون الذين قالوا بأن حجر ال "بن بن" هو حجر نيزكى فقد افترضوا أن يكون هذا الحجر رمزا لنجم هوى .

و نلاحظ أن كل التفسيرات السابقة تجاهلت علاقة حجر ال "بن بن" بالعضو الذكرى لآتوم , و هو ما لاحظه عالم المصريات دكتور هنرى فرانكفورت , و دون هذه الملاحظة فى عام 1948

ميلادية قائلا :-

*** أطلق قدماء المصريين على الهرم الصغير الذى فوق قمة المسلة اسم "بن بنت" . و قد ظهر حجر ال "بن بن" للوجود فى الأصل على هيئة نقطة من السائل المنوى لآتوم أو الثور , ثم بعد ذلك تحولت هذه النقطة أو بذرة الخلق من الحالة السائلة الى الحالة الصلبة أى تحجرت . و لذلك فمن المحتمل أن المسلة فى مصر القديمة لم تكن مجرد عامود يوضع فوقه حجر ال "بن بن" و انما هى رمز للعضو الذكرى لآتوم و الذى خرج منه حجر ال "بن بن" فى الأصل على هيئة نقطة سائل منوى يحوى بذور الخلق ***

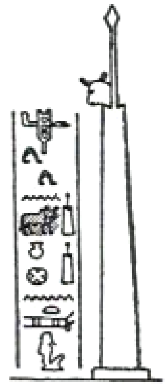
يستمر هنرى فرانكفورت فى التأكيد على الصلة الوثيقة بين عامود هليوبوليس أو المسلة و بين ثور السماء . و هناك العديد من الأمثلة فى نصوص الأهرام تؤكد على هذه الصلة .

على سبيل المثال , يصف النص رقم 254 الملك بأنه (عامود النجوم . عامود "كنزت" .. ثور السماء) , و بأنه (العامود الذى رسمت عيناه .. ثور السماء) .

و فى النص رقم 436 من متون الأهرام يوصف المعداوى الذى ينقل الأرواح فى العالم السفلى بأنه (الثور العظيم .. عامود اقليم الحية) . و نلاحظ أن كلمة عامود فى النص السابق كتبت باللغة المصرية القديمة بمخصص على شكل مسلة .

و فى النص رقم 515 من متون الأهرام جاء ذكر ما يعرف ب (مسلتى "رع") و قد دون اسمهما باستخدام رمز على شكل رأس ثور .

أشار هنرى فرانكفورت أيضا الى أن الثور كان مقدسا فى مدينة هليوبوليس فى هيئة ثور "مر ور" (Mnevis) , و أن العامود الذى أخذت منه مدينة هليوبوليس اسمها المصرى و هو "ايونو" ظهر فى بعض المشاهد و هو يحمل رأس ثور , و منها على سبيل المثال المشاهد التى سجلها الفنان المصرى القديم فى قاعة احتفالات الملك أوزوركون الثانى .



(عامود هليوبوليس , تعلوه رأس ثور)

كل الأمثلة السابقة تؤيد وجود علاقة وثيقة بين العامود و بين رمزية العضو الذكرى (رمز الاخصاب الكونى) , و خصوصا أن الثور هو من يضرب به المثل فى الفحولة .

ظل علم المصريات لفترة طويلة مترددا فى قبول هذه الفكرة و الاعتراف بها .

و على الرغم من أن بعض الباحثين اعترف بأن حجر ال "بن بن" هو نطفة آتوم التى تجمدت أو تحجرت (أى تجسدت) , الا انهم دائما ما يشيرون الى أن ذلك مجرد احتمال , بعكس هنرى فرانكفورت الذى كان يتحدث بصيغة التأكيد .

أشار الباحثون اشارات نادرة جدا الى العلاقة بين العامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" و بين رمزية العضو الذكرى , و كانوا دائما ما يضعون هذه العلاقة فى سياق نظرية الخلق من الشمس , و ذلك على الرغم من أن هذه العلاقة تنعكس فى متون الأهرام .

تصر الغالبية العظمى من علماء المصريات على أن العامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" الذى تطور بعد ذلك الى المسلة هو رمز من رموز الشمس , على اعتبار أن الديانة المصرية القديمة ديانة شمسية و أن خبرى و رع و آتوم هم صور مختلفة لاله الشمس .

يعتبر ذلك استنتاجا مريحا , لأنه لا يكلف الباحث عناء بذل مجهود فى محاولة فهم قصة الخلق , و لكنه للأسف استنتاج سطحى .

و اذا أردنا أن نعثر على تفسير لذلك , علينا أن نتخيل مدى الارتباك و الحرج الذى سينتاب علماء

المصريات اذا اضطروا للاعتراف بالمغزى العميق الذى يحمله العضو الذكرى فى مصر القديمة لدرجة جعلته من أهم معالم الحضارة المصرية ألا و هى الأهرامات , لأن الأهرامات هى أحد صور حجر ال "بن بن" .

ان الكتابة بشكل صريح عن رمزية العضو الذكرى قد يكون شيئا صادما لأعين القارئ فى العصر الحديث . و لكن فى الحقيقة , ان الرموز المصرية القديمة المستمدة من الحياة اليومية لا يجب أن تؤخذ بشكل حرفى , لأنها رموز علوم كونية .

و حتى هنرى فرانكفورت و هو أكثر علماء المصريات جرأة فى مناقشة رمزية العضوالذكرى , اضطر الى أن يؤخر طرح رأيه فى الموضوع و دونه على هيئة ملحوظة صغيرة فى الهامش .

و اذا بحثنا فى الأصل الذى اشتق منه اسم حجر ال "بن بن" سنعثر على الدليل الذى يؤكد لنا أن حجر ال "بن بن" هو نطفة آتوم أو سائله المنوى .

استخدم قدماء المصريين كلمة "بنن" لوصف السائل المنوى فى نقوش معبد خونسو بالكرنك و التى تصف كيف سالت النطفة أو بذور الخلق من الاله فى بدء الخليقة .

يقول النص :-

** آمون – رع هو الاله الذى سكب نطفته "بنن" (bnn) فى موضع بالمحيط الأزلى .. حين سالت "بن بن" (bnbn) نطفته "بنت" (bnt) فى الزمن الأول . سالت نطفة آمون تحته , و كان اسمها البذرة/النطفة "بننت" (bnnt) **

يرسم لنا النص السابق صورة أقرب لصورة الثور . و نلاحظ أن كل من "آمون" و "رع" كان يصور على هيئة ثور .

يلقب الثور فى مصر القديمة ب "الذى تقف خصيته من تحته" و هو ما يشير الى تدفق السائل المنوى تحت الثور الذى يرمز للاله .

و برغم أن النص السابق الذى دون على جدران معبد خونسو يعود لعصر متأخر , الا انه يقدم لنا تفسيرا للأصل اللغوى الذى اشتق منه اسم حجر ال "بن بن" .

و بعبارة أخرى يمكننا أن نترجم اسم حجرال "بن بن" الى الحجر الذى سال أو تدفق أو تم قذفه كما

يقذف السائل المنوى . و هو ما يؤيد فرضيتى بأن الحديد النيزكى الذى لعب دورا أساسيا فى نشأة الأجرام السماوية قد سال أو تم قذفه من المحيط الأزلى "نون" .

و لكن ما الذى حدث لنطفة ال "بن بن" بعد أن سالت أو قذفت من العضو الذكرى لآمون - رع .

يقول النص السابق أن هذه النطفة استخدمت فى خلق موضع أو مكان فى المحيط الأزلى , و هو بالتأكيد اشارة للتل الأزلى (الأرض الأزلية) الذى تشكل داخل المحيط الأزلى ثم ارتفع منه .

و هو ما يدل أيضا على أن التل الأزلى هو العرش الحديدى الذى ناقشناه فى الفصل العاشر .

و لكن نظرية الخلق من الأرض لا تقف عند هذا الحد , و انما هى ترى أن تدفق أو قذف الحديد استمر الى أن تشكلت السماء .

و اسم المعبد الذى عثر فيه على النص السابق هو معبد "بنت" (bnnt) , أى معبد البذرة أو النطفة كان المعبد فى نظر قدماء المصريين صورة مصغرة من الكون , فأرضه ترمز للتل الأزلى و سقفه يرمز للسماء .

و لذلك يمكننا أن نقول أن النطفة "بننت" (bnnt) سالت أو قذفت "بن بن" من "نون" (المحيط الأزلى) و ظهرت على شكل تل أزلى ثم صعدت للسماء .

كان قدماء المصريين يرفعون حجر ال "بن بن" فوق عامود مرتفع فى محاكاة لفعل الاخصاب الأزلى للسماء و الذى قام به ثور السماء .

و هو ما يؤيد فرضية الخلق من الأرض , التى تقول بأن الحديد (و الذى لعب دورا رئيسيا فى نشأة الكون) قد قذف من الأرض و من "نون" فى مرحلة مبكرة من نشاة الكون .

ان العامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" بمعبد ال "بنو" بهليوبوليس يخلد لحظة هامة فى تاريخ نشأة الكون بأن يعبر عن رموزها منحوته فى الحجر .

فصورة حجر ال "بن بن" المرفوع فوق العامود تستدعى للذهن صورة ثور السماء الذى يقذف نطفته التى تحمل بذور الخلق (و هى النيازك) فى رحم أمه و هى السماء .

كما تستدعى صورة حجر ال "بن بن" فوق العامود أيضا صورة الاله الخالق (فى هيئة جب) و هو يخرج بذور الخلق من عضوه الذكرى المنتصب و يسكب نطفته فى رحم السماء "نوت" و هى

صورة ظهرت فى العديد من البرديات فى عصر الدولة الحديثه .
ترمز القمة المدببة لحجر ال "بن بن" (و كذلك قمة المسلة و قمة الهرم) للنطفة التى حملت بها السماء لكى تنجب الشمس و القمر و النجوم .
أما قاعدة العامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" فهى تشكل حاجزا فوق العالم السفلى و تمنع قوى الفوضى من أن تصعد منه لتهدد منظومة الخلق .
ان عامود هليوبوليس هو المحور الذى تدور حوله أبعاد الكون الثلاثة الرئيسية الثلاثة :
ال "دوات" (العالم السفلى) , و الأرض , و السماء .

التل العالى :-

نستنتج مما سبق أن التل العالى (qay qaa) هو أيضا رمز لقذف العناصر الأولية للخلق فى رحم السماء .
يتأكد لنا هذا المعنى حين نقرأ النص رقم 600 من متون الأهرام حيث نجد مقابلة بين التل العالى و حجر ال "بن بن" , و كأنهما مرادفات لنفس المعنى . يقول النص :-
** لقد تحولت يا "خبرى - آتوم" الى تل عالى (qay qaa) .. لقد صعدت على هيئة حجر ال "بن بن" فى قصر طائر ال "بنو" فى هليوبوليس **
كان التل العالى دائما فى نظر علماء المصريات مرادفا للتل الأزلى , و قد أطلقت عليه العديد من الأسماء مثل "خاى" و "قاى قا" و "ايات" (khay , qay qaa , iat) .
كما يطلق عليه أحيانا اسم جزيرة الخلق "ايو" (iw) , أو الأرض التى ارتفعت .
و كل الأسماء السابق ذكرها هى أسماء تتعلق بالأرض و كانت تدخل فى العديد من ألقاب المدن المصرية , حيث كانت كل مدينة فى مصر القديمة نسخة مصغرة من الكون , باستثناء الاسم الأول و هو "قاى قا" (qay qa) و الذى لا يتضح معناه على وجه اليقين , و ان كانت دلالته فى النصوص تشير الى تشكيل من التشكيلات الأرضية و ليس الأرض كلها , و لكنه يتعلق أيضا بارتفاع الأرض من هاوية "نون" .

تبدو طبيعة ال "قاى قا" (qay qaa) غامضة و محيرة , و لكننا يمكن أن ننظر اليه باعتباره مرحلة من مراحل تطور الأرض , أى المادة الخام للأرض التى ظهرت للوجود بينما الكون ما زال فى مراحل تشكله الأولى .

و التأكيد على صفة الارتفاع فى اسم التل العالى (qay qaa) هو شئ يستحق التوقف و التأمل . فهو ليس فقط تل (qay) و انما هو أيضا مرتفع (qaa) , و لذلك من المحتمل أن يكون ارتفاع التل العالى أعلى من ارتفاع التل الأزلى .

كما لاحظنا عند مناقشتنا لحجر ال "بن بن" و رفع قدماء المصريين له فوق عامود مرتفع .

ان الشكل المتوقع للأرض فى المراحل الأولى لتشكلها هو أنها كانت أقرب لشكل التل المسطح المنخفض و ليس التل العالى , و بالتالى فان كلمة "قاى قا" (qay qaa) تعنى الأرض التى رفعت الى أعلى بعد أن كانت داخل هاوية نون .

قد ينتقد البعض هذه الفرضية استنادا الى أن التل الأزلى انبثق من آتوم أو من خبرى , حيث وصف كل منهما بأنه أصبح عاليا فوق العلى .

جاء فى النص رقم 222 و 587 من متون الأهرام :-

** أيها الملك , قف فوق هذه الأرض التى انبثقت من آتوم .. قف فوق هذا اللعاب الذى سال من خبرى **

للأسف , تبدو هذه النصوص و كأنها تتعلق بسياق مختلف , و خصوصا العبارة الثانية التى تبدو مبهمة . الا انها تشير الى احتمال أن يكون التل العالى أحد المصطلحات التى تعبر عن الأرض .

و فى هذه الحالة فان مصطلح التل العالى يكون مختلفا عن مصطلح حجر ال "بن بن" الذى ورد فى النص رقم 600 من متون االأهرام , و لكنه فى نفس الوقت يكمل معناه : فخبرى- آتوم يظهر أولا على هيئة تل عالى (qay qaa) , ثم يكمل الصعود ليتحول الى حجر ال "بن بن" .

و من ناحية أخرى , نلاحظ أن متون التوابيت تحدثت عن التل العالى (qay qaa) على اعتبار أنه فى السماء , أو فى ال "آخت" و هو المكان الذى تولد فيه الكيانات الالهية من جديد .

فى النص رقم 343 من متون التوابيت نقرأ هذه العبارة الموجهة الى روح المتوفى :-

** اربط الأرض بالأرض عند حدود مدينة "تجينو" (Thinis) .. لتصعد فوق قمة التل العالى ,
و لتسمع الصوت الواهن عند البوابة الشرقية **

يتضح معنى النص السابق عند مقارنته بالنص رقم 344 من متون الأهرام و الذى توصف فيه البوابة الشرقية بأنها بوابة السماء , أما الصوت الواهن فهو صوت الفيضان السماوى .

و من المدهش أن هذا النص يصف التل العالى (qay qaa) بأنه تل الرياح .

ان تحديد المعنى الدقيق لكلمة التل العالى (qay qaa) يتطلب القيام بدراسة كل نص و كل مناسبة وردت فيها هذه الكلمة و غيرها من الكلمات المستخدمة للدلالة على تلال الأرض , و هى مهمة خارج النطاق الذى يبحث فيه هذا الكتاب .

و لكن قد تلقى أساطير جب بعض الضوء على الدلالات التى يعبر عنها التل العالى و علاقته بحجر ال "بن بن" .

قلت فى السابق أن بعض نصوص الأهرام ذكرت أن جب كان فى السماء فى مرحلة من مراحل نشأة الكون . و ربما كان ذلك قبل انفصال السماء عن الأرض .

و قلت أيضا أن متون التوابيت ذكرت أن "جب" صعد للسماء ليكمل العلاقة الحميمة بينه و بين نوت (ربة السماء) .

فما الذى أتى باله الأرض الى السماء ؟

يمكننا أن نعثر على أحد التفسيرات فى ضوء ازدواجية جسد و روح الاله الخالق , فنقول أن روح جب صعدت للسماء مثلها مثل أرواح كل النترو .

و لكن النص رقم 486 من نصوص الأهرام يقول أن جسد جب هو الذى صعد للسماء :-

** التحيات لك (يا نوت) , أيتها المياه التى رفعها "شو" , و التى يطهر فيها "جب" أعضاء جسده **

و هنا علينا أن ننتبه الى أن المياه المقصودة فى هذا النص ليست هى مياه الأرض التى نعرفها كما اقترح بعض الباحثين . لأن "شو" (رب الهواء) هو الذى رفع المياه الأزلية الى أعلى و بذلك خلق السماء .

ان المعنى المقصود هو أن بعض أجزاء جسد جب (أى بعض أجزاء من الأرض و ليس كل جسد الأرض) قد صعدت للسماء لتتطهر فى مياه الفيضان السماوى , و هو نفس المعنى الذى عبرت عنه نصوص أخرى حين وصفت عظام الملك الحديدية و هى تتحول الى أرواح و تصعد للسماء لتتحول الى نجوم لا تأفل .

قد يكون هذا التفسير مثيرا للجدل فى نظر بعض القراء , الا أن هناك دليل آخر يدعمه و هو النص رقم 576 من متون الأهرام الذى يخاطب نوت قائلا :-

** يا نوت , ارفعى أذرع الملك الى السماء , لكى يحمل بهما الأرض التى وهبها اياك **

و لما كانت نوت هى رمز المحيط السماوى الذى تم اقتطاعه من مياه الأزل , فان المعنى المقصود فى النص السابق هو أن الملك قد اقتطع جزءا من الأرض الأزلية ثم رفعها الى السماء .

من الصعب أن نتخيل أى تفسير آخر لهذا النص .

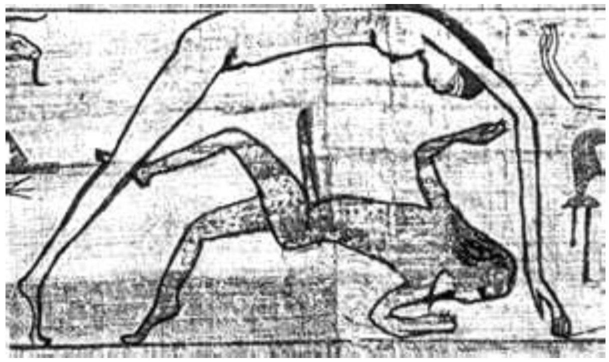
علاوة على ما سبق , هناك أيضا أسطورة تقول أن جب تزاوج مع أمه تفنوت (أو اغتصبها) فى قصر منف فى زمن الصراع العظيم , و قد وقع هذا الحدث بعد صعود "شو" للسماء بفترة قصيرة .

هذ العلاقة الجنسية التى يشوبها العنف تذكرنا بما جاء فى أسطورة "كا - موت - اف" و علاقته الجنسية العنيفة بأمه حيث نسب هذا العنف الجنسى ل "مين" (رب الاخصاب) .

و فى احدى الأساطير نسب أيضا لحورس الذى مارس هذا العنف الجنسى مع أمه ايزيس , كما نسب فى بعض الحيان ل "جب" الذى وصفته متون الأهرام بأنه ثور نوت .

اذن يبدو أن جب صعد الى السماء و تزاوج مع كل من تفنوت و نوت (و كلتاهما من رموز الأم السماوية) حيث سكب أو قذف بذورا من عناصر مادية فى رحم الأم السماوية , و هذه البذور تتخذ شكل حجر ال "بن بن" الذى كان محفوظا بمعبد هليوبوليس أى تتخذ شكل النيازك .

و هنا ننتقل الى الجزء الثالث من أسطورة التاسوع التى يقوم فيها آتوم بدور الاله الخالق , و هو الجزء الذى يقوم فيه آتوم بخلق شو و تفنوت .



(جب هلى هيئة رجل بعضو ذكرى منتصب , و فوقه نوت)

<u>انبثاق "شو" و "تفنوت" من ذات آتوم :-</u>

بعد أن صعد آتوم من مياه الأزل على هيئة تل عالى "قاى قا" (qay qaa) أو على هيئة حجر ال "بن بن" (bnbn) فى هليوبوليس , أخرج "شو" (رب الهواء) من أنفه بأن عطس , و أخرج "تفنوت" (ربة الرطوبة) من فمه بأن بصق .

و هناك رواية أخرى تقول بأن آتوم أخرج "شو" و "تفنوت" من ذاته بعد أن استخدم عضوه الذكرى فى الاستمناء فى مدينة العامود "أون" (هليوبوليس) الى أن بلغ النشوة , ثم قذف "شو" و "تفنوت" من عضوه الذكرى .

و هناك أدلة تشير الى أن ذلك القذف الأزلى كان يحتوى على عناصر من الأرض الأزلية .

علينا أولا أن نبرز الاختلاف بين الروايتين بشأن الطريقة التى أخرج بها آتوم أبناءه "شو" و "تفنوت" من ذاته .

تقول احدى الروايات أن آتوم أخرج "شو" و "تفنوت" من فمه و أنفه عن طريق العطس و البصق , بينما تقول رواية أخرى أنه أخرجهما من ذاته عن طريق القذف من عضوه الذكرى بعد أن قام بالاستمناء (و دون الحاجة للتزاوج مع أم كونية) .

كما يقال أيضا أن شو خرج للوجود من أنف آتوم مع أنفاسه .

تبدو هذه الروايات متناقضة أمام عقل انسان العصر الحديث .

و لكنها بالنسبة لقدماء المصريين هى تعبيرات مختلفة عن أحداث وقعت فى زمن ميثولوجى هو

الزمن الأول , أو الزمن الذى وقعت فيه أحداث نشأة الكون واعتقد المصرى القديم أن من الممكن مزج هذه التعبيرات لأنها لا تتناقض و انما هى تتكامل معا لرسم صورة واحدة .

على سبيل المثال , جاء فى بعض روايات أسطورة التاسوع أن آتوم قذف السائل المنوى من فمه بعد أن قام بالاستمناء أو أنه أخرج "شو" من فمه بعطسه بعد أن قام بالاستمناء بيده .

تساعدنا نظرية ديانة النشأة على اكتشاف السياق الواحد الذى يجمع بين كل هذه الروايات التى تبدو متناقضة .

كما أوضحنا فى الفصل الثامن , يرمز فم الاله الخالق لفم الكون الأزلى الذى فتح عندما بدأت أحداث اعادة خلق الكون من جديد . و قد يستبدل الفم أحيانا برحم الأم الكونية الذى يفتح لكى يولد منه الكون الجديد .

و رمز الرحم الكونى الذى يفتح لكى يولد منه الخلق هو الذى استدعى الرمز المقابل له , ألا و هو رمز العضو الذكرى .

و كما رأينا سابقا فى هذا الفصل , بدأ الخلق ببذرة فى رحم الأم الكونية "نوت" نضجت و كبرت الى أن انفتح الرحم الكونى عند المخاض .

يمتد الرحم الكونى الى حدود الكون الوليد و لتتدفق فيه بذور الخلق .

عبر المصرى القديم عن فكرة اختراق الرحم الكونى و رفع بذور الخلق فى السماء بصورة العضو الذكرى لثور سماوى هائل يخترق رحم أمه السماوية ليسكب فيه بذور الخلق , و يطلق على هذا الثور الذى يخصب رحم أمه اسم "كا - موت - اف" , أى ثور أمه .

و يعتبر العضو الذكرى لآتوم أحد التنويعات على تلك الصورة المجازية , و خصوصا أن كهنة آتوم حرصوا على ابرازه فى صور الاله الذى يخلق وحده . فآتوم ليس له زوجه , و بالقطع ليس له أم . و لذلك فقد قام بالاستنماء .

و نتيجة تعدد الرموز و تناقضها فى بعض الأحيان أصبح من الصعب تفسير أسطورة خلق آتوم باستخدام عضوه الذكرى تفسيرا منعزلا عن باقى أساطير الخلق المصرية .

و أول خطوة فى محاولة فهم الأسطورة هو أن نعرف أن السائل المنوى لآتوم و الذى يحمل بداخله

بذور الخلق قد خرج مرة من فمه عن طريق العطس و البصق و مرة أخرى من عضوه الذكرى عن طريق القذف .

أى أن الفم و العضو الذكرى هما وجهان مختلفان لنفس الفكرة أو لنفس أسطورة الخلق التى تعبر عنها الرموز تعبيرا مجازيا . و هكذا جاء "شو" و "تفنوت" للوجود .

و هنا يبرز سؤال هام : من هو "شو" و من هى "تفنوت" ؟

يقول علماء المصريات أن "شو" هو رمز الهواء و أن "تفنوت" هى رمز الرطوبة , و هما متناقضان لأن طبيعة الهواء جافة و لذلك فهو ضد الرطوبة .

و هكذا كان انبثاق "شو" يعنى خلق الغلاف الجوى , و انبثاق "تفنوت" ربما يعنى خلق المحيط السماوى يبدو هذا التفسير لأول وهلة مقنعا و متماشيا مع نظرية ديانة النشأة , الا أنه غير كافى .

اذا فرضنا أن آتوم يمثل جسد الكون القديم , فمن البديهى أنه قذف من داخله الهواء الأزلى و المياه الأزلية ليخلق منهما الكون الجديد .

ثم أعقب ذلك قذف مواد أخرى هى التل العالى (qay qaa) و حجر ال "بن بن" , حيث رفعت هذ المواد بعد ذلك للسماء بواسطة العاصفة الكونية و مياه الفيضان الأزلى .

و لكن رمزية "شو" لا تقتصر على الهواء .

جاء فى النص رقم 80 من متون التوابيت على لسان "شو" :-

** ان ردائى هو أنفاس (هواء) الحياة التى خرجت من فم آتوم , و التى تزيح الرياح من طريقى .. أنا الذى جعلت النور فى السماء بعد أن كانت مظلمة .. جلدى هو ضغط الرياح التى خرجت بعدى من فم آتوم .. و سوائل جسدى هى العاصفة الغائمة التى فى السماء .. و عرقى هو العاصفة الثلجية (أو النيزكية) و الضبابية **

لم يذكر النص السابق دور "تفنوت" , و قام بالتركيز على هوية "شو" و دوره فى منظومة الخلق باعتباره أحد صور الاله الخالق و أحد تجليات آتوم .

يرمز شو للهواء و الرياح , كما يرمز أيضا لعاصفة الخلق أو العاصفة الأزلية التى لعبت دورا رئيسيا فى مرحلة مبكرة من نشأة الكون . و هى حدث كونى أشبه بفيضان يحتوى على المياه

الأزلية و على عناصر أخرى من عناصر الخلق .

يوصف ظهور "شو" للوجود فى كثير من الأحيان بأنه كان مصحوبا بكارثه كونية .

يقول "شو" فى النص رقم 77 من متون التوابيت :-

** أنا روح "شو" , و هى أول من أتى للوجود من الانفجار النارى الذى أشعله آتوم بيده , حين بلغ النشوة و سقط سائله المنوى من فمه , ثم بصقنى أنا و "تفنوت" فجئنا للوجود **

يصف النص السابق حالة النشوة التى بلغها آتوم عندما قام بالاستمناء بأنها كانت مصحوبة بكارثه كونية أو انفجار نارى , ظهر بعده "شو" و "تفنوت" للوجود .

يفسر علماء المصريات تلك الكارثه الكونية بأنها صاعقة أو برق و رعد , و قد يكون هذا التفسير صحيحا . الا أن الكاتب "وينرايت" (G.A. Wainwright) يقول فى كتابه "ديانة السماء فى مصر القديمة" (The Sky Religion in Egypt) أن الصاعقة فى مصر القديمة كانت مرادفا للنيازك , و أن الرمز الهيروغليفى ل "مين" (كا- موت – اف) و هو القوس المزودج هو رمز للصاعقة و أيضا للنيازك .

قد يكون الانفجار النارى العظيم الذى خرج من العضو الذكرى لآتوم رمزا للحديد السائل الذى قذف من جوف الأرض الأزلية , و أن هذا الحديد النيزكى كان جزءا من العاصفة الكونية التى ترتبط بظهور "شو" .

يظهر الانفجار النارى أيضا فى طقوس فتح الفم . على سبيل المثال , يقول النص رقم 319 من متون الأهرام :-

** الملك هو الثور ذو العين التى يشع من وسطها النور .. لقد أصبح فم الملك سليما معافى بفضل الانفجار النارى **

قد يكون النص السابق اشارة للقادوم الحديدى (mskhetiu m bia) الذى يفتح فم الملك , و أيضا لفم أوزيريس و أفواه الكيانات الالهية .

و من الجدير بالذكر هنا أن فى العصور التالية لعصر متون الأهرام أصبح "شو" هو الذى يقوم بطقس فتح الفم باستخدام حربة مصنوعة من الحديد .

فهل يمكن أن تشمل رمزية "شو" الحديد الذى قذف من جوف الأرض الأزلية بالاضافة الى الهواء الأزلى و المياه الأزلية ؟

يقدم لنا النص رقم 222 من متون الأهرام المزيد من المعلومات عن هوية "شو" , حين يتحدث عن قيام الملك باعادة تكرار ما قام به آتوم فى الزمن الأول .

و فى هذا النص , يأتى الملك للوجود من مياه الأزل مثل آتوم , ثم يصعد للسماء فوق عظام "شو" .

يقول النص :-

** فلتأت للوجود (أيها الملك) مثل أبيك آتوم .. و لتصعد لأعلى مع أبيك آتوم .. اصعد و شق طريقك للسماء فوق عظام "شو" **

و هذا النص هو النص الوحيد الذى جاء فيه ذكر عظام "شو" .

فما الذى ترمز له عظام "شو" ؟

هلم يمكن أن تكون رمزا لعظام الملك التى قالت عنها النصوص مرارا أنها من الحديد ؟

باختصار , تختلف طبيعة "شو" من أسطورة لأخرى . فنصوص الأهرام تصفه بأنه زوج تفنوت , الهواء فى مقابل المياه أو الرطوبة , أو الشمس فى مقابل القمر .

أما فى متون التوابيت فيظهر و كأنه قرين أو نسخة من آتوم , الاله الذى يخلق وحده و الذى يحتوى بداخله كل عناصر الخلق – الهواء و الماء و النار و الأرض , و عناصر أخرى كالحديد .

تتوافق طريقة خروج "شو" و "تفنوت" للوجود من داخل آتوم عن طريق القذف مع مراحل تطوره بعد ذلك الى تل عالى (qay qaa) و الى حجر ال "بن بن" .

فى قلب أسطورة آتوم , تقف فكرة الاله الذى يأتى للوجود من تلقاء ذاته و الذى يرتفع و يوسع الكون بأن يتمدد من خلال الكون .

يحدث هذا التمدد فى المراحل المبكرة من نشأة الكون من خلال حدث كونى كارثى يوصف بأنه انفجار نارى و هو يتزامن مع حالة النشوة التى تنتاب آتوم بعد أن يقوم بالاستتمناء بعضوه الذكرى , و ينتج عن ذلك الحدث الكارثى تزلزل الأرض و فتح جوفها .

أما قذف آتوم لبذوره أو لسائله المنوى فهو يرمز لسكب عناصر الخلق فى أنحاء الكون .

كما تصور الأسطورة أيضا قذف البذور بطريقة أخرى من الفم عن طريق العطس و البصق , أو بقفز القلب أو اتساع القلب , و هى صورة تذكرنا ب "جب" و هو يطارح نوت الغرام .

بقى الآن أن نبحث فى كيف ولد الكون الجديد الذى يسوده النظام و النور من رحم هذه الفوضى و العتمة الكونية , و كيف مهد ذلك الطريق لخلق الانسان .

ملخص الفصل الحادى عشر :-

* كان الثور فى مصر القديمة أحد رموز العالم الأرضى أو السفلى , و لكنه فى نفس الوقت أيضا أحد الرموز التى ارتبطت ارتباطا وثيقا بالنجوم . و السبب فى ذلك أن الثور يمثل الكون الأزلى و تطوره الى أن أعيد خلقه فى صورة كون جديد .

* كانت التضحية بثور بمثابة اعادة تكرار لحدث كونى , ألا و هو موت و بعث الكون الأزلى .

أما التهام الملك للحم أضحية الثور الكونى (كما جاء فى متون الأهرام) فهو يعنى أن الملك قد التهم طاقة السحر الكونى التى كانت لدى ال "نترو" الأزليين , و هكذا يبعث الملك من جديد كما بعث الكون من جديد .

* ان القرون الحادة و القوية للثور السماوى ترمز لقدرته على فتح جوف الكون الأزلى (القديم) المتشرنق .

* يصبح الاله الخالق "كا - موت - اف" (أى ثور أمه) حين يخترق الرحم السماوى ليسكب فيه بذور خلق الأجرام السماوية . و كلمة "كا - موت - اف" ليست فقط صفة من صفات الاله الخالق و انما اسم لشئ مادى ملموس , هو النيازك .

* أصبح "جب" هو ثور نوت حين قذف عناصر الأرض فى رحم السماء .

* يرمز حجر ال "بن بن" بهليوبوليس لقذف الحديد من جوف الأرض الأزلية للسماء .

يرمز العامود الذى يوضع فوقه حجر ال "بن بن" فى فناء معبد ال "بنو" بهليوبوليس للعضو الذكرى لآتوم , أما قمة حجر ال "بن بن" (و هو على شكل مخروط أو هرم) فترمز لنقطة السائل المنوى التى قذفها آتوم .

* وصفت النصوص الدينية المصرية استمناء آتوم و قذفه ل "شو" بأنه كان مصحوبا بحدث كونى كارثى أطلق عليه "الانفجار النارى" .

* كان الملك فى مصر القديمة – باعتباره صورة من الاله الخالق - يوصف بعد بعثه بأنه ثور سماوى . فهو يصعد للسماء و كأنه نطفة ثور قذفت نحو السماء ليخصب رحم أمه السماوية "نوت"

الفصل الثانى عشر

العين النارية

جاء فى متون التوابيت (نص رقم 316) :-

** أنا عين حورس المشتعلة .. التى قذفت الرعب فى القلوب لحظة خروجها للوجود .. أنا سيدة الذبح , أنا الرهيبة **

فى الفصول السابقة , عرفنا أن العينين هما الشمس و القمر , و أن الاثنين انبثقا من عين واحدة يطلق عليها العين الوحيدة أو الالهة العظيمة , و هى التى تقوم أحيانا بدور الرفيقة للاله العظيم .

و لكن كيف خلق الشمس و القمر ؟

هل وصفت أساطير الخلق المصرية ظهور الشمس و القمر فى السماء ككيان مادى .

لكى نصل لاجابة ذلك السؤال علينا أن نعود للجذور و نحاول فهم دور العين فى قصة الخلق .

عند البحث فى أساطير الخلق المصرية ستصادفنا معضلة "العين" , و التى تقوم بدور غامض فى العديد من الأساطير . و نلاحظ أن العين ظهرت تقريبا فى كل الكتب الدينية المصرية مما يشكل صعوبة أمام محاولة عزلها و تقديمها كموضوع مستقل يخصص له فصل واحد من فصول هذا الكتاب . لذلك كان من الضرورى أولا توضيح بعض المفاهيم فيما يخص العين الواحدة و العينين لكى نستطيع أن نكمل البحث .

و سنبدأ أولا بتلخيص المعلومات التى قدمتها من قبل فى هذا الكتاب و التى تناولت ظهور العين .

و سأسرد هذه المعلومات حسب الترتيب الزمنى بدءا من الأساطير الأقدم الى الأحدث .

تبدأ القصة بتلك الرهبة التى ترتبط دائما بعين حورس .

قد يعود السبب فى ذلك الى النار أو اللهيب الذى وضعه حورس فى عينه – كما تقول الأسطورة –

و الذى جعلها تتحول الى عاصفة تحرق الأشرار .

توصف العين فى النصوص الدينية المصرية بأنها الانفجار النارى وسط الأزليين .

جاء فى احدى الأساطير أن ست فقأ العين و اختطفها , و لكن حورس استعادها مرة أخرى .

أصيبت العين بالجراح و كان من الضرورى علاجها و اعادتها لحالتها السابقة و هى المهمة التى قام بها تحوت .

و جاء فى احدى الأساطير أن آتوم خلق العين من داخل "نون" (المياه الأزلية) , مع أن من المفترض أنه كان وحده فى مياه الأزل .

و تقول أساطير أخرى أن هناك "نترو" (كيانات الهية) انبثقت من قاع تلك العين التى أخرجها آتوم من داخل المياه الأزلية و بعد انبثاقها توهجت بالنور .

كما تقول أساطير أخرى أن العين انبثقت من رأس "جب" (رب الأرض) و انفصلت عنه و صعدت للسماء حيث اتحد آتوم باللهيب الصادر من عينه .

و من أواخر الأساطير التى تحدثت عن العين الأسطورة التى تقول أن "شو" هو الذى هدأ من روع العين الغاضبة الهائجة و أطفأ نيران غضبها .

جاء فى احدى البرديات أن العين ذرفت الدمع فوق أجزاء جسد الاله الخالق و هكذا خلق البشر .

رأينا أيضا فى الفصول السابقة أن العين كانت تلعب دورا هاما فى طقوس بعث روح الملك المتوفى , حيث ترمز العين للقرابين التى تقدم للملك - أوزيريس , و هذه القرابين هى عينات من كل ما تخرجه الأرض .

و بعد تقديم القرابين لروح الملك المتوفى تقوم العين بتطهيره و تمنحه الامتلاء و الكمال و القوة و الحماية و تفتح فمه أو جوفه لتسكب فيه الروح من جديد .

يقال أن طقس تطييب العين بالزيوت العطرية يرفع عظام الملك للسماء و يجمع أشلاءه و يعيد بناء أنسجة لحم جسده .

و بعد استرداد العين , يصعد للملك للسماء و يقدم العين لآتوم , ليعيد بذلك تكرار حدث كونى أزلى حين قام جب و شو و حورس برفع العين و تقديمها لآتوم .

<u>نظرة عامة على مفهوم العين :-</u>

استطاعت العين الواحدة أن تحول نفسها الى العينين (أى الى الشمس و القمر) و ذلك عن طريق منظومة من رموز التحول و الصيرورة , و هو ما دعا الباحثين الى الاعتقاد بأن العين الواحدة هى الشمس أو القمر , مما أدى الى تفسير الأساطير و الطقوس الدينية المصرية بشكل خاطئ .

على سبيل المثال , عين رع ينظر اليها باعتبارها هى عين الشمس .

و يبدى الباحثون دهشتهم و حيرتهم من أن هذه العين تتصرف أحيانا بشكل مستقل عن صاحبها (و هو رع) فتنفصل عنه و ترتحل بعيدا حيث تهلك أعداء النظام الكونى من قوى الفوضى و الظلام كانت عين رع توضع فوق تيجان ملوك مصر و فى هذه الحالة تتخذ هيئة "وادجت" , الكوبرا المنتصبة التى تنفث النار من فمها و التى يعتقد بعض الباحثين بأنها تمثل الشمس .

و كذلك تفسر عين حورس تفسيرا خاطئا بأنها تمثل القمر .

و بناء على هذ التفسير يقول الباحثون أن القمر قد فقد أثناء الصراع بين حورس و ست و تم استعادته مرة أخرى . و يفسرون تقديم حورس لعينه كقربان لأبيه أوزيريس بأن حورس قدم القمر قربانا لأبيه , و أن القمر هو الذى أعاده للحياة مرة أخرى .

و كذلك عين آتوم يقول الباحثون أنها تمثل القمر , مثلها مثل عين رع .

و فى الأسطورة التى تحكى أن آتوم أرسل عينه للبحث عن "شو" و "تفنوت" , يقوم الباحثون بتأويل عين آتوم باعتبارها الشمس , ضاربين عرض الحائط بلقب "العين الوحيدة" ل آتوم .

و فى الحقيقة أن كل التفسيرات السابقة ليست صائبة , لأن "العين الواحدة" أتت للوجود قبل أن يكون هناك أى مخلوق , و لذلك فهى ليست الشمس و لا القمر .

يؤكد لنا النص رقم 311 من متون التوابيت ذلك , حيث نقرأ فيه هذه العبارات على لسان حتحور و هى تصف كيف أتت للوجود قائلة :-

** أنا عين حورس .. أنا التى أرسلنى الاله الواحد .. أنا التى لن ترى العين مثلى .. أتيت للوجود قبل أن تخلق السماء , و قبل أن تتشكل الأرض **

ثم يكمل النص الحديث عن حتحور و يصف رحلتها للبحث عن "شو" و "تفنوت" و هما أول مظاهر الخلق التى انبثقت من آتوم , و هكذا لا يترك النص أى شك فى أن العين الوحيدة – التى يطلق عليها فى هذا السياق اسم عين حورس – كانت موجودة قبل خلق السماء , و بالتالى قبل أن يكون هناك شمس أو قمر .

كان "راندل كلارك" (R.T. Rundle Clark) من علماء المصريات القليلين الذين انتبهوا للفرق بين العين (الوحيدة) و العينين (الشمس و القمر) فى الفكر الدينى المصرى .

فى عام 1959 ميلادية أوضح راندل كلارك فى كتابه (الرمز و الأسطورة فى مصر القديمة) أن الاله الخالق كانت له فى البداية عين وحيدة , و أن هذه العين الوحيدة ترمز للالهة العظيمة (الأم الكونية) . و قال أيضا أن هذه العين الوحيدة أهاجت عاصفة كونية هائلة فى المراحل المبكرة من نشأة الكون , و أن هذه العين هى المصدر الذى خلق منه ال "نترو" (الكيانات الالهية) و البشر .

و لكن راندل كلارك لم ينجح فى كشف مغزى العين الوحيدة و تحديد هويتها , على الرغم من أنه كان على الطريق الصحيح .

و من المؤسف أن البحث الذى بدأه راندل كلارك لم يجد صدى لدى من جاءوا بعده من الباحثين و لم يحاول أحد أن يكمل ما بدأه راندل كلارك .

يقول راندل كلارك أن العين (الوحيدة) قد تكون هى مفتاح فهم الديانة المصرية القديمة , و هى بالتأكيد مفتاح فهم رمزية العينين (الشمس و القمر) و نشأتهما , لأن العينين تعكسان أسطورة العين الوحيدة التى تعتبر هى مصدر نشأة العينين .

توصف الشمس فى الكتب الدينية المصرية بأنها العين اليمنى , حيث يستدعى ظهورها لحظة هامة فى تاريخ الكون لعبت فيها العين الوحيدة دورا هاما فى المخاض الكونى .

لذلك ارتبطت الشمس بالانفجار النارى الأزلى الذى أهلك أعداء الاله و أعداء النظام الكونى و هم قوى الفوضى الكونية .

كل ذلك بالطبع رموز لأحداث كونية أزلية و هو لا يعنى اطلاقا أن عين الشمس التى نراها الآن فى السماء هى التى هاجمت قوى الفوضى الكونية فى الزمن الأول .

ان العين الوحيدة (و ليس الشمس) هى التى نفثت النيران فى الآثمين (قوى الفوضى الكونية) فى الزمن الأول .

أما القمر فيطلق عليه فى الكتب الدينية المصرية لقب العين اليسرى .

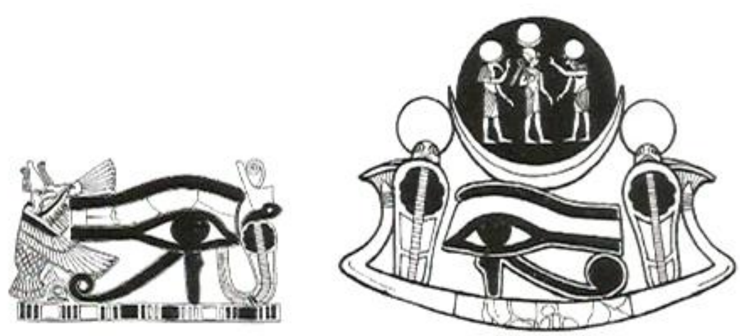
تأمل قدماء المصريين القمر , فوجدوه يظهر و يختفى , فاستدعى ذلك فى أذهانهم ظهور و اختفاء العين الوحيدة فى بدء الخليقة .

ربما لذلك السبب ربط علماء المصريات بين القمر و بين صراع حورس و ست و أيضا موت أوزيريس و بعثه من جديد . و لكن ذلك لا يعنى حرفيا أن القمر الذى نراه الآن فى السماء هو العين التى سرقها أو فقأها ست فى أحداث الأسطورة . فالعين التى سرقت و فقئت هى العين الوحيدة , و هى محور الصراع بين حورس و ست , و ليس القمر الذى نعرفه الآن .

و العين الوحيدة هى التى تلعب دورا رئيسيا فى بعث أوزيريس بعد الموت , و ليس القمر .

و لكى نكون منصفين فى حق الباحثين , علينا أن نعترف أن النصوص الدينية المصرية القديمة هى نصوص محيرة و غامضة .

على سبيل المثال , كانت النصوص تطلق على الشمس فى بعض الأحيان لقب "عين رع" و كأن الشمس هى نفسها العين الوحيدة (الالهة العظيمة) . و كذلك كانت تطلق على القمر أحيانا لقب "عين حورس" و كأن القمر هو نفسه العين الوحيدة .



(الى اليمين : عين حورس , و الى اليسار : عين رع)

و هنا علينا أن لا نغفل حقيقة أن رع و حورس هما تجليات للاله الخالق أو اله السماء .

و حسب الفلسفة الدينية المصرية كان على الاله الخالق أن يمتلك العينين (الشمس و القمر) لكى يحكم العالم . لذلك كانت الشمس تلقب ب "عين رع" و كان القمر يلقب ب "عين حورس".

و قد أكد قدماء المصريين فكرة امتلاك "رع" لعين الشمس باطلاق اسم رع على الشمس نفسها أثناء دورانها فى فلكها فى السماء .

أما علاقة حورس بالقمر فلم تكن بنفس قوة العلاقة بين رع و الشمس , بل ان حورس ارتبط بالشمس بشكل أقوى من القمر و خصوصا فى لحظة الشروق .

هذا الغموض الذى يكتنف الرموز المصرية القديمة يجعلها عصية على الفهم .

و لكن مغزى العين الوحيدة و هويتها يمكن أن يتضح لنا من سياق النصوص المصرية القديمة اذا قرأناها بتأمل .

<u>عين الكون :-</u>

تظهر العين الوحيدة فى الأساطيرالتى تنسب فعل الخلق لآتوم و "نبر- دجر" فى صورة المرسال أو المبعوث الذى يؤدى مهام خاصة جدا فى المراحل المبكرة من نشأة الكون .

و لكننا اذا بحثنا فى الأساطير الأخرى سنجد الأم الكونية التى تمثل العين الوحيدة (و تعتبر حتحور و ايزيس من رموز الأم الكونية) تقوم بدور الاله الخالق نفسه و ليست مجرد مبعوث أو مرسال , و هى بذلك تكون مساوية لكل من آتوم و "نبر- دجر" , بل انها تتميز عنه بقدرتها السحرية التى تعيد الحياة لجسد الاله الهامد .

تنعكس المكانة الرفيعة للعين الوحيدة أو الأم الكونية من الألقاب التى كانت تطلق عليها فى الكتب الدينية المصرية و منها على سبيل المثال لقب "العين الوحيدة" , و "ربة كل شئ" , و "العظيمة" , و "العظيمة فى السحر" (أو أم المعجزات) , و "التى تفتح الطرق للاله" .

و الأم الكونية ليست ظلا لجسد الاله , و انما هى كيان الهى قائم بذاته فى مقابل نظيرها الالهى المذكر . و هو ما يدعونا للتساؤل حول رمزية العين أو الأم الكونية فى علم نشأة الكون المصرى .

اذا اصح ما أفترضه من أن الاله الخالق فى الكتب الدينية المصرية هو رمز الكون الأزلى الذى يمر بمراحل مختلفة من موت و ميلاد جديد و تطور , فان العين (الأم الكونية الخالقة) هى أيضا تعبر عن نفس الفكرة .

هل هناك من النصوص الدينية المصرية ما يؤيد هذا الطرح ؟

كما ذكرنا من قبل , فى بدء الخليقة أرسل آتوم (أو "نبر - دجر") العين من داخل هاوية "نون" , و هو ما يعنى أن العين كانت موجودة فى مياه الأزل بشكل ما .

لم تذكر النصوص بشكل مباشر أن العين أو الأم الكونية هى نفسها المياه الأزلية "نون" أو الأرض الأزلية (أى الكون الأزلى) . و لكن النص رقم 587 من متون الأهرام يخاطب العين بشكل يعطى انطباعا يربط بين العين و بين تلك الهوية .

و النص السابق متبوع بعبارة تخاطب آتوم و تحثه على ان يتحول الى تل عالى (qay qaa) و بذلك تشير الى فجر الزمن حين كانت العين الوحيدة على وشك أن تنبعث من المياه الأزلية لتطوف أنحاء الكون . يبدأ النص بالابتهال لعين حورس بهذه العبارات :-

** التحيات لك أيتها العين .. يا عين حورس التى عالجها حورس بيده .. ستطيعين حورس .. فهو الذى شفى جراحك , و هو الذى أعاد بناءك .. و هو الذى أعاد لك النظام .. لتفعلى كل ما يطلبه منك **

يتحدث النص السابق عن اعادة نسج العين و جمع اجزاءها و التى تعرضت لحالة من التمزق و التفكك . و سنعود لهذه النقطة لاحقا .

ثم يستمر النص فى الحديث عن العين فيكشف عن محتوياتها , و فى الجزء التالى من النص نلاحظ أن المدون المصرى كان يكرر كل عبارة مرتين , و لكننا سنكتفى بنقل نسخة واحدة من العبارات و هى كالآتى .

** أيتها العين .. سترفعين لحورس كل المياه التى فى داخلك .. سترفعين لحورس كل الأشجار التى بداخلك .. سترفعين لحورس كل الخبز و الجعة التى بداخلك .. سترفعين لحورس كل القرابين التى بداخلك .. سترفيعن لحورس كل ما هو بداخلك **

و معنى النص أن العين (أو الأم الكونية) تحوى بداخلها الأرض و كل ما عليها , و بوجه خاص مياه الأرض و التى تعتبر جزءا أو امتدادا للمحيط الأزلى .

يمكننا اذن أن نقول أن العين (أو الأم الكونية) ترمز للكون الأزلى الذى يشمل الأرض و "نون" .

و العبارات التالية من النص تؤيد ذلك حين نقرأ فيها :-

** أيتها العين .. ان الأبواب التى من فوقك تقف مثل "ايون - موت - اف" . لن تفتح هذه الأبواب للغربيين , و لا للشرقيين , و لا للشماليين و لا للجنوبيين . لن تفتح هذه الأبواب لأولئك ال "نترو" الذين فى مركز الأرض , و لكنها ستفتح لحورس . حورس هو من خلق هذه الأبواب و رفعها . حورس هو الذى حرس هذه الأبواب من كل شر فعله "ست" بها **

يخبرنا النص السابق أن للعين (أو الأم الكونية) أبواب , و تعتبر الأبواب من أهم السمات التى ترتبط دائما بأبعاد الكون . فكما رأينا فى الفصل الثامن , لكل بعد من أبعاد الكون باب أو أبواب .

و نلاحظ أن النص يتحدث عن مرحلة مبكرة جدا من ولادة الكون , و هى مرحلة سابقة على خلق السماء و ال "آخت" , و هو ما يدل على أن أبواب العين المذكورة فى النص هى أبواب الكون الأزلى (القديم) .

أما باقى النص فهو تكرار لما سبق , و لكن هناك شئ يستحق التوقف و الانتباه و هو أن النص وصف العين بأنها "مدينة نوت" و وصف أوزيريس بأنه يولد من جديد حين يقوم حورس بشفاء العين من جراحها و يقوم ببناء "مدينة الاله" .

و كلمة مدينة فى هذا السياق قد تكون تعبيرا مجازيا عن الكون الأزلى , و كذلك قد تكون اعادة بناء المدينة تعبيرا مجازيا عن اعادة خلق الكون من جديد .

فى نظر قدماء المصريين , كانت كل مدينة من مدن مصر هى صورة مصغرة من الكون (microcosm) أو التل الأزلى , أو جزيرة الخلق .

فى عصر الدولة الحديثه كانت مدينة طيبة توصف بأنها التل الأزلى , كما توصف أيضا بأنها "عين رع" . أما معبد الكرنك فقد وصف فى أحد النصوص بهذه العبارات :-

** الكرنك هو ال "آخت" (الأفق) على الأرض .. و هو التل الأزلى الذى أتى للوجود فى الزمن

الأول .. و هو العين المقدسة للاله , رب كل شئ **

أى أن العين لا ترمز فقط للكون الأزلى / القديم (الأرض الأزلية و المياه الأزلية) و انما ترمز أيضا للكون الجديد (التل الأزلى و ال "آخت") .

و من الأشياء التى تلفت الانتباه فى النص السابق شفاء العين من جراحها و اعادة التحام أنسجتها بعد تعرضها للتمزق .

هذا الوصف للعين يتطابق مع ما جاء فى أسطورة أوزيريس التى تحدثت عن اعادة جمع أجزاء جسده المتحلل و تحنيطها لكى تعود و تلتحم معا فى كيان واحد من جديد بعد ما اعتراها من تمزق .

و فى كلا الحالتين (التحام أنسجة العين و تحنيط جسد أوزيريس) تعتبر الأوصاف المذكورة تعبيرا مجازيا عن اعادة النظام للكون بعد حالة الفوضى و العشوائية و التمزق التى كان عليها .

ظهرت فكرة شفاء جراح العين و اعادة التحام أنسجتها أول مرة فى متون الأهرام , حيث يقول أحد النصوص :-

** أنا أبحث عن عين حورس المصابة .. أنا أشرع فى عد الأصابع **

** لقد أتيت و أحضرت معى عين حورس التى التحمت أنسجتها من جديد , بعد أن سقطت فى ساحة الصراع (بين حورس و ست) **

** أيها الملك , أقبل و تلقى عين حورس السليمة التى فى مدينة النسيج **

تأمل قدماء المصريين القمر فى زيادته و نقصانه فوجدوا فيه انعكاسا لرمزية العين التى أصيبت ثم شفيت جراحها . و قد ربط قدماء المصريين بين خلق القمر و بين طقس يقوم فيه الملك باعادة العين اليسرى لحورس بعد شفاءها .

أما الخبير فى القمر و فى شفاء جراح العين فهو تحوت , و هو أحد صور الاله الخالق فى مصر القديمة . قام تحوت بشفاء العين من جراحها ثم رفعها للسماء .

جاء فى أحد نصوص التوابيت :-

** انا تحوت الذى يقيم العدل .. أنا تحوت الذى شفى العين المقدسة من جراحها فى بيت الأسد المزدوج "آكر" (حارس بوابات العالم السفلى) **

** أنا تحوت .. لقد أتيت باحثا عن عين حورس .. لقد أحضرت العين و فحصتها , و تأكدت من أنها عادت سليمة , كاملة العدد , لم يمسسها سؤ **

** لقد أعدت العين لحالتها السابقة بعد أن جرحت فى اليوم الذى تصارع فيه الغريمان .. أنا تحوت الذى شفى جراح العين بأصابعه **

وصف أحد النصوص اصابة العين بأنها تقرح أو فقدان للبريق , أى فقدان النور أو انعدام الرؤية , و هو تعبير يستحضر صورة القمر و هو يفقد نوره تدريجيا الى أن يصل الى مرحلة المحاق .

و من الأفكار التى ارتبطت بالعين و التى تستحق التأمل فكرة تمزق العين التى تقابل تمزق جسد أوزيريس , ثم التحام أنسجتها من جديد , حيث يتزامن جمع أنسجة العين الممزقة مع بعثها من جديد , كما يتزامن جمع أشلاء جسد أوزيريس و تحنيطها مع بعثه من جديد .

و بعث العين من جديد هو الذى يمنحها القدرة على الرؤية من خلال العينين , ألا و هما الشمس و القمر .

تجلت العين بعد أن بعثت من جديد فى هيئة "وادجت" (الكوبرا المنتصبة) , و هو اسم يعنى "العين السليمة / الصحيحة / الكاملة" .

و عين الوادجت من أكثر الرموز التى انتشرت فى المجتمع المصرى القديم كتميمة تستخدم فى الاستشفاء و الحماية و القوة و الجلاء البصرى .



(تقسيم عين حورس الى أجزاء أو كسور)

كما استخدم قدماء المصريين عين الوادجت أيضا كأساس لحساب الكسور , حيث يمثل كل جزء من أجزاء العين التى تمزقت ثم التحمت من جديد نسبة معينة من الكل .

و نلاحظ أن أجزاء العين التى تمثل الكسور ليست كاملة و انما ينقصها جزء من 64 جزء .

و تفسر الأسطورة هذا النقص بأن "ست" هو الذى سرق هذا الجزء من العين و التهمه .

و بوجه عام نلاحظ وجود وجه شبه بين الأساطير التى تتحدث عن جراح و شفاء العين و بين أسطورة موت أوزيريس و تمزق جسده ثم بعثه من جديد , و الذى يمثل انهيار الكون اثر كارثه أصابته ثم اعادة خلقه من جديد .

ان التحام أنسجة العين من جديد و كذلك اعادة جمع أشلاء جسد أوزيريس الممزق يرمز لاعادة جمع أجزاء الكون القديم الذى مات و تحلل لعناصره الأولية .

و من الأشياء الجديرة بالتأمل بخصوص أوزيريس أن اسمه يكتب بالهيروغليفية باستخدام رمز العين و العرش , و هو ما يعنى حرفيا "مكان العين" .

اذا نظرنا الى الرموز التى يكتب بها اسم أوزيريس بالهيروغليفية فى ضوء نظرية الخلق من الأرض نجد أن للعين علاقة وثيقة بالعرش .

فالعرش فى قصة الخلق هو عرش الاله , أى الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل فى بدء الخليقة .

أما العين فهى رمز القدرة الالهية على بدء الخلق و اعادته من جديد و هى القدرة الكامنة فى الأرض . و أوزيريس هو رب الأرض فى موتها و بعثها من جديد , أى رب اعادة تكرار دورات الخلق . و هكذا يختصر اسم أوزيريس جوهر الفكر الدينى المصرى فيما يتعلق بنشأة الحياة .

فالحياة لم تنشأ من عدم , و انما هى دائما موجودة و تتجدد باستمرار من خلال دورات الخلق التى تعيد تكرار نفسها للأبد .

يقدم لنا هذا التفسير رؤية أعمق لدور العين فى الأساطير و فى الطقوس الدينية , حيث تعتبر الأحداث الكونية التى تتناولها الأساطير هى النموذج الذى تسعى الطقوس لاحيائه و تكراره .

على سبيل المثال , عند تقديم العين قربانا لأوزيريس فان ذلك يعنى أنه قد أصبح لديه القدرة على خلق الكون من جديد . أما الصراع بين حورس و ست حول السيطرة على العين فهور يرمز

للخطر الذى يتربص بالكون الوليد و الخشية من ظهور كون مظلم , خالى من النور .
سننتقل الآن للبحث فى الأساطير التى تدور حول العين الواحدة , و سنحاول اعادة جمع أجزاء الصورة من الأساطير المختلفة فى ضوء نظرية الخلق من الأرض .

القوة الالهية التى تحركت فى هاوية "نون" :-

و أهم الانجازات التى قامت بها العين هو تدمير قوى الفوضى الكونية التى يمثلها ست و أتباعه .
جاء فى متون الأهرام هذا النص على لسان حورس , و فيه يقول :-
** أيها الممقوتون (قوى الفوضى الكونية) , سأضع اللهيب فى عينى و سيحيط بكم جميعا ,
و سأطلق العاصفة على الآثمين , و سأقذف لهيبها بين أولئك الأزليين **
هناك العديد من الاشارات فى متون الأهرام لذلك الهجوم على ست و أتباعه و يطلق عليهم لقب "الذين يصنعون الفوضى" . حيث يقيدون بالأغلال و تقطع رؤوسهم و تمزق أوصالهم و تستخرج أحشاءهم و تنتزع قلوبهم من الصدور و تقدم لأوزيريس .
جاء ذكر العين مرة واحدة فى سياق الحديث عن مذبحة أتباع ست و التى جاء ذكرها فى النص السابق .
أما فى الروايات الأخرى التى تحدثت عن مذبحة اتباع ست , نجد أن حورس هو الذى يهلك قوى الفوضى من أجل أبيه أوزيريس (أو من أجل اعادة أبيه للحياة) باستخدام اللهيب الذى يخرج من عينه , و فى بعض الأحيان يضطلع تحوت بهذه المهمة .
يبرز دور العين فى هزيمة ست بشكل خاص فى متون التوابيت , حيث تركز نصوصها على الطبيعة النارية للعين . جاء فى النص رقم 316 من متون التوابيت :-
** أنا العين النارية لحورس , التى يقذف ظهورها الرعب فى القلوب .. أنا سيدة الذبح .. أنا المهيبة , التى أتت للوجود وسط توهج النور الذى خلقه رع حين أطل على العالم بجلاله .. أنا التى تحيا للأبد بفضل أبنائها آتوم - رع .. تتقدمنى الرهبة التى تنبعث فى القلوب من رؤيتى , و يتبعنى لهيبى .. قهرت قوى الفوضى , و أسقطت ست .. اطلالتى تثير الرهبة و الرعب فى القلوب .. و قد

منحت الهيمنة على كل شئ حين كنت داخل "نون" (المياه الأزلية) **

و فى نفس النص يقول "رع" عن العين :-

** ما أشد رهبتك فى القلوب .. أيتها القوية , القادرة على سحق الأعداء .. ما أعظم سحرك الذى يخترق أجساد أعداءك .. لقد سقط الأعداء على وجوههم بسببك .. و أصبح البشر جميعا فى نوم أبدى (أى موت) بسببك .. و كل من تقع عليه عينك يصاب بالرعب **

قد يكون التكرار و التأكيد على فكرة الخوف و الرعب من العين مرادفا للتعبير الذى ورد فى أحد نصوص الأهرام و الذى تحدث عن (الرعب الذى يقذف فى القلوب من عين حورس) باعتباره لحظة فارقة فى تاريخ نشأة الكون .

أما فى المواضع الأخرى من متون التوابيت , فنجد أن الكوبرا "وادجيت" قد ارتدت عباءة الربة النارية (أى العين) , حيث وصفتها النصوص بعدة أوصاف منها "الربة العظيمة للصحراء" , و "ربة اللهيب" , و "العظيمة , التى تعض بفمها , و التى تقتات على من تهلكهم باللهيب الذى يخرج من فمها , و التى تنقذ رع من عبيب" (و عبيب هو احد رموز الفوضى الكونية) .

كانت "وادجت" هى ربة تاج مصر السفلى (الدلتا) , حيث تصفها متون الأهرام بأنها "الأفعى النارية" و بأنها "العظيمة" و أيضا "العظيمة فى السحر" , التى تقذف الرعب فى قلب من يراها .

و فى كتاب الخروج الى النهار , أصبحت وادجت هى عين رع . على سبيل المثال يقول أحد نصوص كتاب الخروج الى النهار :-

** أنا "وادجيت" , ربة النيران التى تلتهم الأعداء .. لا يدنو منى سوى القليلون .. أتعلم من هى وادجت ؟ أما "وادجيت" ربة النيران التى تلتهم الأعداء فهى عين رع .. و أما القليلون الذين يدنون منها فهم عصبة ست , لأن من يقترب منها يحترق **

و فى عصر الدولة الحديثه أصبحت كل من موت و حتحور و سخمت رمزا لعين رع .



(وادجت و نخبت , الحيات النارية التى ترمز لتاج مصر العليا و تاج مصر السفلى)

و فى كتاب البقرة السماوية الذى دون فى عصر الأسرة 18 (دولة حديثه) و الذى يطلق عليه "قصة دمار البشرية" يرسل رع عينه فى صورة حتحور لكى تهلك البشر الذين ثاروا عليه . فتنطلق عين رع للبحث عن البشر وسط الأراضى الجبلية و تذبحهم بلا رحمة و تخلف وراءها بحورا من الدماء , ثم تشرع فى الشرب منها . و لكن رع يخلق فيضانا من الجعة فى الحقول السماوية فى أنحاء السماء , فتنهل منها حتحور و تثمل و يغشاها النوم . و هكذا يتم انقاذ من تبقى من البشر .

يبدو أن أحداث هذه الأسطورة بنيت على ما ورد فى النص رقم 316 من متون التوابيت و الذى يصف عين حورس النارية (و هى أيضا عين رع أو رفيقة رع) بأنها تهلك أعداء رع و تجعل البشر يسقطون فى حالة نوم أبدى , أى موت .

ان فكرة تدمير البشرية قد تعطى انطباعا بأن قصة العين الغاضبة هى قصة تصف حدثا تاريخيا . و لكن فى الحقيقة ان القصة لا تصف حدثا تاريخيا , و انما هى تشير الى حدث ميثولوجى , أى حدث أزلى متعلق بنشأة الكون .

وقعت أحداث قصة دمار البشرية التى وردت فى كتاب البقرة السماوية فى مرحلة مبكرة من مراحل نشأة الكون , حين كانت السماء لم تزل بعد ملتصقة بالأرض , و قبل أن ينفصل الاثنان و تصبح السماء عالية , بعيدة . و تنتهى أحداث القصة بمغادرة رع للأرض و صعوده فوق ظهر البقرة نوت التى تمثل السماء التى اكتمل تشكيلها .

كيف يكون هناك بشر قبل أن يكتمل خلق السماء و الأرض ؟

و تفسير ذلك أن البشر فى صورتهم الحالية (فى جسد من لحم ودم) لم يكونوا قد خلقوا بعد , و أن البشر الذين تتحدث عنهم الأسطورة هم جنس ميثولوجى من البشر كانوا يسكنون العالم الأزلى قبل أن يكتمل تشكيله , و من تبقى من ذلك الجنس البائد هم الذين أصبحوا بذور الجنس البشرى فى الكون الجديد .

و بعبارة أخرى ان البشر الذين ذكرتهم الأسطورة هم الصورة الأولية (archetype) أو نموذج النشأة الأولى للجنس البشر الذى سيتجسد فى العالم المادى فيما بعد فى مرحلة متأخرة من تطور الكون . أى أن أسطورة دمار البشرية ردت أصل الجنس البشرى الحالى لجنس بشرى قديم كان موجودا فى دورة خلق سابقة .

و هنا تجدر الاشارة الى أن هناك أسطورة أغريقية تقول أن البشر ولدوا من رحم الأرض .

كل الأساطير التى تدور حول العين النارية تحكى عن دمار ما يعرف بالأعداء أو العصاه أو الآثمين أو الثائرين أو المتمردين فى بدء الخليقة .

و هناك نصوص أطلقت على الثائرين وصف "الأزليين" , و يقال أن ثورتهم وقعت فى اليوم الأول من الزمن الأول "سب - تبى" (zep tepi) .

و يعتبر الصراح بين حورس و ست أحد أشهر نماذج تلك الثورة , و قد وقع هذا الصراع بعد موت أوزيريس مباشرة و قبل أن يكتمل النظام الكونى بصورته الحالية .

و السؤال الآن هو هل أرسلت العين من داخل نون أثناء تلك الكارثه الكونية ؟

أو بعبارة أخرى , أين وقع ذلك الحدث الكارثى ؟

و هنا نجد أن العديد من الباحثين أخطأ التقدير حين نظر للعين باعتبارها الشمس فى صورتها الحالية . و لذلك قاموا بتأويل قصة دمار البشرية قائلين أن عين الشمس أخذت تذبح البشر الذين يعيشون (فى جسد مادى) فوق الأرض فى مناطق جبلية , و هكذا جعلوا من أحداث القصة أحداثا تاريخية . و لكن فى الحقيقة ان كل الأدلة تدحض هذا التفسير التاريخى لأسطورة دمار البشرية .

و من هذه الأدلة على سبيل المثال :-

جاء فى النص رقم 519 من متون الأهرام أن الأعداء الذين يتخذون هيئة أفاعى قد قطعت رؤوسهم

فى حقول القرابين , أى على الحدود المتاخمة للعالم السفلى . و فى النص رقم 284 من متون التوابيت نجد أن المكان الذى تضع فيه "وادجت" (و التى تحولت فى عصر الدولة الحديثه الى عين رع) لهيبها هو أرض الغرب , أى العالم السفلى .

و فى النص رقم 316 من متون التوابيت تقول عين حورس :-

** لقد أثرت الرهبة فى صدور الأعداء فأصبحوا أسرى , و قذفت الرعب فى قلوبهم فاستسلموا .. لقد منحت الهيمنة على كل شئ حين كنت داخل "نون" (مياه الأزل) **

نستشف من النص السابق أن الرهبة من العين نشأت معها منذ أن كانت فى مياه الأزل .

و فى النص رقم 453 من متون التوابيت يطلق على عين آتوم التى تنفث اللهب فى وجه ست لقب "ربة الليل" , و كأن المكان الذى يقع فيه حدث التدمير بالنار هو العالم السفلى .

و فى بردية "سولت" (Papyrus Salt) التى تنتمى لعصر الأسرة 19 دولة حديثه توصف "تفنوت" بأنها "شعلة اللهيب التى تلفح وجه الثائرين فى باطن الأرض" , و هو ما يشير أيضا الى أن حدث التدمير بالنار يقع فى العالم السفلى .

و بوجه عام , تشير كل المصادر المصرية القديمة الى أن العالم السفلى هو العالم الذى شهد الصراع بين ال "نترو" و هو أيضا المكان الذى تدفن فيه أجساد من يموت منهم .

على سبيل المثال , وصف النص رقم 335 من متون التوابيت ساحة الصراع بين ال "نترو" بأنها "أرض الغرب" و بأنها خلقت لتكون حلبة للصراع بين ال "نترو" الأعداء .

و يقول النص رقم 648 من متون التوابيت أن سخمت (مبعوثة رع) تنتقم من أعدائه الذين فى جزيرة النار , و التى تعتبر أحد صور العالم السفلى أو نسخة مصغرة منه .

و يقول كتاب البوابات أن جبل الغرب (أى العالم السفلى) يحتوى على الموضع الذى يتم فيه ذبح أعداء رع .

و نلاحظ أن هذا الجبل هو نفسه المكان الذى ذبحت فيه عين رع (حتحور) البشر فى أسطورة دمار البشرية . جاء فى أسطورة دمار البشرية أن رع أصدر أوامره بعقاب البشر فى ال "دوات" (العالم السفلى) و فى أرض الكهوف .

و فى نصوص معبد ادفو يطلق على الجزيرة التى بدأ منها الخلق اسم "الجزيرة التى دهستها الأقدام" , أو "جزيرة الصراع" , أو "مكان الأجداد المشتعل" .

و ما سبق هو باقة صغيرة من النصوص الدينية المصرية التى تم اختيارها من العديد من المصادر التى امتد ظهورها على مدى أكثر من ألفى عام .

و كل نص من هذه النصوص يعبر عن نفس الفكرة و لكن من منظور مختلف .

تؤكد هذه النصوص أن العين لم تسافر أو ترتحل الى مكان بعيد أو كما يتخيل البعض أنها انفصلت عن الشمس و ذهبت بعيدا لكى تقوم بمهمة تدمير أعداء النظام الكونى . لم ترتحل العين و انما نفثت النار فى محيط العالم الذى تنتمى اليه و هو الكون الأزلى . ان العين الوحيدة (النارية) هى المهندس الذى أشرف على الحدث الكونى الرهيب الذى تم فيه تدمير أعداء النظام الكونى , و قد وقع هذا الحدث فى البدايات الأولى لعملية الخلق , أو كما تقول النصوص المصرية "فى اليوم الأول من الزمن الأول" .

<u>العين تشتعل :-</u>

و الآن سنستعرض الأحداث التى تصف انطلاق العين و انتشارها فى أنحاء الكون الأكبر , و هى أحداث عبر عنها المصرى القديم من خلال الطقوس التى تعتبر محاكاة لأحداث نشأة الكون و التى جاء ذكرها فى متون الأهرام و متون التوابيت . و سنلاحظ أن تلك الأحداث كانت مصحوبة أيضا بكوارث .

قلنا من قبل أن بعث العين أو ميلادها من جديد تزامن مع شفاءها و التحام أنسجتها من جديد , و الذى وقع فى "ساحة الصراع" كما جاء فى بعض النصوص .

تكمل النصوص قصة العين فتقول أن العين أرسلت الى المعداوى الذى ينقل الأرواح عبر الطرق المائية المنحنية , فأخذها المعداوى و نقلها بقاربه للجانب الشرقى للسماء .

يخبرنا النص رقم 359 من متون الأهرام أن ست هاجم العين هناك فى المنطقة التى تقع تحت الأفق الشرقى مباشرة .

و نتيجة للهجوم سقطت العين , و لكنها أنقذت نفسها بأن قفزت لأعلى فأصبحت فوق جناح تحوت , و الذى وصل هو أيضا مثل المعداوى الى الأفق الشرقى عن طريق الابحار فى العالم السفلى .

تقول متون الأهرام أن مهمة تحوت هى أن يحمى العين و يأخذها للسماء .

لم تظهر فكرة شفاء تحوت لجراح العين الا فى متون التوابيت فى عصر الدولة الوسطى , و ربما كانت امتدادا لدوره فى اعادة جمع أشلاء أوزيريس .

يصف النص رقم 524 من متون الأهرام دور تحوت فى حماية العين و رفعها للسماء قائلا :-

** أنا تحوت الذى يحمى العين .. أنا لست ست الذى اختطفها .. ان ريش أجنحتى هو ريش أجنحة تحوت .. جعلنى "جب" أطير الى السماء لآخذ عين حورس و أعيدها له .. لقد استدعانى آتوم للسماء , و ها أنذا أعيد لحورس عينه **



(تحوت و حورس يقومان معا بانقاذ العين و رفعها للسماء)

يصف النص رقم 478 من متون الأهرام كيف قام تحوت برفع العين للسماء , هذ المرة عن طريق معراج سماوى يعرف باسم معراج الاله . يقول النص :-

** تتوهج عين حورس بالنور فوق جناحى تحوت على الجانب الأيسر من معراج الاله . أيها البشر , الحية فى طريقها للسماء , لأنى أنا عين حورس .. أنا فى طريقى للسماء على هيئة عين حورس .. أنا أصعد للسماء فوق معراج الاله ***

فى النص السابق ينسب المعراج ل "ست" و الذى يطلق عليه وصف "رب المعراج" و الذى ورثه عن جب .

يتضمن النص السابق فكرة الصعود المباشر من الأرض للسماء باستخدام المعراج و أيضا باستخدام أجنحة تحوت الذى يرتفع فوق الهواء كطائر , و ذلك بخلاف الصعود الغير مباشر باستخدام القارب الذى يبحر فوق المياه الأزلية فى العالم السفلى فى اتجاه الركن الشرقى للسماء .

يكمل النص القصة فيخبرنا أن العين أعيدت لحوس فى حضرة "جب" (رب الأرض) .

و بذلك يؤكد النص على فكرة أن العين رفعت مباشرة من الأرض للسماء .

و هناك المزيد من النصوص التى تؤكد فكرة صعود العين من الأرض للسماء و ذلك بمساعدة جب و شو . يصف النص رقم 689 من متون الأهرام دور جب فى رفع العين للسماء قائلا :-

** لقد رفع "جب" عين حورس المفعمة بالحياة و التى يمسكها بأيدى أرواحه العظيمة نحو السماء **

و هناك نص آخر يصف خروج العين من رأس جب لكى تتجسد على هيئة التاج المزدوج , تاج مصر العليا و السفلى .

و جاء فى النص رقم 689 من متون الأهرام أيضا أن "شو" رفع العين , اذ يقول النص :-

** يا "شو" يا رافع نوت .. ارفع عين حورس للسماء , الى نجوم السماء **

كما ذكر النص رقم 76 من متون التوابيت دور "شو" واصفا اياه بأنه هو الذى جعل العين قادرة على بث النور فى العالم الذى كان غارقا فى الظلمة .

تذكرنا نصوص رفع "شو" للعين بالنص رقم 434 من متون الأهرام و الذى جاء فيه أن "شو" يرفع نوت لتصير أما لآلاف النجوم .

فهل هناك علاقة أو مقابلة بين رفع نوت و رفع العين ؟

جاء فى موضع آخر من متون الأهرام نص أطلق على العين لقب "المدينة" و هو نفس اللقب الذى يطلق على نوت .

علاوة على ذلك , توصف كل من نوت و العين بأنهما أنجبتا أطفالا .

يقال أن نوت جمعت أبناءها (و أكبرهم أوزيريس) فى هليوبوليس . و من المصادفة (أو قد لا تكون مصادفة) أن هليوبوليس هى المكان الذى عثر فيه على العين المصابة بالجراح و تم فيه اعادة جمع أنسجتها الممزقة .

أما أبناء العين فقد جاء ذكرهم مرتين فى متون التوابيت حيث وصفوا بأنهم "نترو" تحولت الى أرواح . على سبيل المثال , يقول أحد النصوص :-

** أنا الصقر الالهى .. أنا أحد أولئك ال "نترو" أو الأرواح التى تسكن النور و الذين خلقهم آتوم من لحم جسده , و الذين أتوا للوجود من قاع عينه **

و يقول نص آخر :-

** أنا عين حورس النارية التى قذفت الرعب فى القلوب حين أتت للوجود .. أنا عين حورس التى أتت للوجود فى وهج النور , و التى قضى "رع" بأن تقدم لها القرابين بكل اجلال .. أنا عين حورس التى قضى "آتوم - رع" بأن يبقى أبناؤها للأبد **

و المقصود بالعبارة الأخيرة من النص السابق أن "آتوم - رع" قد حول أبناء العين الى أرواح , أى حولهم الى نجوم .

ان وصف أبناء العين (أرواح النور) بأنهم خلقوا من لحم جسد آتوم قد يعنى أنهم أتوا من أجزاء العين الممزقة , و قد يكون ذلك اشارة للكون القديم .

يتضح مما سبق أن فكرة رفع "شو" للعين تقابل فكرة رفع "شو" لنوت و تشبهها الى حد كبير , لأن النتيجة فى الحالتين واحدة , و هى خلق النجوم .

و بعبارة أخرى , ان العين لم ترفع الى نجوم السماء , و انما رفعت لتصبح هى نجوم السماء .

و من الأشياء التى تستحق الانتباه أن صعود العين كان مصحوبا بكارثة كونية و نيران .

لم يوصف هذا الحدث بشكل صريح و مباشر فى متون الأهرام (برغم أنه قد يفهم ضمنيا من سياق بعض النصوص) , الا أن متون التوابيت ذكرته فى أكثر من موضع .

على سبيل المثال , جاء فى النص رقم 249 من متون التوابيت على لسان تحوت :-

** جئت باحثا عن عين حورس .. لقد أحضرتها و فحصتها , و وجدتها سليمة , عفية , كاملة العدد

, لقد صعد لهيبها للسماء و أصبحت أنفاسها فوق و تحت **

و جاء فى النص رقم 946 من متون التوابيت :-

** أنا عين حورس , ربة كل شئ .. أنا النار التى فى السماء و فى الأرض , و لهيبى يحيط بكل أعدائى **

و فى النص رقم 746 من متون التوابيت يقول آتوم :-

** أنا آتوم الذى أتى للوجود فوق أذرع "شو" , و لهيب عينى يحيط بى من كل جانب **

نستنتج من النصوص السابقة أن الكارثة أو الانفجار النارى الذى صاحب صعود العين للسماء هو نفسه الحدث الكونى الذى دمر الثائرين (قوى الفوضى الكونية) فى العالم السفلى .

و يبدو أن شفاء جراح العين و اعادة جمع أنسجتها الممزقة كان هو الحافز الذى أدى لوقوع الانفجار النارى الذى فتح جوف الكون القديم المتشرنق , و هو ما أدى بالتالى الى انتشار العين فى كل أنحاء الكون الجديد (فى صورة النجوم و المجرات) .

و لذلك توصف العين فى النصوص بأنها "خلقت اللهيب" , و بأنها "تتجلى فى توهج النور" .

عبر الفنان المصرى القديم عن فكرة صعود العين للسماء وسط اللهيب بصورة الكوبرا المنتصبة و التى يطلق عليها فى مصر القديمة "ايارت" (iart) , أو (uraeus) .

جاء فى العديد من المواضع بمتون الأهرام أن الملك يبعث بعد الموت فى هيئة الكوبرا المنتصبة "ايارت" التى انبثقت اما من ست أو من رع , حيث ربطت النصوص بين ذلك الحدث و بين العين على سبيل المثال , جاء فى النص 478 من متون الأهرام على لسان الملك :-

** أنا عين حورس .. أنا أصعد للسماء فوق معراج الاله (ست) , و أظهر على شكل "ايارت" تقف فوق رأس "ست" **

و قد تكون رأس "ست" رمزا لقمة المعراج .

و فى النص رقم 704 من متون الأهرام نقرأ هذه العبارات :-

** الملك هو الصقر الذى انبعث من "رع" .. و هو الكوبرا المنتصبة "ايارت" التى خرجت من عين رع **

أشارت متون التوابيت أيضا لأصل الكوبرا المنتصبة "ايارت" .

على سبيل المثال , جاء فى النص رقم 313 من متون التوابيت على لسان حورس :-

** لقد خلقت عينى وسط اللهيب .. لقد خلقت عينى على هيئة كوبرا حية **

و الكوبرا المنتصبة "ايارت" يمكن أن تكون رمزا لعين حورس أو عين رع .

أطلقت متون الأهرام على الكوبرا المنتصبة "ايارت" التى ترمز لعين حورس لقب "رننوتت" .

جاء فى أحد النصوص على لسان الملك :-

** ان لهيب الكوبرا المنتصبة "ايارت" هو لهيب "رننوتت" التى تقف فوق جبينى **

كما يطلق على الكوبرا المنتصبة أيضا لقب "ايخت العظيمة" .

و فى متون التوابيت وصفت بعض النصوص عين حورس التى تتخذ هيئة الكوبرا المنتصبة بأنها حتحور . فقد وصف أحد متون التوابيت حتحور بأنها :-

** المشتعلة .. ربة الجزر (جمع جزيرة) .. التى تصعد وسط اللهيب الذى يصدر عن الحروب التى فى السماء **

أما عين رع التى تتخذ هيئة الكوبرا المنتصبة فقد وصفتها متون التوابيت بأنها "وادجت , ربة اللهيب" .

ارتبطت عين حورس فى مصر القديمة أيضا بالتاج الملكى .

ففى النص رقم 220 و 221 من متون الأهرام وصفت عين حورس بأنها هى التاج الأحمر , تاج مصر السفلى (الدلتا) , و أيضا العين النارية .

أما فى النص رقم 524 و 724 من متون الأهرام , فقد وصفت عين حورس بأنها هى التاج الأبيض , تاج مصر العليا (الصعيد) .

ارتبطت عين حورس أيضا بنوع خاص من أنواع التيجان فى مصر القديمة يطلق عليه اسم تاج ال "وررت" (wrrt) , أى تاج العظمة .

لم يكن تاج ال "وررت" مرتبطا فقط بعين حورس و انما ارتبط أيضا بعين رع و خصوصا فى هيئتها التى يطلق عليها النجمة الوحيدة/الفريدة "سبا - واتى" (sba-wati), التى تدمر أعداء رع .

كانت معظم تيجان ملوك مصر الأحياء تطعم بكوبرا توضع فوق منتصف الجبين .

على المستوى السياسى , ترمز هذه الكوبرا لوحدة الأرضين (مصر العليا و مصر السفلى) حيث تختصر الكوبرا الواحدة رموز الأرضين و هى نخبت و وادجت فى رمز واحد .

تصور "نخبت" (رمز مصر العليا) عادة على شكل أنثى طائر الرخمة (بضم الراء و فتح الخاء و الميم) , و لكنها تظهر فى بعض الأحيان على هيئة كوبرا , و خاصة حينما تظهر كرمز من رموز التاج الملكى .

ترمز عين حورس اذن للتاج المزدوج , و فى هذه الحالة يطلق عليها لقب "العظيمة فى السحر" أو "ربة المعجزات" (weret hekau) .

جاء فى النص رقم 592 من متون الأهرام أن العين قد انبثقت من رأس "جب" فأصبحت هى التاجين , و أصبحت هى "ويريت حكاو" , أى العظيمة فى السحر . يقول النص :-

** لقد انبثقت العين من رأسك يا "جب" على هيئة تاج مصر العليا "ويريت - حكاو" .. لقد انبثقت العين من رأسك يا جب فى صورة تاج مصر السفلى "ويريت - حكاو" **

ذكرت بعض النصوص أيضا أن العين انبثقت من رأس أوزيريس , و تحولت الى التيجان التى توج بها حورس . كما ذكرت نصوص أخرى أن العين بعد أن انبثقت من رأس أوزيريس تحولت الى عينى حورس (الشمس و القمر) .

و كان تتويج كل ملك من ملوك مصر القديمة هو اعادة تكرار لحدث كونى , و هو تتويج حورس ملكا للكون .

بارتداء الملك للتاجين , يصبح تجسيدا لحورس على الأرض حيث يجلس على العرش تحميه قوة العين الالهية التى تتجلى فى صور الكوبرا المنتصبة .

يقودنا الحديث عن التيجان التى وصفت بأنها عظيمة فى السحر (ويريت - حكاو) للعودة الى جزيرة اللهيب التى جاء ذكرها فى النص الذى عرف باسم نصوص أكل لحم الأضحية (cannibal hymn) فى متون الأهرام - و هو النص رقم 273 - حيث وصفت هذه الجزيرة بأنها منبع السحر الكونى / الأزلى "حكا" .

يفسر علماء المصريات الطبيعة النارية لهذه الجزيرة بأنها رمز لحمرة الشفق عند شروق الشمس و بالتالى فهى فى نظرهم رمز لميلاد رع .

و لكن , فى ضوء مناقشتنا السابقة للطبيعة النارية للعين و للانفجار النارى الذى أشعله آتوم بيده يصبح علينا اعادة النظر فى تفسيرعلماء المصريات لجزيرة اللهيب .

اذا استعننا بمتون التوابيت , سنجد أن جزيرة اللهيب تظهر فى نصوصها باعتبارها صورة مصغرة (microcosm) من الكون الأزلى حيث يعبر بعث أوزيريس عن اعادة احياء الكون من جديد .

و من الجدير بالذكر هنا أن متون الأهرام وصفت القادوم الذى استخدم فى فتح فم و عين أوزيريس بأنه "القادوم العظيم السحر" و هو وصف يتطابق مع وصف العين بأنها عظيمة السحر .

و بوجه عام تساعدنا الرموز و الأوصاف التى أطلقت على العين على رسم صورة أوضح للأحداث التى واكبت تشكل الكون فى مراحله الأولى .

ان النصوص التى تصف قيام العين بتدمير أعداء النظام الكونى باللهيب فى باطن الأرض , ثم تصف صعودها للسماء المصحوب باشتعال اللهيب و انتشارها فى انحاء الكون هى فى الحقيقة نصوص تصف مراحل تطور لحدث كونى واحد , تم فيه فتح جوف الكون القديم المتشرنق حيث قذفت من داخله العناصر التى استخدمت فى خلق الكون الجديد بما فى ذلك خلق السماء و الأجرام السماوية .

و ننتقل الآن للسؤال الهام , و هو (هل يمكن أن تكون قصة صعود العين للسماء رمزا لخلق العينين – أى الشمس و القمر- و ظهورهما بالشكل المادى الذى نراه حاليا ؟

<u>البحث عن الرؤية – العين و العينان :-</u>

كما رأينا فى الفقرة السابقة , انبثقت العين من رأس "جب" على هيئة التاج المزدوج (تاج مصر العليا و تاج مصر السفلى) العظيم السحر .

و نفس الأسطورة تقال أيضا عن العينين و كأن الأسطورة تشير بذلك الى أن أصل و منشأ العينين هو العين الوحيدة .

جاء فى النص رقم 443 من متون الأهرام :-

** لقد انبثقت العينان من رأسك يا نوت .. لقد حملت حورس و سحره العظيم .. لقد حملت ست و سحره العظيم **

و نقرأ فى النص رقم 749 من متون الأهرام :-

** أيها الملك - أوزيريس , ان عينى حورس هاتين ستكونان فوق رأسك فى هيئة التاج المزدوج , العظيم السحر **

ما هى طبيعة العلاقة بين العين الوحيدة و بين العينين ؟

تبدو النصوص الدينية المصرية فى مجملها غامضة و مبهمة عندما تتحدث عن هذه العلاقة .

و لكن النص رقم 524 من متون التوابيت يقدم لنا دليلا هاما قد يساعد فى كشف ذلك الغموض , حيث يتحدث الملك على لسان تحوت فيقول انه يأخذ عين حورس و يصعد بها لآتوم فى السماء .

و فى النص , يخاطب الملك رع قائلا :-

** يا رع , افتح الطريق أمامى , و اجعل مقعدى فسيحا واسعا فى مقدمة ال "نترو" , لكى أقدم عين حورس لآتوم .. و لكى أعيد جمع أنسجة العين الممزقة التى انبثقت من رأس آتوم .. و لأجعل آتوم يرى بالعينين السليمتين **

و الانطباع الذى نخرج به من النص هو أن العين الوحيدة انبثقت من التل الأزلى (و الذى يرمز له برأس آتوم) لكى تنبثق منها بعد ذلك العينان (الشمس و القمر) , و لكى يطل منهما الاله الخالق على العالم .

نفس الفكرة تقريبا , نجدها مكررة فى العديد من المواضع بمتون الأهرام , على الرغم من أن العين تذكر عادة منفردة .

على سبيل المثال , جاء فى بعض النصوص :-

** أيها "الملك - أوزيريس" .. لقد فتح حورس عينك لكى ترى بها **

** لقد أعاد اليك حورس عينك , لكى ترى بها .. لقد فتح حورس عينك , لكى ترى بها . فعينك هى التى تفتح الطرق .. لقد رد اليك ابنك الحبيب (حورس) عينيك **

** أيها "الملك - أوزيريس" , خذ اليك عين حورس الحى , لكى ترى بها .. و لكى يمنحك النور وضوح الرؤية .. و ليجلى ضوء الفجر "حدج – تا" بصرك .. ها أنذا أضع عين حورس فى رأسك لكى ترى بها .. لقد فتحت عينك لكى ترى بها **

تصف النصوص السابقة طقس فتح العين , و هو أحد الرموز التى تعبر تعبيرا مجازيا عن فتح شرنقة الكون القديم ليولد منه الكون الجديد .

عند قراءة النص الأخير , نجد أن فتح العين يتزامن مع ميلاد النور و نشأته فى البدايات الأولى للكون . ان الرؤية بالعين تعنى ضمنيا فتح العينين أو خلق العينين و هما الشمس و القمر .

تكمل متون التوابيت توضيح صورة فتح العين . ففى النص رقم 316 , نقرأ هذه العبارات التى تخاطب عين حورس قائلة :-

** أطلقى روحك لكى ترى بعينيها .. ها هو حورس قد ظهر من جديد فى جلاله و خلق عين جسده **

يبدو من سياق النص أن المقصود ب "عين الجسد" هو الشمس أو القمر .

تبرز متون التوابيت العلاقة الفريدة بين العين و بين شو و تفنوت .

فقد جاء فى أسطورة التاسوع أن آتوم أرسل عينه لتبحث عن "شو" و "تفنوت" .

وصف النص رقم 76 من متون التوابيت ذلك الحدث و ربط بينه و بين خلق الكون , حيث نقرأ العبارات الآتية :-

** أنا "شو" , أبو ال "نترو" , و قد أرسل أبى آتوم عينه الوحيدة لتبحث عنى أنا و أختى "تفنوت" ... من خلالى أنا , استطاعت العين أن تمنح النور لما هو مظلم **

لماذا أرسل "آتوم" عينه للبحث عن "شو" و "تفنوت" ؟

يقدم لنا النص رقم 607 من متون التوابيت تفسيرا لذلك , حيث يقول مخاطبا حورس :-

** عينك اليمنى هى قارب الليل .. و عينك اليسرى هى قارب النهار .. و عيناك اللتان انبثقتا من آتوم هما "شو" و "تفنوت" **

و حسب ما جاء فى النص السابق , قد يكون "شو" و "تفنوت" رمزا للعينين , أى الشمس و القمر .

و هناك نصوص أخرى ظهرت بعد عصر متون التوابيت تتحدث عن نفس الفكرة و تربط بين "شو" و "تفنوت" و بين الشمس و القمر .

على سبيل المثال , جاء فى أحد الابتهالات لحورس :-

** يا حورس , لقد عادت اليك عينك .. فعينك اليمنى هى "شو" , و عينك اليسرى هى "تفنوت" **

كان "شو" و "تفنوت" فى الكتب الدينية المصرية دائما متلازمين .

أطلقت متون الأهرام على شو و تفنوت لقب "التوأم" , و هو أحد الأوصاف التى تطلق أيضا على الشمس و القمر . و فى النص رقم 80 من متون التوابيت يقول آتوم :-

** انا أحيا من خلال أبنائى التوأم (شو و تفنوت) .. لأنى أسكن فى وسطهما .. و الاثنان يتبعان حركة جسدى **

تقول الأسطورة أن العين بحثت عن "شو" و "تفنوت" و عثرت عليها , بمعنى أن العين انبعثت من مياه الأزل ثم تجسدت فى العالم المادى فى هيئة الشمس و القمر .

و قد وصفت الأسطورة ذلك بتعبير مجازى و هو فتح الاله الخالق لعينيه ليرى بهما .

و قد وردت نفس الفكرة أيضا فى أسطورة "نبر - دجر" (رب كل شئ) , و هو أحد صور آتوم , و لكن بشكل معكوس . فبدلا من ارسال العين للبحث عن شو و تفنوت , يتم ارسال شو و تفنوت للبحث عن العين التى ضلت طريقها فى مياه الأزل .

و بعد فترة من الزمن يعثر شو و تفنوت على العين و يقومان باعادتها الى آتوم , و فى نفس اللحظة التى تعود فيها العين تظهر العينان (الشمس و القمر) للوجود .

و هكذا تتملص هذه الرواية للقصة من اشكالية وجود العين مع آتوم فى مياه الأزل و هو ما يتعارض مع الروايات الأخرى لأسطورة التاسوع , و ان كانت النتيجة النهائية لأحداث القصة واحدة , و هى نشأة العينين (الشمس و القمر) من العين الوحيدة .

<u>نشأة الشمس و القمر :-</u>

رأينا فى السابق كيف صعدت العين للسماء وسط لهيب النار , و كيف أدى ذلك الصعود الى نشأة

العينين , و هما الشمس و القمر .

و لكن كيف حدث ذلك ؟

و كيف أصبحت عين الشمس حارة مشتعلة بينما عين القمر ليست كذلك ؟

تحدثت العديد من النصوص الدينية المصرية منذ عصر الدولة الوسطى عن نار العين و وصفتها بأنها تعرضت للاخماد فى بداية ظهور العين .

فى النص رقم 75 من متون التوابيت يقول "شو" :-

** لقد أخمدت النار .. لقد هدأت من روع التى تشتعل .. لقد طمأنت التى هى فى أوج غضبها (العين) **

و فى النص رقم 325 من متون التوابيت نقرأ :-

** لقد أخمد "شو" العين حين كانت غاضبة و مشتعلة **

و يقال أيضا أن تحوت قام بتهدئة العين الغاضبة .

جاء فى النص رقم 167 من كتاب الخروج الى النهار :-

** أعاد تحوت العين المقدسة لسابق عهدها .. و هدأت العين بعد أن أرسلها رع .. لقد كانت العين فى قمة الغضب , و لكن تحوت هدأ من روعها , بعد أن انفصلت عن العاصفه **

و لكن النصوص لا توضح كيف قام شو و تحوت باخماد نار العين .

و لكن النص رقم 554 من متون التوابيت يقدم لنا بعض التوضيح , حيث يقول أن (شو صعد للسماء و خلفه النهر السماوى وسط لهيب يشع نورا) .

و هنا علينا أن نتذكر أن شو هو الذى رفع مياه نوت السماوية , و بذلك امتلك "شو" الوسيلة التى استطاع بها اخماد نار العين , و هذه الوسيلة هى المياه السماوية .

كما أن العين نفسها بداخلها جزء من المياه الأزلية (كما جاء فى النص رقم 587 من متون الأهرام) , و لذلك فبمقدور العين أن تطفئ نارها بنفسها .

حين اشتعلت نار العين , سادت الفوضى فى السماء لفترة من الزمن قبل أن تولد العينان (الشمس و القمر) من العين الوحيدة .

و هذا هو المعنى المقصود من أسطورة "نبر - دجر" (رب الحدود) , و هى الأسطورة التى تحوى أكبر قدر من التفاصيل عن نشأة العين .

تبدو أسطورة "نبر - دجر" غامضة بعض الشئ (ربما عن عمد) , و لكن هناك روايتان منها تساعدنا على فهم نشأة العين .

و أول ما يلفت نظرنا فى تلك الأسطورة هو طول الفترة الزمنية التى سادت فيها الفوضى و التى أعقبها ارسال العين , حيث نقرأ فى احدى الروايات للأسطورة على لسان "نبر - دجر" :-

** انظر , لقد رد شو و تفنوت لى عينى بعد الزمن الطويل الذى ابتعدا فيه عنى و ذهبا بحثا عنها (أى عن العين) **

و ثانى شئ يلفت نظرنا فى تلك الأسطورة هو ظهور العين من خلف سحب السماء .

اذ نقرأ فى احدى الروايات للأسطورة :-

** لقد أحضر شو و تفنوت عينى و أزاحوا عنها السحب التى تشبه نبات ال "وابو" (wabu) بعد أن حجبت عنها الرؤية لزمن طويل **

فى عام 1912 ميلادية , قام عالم المصريات الانجليزى والس بدج بترجمة النص السابق , و قال ان نبات ال "وابو" هو نبات شكله يشبه السحب فى السماء .

و قال والس بدج أيضا أن تلك السحب كانت تغطى العين و تحجب عنها الرؤية لزمن طويل , قبل أن تنبثق منها العينان (الشمس و القمر) .

و كما سنرى لاحقا , هذا النبات الذى يشبه السحب هو النبات الذى سينمو فوق الأرض حين تذرف العين دموعها .

جاء فى النص رقم 335 من متون التوابيت أحد أقدم الروايات لأسطورة "نبر–– دجر" و هى رواية مصحوبة بالعديد من التعليقات و الشروح الملحقة بالنص . و نقرأ فى تلك الرواية :-

** لقد أزلت الشعر من العين المقدسة حين كانت ثائرة .. أتعلم ما هى العين المقدسة حين كانت ثائرة ؟ أتعلم من أزال منها الشعر ؟ انها عين رع التى غضبت منه حين أرسلها فى مهمة , و تحوت هو الذى أزال منها الشعر **

و فى هذه الرواية تذهب العين بحثا عن شو و تفنوت , و لذلك فان اصابة العين حدثت فى السماء .
و لكن ما الذى تعنيه ازالة الشعر من العين ؟

يقول "راندل كلارك" (R.T. Rundle Clark) مؤلف كتاب الرمز و الأسطورة فى مصر القديمة أن الشعر لا يرمز فقط للسحب الكونية التى كانت تغطى العين و تحجب عنها الرؤية , و انما يرمز أيضا لعاصفه كونية أثارها صعود العين للسماء فى مراحل مبكرة من نشأة الكون .

يعتبر ما قاله راندل كلارك تفسيرا مقنعا و خصوصا أن ذلك يتفق مع الصورة التى ترسمها الروايات المتأخرة من أسطورة "نبر - دجر" .

ان صورة العين التى تحيط بها الغيوم التى تشبه السحب تذكرنا بصور العاصفه الكونية التى ظهرت فى بداية الخلق و التى تحدثنا عنها فى الفصل التاسع , حيث أشرنا أيضا الى حدث هام وقع عند نهاية العاصفة و هو حدث ازاحة الغيوم و السحب التى صاحبت العاصفة و نتجت عنها لكى تصفو السماء . و بعد ازاحة تلك الغيوم و العقبات أصبحت طرق السماء مفتوحة و أسترد حورس عينه , و هو ما يعنى وضوح الرؤية .

يعود السبب فى تهدئة العاصفة الى العين و التى يطلق عليها لقب "فاتحة الطريق" و أيضا لقب "التى تفتح طرق الاله" .

و نعود مرة أخرى الى أسطورة "نبر - دجر" , حيث نجد فيها نصا فريدا يصف لحظة ظهور الشمس و القمر فى السماء . يقول النص على لسان "نبر- دجر" :-

** بعد أن عادت لى عينى و وجدت أنى وضعت عينا أخرى مكانها و منحتها البهاء و الاشراق الذى كنت قد منحته للعين الأصلية غضبت و ثارت .. و لكى أهدئ من غضبها وضعتها فوق جبينى , و هكذا أصبحت العين تحكم كل حدود الأرض **

** لقد زودت عينى بالكوبرا النارية حين غضبت منى , حين نمت عين أخرى مكانها بعد أن أرسلتها للبحث عن شو و تفنوت .. ثارت العين فسقط غضبها العارم على شكل نبات ال "وابو" الذى يشبه السحب .. فوضعتها فوق جبينى لتحكم كل حدود الأرض **

و نلاحظ أن الغموض يكتنف هذه النصوص و لكن المعنى المقصود بوجه عام هو أن العين

أصابتها الغيرة عندما خلق القمر و الذى وصفته النصوص بأنه عين أخرى نمت أو ظهرت مكان العين الأصلية .

و بعد اصابة العين بالغضب انتقل ذلك الغضب الى الشمس فى صورة لهيب لتصبح الشمس هى التى تحكم كل حدود الأرض (أى المجموعة الشمسية) .

ان الغضب الذى انبعث من العين الأصلية التى انبثقت من "نون" انتقل على هيئة نسخة مصغرة فى صورة لهيب الشمس أو عين الشمس التى اشتعلت من الغيرة حين خلق القمر .

اذا حاولنا تفسير الأسطورة بالمعنى الحرفى فان أحداثها تعنى أن القمر خلق قبل الشمس .

و لكن فى الحقيقة لا يوجد أى صدى لتلك الفكرة فى أى موضع آخر فى النصوص الدينية المصرية و ستبدو لنا الأسطورة كقصة شعبية ساذجة تحاول تفسير كيف ظهرت الشمس فى السماء كجرم سماوى حار مشتعل بينما القمر بارد و ضوءه هادئ .

قد يبادر البعض باستنتاج أن قدماء المصريين لم يكن لديهم تصور عقلانى لكيفية ظهور الشمس و القمر و لا لطبيعتهما المتناقضة و أن هاتين الظاهرتين ليس لهما مكان فى نظرية ديانة النشأة .

و لكن , لا يجب علينا أن نستسلم و نتوقف عن البحث فى المصادر المصرية القديمة عن نظرية فيزيائية عامة تفسر ظهور الشمس و القمر .

على أية حال , ان السحب التى تشبه نبات ال "وابو" (wabu) تعطينا الانطباع أن هناك شئ مادى يتشكل فى سماء ظلت السحب الكونية و السدم (جمع سديم) تغطيها لزمن طويل .

و لنا أن نصدق أن مثل تلك النظرية كانت موجودة فى مصر القديمة .

و قد أوضحت للقارئ فى هذا الفصل و فى الفصول السابقة أن الخلق فى نظر قدماء المصريين هو عملية تطور لفيزياء الكون مرت بالعديد من المراحل (بالمعنى العلمى لكلمة فيزياء كونية) , تم فيها فتح جوف الكون القديم المتشرنق حيث قذفت من داخل تلك الشرنقة عاصفة تحمل بداخلها العناصر الأساسية التى خلق منها الكون الجديد , و من هذه العناصر الرياح و مياه الفيضان و النور و النار و الحديد و مواد أخرى .

و هكذا تحول الكون الى رحم كبيرة حبلى ببذور هى المواد الأولية التى ستخرج منها كل الخلائق .

قامت هذه المواد بتخصيب نفسها بنفسها بمرور الزمن ليولد منها الكون الجديد .

و قد أشار النص رقم 94 من متون التوابيت لتلك الفكرة حيث قال :-

** أنا روح أوزيريس .. لقد خلقت أوزيريس من جديد من سوائل لحم جسده و من البذور التى قذفت من عضوه الذكرى الذى تزاوج مع نفسه فى بداية الخروج الى النهار **

و لما كان أوزيريس هو رمز الكون الأزلى / القديم , فان ذلك يعنى أن سوائل جسده و بذوره قد قذفت من الأرض الأزلية و من المياه الأزلية "نون" .

هل هناك ترتيب معين تحول به الكون الجديد الى رحم ؟

قد نعثر على اجابة لذلك السؤال فى النصوص التى تكرر ظهورها و التى تصف اعادة جمع أجزاء جسد الاله و التحامها معا فى كيان واحد .

أطلقت متون التوابيت وصف الالتحام على العديد من الرموز التى تمثل الكون مثل الأرضين و زهرة اللوتس و رب الأرض , و آتوم , و العامود الفقرى ل "خبرى" , و جسد أوزيريس , و العين , و أرباب الهواء , و حاشية أرباب النجوم و رداء حتحور , و حتى ماء السماء الطهور .

يشكل النص رقم 576 من متون التوابيت أهمية خاصه , حيث يتقمص فيه المتوفى دور الاله الخالق الذى يقذف عناصر الخلق فى نفس اللحظة التى ينسج فيها تلك العناصر معا .

و فى النص رقم 647 من متون التوابيت يظهر آتوم و هو ينسج البذور معا .

و البذور فى سياق قصة الخلق هى رمز للعناصر التى خلق منها الكون .

كما تحدثت الكتب الدينية المصرية أيضا عن نسج العينين .

فى النص رقم 551 من متون التوابيت جاء ذكر "نسج العين الكاملة/المملوءة" - التى قد تكون رمزا للشمس – كما ذكر النص أيضا "استبدال العين الفارغة/المجوفه" – التى قد تكون رمزا للقمر .

يعود أصل ذلك النص – و هو النص رقم 551 من متون التوابيت - الى متون الأهرام و التى ذكرت أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) اشتركوا معا فى نسج وجه أوزيريس لكى يرى بعينيه , بينما قام تحوت باعادة "نسج ما انبثق من رأس آتوم " , أى أعاد نسج العين , و بذلك جعل آتوم

يرى بعينيه السليمتين .

و هنا ننتقل للسؤال التالى : ما هى العناصر التى نسجت منها العينان ؟

و الاجابة التى تتبادر للذهن على الفور هى أن الشمس نسجت من النور و أن القمرنسج من النور و ربما امتزج بالمياه الأزلية .

كما تشير النصوص الدينية المصرية أيضا الى أن الشمس و القمر نسجت من عناصر أخرى مادية بالاضافة الى النور و المياه الأزلية .

جاء فى أحد النصوص الدينية التى تنتمى لمدينة ليتوبوليس (مركز أوسيم , محافظة الجيزة) أن "خنتى - ايرتى" (و يطلق عليه أحيانا "خنتى – خم") كانت له عينان متقدتان انبثقتا من مدينة ليتوبوليس , و فى نص آخر وردت نفس الفكرة فى عبارة تقول أن عينيى "دس" (ds) قد انبثقتا من ليتوبوليس .

يعتبر ذلك دليلا على أن هذه المدينة كانت فى نظر قدماء المصريين نسخة مصغرة من الكون (microcosm) و تعبر بطريقة رمزية عن فكرة انبثاق العينين من الأرض .

و لكن ما معنى عيون "دس" ؟

فى مقال للكاتب "وينرايت" G.A Wainwright عن مدينة ليتوبوليس , أبدى ملاحظته أن "دس" فى اللغة المصرية القديمة هى كلمة مرتبطة بدلالات تعبر عن السماء / العاصفه / رب العاصفه / النار . و استنتج "وينرايت" من ذلك أن هذه الكلمة قد تعبر عن مادة ناتجة عن عاصفة رعدية أو عاصفة نيزكية مثل الحديد .

أما علم المصريات الأكاديمى فيرى أن كلمة "دس" هى نوع من أنواع الحجارة الصلبة , ربما كانت الصوان , و الذى يستخدم فى صنع رؤوس السهام .

على أية حال , ان هذا بوجه عام يعنى أن الشمس و القمر قد خلقا من مواد صلبة .

تقدم لنا نصوص معبد ادفو المزيد من الأدلة التى تكشف المزيد من أجزاء الصورة الغامضة .

حيث يعتقد أن مدينة ادفو هى المسبك "مسنت" (mesnet) الذى صهرت فيه الشمس .

جاء فى أحد نصوص معبد ادفو :-

** عندما فتحت أبواب ادفو , ارتفع قرص الشمس **

كانت ادفو هى مدينة الأرباب الحدادين "مسنيو" (mesniu) الذين حاربوا الى جانب حورس مسلحين بحراب و سلاسل من الحديد . و قد يكون ذلك اشارة الى أن الحديد (النيزكى) يدخل فى تركيب الشمس – بالاضافة الى عناصر أو معادن أخرى .

يبدو أيضا أن القمر قد صنع من مواد صلبة حسب ما جاء فى أحد نصوص كتاب الخروج الى النهار , حيث يوصف تحوت (رب القمر) بأنه :-

** تحوت , ابن "أنر" (anr) الذى ولد من اثنين من ال "أنر" (anr) **

و عن معنى كلمة "أنر" يقول السير "آلان جاردنر" فى كتاب "النحو المصرى" أن هذه الكلمة تعنى حجر . و نلاحظ أن هذه الكلمة تكتب باستخدام مخصص على شكل بيضة , و هو ما يمكن أن يترجم الى "البيضة الحجرية" .

فسر بعض الباحثين هذه الكلمة باعتبارها اشارة الى قشر البيضة , و لذلك قاموا بترجمة النص السابق هكذا : (تحوت ابن قشرة البيضة , الذى ولد من قشور البيضتين) .

و فى الحقيقة ان البيضة الحجرية أو قشرة البيضة فى هذا السياق تشير الى الكون الأزلى الذى ولد منه رب القمر . و أرى أن كلمة "أنر" الأولى تشير الى القمر و تصف تشكيل صورته المادية .

و لذلك أقترح أن نترجم النص السابق هكذا :-

** تحوت , البيضة الحجرية , الذى ولد من البيضتين الحجريتين **

و معنى ذلك أن القمر ولد من البيضة الكونية . أما البيضتان فهما رمز ازدواجية الكون القديم كعادة الفكر المصرى الذى يرى الازدواجية فى كل شئ , مثل ازدواجية الأرضين "تاوى" .

هناك أيضا أدلة فى النصوص الدينية المصرية على أن المعادن تدخل فى تركيب النجوم .

فمتون الأهرام على سبيل المثال وصفت النجوم التى لا تغيب بأنها عظام الملك الحديدية , و هو ما قد يعتبر اشارة الى أن تلك النجوم قد خلقت من الحديد .

و فى العديد من النصوص الدينية رمز المصرى القديم للنجوم القطبية الشمالية بقادومين من الحديد و فى أحد نصوص التوابيت نقرأ أن المتوفى بعد انتقاله للعالم الآخر يبتلع السحر الكونى/الأزلى

"حكا" على هيئة نجم من الحديد , و هو ما يدل على أن النجوم (أو بعض النجوم) خلقت من الحديد.
استخدمت بعض النصوص الدينية كلمة "سا" (saa) و كأنها مرادف لكلمة "حكا" أى السحر الكونى / الأزلى . و كلمة "سا" معناها سبيكة من الاليكتروم (مزيج من الذهب و الفضة) و معدن آخر يطلق عليه "خسمت" لم يستطع علماء اللغويات تحديد ماهيته . و قد تكون لذلك المعدن علاقة بنشأة النجوم .

تشير متون الأهرام أيضا الى "فيروز النجوم" , و ان كانت النصوص لم توضح ما اذا كان ذلك وصفا للمادة التى خلقت منها النجوم أم للون النجوم أو لون المحيط السماوى الذى تسبح فيه النجوم.
و ذكرت نصوص الأهرام أيضا وجود حقل من الفيروز فى السماء , و قد يكون ذلك الحقل الفيروزى مرادفا لحقول الايارو , كما ذكرت أيضا وجود بحيرة من الفيروز و قد يكون موقعها هو حقول القرابين .

ان فكرة دخول الحجارة و المعادن فى تكوين الشمس و القمر و النجوم لا تعتبر فكرة غريبة .
ففى القرن الخامس قبل الميلاد , كتب الفيلسوف اليونانى أناكساجوراس (و الذى عرف عنه أنه تعلم فى مصر) يقول أن الشمس و القمر هما عبارة عن كرات مضيئة من المعادن .
و فى القرن الأول الميلادى كتب الفيلسوف الرومانى "بلينيوس" (Pliny) أن هناك كرة من الحجارة سقطت من الشمس و أن هذه الكرة كانت مقدسة فى مدينة أبيدوس بمصر .
هذه الكرة من الحجارة هى بلا شك نيزك سقط من السماء .
اذا جمعنا كل الأدلة السابقة برغم أنها غير مرتبة و غير متناسقة , الا أن هناك أكثر من دليل على أن الشمس و القمر و النجوم كانت فى نظر حكماء مصر القديمة أجسام من الحجارة و المعادن و لكنها أجسام تسكنها أرواح (كما تسكن الروح جسم الانسان المادى) , و أن هذه الأجسام المادية للشمس و القمر و النجوم تشكلت فى السماء بعد عاصفة كونية هائلة كانت تحمل بداخلها العناصر التى تشكلت منها هذه الأجرام السماوية .

سقوط العين :-

حين كان وجه الشمس و القمر فى آخر مراحل تشكله فى صفحة السماء , و قع حدث كونى آخر أدى بعد ذلك لظهور النباتات و الحيوانات و البشر على سطح الأرض .

عرف هذا الحدث فى علم نشأة الكون المصرى باسم بكاء العين .

و أول ظهور لأسطورة بكاء العين كان فى متون التوابيت (فى عصر الدولة الوسطى) حيث وصف بكاء العين بأنه السبب أو الطريقة التى خلق بها البشر .

يقول النص رقم 1130 من متون التوابيت على لسان "نبر - دجر" (رب حدود السماء) :-

**خلقت ال "نترو" (الكيانات الالهية) من عرقى , و خلقت البشر من دموع عينى **

و فى النصوص التى ظهرت بعد عصر الدولة الوسطى , أضيفت للأسطورة بعض التعديلات , حيث قيل أن الاله خلق ال "نترو" من فمه , و خلق البشر من عينيه .

و كما سنرى لاحقا , ان المقصود فى الأغلب أن البشر خلقوا من العين الوحيدة التى كانت موجودة قبل خلق الشمس و القمر , و ليس من العينين .

حظيت أسطورة بكاء العين باهتمام و شعبية كبيرة عند قدماء المصريين لدرجة أنها لم تكن بحاجة الى شرح أو تفاسير , باستثناء نص واحد ينتمى للعصر المتأخر و سنعود لذلك النص بعد قليل .

و لنبدأ أولا بالنصوص التى تنتمى لعصر الدولة الوسطى و التى جاء فيها ذكر أسطورة بكاء العين.

جاء فى النص رقم 331 من متون التوابيت على لسان حتحور :-

** انا عين حورس .. أتيت للوجود قبل أن يكون هناك سماء .. ذهبت لأبحث عن لعاب آتوم و بصقته , ذهبت لأبحث عن شو و تفنوت .. لقد بحثت و بحث .. و ها أنذا قد عثرت عليهما . لقد غضبت فدمرت كل شئ , و كان اسمى حتحور .. و قد ذرفت دموعى , فصارت هى البشر .. و أصبحت فوقهم , و لذلك كان اسمى "التى هى فوق لعابها (أو دموعها) .. ثم خلقت لهم مصدرا للدفء , و لذلك كان اسمى "شزمتت" (Shezmetet) **

يبدو النص السابق غامضا , الا انه يحمل مغزى عميق سيتضح لنا كلما استعرضنا المزيد من النصوص . و النقطة التى نريد التركيز عليها الآن هى أن العين ذرفت دموعها (التى خلق منها البشر) فى الوقت الذى كانت فيه غاضبة "لقد غضبت فدمرت كل شئ" .

كما نلاحظ أيضا أن النص تعامل مع الدموع باعتبارها مرادفا للعاب . و أن ذرف الدموع تزامن مع عثور العين على أبناء آتوم التائهين , و هما "شو" و "تفنوت" .

جاء ذكر غضب العين أيضا فى النص رقم 686 و 714 من متون التوابيت , حيث يقول النص الأول أن هناك بحيرة من الماء ظهرت فى الأرض تحتوى على دموع عين حورس حين كانت غاضبة . يخبرنا النص رقم 711 من متون التوابيت أن الهدف من ذرف الدموع هو اطفاء النيران.

يقول النص :-

** لقد وضعت اليرقات فى عين آتوم .. أنا رع .. لقد أتيت لأعيد ذرف الدموع عليه .. لأنى انا الذى أبكى من أجله مع عينه الوحيدة .. لقد انطفأت النيران بدموع عينى , و بردت الطرق بمائها **

كتب راندل كلارك معلقا على النص السابق أن العين يبدو أنها بدأت فى الاشتعال و أن الاله أطفأ نيرانها بدموعه . و يبدو أن راندل كلارك كان على صواب , لأن هناك نصوصا أخرى ذكرت أن العين اشتعلت من الغضب و لكن "شو" أطفأها .

و من النص السابق ندرك أن العين لها القدرة على أن تطفئ نفسها بدموعها و التى يعود مصدرها الى المياه الأزلية التى رفعت للسماء .

أما النص رقم 17 من كتاب الخروج الى النهار فقد ذكر شيئا فريدا عن بكاء العين .

ففى نسخة متأخرة من ذلك النص نقرأ هذا العبارات التى تقول :-

** لقد أزلت الشعر من العين المقدسة حين كانت غاضبة .. هل تعلم من هى العين المقدسة ؟ انها عين رع التى غضبت منه بعد أن أرسلها بعيدا .. و قد أزال تحوت الشعر منها بعد أن أعادها سليمة دون أن يصيبها أذى .. و يقال أن العين كانت مريضة حين بكت للمرة الثانية , فعالجها تحوت بأن بصق (أو نفخ) فيها **

و نحن بدورنا نتساءل : ما الذى يعنيه ذلك .

قد نفسر ذلك بأن الكاتب الذى دون النص تخيل أن بكاء العين أول مرة هو الفيضان الأول الذى ارتفع من "نون" , ثم تخيل أن فيضان الدموع فى السماء هو البكاء الثانى للعين .

و لكى يكون ذلك التفسير مقبولا يجب التمييز بين فيضان الدموع و بين الفيضان الأزلى .

فدموع العين ليست مجرد امتداد للفيضان الأزلى .

يعيدنا ذلك مرة أخرى لفكرة خلق البشر من دموع العين .

لكى يخلق البشر بهذه الطريقة يجب أن تسقط الدموع من السماء الى الأرض و التى ينظر لها على أنها الرحم الذى ولد منه البشر , أى أن الدموع هى البذرة و الأرض هى الرحم الذى حمل هذه البذرة .

و الجزء المفقود من هذا اللغز المحير موجود فى أسطورة "نبر - دجر" (رب حدود السماء) ,

حيث يقول أحد النصوص على لسان "نبر - دجر" :-

** بعد أن عادت لى العين جمعت أجزاء جسدى و ذرفت الدمع فوقها , و هكذا أتى الرجال و النساء للوجود من الدموع التى ذرفتها عينى **

ان جمع أجزاء جسد "نبر - دجر" يشير الى خلق الأرض و التل الأزلى .

أما حدث بكاء العين فقد وقع فى السماء , فيما وراء السحب التى كانت تخفى شو و تفنوت , و لذلك فقد يكون المقصود بالنص السابق أن دموع العين سقطت من السماء الى الأرض , فخصبتها و جعلتها جاهزة لاستقبال الجنس البشرى .

و قد خلقت النباتات و الحيوانات أيضا من دموع العين .

جاء فى أحد نصوص أسطورة "نبر - دجر" :-

** حين سقطت الدموع على السحب التى تشبه نبات ال "وابو" , وهبت عينى البهاء و الاشراق الذى يتجلى فيها .. ثم أتت للوجود كل أشكال نبات ال "وابو" و كل المخلوقات التى تزحف على الأرض , و كل ما نشأ منها **

و فى نص آخر من الأسطورة يقول "نبر - دجر" :-

** كل النباتات و الزواحف أتت من الدموع التى سقطت منى .. ثم زودت عينى بالكوبرا النارية (أى خلقت الشمس) .. فسقطت أشعتها القوية فوق نباتات ال "وابو" فصنعت منها عالما منظما **

يقدم لنا النص السابق وصفا تفصيليا لحدث كونى أزلى لم يأتى ذكره فى أى مصدر مصرى آخر

بمثل هذا الوضوح .

يصف النص بأسلوب شاعرى جميل ديناميكية تطور الخلق . حيث يسقط فيضان دموع الاله من السماء فيخصب الأرض التى ارتفعت للتو من هاوية نون , بينما تشرق الشمس من وراء السحب الكثيفه و الغيوم التى تشبه نبات ال "وابو" لتسقط أشعتها التى تحمل طاقة الحياة على الأرض .

و هناك أسطورتان ظهرتا فى العصر المتأخر تلقيان مزيدا من الضوء على ذلك الحدث الأزلى , و هو حدث بكاء العين .

جاء فى الأسطورة الأولى أن شو و تفنوت قد ذرفا دموعا غزيرة سقطت على الأرض فأخصبتها و أخرجت منها كل أنواع النبات .

أما الأسطورة الثانية فتحكى أن ست قام بغرس عيون حورس فى الأرض فخلق بذلك أول تكعيبة عنب على سطح الأرض .

و هو بالطبع أسلوب شاعرى فى التعبير عن حدث كونى , فالمقصود بالغرس فى الأرض ليس العين نفسها و انما المادة أو العنصر الكونى الذى سقط من عين الاله التى فى السماء فاختلط بتربة الأرض و أخرج منها النبات .

و برغم أن الأسطورتين السابق ذكرهما تنتميان للعصر المتأخر , الا أن جذورهما تعود لمتون التوابيت من عصر الدولة الوسطى .

جاء فى النص رقم 80 من متون التوابيت أن لعاب آتوم سقط على الأرض .

و يقول النص رقم 325 أن عين "آتوم - رع" تتجلى فى النباتات .

و فى النص رقم 331 من متون التوابيت نقرأ أن حتحور بعد أن ذرفت الدموع قامت بوضع تلك الدموع فى نظام و لذلك كان من ألقابها "التى تهيمن على لعابها/دموعها" و أنها تبعث الدفء للمخلوقات التى انبثقت من ذلك اللعاب أو تلك الدموع , و لذلك كان من ألقابها "شزمتت" (Shezmetet) . و نلاحظ أن هذا النص يعامل كلمة دموع و كلمة لعاب باعتبارهما مترادفات .

كما جاء ذكر سقوط العين أيضا فى النص رقم 336 من متون التوابيت حيث نقرأ فيه أن البوابة الثالثة للعالم السفلى تمثلها ربة توصف بأنها "التى سقطت من السماء" .

يقول النص :-

** لقد سقطت تلك الربة من السماء فخلقت ملح النطرون , و حين سقطت كانت ألسنة النار تتبعها . انبعث منها اثنان من ألسنة النار , أما اللسان الثالث فقد هب من فم سخمت , ثم هب لسان آخر من "نون" **

سقوط السماء :-

ترتبط فكرة سقوط العين بفكرة أخرى أوسع و أشمل تكرر ذكرها فى الكتب الدينية المصرية , ألا و هى فكرة سقوط السماء .

و برغم أهمية تلك الفكرة و دورها الهام فى قصة الخلق , الا انها لم تلقى الاهتمام الكافى الذى تستحقه من الباحثين فى علم المصريات .

و قبل أن نبدأ مناقشة هذه الفكرة علينا أن نعى أولا أن المقصود هنا ليس سقوط السماء كلها على الأرض , و انما المقصود هو سقوط بعض العناصر أو المعادن من السماء الى الأرض فى بداية تشكلها , و هذه العناصر أو المعادن لعبت دورا أساسيا فى تشكيل الأرض و فى ظهور الحياة على سطحها .

تنعكس أسطورة سقوط السماء فى العديد من الأفكار و الصور و التعبيرات التى ظهرت فى نصوص دينية تنتمى لعصور مختلفة .

و سأركز فى بحثى هذا على أقدم تلك المصادر , ألا و هى متون الأهرام (من عصر الدولة القديمة) و متون التوابيت (من عصر الدولة الوسطى) .

و يعتبر النص رقم 271 من متون الأهرام هو أوضح النصوص التى تناولت فكرة سقوط السماء و أكثرها تفصيلا .

يقول النص على لسان الملك الذى يقوم باعادة تكرار قصة الخلق :-

** عامودا ال "دجد" قائمان فى السماء , أما الحصى (الدبش) فقد سقط على الأرض **

و المغزى أو الدور الذى يقوم به عامود ال "دجد" فى منظومة الخلق هو دعم السماء و حفظها

مرفوعة عن الأرض .

يتحدث النص عن وجود نسختين من عامود ال "دجد" الواقف فى موضعه كاملا سليما , و يقارن بينهما و بين شئ آخر فى حالة تمزق أشبه بفتات أو قطع متكسره أو دبش .

و برغم أن ترجمة كلمة حصى أو دبش غير دقيقة تماما , الا انها تعبر عن فحوى النص و هو وصف قطع متكسره متناثره تسقط من السماء .

و النصوص لم توضح ما هو السبب فى تكسر تلك القطع و سقوطها من السماء .

جاء فى متون الأهرام أن ست جعل أوزيريس يسقط على الأرض , و لذلك يطلق على أوزيريس أحيانا لقب الذى يسقط على الأرض "آكو تا" (aku-ta) .

تروى متون التوابيت نفس الواقعة و لكن بأسلوب مختلف , حيث تقول أن أوزيريس سقط من السماء على الأرض و احتضن الأرض فى مدينة "نديت" (Nedyt) ,

و يقال أيضا أنه فقد احدى أسنانه حين سقط فى ذلك الموضع .

يتضح مغزى هذه الأسطورة اذا نظرنا لأوزيريس باعتباره رمزا للكون أثناء مراحل نشأته و تطوره و لذلك فان عناصر الخلق قذفت فى بعض مراحل تطور الكون من الأرض للسماء , ثم عادت و سقطت من السماء الى الأرض فى مرحلة اخرى .

و هو ما يفسر لنا بعض النصوص الغامضة التى وصفت الأرض بأنها انقلبت رأسا على عقب فى مرحلة من مراحل نشأتها و تطورها .

و هنا قد يبدى القارئ اندهاشه من فكرة سقوط أوزيريس من السماء الى الأرض , بينما هو رب العالم السفلى . و لكن من الصعب العثور على تفسير لتلك الفكرة .

يذكر النص رقم 908 من متون التوابيت أن أنوبيس هبط من السماء للأرض لكى يعتنى بأوزيريس , و هو ما يعنى أن أنوبيس لعب دورا فى تطور الأرض .

و أنوبيس هو أحد أرباب العالم السفلى و هو حارس مداخل ذلك العالم .

و فى النص رقم 816 من متون التوابيت يظهر أنوبيس و هو يقوم بكسر الحديد فى السماء , و هو تعبير مجازى عن فتح جوف الأرض الأزلية .

أى أن أنوبيس من أرباب العالم السفلى و قد صعد الى السماء , ثم عاد و هبط الى الأرض .

و كذلك "جب" و هو رب الأرض , تصفه بعض النصوص بأنه صعد فى مرحلة ما من مراحل نشأة الكون الى السماء , ثم تصفه نصوص أخرى بأنه عاد و سقط مرة أخرى على الأرض .

و فى المشاهد التى ظهرت فى عصر الدولة الحديثه يظهر "جب" و هو راقد تحت جسد زوجته و أخته "نوت" فى وضع غريب أشبه بشخص سقط من مكان مرتفع و يحاول النهوض من سقطته بلوى جذعه و لكنه لا يستطيع .

و مما يؤكد على العلاقة الوثيقة بين "جب" و بين السقوط على الأرض أن هناك علاقة اشتقاقية بين اسم "جب" و بين الفعل "جبجب" (gbgb) و معناه "يسقط سقوطا مروعا" .

و هناك أسطورة أخرى تتحدث عن حية قذفت من جوف الأرض الى السماء فى الزمن الأول و لكنها عادت و سقطت مرة أخرى على الأرض , ثم ابتلعتها الأرض فى جوفها مرة أخرى .

توصف تلك الحية بأنها حية نارية و بأن لها أنياب سامة تغرسها فى تراب الأرض .

تعود جذور تلك الأسطورة التى متون الأهرام , حيث نقرأ فى نصوصها :-

** الحية تبتلعها حية أخرى .. أيتها الأرض ابتلعى ما خرج منك .. أيتها الحية اسقطى الى الأرض و ازحفى بعيدا **

** أيتها الحية التى قذفت من جوف الأرض , اسقطى فوق الأرض مرة أخرى .. أسقط أيها اللهيب الذى انبثق من "نون" .. اسقط و ازحف بعيدا **

** ها هو الثعبان ابن الأرض يسقط رأسا على عقب .. ها هو اللهيب الذى قذف من جوف "نحب - كاو" يحترق و تنبعث منه السموم .. ها هو الثعبان يموت **

جاء ذكر الثعبان الذى سقط من السماء فى نصوص أخرى فى صورة مجموعة مكونة من سبع حيات كوبرا , تحولت بعد ذلك الى الفقرات السبع لعظام رقبة "نحب - كاو" و الذى يطلق عليه لقب " ثور التاسوع" .

و برغم وصف الثعبان بأنه سام و نارى , الا أن النصوص لم تربط بينه و بين ست الا فى العصر المتأخر حيث جاء فى احدى الأساطير أن "ست" دخل الى جوف الأرض على هيئة ثعبان يصدر

عنه صوت هسهسه .

وصفت النصوص المصرية القديمة نتائج حدث سقوط السماء على الأرض فقالت أن ذلك الحدث أدى لاخصاب الأرض و ظهور النباتات و المحاصيل .

يقول النص رقم 80 من متون التوابيت على لسان "شو" :-

** أنا الحياة التى جسدها آتوم فى صورة رب الغلال , حين جعلنى آتوم أهبط الى هذه الأرض , الى جزيرة النار .. حين تحولت الى أوزيريس ابن "جب" **

يصف النص "شو" بأنه لعاب آتوم الذى سقط على الأرض , و بأنه العاصفه النيزكية و الضباب .

و بأنه بعد أن قذف الى السماء , عاد و سقط على الأرض , أو بمعنى أدق سقطت أجزاء من سوائل جسده على الأرض فأصبحت هى البذور التى غرست فى تربة الأرض و أخرجت منها النبات .

اقترنت فكرة تخصيب الأرض فى الكتب الدينية المصرية فى أغلب الأحيان بفكرة تقديم "ست" و أتباعه أضحية . جاء فى أحد النصوص التى تنتمى لمدينة "هنن - نسو" (هيراكليوبوليس / اهناسيا بمحافظة بنى سويف) أن دم "ست" هو الذى أخصب تربة الأرض . يقول النص :-

** حين رأى ست ما فعله رع لأوزيريس , أتى و وضع وجهه فى الأرض فسال دمه من أنفه , و هكذا بدأ الانبات فى "هنن - نسو" (Henen-nesu) **

كان قدماء المصريين يعيدون تمثيل أحداث هذه الأسطورة فى الاحتفال السنوى بحرث الأرض فى مدينة "هيراكليوبوليس" (اهناسيا) .

و فى مراسم الاحتفال يقام طقس حرث التراب الذى يحوى الدم الذى سال فى هيراكليوبوليس .

و هنا تجدر الاشارة الى أن بعض روايات قصة الخلق استبدلت السائل المنوى الذى قذفه الاله فى الأزل ليخرج منه بذور الخلق بالدم .

و فى أساطير مدينة "دجدو" (بوزيريس / أبو صير بنا / مركز سمنود محافظة الغربية) نقرأ أن الأرض استمدت خصوبتها من دم ست و أتباعه الذين تم ذبحهم كأضاحى على هيئة ماعز .

و كان سكان مدينة "بوزيريس" (أبو صير بنا) يعيدون تمثيل أحداث الأسطورة فى الاحتفال السنوى

بحرث الأرض , حيث يقال أن الأرض تحرث بدماء ست و أتباعه كما حدث فى الزمن الأول .

<u>ملخص الفصل الثانى عشر :-</u>

* كانت العين فى الديانة المصرية القديمة رمزا للربة الكونية العظيمة , و هى تمثل الكون الأزلى فى مراحل نشأته و تطوره .

* انطلقت العين و انتشرت فى أرجاء الكون الأكبر وسط حدث كارثى عنيف مصحوب باندلاع نيران أحدثت فوضى فى السماء و فى العالم السفلى .

* و بعد فترة من الزمن أخمدت النار , و أزيحت الغيوم . ثم تجسدت العين الوحيدة فى هيئة عينين هما الشمس و القمر , لينظر الاله للعالم من خلالهما .

* تصف النصوص المصرية القديمة تشكل الشمس و القمر (العينان) بأنه عملية نسج عناصر كونية , و هو ما قد يكون وصفا لتشكل الشمس و القمر على المستوى المادى .

و يبدو من النصوص التى تناولت ذلك أن الحجارة و المعادن هى جزء من العناصر التى تدخل فى تكوين الشمس و القمر و النجوم .

* يرمز بكاء العين الذى جاء ذكره فى العديد من الكتب الدينية المصرية الى سقوط عناصر أو معادن قذفت من جوف الأرض الى السماء حين كانت السماء ما زالت تتشكل و فى حالة فوضى , ثم عادت و سقطت على الأرض مرة أخرى فى مرحلة لاحقة من مراحل تطور الكون .

لعبت هذه العناصر أو المعادن دورا هاما فى تشكيل الأرض و تخصيبها و مهدت الطريق لنشأة الحياة فيها و لظهور مملكة النبات و الحيوان و البشر .

عبر قدماء المصريين عن نفس الفكرة بشكل أوسع فى مجموعة أخرى من الأساطير تحدثت عن سقوط السماء على الأرض , و هو حدث كانت نتيجته هى نفس نتيجة بكاء العين .

* كانت عين الشمس النارية فى نظر قدماء المصريين رمزا للعين الوحيدة حين اندلعت منها ألسنة اللهيب فى الزمن الأول , و هو رمز لحدث كونى أزلى أشبه بانفجار نارى .

أما عين القمر الهادئة و التى تزداد و تنقص حسب دورة القمر فكانت فى نظر قدماء المصريين

رمزا لاصابة العين الوحيدة و شفاءها و عودتها مرة أخرى لحالتها السابقة , حيث تقول الأسطورة أن ست سرقها , و لكن حورس أعادها مرة أخرى .

الفصل الثالث عشر

حورس و ست

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 215) :-

** تصدعت الأرض يا "حورس" , حين ولدتك أمك .. و ارتعدت السماء يا "ست" , حين حملت بك أمك **

صادفنا خلال بحثنا فى هذا الكتاب أكثر من مرة فكرة تهديد النظام الكونى "ماعت" من قبل قوى الفوضى "اسفت" , و هى فكرة تنعكس بشكل خاص فى أسطورة حورس و ست .

كان الصراع ثم المصالحة بين هذين الغريمين فى بدء الخليقة هو الصورة الأولية أو نموذج النشأة الأولى التى قام عليها مفهوم توحيد الأرضين (مصر العليا و مصر السفلى) فى مصر القديمة .

و كان حكم "جب" الذى كان يرأس محكمة التاسوع بأحقية حورس فى ميراث عرش أبيه أوزيريس هو الصورة الأولية لتتويج ملك مصر الذى يعتبر تجسيدا لحورس و بالتالى فهو انتصار لقوى النظام الكونى على قوى الفوضى التى يمثلها ست .

كانت أسطورة حورس و ست من أقدم الأساطير فى مصر القديمة و أكثرها حيوية و قدرة على الاستمرار و الانتقال عبر أجيال طويلة .

احتار علماء المصريات فى كيفية تفسير مجموعة الأساطير التى تدور حول حورس و ست .

قام بعض الباحثين بتفسير الصراع بين الغريمين باعتباره أحداثا تاريخية وقعت فى وادى النيل قبل عصر الأسرات و اتخذت شكل سلسلة من الحروب بين معسكرين متنافسين .

و فسر البعض الآخر الصراع بين حورس و ست باعتباره أحداثا فلكية تتعلق بحركة الأجرام السماوية مثل حركة الشمس عند الشروق و الغروب و فى الانقلاب الصيفى و الانقلاب الشتوى , و حركة القمر كل شهر ما بين زيادة و نقصان , و كسوف الشمس و خسوف القمر , و أيضا فى

تغير مواضع النجوم فى قبة السماء نتيجة لظاهرة السبق (precession of the equinoxes)

و هناك من نظر للتصالح بين حورس و ست باعتباره تأملات فلسفية لقدماء المصريين حول طبيعة الصراع فى الكون و للحاجة لمواجهة قوى الفوضى و فى نفس الوقت التطلع للمصالحة و السلام .

و اذا تأملنا التفسيرات الثلاثة السابقة واحدا بعد الآخر , سنجد أن التفسير الأول غير مقبول .

و التفسير الثانى قد يكون مقبولا فى بعض الحالات , و لكنه لا يصلح أن يكون تفسيرا شاملا لكل جوانب الأسطورة .

أما التفسير الثالث , فهو على الطريق الصحيح و لكن مشوش بعض الشئ .

أوضحت فى الفصول السابقة من هذا الكتاب أن أسطورة حورس و ست تعبر عن التهديد الدائم للنظام الكونى من قوى الفوضى و الظلام , و التى لا تفنى , و انما هى تجدد نفسها بشكل مستمر و تعيد تكرار ما فعلته فى بدء الخليقة . قد يبدو ذلك أيضا تفسيرا مشوشا فى نظر القارئ .

و فى الحقيقة ان أى من التفسيرات السابقة لم يقدم الأدلة التى تكفى لجعل ذلك التفسير مقبولا , و لذلك لا تزال التفسيرات المختلفة تتوالى فى محاولة للوصول الى صورة أوضح لذلك الصراع الأزلى بين الغريمين .

على سبيل المثال , فى عام 2002 ميلادية قدمت الباحثه الانجليزية "روزالى ديفيد" (Rosalie David) أطروحه لدعم التفسير التاريخى للصراع بين حورس و ست , على الرغم من أن عالم المصريات "هنرى فرانكفورت" أعلن فى عام 1948 ميلادية رفضه للتفسير التاريخى لحروب حورس و ست , و وصفه بأنه تفسير عقيم و غير مطابق للواقع .

هناك حاجة لتفسير شامل لأسطورة حورس و ست لا تكتفى فقط بنظرة عامة على الأسطورة و انما تبحث أيضا فى تفاصيل أحداثها لتفسر كل حدث منها فى ضوء سياق واحد يجمع كل هذه الأحداث .

فى هذا الفصل سأذهب فيما وراء النظر العامة لأسطورة حورس و ست لأوضح للقارئ أن الغريمين هما فى الحقيقة من رموز الاله الخالق , و قد شاركا معا فى منظومة الخلق .

يرمز الغريمان (حورس و ست) للكون الأزلى الذى مر بمراحل مختلفة من الموت و الميلاد من جديد و التطور .

ان الصراع بين حورس و ست للسيطرة على الكون هو تعبير مجازى عن أحداث كونية أزلية وقعت فى مراحل مبكرة من نشأة الكون بدأت بفترة زمنية سادت فيها الفوضى – كما سأبين للقارئ فى هذا الفصل .

و كذلك حدث توحيد الأرضين (مصر العليا و مصر السفلى) , هو أيضا حدث من أحداث نشأة الكون , و ليس حدثا سياسيا .

عين حورس و خصية ست :-

من الأحداث التى ارتبطت بالصراع بين حورس و ست – كما وصفته متون الأهرام – حدث اصابة عين حورس و بتر خصيتى ست .

فى النص رقم 359 و 570 من متون الأهرام نقرأ هذه العبارات :-

** صرخ حورس حين أصيبت عينه .. و صرخ ست حين اقتلعت خصيته **

** سقط حورس حين أصيبت عينه .. و تألم ست حين اقتلعت خصيته **

** أتى الجيل الأول من الخلق للوجود قبل أن يأتى الغضب للوجود .. و قبل أن تأتى الضوضاء للوجود .. و قبل أن يأتى الصراع للوجود .. و قبل أن تقتلع عين حورس .. و قبل أن تمزق خصيتى ست **

ما الذى يعنيه ذلك ؟

دعونا نتأمل أولا رمزية عين حورس , ثم ننتقل بعد ذلك الى خصيتي ست .

عين حورس هى محور الصراع بين حورس و ست .

تقول متون الأهرام أن ست اقتلع عين حورس و اختطفها و ذهب بها بعيدا .

تقول احدى الروايات أن ست بعد أن اختطف العين وضعها فوق رأسه , و تقول رواية أخرى انه خبأها أو حاول تدميرها بأن أغضبها أو دهسها بقدميه أو التهمها .

و لكن حورس استرد العين و قدمها قربانا لأبيه أوزيريس , لكى يرد فيه الروح و يبعثه من جديد .

و تقول احدى الروايات القديمة للأسطورة أن حورس قدم العين قربانا لجسده الراقد فى ال "دوات"

و الذى بدأ فى التعفن لكى يوقف تحلل الجسد و يعيد اليه الحياة , و فى تلك الرواية يطلق عليه اسم حورس الدوات , أى حورس العالم السفلى .

جاء فى احدى روايات الأسطورة أن ست هاجم العين فى الجانب الشرقى من السماء (تحت خط الأفق الشرقى) , و لكنه بعد ذلك وضعها فوق رأسه فى ساحة المعركة فى هليوبوليس .

تظهر العين فى أحداث الأسطورة بوجه عام فى صورة سلبية – باستثناء حالة واحدة او اثنتين , و هو شئ غير طبيعى و قد يعنى أن تلك الفكرة أضيفت لأحداث الأسطورة فى مرحلة لاحقة .

ان امتلاك حورس للعين يرمز لخلق النور و الحياة بينما يرمز امتلاك ست للعين لتوقف الخلق (العقم) و لهيمنة الظلام على الكون .

و قد عبر المصرى القديم عن ذلك تعبيرا شاعريا حين وصف الغريمين و هما يتصارعان حول رمز يحوى المعنى الذى يدور حوله الصراع الكونى , ألا و هو خلق النور و النظام .

استوحى قدماء المصريين فكرة قيام ست بفقأ العين و اخفاءها و التهامها من صورة القمر فى السماء و هو ينقص تدريجيا ثم يختفى .

و ظهور القمر من جديد يوحى بأنه تم انقاذه و استعادته , كما توحى زيادته التدريجية فى النصف الأول من الشهر القمرى بأنه استرد عافيته و شفى من جراحه .

و لكن القمر ما هو الا رمز للعين الوحيدة التى أتت للوجود قبل خلق القمر و الشمس و السماء , و التى تحدثت عنها فى الفصل الثانى عشر و ذكرت أنها ترمز للكون الأزلى .

ان أول اصابة فى تاريخ الكون هى تمزق العين . و أعتقد أن ذلك التمزق هو رمز للحالة الأزلية التى كان عليها الكون حين كانت عناصره فى حالة تفكك .

تقول الأسطورة أن ست هو الذى هاجم العين , و بذلك جعل مدونو الأسطورة ست مسؤولا عن حالة التمزق و التفكك التى سادت الكون فى بداياته , كما اتهموه أيضا بالمسئولية عن حالة التمزق التى صار اليها جسد أوزيريس .

و اذا انتقلنا الى خصية ست , سنجد أن رمزيتها لا تتضح بسهولة من المصادر التى ذكرناها حتى الآن . و بعكس عين حورس , فان خصية ست لا تعتبر كيانا الهيا قائما بذاته .

ان فكرة بتر خصيتيى ست تتشابه مع فكرة بتر ساقه الأمامية , و فى كلا الحالتين ينسب فعل البتر لحورس .

و الساق الأمامية كانت فى الأصل جزءا من جسد ثور السماء , ثم تحولت الى أرواح النجوم القطبية الشمالية . و هنا علينا أن ننتبه الى أن ست كان يصور فى بعض الأحيان على هيئة ثور يقوم حورس بتقطيعه و تقديمه لتتغذى عليه ال "نترو" . و هو ما يجعلنا نعتقد أن خصية ست هى خصية ذلك الثور السماوى .

و بعكس الساق الأمامية للثور و التى كان مصيرها بعد بترها أن تحولت الى أرواح النجوم الشمالية , نجد أن مصير الخصيتين بعد بترهما غير معروف . فلم يتحدث أى نص عن تحول الخصيتين الى نجوم فى السماء على سبيل المثال و لا الى شئ آخر . و لا يوجد أى اشارة لوجود علاقة بينهما و بين الشمس و القمر .

يمكننا أن نلقى نظرة أعمق على خصيتي ست من خلال نصوص بردية الرامسيوم (Ramesseum Dramatic Papyrus) التى تنتمى لعصر الدولة الوسطى , و التى أرخت للاحتفال باليوبيل الثلاثينى للملك سنوسرت الأول فى سلسلة من المشاهد الدرامية .

فى أوج هذا الاحتفال , يمسك الملك (الذى يجسد حورس) باثنين من الصولجانات يرمزان لخصيتي ست . و يخاطب النص المصاحب الملك و يحثه على أن يدمج الصولجانين فى جسده لكى يزيد من قوته .

يلقى هذا المشهد الضوء على أحد نصوص التوابيت الغامضه و التى يبدو أنها تصف طقسا مماثلا لهذا المشهد , حيث يقول تقول ايزيس :-

** لقد أحضرت ما يبهج قلب ست .. لقد أعطيتك ما يبهج قلب ست .. ها قد منحتك اياهما لتمسك بهما , و تلحقهما بجسدك **

يظهر النص السابق ملحقا بنص تقديم عينى حورس كقربان , حيث يقال عنهما أيضا أنهما تبهجان القلب بمجرد أن تلتصقا بالجسد .

ان ابتهاج القلب (و الذى عبر عنه النص بلفظ اتساع القلب) هو بلا شك رمز لاتساع الكون الأزلى

و ربما كان المقصود فى ذلك السياق أن خصية ست لها تأثير على ميلاد عيني حورس , و هما الشمس و القمر .

يبدو هذا التفسير معقولا . لأن أقدم الأساطير تقول أن آتوم خلق الكون بأن قذف بذور الخلق من ذاته على هيئة سائل منوى . و فى طقوس اعادة تكرار قصة الخلق يقوم الملك باعادة اخصاب السماء بنطفته . أما أساطير العصرالمتأخر فتقول أن بذور الخلق قذفت من خصيتى ثور السماء و من عضوه الذكرى .

ان موضع الخصيتين أسفل جسد الثور فى مقابل موضع العينين العالى فوق الجبين هو الذى دعا قدماء المصريين للتعبير عن نفس الفكرة بصور جوالين من البذور فى العالم السفلى , حيث يقال أن الشمس و القمر خلقا من هذين الجوالين .

جاء فى أحد متون التوابيت أن حورس قد حمل خصيتى ست , و هو ما قد يدل على أن حورس هو الذى رفع بذور الشمس و القمر من العالم السفلى الى السماء .

لا تقتصر رمزية خصيتيى ست على الشمس و القمر فقط , و انما قد تكون رمزا لبذور الخلق جميعا . و لذلك فان اقتلاع حورس لخصيتي ست قد يعنى امتلاكه القدرة على أن يخلق .

باختصار , يمكننا أن ننظر لعين حورس و خصية ست على أنهما رموز لعبت دورا هاما فى اعادة خلق الكون .

ان صراع حورس و ست على امتلاك هذه الرموز المرتبطة بالخلق يدل على أن الغريمين (حورس و ست) يمثلان الكون الأزلى فى بداية مراحل نشأته و تطوره .

<u>أساطير التمزق :-</u>

اذا كان حورس و ست يمثلان الكون , فمن المتوقع أن نعثر على أساطير تحكى عن تعرضهما للموت و التمزق ثم عن ميلادهما من جديد , كما حدث للكون الذى مات و تمزق ثم عاد و بعث من جديد . و عند البحث لن نصاب بخيبة أمل .

فاذا بدأنا بحورس , سنجد على سبيل المثال أن النص رقم 532 من متون الأهرام يخبرنا أن

حورس كان له جسد ميت (مذبوح) مثل جسد أوزيريس و أن ذلك الجسد تعرض لخطر التحلل و التعفن يقول النص :-

** يا حورس , ها قد أتتك ايزيس و نفتيس .. و قد عثرتا على جسد أوزيريس الذى طرحه ست أرضا .. لقد اعتنت ايزيس و نفتيس بجسدك كى لا يتحلل و يتعفن كما فعلتا مع جسد أوزيريس , و لذلك كان اسمك "حورس حاتى" .. لقد اعتنت ايزيس و نفتيس بجسد حورس الشرق و حالتا دون تحلله و تعفنه .. لقد اعتنت ايزيس و نفتيس بجسد "حورس سيد النبلاء" و حالتا دون تحلله .. لقد اعتنت ايزيس و نفتيس بجسد "حورس سيد الأرضين" و حالتا دون تعفنه **

من المحتمل أن أسطورة موت و تمزق جسد حورس كانت موجودة فى مصر القديمة قبل عصر متون الأهرام , ثم تم دمجها بعد ذلك العصر مع أسطورة موت و تمزق جسد أوزيريس , و خاصة أن أوزيريس بالنسبة لحورس هو الجسد الذى ولدت منه الروح .

و قد جاء ذكرتمزق جسد حورس فى موضع واحد فقط من متون الأهرام و هو النص رقم 260 , الذى يقول :-

** أنا حورس , و ريث أبى (أوزيريس) .. ستعود لى عروش جب , لكى أصعد الى ما كنت أرغبه .. لقد التحمت من جديد أعضاء جسدى التى كانت مختفية , و التحقت بأولئك الذين فى "نون" **

يوحى هذا النص بأن جمع أجزاء جسد حورس هو الذى أدى لارتفاع التل الأزلى (عروش جب) .

وردت فكرة تمزق جسد حورس أيضا فى الأسطورة التى تتحدث عن قطع أذرع حورس و هى من تراث مدينة "هيراكونبوليس" (الكوم الأحمر) و التى يطلق عليها بالمصرية القديمة "نخن" .

و قد حفظت مدينة "نخن" أسطورة أذرع حورس المقطوعة حين جعلت منها أدوات تستخدم فى الطقوس الدينية . و هناك اشارة لهذه الأسطورة فى متون التوابيت , حيث يقول النص رقم 158 :-

** أنا أعرف سر أسرار مدينة "نخن" .. هذا السر هو أذرع حورس ابن أمه (ايزيس) , و هى الأذرع التى ألقيت فى الماء حين قالت ايزيس "أيتها الأذرع , ستكونى أنت الجزء المقطوع من حورس بعد أن يعثر عليك" **

يروى أحد النصوص التى تنتمى لعصر الدولة الحديثه أسطورة قطع أذرع حورس من منظور آخر

, حيث يقول أن ايزيس هى التى قطعت أذرع حورس وألقتها بعيدا بعد أن اكتشفت وقوع اتصال جنسى مثلى بينه و بين ست و سنتناول هذه القصة بتفصيل أكثر لاحقا .

و برغم أن فكرة تقطيع جسد حورس لم تكن موضوعا رئيسيا فى الكتب الدينية المصرية (مثل تقطيع جسد أوزيريس) , الا انها على ما يبدو كانت أقوى من أن تندثر بمرور الزمن .

فقد استمر ظهور هذه الفكرة فى الأساطير المصرية منذ عصر متون الأهرام (الدولة القديمة) و حتى القرن الأول الميلاد حين دون الفيلسوف الاغريقى بلوتارك قصة ايزيس و أوزوريس و أشار فيها الى فكرة تقطيع جسد حورس .

و اذا انتقلنا الى ست , سنجد أن هناك العديد من الاشارات فى النصوص الدينية المصرية لتقطيع أجزاء جسده . على سبيل المثال , يظهر ست فى النص رقم 580 و 670 من متون الأهرام فى هيئة ثور برى يتم تقطيع جسده الى أجزاء لتصير طعاما للنترو (الكيانات الالهية) .

و قد ذكرنا فى مواضع سابقة من هذا الكتاب أن حورس قام بقطع الساق الأمامية ل "ست" (و هو على هيئة ثور) .

و هناك أيضا نصوص ذكرت أن هناك سكينا يتم شحذها خصيصا لذبح قاتل أوزيريس , و فى تلك النصوص لا يتضح تماما اذا ما كان ست يتخذ هيئة ثور أم هيئة ثعبان .

أما أوضح النصوص التى تناولت فكرة تقطيع جسد ست فنجده فى معبد ادفو , و خصوصا فى الأسطورة التى تعرف لدى علماء المصريات باسم "أسطورة انتصار حورس" , و هى تحتوى على سلسلة من المشاهد الدرامية التى يظهر فيها ست فى هيئة ذكر فرس نهر يتم طعنه بعشرة حراب يمسكها كل من حورس و ملك مصر . و بعد الطعن بالحراب , يتم تقطيع أجزاء جسد ست و توزيعها على ال "نترو" الذين يلتهمونها و هم مبتهجون .

و فى المشهد الأخير , يتم تقديم فرس النهر (ست) كأضحية على هيئة كعكة تقطع و توزع .

و يعتبر تقطيع الكعكة صورة أخرى من صور تقطيع جسد ست الذى تم تقطيعه و هو على هيئة فرس نهر . تقول نصوص معبد ادفو :-

** أحضروا فرس النهر (ست) على هيئة كعكة .. أنا جزار رع الماهر الذى يقطع جسد فرس

النهر .. لقد هلكت يا ست .. لقد قتلت يا ست , و سقطت و انسحقت و تقطعت **

تنعكس فكرة تمزق حورس و ست أيضا فى أن لكل منهما أتباع أو رفقاء أو أبناء .

جاء ذكر أبناء حورس فى متون الأهرام باعتبارهم الكيانات الالهية التى اجتمعت و التحمت معا فى كيان واحد لكى ترفع أوزيريس للسماء .

و قد ذكر اثنان من النصوص أن أبناء حورس اجتمعوا فى المكان الذى غرق فيه أوزيريس , أى فى "نون" . و حورس هو الذى يجمع أبناءه و يقدمهم لأبيه أوزيريس .

و لكن هناك نص واحد قال ان أبناء حورس عادوا و اتحدوا به مرة أخرى , و هو ما يشير الى وجود حالة من التوحد سبقت حالة التمزق , ثم العودة مرة أخرى الى التوحد .

وصف أبناء حورس فى العديد من المواضع بصيغة الجمع بدون تحديد العدد , و لكن فى الغالب يطلق على أبناء حورس لقب "أبناء حورس الأربعة" .

أما أبناء ست فيوصفون دائما بأنهم أتباعه . و كما يتم جمع أبناء حورس و تقديمهم لأوزيريس كذلك أبناء أو أتباع ست يتم جمعهم و تقديمهم لأوزيريس , و غالبا ما يكون ذلك بصحبة أبناء حورس .

فى متون الأهرام , يطلق على أبناء أو أتباع ست لقب "الأعداء" أو "الآثمين" أو "الذين يصنعون الفوضى" .

و فى متون التوابيت يطلق عليهم "أبناء العاجز/العاقر , الذين أهلكهم رع ليلة الصراع" .

ان فكرة جمع أبناء كل من حورس و ست فى مجموعة واحدة و تقديمها لأوزيريس هى امتداد لفكرة تمزق جسد حورس و ست .

فى النص رقم 364 من متون الأهرام يتزامن جمع أبناء حورس مع جمع أجزاء جسد أوزيريس الممزق . و هو تعبير مجازى عن اعادة بناء الكون من جديد , و بشكل خاص التل الأزلى .



(أوزوريس , خلفه ايزيس , و أمامه أبناء حورس الأربعة يخرجون من زهرة لوتس نبتت من تحت عرشه)

و هنا تجدر الاشارة الى أن هناك بعدا من أبعاد الكون أطلق عليه قدماء المصريين اسم "تلال حورس و تلال ست" , و هو بعد ينتمى فى الأصل الى "جب" (رب الأرض) .

على سبيل المثال , يقول النص رقم 306 من متون الأهرام على لسان "جب" :-

** ان تلالى هى تلال حورس و تلال ست **

و هذه التلال قد تكون رمزا لجمع أبناء حورس و أبناء ست فى كيان واحد .

أى أن جمع أبناء حورس و أبناء ست يرمز لتشكيل التل الأزلى أو الأرض الأزلية .

و لكن ما الذى نعرفه عن تلك التلال ؟

يخاطب أحد نصوص الأهرام الملك الذى بعث من جديد و يحثه على أن يستدير و يحكم تلال حورس و تلال ست . فبعد أن ارتفع من هاوية "نون" فوق عرشه الحديدى , و بعد أن ظهر فوق الطريق الصاعد يقوم الملك بالطواف حول التلال على رأس التاسوع و كأنه يطوف حول الأرض

و يقول النص رقم 665 من متون الأهرام أن تلال حورس و تلال ست بها مقابر .

و ربما كان ذلك اشارة لموت أبناء حورس و أبناء ست و دفنهم فى الأرض , أو بعبارة أخرى اندماجهم فى جسد الأرض بعد أن قاموا بدورهم فى تشكيلها .

كما ترتبط تلال حورس و تلال ست أيضا بأبعاد كونية أخرى مثل حقول الايارو . حيث وصفت التلال فى اثنين من النصوص بأنها (بيت ال "نترو" الذين عادوا الى كاواتهم , و الذى يقع فى الركن الشرقى من السماء) .

يوصف هؤلاء ال "نترو" بأنهم يعيشون داخل تلال حورس و تلال ست و يقدسون رع من هناك .

توصف تلال حورس و تلال ست فى النصوص بأنها عالم "تحت - أرضى" , و لكنه فى نفس الوقت عالم روحى / سماوى , و هو ما قد يكون تعبيرا مجازيا عن مراحل مختلفة من خلق الأرض و اعادة الروح لها .

و قد يكون أيضا تعبيرا مجازيا عن بعث أبناء حورس و أبناء ست بعد أن ماتوا .

تحدثت نصوص ادفو أيضا عن ال "نترو" الذين ولدوا من جديد من تلال حورس و تلال ست .

ذكرت نصوص معبد ادفو ما يعرف ب "التلال المقدسة للأزليين" (iawt n pautiu) و وصفت الأزليين بأنهم :

** الأجداد الذين أتوا للوجود فى بداية البداية .. و الجدات اللاتى خلقن فى الزمن الأزلى .. و الذين تحولت أجسادهم الى أجساد الهية مقدسة فى تلال الأرضين **

و قد علقت الباحثه "ايف ريموند" التى قامت بترجمة نصوص معبد ادفو على النص السابق قائلة :-

*** اعتقد قدماء المصريين فى تحول أجساد و صور القوى الكونية الأزلية الى أجساد الهية مقدسة , و اعتقدوا أن ذلك التحول حدث فى تلال الأرضين المقدسة . و هو تعبير مجازى عن أن القوى الكونية الأزلية التى كانت موجود قبل بدء الخليقة قد مرت بمراحل تطور . و ربما أعقب ذلك تكريس أو تقديس للصورة النهائية لأجسادهم , و هو ما أشارت له نصوص معبد ادفو بأنه تحول أجساد ال نترو لأجساد مقدسة فى تلال الأرض ***

فى ضوء ما جاء فى نصوص معبد ادفو يمكننا أن نخلص الى أن أبناء حورس و أبناء ست تحولوا

هم أيضا الى أجساد الهية مقدسة فى تلال حورس و تلال ست (أى فى تلال الأرضين) .

و لما كانت تلال حورس و تلال ست تنسب فى الأصل الى "جب" (رب الأرض) , فمعنى ذلك أن جب هو الذى قام بجمع أبناء حورس و أبناء ست ليشكل منهم التل الأزلى , و ربما الأرض كلها .

و هناك ثلاثة مواضع من نصوص الأهرام ربطت بين تلال حورس و تلال ست و بين جمع مدن و أقاليم مصر و الذى قام به آتوم فى حضرة جب .

و قد ذكر أحد هذه النصوص أن جمع مدن و أقاليم مصر تزامن مع جمع أراضى ال "مسنو" , وهى كلمة غير معروفة , و لكنها قد تكون اشارة لتلال حورس و تلال ست .

و لتلال حورس و تلال ست نسخة روحانية (سماوية) تقع فى الجانب الشرقى من السماء .

كما وصفت بعض النصوص ست و حورس بأن كل منهما يسكن فى تلاله , و هو ما قد يعنى أن هذه التلال هى رمز الأرض الأزلية أثناء مرورها بمراحل تطور عديدة .

<u>ميلاد الغريمين (حورس و ست) من جديد :-</u>

اذا كان حورس و ست يرمزان للكون أثناء مراحل نشأته و تطوره , فمن المتوقع أن يكون هناك أساطير تتحدث عن بعثهما أو ميلادهما من جديد , أى ظهورهما من الأرض الأزلية و المياه الأزلية و انطلاقهما فى أنحاء الكون الأكبر .

و من المتوقع أيضا أن تعكس هذه الأساطير الأحداث الكونية العنيفة التى صاحبت ذلك المخاض الكونى و الذى عبر عنه قدماء المصريين بفتح فم الأرض أو جوفها و بالعاصفه الكونية النارية التى أحاطت بالأرض و السماء فى مراحل مبكرة من نشأة الكون .

و اذا بحثنا عن مثل تلك الأساطير فلن نصاب بخيبة أمل .

جاء فى احدى الأساطير أن حورس و ست صارع أحدهما الآخر فى هليوبوليس , و هى المدينة التى ترمز للكون الأزلى , و التى شهدت قيام آتوم بخلق التاسوع و كذلك اعادة جمع أجزاء جسده ليخلق منه التل الأزلى .

جاء فى النص رقم 260 من متون الأهرام على لسان حورس بعد أن جمع أجزاء جسده الممزق

داخل "نون" (المياه الأزلية) :-

** سأضع حدا للصراع الذى يحدث فى هليوبوليس .. لأنى سأبعث اليوم من جديد على هيئة روح حية .. لكى أوقف الصراع و أقطع دابر الذين يسببون الفوضى **

يتناول النص رقم 7 من متون التوابيت نفس الفكرة بتفاصيل أكثر حيث يقدم لنا تفسيرا لنشأة البحيرة المقدسة فى مدينة هليوبوليس .

** تصدعت الأرض حين كان الغريمان (حورس و ست) يتصارعان .. و حفرت أقدامهما أرض البحيرة المقدسة بهليوبوليس .. ها هو تحوت يأتى بجلاله , فينتهى الصراع و الفوضى , و تنطفئ النيران التى اندلعت من قبل و يهدأ الغضب أمام المحكمة الالهية حيث يجلس تحوت لينطق بالحكم فى حضرة جب **

و الزمن الذى وقع فيه ذلك الحدث غير واضح تماما , و لكنى أعتقد أنه يشير بوجه عام الى ميلاد حورس و ست من جديد من الأرض الأزلية .

فالعبارات ترسم صورة للأرض و هى تتصدع و تتكسر (كقشرة البيضة التى تفقس) عند خروج حورس و ست منها , بينما تهبط الأرض فى هليوبوليس الأزلية صانعة حفرة تتحول الى بحيرة مقدسة أثناء صعودهما الى السماء , أو بالأحرى أثناء تشكل السماء .

و النيران التى جاء ذكرها فى النص السابق هى رمز الانفجار النارى الذى صاحب فتح جوف الكون القديم . أما الغضب فى محكمة جب , فهو رمز تزلزل قلب الأرض .

و أما ظهور تحوت فى المشهد فهو يرمز للتصالح بين حورس و ست و الاستعداد للدخول فى مرحلة جديدة من التناغم و الوحدة بعد فترة الفوضى .

و هناك نصوص أخرى ربطت بين صراع حورس و ست و بين مدينة هرموبوليس (الأشمونيين) .

و برغم قلة التفاصيل , الا أن متون الأهرام أشارت الى حدوث فوضى فى مدينة هرموبوليس و تقول أن حورس و ست قد صارع كل منهما الآخر مستخدما القادوم , و هو الأداة التى استخدمت فى الأزل فى فتح فم الأرض الأزلية أو جوفها .

و هرموبوليس هى مدينة التل الأزلى الذى أهلك رع فوقه أبناء العاجز / العقيم (أى أبناء ست) .

وقع ذلك الحدث الأزلى فوق تل هرموبوليس و هو ما قد يكون اشارة لانتقال الفوضى من الأرض الى السماء .

و هناك رواية ثالثة للصراع بين حورس و ست تقول أن ذلك الصراع وقع فى قلعة يطلق عليها قلعة المقرعة أو الهراوة , و التى كانت فى الأصل مسكنا لمن يطلق عليهم العظماء , كما كانت أيضا ملكا لأوزيريس و تحوت , و هى المكان الذى يحتشد فيه ال "نترو" .

ترتبط هذه القلعة ارتباطا وثيقا بالقادوم الذى يستخدم فى طقس فتح الفم , و لذلك يطلق عليها أحيانا "قلعة الاله التى على هيئة قادوم" , و هو القادوم هو الذى استخدمه حورس فى فتح فم و عين أوزيريس .

و قد يكون المقصود أن قادوم حورس هو الذى فتح جوف القلعة , و خصوصا أن هناك نصوص أخرى قالت أن قادوم حورس استخدم لفتح جوف القصر (الكون الأزلى) .

باختصار , يمكننا أن ننظر للقلعة باعتبارها رمزا للكون الأزلى .

و كما هو متوقع , هناك نسخة أخرى سماوية أو روحانية من قلعة حورس و ست جاء ذكرها فى النص رقم 359 من متون الأهرام بعبارة (تلك القلعة البعيدة هى قلعة أصحاب الكاوات , أى قلعة ال "نترو") .

و مكان القلعة السماوية هو الجانب الشرقى من السماء بالقرب من شارع النجوم "مسكت - شدو" فى الموضع الذى جعلت فيه ال "نترو" وجه أوزيريس مضيئا .

و تجدر الاشارة أيضا الى أن النسخة السماوية من قلعة حورس و ست تتصل جغرافيا بتلال حورس و تلال ست . هناك فى القلعة السماوية التى تقع فى الجانب الشرقى من السماء شفيت جراح حورس و ست . يقول النص رقم 215 من متون الأهرام :-

** أيها الملك .. أنظر الى أولئك الذين فى القلعة , الى حورس و ست .. ابصق (انفخ) فى وجه حورس لكى تشفى جراح عينه .. أمسك بخصية ست لكى تشفى جراحها **

و هكذا تشفى جراح كل من حورس و ست باصلاح ما أفسده الآخر .

و بعد شفاء الجراح , تقفز عين حورس و تنطلق من الأفق الشرقى و تطير فوق جناحى تحوت الى

السماء . و هنا يبكى كل من حورس و ست من الفرحة لعودة العين و الخصية , كل الى صاحبه .

و فى النص رقم 215 من متون الأهرام يتزامن شفاء جراح حورس و ست مع ميلادهما من جديد و هو ميلاد مصحوب بحدث عنيف كما هو معتاد مع كل مخاض كونى .

حيث يخاطب النص حورس و ست قائلا :-

** لقد ولدت من جديد يا حورس , فكنت من زلزلت الأرض لمولده .. لقد ولدت من جديد يا ست , فكنت من ارتعدت السماء لمولده **

تقول المصادر المصرية المختلفة أن أوزيريس هو من وضع بذرة حورس و أن جب هو من وضع بذرة ست , و هو دليل آخر على أن الغريمين (حورس و ست) هما رموز الكون الذى نشأ من الأرض الأزلية , لأن كل من أوزيريس و جب من أرباب الأرض .

جاء وصف مولد ست بشكل مفصل فى النص رقم 222 من متون الأهرام حيث يوصف ست بأنه دفع رحم أمه السماوية بعنف شديد . يقول النص مخاطبا روح الملك المتوفى :-

** أيها الملك , امتلك السحر العظيم و كن مثل ست الذى يسكن "نوبت" (نقادة) .. كن مثل ست ملك مصر العليا , الذى لم يفقد شيئا .. كن مثل ست الذى قذفه رحم الأم السماوية الحبلى (نوت) .. أيها الملك , ان بعثك هو الذى أنهى الليل الكونى الطويل .. فقد ولدت من جديد مثل ست حين شق طريقه و خرج من رحم أمه بعنف **

و السحر العظيم الذى يشير اليه النص ربما كان رمزا لخصية ست التى فقدها ثم استعادها مرة أخرى , لذلك يقول عنه النص السابق انه "لم يفقد شيئا" .

و بامتلاك السحر العظيم يكتسب الملك القوة الكافية لكى يشق رحم أمه السماوية و يخرج منه , و ربما يتضمن ذلك الحدث أيضا قذف بذور الخلق و تخصيب رحم الأم السماوية أثناء خروجه منه و هناك نصوص أخرى وصفت ست بأنه يمسك بسكين من الحديد , و ربما يكون هذا السكين أداة استخدمها ست فى شق طريقه للخروج من رحم الأم السماوية .

هذا الخروج العنيف من الرحم الكونى جاء ذكره أيضا فى موضعين آخرين من متون الأهرام , حيث نقرأ فى النص رقم 511 و 667 من متون الأهرام أن الملك صعد الى السماء بقوة ست .

** ها هو جب يقهقه , و نوت تصيح من البهجة و أنا أصعد الى السماء .. السماء ترتعد أمامى , و الأرض تتزلزل من تحتى , و العاصفه الثلجية (أو النيزكية) تهب من حولى .. و انا أزأر مثل ست **

** أيها الملك , فلتصعد الى السماء .. ان فمك مثل فم ست .. السماء ترتعد أمامك , و الأرض تتزلزل من تحتك **

تزامنت لحظة ميلاد حورس و ست مع حدوث فوضى فى السماء , و توقفت عملية تطور الكون لفترة من الزمن .

يصف النص رقم 280 من متون التوابيت حورس و ست بأنهما (من أوشكا على تدمير السماء) و جاء فى احدى الأساطير أن فى مرحلة من مراحل تطور الكون دخلت مجموعتان من القوى الكونية الى الجانب الشرقى للسماء و عند ذلك اندلعت حرب (كونية) فى السموات و الأرض جميعا جاء وصف تلك الحرب الكونية بالتفصيل فى أحد نصوص العصر المتأخر و الذى يعرف باسم أسطورة (حورس بحديت و قرص الشمس المجنح) .

جاء فى تلك الأسطورة أن قوى الفوضى الكونية ثارت ضد رع فى العام رقم 363 من حكمه (يرتبط رقم 363 ب "ست" , لأن ست ولد فى اليوم رقم 363 من السنة المصرية , أى قبل انتهاء السنة بيومين) .

و هنا يبحر رع فى قاربه مع أتباعه بقيادة حورس بحديت ليبحث عن هؤلاء الأعداء و يدمرهم . و تخبرنا الأسطورة أن أول معركة كونية دارت بين قوى النظام بقيادة حورس بحديت و قوى الفوضى بقيادة ست وقعت أحداثها فى السماء . و فيها نقرأ العبارات التالية :-

** و طار "حورس بحديت" الى الأفق فى هيئة قرص شمس عظيم مجنح , و لذلك يطلق عليه الى اليوم لقب "الاله العظيم , رب السماء" .

و حين رأى "حورس بحديت" الأعداء فى أعلى السماء اقتفى أثرهم و هو فى هيئة قرص الشمس المجنح , و هجم بقوة رهيبة على من حاولوا الهروب منه فلم يستطيعوا الابصار بأعينهم و لا السمع بآذانهم , و ذبح كل منهم رفيقه .. و فى لحظة واحدة انتهوا جميعا و لم يعد منهم أحد على قيد

الحياة **

و هنا تجدر الأشارة الى أن حورس بحديت لم يخض تلك المعركة وحده و انما ساعدته مجموعة من الكيانات الالهية تحمل حرابا و سلاسل من الحديد و يطلق عليهم اسم "مسنيو" (mesniu) أى الحدادين .

و ظهور الحديد فى هذه المعركة الكونية يقدم لنا المزيد من الأدلة التى تتعلق بما طرحته فى الفصل العاشر حول دور حديد السماء (النيازك) فى نشأة الكون .

و نلاحظ أن متون الأهرام لم تولى اهتماما كبيرا بتلك المعركة الكونية , و أن تركيزها كان منصبا بشكل ساسى على المصالحة و السلام بين الغريمين , حورس و ست .



(حورس بحديت بصحبة أحد الأرباب الحدادين و هو يمسك بحربته و يطعن ست)

تصف متون الأهرام الملك و هو يمتلك قوة العين و يجلس فوق عرشه فى السماء "ميحيت – ويريت" ليحكم بين المتخاصمين .

ما هى حيثيات ذلك الحكم ؟

تقول متون الأهرام أن حورس قدر له أن تكون عيناه هما الشمس و القمر , و أن يكون أتباعه هم النجوم (التاسوع) و أيضا الأفق الشرقى و الغربى لكى يولد من جديد كل يوم .

أما ست , فقد قدر له أن تكون النجوم القطبية الشمالية (مجموعة الدب الأكبر و الدب الأصغر) هم أتباعه , و أوكلت اليه مهمة رفع السماء عن الأرض كل يوم .

و هكذا تولى حورس حكم العالم , فكان لديه القدرة على أن يطوف الأرضين و يرتحل بين الأفقين و بذلك يعيد تكرار قصة الخلق و يجدد طاقة الكون للأبد .

أما ست فقد أوكلت اليه مهمة دعم السماء و حملها و لذلك فدوره هو أن يبقى ساكنا مقيدا لا يتحرك فى الكون الفسيح .

و هكذا تم تحجيم قوى الفوضى الكونية فى موضع واحد و توجيه طاقتها لخدمة النظام الكونى , و منعها من أن تنطلق فى كل أنحاء الكون و تعطل سير عجلة الزمن الذى يسير وفق نظام محكم .

و يعتبر ذلك دليلا على أن ما اقترحه بعض الباحثين من أن ست مسجون فى مكان ما بالعالم السفلى ليس صحيحا .

صحيح أن ست يعتبر قوة كونية تحت أرضية تزلزل الأرض تحت جسد أوزيريس و ترفعه للسماء , و صحيح أن ست حكم عليه بأن يقف تحت أوزيريس و يرفعه الى الأبد , و لكن تلك العبارات تصف حدث أزلى قام فيه ست برفع أوزيريس فى الزمن الأول و هو حدث يجب أن يعاد تكراره كل يوم .

و فى الحقيقة ان ست لا يرفع أوزيريس بالمعنى الاستاتيكى أى بأن يبقى ساكنا تماما بلا حراك و انما بالمعنى الديناميكى بأن يحمله ثم يعود و يحمله من جديد و هكذا الى الأبد .

و نلاحظ هنا أن حمل ست لأوزيريس قد يعنى ضمنيا صعود ست من الأرض للسماء لكى يحمل أوزيريس , بنفس الطريقة التى يصعد بها "شو" من الأرض للسماء لكى يرفع السماء فوق ذراعيه .

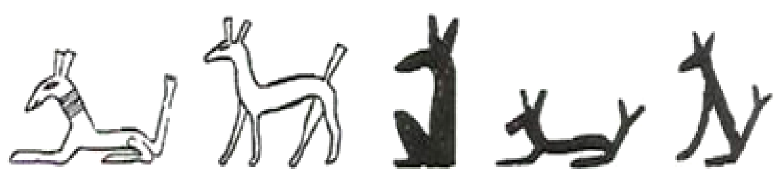
و متون الأهرام غامضة بعض الشئ فيما يخص فكرة رفع ست لأوزيريس , لأن هوية أوزيريس الكونية واسعة و فضفاضة و تختلف من نص الى آخر . فقد يظهر أوزيريس فى أحد النصوص باعتباره ربا للعالم السفلى و فى نص آخر باعتباره ربا للآخت , و فى نص ثالث باعتباره ربا

للسماء .

و لكن فى أحد المواضع بمتون الأهرام يوصف ست بأنه "رب المعراج" , و فى موضع آخر نقرأ أن عين حورس قد وضعت فوق جناح ست . و هناك نص ثالث يصف ست بأنه العامود الذى يرفع السماء . و فى بردية الرامسيوم (The Ramesseum Dramatic Papyrus) وصف ست بأنه العامود المقدس الذى يقف تحت أوزيريس .

و يقول "وينرايت" (G.A. Wainwright) فى كتابه ديانة السماء فى مصر القديمة (The Sky Religion in Egypt) أن عامود ال "دجد" كان فى الأصل عامود "ست" قبل أن ينتقل لأوزيريس و يصبح رمزه المقدس .

و يقال أن الحيوان الذى يرمز ل "ست" (و هو حيوان ميثولوجى يشبه حيوان آكل النمل) يتم اقتياده اما من أذنيه أو من ذيله الذى يشبه العلامة الهيروغليفية التى تعطى دلالة "دعامة السماء" .



الحيوان الذى يرمز ل "ست" , لاحظ التشابه بين أذنيه و ذيله و بين العلامة الهيروغليفية التى تعطى دلالة "دعامة السماء" .

<u>مغزى اللقاء الجنسى بين حورس و ست :-</u>

ان ما ذكرته فى الفقرات السابقة عن أسطورة حورس و ست هو مقتطفات من أقدم النصوص الدينية و هى متون الأهرام و متون التوابيت و التى عرفت بطبيعتها الغير مرتبة , حيث يأتى ذكر الأساطير على هيئة قطع متناثره أو مشاهد متفرقه .

و تشير هذه المقتطفات بوجه عام الى أن حورس و ست يرمزان للكون فى مراحل نشأته و تطوره و لكن القارئ قد يخطر بباله أن الكاتب قد عبث بالأدلة (سواء عن قصد أو غير قصد) لكى تتناسب

مع نظريته .

لذلك كان علينا أن نبحث عن مزيد من الأدلة من النصوص التى تنتمى لعصور لاحقة .

و مثل تلك المصادر قد تكون فى بعض الأحيان غير جديرة بالثقة مثل رواية بلوتارك لأسطورة ايزيس و أوزوريس التى دونها فى القرن الأول الميلادى .

و لكن من حسن الحظ أن هناك أسطورة تدور حول الصراع بين حورس و ست دونها قدماء المصريين بأنفسهم فى عصر الرعامسه , و هى بالتاكيد تستند الى مصادر أخرى أقدم منها .

دونت هذه الأسطورة فى بردية تعرف باسم بردية شستر بيتى رقم 1

(Chester Beatty Papyrus Number 1) و يطلق عليها فى علم المصريات اسم

أسطورة الصراع بين حورس و ست (The Contendings of Horus and Seth)

تدور أحداث الأسطورة حول الصراع الطويل بين حورس و ست و تنازعهما عرش أوزيريس و منصب الملكية .

تدور أحداث الدراما فى بلاط "نبر - دجر" (رب حدود السماء) بمدينة هليوبوليس الأزلية , حيث يجلس "نبر - دجر" ليحكم بين المتخاصمين و يعاونه فى ذلك أعضاء التاسوع .

تقول الأسطورة أن قضية النزاع بين حورس و ست ظلت منظورة أمام محكمة التاسوع لمدة ثمانين عاما . و طوال هذه الفترة كان كل طرف يحاول جاهدا أن يدافع عن وجهة نظره و عن أحقيته بالعرش . و بالرغم من ميل أعضاء المحكمة لحورس الا أن أحدا منهم لم يبادر باصدار الحكم لصالحه .

تبدو الأسطورة و كأنها قصة كوميدية تصف أعضاء محكمة التاسوع مترددين و مراوغين و فى بعض الأحيان يبدو و كأنهم لا يريدون أن يزعجهم أحد و فى أحيان أخرى يأخذون فى المماطلة و كأنهم يريدون أن يبقى الخصوم فى انتظار الحكم الى الأبد .

و أخيرا تقرر المحكمة منح منصب الملكية لحورس , و هو ما يثير غضب ست و يجعله يتحدى غريمه حورس و يطلب منازلته فى حلبة الصراع مرة أخرى .

و فى أول جولة من جولات ذلك الصراع قام حورس و ست بتحويل أنفسهما الى أفراس نهر ,

و حاولا البقاء تحت سطح الماء لمدة ثلاثة أشهر .

و فى الجولة الثانية من الصراع قام ست بقلع أعين حورس و دفنها فى الأرض .

و فى الجولة الثالثة يحاول كل من الغريمين أن يقذف سائله المنوى فى جسد الآخر .

و فى الجولة الرابعة يتسابق الغريمان فى الابحار باستخدام قوارب مصنوعة من الحجارة .

تصف البردية تلك الجولات من الصراع بطريقة تبدو كوميدية . و فيها نقرأ أحداثا غريبة , على سبيل المثال تقوم ايزيس فى احدى جولات الصراع بطعن ابنها حورس بالحربة عن طريق الخطأ أثناء محاولتها طعن ست , فيرد عليها حورس بأن يقطع رأسها , و فى أحد المشاهد تقف حتحور أمام رع و تكشف عن مفاتنها أمامه لكى يبتهج قلبه .

تشكل الجولة الثالثة من الصراع بين حورس و ست أهمية خاصة فى بحثنا لأنها تتحدث عن قذف السائل المنوى و الذى يرمز لقذف عناصر الخلق من الأرض الأزلية للسماء و هو ما أدى لنشأة الشمس و القمر .

فى البداية يحاول ست أن يقذف سائله المنوى فى جسد حورس , فيدعوه الى بيته و يقول له (هيا , دعنا نمضى يوما جميلا معا) , و فى نهاية اليوم ينام ست الى جوار حورس . و أثناء الليل يضع ست عضوه الذكرى بين فخذى حورس و الذى حذرته أمه ايزيس و أوصته أن لا يسمح لسائل ست المنوى من أن يدخل جسده , و اذا ما قام ست بقذف سائله تجاهه عليه أن يتلقاه فى يده و لا يسمح له بدخول جسده . و هو ما حدث بالفعل حيث تلقى حورس سائل ست المنوى فى يده و جرى الى أمه ايزيس ليخبرها حيث قامت ايزيس بقطع يده التى تلوثت بسائل ست و قذفتها فى النيل .

و لكى ترد ايزيس ل "ست" مكيدته دبرت خطة لتجعل ست يبتلع سائل حورس المنوى .

قامت ايزيس بدهن عضو حورس الذكرى بالدهان العطرى و جعلت حورس يقذف سائله المنوى فى وعاء . ثم قامت بزيارة حديقة بيت ست و سكبت السائل المنوى لحورس فوق نبات الخس و هو النبات المفضل لدى ست . و بالفعل تناول ست نبات الخس و ابتلع معه السائل المنوى لحورس .

و هنا يقول النص أن ست أنجب طفلا من بذور حورس التى ابتلعها .

لم يكن ست يدرى بتلك الخطة التى دبرت له , و أخبر حورس بأنه يريد أن يعود للمحكمة مرة

أخرى لاستئناف الحكم السابق . و هنا تقرر محكمة التاسوع أن تجتمع فى هليوبوليس مرة أخرى لكى يقدم الخصوم مرافعاتهم . و أثناء المرافعات يدعى ست أنه انتصر على حورس بأن أدخل سائله المنوى الى جسده . و عندما سمع أعضاء المحكمة ذلك انزعجوا و بصقوا فى وجه حورس . و لكن حورس دافع عن نفسه و نفى أن يكون سائل ست المنوى داخل جسمه و أخبر المحكمة ان العكس هو الصحيح و هو ما يعنى أن ست غير جدير بمنصب الملكية .

و الأحداث التى أعقبت ذلك تبدو كوميدية و لكنها فى منتهى الأهمية بالنسبة للبحث الذى يطرحه هذ الكتاب .

يطلب حورس من أعضاء محكمة التاسوع أن يقوموا باستدعاء السائل المنوى نفسه ليعرفوا الحقيقة بأنفسهم . و هنا يأتى تحوت رب السحر ليقوم بالاختبار بنفسه , فيضع يده فوق ذراع حورس و يقول (أخرج من جسد حورس يا سائل ست) , فلا تأتيه أى اجابة من داخل جسد حورس .

ثم يضع تحوت يده فوق ذراع ست و يقول (أخرج من جسد ست يا سائل حورس) .

و هنا يرد السائل المنوى لحورس من داخل جسد ست قائلا (من أين أخرج ؟) .

فيقول تحوت آمرا (أخرج من أذن ست) .

فيجيب السائل المنوى لحورس (هل يجدر بى أن أخرج من أذنيه و أنا الجوهر الالهى ؟!)

فيقول تحوت (أخرج من قمة رأس ست) .

و هنا يخرج السائل المنوى من رأس ست على هيئة قرص ذهبى .

و هنا يشتعل ست غضبا من ذلك الخزى الذى لحق به , فيمد يده ليمسك القرص الذهبى و لكن تحوت يتدخل و يبادر بأخذ القرص الذهبى و يضعه تاجا فوق رأسه فيتحول الى قرص القمر .

من الواضح أن هذه الأسطورة تحوى العديد من الرموز الكونية , و برغم ذلك فهى لم تحظى بالاهتمام الكافى من جانب علماء المصريات الذين أبدوا استياءهم من الرموز العديدة المستوحاة من الجنس المثلى .

فى عام 1934 ميلادية كتب السير والس بدج واصفا هذه الأسطورة بأنها "الفصل الأكثر سوقية فى الأدب المصرى القديم" .

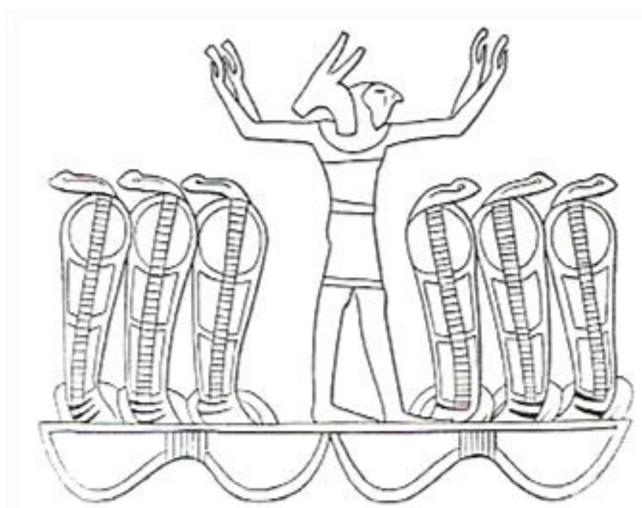
و فى عام 1959 ميلادية وصف راندل كلارك محتوى هذه الأسطورة بأنه يشكل تحديا لأخلاقيات انسان العصر الحديث .

و قد بلغ استخفاف الباحثين برموز هذه الأسطورة أن احدى الأطروحات الأكاديمية قدمت ترجمة تفصيلية للنص و لكنها حذفت منه الجزء الخاص بالجنس المثلى بين حورس و ست و لكنها اختصرته فى جملة واحدة هى (قصة خليعة يحاول فيها ست أن يتحدى فحولة حورس و لكن ايزيس تحبط هذه المحاولة) .

للأسف , أخفق الباحثون فى فهم أهم عنصر من عناصر الأسطورة .

تكمن أهمية هذه الأسطورة فى أنها تقدم لنا الدليل على أن الصراع بين حورس و ست لم يكن صراعا بين ملكين من البشر و انما بين قوى كونية كانت موجودة قبل خلق الشمس و القمر .

و تقدم لنا هذه الأسطورة الدليل على أن حورس و ست يرمزان للكون أثناء مراحل نشأته و تطوره و أن الصراع بينهما هو تعبير مجازى عن الفوضى التى كانت سائدة فى مرحلة من مراحل الخلق و من الأشياء التى تستحق التأمل فى هذه الأسطورة أن أحداثها وقعت فى مدينة هليوبوليس الأزلية و هى المدينة التى شهدت خلق التاسوع و ظهور التل الأزلى , و أيضا ظهور الشمس و القمر من رأس ست بعد أن دخل سائل حورس المنوى الى جسده .



(أحد مشاهد الساعة العاشرة من كتاب البوابات : حورس و ست فى جسد واحد)

اذا نظرنا الى قصة الجنس المثلى بين حورس و ست على أنها تعبير مجازى عن قصة الخلق فسينكشف لنا المعنى الحقيقى لكل رمز من رموز القصة و سيختفى الانطباع السطحى عنها بأنها سوقية و مبتذلة و ستنكشف لنا العلاقة بين بعض رموز هذه القصة و بين ما جاء فى متون الأهرام التى دونت قبل تدوين بردية "شستر بيتى" بأكثر من ألف عام .

وصفت متون الأهرام الصراع بين حورس و ست فقالت أن حورس بتر خصية ست و هو حدث وقع فى بداية نشأة الكون .

يبدو مغزى ذلك الحدث غامضا لأول وهلة و لكننا نكتشف من سياق النصوص أن تلك الخصية تم ادماجها فى جسد حورس و هو ما أدى الى "اتساع قلب حورس" .

أى أن قصة الصراع بين حورس و ست تحتوى على عنصر جنسى منذ عصر متون الأهرام , و هو عنصر يعبر مجازيا عن مفاهيم تتعلق بنشأة الكون .

تبدو أسطورة الصراع بين حورس و ست التى دونت فى بردية "شستر بيتى" و كأنها بنيت على مصادر قديمة هى متون الأهرام , و لكنها قامت بتبديل الأدوار بين حورس و ست , فجعلت ست يبتلع السائل المنوى لحورس , بعكس ما جاء فى متون الأهرام .

و من النصوص التى تستحق التأمل فى متون الأهرام النص رقم 69 و 70 , حيث جاء ذكر أصبع ست الذى تفتح عين حورس البيضاء فى العبارات التالية :-

** أيها "الملك – أوزيريس" , خذ أصبع ست الذى يجعل عين حورس البيضاء مبصرة **

** أيها "الملك – أوزيريس" , خذ عين حورس البيضاء التى تضئ طرف أصبع ست , الذى يشبه عامودين من الاليكتروم (سبيكة من الذهب و الفضة) **

ما الذى يعنيه ذلك ؟

بالنسبة لأصبع ست , يرى عالم المصريات "هيرمان تى فيلدا" (Herman Te Velde) أن أصبع ست هو رمز لعضوه الذكرى .

و فى النص السابق يبدو أصبع ست و كأنه مسله (حيث تغطى قمة المسلة فى كثير من االأحيان

بمعدن الاليكروتوم) , و المسله من الرموز التى ترتبط بالعضو الذكرى .

أما عين حورس البيضاء فهى فى الغالب رمز للقمر .

و اذا وضعنا هذه التفسيرات جنبا الى جنب يتضح لنا أن النصوص السابقة تعبر عن فكرة مغزاها أن العضو الذكرى ل "ست" هو السبب فى نشأة القمر .

و هى نفس الفكرة التى تدور حولها أسطورة الصراع بين حورس و ست و التى دونت فى بردية "شستر بيتى" , و لكن البردية عبرت عنها بطريقة مختلفة .

و نقطة التشابه الثالثه بين متون الأهرام و بين أسطورة الصراع بين حورس و ست التى دونت فى بردية "شستر بيتى" هى فكرة خروج حية كوبرا من رأس ست .

و أول النصوص التى تتناول هذه الفكرة النص رقم 478 من متون الأهرام و الذى يصف الملك و هو يصعد للسماء فوق معراج ست و يقول :-

** لقد ظهرت كحية الكوبرا التى فوق قمة رأس ست" **

و ثانى نص يتناول الفكرة هو النص رقم 570 من متون الأهرام و الذى يصف خروج حية كوبرا من جسد ست (و فى الغالب من رأسه) .

يحتوى النص الأول على اشارة الى القمر حيث ذكر "عين حورس التى فوق جناح تحوت على الناحية اليسرى للمعراج" , و قد يكون ذلك هو الأصل الذى أخذت منه أسطورة الصراع بين حورس و ست فكرة ظهور القمر من رأس ست .

باختصار ان جذور بردية عصر الرعامسه التى تتناول الاتصال الجنسى المثلى بين حورس و ست تعود الى مصادر أقدم بكثير و هى تقدم لنا المزيد من الأدلة التى تدعم ما أطرحه فى هذا الكتاب حول قصة الخلق .

<u>توحيد الأرضين :-</u>

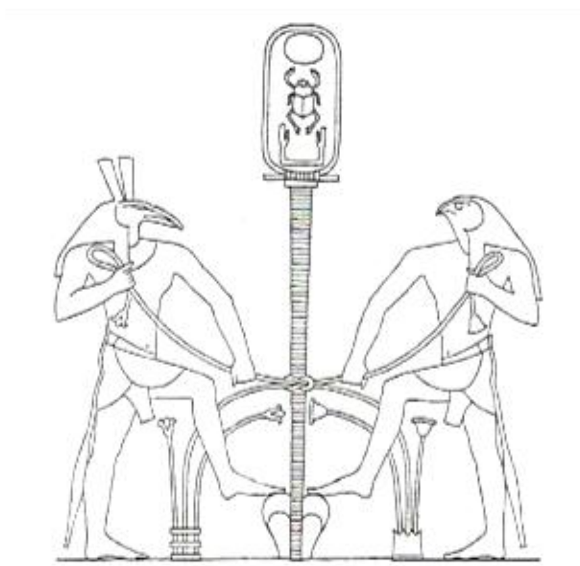
ننتقل الآن الى دور حورس و ست فى توحيد الأرضين و هو واحد من أهم و أقدم التقاليد فى مصر القديمة , و التى لم نصادفها بعد فى هذا الكتاب .

تقدم أسطورة توحيد الأرضين الأساس لشرعية حكم ملك مصر باعتباره محاكاة أو تكرار لتوحيد الأرضين الأصلى الذى حظى بمباركة ال "نترو" فى الزمن الأول .

لكى يكون الملك مؤهلا للجلوس على عرش مصر عليه أن يعيد تكرار أحداث توحيد الأرضين التى وقعت عند بدء الخليقة , و منها على سبيل المثال الطواف حول أسوار مدينة منف .

يرمز حورس و ست لتوحيد الأرضين , ليس فقط بسبب علاقتهما الجغرافية بمصر العليا (مملكة ست) و مصر السفلى (مملكة حورس) , بل لأنهما الغريمان اللذان تصالحا الى الأبد .

و لذلك كان الفنان المصرى القديم يصور كلا من حورس و ست فوق قاعدة عرش ملك مصر و هما يمسكان بنبات اللوتس و البردى و يربطان عقدة حول رمز الوحدة و الاندماج و هو عبارة عن وعاء يتخذ هيئة الرئة و القصبة الهوائية و يطلق عليه فى اللغة المصرية القديمة اسم "سما" (sema) .



(حورس و ست يقومان بربط النباتات التى ترمز لمصر العليا و مصر السفلى كتعبير عن توحيد الأرضين)

فى بداية ظهور علم المصريات شاع اعتقاد بين الباحثين أن توحيد الأرضين هو حدث تاريخى قام به الملك مينا لأول مرة حوالى عام 3400 – 3100 قبل الميلاد .

و لكن فى العقود الأخيرة تراجع الباحثون عن تلك النظرة و بدأوا فى الاقتناع بما طرحه عالم المصريات هنرى فرانكفورت حين قال أن توحيد الأرضين يعكس فلسفة الازدواجية القائمة على وجود نماذج أولية كونية مزدوجة من كل شئ , على سبيل المثال الأرضين و السمائين و الأفقين .

و من الفرضيات الجديرة بالذكر هنا ما طرحته الباحثه الأمريكية جين سيللرز (Jane Sellers) حين قالت أن ما قام به ملوك مصر من توحيد للأرضين هو استدعاء لتغيرات كبرى حدثت للتشكيلات النجمية فى السماء نتيجة لظاهرة السبق (precession of the equinoxes)

يميل انسان العصر الحديث لاسقاط أفكاره و أحكامه المسبقة على الحضارة المصرية القديمة – و الحضارات القديمة بصفة عامة – لأن ذلك يريحه من عناء البحث .

لكن اذا أردنا الوصول الى الحقيقة , علينا أن ندع قدماء المصريين يتحدثون عن أنفسهم بلغتهم و علينا نحن أن نبذل الجهد فى محاولة فهم تلك اللغة .

فماذا تقول النصوص المصرية القديمة عن توحيد الأرضين ؟

أول ما نلاحظه أنا النصوص المصرية القديمة كانت واضحة تماما حين تحدثت عن توحيد الأرضين باعتباره حدث وقع فى الزمن الأول , الزمن الذى قامت فيه ال "نترو" (الكيانات الالهية) بخلق الكون .

تعبر متون الأهرام عن ذلك تعبيرا ضمنيا أما متون التوابيت و كتاب الخروج الى النهار فقد عبرا عن الفكرة بتفاصيل أكثر .

جاء فى النص رقم 335 من متون التوابيت :-

** يا أوزيريس , لقد صرت حاكما للنترو فى اليوم الذى وقع فيه توحيد الأرضين فى حضرة "نبر – دجر" (رب حدود السماء) . أما توحيد الأرضين فيعنى أن رع منح ابنه أوزيريس كفنه **

و النص السابق يعنى أن حدث توحيد الأرضين يعود للزمن الذى شهد موت و بعث أوزيريس .

و نقرأ فى النص رقم 17 من كتاب الخروج الى النهار :-

** أما من آل اليه ميراث الملكية من بين ال "نترو" فهو حورس ابن ايزيس , الذى صار ملكا خلفا لأبيه أوزيريس فى اليوم الذى اكتمل فيه خلق الأرضين , فى اليوم الذى اتحدت فيه الأرض

بالأرض فى مقبرة أوزيريس **

يشير النص السابق أيضا الى أن حدث توحيد الأرضين يعود للزمن الذى شهد بعث أوزيريس فى صورة ابنه حورس , رب السماء الذى صارت عينه الشمس و القمر .

النصوص السابقة تفند الادعاء بأن توحيد الأرضين هو حدث سياسى تاريخى وقع على أرض مصر فى بداية عصر الأسرات .

قد يكون هناك حدث تاريخى يحمل نفس الاسم , و لكن مثل ذلك الحدث التاريخى - اذا صح وجوده - فهو اعادة تكرار للحدث الأزلى الذى وقع عند نشأة الكون .

و من الأشياء الجديرة بالانتباه أيضا أن كلمة "تاوى" (الأرضين) التى جاء ذكرها فى النصوص لا تعنى مصر ككيان سياسى له حدود جغرافية و انما هى مصطلح من مصطلحات نشأة الكون يعنى الأرض كلها .

يتضح لنا ذلك من النص المعروف باسم "أنشودة بتاح" المدونة فى بردية محفوظة بمتحف برلين , حيث نقرأ فيها أن "تا تنن" (رب الأرض التى ارتفعت) قد خلق الأرضين و جعل منهما عرشه و لذلك كان من ألقابه "الذى وحد الأرضين" .

كما يتضح ذلك أيضا من متون الأهرام , حيث ذكر أحد النصوص أن الأرضين صارت حية حين استدار أوزيريس ليرقد فوق جنبه الأيمن (بدلا من الرقود فوق جنبه الأيسر) .

و من أطرف المصادر التى تحدثت عن توحيد الأرضين النص رقم 17 من كتاب الخروج الى النهار , الذى يصف دور "شو" فى تشكيل الأرضين . يقول النص :-

** أما قطع الفاينس التى فى مقصورة "تجينينيت" (Tjenenet) فهى السماء و الأرض . أى أن "شو" شكل الأرضين فى هيراكليوبوليس (اهناسيا) . أما الفاينس , فهو عين حورس . و أما قصور "تجينينيت" (Tjenenet) فهى مقبرة أوزيريس **

و المعنى الذى نستشفه من النص السابق هو أن الأرض تشكلت نتيجة سقوط السماء , التى وصفها النص بأنها قطع من الفاينس و بأنها ترمز لعين حورس . و المقصود طبعا ليس سقوط السماء كلها و انما سقوط عناصر أو معادن من السماء على الأرض ساهمت فى تشكيلها و فى ظهور الحياة

على سطحها . و الأرضين هنا تعنى الأرض كلها , و ليس مصر ككيان سياسى .

قام الفلاسفه الاغريق بترجمة مصطلح الأرضين "تاوى" (tawi) بمعنى الأرض المسكونه كلها .

و لكنهم لم يربطوا بين توحيد الأرضين و بين الحدث الميثولوجى .

و كما أوضحنا من قبل , كان قدماء المصريين يرمزون لتوحيد الأرضين بحورس و ست , لأنهما الغريمان اللذان تصالحا للأبد .

و قد عبر النص رقم 183 من كتاب الخروج الى النهار عن هذه الفكرة , حيث يلعب تحوت دور المصالح بين المتخاصمين . يقول النص :-

** لقد صالح تحوت بين المتخاصمين (حورس و ست) من أجلك يا أوزيريس .. لقد أوقف العنف و الغضب و الفوضى من أجلك .. لقد جعل الغريمين على وفاق , و جعلهما يقومان بتوحيد الأرضين فى سلام أمامك .. لقد انتزع تحوت الغضب من قلبيهما من أجلك , و آخى بينهما **

و نلاحظ فى النص السابق أن توحيد الأرضين تزامن مع المصالحة بين حورس و ست .

أى أن حورس و ست يمثلان الأرضين بمعنى أن كل منهما يمثل نصف الأرض (الأزلية) أو نصف الكون الأزلى الذى مر بمراحل تطور عديدة الى أن أصبح فى شكله الحالى .

ان توحيد الأرضين الذى تزامن مع التصالح بين الغريمين يرمز لنهاية مرحلة مبكرة من مراحل تطور الكون سادت فيها الفوضى على الأرض و فى السماء .

و لكن كيف وقع توحيد الأرضين , و ما الذى يعنيه ذلك فى ضوء نظرية ديانة النشأة ؟

تبدو النصوص الدينية غامضة و مبهمة عندما تشير الى ذلك الحدث .

ربطت متون الأهرام بين توحيد الأرضين و بين ظهور الأرض الأزلية من بحيرة .

بينما ربطت متون التوابيت بين توحيد الأرضين و بين موت أوزيريس و بين حدث آخر أطلقت عليه اسم "المذابح العظيمة على الأرض" , كما ربطت بينه و بين حدث فتح فم أو جوف الأرض .

أما كتاب الخروج الى النهار فقد ربط توحيد الأرضين بتتويج حورس .

فى حين ربطت أنشودة بتاح المدونة ببردية برلين بين توحيد الأرضين و بين ظهور الأرض من "نون" . و هكذا , يظل من الصعب تحديد ما الذى يعنيه توحيد الأرضين على وجه الدقة .

و لكننا يمكن أن نستشف عدة أفكار من كل ما سبق .

من الأفكار التى يعبر عنها توحيد الأرضين فكرة اعادة جمع عناصر الأرض الأزلية بعد أن كانت فى حالة تمزق و تفكك .

ظهرت هذه الفكرة عدة مرات فى متون الأهرام فى سياق قيام الملك باعادة تكرار قصة الخلق .

على سبيل المثال , يقول أحد النصوص موجها الحديث للملك :-

** لقد جمعت المياه العظيمة من أجلك .. و وقع توحيد الأرضين المحروثتين "ميرو" (mru) من أجلك و من أجل حورس **

و فى نص آخر نقرأ هذه العبارات الموجهة للملك :-

** لقد أحضر آتوم مدن "جب" (الأرض) من أجلك , و جمع الأقاليم (الأزلية) , و وحد أراضى ال "مسمو" (msmu) من أجلك **

أما متون التوابيت فنقرأ فيها على سبيل المثال هذا النص الذى يخاطب المتوفى قائلا :-

** أربط الأرض بالأرض عند حدود مدينة "ثينيس" (Thinis) **

و فى كل النصوص التى تحدثت عن توحيد الأرضين نجد أن ذلك الحدث يجب أن يسبق صعود الروح الى السماء .

و من الأشياء التى تستحق التوقف و الانتباه أن جمع آتوم للمدن و الأقاليم (الأزلية) غالبا ما يرتبط بتلال حورس و تلال ست . و هذه التلال بنوعيها تندمج معا و تشكل تلا واحدا هو تل "جب" , أى تل الأرض . و لكن النصوص الدينية تحدثت عنهما بصيغة المثنى , فوصفتهما بأنهما تلال الشمال و تلال الجنوب . و قد وصفهما أحد النصوص بأنهما :-

** تل ست الذى يسكنه الجنوبيون , و تل حورس الذى يسكنه الشماليون **

تلعب هذه التلال دورا هاما فى اعادة تكرار قصة الخلق , حيث تقوم روح الملك الذى بعث من جديد بالطواف حول هذه التلال و كأنها تطوف حول الأرض .

حيث تصادفنا فى الكتب الدينية المصرية على سبيل المثال العبارات التالية :-

** أيها الملك , قم بالطواف حول تلال حورس , و حول تلال ست **

** أيها الملك , ارتحل حول تلال حورس , و حول تلال ست فى هيئة "مين" (رب الاخصاب) و أنت فى مقدمة التاسوع **

** أيها الملك , ارتحل فى التلال الجنوبية , و فى التلال الشمالية , و تبوأ عرشك الحديدى **

** أيها الملك , فلتسكن تلال حورس , و لتطوف حول تلال ست .. و تتبوأ عرشك الحديدى **

نستشف من فكرة ازدواجية تلال الأرض أن الأرض الأزلية انقسمت فى مرحلة من مراحل نشأة الكون الى أرض عليا و أرض سفلى , حيث الأرض العليا هى التلال الجنوبية (الجانب الأيمن الذى يرقد فوقه أوزيريس) و الأرض السفلى هى التلال الشمالية (الجانب الأيسر الذى يرقد فوقه أوزيريس) .

فهل توحيد التلال الجنوبية و التلال الشمالية هو المقصود بتوحيد الأرضين ؟

ان اجابة هذا السؤال تكمن فى النصوص الدينية المصرية و هى المرجع الأساسى الذى بنيت عليه كل الأفكار التى طرحتها فى هذا الكتاب .

و لذلك سننتقل الآن الى أحد المصادر المصرية القديمة و الذى يعتبر النص الأكثر تفصيلا فيما يتعلق بتوحيد الأرضين , ألا و هو لوحة شباكا و التى يطلق عليها أيضا نظرية ممفيس لنشأة الكون .

جاء فى لوحة شباكا أن حدث توحيد الأرضين وقع أثناء حكم "جب" للعالم , و هو العصر أو الزمن الكونى الذى شهد الصراع بين حورس و ست حول ميراث عرش أوزيريس الذى هو فى الأصل عرش جب , رب الأرض , أو بمعنى أدق رب الأرضين .

ان جب هو الذى حكم بين الغريمين (حورس و ست) و وضع حدا للنزاع بينهما .

و لكن هذا الحل النهائى للصراع حدث على مرحلتين , كما جاء فى لوحة شباكا .

فى المرحلة الأولى , أعطى "جب" ملك مصر العليا ل "ست" و ملك مصر السفلى ل "حورس" .

تقول نصوص لوحة شباكا :-

** وقف حورس فى موضع , و وقف ست فى موضع آخر , و تصالحا على اقتسام الأرضين .. و قال جب لحورس و ست "لقد منحتكما حكم مصر العليا و مصر السفلى"**

و لكن فى المرحلة الثانية تغير قلب "جب" و قام بتعديل الحكم السابق , حيث أعطى ملك الأرضين لحورس . تقول نصوص لوحة شباكا :-

** لم يرضى جب أن يكون نصيب حورس مساويا لنصيب ست .. فقرر جب أن يهب الميراث كله (عرش الأرضين) لحورس **

و كانت تلك هى اللحظة التى توحدت فيها الأرضين .

تكمل نصوص لوحة شباكا قائلة :-

** وقف حورس فوق الأرض كلها , و هكذا توحدت الأرض تحت اسم العظيم "تا تنن , الذى يقف جنوب حائطه , رب الأبدية" , و قد توج رأسه بالسحر العظيم المزدوج (التاج المزدوج) .. و هكذا اعتلى حورس العرش ملكا لمصر العليا و السفلى .. و هكذا وحد حورس الأرضين فى مدينة الحائط (منف) , فى الموضع الذى تتوحد فيه الأرضان **

و ظهور التاج المزدوج فوق رأس حورس يرمز لظهور الشمس و القمر فى السماء فى تلك المرحلة من تطور الكون .و هكذا ظهر الكون بصورته التى نعرفها الآن .

و لكن ما الذى يعنيه تغير قلب "جب" و تعديل الحكم الذى أصدره من قبل ؟

اذا تأملنا الحكم الأولى الذى قضى بتقسيم الأرضين (الكون) بين حورس و ست , نجد النص يقول أن مملكة حورس (مصر السفلى) حدودها هى المكان الذى غرق فيه أبوه أوزيريس و يطلق عليه اسم "بسشت تاوى" أى المكان الذى يفصل بين الأرضين .

أما مملكة ست (مصر العليا) فحدودها هى المكان الذى ولد فيه ست و يطلق عليه اسم "سو" (Su)

ان محاولة تفسير هذا التقسيم تفسيرا جغرافيا هو فى الحقيقة خطأ فادح .

فهذه الأماكن التى جاء ذكرها فى النص هى مناطق ميثولوجية , أى رموز تعبر عن مفاهيم كونية .

ترمز حدود مملكة حورس للمحيط الأزلى و هو الموضع الذى غرق فيه أوزيريس .

أما حدود مملكة ست فترمز لسطح الأرض الأزلية و هى المكان الذى ولدت فيه روح "ست" من جديد (أو الذى ستولد فيه روح ست من جديد) .

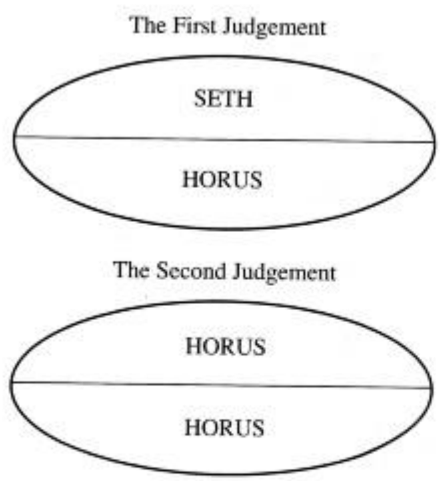
أى أن حورس تولى الهيمنة على النصف السفلى من الكون الأزلى و الذى يطلق عليه "مصر

السفلى" , بينما تولى ست الهيمنة على النصف العلوى من الكون الأزلى و الذى يطلق عليه "مصر العليا" .

و مغزى الحكم الأول الذى أصدره "جب" و الذى قسم الكون بين حورس و ست هو أن قوى الفوضى و الظلام كانت مهيمنة على الكون فى تلك المرحلة من مراحل نشأته و تطوره , بحيث كانت ندا قويا و غريما لقوى النظام و النور .

و فى ظل هذا الانقسام استراح الكون لوهلة من العنف و الفوضى و الاضطرابات , و لكن على الجانب الآخر نجد أن الكون توقف عن التوسع و بالتالى توقفت عملية الخلق طوال تلك الفترة .

و اذا انتقلنا للحكم الثانى الذى أصدره جب و الذى يعتبر تعديلا أو نقضا للحكم السابق فسنجد أنه هو أيضا يحمل رموزا كونية .



(تقسيم الكون بين حورس و ست كما جاء فى لوحة شباكا)

بتعيين حورس (رب النور) حاكما على الكون كله , أعد "جب" المسرح لخلق الكون الجديد , الكون الذى يكبر و يتسع باطراد .

يشير النص ل "تا تنن" (رب الأرض التى ارتفعت) و لظهور التاج المزدوج فوق رأس حورس و هو ما قد يعنى ظهور الشمس و القمر فى تلك المرحلة من مراحل نشأة الكون .

فى تلك المرحلة من نشأة الكون وقع حدث توحيد الأرضين .

و لكن هناك شئ محير فى هذه القصة .

لماذا تم حرمان ست من أى نصيب من ميراث الأرضين ؟

و لماذا لم يحظى ست بحكم مصر السفلى ؟

و فى اعتقادى ان تفسير ذلك يكمن فى الدور الذى سيلعبه حورس فى منظومة الخلق و هو أنه سينبعث من الكون القديم و ينطلق ليطوف فى كل أنحاء الكون الجديد .

ان ظهور الشمس و القمر و النجوم من رأس حورس ليس كافيا , فظهور هذه الأجرام فى حد ذاته لا يعنى اكتمال الخلق و استمراره , اذ يجب أن تستمر هذه الأجرام فى الحركة و الطواف فى كل أنحاء الكون و تموت و تعود و تولد من جديد كل يوم , و بذلك تحفظ النظام الكونى .

و لأن حورس هو رب هذه الأجرام السماوية المضيئة , كان عليه أن يهيمن على المملكتين (الكون كله) لكى يرتحل و يطوف بينهما طوافه الأبدى الذى يحفظ الكون .

هل ذلك هو المقصود من مصطلح توحيد الأرضين ؟

هل يعنى قيام حورس بتوحيد النصف العلوى و النصف السفلى من الأرض الأزلية (الكون) أن يكون قادرا على الارتحال بينهما الى الأبد ؟

يخبرنا النص رقم 439 من متون الأهرام أن الملك يصعد للسماء ليلتحق ب "رع" و فى نفس الوقت يتولى الهيمنة على الأرضين أو "الضفتين" "ودجبوى" (wdjbwi) .

ترمز الضفتان فى الغالب للأفقين (الشرقى و الغربى) , و هو ما يعنى أن الملك يقوم بتوحيد الأرضين من خلال ارتحاله بين الضفتين , أى بين الأفقين الشرقى و الغربى .

تبدو نصوص الأهرام غامضة فيما يخص هذه الفكرة و لكنها بشكل عام تصف حورس بأنه يهيمن على "الضفتين" و تصف روح الملك المتوفى بأنها ترتحل بينهما .

يتضح مغزى "الضفتين" بصورة أكبر من خلال نصوص التوابيت , التى وصفتهما بالتحديد بأنهما الضفة الشرقية و الضفة الغربية .

تخبرنا متون التوابيت أن بعث المتوفى من جديد يتوقف على قيامه بوصل الضفتين و الذى يرتبط

بتوحيد الأرضين . و من هذه النصوص نقرأ على سبيل المثال العبارات الآتية :-

** لقد وصلت الضفة الشرقية بالضفة الغربية , و العكس بالعكس .. سأعبر السماء , و أقطع الأرض , و أصل بين ضفتى النهر (السماوى) **

** ان من يقوم بتوحيد الأرضين يبعث من جديد .. لقد جمعت ضفتى النهر من أجلى **

** أيتها الضفة الغربية , أقتربى من الضفة الشرقية و قبليها , و صلينى بالأرض "سما – تا" (sma-ta) **

** لقد توحدت الأرضان حين عبرت بينهما .. لقد اتصلت ضفتا النهر (السماوى) حين عبرتهما **

** أنا (حابى) الذى غمر فيضانى الضفتين .. ان روحى تعبر ببطء فوق السماء و من خلال الأرض **

** لقد اتصلت جدائل ايزيس بجدائل نفتيس .. لقد توحدت الأرضان فى يد من وصل الى مياه "خنس" (khns) .. لقد اتصلت الضفة الغربية بالضفة الشرقية **

يتضح من النصوص السابقة أن الضفتان (الشرقية و الغربية) هما الأفقان (الشرقى و الغربى) , و أن على روح المتوفى أن تصل الضفة الغربية بالشرقية لكى تعبر السماء .

أما الشئ الجدير بالاهتمام هنا هو المقابلة بين توحيد الضفتين و توحيد الأرضين و كأنهما مترادفات لنفس المعنى .

فهل يعنى مصطلح توحيد الأرضين أن يكون للملك القدرة على أن يصل السماء العليا بالسماء الدنيا و يرتحل بينهما ؟

و برغم أن النصوص غامضة فيما يخص هذا السؤال الا أنها تؤكد على أن الملك يقوم بتوحيد السمائين بأن يرتحل بينهما . يقول النص رقم 274 من متون الأهرام :-

** لقد طاف الملك عبر السمائين و ما فيهما , و وصل الضفتين **

و يقول فى النص رقم 676 من متون الأهرام مخاطبا "جب" :-

** يا جب , أمسك بيد الملك , و اجعله يجلس فوق العرش العظيم , لكى يصل طريقي "تشرمت" (chrmt) السماويين **

و يقول النص رقم 319 من متون الأهرام :-

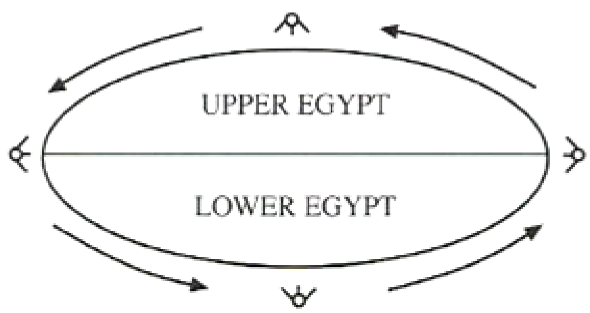
** لقد عقد الملك سيقان نبات ال "شمشمت" (shmshmt) .. لقد وحد الملك السمائين **

قد يعطينا النص السابق أحد أهم مفاتيح فهم توحيد الأرضين , فاذا أكملنا النص نجده يقول :-

** للملك الهيمنة على الأراضى الشمالية و الأراضى الجنوبية و ال "نترو" الذين كانوا فى الزمن الأول .. لقد شيد الملك مدينة الاله **

عن طريق وصل السماءين (العليا و السفلى) أصبح للملك الهيمنة على الأراضى الشمالية و الجنوبية , أى الأرضين (مصر العليا و مصر السفلى) .

و اذا نظرنا للنص السابق فى سياق كونى , يمكننا أن نفسر الأراضى الشمالية و الجنوبية باعتبارها تلال حورس و تلال ست .



رؤية الكاتب لمفهوم توحيد الأرضين عن طريق ارتحال "رع-حور-آختى" (و روح ملك مصر) بين الأفقين .

و هناك دليل آخر يدعم هذه الفكرة و هو النص رقم 332 من متون الأهرام و الذى يحتوى على عبارة تضع الأرضين "تاوى" (tawi) فى مقابلة مع السماءين "بتى" (peti) .

يقول النص على لسان الملك الذى يقوم باعادة تكرار قصة الخلق :-

** لقد صعدت للسماء وسط انفجار نارى , و قد أدرت جذعى .. لقد جمعت السماءان من أجلى .. و أحضرت الأرضان لى **

فى ضوء العبارة السابقة , لا نبالغ اذا قلنا أن الملك يقوم بتوحيد الأرضين فى نفس الوقت الذى يقوم

فيه بتوحيد السماءين و أنه يقوم بالمهمتين من خلال فعل واحد هو الارتحال بين ضفتى النهر (السماوى) أو بين الأفقين .

و فى دليل آخر , و هو النص رقم 738 من متون الأهرام , نقرأ أن توحيد الأرضين يحدث فى المكان الذى تقف فيه ال "نترو" (الكيانات الالهية) , و هو ما قد يعنى ال "آخت" أو الأفق الشرقى .

و اذا حاولنا تفسير النص تفسيرا جغرافيا , فلن يكون له معنى .

بعكس التفسير الذى طرحته سابقا و قلت فيه أن توحيد الأرضين يحدث نتيجة ارتحال روح الملك و طوافها بين السماء العليا و السماء الدنيا .

و اذا عدنا مرة أخرى الى لوحة شباكا , نجد أنه ليس من الغريب أن نصوصها ذكرت أن توحيد الأرضين حدث نتيجة منح حورس ميراث الأرضين , العليا و السفلى , بعد أن كانت مقسمة بينه و بين غريمه ست .

فحورس هو رب الأفقين (حور – آختى) , أى الذى يرتحل الى الأبد بين السماءين أو الأفقين أو الضفتين .

ان أول فعل لحورس بعد أن توج بالتاجين (أى بعد خلق الشمس و القمر) هو ضبط ايقاع حركة الكون و توحيد الأرضين عن طريق الارتحال بين السمائين و الأرضين , أو الارتحال بين الأفقين

و النص لا يقول ذلك بشكل صريح و انما بشكل ضمنى , حيث يقول أن حورس :

** تبوأ العرش باعتباره ملك مصر العليا و السفلى , و وحد الأرضين فى مدينة الحائط (منف) , عند الحدود التى كانت تفصل بين الأرضين **

هذا الموضع الذى تم فيه توحيد الأرضين هو مدينة منف (الأزلية) التى يقابلها فى عالمنا مدينة منف (الأرضية) و هى عاصمة مصر فى عصر الدولة القديمة و كانت تلقب ب "مدينة الحائط" .

أما اسمها الأصلى فهو "اينب – حدج" (Ineb-hedj) و يعنى الحائط الأبيض أو القلعة البيضاء .

كانت مدينة منف بالنسبة لقدماء المصريين أكثر من مجرد مدينة بالمعنى الجغرافى .

فمدينة منف - مثلها مثل كل مدن مصر القديمة – هى صورة مصغرة (microcosm) من الكون الأزلى , لذلك كان يطلق عليها لقب "الجزيرة الأزلية المقدسة التى خرجت من مياه الأزل" .

فهنا فوق هذه الجزيرة الأزلية التى ارتفعت وقع حدث توحيد الأرضين فى الزمن الأول .

هنا فى مدينة منف تم تتويج أول ملك من ملوك البشر و هو الملك مينا , حيث قام بتكرار ما فعله حورس فى الزمن الأول حين قام بتوحيد الأرضين .

و قد استمر تتويج ملوك مصر فى مدينة منف طوال أكثر من ثلاثة آلاف عام , حيث كان كل ملك يتوج باعتباره حورس الذى وحد الأرضين .

و هنا فى منف نصادف دليلا جديدا يوضح لنا مغزى توحيد الأرضين , و هو أن مراسم التتويج كانت تتضمن طقسا مزدوجا يطلق عليه طقس (توحيد الأرضين و الطواف حول الأسوار البيضاء)

و هنا يتبادر السؤال : اذا كانت مدينة منف أو ذات الأسوار البيضاء هى صورة مصغرة من الكون و اذا كان كل ملك من ملوك مصر يتوج باعتباره اعادة تجسيد لحورس , فهل يكون الطواف حول الأسوار البيضاء رمزا للطواف حول الأرض الأزلية ؟

هل كان طقس الطواف حول أسوار منف البيضاء يرمز لبدء حركة الكون المنتظمة و بدء دوران عجلة الزمن ؟

نفس السؤال يطرح نفسه عندما نتأمل الطقس الأخير من طقوس انشاء المعبد فى مصر القديمة .

فى ادفو - على سبيل المثال - كان هناك احتفال يطلق عليه (الاحتفال بدخول المعبد) , و فيه يتم حمل تماثيل أرباب المعبد و الطواف بها حول المعبد قبل وضعها داخل مقاصيرها فى قدس الأقداس أو حوله .

لأن المعبد هو صورة مصغرة (microcosm) من الكون الأكبر , فان هذا الطواف حول المعبد يرمز للطواف الأول حول الأرض و الذى قام به حورس و من خلاله جعل السماءين تدوران حول الأرضين .

و هذا الطرح ليس بعيدا عن الفكر الدينى المصرى , لأن ارتحال رع الدائم بين أبعاد الكون يعتبر حجر الزاوية فى الديانة المصرية القديمة .

علاوة على ذلك , فقد وصفت نصوص معبد ادفو التل الأزلى العظيم بأنه "أرض الطواف" و هو اسم يحمل الكثير من الدلالات التى تؤكد الفكرة التى أطرحها .

باختصار , هناك العديد من الأدلة التى تؤكد أن حورس و ست يمثلان الأرضين , أى الكون الأزلى الذى مر بمراحل تطور الى أن أصبح بالصورة التى نعرفها الآن .

فى البداية احتدم الصراع بين حورس و ست و هذا الصراع هو رمز لمرحلة من مراحل تطور الكون سادت فيها الفوضى .

ثم انفصل الغريمان , و استقل كل منهما بنصف الأرض , حيث أصبحت الأرض السفلى من نصيب حورس و الأرض العليا من نصيب ست , أى أن ست أصبح فوق حورس , و هو ما يعنى استمرار الفوضى فى الهيمنة على الكون .

و زمن الفوضى الكونية هو الزمن الذى سيطر فيه ست على العين و على رأس حورس و على التاسوع . و فى النهاية أصدرت محكمة جب حكمها بمنح حورس ملك الأرضين , و هو ما يعنى اتساع الكون و ميلاد الشمس و القمر و النجوم و حركة هذه الأجرام السماوية فى مداراتها الفلكية حول الأرضين , أى فى أرجاء الكون الأكبر .

و عند ذلك , بقى جسد ست فى الأرض بينما صعدت روحه للسماء و سكنت فى النجوم القطبية الشمالية (مجموعة نجوم الدب الأكبر و الدب الأصغر) , و لم يعد بمقدوره أن يشكل اى تهديد لملكوت حورس , و هو الكون الذى يحكمه النظام و النور .

<u>ملخص الفصل الثالث عشر :-</u>

* يرمز حورس و ست للكون الأزلى و للصراع الذى احتدم فى مرحلة من مراحل نشأته و تطوره لذلك فقد تصارع الاثنان حول ملكية العين و الخصية , حيث كل رمز من هذه الرموز يحمل جزءا من السحر الكونى / الأزلى , و هو سر الخلق .

* ترمز تلال حورس و تلال ست (و هما معا يشكلان تل جب) لحالة التمزق التى مر بها الكون فى مرحلة مبكرة من مراحل نشأته , حيث كانت عناصره فى حالة تفكك .

* خرج كل من حورس و ست من الأرض الأزلية خروجا مصحوبا بأحداث كارثية و عنف , و قد عبرت الكتب الدينية المصرية عن ذلك بوجود حرب فى السماء .

و ترمز المصالحة بين الغريمين (حورس و ست) لاكتمال خلق النظام الكونى .

* تمت المصالحة بين حورس و ست بطريقة تضمن اعادة تكرار قصة الخلق الى ما لا نهاية .

حيث يقوم ست برفع السماء عن الأرض كل يوم , و يقوم حورس بالطواف بين الأفقين كل يوم .

* تؤكد بردية "شستر بيتى" ذلك التفسير بروايتها لقصة ولادة ست للشمس و القمر عن طريق البذور التى انتقلت من جسد حورس لجسد ست . و هى قصة انتهت بخروج الشمس و القمر من رأس ست .

* ان توحيد الأرضين ليس حدثا تاريخيا , و انما هو حدث أزلى و قع عند نشأة الكون . و هو يرمز لوصل السمائين (السماء العليا و السماء الدنيا) و وصل الأرضين من خلال ارتحال حورس (و رع) الدائم بين أبعاد الكون .

* فى طقوس التتويج فى مصر القديمة , حين يطوف ملك مصر حول أسوار منف البيضاء فهو بذلك يعيد تكرار حدث كونى أزلى و هو أول دورة لحورس حول الأرض و هو الفعل الأزلى الذى بدأت به حركة الكون . و يعتبر ذلك الطواف مرادفا لمصطلح توحيد الأرضين .

الفصل الرابع عشر

الواحدانية و التعدد

كتب "جان فرانسوا شامبليون" فى أحد خطاباته التى تعود الى عام 1828 – 1829 ميلادية :-

** يوصف "آمون- رع" , الأزلى , الكيان الالهى الأسمى بأنه هو أبو نفسه و بأنه هو نفسه زوج أمه (السماوية) .. و هو ليس له زوجة , لأن الجانب المؤنث من كينونته موجود داخل كيانه الواحد الذى يحتوى كل شئ , و لذلك فهو يحوى بداخله المذكر و المؤنث .. و كل ال "نترو" الأخرى فى مصر القديمة هى صور و تجليات مختلفة لهذا الكيان الالهى المزدوج "آمون - رع" **

لزمن طويل , ثار جدال بين علماء المصريات حول توصيف الديانة المصرية القديمة .

فمن ناحية , تعكس العديد من النصوص الدينية المصرية مفهوم الوحدانية , حيث تنسب فعل الخلق الأول لاله واحد عظيم , هو الأول فلا موجود قبله , و هو الأسمى , و هو الذى أتى للوجود بذاته أو الموجود بذاته , الذى يحيط بكل شئ و يحتويه , هو الأب الذى انبثقت منه كل التجليات الالهية , و هو خالق كل ما فى الوجود .

و من ناحية أخرى , هناك نصوص تبدو و كأنها تناقض فكرة وحدانية الاله و تعاليه حيث تقول بعض النصوص أن الاله أتى للوجود من خلال كيان الهى آخر مؤنث أو من أم كونية , و فى بعض الأساطير نقرأ أن أبناء الاله هم من أنجبوه .

و علاوة على ذلك فان تعدد أسماء الاله الخالق و الكيانات الالهية التى قامت بدور فى منظومة الخلق يعطى الانطباع بأن الديانة المصرية القديمة ديانة تعددية . و لك أن تتخيل عزيزي القارئ أن هناك حوالى 200 كيان الهى و شخصية ميثولوجية جاء ذكرها فى متون الأهرام وحدها .

و بمرور السنين و بظهور أدلة جديدة للنور , تغيرت طبيعة الجدل حول الديانة المصرية القديمة

و هل هى ديانة توحيدية أم تعددية .

فى البداية , ساد اعتقاد بين علماء المصريات أن الديانة المصرية القديمة كانت فى بدايتها ديانة توحيدية , ثم تحولت الى ديانة تعددية بمرور الزمن .

و حسب هذه الفرضية , تعتبر عناصر تعدد الاله عناصر غير أساسية فى الديانة , و لا يجب أن تؤخذ بمعنى حرفى .

و لكن هذه النظرة للديانة المصرية تغيرت بنهاية القرن التاسع عشر , حين ظهرت العديد من الكشوف الأثرية بمدينة أبيدوس و حين ظهرت ترجمات متون الأهرام و التى تحتوى على أدلة على أن قدماء المصريين عرفوا و قدسوا العديد من ال "نترو" (الكيانات الالهية) منذ فجر الحضارة المصرية .

و منذ ذلك الوقت بدأ الباحثون المناصرون لفكرة التوحيد فى تغيير طريقة تناولهم للفكر الدينى المصرى . فقال البعص أن التوحيد كان موجودا فى مصر القديمة جنبا الى جنب مع تعدد الآلهة .

و البعض الآخر قال أن تعدد الآلهة هو أقدم أشكال الديانة المصرية التى تطورت بعد ذلك الى التوحيد . و خرج آخرون بطرح جديد فقالوا أن فى مصر القديمة كان هناك التوحيد للصفوة و المتعلمين , و كان هناك أيضا التعددية و هى للعامة و الذين لم يتلقوا تعليما دينيا .

و قد أطلق على ذلك الطرح اسم نظرية التوحيد الجديدة .

أما فى القرن العشرين فقد خفت حدة الجدل حول هذا الموضوع , لأن الباحثين انشغلوا أكثر بالبحث فى الحقائق التاريخية بدلا من تحليل الديانة المصرية و محاولة وضعها تحت تصنيف بعينه .

و قد كان "أدولف ايرمان" و "هرمان كيس" (Adolf Esman and Hermann Kees) من قادة ذلك الاتجاه الجديد .

و بعد اعادة النظر فى الديانة المصرية القديمة من واقع الأدلة الأركيولوجية اتضح أن الأحكام المسبقة التى كان الباحثون يحملونها لعبت دورا كبيرا فى صياغة النظريات و الفرضيات المبكرة لعلم المصريات و التى حاولت تصنيف الديانة المصرية بمعايير ثقافة الانسان المعاصر .

على سبيل المثال , بنى الباحثون الذين يرون فى الديانة المصرية القديمة ديانة توحيدية آراءهم

على نصوص مصرية قديمة بدت فى نظرهم تتفق مع التوحيد الذى يعرفونه فى ثقافتهم اليهودية – المسيحية .

ثم ظهر جيل جديد من الباحثين الذين أبدوا تشككهم فى النظرية التى تصنف الديانة المصرية القديمة باعتبارها ديانة توحيدية (بالمعايير اليهودية – المسيحية) و بدأوا فى نقد تلك النظرية و مؤيديها و بدأوا فى توجيه دفة البحث فى اتجاه آخر .

و أنا فى الحقيقة ليس لدى أى جديد أقدمه في الجدل الدائر حول التوحيد و التعددية فى الديانة المصرية القديمة , الا أن تعريفى للديانة المصرية القديمة بأنها **ديانة النشأة** (cult of creation) و ليست ديانة الشمس يطرح عدة مبادئ قد تعيد اثارة الجدل القديم حول التوحيد و التعددية .

و أول هذه المبادئ هو أن قدماء المصريين عرفوا و قدسوا الها واحدا تحت مسميات عديدة .

و برغم تعدد و اختلاف الأسماء , الا انها جميعا تصف كيانا واحدا فريدا , ليس كمثله شئ , و هو الاله الخالق .

و هذا المبدأ فى حد ذاته ليس اكتشافا جديدا , و انما الجديد الذى أقدمه فى هذا الكتاب هو طرحه داخل اطار قصة الخلق كما عرفها قدماء المصريين و عبروا عنها بمختلف الأساطير .

ان الجديد الذى أقدمه من خلال نظرية ديانة النشأة هو أنى وضعت الاله الخالق فى قلب الديانة المصرية بدلا من اله الشمس الذى يفترض علماء المصريات أنه الاله الخالق .

و الاله الخالق فى مصر القديمة هو الاله الواحد ذو التجليات و الأسماء و الصور العديدة . قد يختلف اسم الاله من كتاب دينى أو من مركز دينى لمركز دينى آخر , و لكنها جميعها أسماء الكيان الالهى الذى ليس كمثله شئ .

و يعتبر ذلك الطرح بمثابة عودة الحياة لأرض كانت ميته .

ان القول بأن كل من نون , و آتوم , و رع , و بتاح , و خنوم , و آمون (الخ) هم أسماء أو تجليات لاله واحد بالطبع لن يرضى الباحثين الذين يريدون أن تأتى صورة التوحيد فى مصر القديمة مطابقة للتوحيد فى اليهودية و المسيحية و الاسلام , بمعنى عبادة اله له اسم واحد فقط و الغاء كل الأسماء و التجليات الأخرى .

ان مبالغة انسان العصر الحديث فى الاعتداد بثقافته جعلته يرفض امكانية أن تكون الوحدانية المتعددة الأوجه فى مصر القديمة (أى الوحدانية التى تحتوى كل أشكال التعدد) هى الأصل الذى اقتبست منه الأديان التوحيدية التى تقصر الألوهية على اسم واحد فقط .

و لعل أعترافنا بالأصل يفتح للانسانية آفاقا جديدة , فنرى فى المستقبل حضارة انسانية واحدة تقدس الاله تحت كل المسميات (يهوه , بوذا , الله , الخ) باعتبار أنها جميعا أسماء و تجليات لكيان الهى واحد .

هل يكون أبناؤنا و أحفادنا أقل توحيدا منا اذا صلوا للاله الخالق باسم الله فى مدينة و باسم يهوه فى مدينة اخرى ؟

و المبدأ الثانى الذى تطرحه نظرية ديانة النشأة هو أنها توضح أن الكيانات الالهية الرئيسية فى مصر القديمة و التى تبدو فى نظر بعض الباحثين دليلا على تعدد "الآلهة" هى فى الأصل الاله الخالق أو الالهة الخالقه . و من هذه الكيانات الالهية "شو" (رب الهواء) الذى يلقب ب "أبو ال نترو و خالقهم" , و "جب" (رب الأرض) الذى يلقب ب "الاله الواحد العظيم , كا كل ال نترو" , و نوت (ربة السماء) التى توصف بالأم الكونية التى تطورت فأصبحت هى السماء , و أوزيريس (رب العالم السفلى/الباطنى) الذى يمثل موت الكون و بعثه من جديد .

و من المثير للسخرية أن هناك من نظر لهذه الكيانات الالهية أو التجليات الالهية باعتبارها آلهة متعددة لأن كهنة هليوبوليس قاموا بجمع بعضها تحت شعار واحد هو التاسوع و جعلوها تحت هيمنة آتوم , بل و يدعى هؤلاء أن قدماء المصريين اذا أقدموا على تكرار نفس الخطوة فى مدن أخرى فان ذلك كان سيؤدى لظهور نوع من التوحيد الذى يتناسب مع ثقافة انسان العصر الحديث .

و التوحيد فى نظر هؤلاء يعنى حجب أو منع ال "نترو" التى قدسها قدماء المصريين باعتبارها صور و أسماء متعددة للاله الخالق , مع الاعتراف بأن الكون ما هو الا صورة لهذه الكيانات المتعددة و التى تتجسد فى السماء و الهواء و الأرض و العالم السفلى و التى تعرف فى تجليها بالتعدد و ليس بالتشابه .

و هنا تفقد نظرية التعدد مصداقيتها لصالح نظرية الوحدانية .

تاسوع هليوبوليس :-

آتوم

تفونت **شو**

نوت **جب**

أوزوريس **ايزيس** **ست** **نفتيس**

حورس

أما المبدأ الثالث الذى تطرحه نظرية ديانة النشأة فهو أنها تبين المغزى الحقيقى للنترو و التى ارتبطت بالديانة المصرية طوال تاريخها (باستثناء فترة العمارنة حين قام اخناتون بالغاءها) , و التى يعتبرها البعض دليلا على تعدد الآلهة فى مصر القديمة .

و لكننا اذا أدركنا أن الاله الواحد فى الأدب الدينى المصرى يرمز لموت و بعث الكون من جديد , سيتضح لنا أن ال "نترو" (الكيانات الالهية) و التى اجتمعت فى حضرة الاله ثم تحولت الى أرواح سماوية ترمز هى أيضا للكون الذى بعث من جديد .

أى أن ال "نترو" ليست كيانات منفصلة عن الاله الواحد و انما هى أعضاء جسده الكونى التى التحمت من جديد لتعيد خلق الكون بعد أن كانت فى حالة تمزق و تفكك .

و لذلك نصادف أساطير تشكل تحديا لعقل انسان العصر الحديث كالتى تقول أن ال "نترو" هم الذين خلقوا الاله , و فى نفس الوقت تقول أنه هو الذى خلقهم (على هيئة نجوم) .

فى الفكر الدينى المصرى لا يوجد فرق بين الواحد و المتعدد كما يقول عالم المصريات ايريك هورنونج .

فى الفكر الدينى المصرى الواحد لا يقف ضد التعدد و انما يحتويه و يندمج معه فى وحدة واحدة أشبه بعلاقة الجسد بأعضائه المتعددة .

و هكذا تدعم نظرية ديانة النشأة وجهة النظر التى ترى فى الديانة المصرية القديمة ديانة توحيدية ,

و لكنها تفسر الوحدانية من وجهة نظر قدماء المصريين و ليس من وجهة نظر ثقافة انسان العصر الحديث .

و لكن تبقى هناك عقبة واحدة أمام وجهة النظر التى ترى فى الديانة المصرية القديمة ديانة توحيدية , و هذه العقبة هى ازدواجية الاله حيث ظهر فى بعض الأساطير فى صورة اله (مذكر) و فى أساطير أخرى فى صورة الهة (مؤنث) .

و فى اعتقادى أن السؤال الذى يجب أن يطرح حول الديانة المصرية القديمة ليس هو التوحيد أم التعدد .

فالأحرى بنا أن نعيد صياغة السؤال ليصبح : هل كانت الديانة المصرية ديانة توحيدية أم "ثنائية" ؟ و بعبارة أخرى , هل عرف قدماء المصريين الها واحدا (يحوى بداخله المذكر و المؤنث معا) , أم عرفوا الها و الهة (بمعنى كيانين منفصلين) ؟

يدور هذ الفصل حول هذا السؤال الهام .

<u>الاله و الالهة :-</u>

تخبرنا العديد من النصوص الدينية التى استمر ظهورها أكثر من ألفى عام أن قدماء المصريين اعتقدوا فى وجود اله عظيم خلق نفسه بنفسه , بمشيئته و بقدرته , حين كان وحده و لا موجود سواه . فآتوم - على سبيل المثال – كان وحده فى مياه الأزل "نون" قبل أن يخرج من ذاته "شو" و "تفنوت" . و قد وصف قدماء المصريين الطريقة التى أخرج بها آتوم أبناءه "شو" و "تفنوت" من ذاته بأنها أشبه بعملية القذف بغرض التأكيد على أن آتوم كان وحده و لا موجود سواه حين أخرج الخلق للوجود .

و كذلك "نبر - دجر" (رب حدود السماء) , يقال أنه أخرج الخلق من ذاته عن طريق الاستمناء . و لم يكتفى قدماء المصريين برمزية الاستمناء للتعبير عن أن "نبر- دجر" كان وحده حين أخرج الخلق من ذاته , و انما قاموا بتأكيد الفكرة من خلال النصوص المختلفة و منها على سبيل المثال هذا النص الذى يقول على لسان "نبر - دجر" :-

** كنت وحدى حين نطقت اسمى الذى يحوى سر الخلق , و هو حكا (السحر الكونى / الأزلى) .. لم يكن هناك موجود سواى فى ذلك الوقت ليخلق معى **

وصفت النصوص المصرية القديمة "بتاح تا تنن" أيضا بأنه كان وحده حين أخرج الخلق للوجود .

جاء فى أنشودة بتاح المدونة ببردية برلين هذ النص الذى يخاطب "بتاح تا تنن" قائلا :-

** لقد جمعت أعضاء جسدك و احتضنت جوارحك , حين كنت وحدك .. فلم تلدك أم و لم يضع بذرتك أب .. لقد خلقت نفسك بنفسك حين كنت وحدك و لا موجود سواك **

و هناك مثال آخر , و هو آمون الذى يوصف بأنه هو الذى "خلق بيضته بنفسه و أتى للوجود بذاته". جاء فى أنشودة آمون العظمى :-

** كان (آمون) وحده فى الأزل و لا موجود سواه ليطلع على صورته .. فليس له أم لتخلق له اسما , و ليس له أب ليضع بذرته و يقول أنا من خلقت ذاك **

و برغم وجود هذه النصوص التى تؤكد على أن الاله كان وحده فى الأزل , هناك نصوص أخرى تقول أن الخالق لم يكن وحيدا فى هاوية "نون" , و انما كانت له رفيقة هى الالهة العظيمة , و التى لم تكن فقط زوجته و انما هى أيضا أمه .

على سبيل المثال , جاء فى احدى الأساطير أن آتوم أرسل عينه من مياه الأزل لتبحث عن أبناءه "شو" و "تفنوت" بعد أن ضلا طريقهما .

نستشف من ذلك أن العين و هى احدى صور الربة الأم/الكونية كانت موجودة مع آتوم فى مياه الأزل , و أنها هى الوسيلة التى استطاع من خلالها آتوم أن يوسع الكون .

و نلاحظ أيضا أن "شو" و هو أحد صور الاله الخالق كانت له زوجة و هى "تفنوت" .

وصف أحد نصوص الأهرام "شو" و "تفنوت" بأنهما قاما بخلق ال "نترو" و تصويرها .

و فى نص آخر من نصوص الأهرام نقرأ أن المياه السماوية النقية خرجت من الأعضاء الجنسية ل "شو" و "تفنوت" , أى أن الكون أتى للوجود نتيجة تزاوج "شو" و "تفنوت" .

و فى النصوص الدينية المصرية يظهر "جب" أيضا فى دور الاله الخالق ترافقه زوجته و أخته نوت .

تصف الأساطير المصرية تزاوج جب و نوت بأنه هو الذى أدى لخلق السماء ذات النجوم , و هو تزاوج بدء فى المراحل الأولى من نشأة الكون حين كانت السماء و الأرض (المياه الأزلية و الأرض الأزلية) كيانا واحدا قبل أن تنفصلا , و استمر بعد انفصال السماء عن الأرض حيث تحول جب الى ثور السماء و صعد اليها ليسكب فيها بذور الخلق .

فى الكتب الدينية المصرية يظهر رع أيضا فى دور الاله الخالق و عندئذ ترافقه العديد من الكيانات الالهية المؤنثه التى تقوم بدور الأم الكونية أو الربة العظيمة .

فى متون الأهرام وردت اشارة الى تزاوج وقع بين رع و عينه (أى عين رع) .

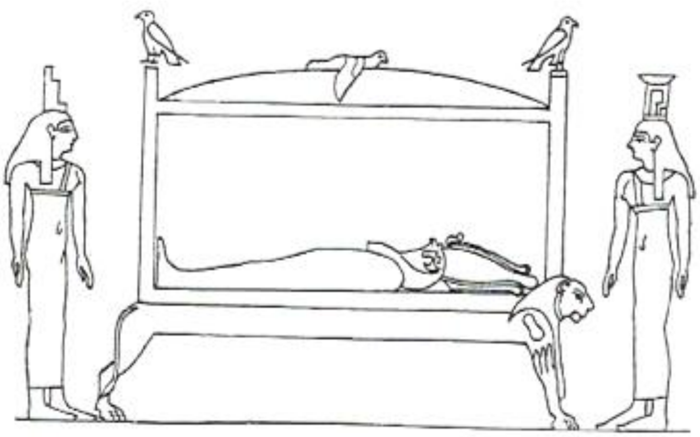
و فى متون التوابيت يقول أحد النصوص أن رع وضع بذرة "ايحى" (رب التناغم/الهارمونى) فى رحم ايزيس , ثم فتح رحمها (أو جوفها) بأصابعه لتنسكب بذور الخلق من رحم ايزيس الى الكون الذى بدأ للتو فى التوسع .

وصف كتاب البقرة السماوية رع بأنه ترك الأرض و صعد للسماء التى تحولت الى بقرة سماوية تحمله فوق ظهرها .

و فى أسطورة ايزيس و رع , أعادت ايزيس بسحرها العظيم الحياة لجسد رع الذى أوشك على الموت بعد أن لدغته حية .

أما أوزيريس و هو الاله الخالق بامتياز كما أوضحت فى الفصول السابقة من هذا الكتاب فقد رافقته الأم الكونية فى صورة ايزيس .

يظهر أوزيريس فى أساطير الخلق المصرية فى حالة من السلبية و الضعف و الخمول و السكون الى أن تقوم ايزيس (بمساعدة نفتيس) باعادته للحياة .



(ايزيس نفتيس تلعبان دورا رئيسيا فى بعث أوزيريس – حورس)

و فى احدى الروايات تتزاوج ايزيس مع أوزوريس و تحمل منه بالطفل حورس .

و هنا يتضح لنا أن الاله الخالق يحتاج لرحم الأم الكونية لكى يخلق منه الكون الجديد .

و فى طقوس اعادة تكرار قصة الخلق التى يقوم بها الملك عند موته و التى يقوم فيها بدور أوزيريس نجد أن الملك يبعث من جديد ليس فقط بفضل حب ايزيس و نفتيس له و انما أيضا بفضل تقديم قربان العين التى تقوم بتطهيره و حمايته و ترد فيه الروح .

و فى أساطير الخلق المصرية قام حورس أيضا بدور الاله الخالق برفقته حتحور التى تلعب دور زوجته و أيضا أمه .

و من أهم الاحتفالات ببداية السنة المصرية القديمة الاحتفال الذى يقام فى ادفو و الذى يقوم فيه حورس و حتحور (من خلال صورتهما المقدسة على هيئة تمثال) باعادة تكرار قصة الزواج الالهى المقدس .

و بعد طقوس الزواج الالهى فى ادفو تعود الصورة المقدسة لحتحور الى معبد دندرة و بعد عشرة أشهر تلد الصقر المقدس "حور سما تاوى" , أى حورس الذى وحد الأرضين .

و كما أوضحنا فى الفصل الثالث عشر يرمز توحيد الأرضين لبداية المرحلة الأخيرة من مراحل نشأة الكون و تطوره و هى المرحلة التى تبدأ فيها حركة الزمن .

تلك هى أمثلة الاتحاد و الامتزاج بين الاله العظيم و الالهة العظيمة .

و لكن هناك أيضا أمثلة أخرى للزواج الالهى فى الطقوس الدينية المصرية .

على سبيل المثال , هناك تزاوج آتوم مع الربة "ايوساس" و من ألقابها "التى تأتى" و أيضا "العظيمة" , و تزاوج رع مع الربة "رعت" و من ألقابها "رعت , ربة الأرضين" , و تزاوج بتاح مع سخمت و من ألقابها "القوية" و تزاوج آمون مع كل من "آمونيت" و "موت" و تزاوج خنوم مع "ساتت" (و فى عصور متأخرة مع "نيت") , و تزاوج سوكر مع "سوكرت" , و تزاوج أنوبيس مع "آنبيت" .

من كل تلك الأمثلة يتضح لنا أن دور الربة الأم لا يمكن انكاره .

و لكن ما الذى يعنيه وجود الربة الأم بجوار الاله فى قصة الخلق المصرية ؟

رمزية بعث الكون من جديد :-

يدور هذا الكتاب حول فكرة رئيسية مفادها أن الاله فى نظر قدماء المصريين هو الاله الخالق الذى يرمز لموت و بعث الكون من جديد .

و أن هذا الكون الذى نحيا فيه الآن قد خلق من رحم كون قديم انهدم و تحلل لعناصره الأولية و أصبحت تهيمن عليه الفوضى و الظلمة . انبعثت روح الكون الجديد من جسد الكون القديم الممزق و أعادت خلق الكون من جديد من عناصره الأولية ليحل النظام محل الفوضى و يحل النور محل الظلمة و يحل التلاحم محل التمزق .

و قد أوضحت للقارئ أن عملية خلق الكون من جديد تضمنت توسعة الكون القديم الذى كان فى حالة تشرنق أشبه بالبيضة المنغلقة على نفسها و فتح جوفه كما ينفتح الرحم فى لحظة المخاض و قذف المواد الأولية و العناصر التى استخدمت فى خلق الغلاف الجوى و الأجرام السماوية و المحيط السماوى الذى انبثق من نقطة انطلاق تشبه السرة و هى عبارة عن الأرض الأزلية و المياه الأزلية .

اذا صحت هذه النظرية فهى تعتبر دليلا على فكرة الوحدانية فى مصر القديمة , بمعنى أن الكون واحد و أن كل مراحل نشأة الكون هى تعبير عن فعل واحد هو فعل الخلق قام به كيان الهى واحد

هو الخالق , و ان تعددت أسماؤه و صوره و تجلياته .

اذن , كيف نفهم وجود الالهة العظيمة أو الربة الأم الى جوار الاله العظيم ؟

بوجه عام , نلاحظ أن الباحثين غير قادرين على تحديد دور الالهة بالمقارنة بدور الاله .

و من أفضل المصادر التى تفسر لنا دور الالهة العظيمة روايتان يمكن جمعهما من نصوص متفرقة . و أول هذه الروايات , أسطورة العين .

كما رأينا فى الفصل الثانى عشر , العين تمثل الكون الأزلى , حيث وصفت الأساطير جسد العين بأن له أبواب و به مياه و به كل ما تنتجه الأرض (أو بمعنى أدق الصورة الأولية لكل ما ستنتجه الأرض) كما وصفت الأساطير جسد العين بأنه التحم من جديد بعد أن كان فى حالة تمزق و تفكك و فى نفس الوقت وصفت الأساطير العين بأنها خرجت من مياه الأزل "نون" خروجا عنيفا مصحوبا باندلاع نيران , و أنها هى التى جلبت النور للعالم فى صورة العينين , أى الشمس و القمر باختصار , ترمز العين فى أساطير الخلق المصرية لبعث الكون و خلقه من جديد .

و الرواية الثانية التى تحدثت عن الالهة العظيمة أو الأم الكونية فهى أسطورة نوت .

رأينا فى الفصل السادس أن نوت كانت تظهر فى أساطير الخلق المصرية من ناحية فى صورة الكون الأزلى (على سبيل المثال ظهورها فى صورة الابنة التى ولدت من رحم أمها تفنوت) , و من ناحية أخرى كانت تظهر أيضا فى صورة المحيط السماوى أو السماء ذات النجوم التى رفعها "شو" بذراعيه .

جاء فى متون الأهرام أن نوت صعدت الى السماء و أتت للوجود فى صورة السماء و أن العينين (الشمس و القمر) انبثقتا من رأسها .

كل تلك التشبيهات هى تعبيرات مجازية عن الكون فى مراحل مختلفة من نشأته و تطوره عبرت عنها الأساطير من خلال صورة الالهة العظيمة أو الربة الأم .

و يمكننا أن نضيف مثال آخر للمثالين السابقين , على الرغم من اختلاف التفاصيل و ايجازها , ألا و هو الأم الكونية حتحور .

توصف حتحور فى أساطير الخلق المصرية بأنها الرحم الذى ولد منه الصقر السماوى "حورس"

, و فى نفس الوقت توصف بأنها انبثقت من الأرض , حيث نقرأ على سبيل المثال فى بعض النصوص أن (كهوف حتحور قد انفتحت , و أنها تصعد وسط السماء الفيروزية) . و بعد صعودها للسماء تصير حتحور هى قصر أو بيت حورس الذى فى السماء , أى تصير حتحور هى بطن السماء السفلى الذى يحلق فيه حورس و يرتحل بين الأفقين - الشرقى و الغربى - كل يوم فى صورة قرص الشمس .

تشير الأوصاف السابقة الى أن حتحور هى أيضا رمز للكون الأزلى فى مراحل نشأته و تطوره المختلفة . لذلك ليس من الصدفة أن نكتشف أن كل من نوت و حتحور كانتا من رموز العين فى مصر القديمة .

ترمز نوت للعين باعتبارها الكون الأزلى و بشكل خاص حين يرمز للمدينة الأزلية .

بينما ترمز حتحور لعين رع , و هى العين الوحيدة التى انبثق منها الشمس و القمر , و فى بعض الأحيان قد ترمز للشمس .

ارتبطت العين الوحيدة أيضا بكل من ايزيس و سخمت .

و الفكرة العامة باختصار هى أن العين الوحيدة (الالهة العظيمة / الأم الكونية) يمكن أن تتخذ العديد من الهيئات و الصور و الأسماء , مثلها مثل الاله العظيم .

أى أن الاله و الالهة هما فى الحقيقة شئ واحد أو وجهين لعملة واحدة , هى الكون الأزلى الذى انبعث منه الكون الجديد .

و لكن كيف لنا أن نفهم العلاقة بين هذين الوجيهن لنفس العملة ؟

لماذا عبر المصريون القدماء عن فكرة واحدة و هى نشأة الكون و تطوره بصورتين أو رمزين أحدهما مذكر و الآخر مؤنث .

قد يكمن تفسير ذلك فى أن كل من الاله و الالهة كانا جزءا من ممارسات دينية قديمة كانت موجودة فى مراكز حضارية مختلفة فى العصر العتيق و تم دمجها جميعا بالتزامن مع الوحدة السياسية فى مصر مع بداية عصر الأسرات .

على سبيل المثال , هناك أساطير تتحدث عن الالهة العظيمة باعتبارها الخالق الأوحد .

و أهم هذه الأساطير و أشهرها هى أسطورة "نيت" , الأم الكونية التى كانت مقدسة فى مدينة "سايس" (صا الحجر , مركز بسيون محافظة الغربية) منذ عصر ما قبل الأسرات .

و فى العصر المتأخر (العصر الصاوى) صارت "نيت" هى عذراء الكون , أى الأم الكونية التى تخلق وحدها بدون زوج , و هى صفة لا تنفرد بها "نيت" وحدها و انما هى صفة أطلقت أيضا على كل من تفنوت , و نوت , و حتحور , و ايزيس , و موت .

فكل واحدة منهن وصفت بأنها ولدت الكون وحدها بدون زوج .

و لكن دمج الرموز الدينية مع بداية عصر الأسرات هو الذى جعل قدماء المصريين يمزجون بين الرموز المذكرة و الرموز المؤنثه لتنشأ منها عائلات أو كوكبات مثل كوكبة جب و نوت (أو تفنوت) , و كوكبة حورس الكبير و حتحور و ابنهما "حور سما تاوى" (حورس الذى وحد الأرضين) , و كوكبة أوزوريس و ايزيس و ابنهما حورس الصغير , و كوكبة آمون و موت و ابنهما "خونسو" (رب القمر) .



(نيت - ربة سايس - تمسك بمفتاح ال "عنخ" , و برمزها المميز و هو القوس و السهم)

و هناك تفسير آخر للتعبير عن فكرة نشأة الكون و تطوره برمز الاله و الالهة المزدوج و هو أن الكون فى نظر قدماء المصريين نشأ من تفاعل قوى يناقض بعضها البعض و فى نفس الوقت يكمله

كما فى ثنائية الذكر و الأنثى , التى انبثقت بدورها من مصدر واحد هو الكون القديم (الأزلى) و هو كيان الهى "خنثى" يمكن أن يشار له ب "هو" أو "هى" .

و من أمثلة فلسفة الازدواجية أو الثنائيات فى مصر القديمة أسطورة جب التى تصفه (حسب ما جاء فى متون الأهرام) بأنه مزيج من الأرض الأزلية و المياه الأزلية .

و فى اعتقادى أن ذلك يعتبر أول أشكال الاتحاد أو التزاوج أو التفاعل بين الاله و الالهة , بمعنى قيامهما باعادة نسج عناصر الخلق الأزلية .

و هنا تجدر الاشارة الى أن النصوص المصرية القديمة وصفت عنصرى الخلق الرئيسيين (المياه الأزلية و الأرض الأزلية) و كأنهما ذكر و أنثى .

و قد انعكست هذه الفكرة فى ثنائية "جب" (مذكر) الذى تطور فأصبح هو الأرضين و "نوت" (مؤنث) التى تطورت فأصبحت هى المياه السماوية .

و الفكرة الرئيسية التى تدور حولها كل هذه الرموز هى أن الكون الأزلى / القديم هو كيان الهى ليس بمذكر و لا مؤنث و انما هو الاثنين معا "هو - هى" لأن المياه الأزلية (الجانب المؤنث من الخلق) كانت تحيط بعناصر الخلق الأزلية و هى الأرض الأزلية (الجانب المذكر من الخلق) و تحتويها كما يحتوى الرحم الجنين بداخله .

أى أن قدماء المصريين رأوا الكون فى صورة ربة أو الهة عظيمة تحتوى مياهها التى تشبه الرحم على الجوهر المذكر الذى قامت الربة باخصاب نفسها به لكى تعيد الخلق من جديد .

فى أساطير العصر المتأخر وصف المكان الذى يقع فيه حدث الاخصاب الكونى باسم "بننت" (bnnt) .

جاء فى أساطير معبد ادفو (الذى شيد فى العصر البطلمى) أن الأرباب الأزليين أدخلوا عضوهم الذكرى فى "نون" (المياه الأزلية) و سكبوا بذور الخلق فى "بننت" (bnnt) الذى تحول بدوره الى بيضة طفت فوق سطح المياه الأزلية , و بعد اكتمال نضجها فقست و ولد منها النور .

تقول نصوص ادفو أن محتويات "بننت" خرجت للنور بسبب البذور التى سكبت فى رحم المياه الأزلية "نون .

تقول الباحثه ايف ريموند التى قامت بترجمة نصوص معبد ادفو أن كلمة "بننت" (bnnt) يمكن أن تترجم بمعنى جنين , أو بالأحرى بويضة مخصبة .

و من الجدير بالاشارة هنا أن ال "بننت" لم يكتفى بخلق البيضة التى ولد منها النور و انما قام أيضا بانتاج سلالة من البذور التى ستنبثق منها بعد ذلك المزيد من المخلوقات .

و فى بعض النصوص تظهر كلمة "بننت" بمعنى بذرة أو نطفة تخرج من جسد .

جاء فى أحد النصوص المدونة على جدران معبد خونسو بالكرنك أن "آمون - رع" خلق مكانا فى مياه الأزل "نون" فى الزمن الأول (سب- تبى) حين سال من جسده "بننت" (bnnt) فى هيئة بذرة سقطت منه أو قذفت من داخله . و قد أطلق قدماء المصريين على معبد خونسو بالكامل اسم معبد "بننت" (bnnt) , و كأن هذه البذرة قذفت للسماء .

و هناك نص آخر بمعبد خونسو وصف المكان الذى بدأ فيه فعل الخلق الأول بأنه ال ("بننت" التى فى مياه الأزل , التى أنجبت ال "بننت" فى الزمن الأول) .

أى أن بويضة ال "بننت هى التى أنجبت بذرة ال "بننت" فى المحيط الأزلى .

و هى نفس الفكرة التى عبرت عنها الباحثه "ايف ريموند" حين كتبت تعليقها على نصوص معبد ادفو تقول :-

*** يبدو أن كلمة "بننت" (bnnt) كانت تستخدم فى علم نشأة الكون المصرى لوصف موضع معين داخل المياه الأزلية بدأ فيه تشكل عناصر معينة و تطورها . و هذه العناصر يمكن أن يطلق عليها أيضا "بننت" , و هو اسم الموضع الذى تحولت فيه هذه العناصر الى مادة صلبة . أى أن ال "بننت" فى هذا السياق تعتبر هى المادة الخام التى نسجت منها عناصر الخلق ***

الشئ المدهش فى ال "بنت" (bnnt) أنها كلمة و مفهوم مؤنث , فهى تنتهى بالتاء و هو علامة التأنيث فى اللغة المصرية القديمة .

يبدأ ال "بننت" رحلة تطوره على هيئة بيضة أو بويضة مخصبة (أى مؤنث) تحوى بداخلها المذكر على هيئة الحيوان المنوى للأزليين , ثم تتطور الى بذرة , حيث توصف البذرة فى الفكر الدينى المصرى بأنها مذكر (قارن أساطير الثور "كا - موت – اف" الذى يخصب رحم أمه السماوية

ببذرته المذكرة و آتوم الذى يتحول الى حجر ال "بن بن" الذى يرمز لبذرة الخلق) .

ليس من قبيل الصدفة أن كلمة "بننت" (bnnt) المؤنثه و التى تعنى بويضة مخصبة تحتوى على المقطع "بن" (bnn or bn) و الذى يعنى انجاب ذرية من خلال العضو الذكرى .

أى أن كلمة "بننت" (bnnt) تعنى البويضة التى تحوى بداخلها وسيلة اخصابها , و هو معنى تؤكده أساطير الخلق كما تؤكده الكتابة الهيروغليفية للكلمة .

يعيدنا ذلك مرة أخرى لأسطورة "نوت" (السماء) و زواجها ب "جب" (رب الأرض) .

فى متون الأهرام يوصف الملك الذى بعث من جديد باعتباره ابن نوت و جب بأنه "بذرة الاله" الذى يخصب رحم الأم الكونية و يجعله مثقلا بامكانيات الخلق .

و يعقب ذلك صعود الملك للسماء و هو يرمز لخروجه من رحم الأم الكونية (و فى بعض النصوص يقال أن الملك فتح رحم أمه بعنف لحظة المخاض) . و يواصل الملك ضغطه على رحم السماء بوصفه بذرة الاله التى فى السماء .

جاء فى احدى أساطير هليوبوليس أن "جب" (رب الأرض) يصعد للسماء ليصبح هو "ثور نوت" و هى أسطورة تشبه الى حد كبير أسطورة معبد ادفو التى تحكى عن بويضة ال "بننت" المخصبة التى تحولت الى بذرة ال "بننت" و الفرق الوحيد بين الأسطورتين هو أن العضو الذكرى ل "جب" فى أسطورة هليوبوليس تم استبداله بالعضو الذكرى للأزليين فى أسطورة معبد ادفو .

نستنتج من ذلك أن نوت ترمز للمياه الأزلية التى تطورت فى مرحلة من مراحل خلق الكون لتصير حبلى بالنجوم بعد أن كانت فى حالتها الأزلية تعرف باسم "نون" , و توصف بأنها مذكر (على الرغم من أن نون تحوى بداخلها المذكر و المؤنث معا , و كذلك كل الأقطاب المتناقضة فى حالة فوضى) .

كما نستنتج أيضا أن ال "بننت" (bnnt) التى جاء ذكرها فى نصوص معبد ادفو ليست مكانا داخل المياه الأزلية "نون" و انما هى مرادف للمياه الكونية أو لمرحلة من مراحل تطورها ليخرج منها الخلق .

و هنا نلاحظ أن هناك فارق زمنى حوالى ألفى عام بين أسطورة جب و نوت التى نشأت فى

هليوبوليس و بين أسطورة ال "بننت" التى دونت على جدران معبد ادفو .

لذلك يمكننا أن نقول أن قدماء المصريين من عصر متون الأهرام (حوالى 2400 قبل الميلاد) كانوا ينظرون للكون باعتباره كيان مؤنث و مذكر فى نفس الوقت , "هو- هى" معا , و كأنه بويضة تحتوى بداخلها البذور أو الحيوان المنوى الذى يخصبها .

يمكننا القول بأن الكون "هى" بمعنى أنه المياه الأزلية , و فى نفس الوقت "هو" بمعنى أنه الأرض الأزلية الموجودة داخل المياه الأزلية . و كل من المياه و الأرض تمتزجان معا فى حالة سكون و ركود و عشوائية .

و لأسباب خفية (غير معروفة للبشر) , بدأت هذه العناصر الأزلية فى التحرك و بدأ بعضها يتفاعل مع الآخر الى أن امتزجت معا صانعة كتلة واحدة من المادة الخصبة الحبلى بامكانيات الخلق , و قد عبر قدماء المصريين عن ذلك تعبيرا مجازيا بفكرة الاله المذكر الذى يتزاوج مع الالهة الأنثى و بعد هذا التزاوج دبت الحياة فى المياه و بدأت فى التدفق (التحرك) و بدأت الأرض فى التشكل الى أشكال و صور .

و هكذا تطور الكون فصار كالرحم المنتفخ الذى يحمل بداخله جنينا حيا آخذا فى التشكل .

ثم انفتح هذا الرحم الكونى و قذف من داخله النور و الهواء و الماء و العناصر التى خلق منها الكون الجديد الى الفضاء الشاسع .

و فى المراحل المتأخرة من تطور الكون عادت المادة الأزلية المفعمة بالنور و خصبت المياه الكونية مرة أخرى , حيث كان الجانب المذكر من الخلق محمولا داخل رحم الأم السماوية و هو ما عبر عنه قدماء المصريين بمصطلح "كا - موت - اف" , أى ثور أمه .

باختصار , قامت الأم الكونية أو الالهة العظيمة باستخدام بذرة الاله التى فى داخلها لكى تحمل بالابن . و الابن فى سياق أساطير الخلق المصرية هو الكون الذى خلق من جديد .

تؤكد النصوص الدينية المصرية التى تعود لعصور مختلفة فكرة الكون الخنثى (أى الذى يحمل بداخله صفات المؤنث و المذكر معا) على الرغم من أنها فى الكثير من الأحيان تقدم دور المذكر على دور المؤنث .

و لكن ظلت الالهة العظيمة أو الأم الكونية هى المهيمنة بشكل خاص فى أساطير مدينة "سايس" (صا الحجر , مركز بسيون , محافظة الغربية) و التى تدور حول الربة "نيت" .

و فى العصر المتأخر ظهرت "نيت" فى صورة خنثى , حيث وصفتها أساطير الخلق بأنها "أب كل الآباء , و أم كل الأمهات" , كما وصفتها أيضا بأنها عذراء الكون .

و برغم علو مكانة نيت فى سايس , الا أن الغالبية العظمى من أساطير الخلق الأخرى قدمت الجانب المذكر على الجانب المؤنث .

على سبيل المثال , جاء فى أساطير هليوبوليس هذا النص على لسان آتوم يقول فيه :-

** لقد انجبت "شو" وحدى .... أنا "هو - هى" معا (pn tn) **

و بدلا من أن يقذف آتوم أبناءه شو و تفنوت من عضوه الذكرى , تقول احدى الأساطير أنه قذفهما من فمه على هيئة عطسه و بصقه , و هكذا تصور الأسطورة فم الاله و كأنه رحم الأم الكونية .

و تقول أساطير هليوبوليس أيضا أن آتوم تزاوج مع يده و خلق بها , بمعنى أقرب الى التزاوج منه الى الاستمناء . و تقول أيضا أن سائل آتوم المنوى (mtwt) قد حمل و ولد له ابنا , و كأن ذلك السائل المنوى قد قذف داخل رحم .

و فى أساطير الخلق المصرية نجد أيضا أن هناك العديد من صور الاله الخالق وصفوا بأنهم ولدوا , و كأنهم أنثى تلد .

وصف "بتاح تاتنن" بأنه "ولد النترو و كل الأشياء" , و كذلك وصف آمون .

و وصف "ست" بانه ولد الشمس و القمر من رأسه بعد أن حمل بالسائل المنوى لحورس و الذى ابتلعه مع نبات الخس .

و فى أساطير الخلق المصرية وصف الاله الخالق أحيانا بأنه هو الذى وضع بيضة الخلق و كسر قشرتها لكى تفقس و تخرج منها الحياة .

على سبيل المثال , كان "جب" (رب الأرض) يصور فى كثير من الأحيان على هيئة أوزة و يطلق عليه لقب "الصياح العظيم الذى وضع بيضة الخلق" .

و يوصف آمون بأنه هو الذى مزج سائله المنوى (mtwt) بجسده ليخلق منه بيضته .

و فى أساطير الخلق المصرية يوصف الاله الخالق أيضا بأنه هو الأب و الأم معا .

على سبيل المثال , يوصف خنوم بأنه "أب كل الآباء و أم كل الأمهات" , و يوصف آمون رع بأنه "أم الكيانات الالهية و البشر" , و يوصف سوكر بأنه "الأب و الأم" , و كذلك أوزيريس كان يوصف بأنه "الأب و الأم" و كان اسمه يكتب باستخدام رموز مذكرة و مؤنثه معا .

كما وصف آتون (الاله الحصرى الذى يدور حوله مفهوم التوحيد عند اخناتون) بأنه "الأب و الأم"

و فى أساطير هرموبوليس (الأشمونيين) يوصف أعضاء الثامون بأنهم أزواج من القوى الكونية المذكرة و المؤنثه : نون و نونت , حح و حوحت , كوك و كوكت , آمون و آمونت .

و فى أساطير ادفو , يوصف الأرباب الأزليون بأنهم "الآباء الذين أخصبوا و الأمهات اللاتى ولدن" , و بأنهم الثيران التى أخصبت , و البقرات اللاتى حملن" , و أيضا بأنهم "الأرباب الذين خلقوا النشوة الجنسية , و الربات اللاتى وضعن بيضة الخلق و أخصبنها" .

و يوصف حابى أيضا بأنه "أقدم الثمانيه , أرباب النيل , الأزليين" , و كان يصور دائما فى صورة رجل له أثداء تتدلى كثدى المرضعة .



(حابى – رب النيل – فى صورة رجل بثدى أنثى)

و أقدم صورة من صور الاله الخنثى (الذى يحمل صفات الذكر و الأنثى معا) نجدها فى أحد مواضع متون الأهرام التى جاء فيها ذكر مجموعة من الكيانات الالهية يوصفون بأنهم "آباء و أمهات جب" .

يتضح لنا مما سبق أن فكرة الاله الخالق الخنثى (الذى يحمل صفات المذكر و المؤنث معا) من أقدم المفاهيم التى انعكست فى الفكر الدينى المصرى من عصر متون الأهرام بالدولة القديمة و حتى العصر البطلمى , و هو ما يعنى أن ازدواجية الجنس ارتبطت دائما بعملية الخلق .

أما هيمنة الجانب المذكر على الجانب المؤنث فى العديد من أساطير الخلق و تصوير الاله الخالق بأنه مذكر فيعود الى هيمنة الذكور على الفكر الدينى , و هو ما انعكس حتى على مياه الأزل "نون" و التى هى فى الأصل خنثى (لأنها تحوى كل الأقطاب و المتناقضات معا) بحيث أصبحت تصور فى هيئة كيان الهى مذكر يشار اليه باسم مذكر هو "نون" .

أما فى الأصل , فان الأنثى (الالهه العظيمة /الأم الكونية) هى التى تحتل مركز الصدارة .

ان المعنى الحقيقى لقصة الخلق لا يتضح الا اذا عكسنا الأولويات فى ازدواجية "هو- هى" , لتصبح "هى - هو" .

<u>الومضة الالهية :-</u>

كيف استطاع الكون الذى مات أن يحيى نفسه من جديد ؟

من الأفكار الرئيسية التى تكررت فى أساطير الخلق المصرية فكرة تجميع عناصر الخلق .

جاء فى أسطورة ثامون الأِشمونيين أن أعضاء الثامون تقاربوا و تدافعوا ليصنعوا معا تكتل واحد , و وصفتهم الأسطورة بأنهم يجتمعون و يحتشدون , و قالت أن الاله يعيد جمع أعضاء جسده , و أن جب و نوت يمزجان معا الأرض و المياه .

و كل هذه الأوصاف هى فى الحقيقة تعبيرات مجازية عن فكرة واحدة , و هى أن عملية لم الشمل و جمع الأجزاء هى عبارة عن امتزاج أو تزاوج بين الجانب المؤنث و الجانب المذكر من الخلق , و هذا التزاوج أسفر عن مولد صورة جديدة حية من الكون القديم .

وصف هذا الالتحام بين الجانب المؤنث و الجانب المذكر للخلق بأنه تزاوج يقع بين الاله و الالهة , و قد شبهه المصرى القديم أحيانا بتزاوج يحدث بين ثعبان مذكر و حية مؤنثه .

جاء فى أحد نصوص الأهرام :-

** الحية الأنثى تلتف حول الثعبان الذكر , و العكس بالعكس , و قد سحرت الأرض و السماء **

و عند قراءة النصوص الدينية المصرية علينا أن نتذكر أننا نتعامل مع رموز باطنية و ليس مع تعبيرات حرفية عن لقاء جنسى .

ان مفهوم التزاوج الذى يعبر تعبيرا مجازيا عن تفاعل قوى كونية هو مفهوم واضح تماما , و لكن آلية حدوث ذلك التفاعل تبقى غامضة .

ما هى القوة الماورائية الغامضة التى أعادت ال "نترو" (الكيانات الالهية) للحياة و جعلتهم يلتحمون معا فى كيان واحد ؟

من المؤكد أن هذا السؤال ورد على أذهان حكماء مصر القديمة و أنهم حاولوا البحث عن اجابة له , تماما كما يبحث الفلاسفه و علماء الفيزياء الكونية المعاصرون عن الأسباب الماورائية التى أدت لوقوع حدث الانفجار العظيم , و هى نظرية فيزيائية حديثه تشبه الى حد كبير نظرية الخلق من الأرض التى أطرحها فى هذا الكتاب .

و اذا كان حكماء مصر القديمة قد بحثوا عن اجابة لذلك السؤال , فما هى التفسيرات و النظريات التى توصلوا اليها ؟

جاء فى أسطورة ثامون الأشمونيين أن الرياح هى السبب الأول الذى أعاد الكون للحياة مرة أخرى , حين تحركت الرياح فوق سطح المياه الأزلية فحركت عناصر الخلق الموجودة بداخلها فى حالة سكون و ركود , و هذه الحركة هى التى أدت لتقارب و تدافع أعضاء الثامون الى أن صنعوا معا كتلة صلبة لها شكل محدد هو التل الأزلى .

و الحركة المقصودة هنا أشبه بعملية رج الوعاء عند صنع الزبد , حيث تؤدى الحركة المتكررة و الرتيبة الى تحول اللبن من الحالة السائلة الى زبد يتخذ شكل الوعاء الذى يحمله .

تظهر الرياح أيضا كقوة رئيسية من قوى الخلق فى احدى ابتهالات عصر الدولة الحديثه التى

تخبرنا أن ايزيس (فى هيئة طائر) بعد أن عثرت على جسد أوزيريس , أعادته للحياة مرة أخرى بأن حركت أجنحتها فوق جسده فهبت الرياح و ردت فيه الروح , و دبت الحياة فى أعضاء جسده . ثم قامت ايزيس بامتصاص بذرة الحياة من داخل جسد أوزيريس الى جسدها و هكذا حملت بالطفل حورس .



(ايزيس – على هيئة حدأة – تقوم باحياء جسد أوزيريس , ترافقها أختها نفتيس و تراقبها حتحور و حيقيت)

تقول الأسطورة أن تلك الرياح كانت مصحوبة بظهور الضوء و الصوت .

قامت ايزيس بخلق النور (بالمعنى الحرفى ألقت ظلها) بريش جناحها , و أطلقت صرخة المرأة التى تنتحب . أى أن السبب الأول الذى بدأ منه اعادة خلق الكون من جديد هو ثالوث "الرياح – الضوء – الصوت" .

جاء فى النص رقم 148 من متون التوابيت أن الضوء و الصوت هما أول الظواهر الكونية التى ظهرت للوجود , و قد وصفهما النص بصورة أشبه بالبرق و الرعد . يقول النص :-

** ارتعدت ال "نترو" (الكيانات الالهية) من هدير البرق و الرعد , حين قامت ايزيس حبلى ببذور الخلق التى حملتها من أخيها أوزيريس **

من النص السابق , نفهم ضمنيا أن البرق و الرعد هو الذى جعل ايزيس تحمل من أوزيريس ,

و لكن النص لا يوضح من أين أتى ذلك البرق و الرعد .

قد نجد فى "حكا" تفسيرا للقوة الماورائية الغامضة التى بدأت فى اعادة الحياة للكون الميت .

و "حكا" هو أحد القوى الأزلية التى لعبت دورا رئيسيا فى قصة الخلق , و يترجم علماء المصريات اسمه عادة بمعنى السحر أو الكلمة التى تحمل بداخلها سحر الخلق .

ارتبط "حكا" فى الفكر الدينى المصرى بشكل خاص بالفم و بنطق الأسماء , و هذا النطق للاسم هو الذى أتى بالمخلوقات للوجود .

جاء فى احدى أساطير هليوبوليس أن أول فعل من أفعال الخلق أتى به الاله الخالق فى هيئة "نبر – دجر" (رب حدود السماء) هو أنه نطق باسمه "حكا" , فأتى للوجود فى كل صور المخلوقات التى ستأتى للوجود .

جاء فى أحد نصوص التوابيت أن "حكا" هو أول شئ خلقه "نبر - دجر" , و أن خلق "حكا" سابق على ارسال العين و انبعاثها من المياه الأزلية "نون" .

أتى حكا للوجود حين وضع الاله الخالق "حو" (كلمة الخلق) فى فمه , فانبثقت منه ملايين الأرواح و لذلك يوصف "حكا" بأنه (أبو ال "نترو" , الذى وهب الحياة للتاسوع) .

يخبرنا النص رقم 648 من متون التوابيت أن "حكا" أتى للوجود بذاته أو من تلقاء نفسه (أى أنه ليس مخلوقا) و لكنه فى نفس الوقت مرتبط بنفس المصدر الذى انبثقت منه ملايين الأرواح من فم الاله الخالق .

و حكا هو مفتاح بعث رع من جديد أثناء رحلته التى يعيد فيها تكرار قصة الخلق حيث يموت و يولد من جديد , و يعيد تكرار ذلك الى الأبد .

تخبرنا أسطورة ايزيس و رع أن رع سقط مريضا بعد أن لدغته حية و سرى السم فى كل جزء من أجزاء جسده . و هنا تأتى ايزيس و فمها ملئ بأنفاس الحياة و تستخدم سحرها لتزيل آثار السم من جسد رع . و أثناء ازالة السم من أعضاء جسد رع ينتقل سر اسم رع الخفى من جسده و يدخل جسد ايزيس , و فى نفس اللحظة تخرج العين من فم رع .

لذلك يقال أن ايزيس هى التى أحيت رع بعد أن أوشك على الموت و لذلك استحقت بجدارة لقب

"ويريت - حكاو" , أى العظيمة فى السحر .

و كذلك أوزيريس , عاد للحياة بفضل سحر ايزيس , و لكن المصطلح المستخدم فى قصة أوزيريس ليس "حكا" و انما "مرويت" (mrwt) و معناه الحب .

جاء فى موضعين من متون الأهرام أن ايزيس أتت زوجها الراقد بلا حراك "و قلبها يخفق بحبه" , و برغم ضعف أوزيريس الا انه قذف بذوره داخلها فحملت بالطفل "حور سبدو" , أى حورس اللامع / الساطع .

يلعب حكا أيضا دورا رئيسيا فى اعادة تكرار قصة الخلق التى يقوم بها الملك بعد موته كما وصفتها متون الأهرام .

فى طقوس بعث الحياة من جديد فى جسد أوزيريس يقدم حورس لأبيه قربان العين , و من ألقابها "ويريت حكاو" , أى العظيمة فى السحر .

و نتيجة ذلك الطقس تظهر العينان فوق رأس الملك على هيئة التاج المزدوج (تاج مصر العليا و مصر السفلى) , و الذى يطلق عليه هو أيضا نفس اللقب ألا و هو لقب "ويريت حكاو" .

توصف طقوس بعث الحياة من جديد فى جسد أوزيريس أيضا بطريقة أخرى , فيقال أن ايزيس و نفتيس تعيدان لأوزيريس قلبه فى صورة عين حورس و خصية ست حيث يطلق عليهما أيضا نفس اللقب ,ألا و هو لقب "ويريت حكاو" .

و حين يمتلك الملك الذى بعثت فيه الحياة من جديد قوة ال "حكا" ترتعد أمامه السماء و تتزلزل الأرض .

يعرج الملك للسماء متوجا بسحره (حكا) , و العينان تحت قدميه (أو ملتصقتان بقدميه كصندله) , أو متدثرا بسحره و كأن السحر (حكا) عباءة يرتديها الملك .

جاء فى أحد النصوص الدينية أن الملك يفوز بالحياة الأبدية عن طريق ابتلاع السحر فى صورة ال "نترو" (الذين أتوا للحياة من جزيرة اللهيب و أجسامهم مفعمة بالسحر) .

و هكذا يصبح الملك هو رب ال "آخت" , و رب السحر الذى يخرج ملايين الأرواح من فمه .

و حكا هو الطاقة الكامنة فى ال "كا" .

جاء فى أحد النصوص الدينية على لسان الملك الذى يصعد للسماء و هو يقول :-

** لقد أتت بى روحى (با) الى هنا .. و أمدنى سحرى (حكا) بالمدد الذى أحتاجه فى ارتحالى **

و فى نص آخر , نقرأ هذا الوصف للملك الذى يقوم بدور أوزيريس و يعيد تكرار ما حدث له فى الزمن الأول :-

** ان روح الملك (با) فوقه .. و سحره (حكا) من حوله **

و نلاحظ أن "با" تبدو فى النصوص السابقة و كأنها مرادف أو مقابل ل "حكا" .

من كل ما سبق , يتضح لنا أن حكا هو أحد القوى الكونية الرئيسية ألتى أخرجت الخلق للوجود .

و فى الحقيقة ان ترجمة كلمة "حكا" الى سحر لا تفى بالغرض و لا تعبر عن المعنى الحقيقى الذى هو أعمق بكثير .

و الأحرى بنا أن نترجم "حكا" الى "السحر الأزلى/الكونى" , بمعنى القوة الغامضة , المبهمة , العصية على الفهم التى يكمن فيها سر الخلق (و هو مفهوم أقرب ما يكون لفكرة العنصر الخامس فى العلوم الكونية اليونانية) .

اذا أردنا أن نختصر روح الحضارة المصرية القديمة فى كلمتين , فان هاتين الكلمتين هما بلا شك ماعت و حكا . لأن حكا هو الذى أقام الماعت فى الزمن الأول , و لأن الاستخدام الطقسى لطاقة الحكا (على يد الملك و الكهنة) هو الذى يقيم الماعت فى عالم الزمان و المكان .

حكا هو مفتاح اعادة تكرار أحداث الخلق , لأنه هو القدرة الالهية التى جعلت الخلق ممكنا فى الزمن الأول .

اذا كان حكا هو المبدأ الأول من مبادئ الخلق , فعلينا أن لا ننسى أن الأم الكونية أو الالهه العظيمة هى أيضا المبدأ الأول من مبادئ الخلق , لأنها هى الينبوع الذى يخرج منه السحر الأزلى / الكونى لذلك كانت ايزيس تلقب ب "ويريت حكاو" (العظيمة فى السحر) , و كذلك كانت نفتيس تحمل نفس اللقب .

يطلق على ايزيس و نفتيس معا لقب "العظيمة فى السحر التى أحضرت للملك تاج العظيمة فى السحر من المتخاصمين حورس و ست" .

كما كانت العين – وهى أهم رمز من رموز الالهه العظيمة – تلقب هى أيضا ب "ويريت حكاو , التى ولدت العينين" أو "العظيمة فى السحر التى ولدت الشمس و القمر" .

كانت الأم الكونية أو الالهة العظيمة تصور دائما بأنها هى المحرك الرئيسى للأحداث , فهى التى بحثت عن أشلاء جسد الاله و هى التى عثرت عليه و أعادته للحياة .

على سبيل المثال , نقرأ فى احدى الأساطير أن الأم الكونية ترد الروح لجسد الاله الراقد بلا حراك , و أنها تجعل الروح تنبعث من الجسد الميت , و لكننا فى الحقيقة نستشف من بين السطور أن الأم الكونية هى نفسها الروح .

جاء فى احدى روايات أسطورة ايزيس و أوزيريس أن ايزيس طارت فوق الأرض على هيئة طائر و هبطت فوق جسد أوزيريس و هو جثه هامدة لا حياة فيها فأعادت له الروح بأن حركت الرياح فوقه بجناحيها .

و فى هذا السياق قد تكون ايزيس رمزا لروح الكون التى تنزلت فوق جسده الميت فأعادته للحياة مرة أخرى . و هكذا فان تزاوج ايزيس مع زوجها أوزيريس يعنى أن الروح هى التى تمد جسد الكون بطاقة الحياة .

صور الفنان المصرى القديم جسد أوزيريس بعد ذلك التزاوج مباشرة فى صورة رجل بعضو ذكرى منتصب , و هو رمز لعودة الحياة للكون و قدرته على خلق أشكال جديدة للحياة .

تخبرنا احدى أساطير طيبة أن الأم الكونية "موت" قامت بلف نفسها على هيئة حية ضخمة متوهجة حول جسد رع و ولدته من جديد على هيئة "خونسو" (رب القمر) .

و فى هذه القصة تمثل "موت" روح الكون , و يمثل "رع" جسده .

من كل ما سبق , يتضح لنا أن الاله و الالهة هما فى الحقيقة وجهين لعملة واحدة , هى الكون الأزلى .

و هكذا كان حكماء مصر القديمة على حق حين قالوا أن آتوم كان وحده فى مياه الأزل , على الرغم من وجود العين معه . و حين قالوا أن آتوم تزاوج مع ذاته و أنجب منها , و حين قالوا أن "نبر-دجر" أخرج "حكا" من فمه , و حين قالوا أن بتاح قام بجمع أجزاء جسده و احتضنها , و أن آمون

مزج سائله المنوى ببيضته .

كل هذه التعبيرات المختلفة صحيحة , لأن الاله يحوى بداخله الالهة .

فالالهة أو الأم الكونية هى جزء أصيل من هوية الاله لا يمكن انكاره .

باختصار , الديانة المصرية القديمة هى ديانة تقوم على مفهوم وحدانية الاله على الرغم من ازدواجية الاله و الالهة التى تبدو فى الظاهر .

اعتقد قدماء المصريين أن الاله واحد , و هو بالفعل لا يمكن أن يكون متعدد لأنه يتمثل فى الكون الواحد .

عبر قدماء المصريين عن الاله الواحد و الكون الواحد باستخدام رمزية المذكر و المؤنث لأن التوازن بين هذين الجانبين من جوانب الخلق هو الذى يجعل الكون فى حالة اتزان و تناغم , و هى نفس الفكرة التى رمزت لها فلسفة التاو الصينية بعلامة التاو التى تعبر عن تكامل المذكر و المؤنث فى وحدة واحدة .

<u>ملخص الفصل الرابع عشر :-</u>

* هناك العديد من أسماء و صور الاله الخالق فى مصر القديمة , و لكن هذه الأسماء العديدة لا تعبر عن كيانات متعددة منفصلة و انما تعبر عن جوانب مختلفة لكيان واحد أسمى , هو الاله الواحد العظيم .

* ان وجود العديد من ال "نترو" (الكيانات الالهية) ليس دليلا على تعدد الآلهة فى مصر القديمة لأن ال "نترو" هم جميعا جزء لا يتجزأ من الاله الواحد , تماما كأعضاء الجسد التى لا تعتبر كيانات مستقلة بذاتها و انما هى جزء من كيان واحد هو الجسد .

* عرف قدماء المصرين العديد من صور الالهة الخالقة أو الأم الكونية , و هذه الصور العديدة هى أيضا تعبر عن كيان واحد هو الالهة العظيمة و التى كانت توصف أحيانا ب "الأم الكونية العذراء"

* كان الاله العظيم و الالهة العظيمة يتزاوجان معا , فى الأساطير و فى الطقوس الدينية , حيث تلعب الالهة العظيمة (الأم الكونية) الدور الرئيسى فى اعادة الحياة لجسد الاله الراقد بلا حراك .

* ان السؤال الرئيسى حول الديانة المصرية القديمة يجب أن لا يكون حول الوحدانية أم التعدد , و انما حول الوحدانية أم الثنائية , بمعنى البحث فى المغزى الحقيقى لثنائية الاله و الالهة .

* ترمز الالهة (تماما مثل الاله) للكون أثناء مراحل نشأته و تطوره . و لذلك فهى رفيقه له فى كل تلك المراحل .

* كان الاله يصور فى الغالب فى صورة كيان واحد خنثى (يحمل بداخله المذكر و المؤنث معا) , و يشار له ب "هو - هى" , أو "أب و أم كل الكائنات" . و لكن الكون الأزلى كان بالأحرى "هى – هو" , حيث كانت مياه الالهة (المؤنثة) تحيط بأرض الاله (المذكر) .

* ارتبطت الالهة فى الفكر الدينى المصرى بشكل خاص ب "حكا" , أى السحر الأزلى / الكونى و هو السبب الأول الذى بدأ منه خلق الكون الجديد , فهى الروح التى أعادت جسد الاله للحياة . ان تزاوج الاله و الالهة قد يكون رمزا لأول امتزاج غامض و غير مفهوم (للبشر) بين روح و جسد الكون الأزلى .

* ان الاله و الالهة هما فى الحقيقة وجهين لنفس العملة , أو جانبين لنفس الكيان الأسمى , و هما معا يعبران عن مراحل نشأة و تطور كون واحد .

* ان الديانة المصرية هى فى جوهرها ديانة تقوم على مفهوم وحدانية الاله , حيث تعريفنا للوحدانية يجب أن يقوم على فهم قدماء المصريين للوحدانية , و ليس على معايير انسان العصر الحديث وفهمه للوحدانية .

الفصل الخامس عشر

الأهرامات و المعابد

جاء فى متون الأهرام (نص رقم 601) :-

** أيها التاسوع العظيم فى هليوبوليس , فلتمنحوا الملك الخلود , بأن تجعلوا هرمه خالدا الى الأبد **

ان أول ما يسترعى انتباه الزائر لمصر هو الأحجام و المقاييس الهائلة للأثار التى تركها قدماء المصريين .

و أهم هذه الآثار و أكثرها شهرة على الاطلاق هرم الجيزة الأكبر و تمثال أبو الهول .

هذا بالطبع الى جانب العديد من المعابد و التماثيل الضخمة التى تمتد عبر وادى النيل و التى تعود لعصور لاحقة لعصر بناة الأهرام .

تشكل هذه الصروح المعمارية الحجرية الفريدة ظاهرة طالما حيرت العقول , و الى الآن لم يصل أحد لتفسير عميق و شامل لها .

و اذا نظرنا الى هرم الجيزة الأكبر تحديدا , و هو الصرح المعمارى الذى أنفق عليه قدماء المصريين القدر الأكبر من الوقت و المال و الجهد , نجد أن علماء المصريات قد عجزوا عن الوصول للسبب الذى بنى من أجله مثل هذا الصرح بمقاييسه التى تفوق قدرات البشر العاديين .

و السبب فى ذلك الاخفاق من جانب علماء المصريات فى تفسير الدوافع التى تقف وراء تشييد الهرم هى عدم وجود نظرية شاملة للرمز الذى يعبر عنه الهرم .

هناك العديد من النظريات و الفرضيات التى اجتهدت فى محاولة تفسير أسباب و دوافع بناء الهرم , و لكن حتى الآن لا يوجد نظرية واحدة استطاعت أن تعبر عن ما تراه العين حين تقع على

أهرامات الجيزة .

منذ أفول نجم الحضارة المصرية القديمة و البشر يحاولون التكهن بالأسباب و الدوافع التى جعلت قدماء المصريين يشيدون الأهرامات و المعابد الضخمة .

و من هذه التكهنات و التأملات , ما نسب للفلاسفه الاغريق و الرومان الذين اهتموا بتدوين متون هرمس , حيث قالوا أن هذه الصروح المعمارية الضخمة بنيت لكى تحفظ الحكمة القديمة (الأزلية) و تحميها من التعرض لدمار الطوفان العظيم . و هذا هو السر وراء أبعادها و مقاييسها الضخمة التى ساعدت على بقائها خالدة لآلاف السنين .

وجدت هذه الفكرة صدى واسعا لدى الكتاب العرب فى العصور الوسطى .

جاء فى احدى المخطوطات العربية التى تعود للقرن الرابع عشر أن تمثال أبو الهول كان فى الأصل يقبع فوق قمة الهرم الأكبر (!!!) و لكنه نزل من فوق الهرم بقوة اندفاع مياه الطوفان .

و هناك نظريات مماثله ظهرت فى العصر الحديث , حيث يفسر بعض الكتاب المعاصرين الصروح الهرمية بأنها محطات لتوليد الطاقة التى اعتمدت عليها حضارة أتلانتيس المفقودة , و التى انتقلت بعد ذلك الى مصر القديمة .

بينما يفسرها البعض الآخر على أنها محطات اطلاق أو هبوط أو ما يشبه الفنار لكائنات فضائية أثناء وصولهم بمركباتهم الفضائية .

كما أدلى الكتاب الماديون أيضا بدلوهم فقالوا ان بناء الأهرامات هو اهدار للموارد .

فى عام 1974 ميلاديه كتب "كورت مندلسون" (Kurt Mendelssohn) يقول أن بناء الأهرامات كان بهدف تدريب الشعب و تمرينه لخلق نظام مجتمعى جديد .

و يرى "كورت مندلسون" أن الهرم نفسه ليس هو المقصود و انما المقصود هو عملية البناء نفسها يقول "كورت مندلسون" :-

*** ان القوة الهائلة و جمال مشروعات بناء الأهرامات تتناقض مع انعدام الهدف الذى سيستخدم فيه الناتج النهائى لعملية البناء و عدم جدواه ***

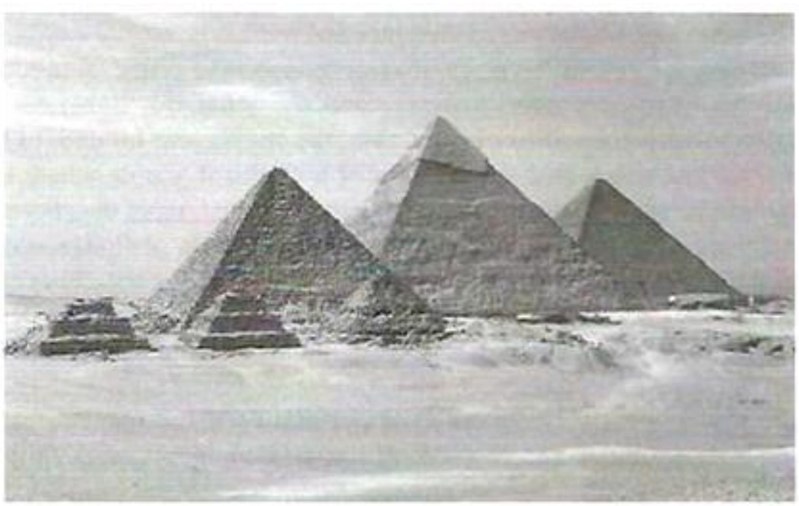
و الخيط الرفيع الذى يربط بين هذه النظريات المختلفة هو أنها تفترض أن دوافع بناء الأهرامات

هى دوافع مادية و اقتصادية , لأن أصحاب هذه النظريات لا يستطيعون تصور وجود دافع دينى يمكنه أن يفسر المقاييس الهائلة للأهرامات و التى تفوق قدرات البشر العاديين .

و هو ما يعنى أن نظرية الديانة الشمسية التى يفسر بها علماء المصريات الديانة المصرية لا تساعد الباحثين على اكتشاف الدافع وراء بناء الأهرامات , و كذلك نظرية الديانة النجمية .

و الفكرة الأساسية التى يطرحها هذا الكتاب هى أن الصروح المعمارية المصرية القديمة (و خصوصا الأهرامات) يمكن تفسيرها من خلال فهم الدوافع الدينية عند قدماء المصريين , و ذلك بعد أن نعى أولا أن الديانة المصرية القديمة ليست ديانة شمسية و لا ديانة نجمية و انما هى **ديانة النشأة** , أى الديانة التى تقوم كل طقوسها على فكرة اعادة تكرار قصة الخلق (بما فى ذلك خلق الأرض و الشمس و القمر و النجوم و الكيانات الالهية و البشر و كل المخلوقات) و تكريس كل موارد الدولة لضمان تكرار قصة الخلق بشكل طقسى الى الأبد .

فى هذا الفصل , سنعيد النظر فى الفلسفة الدينية التى كانت سببا فى ظهور الصروح المعمارية كالأهرامات و المعابد فى مصر القديمة , و سنصل فى النهاية الى نظرية شاملة تفسر رمزية الهرم و تكشف الدوافع وراء الجهد و الوقت و المال الذى بذل من أجل تشييده .



(أهرامات الجيزة الثلاثة , و قد استخدم قدماء المصريين فى تشييدها حوالى 12 مليون طن من الحجارة)

بيوت الأبدية :-

كما أوضت للقارئ فى الفصل الأول , كانت مهمة الملك الرئيسية و كذلك مهمة الدولة المصرية هى حفظ النظام الكونى (ماعت) الذى أقامه الاله الخالق فى الزمن الأول .

كان الملك مؤهلا بشكل كامل لتلك المهمة , فلديه قبس من روح الاله الخالق , و هو مطلع على أسرار الخلق .

و باستقطاب طاقة السحر الأزلى / الكونى "حكا" يستطيع الملك أن يعيد تكرار أحداث الزمن الأول "سب – تبى" (zep tepi) و يجدد طاقة الكون .

على الملك أن يقوم باعادة تكرار (نحح) ما قام به الاله فى الزمن الأول من أفكار و كلمات و أفعال.

طالما أن الطقوس السحرية يعاد تكرارها كل يوم , و طالما أن الكلمات السحرية يعاد ترتيلها كل يوم , فان الكون سيستمر الى الأبد (دجد) و لن يعود الى حالة الفوضى التى كان عليها قبل النشأة .

و هكذا يصير الكون خالدا .

كانت قصة الخلق هى الفكرة الرئيسية المهيمنة على وعى قدماء المصريين و منها تنبع كل الأفكار الأخرى . فكانت المدن تشيد باعتبارها نسخة مكررة مصغرة من التل الأزلى أو الجزيرة التى خرجت من هاوية "نون" (المياه الأزلية) .

كانت مدينة منف توصف بأنها الجزيرة "الأزلية الالهية التى ظهرت للوجود" . و توصف مدينة هرموبوليس (الأشمونيين) بأنها "أول أرض وقف فوقها رع" .

كما توصف أبيدوس بأنها "أقدم أرض على الاطلاق" , و يقال عن طيبة أنها "الجزيرة التى خرجت من المياه الأزلية نون" , و مدينة "هرمونثيس" (أرمنت) هى "الأرض المرتفعة التى خرجت من نون" و "البيضة التى نشأت فى الأزل". و اسنا هى "التل الالهى الذى برزت قمته من نون" , أما اليفانتين فهى "مدينة البداية , التى تلتحم فيها الأرض" و هى "التل الأزلى , عرش رع" .

ان ارتباط المدينة (أى مدينة) فى مصر القديمة بالتل الأزلى الذى يرمز لبداية تشكل الكون يعنى أنها ستبقى للأبد عفية , خصبة , فى مأمن من عوامل الفوضى , و ستبقى دائما أرض بكر خرجت للتو من مياه الأزل .

نفس الفكرة تنعكس فى بناء الأهرامات و المعابد .

ترمز المعابد فى مصر القديمة للموضع الذى بدأت فيه أحداث نشأة الكون , و هو التل الأزلى , كما توصف أيضا فى كثير من الأحيان بأنها هى ال "آخت" , أى الموضع الذى يولد فيه رع (و الكيانات الالهية) من جديد كل يوم , و كذلك روح الملك .

عند تشييد معبد جديد كان قدماء المصريين يقومون باحياء المعبد (أى يجعلونه مفعما بالطاقة الروحانية) عن طريق اعادة تكرار قصة خلق المعبد الميثولوجى الذى أتى للوجود فى الأزل , و بذلك يتحول المعبد على الأرض الى ذلك المعبد الميثولوجى أى يصير نسخة مصغرة من الكون فى مراحل نشأته و تطوره .

جاء فى أحد نقوش معبد فيلة :-

** أتى هذا المعبد للوجود حين لم يكن هناك أى موجود ... حين كانت الأرض ما زالت ترقد فى الظلمة و العتمة **

و عن طريق ربط المعبد بطريقة سحرية بالتل الأزلى و بالآخت يبقى للأبد .

ينعكس ذلك فى الأسماء التى أطلقها قدماء المصريين على العديد من المعابد مثل "بيت ملايين السنين" و "بيت الأبدية" , و كذلك الأسماء التى أطلقت على المسلات مثل "صروح الأبدية" .

يتضح لنا المغزى الحقيقى لتلك الأسماء من أحد نقوش معبد هابو الذى بناه الملك رمسيس الثالث و الذى جاء فيه :-

** ان بيتك (أى معبدك) سيبقى قائما للأبد ما بقيت السماء **

و فوق أحدى المسلات التى شيدها الملك رمسيس الثانى , نقرأ هذه العبارة :-

** طالما بقيت السماء , ستبقى صروحك المعمارية , و سيبقى اسمك خالدا **



(معبد الكرنك بالأقصر)

و الأهرامات أيضا كانت بيوتا للأبدية , مثلها مثل المعابد . فالهرم يقف فوق ال "دوات" (العالم السفلى) حيث تنشأ النجوم , و يطلق عليه اسم "آخت" (أفق) .

و كل من الهرم و المعبد يرمز ل "بيت حورس فى المياه السماوية" .

جاء فى النص رقم 599 و 601 من متون الأهرام أن ال "نترو" الذين احتشدوا فى هليوبوليس (هم الذين يجعلون هرم الملك يبقى للأبد) .

كانت المعابد و الأهرامات فى مصر القديمة تشيد لكى تبقى خالدة أبد الدهر , و هو هدف يحققه قدماء المصريين من خلال الطقوس السحرية التى لا تقام مرة واحدة فقط عند تشييد المعبد و انما يعاد تكرارها بشكل دائم . و هذه الطقوس هى التى تربط الصرح المعمارى المقدس بالكون الأكبر .

كان تمثال الاله الخالق المحفوظ داخل ناووس فى قدس الأقداس هو مركز المعبد فى مصر القديمة , و كذلك القارب المقدس المخصص لتمثال الاله و الذى يحفظ هو أيضا فى قدس الأقداس .

فى كل يوم كان الكهنة يقومون باسم الملك أو نيابة عنه باقامة الطقوس السحرية التى تدور كلها حول اعادة تكرار أحداث نشأة الكون بشكل طقسى , و بذلك يعود تمثال الاله الخالق للحياة و يعود الكون كله للحياة من جديد .

عند شروق شمس كل يوم جديد تنزل روح الاله الخالق التى تتجلى فى الشمس الى السماء الدنيا و تتجلى بنورها فوق التمثال الواقف فى قدس الأقداس .

تصف النصوص الدينية المصرية روح (با) الاله الخالق بأنها تتحد أو تمتزج ب أو تعانق الصورة المقدسة للاله الواقفة فى قدس الأقداس و التى ترمز لجسده و شعار قوته "سخم" .

و فى نفس اللحظة تتحد روح الاله أيضا بكل الصور المقدسة فى المعبد , بما فى ذلك التماثيل و النقوش الهيروغليفية المحفورة على جدران المعبد .

و بذلك تتجدد طاقة المعبد و يولد من جديد كل يوم و هكذا يبقى لملايين السنين .

و اذا كانت الصورة المقدسة للاله الخالق المحفوظة بقدس الأقداس هى مركز المعبد و البؤرة التى توجه نحوها كل الطقوس المقدسة , فان مركز الهرم هو مومياء الملك المحفوظة فى غرفة الدفن أو بيت ال "دوات" , و هى التى توجه نحوها كل الطقوس الجنائزية .

فى كل يوم تنزل روح (با) الملك أو قرينه (كا) من السماء و تدخل المقبرة و تتحد بالجسد المحنط على هيئة مومياء , و هكذا تنبعث الروح من الجسد من جديد و تنبعث معها الطاقة الكونية كما انبعثت فى الزمن الأول قوية , عفية . ثم تصعد روح (با) الملك مرة أخرى الى ال "آخت" (الأفق) الشرقى ثم الى السماء , بينما تصعد ال "كا" فى اتجاه رأسى نحو قمة الهرم المشيد فوق المقبرة لتملأه بالطاقة .

و فى الطقوس الجنائزية , لا يمكن اقامة الطقوس اليومية على المومياء , لأنها وضعت داخل تابوت أغلق عليها للأبد .

و بديلا عن المومياء , يقوم الكهنة بتوجيه الطقوس اليومية لتمثال يستخدم كبديل للمومياء , يطلق عليه تمثال ال "كا" و يتم حفظه فى المعابد الجنائزية التى تقام على الجانب الشرقى من الهرم .

و يصور التمثال الملك فى وضع الوقوف مع تقديم الساق اليسرى خطوة واحدة الى الأمام و كأن الملك يخطو الى خارج المقبرة .

يقوم كهنة المعابد الجنائزية كل يوم باقامة طقس فتح الفم لتمثال ال "كا" , و هم بذلك يعيدون تكرار حدث أزلى وقع عند نشأة الكون و هو حدث فتح فم أوزيريس .



(ال "با" تتحد بالمومياء داخل المقبرة)

أحد مشاهد كتاب الخروج الى النهار , و فيه تقول روح المتوفى : عسى روحى أن ترى جسدى , و عسى أن تقف فوق مومیائی التی لن تفنی أبدا .

و هكذا كانت الصورة المقدسه للاله الخالق فى قدس الأقداس تعود للحياة من جديد كل يوم فى نفس اللحظة التى تعود فيها مومياء الملك للحياة كل يوم .

باعادة تكرار هذه الطقوس كل يوم , يبقى جسد الملك و تبقى روحه , و كذلك هرمه الى الأبد .

لذلك تقول متون الأهرام أن الحياة الأخرى للملك هى التكرار الأبدى "نحح" , و أن حدوده هى الاستمرار الأبدى "دجد" , و تقول أيضا أن الملك هو الذى يشرق و يعود فيشرق من جديد و أنه هو الذى يبقى الى الأبد , و أن هرمه سيبقى فوق الأرض الى الأبد .

جاء فى متون الأهرام :-

** يا آتوم .. ضع ذراعيك حول الملك , و حول هرمه على شكل علامة ال "كا" , لتحتوى بداخلها "كا" الملك , لتبقى الى الأبد .. يا آتوم , أشمل هذ الملك و هرمه بحمايتك , و اصرف عنه كل شر **

يتضح لنا من كل الأمثلة السابقة أن المعابد و الأهرامات شيدت لتبقى الى الأبد , و كذلك التماثيل و مومياوات الملوك التى كانت تحفظ فى مقابر تحت الهرم , و النقوش المحفورة فوق جدران

الأهرامات الداخلية .

و أفضل وسيلة لتحقيق ذلك هو استخدام أفضل أنواع الحجارة فى تشييد الأهرامات و المعابد بمقاييس هائلة تفوق ما هو متعارف عليه بالنسبة لأحجام البشر العاديين .

لذلك من الصعب ازالة مثل هذه الصروح الهائلة سواء بكارثه طبيعية أو بأيدى البشر .

كان لدى قدماء المصريين اذن أسباب عملية دفعتهم لتشييد الأهرامات و المعابد بهذه المقاييس الهائلة , و هى أسباب نابعة من فلسفتهم الدينية .

و هناك عامل آخر , و لكنه رمزى أكثر منه عملى .

من المعروف أن المعبد فى مصر القديمة (وخصوصا فى العصر المتأخر) هو رمز للكون أثناء مراحل نشأته و تطوره .

فأرضية المعبد ترمز للتل الأزلى الذى ارتفع من مياه الأزل , و أعمدته ترمز لأذرع شو التى ترفع السماء , و سقفه يرمز للسماء التى ارتفعت عن الأرض و انفصلت عنها .

و قد وصف قاموس المتحف البريطانى المعبد فى مصر القديمة بهذه العبارات :-

*** المعبد فى مصر القديمة هو تعبير مجازى بلغة المعمار عن الكون و عن الخلق . فأرضية المعبد ترتفع بشكل تدريجى كلما اتجهنا من الخارج الى الداخل عبر غابة الأعمدة التى تتخذ شكل نبات البردى و اللوتس و التى تحمل السقف المغطى بصور النجوم التى ترصع جسد ربة السماء "نوت" , لكى يصعد الكهنة أثناء دخولهم المعبد من أطراف الكون (عند بوابة المعبد) الى قدس الأقداس الذى يرمز للمركز أو النقطة التى بدأ منها الخلق , و هو التل الأزلى الذى وقف فوقه الاله فى الأزل و أخرج الخلق للوجود ***

نستنتج مما سبق أن الأهرامات و المعابد كانت تشيد لتبقى الى الأبد , ليس فقط باعتبارها دينامو لاعادة تجديد الطاقة الكونية (حيث تقام الطقوس التى تعيد خلق الكون من جديد) و لكن باعتبارها أيضا صورة من الكون .

و هو ما يعنى أن المعبد و الهرم هو صرح مادى ملموس يشيد لأهداف عملية , و هو أيضا تعبير رمزى بلغة المعمار عن الكون .

لذلك كان من الضرورى تشييد المعبد بمقاييس ضخمة لكى يعبر عن اتساع الكون .

نعود مرة أخرى للهرم و للغز القديم المحير , ألا و هو مغزى الهرم و رمزيته .

هل يمكن أن تكون الأهرامات هى أيضا رمز لقصة الخلق , مثل المعابد ؟

اشكالية الهرم :-

هناك نوعين من الأهرامات فى مصر القديمة : الهرم المدرج و الهرم الحقيقى/الكامل (ذو الجوانب الملساء) .

سنركز فى هذا الفصل على الهرم الحقيقى/الكامل , و سنذكر الهرم المدرج بشكل مختصر .

تنقسم الأهرامات الحقيقية الى عدة أنواع , و لكن الفروق بين هذه النواع ليست كبيرة .

و ما يهمنا بشكل خاص فى دراستنا هو الفرق بين الهرم الرئيسى و الهرم التابع أو القمر (satellite pyramid) و الذى يبدو و كأنه هرم طفل يقف عند أحد جوانب الهرم الرئيسى .

يمكن تقسيم الأهرامات الرئيسية حسب حجمها , الى أهرامات عملاقه (مثل أهرامات دهشور و أهرامات الجيزة) , و أهرامات ذات حجم اقتصادى , متوسط الضخامة .

تختلف الأهرامات الحقيقية أيضا حسب التصميم حيث يلعب اختلاف الزوايا و درجة ميل جوانب الهرم و أيضا التصميم الداخلى دورا رئيسيا فى التصنيف .

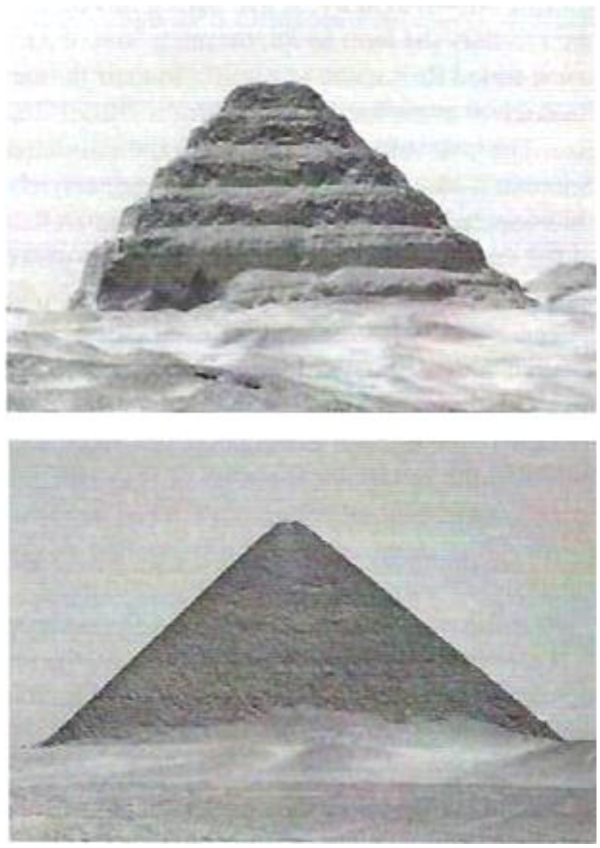
و التصميم الغالب على الأهرامات من الداخل هو وجود فتحة الدخول فى الجانب الشمالى ثم ممر الدخول الذى ينزل تدريجيا ليفضى الى غرفة جانبية , ثم الى غرفة الدفن .

و لكن بعض الأهرامات بها أكثر من غرفتين و بعضها به أكثر من ممر دخول , و بعضها لا يوجد به أى ممر للدخول أو غرف داخلية .

كما تقسم الأهرامات بوجه عام الى نوعين :

نوع يحتوى على نصوص الأهرام منقوشه على حوائطه الداخلية , و نوع آخر خالى من أية نقوش و نلاحظ أن الأهرامات الأقدم فى الظهور (مثل أهرامات دهشور و أهرامات الجيزة) خالية من أية نقوش .

أما الأهرامات التى تحوى متون الأهرام فهى الأهرامات التى شيدت فى أواخر عصر الأسرة الخامسه و طوال عصر الأسرة السادسه (من حوالى عام 2350 الى عام 2180 قبل الميلاد) , و منها ثلاثة أهرامات تابعة (satellite) تخص زوجات الملك ببيى الثانى .



تطور الأهرامات من الهرم المدرج (مثال : هرم الملك زوسر بسقارة , أسرة ثالثه) – فى الأعلى - الى الهرم الكامل (مثال : الهرم الأحمر للملك سنفرو بدهشور , أسرة رابعة) – فى الأسفل .

و من أكثر الأسئلة التى تثير الجدل السؤال حول دفن الملوك داخل الأهرامات .

أشرت فى مقدمة هذا الكتاب الى أن بعض ملوك مصر قاموا ببناء أكثر من هرم , و هو ما يعنى أن بعض الأهرامات كانت مقابر رمزية و ليست حقيقية .

علاوة على ذلك , هناك العديد من الأهرامات الصغيرة التى لا يمكن أن تكون مقابر , اما بسبب

صغر حجم غرفها الداخلية بشكل لا يسمح بوضع تابوت , أو لأنها لا تحتوى على أية غرف داخلية و هنا أود أن أكرر مرة أخرى أن علماء الآثار لم يعثروا على أية مومياء لأى ملك من بناة الأهرام (برغم وجود شائعة تزعم العثور على احدى هذه المومياوات فى عام 1881 ميلادية , و لكنها فقدت بعد اكتشافها مباشرة) .

و هذا هو السبب فى أن هناك بعض الكتاب الذين تبنوا نظرية مفادها أن الأهرامات لم تستخدم أبدا كمقابر من قبل الملوك بناة الأهرام .

و لكن فى الحقيقة ان الأدلة الأثرية لا تؤيد هذه النظرية , لأن الأسماء التى أطلقها قدماء المصريين على الأهرامات و كذلك المحتوى الذى تدور حوله نصوص الأهرام يثبت أن وظيفة الهرم هى مساعدة روح الملك المتوفى على أن تنبعث من جسده و تصعد للسماء , و تعيد تكرار ذلك الى الأبد , و هو ما يعنى ضمنيا أن مومياء الملك موجودة تحت الهرم أو على الأقل فى مكان قريب جدا منه .

و هذه الفكرة ليست واضحة تماما فى أول نماذج ظهرت للهرم الكامل (كأهرامات دهشور و أهرامات الجيزة) و التى سبقت عصر متون الأهرام بحوالى مائتى عام .

و لكن كل الأدلة تؤكد أن عقيدة بناة الأهرام لم تتغير طوال هذه الفترة الزمنية , أى من عصر الأسرة الرابعة الى عصر الأسرة الخامسه و السادسه .

ننتقل الآن الى رمزية الهرم , و فى البداية سنستعرض وجهة النظر الأكاديمية .

يقول علم المصريات الأكاديمى أنه لا يوجد معلومات واضحة من المصادر المصرية القديمة حول رمزية الهرم (و لكن هذا غير صحيح , كما سأوضح للقارئ لاحقا) .

و لذلك فان ما يقدمه علم المصريات فى هذا الصدد هو فرضيات قائمة على تكهنات تستند الى مصدرين رئيسيين :-

أولا : المعتقدات الدينية لبناة الأهرام فى عصر الأسرة الرابعة من الدولة القديمة

ثانيا : رمزية حجر ال "بن بن" فى النصوص المصرية القديمة , و هو الحجر الذى يحاكيه البناء الهرمى .

و فى الحالتين نلاحظ أن التفسيرات الأكاديمية للأدلة الأركيولوجية (الأثرية) هى تفسيرات ذاتية و ليست موضوعية و أنها جميعا موضع نقاش و تساؤل .

بالنسبة للمعتقدات الدينية لبناة الأهرام فى عصر الأسرة الرابعة , نلاحظ أن رع هو الاله المهيمن على الفكر الدينى فى ذلك الوقت . فتلك هى الفترة التى بدأ فيها ملوك مصر فى اضافة لقب "سا – رع" الى ألقابهم الملكية . كما نلاحظ أن العديد من الملوك أضافوا مقطع "رع" الى لقب العرش الخاص بهم و كأن ذلك تأكيد على أن الملك هو تجسيد رع على الأرض , و من أمثلة ذلك الملك "خا- اف- رع" و الملك "منكاو- رع" و الملك "دجد- ف- رع" .

و فى ذلك العصر بدأت فكرة الخرطوش فى الظهور , حيث كان الملك سنفرو (أول ملوك الأسرة الرابعة) هو أول ملك يكتب اسمه داخل خرطوش , و الذى يعتبر فى نظر علماء المصريات رمز شمسى .

يفترض علماء المصريات أنه فى عصر بناة الأهرام (و تحديدا فى عصر الأسرة الرابعة) بدأت الديانة الشمسية تحل محل الديانة النجمية العتيقة , و لذلك فهم يرجعون السبب فى تغير تصميم الهرم من المدرج الى الحقيقى الى تغير الديانة من نجمية الى شمسية .

أما الدليل الثانى الذى يستند اليه علماء المصريات فهو حجر ال "بن بن" أو حجر هليوبوليس و هو أشهر الرموز المقدسة فى مصر القديمة .

كما ذكرت فى الفصل الحادى عشر , كان قدماء المصريين يرفعون حجر ال "بن بن" فوق عامود مرتفع وسط فناء مفتوح بمعبد ال "بنو" (طائرى الفينيكس) بهليوبوليس .

و تعتبر قمم المسلات و الأهرامات محاكاة أو نموذج مكرر من حجر ال "بن بن" المقدس فى هليوبوليس , و يطلق على قمة المسلة اسم "بنبنت" (benbenet) , و هى مؤنث كلمة "بن بن" .

اذا استطعنا فهم رمزية حجر ال "بن بن" فستتضح لنا على الفور رمزية الهرم .

و هنا يتفرع الطريق الى تفسيرين مختلفين لمغزى حجر ال "بن بن" .

الطريق الأول أو النظرية الأولى ترى أن حجر ال "بن بن" هو رمز للشمس و أنه الرمز المقدس لاله الشمس . و تستند هذه النظرية الى الأسباب الآتية

(1) أن الحجر كان مقدسا فى مدينة هليوبوليس و هى مدينة الشمس .

(2) أن أرباب هليوبوليس هم أرباب الشمس

(3) أن قمة هرم الملك أمنمحات الثالث (من عصر الدولة الوسطى) بدهشور بها نقوش تحمل اسم "رع , رب ال آخت" .

(4) أن المسلات التى تطورت عن حجر ال "بن بن" المرفوع فوق عامود هى رموز شمسية شيدت من أجل أرباب الشمس مثل آتوم و رع و خبرى .

أما الطريق الثانى أو النظرية الثانية , فترى أن حجر ال "بن بن" هو رمز للتل الأزلى .

و تستند هذه النظرية الى النص رقم 600 من متون الأهرام و الذى جاء فيه أن آتوم يرفع حجر ال "بن بن" باعتباره التل العالى (qay qaa) و الذى يعتبر مرادفا للتل الأزلى .

و هكذا كانت آراء الباحثين حول رمزية حجر ال "بن بن" متضاربة .

و من أكثر التفسيرات شيوعا و انتشارا الفرضية التى تقول بأن الهرم يرمز لأشعة الشمس و هى تنزل من السماء و تخترق السحب و تصل للأرض و أثناء نزولها تتخذ شكل هرم .

و أول من طرح هذه الفكرة هو عالم مصريات ألكسندر موريه و الذى كتب فى عام 1926 يقول :-

** تبدوا المثلثات التى تشكل جوانب الهرم و كأنها سقطت من السماء مثل أشعة الشمس التى تنبثق من قرص الشمس و تخترق الغيوم و السحب لتصل فى النهاية الى الأرض و كأنها معراج أو سلم يصل الأرض بالسماء **

و قد تبنى هذه الفكرة فيما بعد عالم المصريات الانجليزى و الخبير بالأهرامات دكتور ستيفن ادواردز (I. E. Stephen Edwards) , حيث تساءل فى كتابه أهرامات مصر :-

** ما الذى ترمز له الأهرامات الحقيقية ؟ **

ثم أجاب على السؤال بنفسه قائلا :-

*** هناك اجابة واحدة تفرض نفسها , و هى أن هذه الأهرامات ترمز لأشعة الشمس و هى تسقط من السماء الى الأرض , كما لو كنا نراها فى يوم شتوى غائم فوق هضبة الجيزة حيث تخترق*

*أشعة الشمس السحب و تصل للأرض . اذا وقفت فوق الطريق الذى يؤدى الى سقارة و نظرت فى اتجاه الغرب الى الهضبة التى تقف فوقها أهرامات الجيزة يمكنك أن ترى أشعة الشمس و هى تخترق السحب و تنزل للأرض بنفس زاوية ميل جوانب الهرم الأكبر . و الانطباع الذى يتركه ذلك المشهد فى الذهن هو النموذج أو الصورة الأولية التى جسدها المصرى القديم و صنع منها نسخة مادية على الأرض ***

و فى السنوات الأخيرة لاقت هذه النظرية المزيد من التأييد من جانب علماء المصريات و المتخصصين فى دراسة الأهرامات مثل مارك لينر (Mark Lehner) و رينر شتادلمان (Rainer Stadelmann) .

و لكن هناك مجموعة أخرى من الباحثين و على رأسهم هنرى فرانكفورت قالت بأن الهرم الكامل هو مرحلة متقدمة من مراحل تطور المصطبة و هى أبسط أشكال المقبرة فى مصر القديمة , و التى نشأ منها الهرم المدرج , ثم الهرم الكامل .

و هذه الأشكال الثلاثة (المصطبة و الهرم المدرج و الهرم الكامل) ترمز جميعا للتل الأزلى الذى جاء ذكره فى قصة الخلق .

و من أشهر المدافعين عن هذه النظرية ميروسلاف فيرنر (Miroslav Verner) و كريستين المهدى (Christine El Mahdy) التى كتبت تفند نظرية أشعة الشمس قائلة :-

*** ان الأهرامات لا يمكن أن تكون محاكاة لأشعة الشمس , لأن أقدم أشكال الهرم ليس لها اى علاقة بديانة الشمس . و اذا حاولنا العثور على تفسير لرمزية الهرم فهناك تفسير واحد , و هو أن الشكل الهرمى يرمز للتل الأزلى و هو الموضع الذى بدأ فيه الخلق , و الذى يتخذ شكل قمة هرم . و التل الأزلى هو المصدر و الينبوع الذى خرج منه الخلق و لذلك فهو أيضا المصدر الذى يبعث منه الخلق من جديد و منه يمكن للملك المتوفى أن يعيد تكرار قصة الخلق ***

و قد لاقى رأى كريستين المهدى ترحيبا فى أوساط علماء المصريات لدرجة أن مارك لينر أراد أن يمزجه برؤيته الخاصة للأهرامات باعتبارها نموذج أو صورة مادية من أشعة الشمس .

و فى كتابه "الأهرامات الكاملة" (The Complete Pyramids) , كتب مارك لينر يقول :-

*** الهرم هو نموذج معمارى أو محاكاة لكل من التل الأزلى أو الأرض الأزلية و أشعة الشمس , ففيه تمتزج الأرض و السماء فى وحدة تلعب دورا فى التحولات التى تحدث للملك بعد الموت* **

أى أن هناك ثلاثة نظريات حول رمزية الهرم , و برأيى , لم تستطع أى منها تقديم تفسير شامل و صحيح .

و اذا تساءل القارئ لماذا لا تعتبر تلك النظريات صحيحة , اليه اجابتى .

أولا : الادعاء بأن الأهرامات شيدت فى وقت صعد فيه نجم الديانة الشمسية .

و قد فندت هذه الفكرة فى العديد من المواضع فى هذا الكتاب . فلا يوجد أى دليل على أن رع كان هو اله الشمس فى عصر الأسرة الرابعة . فى أول ظهور ل "رع" فى متون الأهرام (التى دونت بعد عصر الأسرة الرابعة بحوالى مائتى عام) يوصف بأنه رب النور الأزلى , و هو أحد صور الاله الخالق الذى يتجلى فى الكون الأكبر . كان رع فى نظر قدماء المصريين أحد صور الاله الخالق و صعود نجمه فى عصر الأسرة الرابعة ليس له أى علاقة بتغير الديانة , و لا يجب أن يفسر على أنه تغير طرأ على الديانة المصرية القديمة . فالديانة المصرية القديمة لم تتغير لألاف السنين , و لكن من وقت لآخر يتغير اسم الاله الخالق المهيمن على الفكر الدينى , و هذا الأسماء جميعا على اختلافها تعبر عن نفس الكيان الأسمى الواحد .

ثانيا : علينا اعادة النظر فى التفسيرات الأكاديمية لحجر ال "بن بن" بهليوبوليس .

و أول هذه التفسيرات اعتبار حجر ال "بن بن" رمزا لاله الشمس .

يعتقد أنصار هذا التفسير أنه خالى من أى ثغرات و لكنه فى الحقيقة ليس كذلك .

و لننظر معا للأسباب التى يستند اليها هذا التفسير .

(1) أن حجر ال "بن- بن" كان مقدسا فى مدينة هليوبوليس و هى مدينة الشمس .

يعتبر ذلك صحيحا عند النظر للاسم الاغريقى للمدينة و هو "هليوبوليس"و الذى يعنى مدينة الشمس , و لكنه للأسف ليس الاسم الأصلى للمدينة . و لكى نعرف مغزى حجر ال "بن بن" علينا أن ننظر للاسم الذى أطلقه قدماء المصريين أنفسهم على هذه المدينة و هو "ايونو" , و معناه مدينة العامود .

ما هى رمزية ذلك العامود ؟

قد تكون لذلك العامود علاقة بالشمس , حيث كانت أشعتها تنعكس فوق قمة العامود الواقف وسط فناء معبد ال "بنو" بهليوبوليس , الا انه فى الأصل يرمز لمرحلة من مراحل نشأة الكون , و هى المرحلة التى قام فيها آتوم برفع التل الأزلى من هاوية نون ليكون علامة لبداية ظهور الخلق .

جاء فى النص رقم 600 و 527 من متون الأهرام أن رفع آتوم للتل الأزلى يتزامن مع قيامه بالاستمناء باستخدام عضوه الذكرى و هو الحدث الذى أدى لخروج أول توأم من أبناء آتوم و هم شو و تفنوت .

فى عام 1948 ميلادية كتب هنرى فرانكفورت يقول أن العامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" يرمز للعضو الذكرى لآتوم , أما حجر ال "بن بن" نفسه فيرمز لنقطة السائل المنوى التى تحولت بمجرد خروجها من الحالة السائلة الى الحالة الصلبة . أى أن مدينة هليوبوليس ليست مدينة الشمس و انما هى مدينة الخلق , أى نسخة مصغرة من الكون فى المراحل المبكرة من نشأته .

(2) أن أرباب هليوبوليس هم أرباب الشمس .

فى الحقيقة ان وصف أرباب هليوبوليس بأنهم أرباب الشمس هو وصف متحيز و غير دقيق .

فأقدم أرباب هليوبوليس و هو آتوم هو فى الأصل صورة من صور الاله الخالق . بينما يعبر خبرى عن مبدأ الخلق الذاتى أو الاله الذى أتى للوجود بذاته .

أما "رع" , فعلى الرغم من أنه يرتبط بالشمس بسبب رحلته الأبدية التى يرتحل فيها فى أبعاد الكون من خلال دورة الشمس , الا انه فى الحقيقة صورة الاله الخالق التى تتجلى فى السماء .

و هنا علينا أن نتذكر أن مدينة هليوبوليس لم تكن مكانا حصريا لتقديس الشمس , فقد كان القمر و النجوم أيضا مقدسين فى هليوبوليس , و هو ما يعنى أن هذه المدينة هى المدينة التى تجسد قصة الخلق على الأرض .

(3) أن قمة هرم الملك أمنمحات الثالث (من عصر الدولة الوسطى) بدهشور بها نقوش تحمل اسم "رع , رب ال آخت" و هو اله الشمس .

اذا تأملت النقش الموجود على الهريم (تصغير هرم) ستجد أن رمز رع تحيط به عينان .

و العينان فى الفكر الدينى المصرى هما رمز الشمس و القمر .

أى أن هذا المشهد يعبر عن اللحظة التى صعد فيها الاله الخالق من مياه الأزل و تجلى فى هذه الأجرام السماوية , أى الشمس و القمر .

و علاوة على الشمس و القمر , هناك أيضا نقوش فوق هريم الملك أمنمحات تشير الى النجوم .

فعلى الجانب الآخر من جوانب الهريم , نقرأ هذا النص الذى يقول :-

** ان روح الملك امنمحات صعدت للسماء و بلغت مكانا أعلى من مجموعة نجوم أوريون **

و على واجهة الهريم الأمامية , و تحت رمز رع الذى تحيط به العينان , نقرأ هذه العبارات :-

** لقد فتح وجه الملك امنمحات (أى تفتحت بصيرته) , و رأى رب ال "آخت" (الأفق) و هو يبحر فى السماء .. ليجعل رب ال "آخت" الملك أمنمحات يصعد للسماء كما صعد الاله العظيم رب الزمن , و ليصير نجمة من النجوم التى لا تهلك .. ليصير نجما وسط النجوم **

من النص السابق يتضح لنا أن هريم الملك أمنمحات يحمل رموزا نجمية بالاضافة الى رمزية الشمس و القمر . و الادعاء بأنه رمز شمسى فقط يعتبر نوع من التحيز لأنه ينظر لجزء من الأدلة و يترك الجزء الآخر .

ان هريم الملك امنمحات الثالث ليس دليلا على أن حجر ال "بن بن" هو رمز للشمس , و انما هو دليل على أنه رمز من رموز الخلق .

يرمز حجر ال "بن بن" لبذرة آتوم التى خلق منها الكون كله بما فى ذلك الشمس و القمر و النجوم .



قمة هرم الملك أمنمحات الثالث بدهشور و هى على شكل هريم (تصغير هرم)

(4) أن المسلات التى تطورت من حجر ال "بن بن" هى رموز شمسية لأنها تحمل أسماء أرباب الشمس مثل آتوم و رع و خبرى .

و هنا نجد أن أنصار ذلك التفسير وقعوا فى فخ تصنيف آتوم و رع و خبرى باعتبارهم أرباب الشمس . و كما أوضحت فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب , ان هؤلاء جميعا ليسوا أرباب للشمس و انما هم أسماء و تجليات الاله الخالق أثناء قيامه بفعل الخلق .

اذا نظرنا لآتوم و رع و خبرى فى ضوء نظرية ديانة النشأة سيتغير فهمنا لرمزية حجر ال "بن بن" و بالتالى للمسلة التى تعتبر أحد أشكاله و تنويعاته .

و من الأشياء الجديرة بالذكر هنا أن كلمة مسلة باللغة المصرية القديمة هى "تخن" (tekhen) و هى كلمة ليس لها علاقة بالشمس , فهى مشتقة من فعل معناه "يخترق" , ربما لأنها تخترق السماء كما جاء فى بعض نقوش المسلات .

أى أن المسلة هى أداة لاختراق السماء أو ثقبها أو شقها , و هى صورة ليس لها علاقة بالشمس و انما لها علاقة بالخلق و بوجه خاص بالعضو الذكرى ل "كا- موت- اف" (ثور أمه) الذى يخصب رحم الأم السماوية .

و بعد أن قمنا بتفنيد التفسير الشمسى لحجر ال "بن بن" , ننتقل الآن للنظرية البديلة و هى النظرية التى تفسر حجر ال "بن بن" باعتباره رمزا للتل الأزلى .

ترى هذه النظرية أن كل من المصطبة و الهرم المدرج و الهرم الكامل هم جميعا رموز للتل الأزلى , حيث تعتبر الأهرامات المراحل المتقدمة لتطور المصطبة .

و لكنها فى الحقيقة نظرية تنطوى على تناقض , فالمصطبة هى تل قليل الارتفاع و مستوى السطح , و هى الصورة التى تخيلها قدماء المصريين للأرض (أو الأرضين) , بعكس الأهرامات التى تبدو على هيئة تل مرتفع له قمة مدببة تخترق السماء .

يعيدنا هذا الى لب النقاش , و هو النص رقم 600 من متون الأهرام .

جاء فى هذا النص أن آتوم يصعد من هاوية نون عل هيئة تل مرتفع "قاى - قا" و أيضا على هيئة حجر ال "بن بن" .

و هنا يبدو حجر ال "بن بن" و كأنه مرادف للتل المرتفع "قاى - قا" .

و لكن , كما أوضحت من قبل فى الفصل الحادى عشر ان حجر ال "بن بن" قد لا يكون هو نفسه التل العالى "قاى - قا" .

فالتل العالى "قاى - قا" يرتبط بشكل خاص بقذف المادة الأزلية أو الأولية التى صنع منها الكون من الأرض الأزلية الى السماء , و هو ما ينعكس على الاسم الذى يتكون من مقطعين يكرران نفس المعنى و هو الارتفاع .

أما حجر ال "بن بن" فيرمز لقطرة السائل المنوى التى قذفها آتوم من عضوه الذكرى أو بصقها من فمه , كما جاء فى النص رقم 600 من متون الأهرام :-

** لقد عطست , فأتى شو للوجود .. و بصقت فأتت تفنوت للوجود **

و نلاحظ أن النصوص المنقوشه على جوانب المسلات تصفها بأنها تخترق أو تثقب السماء , و كأنها تريد أن تخبرنا أن حجر ال "بن بن" قد رفع الى السماء فى مرحلة من مراحل نشأة الكون , كما رفع الرمز المقدس ل "كا - موت - اف" , ألا و هو النيزك .

ان الاعتقاد بأن حجر ال "بن بن" (و بالتالى الهرم أيضا) رمز للتل الأزلى هو اعتقاد غير صحيح

لأنه يرى فقط جزء من الصورة .

فحجر ال "بن بن" و كذلك الهرم هو ذلك الشئ الذى صعد من الأرض الأزلية و اخترق رحم الأم السماوية فى الزمن الأول .

و لذلك يقال أن قاعدة العامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" (أى قاعدة المسلة) و كذلك قاعدة الهرم تقف فوق التل الأزلى , مثلها مثل أرضية المعبد .

<u>الهرم النجمى :-</u>

هناك نظرية بديلة اجتذبت العديد من المؤيدين فى السنوات الأخيرة و هى النظرية التى تفترض أن للهرم رمزية نجمية . و هى نظرية تقوم على تضافر عدة أدلة معا لتصنع فكرة منطقية لا يمكن أن نتجاهلها أثناء بحثنا فى رمزية الهرم .

<u>أولا</u> : يحمل اثنان من أهرامات مصر أسماء تصف بشكل مباشر تحول الملك الى نجم .

الهرم الأول هو هرم الملك زوسر المدرج و قد أطلق عليه قدماء المصريين اسم "حورس , النجم الذى فى أعلى السماء" .

و الهرم الثانى هو هرم الملك دجدف رع (و هو هرم كامل , بعكس هرم زوسر المدرج) و يطلق عليه "دجدف رع النجم" .

و يعتقد أن الملك دجدف رع هو أول من استخدم لقب "سا - رع" , و مع ذلك فهو لم يكرس اسم هرمه من أجل رع , و كذلك لم يفعل أى من بناة الأهرام .

ثانيا : تولى متون الأهرام اهتماما خاصا بحياة الملك فى العالم الآخر بين النجوم .

و فى رأيى أن اهتمام متون الأهرام بالنجوم يفوق بكثير اهتمامها بالشمس .

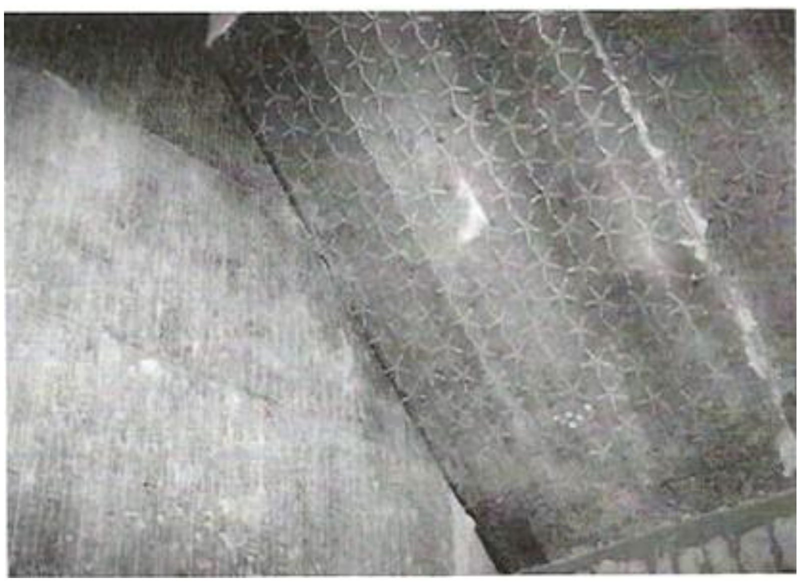
ثالثا : هناك دليل على رمزية النجوم يتجلى فى معمار الهرم . و برغم أنى غير مقتنع تماما أن الفتحات الموجودة بغرفة الملك بهرم خوفو تستقطب نجوما معينة (كما يعتقد الكثير من علماء المصريات) الا انه من المؤكد أن ممر دخول الهرم الذى يقع ناحية الشمال هو فى الحقيقة يتجه نحو النجوم القطبية الشمالية و هى النجوم التى تذهب اليها روح الملك بعد الموت و بالتأكيد ليس

هناك أى علاقة بين الشمال و بين الشمس .

و أخيرا , من الأشياء التى تتعلق بمعمار الهرم و التى لا يمكن تجاهلها أن بناة أهرامات الأسرة الخامسه و السادسه اختاروا أن يزينوا أسقف الغرف الداخلية للأهرامات بصورة النجوم , و ليس صورة الشمس .

كل ذلك يدحض التفسير الشمسى لرمزية الهرم و يجعله يبدو هزليا , و يؤكد أن النجوم كانت تلعب دورا أهم من دور الشمس فى عصر بناة الأهرام .

و برغم أن القليل من الباحثين بدأوا فى استيعاب هذه الفكرة و الانتباه اليها , الا أنهم ما زالوا عاجزين عن ترجمة أسماء الأهرامات و ألقابها النجمية الى نظرية شاملة توضح رمزية الهرم و الدوافع التى تقف وراء تشييده .



غرفة الدفن بأحد أهرامات الأسرة السادسه . على الحائط نقشت متون الأهرام , بينما زين السقف بالنجوم

و هناك اقتراح طرحه المهندس البلجيكى روبرت بوفال و أيده فى ذلك توبى و يلكينسون يقول أن جوانب الهرم الملساء و الشكل الهرمى بوجه عام ربما صمم ليحاكى شكل النيازك الحديدية , أى النيازك التى تحتوى على معدن الحديد و التى تتخذ شكلا أقرب للمخروط أو الهرم أثناء سقوطها

من السماء الى الأرض بسبب احتكاكها بالغلاف الجوى .

يقترح كل من روبرت بوفال و توبى ويلكينسون أن حجر ال "بن بن" المقدس فى معبد هليوبوليس كان عبارة عن نيزك , و أن حجر ال "بنبنت" (benbenet) الذى يقف فوق قمة المسلات صمم ليحاكى شكل النيزك الذى يوصف بأنه "النجم الذى هوى" .

أى أن الهرم هو نموذج أو صورة لنجم هوى رسمت بلغة المعمار , و لكنها صورة مقلوبة .

فالنيزك عند سقوطه تكون قمته نحو الأرض و قاعدته نحو السماء , بعكس الهرم الذى جعلت قمته نحو السماء و قاعدته نحو الأرض لكى يقذف روح الملك من الأرض للسماء ليولد من جديد من رحم الأم السماوية .

و المشكلة فى هذه النظرية اننا لا نستطيع أن ننظر الى كل نيزك باعتباره نجم .

و لكننا اذا تركنا الأساطير المصرية القديمة لتقوم بدور المرشد لنا فى رحلة البحث عن رمزية الهرم فسنجد أن للنيازك (التى تتخذ شكل حجر ال "بن بن") رمزية أعمق بكثير من كل الأفكار السابقة .

ان النيازك ليست نجوما , و انما هى بالأحرى بذرة آتوم , بذرة الخلق التى خرج منها كل شئ .

ان مفهوم الخلق أوسع بكثير من خلق النجوم أو الشمس أو القمر , لأن منظومة الخلق تشمل الكون بكل ما فيه من مخلوقات .

هرم الخلق :-

يتضح من المناقشة السابقة أن لرمزية الهرم عدة جوانب .

فهى ترتبط بالشمس و أيضا بالقمر و النجوم و العالم السفلى "دوات" (حيث يطلق على المقبرة التى تقع أسفل الهرم اسم بيت ال "دوات") .

و اذا قمنا بالتركيز على أحد هذه الرموز دون الرموز الأخرى فان ذلك يعد تحيزا .

ان ما نحتاجه لحل هذا اللغز هو نظرية واحدة تجمع كل الرموز المتعلقة بالصرح الهرمى - كالشمس و القمر و النجوم و العالم السفلى - فى سياق واحد .

باختصار , نحن فى حاجة ماسة الى اطار واحد يستوعب كل هذه الأدلة المتناثره .

فى طيات هذا الكتاب , قدمت للقارئ ذلك الاطار المنشود الذى يجمع كل خيوط الديانة المصرية القديمة فى نسيج واحد . و قد بينت فى الفصول السابقة أن الديانة المصرية القديمة لم تكن ديانة شمسية كما يعتقد الكثير من الباحثين , و انما هى ديانة معقدة و راقية جدا يمكن أن نطلق عليها "ديانة النشأة" , أى الديانة التى تهدف كل طقوسها و ممارساتها الى ضمان استمرار الكون و حمايته من قوى الفوضى و ذلك من خلال اعادة تكرار قصة الخلق .

و العنصر الرئيسى فى هذه النظرية هو فكرة التكرار الطقسى لقصة الخلق .

و طوال مائتى عام (أى منذ نشاة علم المصريات) لم تحظى هذه الفكرة باهتمام الباحثين الذين كانوا ينظرون للطقوس الدينية المصرية القديمة باعتبارها خرافات و معتقدات بدائية .

و لكن الدراسة التى قدمتها فى هذا الكتاب تثبت أن الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله الأساطير و الطقوس الدينية المصرية القديمة هو الفيزياء الكونية و أن الأحداث التى جاء ذكرها فى تلك الأساطير هى تعبير مجازى عن فكرة موت الكون القديم و خلقه من جديد , و التى عبر عنها قدماء المصريين برمزية موت الاله و بعثه من جديد .

و لذلك كان أوزيريس هو الاله الخالق بامتياز لأنه هو رب الموت و البعث من جديد .

و أوزيريس هو الكيان الالهى الذى يجسده الملك عند موته , حيث ينظر لمومياء الملك باعتبارها مومياء أوزيريس نفسه .

أى أن بعث الملك من جديد و انتقاله للعالم الآخر هو اعادة تكرار لقصة الخلق , حيث تنبعث روح الملك من المقبرة كما انبعثت روح الاله الخالق من ال "دوات" (العالم السفلى) فى الزمن الأول , و يصير هو الشمس و القمر و النجوم , كما خلق الاله الشمس و القمر و النجوم فى الزمن الأول .

و هذه النظرية التى أطرحها (و هى نظرية ديانة النشأة) تختلف جذريا عن النظرية التى طرحها و تبناها علماء المصريات طوال مائتى عام (و هى نظرية الديانة الشمسية) , و هو ما يؤدى بالتالى الى تفسير رمزية الهرم بشكل مختلف تماما عن التفسيرات السابقة .

تفترض نظرية ديانة النشأة أن رمزية الهرم تتعلق بقصة الخلق , حيث يرمز الشكل الهرمى لخلق

الكون .

و لنستعرض معا الأدلة التى تؤيد هذه النظرية الجديدة .

و الدليل الأول هو النص رقم 600 من متون الأهرام و الذى جاء فيه أن آتوم يفرد ذراعيه حول الهرم ليحميه . يقول النص :-

** يا آتوم , افرد ذراعيك حول الملك و حول صرحه / هرمه على شكل علامة ال "كا" , لكى تقف "كا" الملك وسطها , و تحيا للأبد **

و هنا تجدر الاشارة الى العبارات التى سبقت ذلك النص من نصوص الأهرام و التى تقول :-

** لقد عطست (يا خبرى آتوم) فأخرجت "شو" للوجود .. و بصقت فأخرجت تفنوت للوجود .. ثم وضعت ذراعيك حولهما على شكل علامة ال "كا" و احتضنتهما لكى تسرى فيهما كاؤك **

لاحظ المقابلة بين حضن آتوم للهرم و حضنه لأبنائه شو و تفنوت , و هو الحضن الذى تنتقل من خلاله "كا" الاله الخالق (أى روح الخلق) الى من هو داخل الحضن .

و معنى ذلك – فى اعتقادى – أن الهرم يعبر عن نفس الفكرة التى يعبر عنها ظهور شو و تفنوت للوجود , و هى تحول آتوم و تطوره ليصبح هو الكون كله .

<u>أى أن الهرم هو حرف هيرغليفى يختصر قصة الخلق كلها فى رمز واحد .</u>

و الدليل الثانى الذى يدعم الطرح الذى أقدمه حول رمزية الهرم هو قمة الهرم و التى تحاكى (مثلها مثل المسلة) حجر ال "بن بن" .

توصف قمة الهرم "بنبنت" (benbenet) فى كثير من الأحيان بأنها صورة مصغرة من الهرم كله , أو "الهرم الكامل المصغر" , و لذلك تكمن فيها رمزية الهرم .

ما الذى يرمز له حجر ال "بن بن" ؟

ذكرت فى النقاش السابق أن حجر ال "بن بن" ليس رمزا للشمس و لا للتل الأزلى , و انما هو رمز للخلق أجمع . و الدليل على ذلك نجده فى النص رقم 600 من متون الأهرام و الذى يضع حجر ال "بن بن" فى مركز الخلق . يقول النص :-

** يا "خبرى - آتوم" , لقد صرت أنت التل العالى "قاى قا" (qay qaa) .. لقد صعدت فى هيئة

حجر ال "بن بن" فى معبد طائر ال "بنو" فى هليوبوليس **

و العبارات السابقة تأتى مباشرة قبل الحديث عن انبثاق شو و تفنوت من آتوم ثم احتضانه لهما و أيضا لهرم الملك .

و يبدو أن هناك مقابلة مقصودة فى هذا النص بين الهرم و بين حجر ال "بن بن" , و ربما أيضا التل العالى "قاى قا" (و هل الهرم الا تل عالى ؟) .

و سواء أكانت تلك المقابلة مقصودة أم لا , فان ما لا يمكن انكاره هو أن حجر ال "بن بن" يتصدر مشهد الخلق , و كذلك التل العالى و شو و تفنوت .

و يمكننا أن نصل الى تفسير أدق لرمزية حجر ال "بن بن" من خلال اسمه و من خلال النقوش التى تتحدث عن وظيفته من موقعه فوق قمة المسلة .

كلمة "بن بن" (bnbn) باللغة المصرية القديمة تعنى "يسيل" أو "يتدفق" , و المقطع "بن" منفردا يعنى الاخصاب باستخدام العضو الذكرى .

أى أن كلمة حجر "بن بن" تعنى حرفيا "الحجر الذى سال" .

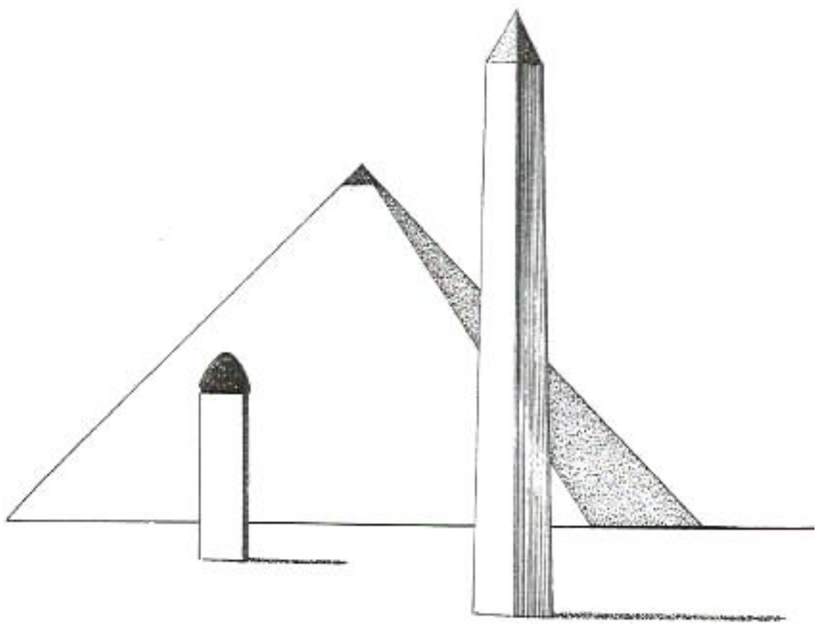
جاء فى أحد نقوش معبد الكرنك أن حجر ال "بن بن" سال أو تدفق على هيئة بذرة فى وسط المحيط الأزلى . و قد استند بعض الباحثين الى ذلك التفسير لمعنى كلمة "بن بن" و الى النص رقم 600 من متون الأهرام ليخرجوا بتفسير للعامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" بمعبد هليوبوليس باعتباره رمزا السائل المنوى لآتوم الذى تحجر أو تحول من الحالة السائلة الى الحالة الصلبة .

و لكن الى أين تدفق ال "بن بن" ؟

تكمن اجابة هذا السؤال فى النقوش المدونة على جوانب المسلات و التى تصف حجر القمة "بنبنت" (benbenet) بأنه يخترق السماء أو يثقبها أو يختلط بها .

عل سبيل المثال , جاء على أحدى المسلات التى شيدتها الملكة حتشبسوت و وهبتها لآمون هذا النص الذى يقول على لسان حتشبسوت :-

** لقد هدانى قلبى الى اقامة مسلتين من الاليكتروم (مزيج من الذهب و الفضة) .. لتخترق قمتهما السماء و تختلط بها **



العامود الذى يحمل حجر ال "بن بن" , و المسلة و الهرم الكامل . ثلاثة رموز معمارية تعبر عن نفس المعنى

و بعد استعراض كل هذه الأدلة يمكننا أن نقول أن حجر ال "بن بن" فوق عاموده المرتفع يرمز لبذرة الاله الخالق (التى تحمل بداخلها كل ما سيأتى للوجود) التى قذفت من المحيط الأزلى الى السماء .

يرمز حجر ال "بن بن" فوق عاموده المرتفع للعضو الذكرى لآتوم , و هو رمز يعبر عن مشهد بداية الخلق كما عبرت عنه أساطير هليوبوليس حين قالت أن آتوم أخرج من ذاته أول زوج من تاسوع هليوبوليس بعد أن قام بالاستمناء .

و قياسا على ذلك , يمكننا أن نقول أن الهرم (باعتباره صورة مكررة من حجر ال "بن بن") هو أيضا يرمز لبذرة الاله الخالق التى صعدت من العالم السفلى لتخصب السماء بما سيخرج من رحمها من أجرام سماوية .

و مرة أخرى نجد أنفسنا نعود لنفس النتيجة و هى أن الهرم يرمز لخلق الكون .

أما الدليل الثالث الذى يوضح رمزية الهرم , فهو العلاقة التى تربط بين الهرم و بين كل من

أوزيريس و ال "آخت" (الأفق) .

و المصدر الموثوق به الذى نستقى منه أدلتنا هو متون الأهرام بالاضافة الى اسم أحد أهرامات الأسرة الرابعة . لنستعرض أولا علاقة الهرم بأوزيريس .

جاء فى النص رقم 600 من متون الأهرام هذه العبارة التى تخاطب حورس :-

** يا حورس , ان هذا الملك هو أوزيريس .. ان هرم هذا الملك هو أوزيريس .. ان هذا الصرح هو أوزيريس .. اذهب اليه و لا تبتعد عنه .. لا تبتعد عن الهرم **

ما الذى يعنيه ذلك ؟

قرأنا فى العبارات السابقة من نفس النص أن آتوم يجعل "كا" الملك وسط الهرم بأن يحتضنه و يضع ذراعيه حوله على هيئة علامة ال "كا" .

و نلاحظ أن هناك مقابلة بين الهرم و بين "كا" (القرين / النسخة الأثيرية) الملك الذى بعث من جديد . أى أن الصرح الهرمى هو روح أوزيريس .

يبدى علماء المصريات دائما تحفظهم على هذا النص , لأنه يتعارض مع نظرياتهم التى تقول بأن الهرم هو رمز للشمس أو للتل الأزلى .

يتأكد لنا أن الهرم هو روح أوزيريس من خلال دليل آخر , و هو الاسم الذى أطلقه قدماء المصريين على هرم الملك خوفو , و هذا الاسم هو "آخت خوفو" , أى أفق خوفو . و هنا نتذكر على الفور أن متون الأهرام وصفت أوزيريس بأنه هو (ال آخت الذى يولد منه رع) .

على سبيل المثال جاء فى النص رقم 354 من متون الأهرام هذه العبارات التى تخاطب الملك قائلة

** أيها "الملك - أوزيريس" .. فلتحيا لكى تروح و تغدو كل يوم .. لتكن "آخ" (روح نورانية ذات قدرة الهية فعالة) , و ليكن اسمك ال "آخت" الذى يولد منه رع **

و نلاحظ أن هذا الاسم من أسماء أوزيريس يأتى فى العديد من النصوص مرتبطا بالعناق بين أوزيريس و ابنه حورس و هو العناق الذى يسفر عن تحول حورس الى "آخ" .

على سبيل المثال , يقول النص رقم 368 من متون الأهرام :-

** أيها "الملك – أوزيريس" , ان هذا ابنك حورس فى حضنك , و هو يحميك .. لقد تحول حورس

الى "آخ" من خلالك , لأنك أنت ال "آخت" الذى يولد منه رع **

و هذا العناق يبدو أنه ذكر بشكل ضمنى فى النص رقم 600 من متون الأهرام و الذى يحث حورس على أن يذهب الى الهرم و أن يبقى قريبا من أوزيريس , أى يبقى قريبا من الهرم .

و خلاصة كل ما سبق أن قدماء المصريين كانوا ينظرون للهرم باعتباره صور من ال "آخت" (الأفق) , و نموذج مصغر من العناق بين أوزيريس و حورس , و هو العناق الذى أسفر عن تحول حورس الى "آخ" .

و لكن ما الذى يرمز له ال "آخت" ؟

يترجم علماء المصريات كلمة "آخت" عادة بمعنى "أفق" , أو "أرض النور" أو "المكان الذى يشع نورا" , أو "المكان الذى تتحول فيه الأرواح الى آخ" .

اعتقد قدماء المصريين أن ال "آخت" هو المكان الذى يولد فيه رع من جديد كل يوم .

يعتقد الكثير من الباحثين أن وصف الهرم بال "آخت" هو تأكيد على أن الهرم يرمز للشمس .

و لكنى فى فصل سابق من هذا الكتاب أوضحت للقارئ أن ال "آخت" هو أكثر من مجرد مكان لولادة رع أو ولادة النجوم كما يفترض بعض الباحثين .

ان ال "آخت" فى الحقيقة هو الموضع الذى ولد فيه الكون كله , هو الموضع الذى تحولت فيه الأرض الأزلية و المياه الأزلية الى أرواح و تشكل منها التل الأزلى و الغلاف الجوى و المحيط السماوى و الشمس و القمر و النجوم .

و لفهم ال "آخت" بشكل أعمق أنصح القارئ بالعودة الى الفصل الثانى من هذا الكتاب حيث تم توضيح الحقائق الأساسية بخصوص مفهوم ال "آخت" ثم للفصل السادس حيث قمت باضافة مستويات أخرى لتفسير رمزية ال "آخت" .

باختصار , وصفت متون الأهرام ال "آخت" بأنه مكان ملئ بالقنوات المائية و الحقول الخضراء و الجنات . و فيضانه يستدعى صورة المحيط الأزلى "نون" , و نلاحظ وجود نسخة مكررة من مياه ال "آخت" فى أبعاد الكون الأخرى كالدوات (العالم السفلى) و حقول البوص و السماء .

و فى الفصل السادس , طرحت فكرة مغزاها أن مشاهد رحلة المتوفى فى أبعاد الكون الماورائية

مثل نون و الدوات و الآخت و حقول البوص هى لقطات مختلفة من حياته السابقة على الأرض هدفها تحفيز المتوفى على العودة للحياة مرة أخرى .

ترمز نون و الدوات للكون القديم / الأزلى الذى كان ميتا / هامدا , و لكنه فى نفس الوقت يحمل بداخله بذور الحياة الجديدة .

أما حقول البوص فترمز للكون الذى ولد من جديد , حيث تبرز أرضه الخصبة من وسط مياه الفيضان .

و يرمز ال "آخت" للمرحلة الأخيرة من تطور الكون , و هى المرحلة التى اتخذت فيها عناصر الخلق الرئيسية (الماء و الهواء و المادة) صورتها النهائية المفعمة بطاقة الحياة .

اذن , يرمز ال "آخت" للكون كله و هو يأتى للوجود . و هو هنا ليس بالكون القديم و لا الجديد , و لكنه ذلك المكان الميثولوجى الذى يتحول فيه القديم الى جديد .

ان تفسير رمزية ال "آخت" فى ضوء نظرية ديانة النشأة يتيح لنا فهم رمزية الهرم بشكل أعمق .

و قد قرأنا سابقا فى اثنين من النصوص أن الهرم هو نموذج مصغر لخلق الكون .

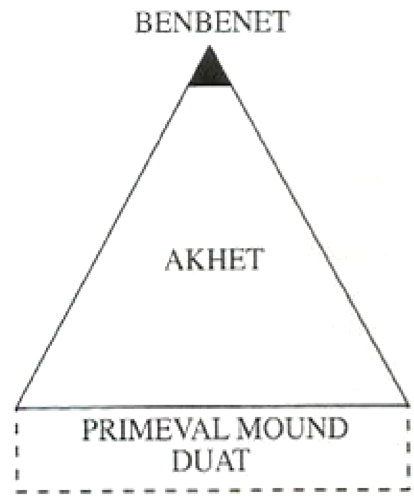
و الآن يقدم لنا ال "آخت" دليلا ثالثا يكمل صورة الهرم باعتباره رمزا للخلق .

يمكننا اذن أن نختصر كل ما سبق و نقول أن الهرم يرمز للكون و هو يولد من جديد .

الهرم هو صورة للعالم الأزلى و هو يصعد من ظلمة العالم السفلى ليولد منه عالم جديد هو عالم النور و النظام .

الهرم هو الرحم الذى حمل بذرة الكون التى أخصبت نفسها بنفسها و أخذت فى النمو و الاتساع .

يوضح الشكل التالى هذه الفكرة .



(رؤية الكاتب للهرم و علاقته برموز الخلق)

فقاعدة الهرم هى الأرض الأزلية التى ارتفعت من مياه الأزل "نون" أو التل الأزلى الذى يشكل قمة ال "دوات" (لعالم السفلى) أو سقفه . و جسم الهرم هو ال "آخت" , أرض النور , المكان الذى اكتسبت فيه عناصر الخلق طاقة الحياة . و قمة الهرم أو ال "بنبنت" (benbenet) هى بذرة الاله الخالق التى تدفقت من ال "آخت" فأخصبت نفسها و أخصبت رحم السماء .

اذن الهرم هو صرح الحياة , حيث خلود الملك هو خلود الكون .

الهرم هو صورة للنظام الكونى (ماعت) و لانتصار قوى النور على قوى الظلام .

تكمن أهمية هذا التفسير لرمزية الهرم فى أنه ينطبق على كل أهرامات مصر .

و برغم أن الأهرامات كانت تشيد أحيانا فى صورة مجموعات (على سبيل المثال أهرامات الجيزة) , الا أن كل هرم من أهرامات مصر يقف كرمز قائم بذاته يعبر عن الاله الواحد , تماما كما تعبر المعابد المختلفة عن كون واحد .

كل هرم من أهرامات مصر يقف كرمز لمعجزة الخلق و نشأة الحياة , سواء كان هرم صغير أم كبير , هرم رئيسى أم تابع , هرم يحتوى على مقبرة أم هرم خالى من وجود أى مقبرة .

ان اختلاف زاوية ميل جوانب كل هرم عن الأهرامات الأخرى يعبر عن العلاقات المختلفة

و المتكاملة فى نفس الوقت بين أبعاد الكون .

و لذلك استخدم قدماء المصريين النسب الهندسية المقدسة phi & pi .

و لكن ماذا عن هرم زوسر المدرج ؟

هل هو أيضا رمز لمعجزة الخلق ؟

و هنا لا نجد مفر من أن نلجأ للتكهنات , لأن النصوص الدينية المصرية صمتت عن ذكر أى شئ يوضح رمزية الهرم المدرج بشكل مباشر .

و أحد التفسيرات الواردة و التى ناقشناها من قبل فى هذا الفصل أن الهرم المدرج يرمز للتل الأزلى و هنا تجدر الاشارة الى أن قدماء المصريين فى العصر المتأخر كانوا يعبرون عن الأرض باستخدام رمز هيروغليفى على شكل هرم مدرج .

و لكن من المحتمل أن بناة الهرم المدرج أنفسهم لم يكونوا يقصدون ذلك عندما قاموا بتشييده .

و على أية حال ان التصميم المعمارى للهرم المدرج يعكس فكرة التل الأزلى و خصوصا فى المستوى الأول أو المصطبة الأولى .

يمكننا اذن أن نقول أن الهرم المدرج هو الصورة الأولية للتل العالى أو ال "آخت" و هو الذى تطورت منه فكرة الهرم الكامل أو الحقيقى , ليس بسبب تغير فى ديانة قدماء المصريين أو رموزها و انما بسبب تقدم و تطور تكنولوجيا البناء فى مصرالقديمة فى ذلك العصر .

ان الجوانب الملساء للهرم تعطى انطباعا بالتدفق و التلاحم و الوحدة و هى مبادئ أساسية فى منظومة الخلق .

و أخيرا , نصل للسؤال الشيق حول الاختلاف بين رمزية المعبد و رمزية الهرم .

اذا كان الاثنان (المعبد و الهرم) يرمزان لنفس الشئ – أى للكون و هو يأتى للوجود – فلماذا اضطر قدماء المصريين للتعبير عن نفس الفكرة باستخدام صرحين مختلفين فى الشكل و التصميم ؟

هناك اجابتان لهذا السؤال : اجابة فلسفية و اجابة عملية .

أولا , لا توجد لحظة بعينها من لحظات الخلق يمكن أن يعبر عنها الانسان بأن ينحتها فى الحجر .

ان عملية الخلق فى حد ذاتها أشبه بتدفق تيار من الطاقة ينتقل عبر مراحل من الاخصاب و النمو

و التوسع و اعادة الاخصاب و الاكتمال .

اذا وجه المهندسون و الفنانون تركيزهم للحظة معينة من لحظات الخلق دون غيرها , فان الصرح بذلك لن يأتى معبرا عن معجزة الخلق .

و فى اعتقادى أن المعبد و الهرم يعبران عن لحظتين مختلفتين من لحظات الخلق .

فى الصرح الهرمى , يحمل الكون القديم بداخله بذرة الكون الجديد التى لم تتطور بعد و تخرج ما بداخلها من امكانيات .

أما فى المعبد , فان البذرة قد غرست و أنبتت الكون الجديد الذى اتخذ شكله النهائى , حيث يرمز سقف المعبد للسماء , و أرضه للتل الأزلى .

أى أن الصورة فى المعبد أكثر اكتمالا منها فى الهرم . حيث يتم تصوير العناصر المادية فى صورة الأعمدة التى تتخذ أشكال نباتية و التى ترتفع من الأرض الى السماء .

يصور الهرم قصة الخلق فى مرحلة سابقة على المرحلة التى يمثلها المعبد .

و بالنسبة لقدماء المصريين – الذين عرفوا بامتلاكهم القدرة على التعبير بوسائل عديدة – كان التعبير المعمارى من خلال المعبد و الهرم معا ضروريا .

ثانيا : للشكل المعمارى علاقة بالوظيفه أو الهدف الذى شيد من أجله الصرح , و هناك اختلاف بين وظيفة المعبد و وظيفة الهرم .

وظيفة الهرم هى اعادة احياء مومياء الملك و ارسال روحه فى أرجاء الكون الفسيح .

و لذلك كانت بؤرة الهرم و مركزه هى ال "دوات" و مومياء "الملك – أوزيريس" و التابوت الذى يمثل رحم الأم الكونية نوت .

و فى الهرم كانت غرفة الدفن تمثل ال "دوات" (العالم السفلى) , و هو المكان الذى تولد منه النجوم , أما جسم الهرم فيمثل ال "آخت" الذى خرج من ال "دوات" .

أما وظيفة المعبد فهى اعادة الحياة للصورة المقدسه للاله الخالق و ارسال روحه فى أنحاء الكون الفسيح .

و لذلك فان بؤرة المعبد و مركزه ليست هى العالم السفلى و انما التل الأزلى و ال "آخت" , حيث

يمثل قدس الأقداس بأرضيته المرتفعة التل الأزلى , بينما تمثل الصورة المقدسه للاله (أى تمثاله) ال "آخت" .

و المعبد بوجه عام يمثل ال "آخت" و السماء التى تعلو التل الأزلى .

ان تركيز الهرم على العالم السفلى من ناحية , و تركيز المعبد على التل الأزلى من ناحية أخرى هو الذى أملى على المهندس المصرى القديم تصميمين هندسيين مختلفين , لكل منهما شخصيته و سحره .

فى حالة الهرم , تحتاج المومياء لشكل هندسى خاص يساعد على استحضار الروح من العالم السفلى و رفعها للسماء .

أما فى حالة المعبد , فتحتاج الصورة المقدسة للاله الخالق (أى تمثاله) لشكل هندسى يتفاعل مع الكون الذى اكتمل خلقه , و هو الشكل الذى نراه فى المعابد المصرية القديمة .

و لذلك نجد أن قدماء المصريين شيدوا كل أهراماتهم على الضفة الغربية للنيل , و كأن الأهرامات جميعا انبثقت من العالم السفلى (أرض الغرب) .

ملخص الفصل الخامس عشر :-

* عجز علماء المصريات عن ايجاد تفسير للمقاييس الهائلة لأهرامات مصر القديمة , كما عجزوا عن تفسير الرمزية الدينية للهرم الكامل / الحقيقى . و لذلك كثرت النظريات التى تحاول ايجاد تفسير لذلك اللغز .

* ان الهرم الكامل / الحقيقى ليس رمزا للشمس و لا للتل الأزلى و لا للنجوم , و انما هو رمز لمعجزة الخلق . الهرم هو نموذج مصغر للكون فى بداية تشكله .

* و لما كان الهرم رمزا للكون , أتت مقاييسه هائلة ليبقى خالدا مثل الكون الذى خلق ليبقى لملايين السنين .

* كان تكرار الطقوس بشكل دائم فى الهرم (أو المعبد الجنائزى الملحق بالهرم) يهدف لاعادة الحياة لمومياء الملك - و التى هى صورة من الكون - و يهدف لاطلاق روح الملك فى أجاء

الكون الفسيح لتستمر فى طوافها الكونى الى الأبد . كان قدماء المصريين يعتقدون أن هذه الطقوس اذا توقفت فسينهار الكون و يعود الى حالة الفوضى الأزلية . لذلك يجب الحفاظ على المومياء و على تمثال ال "كا" و على الهرم و المعبد الجنائزى الملحق به الى الأبد .

* كان المعبد هو أيضا صورة للكون , و لكن فى المرحلة الأخيرة من اكتماله .

كانت طقوس المعبد اليومية تهدف لابقاء الكون حيا و تجديد طاقته . لذلك كانت المعابد تشيد فى مصر القديمة بمقاييس هائلة لتبقى خالدة .

* ان نظرية ديانة النشأة التى أطرحها فى هذا الكتاب تقدم تفسيرا معقولا للمقاييس الهائلة لأهرامات مصر القديمة و معابدها .

الفصل السادس عشر

مقبر الملك خوفو

فى عام 2003 ميلادية كتبت الباحثه كريستين المهدى تقول :-

** ان النظرية التى يطرحها آلان ألفورد حول المكان الحقيقى لغرفة دفن الملك خوفو هى نظرية جديرة بالاهتمام . و اذا كللت بالنجاح فى اكتشاف المقبرة الحقيقية , فسيكون ذلك انتصارا كبيرا لعلم الآثار **

جذب هرم الجيزة الأكبر انتباه الباحثين و الرحالة بسبب ضخامة حجمه بالمقارنه بأهرامات مصر الأخرى و الدقة الهائلة فى تصميمه الخارجى و تفرده من بين الأهرامات فى تصميمه الداخلى , و لذلك صار موضع تكهنات لا حصر لها و موضع تساؤل حول من قام بتشييده و لماذا .

يقول علم الآثار أن الملك خوفو من عصر الأسرة الرابعة (دولة قديمة) هو من شيد هرم الجيزة الأكبر حوالى عام 2550 قبل الميلاد ليكون مقبرة له .

و برغم التصميم الداخلى الفريد لهرم الملك خوفو و الذى لم يتكرر فى أى هرم آخر و الذى يدعو للدهشه و التساؤل , الا أن علماء الآثار يتشبثون برأيهم و يؤكدون أن الهرم شيد ليكون مقبرة و لا شئ سوى مقبرة .

و لكن العديد من الباحثين و المثقفين من خارج وسط علم المصريات يجدون صعوبة فى قبول هذه النظرية . فلا يمكنهم تصديق أن هناك مقبرة يمكن أن يصل ارتفاعها الى 481 قدم و أن تكون جهتها الشمالية مطابقة للشمال الحقيقى بفارق 3 دقيقة قوسية (arc minutes) , أو أن تكون هذه المقبرة مصممة بحيث تنعكس فيها النسب الهندسية الذهبية phi & pi , علاوة على خصائص أخرى فريدة .

ببساطة يجد هؤلاء صعوبة فى تصديق نظرية الهرم المقبرة و يتوقعون وجود تفسير آخر للحجم الهائل لهذا الصرح الفريد و للدقة التى لا يوجد لها مثيل فى أى صرح معمارى آخر .

و طوال عدة عقود ظهرت العشرات من النظريات التى تدور حول هرم الجيزة الأكبر .

و طوال الألفى عام الأخيرة اعتقد الكثيرون أن أهرامات الجيزة هى صوامغ غلال يوسف .

و فى القرن التاسع عشر ادعى البعض أن هرم الجيزة الأكبر يحتوى على نبؤات انجيلية سجلت فيه من خلال مقاييسه و أبعاده .

و فى القرن العشرين ظهرت نظريات لا حصر لها بعضها يرى الهرم كمحطة لتوليد الطاقة باستخدام المياه الجوفية و بعضها يرى فى الهرم ساعة شمسية أو كونية و بعضها يرى فيه مرصدا فلكيا و البعض الآخر يرى فيه مستودعا للحكمة القديمة / الأزلية أو معبد لتلقين أسرار العلوم الباطنية أو فنارا للسفن الفضائية أو ملجأ للاحتماء من النيازك المتساقطة .

و قد كان ذهنى دائما منفتح للنظريات الجديدة , باعتبارى لا أنتمى لعلم المصريات الأكاديمى .

و لكن بعد سنوات طويلة من البحث وجدت أن الحجم الهائل و المقاييس البالغة الدقة لهرم الجيزة الأكبر يمكن أن يفسر من خلال الديانة المصرية القديمة , و خصوصا اذا بحثنا فيها من منظور ديانة النشأة , و اذا نظرنا للهرم باعتباره رمزا للكون أثناء عملية الخلق .

قد لا يمكننى تفسير كيف شيد الهرم , أو من أين أتت تكنولوجيا البناء فى عصر بناة الأهرام , و لكنى مقتنع تماما أن هذا العمل الضخم تم بناء على مفهوم دينى احتل أهمية كبرى عند قدماء المصريين , و هو مفهوم **"<u>الكون الحى</u>"** . و لذلك كان من الضرورى أن يأتى الصرح الذى يجسد الفكرة على مستوى رقى و قدسية الفكرة . يجب أن ياتى فى منتهى الضخامه و فى منتهى الدقة , ليبقى خالدا الى الأبد و ذلك بمساعدة الملك و من خلال الطقوس التى سيقوم بها بعد موته .

و لكن ماذا عن التصميم الداخلى للهرم , بغرفه و ممراته العديدة و الفتحات التى فى جوانبه ؟

هل شيد الصرح الهرمى حقا ليكون مقبرة أم ليكون أكثر من مقبرة ؟

مرة أخرى أجدنى أختلف مع علماء الآثار , و لكن ليس فى كل شئ .

نعم , شيد الهرم ليكون مقبرة (مكان يبعث منه الملك من جديد) , و لكن غرفه و ممراته العديدة

و الفتحات الموجودة فى جوانبه تستدعى اعادة النظر و البحث عن شئ آخر .

يدور هذا الفصل حول مقبرة الملك خوفو , و التى أعتقد أنها ليست غرفة الملك كما يعتقد علماء الآثار . ففى اعتقادى ان مقبرة الملك خوفو لم تكتشف بعد , و هى ما زالت مختفية تحت قاعدة الهرم .

و الهدف من هذا الكتاب هو القاء الضوء على مقبرة الملك خوفو تمهيدا لاكتشافها .

اذا كنت محقا , و اذا كان لدى علماء الآثار الشجاعة الكافية لاختبار مدى صحة نظريتى فقد نرى بأعيننا المومياء و الأثاث الجنائزى لواحد من أعظم بناة الأهرام .

<u>لغز الهرم الأكبر :-</u>

يعتبر هرم الجيزة الأكبر واحدا من أضخم الصروح المعمارية فى العالم .

تبلغ مساحة قاعدته 756 قدم مربع , و يبلغ ارتفاعه 481 قدم , و يبلغ حجمه 91.2 مليون قدم مكعب , و هو أضخم أهرامات مصر على الاطلاق .

لا يعرف أحد على وجه اليقين عدد الأحجار المستخدمة فى تشييده (لأن الهرم شيد فوق نواة من نتؤ صخرى طبيعى كان موجودا فى هضبة الجيزة قبل تشييد الهرم) ,

و لكن يقدر عدد الأحجار على وجه التقريب بحوالى 2 مليون و 300 ألف كتلة حجرية .

و هناك دراسة أحدث تقدر عدد الكتل الحجرية بحوالى 4 مليون .

يبلغ متوسط وزن كل حجر حوالى 2 طن , و يقدر اجمالى وزن كل أحجار الهرم بحوالى 5 الى 10 مليون طن .

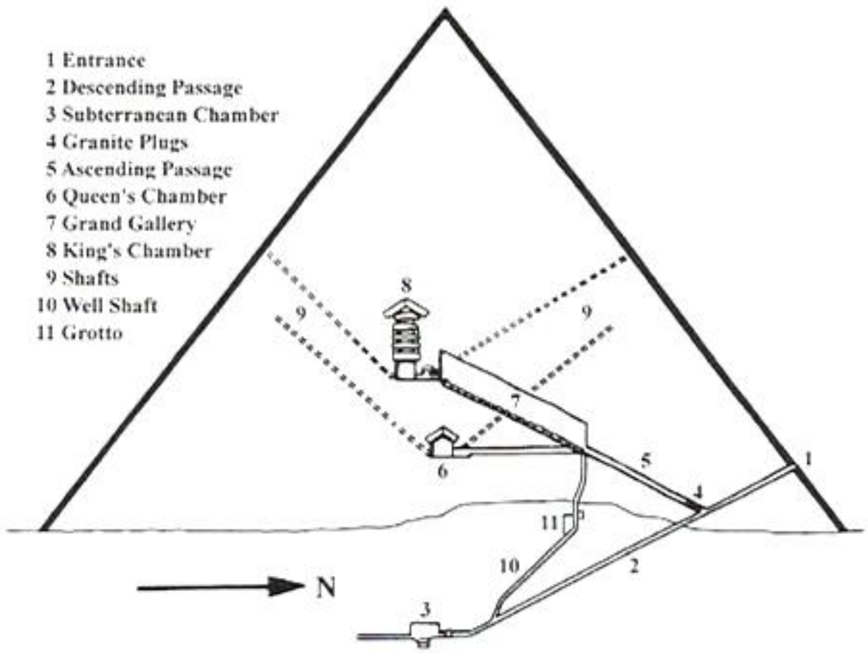
و كعادة قدماء المصريين فى تصميم مداخل الأهرامات , يقع مدخل هرم الجيزة الأكبر فى اتجاه الشمال . و ينحدر ممر الدخول تدريجيا الى أسفل ليصل الى غرفة "تحت أرضية" .

و فى نفس الوقت ينفرد هرم خوفو من بين كل أهرامات مصر بوجود غرف و ممرات فوق سطح الأرض و هى كالآتى :-

- غرفة الملكة و هى على ارتفاع 70 قدم .

- الدهليز العظيم (grand gallery) و هو على ارتفاع 70 الى 140 قدم .

- غرفة الملك و هى على ارتفاع 140 قدم .



مقطع رأسى (فى اتجاه الغرب) لهرم خوفو من الداخل , و هو يحوى بالترتيب :-

(1) المدخل

(2) الممر الهابط

(3) الغرفة ال "تحت – أرضية"

(4) كتل من الجرانيت لسد الفتحات

(5) الممر الصاعد

(6) غرفة الملكة

(7) الدهليز العظيم (grand gallery)

(8) غرفة الملك

(9) فتحات فى جسم الهرم

(10) فتحة البئر

(11) الكهف (grotto)

ما هو مغزى هذا التصميم المعمارى الفريد ؟

بحث علماء الآثار عن اجابة ذلك السؤال فافترضوا أن غرفة الملك هى غرفة الدفن و أن التابوت الجرانيتى الذى تحويه الغرفه هو التابوت الذى وضعت فيها مومياء الملك خوفو .

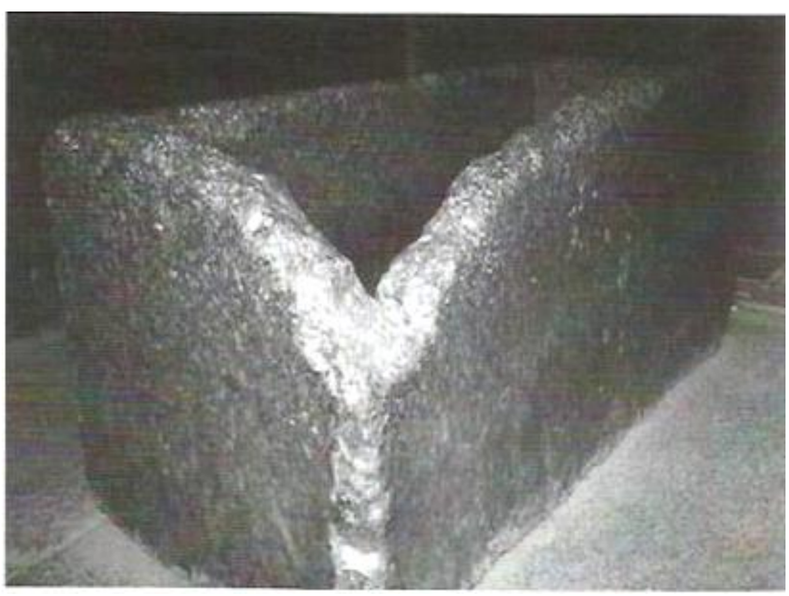
بحث علماء الآثار داخل الهرم فلم يعثروا على أى تابوت فى أى مكان آخر , و لم يعثروا على أى بقايا من المومياء أو الأثاث الجنائزى فاستنتجوا من ذلك أن غرفة الملك هى غرفة الدفن و لكنها تعرضت للسرقة و النهب منذ زمن طويل جدا .

و أثناء محاولتهم حل اللغز قام علماء الآثار بدون قصد بخلق لغز آخر .

من بين كل ملوك مصر القديمة , لماذا اختار الملك خوفو أن يكون مكان دفن جثمانه على هذا الارتفاع الشاهق (140 قدم فوق سطح الأرض) ؟

يفسر بعض علماء الآثار ذلك بأن الملك خوفو أراد بذلك أن يضلل لصوص المقابر .

اذا كان الأمر كذلك , فلماذا لم يلجأ غيره من ملوك مصر لنفس الحيلة ؟



التابوت الجرانيتى بغرفة الملك .

يحوى هذا التابوت المكسور سر الهرم . فهل رقد بداخله جثمان الملك خوفو فى يوم ما ؟

يقدم لنا عالم الآثار "ستيفن ادواردز" (I.E.S. Edwards) تفسير آخر , فيقول أن الملك خوفو قرر فى البداية أن يدفن فى التابوت الجرانيتى , و لكن العمال لم يتمكنوا من نقله الى الغرفة ال "تحت- أرضية" لأن مقاييس التابوت أكبر من عرض الممر الهابط , فقام الملك خوفو بتغيير خطته و ترك الغرفة ال "تحت - أرضية" , و أمر بتشييد غرفة الملكة على ارتفاع 70 قدم .

و لكنه بعد ذلك ترك غرفة الملكة أيضا بسبب تأخر العمال فى نقل التابوت الى الموضع الجديد .

لذلك اتخذ الملك قرارا جديدا ببناء غرفة الملك على ارتفاع 140 قدم و تم نقل التابوت الجرانيتى اليها .

اجتذبت هذه النظرية اهتمام العديد من الباحثين , على الرغم من أنها مفتعلة .

تساءل علماء آثار آخرون عما اذا كانت هناك أسباب دينية وراء قيام الملك بتشييد مقبرته على هذا الارتفاع الشاهق , و خمنوا أنه ربما أراد أن يكون قريبا من رع , رب الشمس .

و من مؤيدى هذا الطرح دكتور زاهى حواس الذى يقول أن الملك خوفو شيد مقبرته على هذا الارتفاع لكى يكون قريبا من رع و يتحد به فى الأفق "آخت" , و أن هذه الفكرة كانت بمثابة ثورة دينية و هى تتناقض مع مفهوم الماعت , و لذلك لم تجد صدى لدى ملوك مصر الذين جاءوا بعد خوفو .

فهل نجح دكتور زاهى حواس بذلك التفسير فى حل لغز غرفة الملك ؟

تكمن الاجابة فى رأى زملائه من علماء الآثار الذين رفضوا ذلك التفسير , لأنه لا يوجد أى دليل على وجود ثورة دينية أو تغيرات كبرى فى الفكر الدينى المصرى فى عصر الملك خوفو .

و بعد ذلك توقف الجدال , أو بمعنى أصح وصل الى طريق مسدود , و انشغل الباحثون بأشياء أخرى بدلا من البحث فى الوضع الغريب و الشاذ لغرفة الدفن فى هرم الملك خوفو .

أقنع الباحثون أنفسهم أن الملك خوفو كانت لديه أسبابه التى قد تبقى خفية عنا , و هو أمر لا يهم .

و لكن فى اعتقادى أن هذا الأمر فى منتهى الأهمية .

منذ بزوغ فجر الحضارة المصرية القديمة و حتى أفول شمسها كان من عادة قدماء المصريين دفن الموتى تحت الأرض .

كل المقابر المعروفة فى تاريخ مصر تؤكد ذلك , و كذلك أهرامات مصر , حيث تحتوى الأهرامات عادة على غرفة تحت الأرض .

لم يعثر علماء الآثار على أى حالة تم فيها دفن المتوفى بعيدا عن الأرض .

تؤكد النصوص المصرية القديمة التى تنتمى لعصور مختلفة هذه الفكرة , فتقول أن جسد أوزيريس أو جسد الملك ينتمى للأرض , بينما تنتمى الروح للسماء .

و أهم هذه النصوص على الاطلاق النص رقم 305 من متون الأهرام التى تؤكد هذه القاعدة فتقول ** الجسد للأرض , و الروح للسماء **

و علماء الآثار على دراية تامة بأن التقاليد المصرية القديمة تقتضى وضع غرفة الدفن تحت الهرم , و على دراية بالنص الذى يقول أن الجسد للأرض و الروح للسماء .

و لكن فى حالة هرم الملك خوفو تقبل علماء الآثار الاستثناء لأسباب سبق توضيحها .

و هو فى الحقيقة خطأ فادح .

فى طيات هذا الكتاب , أوضحت للقارئ أن موت و بعث الملك من جديد هو اعادة تكرار لأسطورة موت و خلق الكون من جديد , و أن هذه الأسطورة تتضمن فكرة النشأة من الأرض الأزلية (و المياه الأزلية) .

و فى هذه الدراما الكونية التى يعيد الملك تكرارها تصبح مومياؤه هى نفسها مومياء أوزيريس , رب العالم السفلى "دوات" الذى انبعثت روحه من الأرض الأزلية عند بدء الخليقه .

و انطلاقا من ذلك , كان من الضرورى أن تدفن المومياء فى الأرض تحت الهرم , و الا ستصبح الطقوس خالية من الطاقة السحرية الأزلية .

كل شئ يعتمد على فهم رمزية الهرم . اذا كان الهرم يرمز للتل الأزلى – كما يفترض بعض علماء الآثار - فان الدفن فى غرفة على ارتفاع شاهق يعد استثناءا للقاعدة و للعرف السائد فى مصر القديمة .

و اذا كان الهرم يرمز لأشعة الشمس أو للكون حين أتى للوجود فان غرفة الدفن المرتفعة عن سطح الأرض ستعوق المومياء من الاتصال بطاقة الأرض و هى الطاقة التى تساعد الروح على الانبعاث مرة أخرى .

فى الفصل الخامس عشر , أوضحت للقارئ أن قاعدة الهرم هى التل الأزلى , و أن جسم الهرم هو الروح التى انبعثت منه .

و استندت فى طرحى الى الاسم الذى عرف به هرم خوفو عند قدماء المصريين و هو "آخت" , أى المكان الذى تتحول فيه الأرواح الى "آخ" . و أوضحت أيضا أن الهرم كان دائما مرادفا لأوزيريس الذى أدى عناقه لحورس الى تحول حورس الى "آخ" , و لذلك يلقب أوزيريس ب "آخت" .

كما أوضحت دور آتوم فى حماية هرم الملك بأن يضع ذراعيه حوله على شكل علامة ال "كا" , لتقف "كا" الملك وسطها و تصبح موصولة بآتوم . و أوضحت أيضا التشابه بين المعبد و الهرم , حيث يشيد كل منهما فوق التل الأزلى .

و هنا تجدر الاشارة أيضا الى أن الكلمة الهيروغليفية التى تدل على الهرم و هى كلمة "مر" (mr) تكتب باستخدام شكل صرح معمارى لونه أبيض فوق أرض سوداء .

و بناء على تفسير رمزية الهرم و الذى أعتقد أنه تفسير شامل , يصبح من غير المعقول أن يقوم الملك خوفو و مهندسوه بتصميم غرفة الدفن على ارتفاع 140 قدم فوق سطح الأرض .

ان غرفة دفن الملك يجب دائما أن تكون مختفية تحت سطح الأرض , طبقا للقاعدة التى تقول (الجسد للأرض , و الروح للسماء) .

هل يمكن أن يكون هرم الملك خوفو استثناءا لتلك القاعدة ؟

شيد هرم الملك خوفو قبل عصر متون الأهرام – و هى النصوص التى يعتمد عليها تفسيرى لقصة الخلق - بحوالى قرنين من الزمان .

تشير العديد من الأدلة الى أن هرم الملك خوفو ليس استثناءا .

و أول هذه الأدلة هو اسم الهرم , "آخت خوفو" و هو يعنى أن الهرم هو صورة من ال "آخت"

الذى يعتبر صورة مصغرة من الكون فى مرحلة من مراحل نشأته و تطوره .

يتطابق ذلك مع نصوص الأهرام التى تتناول ميلاد الكون و تطوره , و يؤكد أن المقبرة لا يمكن أن تكون على ارتفاع شاهق داخل جسم الهرم .

و الدليل الثانى هو النقوش التى عثر عليها فى التجاويف التى تعلو غرفة الملك بهرم خوفو و التى جاء فيها ذكر اسم "خنوم" , و هو أحد صور الاله الخالق فى مصر القديمة .

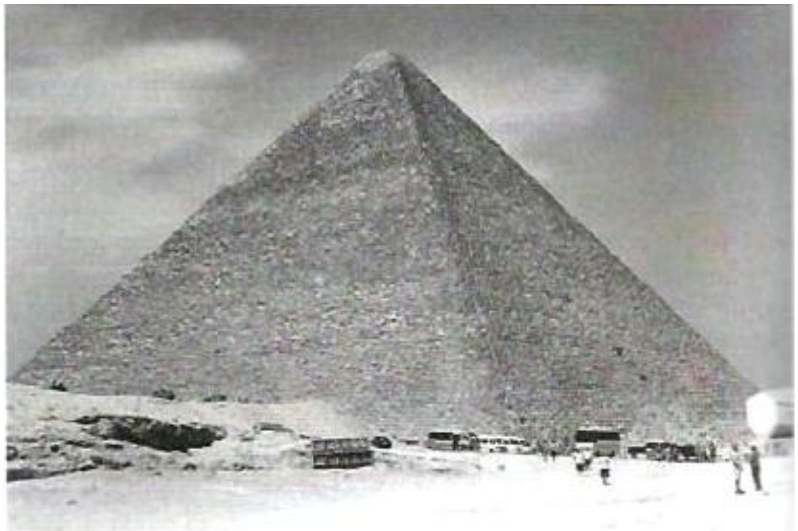
تقول هذه النصوص أن الهرم شيد لملك يحمل اسم "خنوم - خوفو" (و قد يكون اسم خوفو مشتقا من اسم خنوم) . أو أن الهرم نفسه اسمه "خنوم - خوفو" و هى كلمة معناها "خنوم يحميه" أو "الذى فى حماية خنوم" , و هو ما يعنى وجود صلة مباشرة بين الصرح الهرمى و بين فكرة الخلق .

و الدليل الثالث هو أن الهرم كان مزودا باثنين من القوارب تم تفكيكها و دفنها فى حفرتين فى الجهة الجنوبية الشرقية من الهرم .

تستدعى هذه القوارب فى الذهن على الفور النصوص التى وردت فى متون الأهرام و متون التوابيت و التى تصف قيام النترو باعادة تركيب قارب رع و الابحار به من ال "دوات" (العالم السفلى) الى السماء .

و العثور على القوارب مدفونة فى الأرض يشير الى أن المومياء هى أيضا مدفونة فى الأرض .

و الدليل الرابع , هو مجرد فكرة تأملية فى رمزية ابو الهول و الذى ربما يكون قد نحت ليكون نموذجا مصغرا من جزيرة الخلق التى تقف وسط الكون الذى ولد من جديد و الذى ترمز له هضبة الجيزة كلها .



(هرم الملك خوفو , و اسمه آخت خوفو , و هو اسم يشير لعالم الروح)

و بالنظر الى كل الأدلة السابقة , يلفت نظرنا شيئا فى غاية الأهمية و هو أنه لم يعثر على أي أثر لمومياء الملك خوفو فى غرفة الملك و لا يوجد أى دليل من أى نص مصرى قديم أن الملك خوفو تم دفنه فى غرفة الملك أو أن مومياؤه تم استخراجها من هذه الغرفة .

و هنا نأتى الى السؤال الجوهرى : اذا لم يكن الملك خوفو قد دفن فى التابوت الجرانيتى بغرفة الملك , فما الذى كان يحويه ذلك التابوت ؟

و اذا لم يكن الملك خوفو قد دفن فى غرفة الملك فأين دفن ؟

<u>الجسد للأرض و الروح للسماء :-</u>

جاء فى النص رقم 52 من متون الأهرام :-

** أيها الملك .. يا من وضعت تحت الأرض , يا من ترقد وسط الظلمة **

جاء فى النص رقم 245 من متون الأهرام على لسان الملك المتوفى :-

** لقد جئتك يا نوت .. لقد وضعت أبى (جسدى) فى الأرض .. لقد أتت بى روحى اليك , و أمدنى سحرى بالمدد الذى أحتاجه فى الرحلة **

و تجيبه السماء قائلة :-

** أيها الملك , لتشق طريقك و تتبوأ مقعدك بين نجوم السماء **

جاء فى النص رقم 305 من متون الأهرام :-

** تولى الروح وجهها شطر السماء .. و ينزل الجسد للأرض **

جاء فى كتاب الأمدوات (وصف ما هو كائن فى العالم الآخر) :-

** يا رع .. ان السماء هى روحك , و الأرض هى جسدك **

جاء فى كتاب البوابات :-

** لتبتهل السماء لروح رع .. و لتبتهل الأرض لجسد رع .. فروح رع هى التى تخلق السماء من جديد , و جسده هو الذى يخلق الأرض من جديد **

جاء فى كتاب البوابات أيضا :-

** الأرض لجسدك الميت , و السماء لروحك .. يا رع , يا صاحب التجليات العديدة .. ان روحك فى السماء و جسدك فى الأرض **

جاء فى أحد أناشيد آمون :-

** هو رب كل شئ .. هو بداية كل ما هو كائن .. روحه كل ما فى السماء .. هو الذى فى العالم السفلى , و هو الذى فى الأفق الشرقى .. روحه فى السماء , و جسده فى أرض الغرب **

و جاء فى أحد أناشيد آمون أيضا :-

** تستقر السماء فوق رأسه , و تحمل الأرض أقدامه .. تخفى السماء روحه , و تخفى الأرض صورته .. و يخفى العالم السفلى سره المحتجب **

جاء فى النص رقم 169 من كتاب الخروج الى النهار (كتاب الموتى) :-

** ان روحك تتجه للسماء , و جسدك تحت الأرض **

جاء فى مرثيات ايزيس و هى تخاطب أوزيريس :-

** ان السماء تحتوى روحك , و الأرض تحتوى جسدك (مومياءك) **

لغز التابوت المكسور :-

قبل أن نبدأ رحلة البحث عن المقبرة الحقيقية للملك خوفو , علينا أولا أن نتوصل لنظرية مقنعة تخبرنا ما الذى كان يحتفظ به قدماء المصريين فى التابوت الجرانيتى بغرفة الملك .

ان كسر غطاء التابوت و ازالته (بواسطة لصوص المقابر) يدل على أن التابوت كان يحتوى على شئ هام و مقدس فى نظر قدماء المصرين .

و يبدو أن لصوص المقابر كسروا أحد زوايا التابوت و ألقوا نظرة داخله فقرروا أن يتكبدوا عناء ازالة الغطاء بالكامل ليحصلوا على الشئ المحفوظ بداخل التابوت .

اذا لم تكن مومياء الملك خوفو قد دفنت فى غرفة الملك فما هو الشئ الذى كان يحتويه التابوت الجرانيتى ؟

ان دراستى لقصة الخلق فى مصر القديمة قادتنى لنتيجة مفادها أن التابوت كان يحوى نيازك حديدية . و هى نظرية مقنعة و ليست مثار جدل لأن أهمية النيازك و قدسيتها فى مصر القديمة معروفة لعلماء الآثار .

و مع ذلك فان الباحثين لم يدركوا بعد مغزى ذلك المعدن السحرى (الحديد النيزكى) و دوره فى قصة الخلق .

و كما أوضحت فى الفصل العاشر , ان القارئ لمتون الأهرام يدرك على الفور أن للحديد (bja) حضور طاغى فى طقوس بعث الملك بعد الموت . حيث يتم فتح فم الملك المتوفى (الذى يقوم بدور أوزيريس) بقادوم مصنوع من حديد النيازك , و يبعث الملك من جديد بأن يرفع عظامه الحديدية للسماء . و أثناء رحلة الملك فى العالم الآخر يقوم بكسر قشرة بيضة حديدية , و يقطع حديد السماء , و يجلس فوق عرشه الحديدى .

كل هذه الطقوس هى عبارة عن تكرار لأحداث نشأة الكون التى تم فيها قذف الحديد السائل من جوف الأرض الأزلية الى السماء , و هو ما أدى الى ميلاد النجوم و الشمس و القمر .

و حين سقطت أجزاء من ذلك الحديد النيزكى على سطح الأرض نظر لها حكماء مصر القديمة باعتبارها بذرة الاله الخالق التى سقطت منه فى الأزل و أخرجت الخلق للوجود .

النيازك هى المادة المشحونة بالطاقة الروحانية و التى أخصبت رحم السماء لتولد منه كل الأجرام السماوية . و لذلك كانت النيازك مقدسة فى مصر القديمة .

و المشكلة فى النيازك الحديدية أنها تتعرض للصدأ و التآكل بمرور الزمن اذا تركت فى مكان مكشوف معرضة للرطوبة و لاختلاف درجات الحرارة بين الصيف و الشتاء , بعد أن كانت فى بيئة جافة أثناء طوافها فى الفضاء .

و فى كتاب "هرم الأسرار" (The Pyramid of Secrets) و هو الجزء الثانى المكمل لهذا الكتاب , ذكرت أن قدماء المصريين حاولوا التغلب على هذه المشكلة عن طريق حفظ النيازك الحديدية فى توابيت من الجرانيت محكمة الغلق .

و بذلك يتم حفظ معدن الحديد المقدس الذى هبط من السماء الى الأبد بدون أن يتآكل أو يصدأ .

كانت عملية حفظ النيازك الحديدية داخل توابيت تشبه الى حد كبير عملية تحنيط مومياء الملك (أوزيريس) و حفظها فى تابوت .

قد يبدو ذلك شيئا سخيفا فى نظر انسان العصر الحديث , و لكنه كان مقدسا فى نظر قدماء المصريين للدور الهام الذى تلعبه النيازك فى قصة الخلق .

و فى كتاب "هرم الأسرار" ذكرت أن هناك حالات كان قدماء المصريين يقومون فيها برفع قطعة من الحديد النيزكى الى السماء فوق عامود مرتفع , و ذلك كرمز للأصل الذى أتت منه النيازك .

و أشهر هذه الحالات نموذج حجر الى "بن بن" الذى ينسب لمدينة "ايونو" (و اسمها يعنى مدينة العامود) و رأس أوزيريس التى كان قدماء المصريين يرفعونها فى مدينة أبيدوس , حيث توضع قطعة من نيزك داخل صندوق صغير مغلق و ترفع فوق عامود مرتفع و تستخدم فى مواكب أوزيريس و أعياده التى تقام فى مدينة أبيدوس .

اذن من المنطقى و من المقبول (حسب المعتقدات الدينية المصرية) أن قدماء المصريين كانوا يحتفظون فى التابوت الجرانيتى بغرفة الملك بنيازك حديدية .

من المنطقى أن تحفظ النيازك فى غرفة على ارتفاع شاهق لأن النيازك تنتمى الى السماء كما أن قدماء المصريين اعتادوا فى حالات أخرى أن يرفعوها الى السماء , بعكس جسد الملك الذى ينتمى

للأرض كما تؤكد النصوص الدينية المصرية .

و طبقا للنظرية التى أطرحها تعتبر غرفة الملك هى "غرفة الخلق" , و ربما كانت فتحاتها ترمز لقذف شظايا الحديد السائل حول النيزك أثناء سقوطه .

و نلاحظ أن بناة هرم الملك خوفو اهتموا بغرفة الملك اهتماما خاصا و اعتنوا عناية شديدة بصقل حوائطها الجرانيتية , لأن النيازك الحديدية لها نفس قدسية و أهمية مومياء الملك المتوفى .

اذا أردنا الوصول الى الحقيقة , علينا أن نفكر كما كان يفكر قدماء المصريين .

ان هذه النظرية التى أطرحها تتطلب منا اعادة النظر فى التصميم الداخلى للهرم .

فالجزء العلوى من الصرح (بما فيه غرفة الملك و غرفة الملكة و الدهليز العظيم) تم غلقه و عزله – بعد حفظ النيازك داخل التابوت الجرانيتى - فى مرحلة من مراحل تشييد الهرم بحيث لا يدخله سوى "كا" الملك .

يعطى الدهليز العظيم انطباعا بأن المكان شيد لتستخدمه الروح و تنبعث منه لتنطلق فى أرجاء الكون الفسيح .

و طبقا لهذه النظرية , قد يكون هناك المزيد من الغرف و الممرات السرية التى لم تكتشف بعد داخل أو تحت الهرم (للمزيد من المعلومات عن الغرف السرية , أقترح قراءة كتاب هرم الأسرار) .

أما فى هذا الكتاب , فاهتمامنا ينصب بشكل أساسى على مقبرة الملك خوفو .

و بعد أن ملأنا التابوت الجرانيتى الفارغ بعظام الاله الحديدية , يمكننا الآن أن نبدأ البحث داخل الهرم عن عظام الملك خوفو , أو مومياؤه .

أين تقع المقبرة الحقيقية للملك خوفو ؟

يحتوى هرم خوفو على غرفتين تحت الأرض (على حد علمنا) , تصلحان كمقبرة للملك خوفو , و هما الغرفة ال "تحت - أرضية" و غرفة الكهف (grotto) .

تبدو هاتان الغرفتان و كأنهما كهوف أو تجاويف طبيعية كانت موجودة فى جسم هضبة الجيزة ثم قامت يد الانسان باضافة بعض التعديلات البسيطة عليها .

و برغم أن علماء الآثار ينظرون الى تلك الغرف باعتبارها غرف لم يكتمل بناءها , الا انها كانت تشكل أهمية كبرى عند قدماء المصريين بسبب رمزيتها التى ترتبط بالعالم السفلى و برحم الأم السماوية "نون" .

و سنبحث كل غرفة من هذه الغرف على حدة .

الغرفة ال "تحت - أرضية" (subterranean chamber) :-

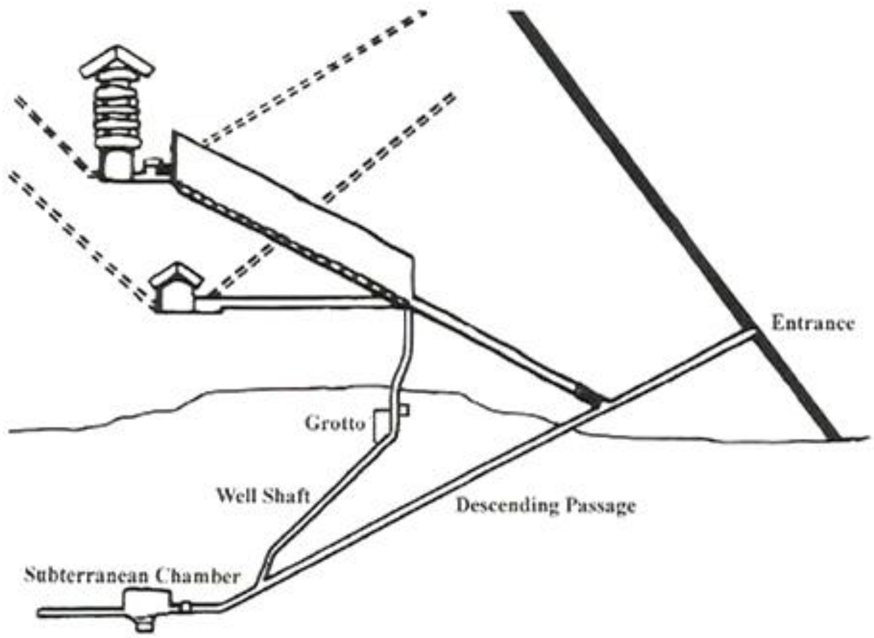
تقع الغرفة ال "تحت - أرضية" على عمق 100 قدم تحت سطح الأرض , و يمكن الوصول اليها عن طريق الممر الهابط .

و هذه الغرفة هى أكبر غرف هرم الملك خوفو على الاطلاق اذ تبلغ مساحتها 46 قدم X 27 قدم , و يبلغ ارتفاعها 11 قدم و 6 بوصات .

و هذه الغرفة ليس لها شكل هندسى محدد , فأبعادها و حوائطها فى حالة من الفوضى و العشوائية و لذلك يطلق عليها اسم "غرفة الفوضى" .

و الشئ الوحيد المثير للانتباه فى هذه الغرفة هو حفرة مساحتها 8 قدم مربع تقع فى أرضية الغرفة و يصل عمقها لحوالى 50 الى 60 قدم (و هى حاليا ممتلئة بالردم و لذلك فان عمقها يبدو أمام أعيننا حوالى 15 قدم فقط) .

تم الكشف عن هذه الحفرة بشكل جزئى على أيدى المغامرين و المستكشفين فى القرن التاسع عشر , و لكنهم لم يعثروا فيها على شئ .



مقطع رأسى (باتجاه الغرب) من هرم خوفو يركز بشكل خاص على الغرف التى تقع تحت الأرض



(الغرفة ال "تحت - أرضية" بهرم خوفو . هل يمكن أن تكون مجرد خدعة ؟)

هل يمكن أن نتخيل أن الملك خوفو كان مدفونا فى هذه الغرفة ؟

برغم أنه لا توجد أى أدلة على وجود متعلقات دفن فى هذه الغرفة و عدم وجود أى سجل تاريخى ذكر اكتشاف (أو حتى سرقة) مومياء أو تابوت فى هذه الغرفة , الا انه ليس من المستبعد أن يكون

مدخل مقبرة الملك خوفو تحت أرضية هذه الغرفة و تحديدا تحت الحفرة المسدودة بالردم و التى لم تكتشف بعد بشكل كامل .

ان وجود مقبرة الملك خوفو أسفل الغرفة ال "تحت - أرضية" يعطينا تفسيرا منطقيا للجهد الذى بذله بناة الهرم حيث قاموا بالحفر الى عمق 100 قدم تحت سطح الأرض .

و لكن هناك مشكلة رئيسية تصادفنا عند بحث هذه الفرضية , و هى أن موقع هذه الغرفة يجعلها سهلة المنال بالنسبة للصوص المقابر .

اذا اقتحم اللصوص مدخل الهرم و نزلوا الممر الهابط فسيجدون أنفسهم فى هذه الغرفة و بالتالى فى مقبرة الملك خوفو .

لذلك من الممكن أن تكون الغرفة ال "تحت - أرضية" قد صممت لكى تقام فيها طقوس جنائزية معينة تسبق دفن المومياء مباشرة , و بذلك تعتبر بمثابة طعم يلقى للصوص المقابر و يخفى وراءه (أو تحته) المقبرة الحقيقية .

و من مؤيدى هذه النظرية عالم الآثار الخبير فى الأهرامات "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) الذى قال فى كتابه الأهرامات المصرية (The Egyptian Pyramids) :-

*** صممت هذه الغرفة لتكون مجرد خدعة , و لتجعل من يراها يعتقد أن الملك كان مدفونا فيها فى وقت ما ***

و ننتقل الآن الى الغرفة الثانية من الغرف التى تقع تحت هرم خوفو .

غرفة الكهف (Grotto) :-

تقع غرفة الكهف مباشرة تحت أعلى نقطة فى النتؤ الصخرى لهضبة الجيزة و الذى يشكل النواة التى بنى فوقها هرم الجيزة الأكبر .

أى أنها تقع فى مستوى الأرض من الناحية النظرية , برغم أن ارتفاعها فى الحقيقة أعلى من ارتفاع قاعدة الهرم الخارجية ب 15 قدم , و السبب فى ذلك كما قلت هو وجودها فى أعلى نقطة من نتؤ طبيعى كان موجودا فى هضبة الجيزة قبل تشييد الهرم فوقها .

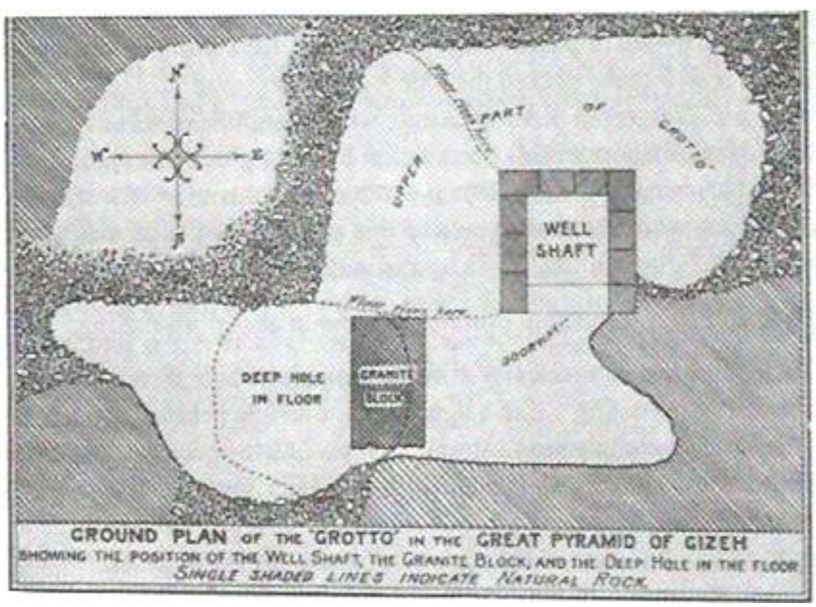
و غرفة الكهف هى فى الحقيقة تجويف طبيعى داخل جسم هضبة الجيزة , و وجودها سابق على وجود الأهرامات .

و قد وصفها عالم الآثار "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) بأنها أشبه بواحة وسط صحراء هضبة الجيزة . بدأت غرفة الكهف فى الظهور كتجويف صغير يقع عند مستوى الأرض تحت مركز الهرم تماما , ثم قامت يد الانسان بتوسعته و تعميقه .

يثير هذا التجويف الكهفى الدهشه , لأنه يقع وسط قاعدة من الصخور الصماء التى تشكل هضبة الجيزة .

توصف هذه الغرفة بأنها كهف منخفض السقف و غير منتظم الشكل , أرضه غير مستوية , تعلو فى موضع و تهبط فى موضع آخر مما جعل للأرضية فى هذا المكان ثلاثة مستويات .

و بالكاد يستطيع الشخص البالغ المتوسط الطول أن يقف منتصبا فوق أعمق نقطة من غرفة الكهف .



(تصميم غرفة الكهف)

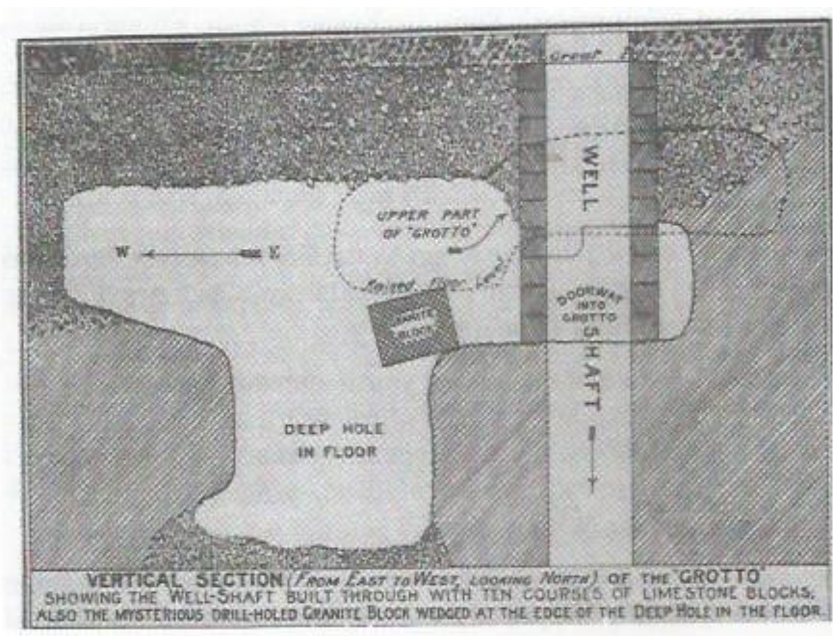
و الصورة التى أمامنا توضح كيف تبدو أرضية غرفة الكهف , و أهم معالمها على الاطلاق وجود

فتحة بئر , و هى عبارة عن فتحة رأسية مساحتها 28 بوصة مربعة تستخدم فى دخول الغرفة و الخروج منها .

و سنناقش هذه الفتحة بتفصيل أكثر فى موضع لاحق .

فى الجانب الغربى من غرفة الكهف يوجد أعمق مستوى للأرض . و فى هذا الجانب هناك ثقب عميق تم حفره لأسباب غير معروفة .

ترتفع الأرضية فى مركز الغرفة . و الشكل التالى يوضح اختلاف مستويات أرضية الغرفة .



(مقطع رأسى لغرفة الكهف باتجاه الشمال)

فى غرفة الكهف , وسط الأرضية , و بجوار الحفرة العميقة هناك كتلة من الجرانيت تبلغ مقاييسها 42 X 25 X 20 بوصه , و بها ثقب يبلغ عمقه 3.5 بوصه .

و سقف الغرفة منخفض , و هو أقرب الى الاستواء و لكنه غير مستوى تماما .

يقول عالم الآثار "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) معلقا على شكل غرفة الكهف :-

*** يثير هذا التجويف الدهشه بوجوده فى هذا الموقع , و لكن ما يثير الدهشه أكثر هو أن السقف*

*ليس من الصخر و انما هو مكسو بطبقة من الحصى و الرمال المشبعة بالرطوبة . و بعكس حوائط الكهف الصخرية المتماسكه , نجد أن السقف هش للغاية بحيث يمكن لأى شخص أن يحفر فيه باصبعه و يخرج منه حفنة من الرمل و الحصى التى يتكون منها السقف . و قد لاحظ عالم الآثار ادجار (M. Edgar) ذلك و قال أن سقف غرفة الكهف يتساقط بمجرد لمسه . و هذه بالطبع سمات غير مألوفة فى أى مكان آخر داخل الصرح الهرمى , و هى سمات تجعلنا نعتقد أن سقف هذه الغرفة ليس جزءا من التجويف الطبيعى الذى نحتته الطبيعة فى جسم هضبة الجيزة و انما تم حشوه أو تبطينه بهذه المواد بأيدى بناة الهرم***

كما لاحظ عالم الآثار "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) شيئا آخر أكثر أهمية بخصوص سقف غرفة الكهف , حيث كتب يقول :-

*** و سقف غرفة الكهف رطب بشكل غير معتاد بحيث يصنع طبقة ظاهرة للعين المجردة تشبه طبقة الصقيع فوق حبيبات الرمال و الفقاعات و التجاويف الصغيرة . و هو ما يجعلنا نتساءل عن وجود مصدر قريب للمياه . و بالطبع من الصعب تصور وجود مصدر للمياه (و خصوصا المياه الباردة) وسط هضبة من الكتل الصخرية تقع على حافة الصحراء ***

أثار هذا السقف الرطب الغريب انتباه عالم الآثار "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) فتساءل عن امكانية القيام بحفر ثقب أو فتحة فيه . و لذلك كتب يقول :-

*** ان اختبار سقف غرفة الكهف يوحى لأول وهلة أن كل شئ على ما يرام , و لكن بالتدقيق نكتشف أن ذلك غير صحيح , بسبب هشاشة السقف و ثقل وزن أحجار الهرم التى تقف فوق ذلك السقف الضعيف . و من المدهش أن الفيلسوف الرومانى "بلينيوس" أو بلاينى الأكبر (Pliny) كتب فى عام 79 ميلادية عن الهرم و ذكر وجود بئر من المياه الجوفية داخله . فهل كان هناك حقا مصدر للمياه التى تتدفق فى هذا الجزء من جسم الهرم , و ما زال هناك مخزون منها فى مكان ما , و هو ما ترك أثره على سقف غرفة الكهف المشبع بالرطوبة ؟ ***

كل هذه المعلومات تذكرنا بما ذكره المؤرخ الاغريقى هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد حين قال أن جثمان الملك خوفو مدفون فى جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب .

يقول هيرودوت فى كتابه "التاريخ" (Histories , Book II) :-

*** استغرق بناء الطريق الصاعد عشرة أعوام , ثم بدأ بعد ذلك العمل فى النتؤ الصخرى الذى يشبه التل و هو النواة التى يقف فوقها الهرم , و فى الغرف ال "تحت - أرضية" التى جعلها الملك خوفو لاستخدامه الخاص , و قد بنيت هذه الغرف ال "تحت - أرضية" فوق ما يشبه الجزيرة التى تحيط بها المياه التى تأتى من النيل من خلال قنوات ***

من المتوقع أن يكون عالم الآثار "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) على دراية بما كتبه هيرودوت عن الغرف التى تقع تحت هرم خوفو , و لكنه تجاهله فى كتاباته عن الهرم , لأنه من أنصار النظرية التى تفترض أن الملك خوفو دفن فى غرفة الملك .

و مع ذلك فقد استشعر "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) أن هناك تجاهل متعمد من جانب علماء الآثار لغرفة الكهف , لأنه كتب يقول :-

** على الرغم من أن غرفة الكهف تبدو أقل أهمية من الغرف الأخرى الموجودة داخل هرم خوفو , الا أن لها بالتأكيد وظيفة هامة لا نستطيع تخمينها فى عصرنا هذا **

هل يمكن أن يكون الغرض من غرفة الكهف هو حفظ مومياء الملك خوفو ؟

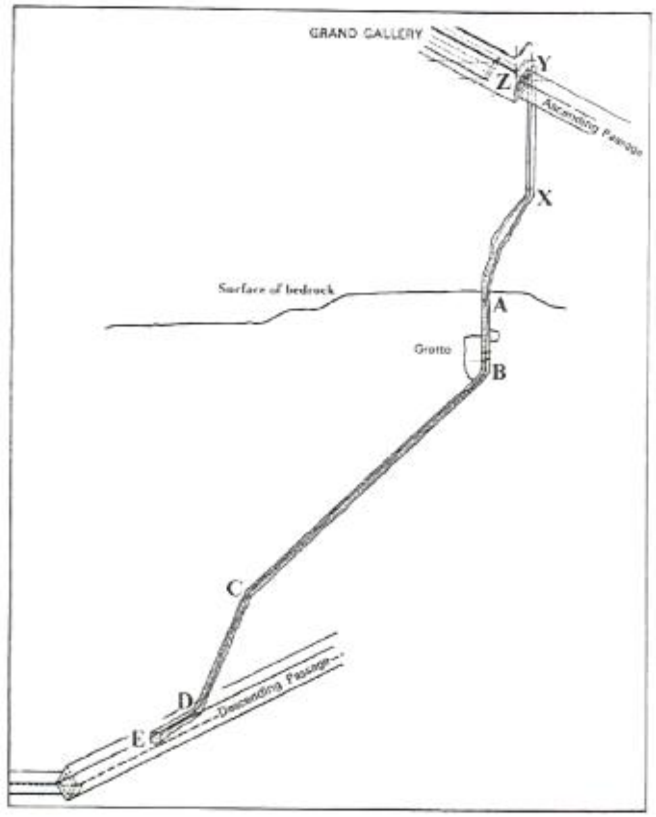
هل هناك شئ من الحقيقة فيما كتبه هيرودوت و نسبه لروايات سمعها من كهنة , و الذى يتفق تماما مع التقاليد المصرية القديمة الى تقول أن الجسد للأرض و الروح للسماء ؟

و اذا تركنا هيرودوت جانبا , سنجد أن هناك ادلة أركيولوجية (أثرية) تكفى لدعم هذه الفرضية .

و أهم هذه الأدلة على الاطلاق - كما سأوضح للقارئ حالا - هو فتحة البئر .

<u>فتحة البئر :-</u>

فتحة البئر هو الاسم الذى يطلق على الفتحة التى يمكن من خلالها الدخول الى غرفة الكهف أو الخروج منها , و هو الاسم الذى أطلقه عليها العرب بسبب عمقها المخيف .



(رسم توضيحى لمراحل حفر فتحة البئر)

تبدأ فتحة البئر فى قاع الممر الهابط ثم تصعد فى ثلاثة مواضع , فى اتجاه غرفة الكهف ثم تكمل صعودها عبر نفق صغير حفر بشكل عشوائى لتصل الممر الهابط بالدهليز العظيم .

كل القطاعات المنتظمة فى فتحة البئر تبلغ مساحتها 28 بوصة مربعة .

قبل بناء الهرم فى موضعه فوق هضبة الجيزة كانت فتحة البئر تتكون من قطاع قصير (و هو القطاع A-B) يفضى الى غرفة الكهف .

أى أن وجود غرفة الكهف سابق على وجود الهرم , و ربما كان هذا الموضع مقدسا عند قدماء المصريين منذ فجر الحضارة المصرية القديمة و قبل عصر بناة الأهرام بقرون .

و عندما بدأ بناة الهرم فى العمل فى هذا الموقع قاموا بمد فتحة البئر فى القطاعات (B-C , C-D , D-E) . و أول هذه القطاعات يمتد من الشمال للجنوب لمسافة 100 قدم عبر

الأرضية الصخرية لهضبة الجيزة فى خط مستقيم , و بزاوية انحدار 43 درجة .

و القطاع الثانى يمتد من الشمال للجنوب أيضا لمسافة أخرى طولها 30 قدم , و لكن بزاوية أشد انحدارا تبلغ 68 درجة .

و القطاع الثالث يمتد أفقيا من الشرق للغرب ليلتحم بالحائط الغربى للممر الهابط .

و قد كانت هذه الفتحة فى جدار الممر الهابط مغلقة بصخرة مسطحة يمكن ازاحتها ثم اعادتها مرة أخرى مثل الباب .

و قد كتب "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) عن فتحة البئر يقول :-

*** أغلق قدماء المصريين تلك الثغرة بكتلة من الحجر الجيرى لا يمكن تفريقها عن الكتل الحجرية الأخرى التى يتكون منها الجدار الغربى للممر . و ربما كانت هذه الصخرة المموهه قابلة للتحرك بحيث تسمح للكهنة بدخول فتحة البئر و الخروج منها كلما أرادوا . و لكننا فى الحقيقة لا نستطيع التأكد من ذلك لأن هذه الصخرة لم تعد موجودة الآن . و قد علمنا بوجودها من كتابات الرحالة الرومان عنها و الذين قالوا انهم زاروا غرفة تحت الأرض بهضبة الجيزة , بدون أن يكون لديهم أى فكرة أن هناك غرف "تحت - أرضية" بهرم خوفو . و هو ما يعنى أن هذه الصخرة أزيلت فى عصر الخليفة المأمون فى القرن الثامن الميلادى ***

و نتيجة لتوسعة فتحة البئر فى القطاعات (B-C , C-D) أصبح من الممكن الدخول الى غرفة الكهف حتى بعد بناء الطبقة الأولى من الأحجار فى الصرح الهرمى و هى الطبقة التى سدت الفتحة التى كانت فى قمة الكهف .

هل هذا هو السبب فى قيام قدماء المصريين بنحت فتحة البئر ؟

أهمل علماء الآثار المؤيدون للنظرية التى تقول أن الملك خوفو كان مدفونا بغرفة الملك هذه الفكرة.

و قد فسروا وجود فتحة البئر بأن بناة الهرم قاموا بنحتها لتوفير التهوية اللازمة لمن يعملون فى الغرف ال "تحت - أرضية" , ثم بعد ذلك تمت توسعة الفتحة فى القطاعات (A-X , X-Y , Y-Z) لتوفير طريق لخروج العمال و الكهنة الذين أصبحوا محاصرين فى الدهليز العظيم بعد سد فتحة الممر الصاعد .

و برغم الانتقادات العديدة التى وجهت لهذه النظرية , الا انها ظلت باقية بسبب ايمان العديد من علماء الآثار بأن غرفة الملك هى الغرفة التى دفن فيها الملك خوفو .

و لكن ماذا لو أن الملك خوفو لم يدفن فى غرفة الملك ؟

أعتقد أن أوضح تفسير لوجود فتحة البئر (و هو التفسير الذى يراه الكثيرون و لا يعيرونه أى اهتمام) هو أنها نحتت بهذا الشكل لتوفر مدخلا الى غرفة الكهف .

و لكن لماذا حرص بناة الهرم على الدخول لغرفة الكهف ؟

ربما أراد بناة الهرم الدخول الى هناك لأداء طقوس جنائزية فى أوقات معينة من السنة .

أو أنهم احتاجوا الدخول هناك لأداء الطقوس الجنائزية التى تسبق دفن مومياء الملك .

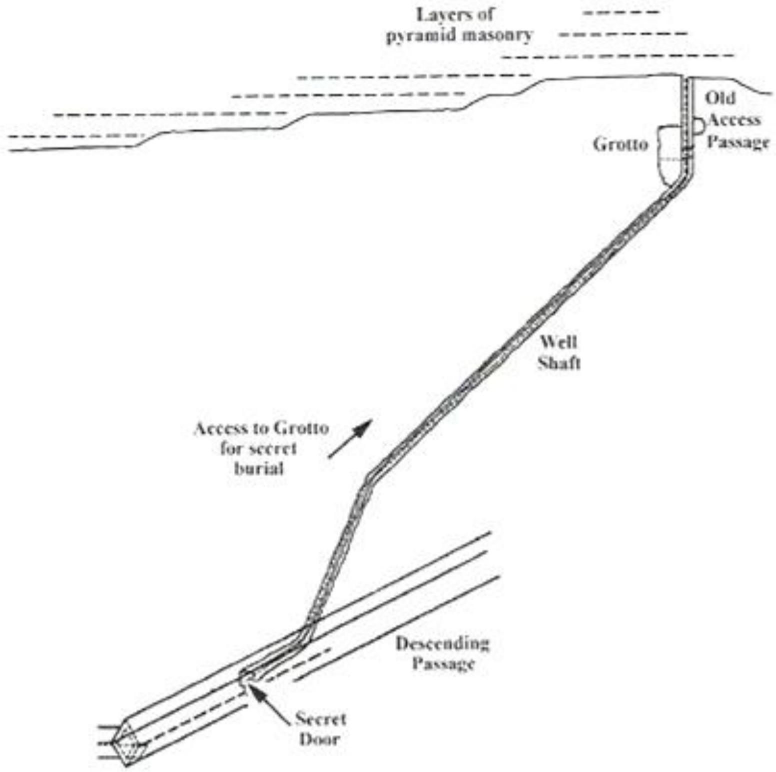
بالطبع لا يمكننى ان أنكر التفسير الأول , الا انى سأوجه تركيزى للتفسير الثانى و هو التفسير الذى يتعلق بدراستى حول مكان مقبرة الملك خوفو .

و اذا سمح لى القارئ , سأوضح له السيناريو الذى أتخيله بناء على الأدلة الأركيولوجية .

<u>المقبرة السرية للملك خوفو :-</u>

تخيل معى هضبة الجيزة قبل بناء الأهرامات , و هى خالية تماما , و العمل على وشك أن يبدأ فى بناء هرم الملك خوفو .

و هناك فريق من الخبراء يعدون الموقع لحفر الممر الهابط تحت جسم الهرم بطول 258 قدم فى عمق صخور الهضبة , حيث سينتهى هذا الممر بغرفة تحت الأرض موقعها فى منتصف المحور الشرقى- الغربى للهرم .



(غرفة الكهف و فتحة البئر . بعد الانتهاء مباشرة من تشييد الهرم)

و أثناء قيام الفريق الأول بعمله , هناك فريق آخر قام بوضع القواعد فوق النتوءات الصخرية للهضبة على بعد 100 قدم الى الجنوب و 10 قدم الى الغرب من موقع الفريق الأول .

يستطيع الفريق الثانى أن يصل الى الموضع المقدس لغرفة الكهف , و هى تجويف نحتته الطبيعة فى الهضبة قبل عصر بناة الأهرام كما أوضحنا من قبل . و من موقعهم هذا بالقرب من فتحة الكهف , يعدون أنفسهم لحفر فتحة فى صخور الهضبة طولها 168 قدم , و هى الفتحة التى ستتقاطع مع الممر الهابط بعد 25 قدم .

فى كل يوم يقوم الفريق الأول بالحفر فى الممر الهابط فى اتجاه الجنوب و بزاوية انحدار 26 الى 34 درجة . و يقوم الفريق الثانى بالنزول تحت الفتحة الرأسية فوق الكهف و ينحت ما يعرف ب فتحة البئر فى اتجاه الجنوب بزاوية انحدار 43 درجة .

و فى يوم من الأيام يقرر المهندس (لسبب غير معروف لنا) أن يجعل الممر الهابط أقصر بمسافة

25 قدم , و يستبدل هذه المسافة بممر أفقى يؤدى الى الغرفة ال "تحت - أرضية ".

و لكى يتم تنفيذ هذا القرار يأمر المهندس الفريق الثانى بأن يغير زاوية انحدار الممر من 43 درجة الى 68 درجة , لكى يتقاطع الممر الثانى مع الممر الأول عند هذا القطاع الشديد الانحدار , حوالى 22 قدم قبل المرحلة الأخير التى كان مخططا لها .

يعتبر تغيير زاوية الانحدار شيئا جديرا بالانتباه . لأنه بدون ذلك التغيير كان من المتوقع أن يتقابل الممر الثانى مع الممر الأول فى قطاع أفقى , مما يسهل على لصوص المقابر اكتشاف الباب السرى .

يقوم الفريق الثانى بمد الممر الذى يعملون به فى اتجاه الجنوب الغربى بزاوية الانحدار الجديدة لمسافة حوالى 30 قدم .

و بعد اتخاذ القياسات الدقيقة لموقعهم بالنسبة للممر الهابط يقومون بنحت ممر آخر بطول 10 أقدام باتجاه الشرق ليتقاطع مع الممر الهابط من ناحية جداره الغربى .

و كلما اقتربوا أكثر و أكثر من الممر الأول يقومون بالنحت فى الصخر بعناية شديدة الى أن يثقبوا الجدار الغربى للممر الهابط .

و بعد ذلك يقوم العمال بأصعب جزء فى مهمتهم و هو الجزء الذى يتطلب عناية و دقة شديدة , حيث يقومون بالنحت فى قلب صخور الهضبة ليقتطعوا من الجدار كتلة حجرية يمكن استخدامها كسدادة لاغلاق الممر و اعادة فتحه عند الحاجة .

و بعد انتهائهم من المهمة , يعيدون الباب السرى (السدادة الحجرية) مكانها فى الحائط لتكون جاهزة للاستخدام فى غلق الممر بعد الانتهاء من طقوس دفن مومياء الملك .

كان وجود هذا الممر الذى يحتوى على الباب السرى معروفا فقط للفريق الثانى من العمال , أو لأقل عدد منهم .

أما الفريق الأول الذى قام بنحت الممر الهابط فهم لا يعرفون شيئا عن الممر السرى , و يكملون عملهم ليتوقفوا قبل الممر السرى مباشرة .

و عند البدء بتشييد البناء العلوى للهرم , يقوم الكهنة باعداد الترتيبات النهائية للمقبرة السرية فى

غرفة الكهف و ينزلون اليها الأثاث الجنائزى , و ربما يقومون بتركيب التابوت الخشبى الذى سيحوى مومياء الملك ..

و بعد ذلك يبدأ تشييد الطبقة الأولى من الحجارة فى صرح الهرم و التى ستغطى الفتحة العلوية (الطبيعية) للكهف الى الأبد . و من هذه اللحظة يصبح من المستحيل الدخول الى غرفة الكهف الا عن طريث فتحة البئر و من خلال بوابتها السرية فى الممر الهابط .

ثم ينتهى العمل فى تشييد الهرم , و تبدأ مراسم جنازة الملك , حيث يبدو أمام أعين الحاضرين أن مومياء الملك دخلت من فتحة الهرم الرئيسية ثم نزلت الى الممر الهابط فى اتجاه الغرفة ال "تحت - أرضية" . و من المحتمل أن هناك طقوسا جنائزية أجريت فى تلك الغرفة , وخصوصا طقوس فتح الفم و اعادة المومياء للحياة .

و بعد ذلك يبدأ تنفيذ الجزء السرى من الخطة و الذى لا يعلم به الا عدد قليل من الكهنة , و منهم اثنان أو ثلاثه يبقون فى الغرفة لأداء الطقوس النهائية للجنازة .

يصعد هؤلاء الكهنة الممر الهابط بعد طقوس الجنازة و يقومون بفتح الباب السرى الذى يفضى الى فتحة البئر . ثم ينقلون مومياء الملك بكل حرص من الغرفة ال "تحت - أرضية" و يحملونها عبر الممرات الى المدخل السرى لفتحة البئر , و منها الى غرفة الكهف .

و هنا فى غرفة الكهف يؤدى الكهنة الطقوس الجنائزية الأخيرة للملك , لتنبعث روحه فى أنحاء الهرم و منه الى أرجاء الكون الأربعة .

ثم يعود الكهنة مرة أخرى الى فتحة البئر و منها الى الممر الهابط حيث يغلقون الباب السرى مرة أخرى و يثبتونه بطريقة تخفيه و تجعله يبدو و كأنه جزء من الحائط و بالتالى لا يتبادر الى ذهن أحد أنه أمام باب سرى .

ثم يصعد الكهنة من الممر الهابط و منه الى فتحة الهرم فى الجهة الشمالية أمام أعين الحاضرين للجنازة الذين لا يخطر ببالهم أى شئ من تفاصيل الخطة السرية .

أعتقد أن هذا السيناريو يبدو معقولا , و ذلك لثلاثة أسباب :-

أولا : أن موقع غرفة الكهف عند قمة نتؤ صخرى صنعته الطبيعة فى هضبة الجيزة يحاكى موقع

قمة التل الأزلى , أو الأرض التى ارتفعت من مياه الأزل و التى خلق منها الكون .

و هو موضع مثالى لدفن مومياء الملك و يتناسب مع التقاليد المصرية القديمة التى تقول أن الجسد للأرض و الروح للسماء .

<u>ثانيا</u> : ان الدفن فى غرفة الكهف يعد مثاليا من الناحية الأمنية , لأن فتحة البئر تم اخفاءها ببراعة بحيث يصعب اكتشافها . أما غرفة الكهف فهى الغرفة الأبعد عن فتحة الهرم من أى غرفة أخرى .

و من الطريف أن نعرف أن الطريق من فتحة الهرم الى غرفة الكهف يصل طوله الى 466 قدم , و هى مسافة تقترب من ارتفاع الهرم و هو 481 قدم .

ثالثا : أن هذه النظرية تقدم أفضل تفسير للوقت و الجهد الذى بذله بناة الهرم فى نحت فتحة البئر و تزويدها بباب سرى .

و لكن يبقى السؤال الحائر : ما الذى حدث لمومياء الملك خوفو , و أين هى ؟

<u>أين جثمان الملك خوفو ؟</u>

علينا أن نعترف أن لصوص المقابر ربما اكتشفوا غرفة الكهف منذ أقدم العصور , و فى هذه الحالة بالطبع سيتم نهب المومياء و الأثاث الجنائزى و تدميرهما بالكامل .

و من المحتمل – فى رأيى – أن لصوص المقابر اكتشفوا فتحة البئر و استخدموها فى الوصول الى الغرف العلوية للهرم و نهب ما فيها (و منها النيازك المحفوظة فى التابوت الجرانيتى بغرفة الدفن) , و ذلك قبل عصر الخليفة المأمون بقرون طويلة .

و هؤلاء اللصوص لا يمكن أن يمروا على غرفة الكهف مرور الكرام بدون أن يلقوا عليها نظرة ليروا ما فيها .

فهناك حفرة عميقة فى الجهة الغربية من أرضية غرفة الكهف , و على ما يبدو أن حفرها تم فى عصور قديمة .

تبلغ مساحة هذه الحفرة 5 أقدام X 5 أقدام و يبلغ عمقها 6 أقدام , و هى حفرة تكفى لوضع مومياء الملك فيها .

و قد نستنتج من ذلك أن لصوص المقابر اكتشفوا الحفرة و أخرجوا منها مومياء الملك . و لكن اختبار التربة التى تبطن هذه الحفرة بالأشعة هو الذى سيثبت أو ينفى بشكل قاطع اذا كانت المومياء قد دفنت فى هذه الحفرة أم لا .

و لكن فى اعتقادى أن هذه الحفرة ما هى الا خدعة . و هى محاولة أخيرة من بناة الهرم لاقناع لصوص المقابر الذين قد ينجحوا فى الوصول الى هذا العمق أن المقبرة قد تم اكتشافها و أنها نهبت من قبل . أما المقبرة الحقيقية فهى ما زالت مختفية خلف جدران غرفة الكهف .

قد تكون المقبرة مختفية وراء السقف الزائف الرطب الهش لغرفة الكهف .

و قد أوضحت من قبل فى هذا الفصل أن سقف غرفة الكهف يبدو غريبا و مغطى بقشرة أو طبقة بيضاء تشبه الصقيع , و كأنه قريب من مصدر ماء بارد .

و تعتبر الملاحظات التى دونها عالم الآثار "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) حول اختبار سقف غرفة الكهف فى غاية الأهمية و قد تؤدى الى اكتشاف هام .

بالاضافة الى اختبار سقف غرفة الكهف , علينا أيضا أن نختبر الحوائط و الأرضية .

و أكثر المواضع المرشحة للكشف عن شئ هام هى الحائط الغربى للغرفة , لأن من عادة قدماء المصريين دفن الجثمان فى الجهة الغربية من المحور الشمالى-الجنوبى للهرم .

و من الجدير بالذكر هنا أن الحائط الغربى لغرفة الكهف يقع تماما فوق المحور الشمالى- الجنوبى للهرم .

علاوة على ذلك , فان المسافة من فتحة الهرم الى الحائط الغربى لغرفة الكهف – عبر الممر الهابط و فتحة البئر – يعادل تقريبا ارتفاع الهرم , و هو 481 قدم .

اذن , علينا أن نختبر أيضا الحائط الغربى و الأرضية التى تقع تحته مباشرة .

و لكن اهتمامنا الرئيسى يجب أن يكون موجها الى ذلك القطاع من فتحة البئر الذى يمتد رأسيا من فتحة غرفة الكهف بارتفاع 10 أقدام .

فبخلاف باقى قطاعات فتحة البئر , نجد أن هذا القطاع كان محددا بكتل من الحجر الجيرى و هذه الكتل مرتبة فى 10 طبقات تمتد من الأرضية الى مستوى غرفة الكهف الى حيث نقطة الصفر

(ground zero) أو مستوى الأرض الذى كان موجودا قبل البدء بتشييد الهرم .

و السؤال الذى لم يطرحه أحد – فى اعتقادى – هو لماذ حظى هذا القطاع من فتحة البئر دون غيره من القطاعات بكسوة حجرية ؟

هل يمكن أن تكون هذه الأحجار قد وضعت فى ذلك المكان لتخفى وراءها المدخل لغرفة الدفن الحقيقية التى ترقد فيها مومياء الملك خوفو ؟

هل يمكن أن تكون هناك شبكة من الكهوف التى تشبه غرفة الكهف تم اخفاءها عن أعين لصوص المقابر وراء هذه الأحجار ؟

و طبقا للدراسة التى قمت بها لفتحة البئر , ان أكثر المواضع التى يحتمل أن تخفى وراءها بابا سريا هى الطبقات العلوية الثلاثة من الحجر فى الجانب الغربى من الفتحة .

و اذا تم اكتشاف هذا الباب , سيؤدى الى ممر يتجه ناحية الغرب و يمر فوق فتحة غرفة الكهف .

أى أن مقبرة الملك خوفو تقع بالقرب من مصدر الماء الذى يمد سقف غرفة الكهف بالرطوبة .

ان حجم كتل الحجر الجيرى الذى يبطن جدران فتحة البئر (عشرة طبقات بارتفاع عشرة أقدام) هو حجم ليس بالضخامة التى تحتاج الى عدد كبير من العمال لتحريكه .

و لذلك ليس من الصعب أن يتمكن عدد قليل من الكهنة من تحريكه و اعادته الى موضعه مرة أخرى بعد دفن الجثمان و اغلاق فتحة الكهف و اخفاءها بحيث تبدو و كأنها جزء من الحائط .

يمكن التأكد من الفرضية التى أطرحها بكل سهولة باستخدام الأشعة التى تخترق الجدران , و التى استخدمت من قبل فى فحص عدة مواضع فى الأهرامات , و لكنها للأسف لم تستخدم فى فحص غرفة الكهف و فتحة البئر تحديدا .



(مدخل غرفة الكهف , و الصورة توضح الطبقة السفلى من الكسوة الحجرية للحوائط)

اذا أكد فحص الأشعة وجود تجويف - كما أتوقع - فلن يكلفنا اكتشاف مومياء الملك خوفو و أثاثه الجنائزى سوى تحريك بعض كتل من الأحجار .

و هذا الكتاب هو دعوة للمسئولين لكى يعيدوا التفكير فى الديانة و المعمار فى مصر القديمة و أن يقوموا باختبار نظريتى التى طرحتها هنا عمليا داخل الهرم الأكبر .

و قد حصلت على تأييد واحدة من علماء الآثار و هى كريستين المهدى (Christine El Mahdy) و تأييد واحد من الباحثين فى التاريخ و هو مايكل رايس (Michael Rice) فى الطرح الذى قدمته للبحث عن المقبرة الحقيقية للملك خوفو .

و أدعو المزيد من علماء الآثار و الباحثين لتقديم الدعم و التأييد الذى تحتاجه هذه الفكرة لتنتقل الى حيز التنفيذ .

و أنا على يقين من أن عالم الآثار "ج. ب. ليبر" (J.P. Lepre) كان سيدعم نظريتى لو أنه بيننا الآن . و لذلك , سأنهى كتابى هذا باقتباس عبارات من كتابه الأهرامات المصرية (The Egyptian Pyramids) الذى أصدره عام 1990 ميلادية , و قال فيه :-

** لعل القارئ قد أدرك الآن حقيقة أن الأهرامات لم تكشف عن كل أسرارها , فما زال على الانسان أن يبحث و يكتشف لكى يعرف الحقيقة . ان الملوك الذين شيدوا هذه المقابر الضخمة كانوا بحق أعظم الملوك الذين حكموا مصر . لأن العصر الذهبى فى مصر القديمة هو عصر بناة الأهرام

و فى موضع ما من هذه الصروح المعمارية الهائلة – أو على الأقل فى واحد منها – ترقد مومياء واحد من هؤلاء الملوك العظام . عرف الملك توت عنخ آمون بأنه الملك الوحيد فى مصر القديمة الذى عثر على مقبرته كاملة لم تمسها أيدى لصوص المقابر . و لكن الملك توت عنخ آمون لم يشيد هرما عظيما . و الانسانية على موعد مع كشف أثرى أعظم من مقبرة الملك توت عنخ آمون . فقط الأبحاث التى سيقوم بها الأثريون فى المستقبل هى التى ستقرر اذا كان العالم سيشهد هذا الكشف أم لا **

شكر و تقدير

كتب السير اسحق نيوتن يقول :-

*** اذا استطعت أن أرى أبعد مما تراه عينى , فان ذلك يعنى أنى وقفت فوق أكتاف عمالقة ***

و لكى أخرج بالرؤية التى طرحتها فى هذا الكتاب وقفت فوق أكتاف عمالقة , و هم علماء الآثار و الباحثين الذين بذلوا الجهد طوال المائتى عام الأخيرة فى محاولة فهم أسرار الحضارة المصرية القديمة .

و لكن هناك عمالقة أطول من آخرين .

أدين بالفضل لعالم المصريات هنرى فرانكفورت لأعماله العظيمة التى أوضح فيها أن هناك سياق واحد يجمع الفكر الدينى فى مصر القديمة , كما أدين بالفضل أيضا لعالم الأنثروبولوجى ميرسيا ايلياد مؤلف كتاب "أسطورة العود الأبدى" , و راندل كلارك لرؤيته العميقة للأساطير المصرية القديمة , و ايف ريموند لترجمتها الشاملة لنصوص معبد ادفو , و جان أسمان لتفسيره العميق لمفهوم ال "نحح" و ال "دجد" فى مصر القديمة , و "ج. ب. ليبر" لأبحاثه الهامة حول ممرات و غرف الهرم الأكبر.

و أود أن أوجه الشكر بشكل شخصى الى جيمس بيتر آلن الذى أرسل لى نسخة من كتابه "نشأة الكون فى مصر القديمة" (Genesis in Egypt) , و أود أن أشكر أيضا مايكل رايس الذى أرسل لى نسخة من كتاب ايف ريموند "الأصل الميثولوجى للمعبد المصرى" (The Mythical Origin of the Egyptian Temple) و هو كتاب نفدت طبعته و لم يعد متاحا فى المكتبات و لتعليقه على الصور التى نشرتها فى بعض فصول كتابى .

كما أود أن أشكر كريستين المهدى لدعمها لجهودى فى محاولة اكتشاف غرفة الكهف بالهرم الأكبر , و أيضا سايمون كوكس لتوجيهه انتباهى الى أن "ساح" عند قدماء المصريين ربما كان فى الأصل النجم سهيل و ليس مجموعة نجوم أوريون .

كما أود أن أشكر زوجتى "سومو" لحبها و دعمها لى فى السنوات الصعبة الماضية , و قد آن الأوان لتجنى ثمار صبرها و ثقتها فى , كما أشكر أمى و أبى اللذين ربيانى بعيدا عن الجمود الفكرى و القيود الدينية , مما ساعدنى على أن أرى أبعد مما تراه عينى و أنا أقف فوق أكتاف عمالقة .

آلان ف. ألفورد

